﴿ الجزء الاول ﴾

من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن علي بن
أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الاثير الجزري المتلقب بعز
الدين رحمه الله
آمين

﴿ وهو مشتمل على تاريخ مروج الذهب ومعادن الجوهر ﴾
﴿ للامام أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي رحمه الله ﴾

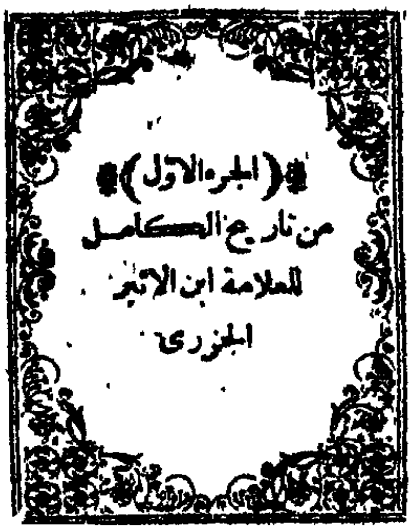
(الجزء الاول)
من تاريخ الكامل
للعلامة ابن الاثير
الجزرى

فهرسة الجزء الاول من تاريخ الكامل للعلامة ابن الاثير الجزري

صحيفة		صحيفة	
٥	ذكر الوقت الذي ابتدئ فيه بعمل التاريخ في الاسلام	٣٤	ذكر الاحداث التي كانت في زمن نوح عليه السلام
٦	القول في الزمان	٣٦	ذكر بيوراسف وهو الاردهاق الذي سميه العرب الضحاك
٦	القول في جميع الزمان من أوله الى آخره	٣٧	ذكر سرية نوح عليه السلام
٦	القول في ابتداء الخلق وما كان أوله	٣٩	ذكر ملك افريدون
٧	القول في خلق بعد العقل	١٩	ذكر الاحداث التي حدثت بين نوح وابراهيم
٨	القول في الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه	٣٣	ذكر نمرود بن كنعان الجبار الذي عاصر ابراهيم الخليل عليه السلام وهو الذي كان في عصره من ملوك الارض
٩	قصة ابليس لعنه الله وابتداء أمره واغوائه آدم عليه السلام	٣٥	ذكر مولد ابراهيم عليه السلام ومن آمن معه
٩	ذكر الاخبار التي كان بها ابليس لعنه الله من الملك وذكر الاحداث في ملكه	٣٦	ذكر ولادة اسمعيل عليه السلام وحمله الى مكة
١٠	ذكر خلق آدم عليه السلام	٣٧	ذكر عمارة البيت الحرام بمكة
١٢	ذكر اسكان آدم الجنة واخراجه منها	٣٨	ذكر قصة الذبيح
١٣	ذكر اليوم الذي سكن آدم فيه الجنة واليوم الذي اخرج فيه منها واليوم الذي تيب عليه	٣٨	ذكر من قال انه اسحق
١٣	ذكر الموضع الذي أهبط فيه آدم وحواء الى الارض	٣٩	ذكر من قال ان الذبيح اسمعيل عليه السلام
١٥	ذكر اخراج ذرية آدم من ظهره وأخذ الميثاق	٣٩	ذكر السبب الذي من أجله امر ابراهيم بالذبح وصفة الذبح
١٥	ذكر الاحداث التي كانت في عهد آدم في الدنيا	٤٠	ذكر ما امتحن الله به ابراهيم عليه السلام
١٨	ذكر ولادة شيث	٤٠	ذكر عدو الله النمرود وهلاكه
١٨	ذكر وفاة آدم عليه السلام	٤١	ذكر قصة لوط وقومه
١٩	ذكر شيء من آدم عليه السلام	٤٢	ذكر وفاة سارة زوج ابراهيم عليه السلام وذكر أولاده وأزواجه
٣٠	ذكر الاحداث التي كانت من لدن ملك شيث الى ان ملك برد	٤٣	ذكر وفاة ابراهيم وعدد ما أنزل عليه
٣١	ذكر برد	٤٣	ذكر خبر ولد اسمعيل بن ابراهيم
٣١	ذكر ملك خنوخ وورث	٤٤	ذكر اسحق بن ابراهيم وأولاده
٣٣	ذكر ادريس وهو ادريس عليه السلام	٤٤	قصة أيوب عليه السلام
٣٣	ذكر ملك حشيه	٤٧	ذكر قصة يوسف عليه السلام

صحيفة

٥٤ قصة شعيب عليه السلام
٥٥ قصة الخضر وخبره مع موسى
٥٦ ذكر الخبر عن منوجهر والحوادث في أيامه
٥٨ قصة موسى عليه السلام ونسبه وما كان في أيامه من الاحداث
٦٧ ذكر أمر بني اسرائيل في التيه ووفاة هرون عليه السلام
٦٨ ذكر وفاة موسى عليه السلام
٦٨ ذكر يوشع بن نون عليه السلام وفتح مدينة الجبارين
٧٠ ذكر أمر قارون
٧١ ذكر من ملك من الفرس بعد منوجهر
٧١ ذكر ملك كيقباذ
٧١ ذكر الاحداث في بني اسرائيل في عهد زرو وكيقباذ ونبوة حزقيل
٧٣ ذكر الياس عليه السلام
٧٣ ذكر نبوة اليسع عليه السلام وأخذ التابوت من بني اسرائيل
٧٤ ذكر حال اشمويل وطالوت
٧٦ ذكر ملك داود
٧٦ ذكر فتنته بزوجة اوريا
٧٧ ذكر بناء بيت المقدس ووفاة داود عليه السلام
٧٨ ذكر ملك سليمان بن داود عليه السلام
٧٨ ذكر ما جرى له مع بلقيس
٨١ ذكر غزوته أبا زوجته جرادة ونكاحها وعبادة الصنم في داره وأخذ خاتمه وعوده اليه
٨٢ ذكر وفاة سليمان
٨٣ ذكر من ملك من الفرس بعد كيقباذ
٨٤ ذكر ملك كيخسرو بن سياوخش بن كيكاوس

صحيفة

٨٥ ذكر أمر بني اسرائيل بعد سليمان
٨٥ ذكر محاربة اسبان افيلورزح الهندي
٨٧ ذكر شمياوا الملك الذي مسه من بني اسرائيل ومسيره محاربا الى بني اسرائيل
٨٨ ذكر ملك لهراسب وابنه بشتاسب وظهور زرادشت
٨٩ ذكر مسير بختنصر الى بني اسرائيل
٩٢ ذكر عزير بختنصر العرب
٩٣ ذكر بشتاسب والحوادث في ملكه وقتل ابنه لهراسب
٩٤ ذكر الخبر عن ملوك بلاد اليمن من أيام كيكاوس الى أيام بهمن بن اسفنديار
٩٥ ذكر خبر اردشير بهمن وابنته خمائى
٩٦ ذكر خبر دارا الاكبر وابنه دارا الاصغر وكيف كان هلاكه مع خبر ذي القرنين
٩٦ ذكر الاسكندر ذي القرنين
١٠٠ ذكر من ملك من قومه بعد الاسكندر
١٠٠ ذكر أخبار ملوك الفرس بعد الاسكندر وهم ملوك الطوائف
١٠١ ذكر ملك اشك بن اشكان
١٠٤ ذكر ملك جودرز
١٠٣ ذكر الاحداث أيام ملوك الطوائف فمن ذلك ذكر المسيح عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليه السلام
١٠٥ ذكر قتل زكريا
١٠٦ ذكر ولادة المسيح عليه السلام ونبوته الى آخر أمره
١٠٨ ذكر نبوة المسيح وبعض معجزاته
١٠٩ ذكر نزول المائدة
١٠٩ ذكر رفع المسيح الى السماء ونزوله الى الأرض وعوده الى السماء
١١٤ ذكر من ملك من الروم بعد رفع المسيح الى

صحيفة

عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
١١٣ ذكر ملوك الروم وهم ثلاث طبقات
والطبقة الاولى الصابئون
١١٤ الطبقة الثانية من ملوك الروم المتنصرة
١١٦ ذكر الطبقة الثالثة من ملوك الروم بعد
الهجرة
١١٨ ذكر وصول دائل العرب الى العراق
ونزولهم الحيرة
١١٩ ذكر جذيمة الابرش
١٢٠ ذكر طسم وجديس وما أصابهم
الطوائف
١٢٣ ذكر أصحاب الكهف وما آل اليه أمر
الطوائف
١٢٥ ذكر يونس عليه السلام
١٢٦ وما كان من الاحداث أيام سابور
الطوائف ورسالة الله تعالى الى الثلاثة
الى مدينة انطاكية
١٢٧ وما كان من الاحداث ثمة
١٢٨ وما كان من الاحداث أيام الحرمز
١٣٠ ذكر الدير سمعان العابد
١٣١ ذكر طبقة ملوك الحيرة
١٣١ الطبقة الثانية الجذامية
١٣٢ الطبقة الثالثة الاشمانية
١٣٢ الطبقة الرابعة الساطرونية
١٣٣ ذكر أخبار اردشير بابك وملوك
العرس
١٣٤ ذكر شابور بن اردشير بن بابك
١٣٥ ذكر خبر مدينة الحضر
١٣٥ ذكر ملك ابنه هرمز سابور بن اردشير
ابن بابك
١٣٦ ذكر ملك ابنه بهرام بن هرمز بن سابور
١٣٦ ذكر ملك ابنه بهرام بن بهرام بن هرمز
ابن سابور بن اردشير

صحيفة

١٣٦ ذكر ملك ابنه بهرام بن بهرام بن بهرام بن
هرمز بن سابور
١٣٦ ذكر ملك ابنه نرسي بن بهرام
١٣٦ ذكر ملك هرمز بن نرسي بن بهرام بن
بهرام بن هرمز
١٣٦ ذكر ملك ابنه سابور ذي الاكتاف
١٣٨ ذكر ملك اردشير بن هرمز بن نرسي بن
بهرام بن سابور بن اردشير بن بهرام اخي
سابور
١٣٨ ذكر ملك ابنه سابور بن سابور ذي الاكتاف
١٣٩ ذكر ملك أخيه بهرام بن سابور ذي
الاكتاف
١٣٩ ذكر ملك يزدجرد الاثيم بن بهرام بن سابور
ذي الاكتاف
١٤٠ ذكر ملك هرمز بن يزدجرد الاثيم
١٤٢ ذكر ملك ابنه يزدجرد بن بهرام شوه
١٤٠ ذكر ملك فيروز بن يزدجرد بن بهرام
جناس وقتل أخاه هرمز وثلاثة من أهل
بيته
١٤٣ ذكر الاحداث التي للعرب أيام يزدجرد
وفيروز
١٤٤ ذكر ملك بلاش بن فيروز بن يزدجرد
١٤٤ ذكر ملك قباذ بن فيروز بن يزدجرد
١٤٥ ذكر حوادث العرب أيام قباذ
١٤٩ ذكر ملك لخنيعة
١٤٩ ذكر ملك ذي نواس وقصة أصحاب
الاخدود
١٥١ ذكر ملك الحبشة اليمن
١٥٢ ذكر ملك كسرى أنوشروان بن قباد الخ
١٥٤ ذكر ملك كسرى بلاد الروم
١٥٥ ذكر ما فعله أنوشروان بارمينية
وأذربيجان
١٥٥ ذكر أمر الفيل

صحيفة	
١٥٧	ذكر عود اليمن الى حمير وانواع الحبشة منه
١٥٩	ذكر ما احدثه قريش بعد الفيل
١٦٠	ذكر حلف المطيبين والاحلاف
١٦٠	ذكر ما فعله كسرى في أمر الحسن والحسد
١٦٢	ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٦٥	ذكر ل عيم المشعشعة
١٦٦	ذكر مبعث نبينا محمد من أبو سروان
١٦٧	كيفية كسرى ابرويز بهرمز
١٧	ذكر ما أتى كسرى من الآيات بسبب رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧١	ذكر ملك قباذ وما كان
١٧٤	ذكر ملك الحيرة عدي بن نصر
١٧٥	ذكر ملك المنذر بن ماء السماء ولاية أبرهة بن الصباح ولاية هرمز
١٧٥	ذكر قتل كسرى ابرويز
١٧٥	ذكر ملك كسرى شيرويه بن ابرويز هرمز بن أنوشروان
١٧٧	ذكر ملك اردشير
١٧٧	ذكر ملك شهريار
١٧٩	ذكر ملك بوران ابنة ابرويز بن هرمز بن أنوشروان
١٧٨	ذكر ملك آزرميدخت ابنة ابرويز
١٧٨	ذكر ملك رستم شهريار بن ابرويز
١٧٨	ذكر أيام العرب في الجاهلية
١٧٨	ذكر حرب ربيعة بن نصر اللخمي مع غطفان وبكر وتغلب وبني القين
١٨٠	ذكر يوم البردان
١٨٣	ذكر مقتل حجر أبي امرئ القيس والحروب الحادثة بعقتله الى ان مات امرؤ القيس
١٨٤	يوم خزاز
١٨٤	ذكر مقتل كليب والايام بين بكر وتغلب

صحيفة	
١٩٢	ذكر الحرب بين الحرث الاعرج وبني تغلب
١٩٤	يوم عين اباغ
١٩	يوم مريح حنيه وقتل المنذر بن ماء السماء
١٩٧	ذكر قتل مضرط الحجارة
١٩٧	يوم الكلاب الاول
١٩٩	يوم أوارة الاول
١٩٩	يوم أوارة الثاني
٢٠	ذكر قتل زهير بن جذيمة العبسي الحارث بن ظالم المري وذكر يوم المرار
٢٠٦	أيام داحس والغبراء وذكر ما كان بين عبس وذبيان
٢١١	يوم سعد حيلة
٢١٣	يوم ذات الكتف
٢١٤	ذكر انتصار الاوس على الخزرج
٢١٧	يوم ذي نجب
٢١٧	يوم الصريمة
٢١٨	يوم الفيف
٢١٩	يوم الشيطين بني يربوع
٢١٩	يوم صايفر
٢٢	يوم الرقم
٢٢١	ذكر أيام طسم
٢٢١	يوم جو
٢٢١	يوم الرقم
٢٢١	يوم سد
٢٢٣	يوم الأ وهو يوم اعشاش ويوم العطالى
٢٢٤	يوم الشقيقة وقتل بسطام بن قيس
٢٢٥	يوم النسار
٢٢٦	يوم الجفار
٢٢٧	يوم الصفقة والكلاب الثاني
٢٢٩	يوم لهب الدهناء
٢٣٠	يوم الوقيط

صفحة	
٢٣١	يوم المروت
٢٣١	يوم فيف الريح
٢٣٢	يوم اليمامة ويعرف أيضا بذات حوق
٢٣٢	يوم ذي طلوح
٢٣٣	يوم أقرن
٢٣٤	يوم السلان
٢٣٥	يوم ذي علق
٢٣٥	يوم الرقم
٢٣٦	يوم ساحوق
٢٣٦	يوم اعيار ويوم النقيعه
٢٣٧	يوم النباة
٢٣٧	يوم الغرات
٢٣٧	يوم بارق
٢٣٨	يوم طخفة
٢٣٨	يوم النباج ونيتل
٢٣٩	يوم فلج
٢٣٩	يوم الشيطين
٢٤٠	أيام لانصار وهم الاوس والخزرج التي جرت بينهم
٢٤١	ذكر غلبة الانصار على المدينة وضعف أمر اليهود بها وقتل القينقاعيين
٢٤١	حرب سمير
٢٤٢	ذكر حرب كعب بن عمرو المازني
٢٤٣	ذكر الحرب بين بني عمرو بن عوف وبني الحرث وهو يوم السرارة
٢٤٤	حرب الحصين بن الاسلت
٢٤٥	حرب ربيع الظفري
٢٤٥	حرب قارع، سنة العلام القضاعي
٢٤٧	حرب حاطب
٢٤٨	يوم الربيع
٢٤٨	وسمي يوم القفيع
٢٤٩	حرب الفجار الاول للانصار
٢٥٠	يوم معبس ومسرس
٢٥٠	يوم الفجار الثاني للانصار
٢٥١	يوم بعاث
٢٥٢	ذكر غلبة ثقيف على الطائف والحرب بين الاحلاف وبني مالك

٢ [illegible]
١٠ [illegible]
٣١ ذكر المسعودي [illegible]
٥٦ [illegible]
٧٧ [illegible]
٨٠ [illegible]
١٠٠ [illegible]
١٠١ [illegible]
١١ [illegible]
١٤٧ [illegible]
١٥٧ [illegible]
١٦٤ [illegible]
٦ [illegible]
١٨٠ [illegible]
١٨٢ [illegible]
٩ [illegible]

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
الحمد لله أهل الحمد
ومستوجب الثناء والمجد
وصلى الله على سيدنا محمد
خاتم النبيين وعلى آله
الطاهرين وسلم تسليما الى
يوم الدين

﴿باب ذكر جوامع أغراض
هذا الكتاب﴾

أما بعد فانا صنفنا كتابنا في
اخبار الزمان وقدمنا القول
فيه في هيئة الارض
ومدنها وعجائبها وبحارها
وأنهارها وجبالها وأنهارها
منها واصناف
وأخبار غياضها
وجزائر البحار والبحيرات
الصغار وأخبار الابنية
المعظمة والمساكن المشرفة
وذكر شأن المبدأ وأصل
النسل وتباين الاوطان
وما كان نهرا فصار بحرا
وما كان بحرا فصار برا وما
كان برا فصار بحرا على
مرور الايام وكرور الدهور
وعلة ذلك وسببه الفلكي
والطبيعي وانقسام الاقاليم
اص الكواكب
ومقادير
الدو
الناس في النسر
واختلافهم في بدئه وأوليه
من الهند وأصناف
الملحدين وما ورد في ذلك
عن الشرعيين ومن ناطقت
به الكتب وورد على الدهريين
و
الحوادث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القديم فلا أول لوجوده الدائم الكريم فلا آخر لبقائه ولا نهاية لجوده الملك حقا فلا تدرك العقول حقيقة كنهه القادر على كل ما في العالم من أثر قدرته المقدس فلا تقرب الحوادث حماه المنزه عن التغيير فلا يلحقه منه سواه مصرف الخلائق بين رفع وخفض وبسط وقبض وابرام ونقض واماتة واحياء وايجاد وافناء واسعاد واضلال واعزاز واذلال يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شئ قدير مبيد القرون السالفة والامم الخالفة لم يمنعهم منه ما اتخذوه معقلا وحرزا فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا بتقديره النفع والضر وله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين أحمده على ما أولى من نعمه وأجزل للناس من قسمه وأصلي على رسوله محمد سيد العرب والعجم المبعوث الى جميع الامم وعلى آله وأصحابه أعلام الهدى ومصابيح الظلم صلى الله عليه وعليهم وسلم

﴿اما بعد﴾ فاني لم أزل محبا لمطالعة كتب التواريخ ومعرفة ما فيها مؤثرا للاطلاع على الجلي من حوادثها وخافيها مائلا الى المعارف والآداب والتجارب المودعة في مطاويها فلما تأملتها رأيتها متباينة في تحصيل الغرض يكاد جوهر المعرفة بها يستحيل الى العرض فمن بين مطول قد استقصى الطرق والروايات ومختصر قد أخل بكثير مما هو آت ومع ذلك فقد ترك كلهم العظيم من الحادثات والمشهور من الكائنات وسود كثير منهم الاوراق بصغائر الامور الى الاعراض عنها أولى وترك تسطيرها احرى كقولهم خلع فلان الذي صاحب العيار وزاد رطلا في الاسعار وأكرم فلان وأهين فلان وقد أرخ كل منهم الى زمانه وجاء بعده من ذيل عليه ما في المتجددات بعد تاريخه اليه والشرقي منهم قد أخل بذكر أخبار العرب والعربي قد أهمل حوال الشرق فكان الطالب اذا أراد أن يطالع تاريخا احتاج الى مجلدات كثيرة وكتب متعددة امن الاخلال والاملال فلما رأيت الامر كذلك شرعت في تأليف تاريخ جامع لاخبار رق والغرب وما بينهما ليكون تذكرة لي اراجعه خوف النسيان وآتي فيه بالحوادث من أول الزمان متتابعة يتلو بعضها بعضا الى وقتنا هذا أولا أول الى أن أتيت على جميع

الحوادث المتعلقة بالتاريخ فان من هو بالموصل لا يدان يشذ عنه ما هو بأقصى الشرق والغرب ولكن أقول انى قد جمعت فى كتابى هذا ما لم يجتمع فى كتاب واحد ومن تأمله علم صحة ذلك فابتدأت بالتاريخ الكبير الذى صنفه الامام أبو جعفر الطبرى اذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه والمرجوع عند الاختلاف اليه فأخذت ما فيه من جميع تراجمه لم أخل بترجمة واحدة منها وقد ذكر هو فى أكثر الحوادث روايات ذوات عدد كل رواية منها مثل التى قبلها أو أقل منها وربما زاد الشئ اليسير أو نقصه فقصدت أتم الروايات فنقلتها وأضفت اليها من غيرها ما ليس فيها وأودعت كل شئ مكانه فجاء جميع ما فى تلك الحادثة على اختلاف طرقها سياقا واحدا على ما تراه فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعتها واضفت منها الى ما نقلته من تاريخ الطبرى ما ليس فيه ووضعت كل شئ منها موضعه الا ما يتعلق بما جرى بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى لم أضف الى ما نقله أبو جعفر شيأ الا ما فيه زيادة بيان أو اسم انسان أو ما لا يطعن على أحد منهم فى نقله وانما اعتمدت عليه من بين المؤرخين اذ هو الامام المتقن حقا الجامع علما وصحة اعتقاد وصدقا على انى لم أنقل الا من التواريخ المذكورة والكتب المشهورة ممن يعلم بصدقهم فيما نقلوه وصحة ما دونوه ولم أكن كالحاطب فى ظلماء الليالى ولا كمن يجمع الحصباء والدرّ لى ورأيتهم أيضا يذكرون الحادثة الواحدة فى سنين ويذكرون منها فى كل شهر أشياء فتأتى الحادثة مقطعة لا يحصل منها على غرض ولا تفهم الا بعد امعان النظر فجمعت أنا الحادثة فى موضع واحد وذكرت كل شئ منها فى أى شهر أو سنة كانت فأتت متناسقة متتابعة قد أخذ بعضها بأعناق بعض وذكرت فى كل سنة لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها فاما الحوادث الصغار التى لا يحتمل منها كل شئ ترجمة فانى أفردت لجميعها ترجمة واحدة فى آخر كل سنة فاقول ذكر عدة حوادث واذا ذكرت بعض من تبع وملك فى قطر من البلاد ولم تطل أيامه فانى أذكر جميع حاله من أوله الى آخره عند ابتداء أمره لانه اذا تفرق خبره لم يعرف للجهل به وذكرت فى آخر كل سنة من توفى فيها من مشهور العلماء والاعيان والفضلاء وضبطت الاسماء المشتبهة المؤتلفة فى الخط المختلفة فى اللفظ الواردة فيه بالحروف ضبطا يزيل الاشكال ويغنى عن الانقاط والاشكال فلما جمعت أكثره أعرضت عنه مدة طويلة لحوادث تجددت وقواطع توالت وتعددت ولان معرفتى بهذا النوع كملت وتمت ثم ان نفرا من اخوانى وذوى المعارف والفضائل من خلانى ممن أرى محادثتهم نهاية أوطارى وأعدهم من امائل مجالسى وسمارى رغبوا الىّ فى ان يسمعوه منى ليروه عنى فاعتذرت بالاعراض عنه وعدم الفراغ منه فانى لم أعاود مطالعة مسودته ولم أصلح ما أصلح فيها من غلط وسهو ولا اسقطت منها ما يحتاج الى اسقاط ومحو وطالت المراجعة مدة وهم للطالب ملازمون وعن الاعراض معرضون وشرعوا فى سماعه قبل اتمامه واصلاحه واثبات ما تمس الحاجة اليه وحذف ما لا بد من اطراحه والعزم على اتمامه فاتر والعجز ظاهر للاشتغال بما لا بد منه لعدم المعين والمظاهر ولهموم توالت ونوائب تتابعت فانا ملازم الاهمال والتوانى فلا أقول انى لا سير اليه سير الشوانى فبينما الامر كذلك اذ برز أمر من طاعته فرض واجب واتباع أمره حكم لازب من أعلاق الفضل باقباله علينا فقسة وأرواح الجهل باعراضه عنا فقسة من أحيا المكارم وكانت أمواتا وأعادها خلقا جديدا بعد ان كانت رفاتا من عم رعيته عدله ونواله وشملهم احسانه وافضاله مولانا مالك الملك الرحيم العالم المؤيد المنصور المظفر بدر الدين ركن الاسلام والمسلمين محى

﴿ثم اتبعنا ذلك﴾ باخبار الملوك الغابره والامم الداثره والقرون الخاليه والطوائف البائده على مر سيرهم فى تغير أوقاتهم وتضيف أعصارهم من الملوك والفراعنة العاديه والاكاسرة واليونانية وما ظهر من حكمهم ومقالتهم فلاسفتهم وأخبار ملوكهم وأخبار العناصر الى ما فى تضاعيف ذلك من أخبار الانبياء والرسل والاتقياء الى أن افضى الله بكرامته وشرف برسالته محمدا نبيه صلى الله عليه وسلم وذكرنا مولده ومنشأه وبعثته وهجرته ومغازيه وسراياه الى أوان وفاته واتصال الخلافة واقساف المملكة بزمن زمن ومقاتل من ظهر من الطالبيين الى الوقت الذى شرعنا فيه تصنيف كتابنا هذا من خلافة المتقى لله أمير المؤمنين وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ﴿ثم اتبعناه﴾ بكتابنا الاوسط فى الاخبار على التاريخ وما اندرج فى السنين الماضية ﴿ومن لدن البدء الى الوقت الذى عنده انتهى كتابنا الاعظم وما تلاه من الكتاب الاوسط رأينا﴾ ايجاز ما بسطناه واختصار ما وسطناه فى

العدل فى العالمين خلد الله دولته فحينئذ ألقيت عنى جلباب المهل وابطلت رداء الكسل وألقت الدواة واصلحت القلم وقلت هذا أوان الشد فاشتدى زيم وجعلت الفراغ أهم مطلب واذا أراد الله أمرا هيأ له السبب وشرعت فى اتمامه مسابقا ومن العجب ان السكيت يروم ان يجى مسابقنا ونصبت نفسى غرضا للسهام وجعلتها مظنة لاقوال اللوام لان المآخذ اذا كانت تتطرق الى التصنيف المهذب والاستدراكات تتعلق بالمجموع المرتب الذى تكررت مطالعته وتنقيحه واجيد تأليفه وتصحيحه فهى بغيره أولى وبه أحرى على انى مقر بالتقصير فلا أقول ان الغلط سهو جرى به القلم بل أعترف بان ما أجهل أكثر مما أعلم وقد سميته بما يناسب معناه وهو الكامل فى التاريخ ولقد رأيت جماعة ممن يدعى المعرفة والدراية ويظن بنفسه التبحر فى العلم والرواية يحتقر التواريخ ويزدريها ويعرض عنها ويلغيها ظنا منه أن غاية فائدتها انما هو القصص والاخبار ونهاية معرفتها الاحاديث والاسمار وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللب نظره وأصبح مختسلبا جوهره ومن رزقه الله طبعا سليما وهداه صراطا مستقيما علم ان فوائدها كثيرة ومنافعها الدنيوية والاخروية جمة غزيرة وها نحن نذكر شيأ مما ظهر لنا فيها ونكل الى قريحة الناظر فيه معرفة باقيها فاما فوائدها الدنيوية فمنها ان الانسان لا يخفى انه يحب البقاء ويؤثر ان يكون فى زمرة الاحياء فيا ليت شعرى أى فرق بين ما رآه أمس أو سمعه وبين ما قرأه فى الكتب المتضمنة اخبار الماضين وحوادث المتقدمين فاذا طالعها فكأنه عاصرهم واذا علمها فكأنه حاضرهم ومنها ان الملوك ومن اليهم الامر والنهى اذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدونة فى الكتب يتناقلها الناس فيرويها خلف عن سلف ونظروا الى ما أعقبت من سوء الذكر وقبيح الاحدوثة وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الاموال وفساد الاحوال استقبحوها وأعرضوا عنها واطرحوها واذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم وان بلادهم وممالكهم عمرت وأموالها درت استحسنوا ذلك ورغبوا فيه وثابروا عليه وتركوا ما ينافيه هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التى دفعوا بها مضرة الاعداء وخلصوا بها من المهالك واستصابوا نفائس المدن وعظيم الممالك ولو لم يكن فيها غير هذا لكفى به فخرا ومنها ما يحصل للانسان من التجارب والمعرفة بالحوادث وما تصير اليه عواقبها فانه لا يحدث أمر الا قد تقدم هو أو نظيره فيزداد بذلك عقلا ويصح لأن يقتدى به أهلا ولقد أحسن القائل حيث يقول

رأيت العقل عقلين * فطبوع ومسموع
فلا ينفع مسموع * اذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

يعنى بالمطبوع العقل الغريزى الذى خلقه الله تعالى للانسان وبالمسموع ما يرداد به العقل الغريزى من التجربة وجعله عقلا ثانيا توسعا وتعظيما له والا فهو زيادة فى عقله الاول ومنها ما يتجمل به الانسان فى المجالس والمحافل من ذكر شئ من معارفها ونقل طريفة من طرائفها فترى الاسماع مصغية اليه والوجوه مقبلة عليه والقلوب متأملة ما يورده ويصدره مستحسنة ما يذكره وأما الفوائد الاخروية فمنها ان العاقل اللبيب اذا تفكر فيها ورأى تقلب الدنيا بأهلها وتنابذ نكباتها الى اعيان قاطنيها وانها سلبت نفوسهم وذخائرهم وأعدمت أصاغرهم

واكابرهم

كتاب لطيف نودعه لمع ما فى ذينك الكتابين مما ضمناهما وغير ذلك من أنواع العلوم وأخبار الامم الماضية والاعصار الخالية مما لم يتقدم ذكره فيهما على انا نعتذر من تقصير ان كان ونتنصل من اغفال أو عرض لما قد شاب خواطرنا وغمر قلوبنا من تقاذف الاسفار وقطع القفار تارة على متن البحر وتارة على ظهر البر مستعملين بدائع الامم بالمشاهدة عارفين خواص الاقاليم بالمعاينة كقطعنا بلاد السند والزنج والصنف والصين والراج وتقحمنا الشرق والغرب فتارة بأقصى خراسان وتارة بوسائط ارمينية وأذربيجان والهوات والطالقان وطورا بالعراق وطورا بالشام فسيرى فى الآفاق سرى الشمس فى الاشراق كما قال بعضهم تيمم أقطار البلاد فتارة لدى شرقها الاقصى وطورا الى الغرب
سرى الشمس لا ينفك تقذفه النوى
الى أفق نائ يقصر بالركب
قال المصنف ثم مفاوضتنا فى أصناف الملوك على تغاير أخلاقهم وتباين هممهم وتباعد ديارهم وأخذنا بمسالك مسلك من مواقفهم على ان العلم قد بادت آثاره

وأكابرهم فلم تبق على جليل ولا حقير ولم يسلم من نكدها غني ولا فقير زهد فيها واعرض عنها واقبل على التزود للآخرة منها ورغب في دار تنزهت عن هذه النقائص وسلم أهلها من هذه النقائص ولعل قائلا يقول ما نرى ناظرا فيها زهد في الدنيا واقبل على الآخرة ورغب في درجاتها العليا فيا ليت شعري كم رأى هذا القائل قارئا للقرآن العزيز وهو سيد المواعظ وأفصح الكلام يطلب به اليسير من هذا الحطام فان القلوب مولعة بحب العاجل ومنها التخلق بالصبر والتأسي وهما من محاسن الاخلاق فان العاقل اذا رأى ان مصاب الدنيا لم يسلم منه نبي مكرم ولا ملك معظم بل ولا أحد من البشر علم أنه يصيبه ما اصابهم وينوبه ما نابهم

وهل أنا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية ارشد

ولهذه الحكمة وردت القصص في القرآن المجيد ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد فان ظن هذا القائل ان الله سبحانه أراد بذكرها الحكايات والاسمار فقد تمسك من اقوال الزيغ بجمكم سببها حيث قالوا هذه اساطير الاولين اكتتبها نسأل الله تعالى ان يرزقنا قلبا واعيا وقولا وانسانا صادقا ويوفقنا للسداد في القول والعمل وهو حسبنا ونعم الوكيل

﴿ذكر الوقت الذي ابتدئ فيه بعمل التاريخ في الاسلام﴾

قيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أمر بعمل التاريخ والصحيح المشهور ان عمر بن الخطاب امر بوضع التاريخ وسبب ذلك ان أبا موسى الاشعري كتب الى عمر انه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ فجمع عمر الناس للمشورة فقال بعضهم أرخ بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بهجرة رسول الله فقال عمر بل نؤرخ بهجرة رسول الله فان مهاجرته فرق بين الحق والباطل قاله الشعبي وقال ميمون بن مهران رفع الى عمر صك محله شعبان فقال أي شعبان أشعبان هو آت أم شعبان الذي نحن فيه ثم قال لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعوا للناس شيأ يعرفونه فقال بعضهم اكتبوا على تاريخ الروم فانهم يؤرخون من عهد ذي القرنين فقال هذا يطول فقال اكتبوا على تاريخ الفرس فقيل ان الفرس كلما أقام ملك طرح تاريخ من كان قبله فاجتمع رأيهم على ان ينظروا كم أقام رسول الله بالمدينة فوجدوه عشر سنين فكتبوا التاريخ من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن سيرين قام رجل الى عمر فقال أرخوا فقال عمر ما ارخوا فقال شيء تفعله الاعاجم في شهر كذا من سنة كذا فقال عمر حسن فأرخوا فاتفقوا على الهجرة ثم قالوا من أي الشهور فقالوا من رمضان ثم قالوا المحرم هو منصرف الناس من حجهم وهو شهر حرام فاجمعوا عليه وقال سعيد بن المسيب جمع عمر الناس فقال من أي يوم نكتب التاريخ فقال علي من مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفراقه أرض الشرك ففعله عمر وقال عمرو بن دينار اول من أرخ يعلى بن أمية وهو باليمن وأما قبل الاسلام فقد كان بنو ابراهيم يؤرخون من نار ابراهيم الى بنيان البيت حين بناه ابراهيم واسمعيل عليهما السلام ثم ارخ بنو اسمعيل من بنيان البيت حتى تفرقوا فكان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا بخروجهم ومن بقي بتهامة من بني اسمعيل يؤرخون من خروج سعد ونهد وجهينة بني زيد من تهامة حتى مات كعب بن لؤي وأرخوا من موته الى الفيل ثم كان التاريخ من الفيل حتى ارخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة وقد كان كل طائفة من العرب تؤرخ بالحادثات المشهورة فيها ولم يكن لهم تاريخ يجمعهم وفي ذلك قول بعضهم

وطمس مناره وكثر فيه العناء وقل الفهماء فلا تعاين الا عموها جاهلا ومتعاطيا ناقصا قد قنع بالظنون وعمي عن اليقين لم ير الاشتغال بهذا الضرب من العلوم والتفرغ لهذا الفن من الآداب حتى صنفنا كتبنا من ضروب المقالات وأنواع الديانات ككتاب الابانة عن أصول الديانة وكتاب المقادير في أصول الديانات وكتاب سر الحياة وكتاب نظم الادلة في أصول الملة وما اشتمل عليه من أصول الفنون وقوانين الاحكام كتيقن القياس والاجتهاد في الاحكام ووقع الرأي والاستحسان ومعرفة الناسخ من المنسوخ وكيفية الاجماع وماهيته ومعرفة الخاص والعام والاوامر والنواهي والحظر والاباحة وما أتت به الاخبار من الاستفاضة والآحاد وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم وما ألحق بذلك من اصول الفتوى ومناظرة أبناء الخصوم فيما نازعونا فيه وموافقتهم في شيء منه وكتاب الاستبصار في الامامة ووصف أقاويل الناس في ذلك من أصحاب النص والاخبار وحجاج كل فريق منهم وكتاب

هـا أنا ذا آمـل الخلود وقد * أدرك عقـلى مولدى حجرا

وقال الجعدى فن يك سائـلا عنى فانى * من الشـبان ايام الختان

وقال آخر وماهى الا فى ازار وعلقة * بغار ابن همام على حى خثعما

وكل واحد ارخ بحادث مشهور عندهم فلو كان لهم تاريخ يجمعهم لم يختلفوا فى التاريخ والله أعلم

﴿القول فى الزمان﴾

الزمان عبارة عن ساعات الليل والنهار وقد يقال ذلك للطويل والقصير منهما والعرب تقول اتيتك زمان الصرام * وزمان الصرام يعنى به وقت الصرام وكذلك أتيتك ازمان الحجاج أمير ويجمعون الزمان يريدون بذلك ان كل وقت من اوقات امارته من الازمنة

﴿القول فى جميع الزمان من اوله الى آخره﴾

اختلف الناس فى ذلك فقال ابن عباس من رواية سعيد بن جبير عنه سبعة آلاف سنة وقال وهب ابن منبه ستة آلاف سنة قال أبو جعفر والصحيح من ذلك ما دل على صحته الخبر الذى رواه ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أجلكم فى أجل من قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وروى نحو هذا المعنى أنس وأبو سعيد الا انهما قالا الى غروب الشمس وبدل صلاة العصر بعد العصر وروى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وروى نحوه جابر بن سمرة وأنس وسهل بن سعيد وبريدة والمستورد بن شداد وأشياخ من الانصار كلهم عن النبى صلى الله عليه وسلم وهذه أخبار صحيحة قال وقد زعم اليهود ان جميع ما ثبت عندهم على ما فى التوراة من لدن خلق آدم الى الهجرة أربعة آلاف سنة وثلثمائة واثنتان واربعون سنة وقالت اليونانية من النصارى ان من خلق آدم الى الهجرة خمسة آلاف سنة وتسعمائة واثنتين وتسعين سنة وشهرا وزعم قائل ان اليهود انما نقصوا من السنين دفعا منهم لنبوة عيسى اذ كانت صفته ومبعثه فى التوراة وقالوا لم يأت الوقت الذى فى التوراة ان عيسى يكون فيه فهم ينتظرون بزعمهم خروجه ووقته قال وأحسب ان الذى ينتظرونه ويدعون صفته فى التوراة هو الدجال وقالت المجوس ان قدر مدة الزمان من لدن ملك جيومرث الى وقت الهجرة ثلاثة آلاف ومائة وتسع وثلاثون سنة وهم لا يذكرون مع ذلك شيأ يعرف فوق جيومرث ويزعمون أنه هو آدم وأهل الاخبار مختلفون فيه فمن قائل مثل قول المجوس ومن قائل انه يسمى بآدم بعد ان ملك الاقاليم السبعة وانه حام بن يافث بن نوح وكان بارا بنوح فدعا له ولذريته بطول العمر والتمكين فى البلاد واتصال الملك فاستجيب له فملك جيومرث وولده الفرس ولم يزل الملك فيهم الى أن دخل المسلمون المدائن وغلبوهم على ملكهم ومن قائل غير ذلك كذا قال أبو جعفر (قلت) ثم ذكر أبو جعفر بعد هذا أصولا تتضمن الدلالة على حدوث الازمان والاوقات وهل خلق الله قبل خلق الزمان شيأ أم لا وعلى فناء العالم وان لا يبقى الا الله تعالى وانه أحدث كل شئ واستدل على ذلك باشياء يطول ذكرها ولا يليق ذلك بالتواريخ لا سيما المختصرات منه فانه يعلم الاصول أولى وقد فرغ المتكلمون منه فى كتبهم فرأينا تركه أولى ﴿بريدة بضم الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخرها هاء﴾

﴿القول فى ابتداء الخلق وما كان أوله﴾

صح فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه عبادة بن الصامت انه سمعه يقول ان

الصفوة فى الامامة وما احتواه ذلك مع سائر كتبنا فى ضروب علم الظواهر والبواطن والخفى والدائر ويقاظنا على ما يرتقيه المرتقون ويتوقعه المحدثون وما ذكروه من نور يلمع فى الارض وينبسط فى الجدب والخصب وما فى عقب الملاحم الكائنة الظاهر أنباؤها المتجلى أوائلها الى سائر كتبنا فى السياسة كالسياحة المدنية واجزاء المدينة ومثلها الطبيعية وانقسام أجزاء تكور المدينة ومثلها الطبيعية منه وانقسام أجزاء الملة والابانة عن المواد وكيفية تركيب العوالم والاجسام السماوية وما هو محسوس وغير محسوس من الكثيف واللطيف وما قال أهل النحلة فى ذلك وكان مادعانى الى تأليف كتابى هذا فى التاريخ وأخبار العالم وما مضى فى أكناف الزمان من أخبار الانبياء والملوك وسيرها والامم ومساكنها محبة احتذاء الشاكلة التى قصدها العلماء وقناها الحكماء وأن يبقى للعالم ذكرا محمودا وعلما منظوما عتيدا فانا وجدنا مصنفى الكتب فى ذلك مجيدا ومقصرا ومنتهيا ومختصرا ووجدنا

أول ماخلق الله تعالى القلم وقال له اكتب فجرى فى تلك الساعة بما هو كائن وروى نحو ذلك عن ابن عباس وقال محمد بن اسحق أول ماخلق الله تعالى النور والظلمة فجعل الظلمة ليلا أسود وجعل النور نهارا أبيض مضيئا والاول أصح للحديث وابن اسحق لم يسند قوله الى أحد واعترض أبو جعفر على نفسه بما روى سفيان عن أبى هاشم عن مجاهد عن ابن عباس انه قال ان الله تعالى كان على عرشه قبل ان يخلق شيأ فكان أول ماخلق الله القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة وأجاب بان هذا الحديث ان كان صحيحا فقد رواه شعبة أيضا عن أبى هاشم ولم يقل فيه ان الله كان على عرشه روى أنه قال أول ماخلق الله القلم

﴿القول فيما خلق بعد القلم﴾

ثم ان الله خلق بعد القلم وبعد ان أمره فكتب ما هو كائن الى يوم القيامة سحابا رقيقا وهو الغمام الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم وقد سأله أبو رزين العقيلى أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق فقال فى غمام ماتحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء وهو الغمام الذى ذكره الله فى قوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام ﴿قلت﴾ فيه نظر لانه قد تقدم ان أول ماخلق الله تعالى القلم وقال له اكتب فجرى فى تلك الساعة ثم ذكر فى أول هذا الفصل ان الله خلق بعد القلم وبعد ان جرى بما هو كائن سحابا ومن المعلوم ان الكتابة لابد فيها من آلة يكتب بها وهو القلم ومن شئ يكتب فيه وهو الذى يعبر عنه ههنا باللوح المحفوظ وكان ينبغى أن يذكر اللوح المحفوظ ثانيا للقلم والله اعلم ويحتمل أن يكون ترك ذكره لانه معلوم من مفهوم اللفظ بطريق الملازمة ثم اختلف العلماء فيمن خلق الله بعد الغمام فروى الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس أول ماخلق الله العرش فاستوى عليه وقال آخرون خلق الله الماء قبل العرش وخلق العرش فوضعه على الماء وهو قول أبى صالح عن ابن عباس وقول ابن مسعود ووهب بن منبه وقد قيل ان الذى خلق الله تعالى بعد القلم الكرسى ثم العرش ثم الهواء ثم الظلمات ثم الماء فوضع العرش عليه قال وقول من قال ان الماء خلق قبل العرش أولى بالصواب لحديث أبى رزين عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان الماء كان على متن الريح حين خلق العرش قاله سعيد بن جبير عن ابن عباس فان كان كذلك فقد خلقا قبل العرش وقال غيره ان الله خلق القلم قبل أن يخلق شيأ بألف عام واختلفوا أيضا فى اليوم الذى ابتدأ الله تعالى فيه خلق السموات والارض وقال عبد الله بن سلام وكعب والضحاك ومجاهد ابتداء الخلق يوم الاحد وقال محمد بن اسحق ابتداء الخلق يوم السبت وكذلك قال أبو هريرة واختلفوا أيضا فيما خلق كل يوم فقال عبد الله بن سلام ان الله تعالى بدأ الخلق يوم الاحد فخلق الارضين يوم الاحد والاثنين وخلق الاقوات والرواسى فى الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات يوم الخميس والجمعة ففرغ آخر ساعة من الجمعة فخلق فيها آدم عليه السلام فتلك الساعة التى تقوم فيها الساعة ومثله قال ابن مسعود وابن عباس من رواية أبى صالح عنه الا انهما لم يذكرا خلق آدم ولا الساعة وقال ابن عباس من رواية على بن أبى طلحة عنه ان الله تعالى خلق الارض باقواتها من غير ان يدحوها ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك فذلك قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها وهذا القول عندى هو الصواب وقال ابن عباس أيضا من رواية عكرمة عنه ان الله تعالى وضع البيت على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بالفى عام ثم دحيت الارض من تحت البيت ومثله قال ابن عمرو وروى السرى عن أبى صالح وعن أبى مالك عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود فى قوله

الاخبار زائدة مع زيادة الايام حادثة مع حدوث الازمان ورباعاب البارع منها على الفطن الذكى ولكل واحد قسط يخصه بمقدار عنايته ولكل اقليم عجائب يقتصر على علمها أهله وليس من لزم جهة وطنه وقنع بما عاين اليه من الاخبار عن اقليمه كمن قسم عمره على قطع الاقطار ووزع أيامه بين تقاذف الاسفار واستخراج كل دقيق من معدنه واثارة كل نفيس من مكمنه وقد ألف الناس كتبا فى التاريخ والاخبار مما سلف وخلف فأصاب البعض واخطأ البعض وكل قد اجتهد بغاية امكانه وأظهر مكنون جوهر فطنته كوهب بن منبه وأبى مخنف لوط بن يحيى العامرى ومحمد بن اسحق والواقدى وابن الكلبى وأبى عبيدة معمر بن المثنى وأبى العباس الهمدانى والهيثم بن عدى الطائى والمشرفى بن القطامى وحماد الراوية والاصمعى وسهل بن هرون وعبد الله ابن المقفع واليزيدى ومحمد ابن عبد الله العتبى والآمدى وأبى زيد سعيد ابن أوس الانصارى والنضر بن شميل وعبيد الله بن عائشة وأبى عبيد الله

تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسوّاهن سبع سموات قال ان الله عز وجل كان عرشه على الماء ولم يخلق شيأ مما خلق قبل الماء فلما أراد ان يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين فى يومين يوم الاحد ويوم الاثنين فخلق الارض على حوت والحوت النون الذى ذكره الله تعالى فى القرآن فى قوله ن والقلم والحوت فى الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة فى الريح وهى الصخرة التى ذكرها لقمان ليست فى السماء ولا فى الارض فتحرك الحوت فاضطربت وتزلزلت الارض فأرسى عليها الجبال فقرت فالجبال تفخر على الارض فذلك قوله تعالى وجعلنا فيها رواسى أن تميد بكم قال ابن عباس والضحاك ومجاهد وكعب وغيرهم كل يوم من هذه الايام الستة التى خلق الله فيها السماء والارض كالف سنة (قلت) أما ما ورد فى هذه الاخبار من ان الله تعالى خلق الارض فى يوم كذا والسماء فى يوم كذا انما هو مجاز والا فلم يكن ذلك الوقت أياما وليالى لان الايام عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها والليالى عبارة عما بين غروبها وطلوعها ولم يكن ذلك الوقت سماء ولا شمس وانما المراد به انه خلق كل شئ بمقدار يوم كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وليس فى الجنة بكرة وعشى ﴿سلام والد عبد الله بتخفيف اللام﴾

﴿القول فى الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه﴾

قد ذكرنا ما خلق الله تعالى من الاشياء قبل خلق الاوقات وآن الازمنة والاوقات انما هى ساعات الليل والنهار وان ذلك انما هو قطع الشمس والقمر درجات الفلك فلنذكر الآن بأى ذلك كان الابتداء أبالليل أم بالنهار فان العلماء اختلفوا فى ذلك فان بعضهم يقول ان الليل خلق قبل النهار ويستدل على ذلك بان النهار ضوء نور الشمس فاذا غابت الشمس جاء الليل فبان بذلك أن النهار وهو النور وارد على الظلمة التى هى الليل واذا لم يرد نور الشمس كان الليل ثابتا فدل ذلك على ان الليل هو الاول وهذا قول ابن عباس وقال آخرون كان النهار قبل الليل واستدلوا بأن الله تعالى كان ولا شئ معه ولا ليل ولا نهار وان نوره كان يضئ به كل شئ خلقه حتى خلق الليل قال ابن مسعود ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور السموات من نور وجهه قال أبو جعفر والاول أولى بالصواب للعلة المذكورة أولا ولقوله تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها فبدأ بالليل قبل النهار قال عبيد بن عمير الحارثى كنت عند على فسأله ابن الكواء عن السواد الذى فى القمر فقال ذلك آية محيت وقال ابن عباس مثله وكذلك قال مجاهد وقتادة وغيرهما لذلك خلقهما الله تعالى الشمس أنور من القمر (قلت) وروى أبو جعفر ههنا حديثا طويلا عدة أوراق عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى خلق الشمس والقمر وسيرهما فانهما على عجلتين لكل عجلة ثلثمائة وستون عروة يجريها بعددها من الملائكة وانهما يسقطان عن العجلتين فيغوصان فى بحر بين السماء والارض فذلك كسوفهما ثم ان الملائكة يخرجونهما فذلك تجليهما من الكسوف وذكر الكواكب وسيرها وطلوع الشمس من مغربها ثم ذكر مدينة بالمغرب تسمى جابرسا وأخرى بالمشرق تسمى جابرقا ولكل واحدة منهما عشرة آلاف باب يحرس كل باب منها عشرة آلاف رجل لا تعود الحراسة اليهم الى يوم القيامة وذكر يأجوج ومأجوج ومنسك وثاريس الى أشياء أخر لا حاجة الى ذكرها فاعرضت عنها لمنافاتها العقول ولو صح اسنادها الذى ذكرناها وقلنا به ولكن الحديث غير

صحيح

القاسم بن سلام وعلى بن محمد المدائنى ودمار بن ربيع ابن سلمة ومحمد بن سلام الجمحى وأبى عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ وأبى زيد عمرو بن شيبة النميرى والزرقى الانصارى وأبى السائب المخزومى وعلى بن محمد بن سليمان النوفلى والزبير بن بكار والانجيلى والرياشى وابن عائذة وعمار ابن وسيمة المصرى وعيسى ابن لهيعة المصرى وعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى وابى حسان الزيادى ومحمد بن عيسى الخوارزمى وأبى جعفر محمد ابن أبى السرى ومحمد بن الهيثم بن شبابة الخراسانى صاحب كتاب الدولة واسحق بن ابراهيم الموصلى صاحب كتاب الاغانى وغيره من الكتب والخليل ابن الهيثم الخرقى صاحب كتاب الحيل والمكايد فى الحروب وغيره ومحمد بن يزيد المبرد الازدى ومحمد بن سليمان المنقرى الجوهرى ومحمد بن زكريا العلائى المصرى المصنف للكتاب المترجم بكتاب الاجراد وغيره وابن أبى الزينى مؤدب المكتفى بالله وأحمد ابن محمد الخزاعى المعروف بالخافانى الانطاكى وعبد الله محمد بن محفوظ البلدى

صحيح ومثل هذا الامر العظيم لايجوز أن يسطر فى الكتب بمثل هذا الاسناد الضعيف * واذكرنا قديما مقدار مدة ما بين أول ابتداء الله عز وجل فى انشاء ما اراد انشاءه من خلقه الى حين فراغه من انشاء جميعه من سنى الدنيا ومدة أزمانها وكان الغرض فى كتابنا هذا ذكر ما قدمنا انا اذا كروه من تاريخ الملوك الجبابرة والعاصية ربها والمطيعة ربها وأزمان الرسل والانبياء وكما قد أتينا على ذكر ما تصح به التاريخات وتعرف به الاوقات وهو الشمس والقمر فلنذكر الآن أول من أعطاه الله تعالى ملكا وأنعم عليه فكفر نعمته وتجبر بوبيته واستكبر فسلبه الله نعمته وأخزاه وأذله ثم نتبعه ذكر من استن سنته واقتفى أثره وأحل الله به نقمته ونذكر من كان بازائه أو بعده من الملوك المطيعة ربها المحمودة آثارها ومن الرسل والانبياء ان شاء الله تعالى

﴿قصة ابليس لعنه الله وابتداء أمره واطفائه آدم عليه السلام﴾

فأولهم وامامهم ورئيسهم ابليس وكان الله تعالى قد حسن خلقه وشرفه وملكه على سماء الدنيا والارض فيما ذكر وجعله مع ذلك خازنا من خزان الجنة فاستكبر على ربه وادعى الربوبية ودعا من كان تحت يده الى عبادته فمحقه الله تعالى شيطانا رجيما وشوه خلقه وسلبه ما كان خوله ولعنه وطرده عن سمواته فى العاجل ثم جعل مسكنه ومسكن أتباعه فى الآخرة نار جهنم نعوذ بالله تعالى من نار جهنم ونعوذ بالله تعالى من غضبه ومن الحور بعد الكور ونبدأ بذكر الاخبار عن السلف بما كان الله أعطاه من الكرامة وبادعائه ما لم يكن ونتبع ذلك بذكر أحداث فى سلطانه وملكه الى حين زوال ذلك عنه والسبب الذى به زال عنه ان شاء الله تعالى

﴿ذكر الاخبار عما كان لابليس لعنه الله من الملك وذكر الاحداث فى ملكه﴾

روى عن ابن عباس وابن مسعود أن ابليس كان له ملك سماء الدنيا وكان من قبيله من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا قال ابن عباس ثم انه عصى الله تعالى فمسخه شيطانا رجيما وروى عن قتادة فى قوله تعالى ومن يقل منهم انى اله من دونه انما كانت هذه الآية فى ابليس خاصة لما قال ما قال لعنه الله تعالى وجعله شيطانا رجيما وقال فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين وروى عن ابن جريج مثله * وأما الاحداث التى كانت فى ملكه وسلطانه فانها روى عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حى من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان خازنا من خزان الجنة قال وخلقت الملائكة من نور وخلقت الجن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذى يكون فى طرفها اذا التهبت وخلق الانسان من طين فاول من سكن فى الارض الجن فافتتنوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضا فبعث الله تعالى اليهم ابليس فى جند من الملائكة وهم هذا الحى الذين يقال لهم الجن فقاتلهم ابليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال فلما فعل ذلك اغتر فى نفسه وقال قد صنعت ما لم يصنعه أحد فاطلع الله تعالى على ذلك من قلبه ولم يطلع عليه أحدا من الملائكة الذين معه وروى عن أنس نحوه وروى أبو صالح عن ابن عباس ومرة الهمدانى عن ابن مسعود انهما قالا لما فرغ الله تعالى من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل ابليس على ملك سماء الدنيا وكان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم من خزان الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا وقع فى نفسه كبر وقال ما أعطانى الله تعالى هذا الامر الا لمزية لى على الملائكة فاطلع الله على ذلك منه فقال انى جاعل

الانصارى صاحب أبى يزيد عمارة بن زيد اليمنى ومحمد البرقى بن خالد الرقى الكاتب صاحب التبيان وولده أحمد بن محمد بن خالد البرقى وأحمد بن أبى طاهر صاحب الكتاب المعروف باخبار بغداد وغيره وأبى الوشاء وعلى بن مجاهد صاحب الكتاب المعروف باخبار الامويين وغيره ومحمد بن صالح بن النطاح صاحب كتاب الدولة العباسية وغيره ويوسف بن ابراهيم صاحب اخبار ابراهيم بن المهدى وغيرها ومحمد بن الحرث الثعلبى صاحب الكتاب المعروف باخبار الملوك المؤلف للفتح بن خاقان وغيره وأبى سعيد السكرى صاحب كتاب أيام العرب وعبد الله بن عبد الله بن حسن بن دارية فانه كان اماما فى التأليف متنوعا فى ملاحة التصنيف اتبعه من يعتمد وأخذ منه ووطئ على عقبه وقفا أثره واذا أردت ان تعلم صحة ذلك فانظر الى كتابه الكبير فى التاريخ فانه أجمع هذه الكتب حدا وأبدعها نظما وأكثرها علما وأحوى لاخبار الامم وملوكها وسيرها من الاعاجم وغيرها ومن كتبه النفيسة فى المسالك والممالك وغير ذلك مما اذا طالعته وجدته

في الارض خليفة قال ابن عباس وكان اسمه عزازيل وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما فدعاه ذلك الى الكبر وهذا قول ثالث في سبب كبره وروى عكرمة عن ابن عباس ان الله تعالى خلق خلقا فقال اسجدوا لآدم فقالوا لا نفعل فبعث عليهم نارا فاحرقتهم ثم خلق خلقا آخر فقال اني خالق بشرا من طين فاسجدوا لآدم فابوا فبعث الله تعالى عليهم نارا فاحرقتهم ثم خلق هؤلاء الملائكة فقال اسجدوا لآدم قالوا نعم وكان ابليس من أولئك الذين لم يسجدوا وقال شهر بن حوشب ان ابليس كان من الجن الذين سكنوا الارض وطردتهم الملائكة وأسره بعض الملائكة وذهب به الى السماء وروى عن سعيد بن مسعود ذلك وأولى الاقوال بالصواب ان يقال كما قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه وجائز أن يكون فسوقه من اعجابه بنفسه لكثرة عبادته واجتهاده وجائز أن يكون لكونه من الجن ﴿ومرة الهمداني بسكون الميم والدال المهملة نسبة الى همدان قبيلة كبيرة من اليمن﴾

﴿ذكر خلق آدم عليه السلام﴾

ومن الاحاديث في سلطانه خلق أبينا آدم عليه السلام وذلك لما أراد الله تعالى ان يطلع ملائكته على ما علم من انطواء ابليس على الكبر ولم يعلمه الملائكة حتى دنا أمره من البوار وملكه من الزوال فقال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء روى عن ابن عباس ان الملائكة قالت ذلك للذي كانوا عهدوا من أمره وأمر الجن الذين كانوا سكان الارض قبل ذلك فقالوا لربهم تعالى أتجعل فيها من يكون مثل الجن الذين كانوا يسفكون الدماء فيها ويفسدون ويعصونك ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال الله لهم اني أعلم مالا تعلمون يعني من انطواء ابليس على الكبر والعزم على خلاف أمري واغتراره وأنا مبدي ذلك لكم منه لتروه عيانا فلما أراد الله أن يخلق آدم أمر جبريل أن يأتيه بطين من الارض فقالت الارض أعوذ بالله منك أن تنقص مني وتشينني فرجع ولم يأخذ منها شيأ وقال يا رب انها عاذت بك فاعذتها فبعث ميكائيل فاستعاذت منه فاعاذها فرجع وقال مثل جبريل فبعث اليها ملك الموت فاستعاذت منه فقال أنا أعوذ بالله ان أرجع ولم أنفذ أمر ربي فأخذ من وجه الارض فخلطه ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء وطينا لازبا فلذلك خرج بنو آدم مختلفين وروى أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والاسود والابيض وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب ثم بلت طينته حتى صارت طينا لازبا ثم تركت حتى صارت حمأ مسنونا ثم تركت حتى صارت صلصالا كما قال ربنا تبارك وتعالى ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون واللازب الطين الملتزب بعضه ببعض اي ثم ترك حتى تغير وأنتن وصار حمأ مسنونا يعني متنا ثم صار صلصالا وهو الذي له صوت وانما سمي آدم لانه خلق من ادیم الارض قال ابن عباس أمر الله بتربة آدم فرفعت فخلق آدم من طين لازب من حمأ مسنون وانما كان حمأ مسنونا بعد الالتزاب فخلق منه آدم بيده ثلاثين كبرا بليس عن السجود له قال فمكث أربعين ليلة وقيل أربعين سنة جسدا ملقى فكان ابليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل أي يصوت قال فهو قول الله تعالى من صلصال كالفخار يقول هو كالشيء المنفوخ الذي ليس بمصمت ثم يدخل من فيه فيخرج من دبره ويدخل من دبره فيخرج من فيه ثم يقول لست شيأ ولشيء ما خلقت ولئن سلطت عليك

واذا تفقدته حمدته وكتاب التاريخ من المولد الى الوفاة ومن كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الخلفاء والملوك الى خلافة المعتضد بالله وما كان من الاحداث والكوائن في أيامهم واخبارهم تأليف محمد بن علي وكتاب النسب لاحمد بن علي البلاذري وكتابه أيضا في البلدان وفتوحها صلحا وعنوة من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وما فتح في ايامه وعلى يد الخلفاء بعده وما كان من الاخبار في ذلك ووصف البلدان في الشرق والغرب والجنوب ولا نعلم في فتوح البلدان أحسن منه وكتاب داود بن الجراح في التاريخ الجامع لكثير من أخبار الفرس وغيرها من الامم وهو وجد الوزير علي بن عيسى بن داود بن الجراح وكتاب التاريخ الجامع لفنون من الاخبار والكوائن في الاعصار قبل الاسلام وبعده تأليف أبي عبد الله محمد بن الحسن بن سوار المعروف بابن اخت عيسى بن برخان شاه بلغ في تصنيفه الى سنة عشرين وثلثمائة وتاريخ أبي عيسى ابن المنجم على ما انبأت به التوراة وغير ذلك من أخبار الانبياء والملوك وكتاب التاريخ وأخبار

لاهلكنك ولئن سلطت علي لاعصينك فكانت الملائكة تمر به فتخافه وكان ابليس أشدهم منه خوفا فلما بلغ الحين الذي أراد الله أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فلما نفخ الروح فيه دخلت من قبل رأسه وكان لا يجري شيء من الروح في جسده الا صار لحما فلما دخلت الروح في رأسه عطس فقال له الملائكة قل الحمد لله وقيل بل ألهمه الله التحميد فقال الحمد لله رب العالمين فقال الله له رحمك ربك يا آدم فلما دخلت الروح عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما بلغت جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح رجليه عجلان الى ثمار الجنة فلذلك يقول الله تعالى خلق الانسان من عجل فسجد له الملائكة كلهم الا ابليس استكبر وكان من الكافرين فقال الله له يا ابليس ما منعك ان تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه لم أكن لاسجد لبشر خلقته من طين فلم يسجد كبرا وبغيا وحسدا فقال الله له يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي الى قوله لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين فلما فرغ من ابليس ومعاتبته وأبى الا المعصية أوقع عليه اللعنة وأيأسه من رحمته وجعله شيطانا رجيما وأخرجه من الجنة قال الشعبي أنزل ابليس مشتمل الصماء عليه عمامة اعور في احدى رجليه نعل وقال حميد بن هلال نزل ابليس مختصرا فذلك كره الاختصار في الصلاة ولما نزل قال يارب أخرجتني من الجنة من أجل آدم وانى لا أقوى عليه الا بسلطانك قال فانت مسلط قال زدني قال لا يولد له ولد الا ولد لك مثله قال زدني قال صدورهم مساكن لك وتجري منهم مجرى الدم قال زدني قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم قال آدم يارب قد أنظرته وسلطته علي وانى لا امتنع منه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يارب زدني قال الحسنة بعشر امثالها وأزيدها والسيئة بواحدة أو أمحوها قال يارب زدني قال يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا قال يارب ردني قال التوبة لا منعها من ولدك ما كانت فيهم الروح قال يارب ردني قال أغفر ولا أبالي قال حسبي ثم قال الله لآدم انت أولئك أولئك لنفر من الملائكة فقل السلام عليكم فاتاهم فسلم عليهم فقالوا له وعليك السلام ورحمة الله ثم رجع الى ربه فقال هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم فلما امتنع ابليس من السجود وظهر للملائكة ما كان مستترا عنهم علم الله آدم الاسماء كلها واختلف العلماء في الاسماء فقال الضحاك عن ابن عباس علم الاسماء كلها التي تتعارف بها الناس انسان ودابة وأرض وسهل وجبل وفرس وحمار وأشباه ذلك حتى الفسوة والفسية وقال مجاهد وسعيد بن جبير مثله وقال ابن زيد علم أسماء ذريته وقال الربيع علم أسماء الملائكة خاصة فلما عرض الله اهل الاسماء على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين أي ان جعلت الخليفة منكم اطعتموني وقد تموني ولم تعصوني وان جعلته من غيركم أفسد فيها وسفك الدماء فانكم ان لم تعلموا أسماء هؤلاء وأنتم تشاهدونهم فبأن لا تعلموا ما يكون منكم ومن غيركم وهو مغيب عنكم أولى وأحرى وهذا قول ابن مسعود ورواه أبي صالح عن ابن عباس وروى عن الحسن وقتادة انهما قالا لما أعلم الله الملائكة بخلق آدم واختلافه وقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال اني أعلم ما لا تعلمون قالوا فيما بينهم ليخلق ربنا ما يشاء فلن يخلق خلقا الا كنا أكرم على الله منه اعلم منه فلما خلقه وأمرهم بالسجود له علموا أنه خير منهم وأكرم على الله منهم فقالوا ان ربك خيرا منا وأكرم على الله منا فنحن اعلم منه فلما أعجبوا بعلمهم ابتلوا بأن علمه الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين اني لا أخلق أكرم منكم ولا أعلم منكم فتنزعوا الى التوبة وانها

الامويين ومناقبهم وذكر فضائلهم وما بانوا به عن غيرهم وما أحدثوه من السير في أيامهم تأليف أبي عبد الرحمن خالد بن هشام الاموي وكتاب القاضي أبي بشر الدولابي في التاريخ والكتاب الشريف تأليف أبي بكر محمد بن خلف وكيع القاضي في التاريخ وغيره من الاخبار وكتاب السير والاخبار لمحمد بن خالد الهاشمي وكتاب السير والاخبار لاسحق بن سليمان الهاشمي وكتاب سير الخلفاء لابي بكر محمد بن زكرياء الرازي صاحب كتاب المنصوري في الطب وغيره فأما عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فمن كثرت كتبه واتسع تصنيفه ككتابه المترجم بكتاب المعارف وغيره من مصنفاته وأما تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري الزاهي على المولفات والزائد على الكتب المصنفات فقد جمع أنواع الاخبار وحوى فنون الآثار واشتمل على صنوف العلم وهو كتاب تكثر فائدته وتنفع عائدته وكيف لا يكون كذلك ومؤلفه فقيه عصره وناسك دهره اليه انتهت علوم فقهاء الامصار وحملة السنن والآثار وكذلك تاريخ

يفزع كل مؤمن فقالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم قال وعلمه اسم كل شئ من هذه الخيل والبغال والابل والجن والوحش وكل شئ

﴿ذكر اسكان آدم الجنة واخراجه منها﴾

فلما طهر الملائكة من معصية ابليس وطغيانه ما كان مستتراعنهم وعاتبه الله على معصيته بتركه السجود لآدم فأسرع على معصيته واقام على غيه لعنه الله وأخرجه من الجنة وطرده منها وسلبه ما كان اليه من ملك سماء الدنيا والارض وخزن الجنة فقال الله له اخرج منها يعني من الجنة فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين واسكن آدم الجنة قال ابن عباس وابن مسعود فلما اسكن آدم الجنة كان يمشي فيها فرد اليس له زوج يسكن اليها فنام نومة واستيقظ فاذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها فقال من أنت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي قالت له الملائكة لينظر واما بلغ علمه ما اسمها قال حواء قالوا ولم سميت حواء قال لانها خلقت من حي وقال الله له يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وقال ابن اسحق فيما بلغه عن أهل الكتاب وغيرهم منهم عبد الله بن عباس قال ألقى الله تعالى على آدم النوم وأخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر ولأم مكانه لحما وخلق منه حواء وآدم نائم فلما استيقظ رآها الى جنبه فقال لحمي ودمي وروحي فسكن اليها فلما زوجه الله تعالى وجعل له سكنا من نفسه قال له يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وعن مجاهد وقتادة مثله فلما أسكن الله آدم وزوجته الجنة اطلق لهما ان يأكلا كل ما أرادا من كل ثمرها غير ثمرة شجرة واحدة ابتلاء منه لهما وليمضي قضاؤه فيهما وفي ذريتهما فوسوس لهما الشيطان وكان سبب وصوله اليهما أنه اراد دخول الجنة فمنعته الخزنة فأتى كل دابة من دواب الارض وعرض نفسه عليها انها تحمله حتى يدخل الجنة ليكلم آدم وزوجته فكل الدواب أبى عليه حتى أتى الحية وقال لها أمنعك من ابن آدم فانت في ذمتي ان أنت ادخلتيني فجعلته بين نابين من أنيابها ثم دخلت به وكانت كاسية على أربعة قوائم من أحسن دابة خلقها الله كانها بختية وأعراها الله وجعلها تمشي على بطنها قال ابن عباس اقتلوها حيث وجدتموها واخفروا ذمة عدو الله فيها فلما دخلت الحية الجنة خرج ابليس من فيها فصاح عليها نياحة أحزنتهما حين سمعاها فقالا له ما يبكيك قال أبكي عليكما تموتان فتبيدان مما أنتما فيه من النعمة والكرامة فوقع ذلك في أنفسهما ثم أتاهما وسوس لهما وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين أي تكونا ملكين أو تخلدا ان لم تكونا ملكين في نعمة الجنة قال الله تعالى فدلاهما بغرور وكان انفعال حواء لوسوسته أعظم فدعاها آدم لحاجته فقالت لا الا ان تأتي ههنا فلما أتى قالت لا الا ان تأكل من هذه الشجرة وهي الحنطة قال فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وكان لباسهما الظفر فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وكانت الشجرة من أكل منها أحدث وذهب آدم هاربا في الجنة فناداه ربه أن يا آدم مني تفر قال لا يا رب ولكن حياء منك فقال يا آدم من أين أتيت قال من قبل حواء يا رب فقال الله فان لها علي ان أدميها في كل شهر وان أجعلها سفيهة وقد كنت خلقتها حليمة وان اجعلها تحمل كرها وتضع كرها وتشرف على الموت مرارا وقد كنت جعلتها تحمل يسرا وتضع يسرا ولولا بليتها لكان النساء لم يحضن ولكن

أبي عبد الله ابراهيم بن محمد ابن عرفة الواسطي النحوي الملقب بنفطويه فحشو من ملاحة كتب الخاصة مملوء من فوائد السادة وكان احسن أهل عصره تأليفا وأملحهم تصنيفا وكذلك سلك محمد بن يحيى الصولي في كتابه المترجم بكتاب الاوراق في اخبار الخلفاء من بني العباس وبني أمية وشعرائهم ووزرائهم فانه ذكر غرائب لم تقع لغيره واشياء تفرد بها لانه شاهدها بنفسه وكان محظوظا من العلم مجردا من المعرفة مرزوقا من التصنيف وحسن التأليف وكذلك كتاب الوزراء واخبارهم لابي الحسن علي بن الحسن المعروف بابن المأمونة فانه بلغ في تصنيفه الى آخر أيام الراضي بالله وكذلك أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب فانه كان حسن التأليف بارع التصنيف موجز اللفظ معربا للمعاني واذا أردت علم ذلك فانظر في كتابه في الاخبار المعروفة باخبار زهر الربيع وأشرف على كتابه المترجم بكتاب الخراج فانك تشاهد منه حقيقة ما قد ذكرنا وصدق ما وصفنا وما صنفه أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي الفقيه في كتابه في

حليمات ولكن يحملن يسرا و يضعن يسرا وقال الله تعالى له لا لعنن الارض التى خلقت منها لعنة يتحول ثمارها شوكا ولم يكن فى الجنة ولا فى الارض شجرة أفضل من الطلح والسدر وقال للحية دخل الملعون فى جوفك حتى غر عبدى ملعونة أنت لعنة يتحول بها قوائمك فى بطنك ولا يكون لك رزق الا التراب أنت عدوة بنى آدم وهم أعداؤك حيث لقيت واحدا منهم أخذت بعقبه وحيث لقيك شدخ رأسك اهبطوا بعضكم لبعض عدو آدم وابليس والحية فاهبطهم الى الارض وساب الله آدم وحواء كل ما كانا فيه من النعمة والكرامة قيل كان سعيد بن المسيب يحلف بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ولكن سقته حواء الخمر حتى سكر فلما سكر قادته اليها فأكل (قلت) والعجب من سعيد كيف يقول هذا والله يقول فى صفة خمر الجنة لا فيها غول

﴿ذكر اليوم الذى أسكن آدم فيه الجنة واليوم الذى أخرج فيه منها واليوم الذى تاب فيه﴾

روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أسكن الجنة وفيه أهبط منها وفيه تاب الله عليه وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة قلما لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا الا أعطاه اياه قال عبد الله بن سلام قد علمت أى ساعة هى هى آخر ساعة من النهار قال أبو العالية أخرج آدم من الجنة لساعة التاسعة أو العاشرة منه وأهبط الى الارض لتسع ساعات مضين من ذلك اليوم وكان مكثه فى الجنة خمس ساعات منه وقيل كان مكثه ثلاث ساعات منه ٢ فان كان قائل هذا القول أراد انه سكن الفردوس لساعتين مضتا من يوم الجمعة من أيام الدنيا التى هى على ما هى به اليوم فلم يبعد قوله من الصواب لان الاخبار كذا كانت واردة عن السلف من أهل العلم بان آدم خلق آخر ساعة من اليوم السادس التى مقدار اليوم منها ألف سنة من سنينا فعلوم ان الساعة الواحدة من ذلك اليوم ثلاثة وثمانون عاما من أعوامنا وقد ذكرنا ان آدم بعد ان خمر ربنا طينته بقى قبل أن ينفخ فيه الروح أربعين عاما وذلك لا شك انه عنى به أعوامنا ثم بعد ان نفخ فيه الروح الى أن تناهى امره وأسكن الجنة واهبط الى الارض غير مستنكر ان يكون مقدار ذلك من سنينا قدر خمس وثلاثين سنة وان كان اراد انه سكن الجنة لساعتين مضتا من نهار يوم الجمعة من الايام التى مقدار اليوم منها ألف سنة من سنينا فقد قال غير الحق لان كل من له قول فى ذلك من أهل العلم يقول انه نفخ فيه الروح آخر نهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس وقد روى أبو صالح عن ابن عباس ان مكث آدم كان فى الجنة نصف يوم كان مقداره خمسمائة عام وهذا أيضا خلاف ما وردت به الاخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن العلماء

﴿ذكر الموضع الذى أهبط فيه آدم وحواء من الارض﴾

قيل ثم ان الله تعالى اهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذى خلقه فيه وهو يوم الجمعة مع زوجته حواء من السماء فقال على وابن عباس وقتادة وأبو العالية انه أهبط بالهند على جبل يقال له نود من أرض سرنديب وحواء بجدة قال ابن عباس فجاء فى طلبها فكان كلما وضع قدمه بموضع صار قرية وما بين خطوتيه مفاوز فسار حتى أتى جمعا فازدلفت اليه حواء فذلك سميت المزدلفة وتعارفا بعرفات فلذلك سميت عرفات واجتمعا بجمع فلذلك سميت جمعا واهبطت الحية باصفهان وابليس بميسان وقيل اهبط آدم بالبرية وابليس بالابلة قال أبو جعفر وهذا مما لا يوصل الى معرفة صحته الا بخبر يجيء مجيء الحجة ولا نعلم خبرا فى ذلك غير ما ورد فى هبوط آدم بالهند فان ذلك مما

الاحبار الذى يعارض فيه كتاب الروضة ولقبه بالباهر وكتاب ابراهيم بن ماهويه الفارسى الذى عارض فيه المبرد فى كتابه الملقب بالكامل وكتاب ابراهيم ابن موسى الواسطى الكاتب فى اخبار الوزراء الذى عارض فيه كتاب محمد بن داود الجراح فى الوزراء وكتاب على بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوق فى اخبار عدة من وزراء المقتدر بالله وكتاب زهرة العيون وجلاء القلوب تأليف المصرى وكتاب التاريخ تأليف عبد الرحمن بن عبد الرزاق المعروف بالجوزبانى السعدى وكتاب التاريخ واخبار الموصل تأليف أبى ذكوة الموصلى وكتاب تاريخ أحمد بن أبى يعقوب

٢ (قوله فان كان قائل هذا القول الخ) غير محرر وعبارة مروج الذهب واما ما ذهب اليه الجمهور من أهل الفقه والآثار فهو ان الابتداء كان يوم الاحد والفراغ يوم الجمعة وفيه نفخ فى آدم الروح وهو اليوم السادس من نيسان ثم خلقت حواء من آدم وأسكنا الجنة لثلاث ساعات مضت منه فكانا ثلاث ساعات وهو ربع يوم بمائتى سنة وخمسين سنة من أعوام الدنيا انتهت

لا يدفع صحته علماء الاسلام قال ابن عباس فلما اهبط آدم على جبل نود كانت رجلاه تمس الارض ورأسه بالسماء يسمع تسبيح الملائكة فكانت تهابه فسألت الله ان ينقص من طوله فنقص طوله الى ستين ذراعا فحزن آدم لما فاته من الانس باصوات الملائكة وتسبيحهم فقال يارب كنت جارك في دارك ليس لي رب غيرك ادخلتني جنتك آكل منها حيث شئت فاهبطتني الى الجبل المقدس فكنت أسمع أصوات الملائكة وأجد ريح الجنة فحططتني الى ستين ذراعا فقد انقطع عني الصوت والنظر وذهبت عني ريح الجنة فأجابه الله تعالى بمعصيتك يا آدم فعلت بك ذلك فلما رأى الله تعالى عرى آدم وحواء أمره ان يذبح كبشا من الضأن من الثمانية الازواج التي أنزلها الله من الجنة فاخذ كبشا فذبحه وأخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه آدم فعمل لنفسه جبة ولحواء درعا وخمارا فلبسا ذلك وقيل أرسل اليهما ملكا يعلمهما ما يلبسانه من جلود الضأن والانعام وقيل كان ذلك لباس أولاده واما هو وحواء فكان لباسهما ما كان خصفا من ورق الجنة فاوحى الله الى آدم ان لي حرما حيال عرشي فانطلق وابن لي بيتا فيه ثم حف به كما رأيت ملائكتي يحفون بعرشي فهنالك استجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي فقال آدم يارب وكيف لي بذلك لست أقوى عليه ولا أهتدي اليه فقيض الله ملكا فانطلق به نحو مكة وكان آدم اذا مر بروضة قال للملك انزل بناهها هنا فيقول الملك مكانك حتى قدم مكة فكان كل مكان نزله آدم عمرانا وما عداه مفاوز مبنى البيت من خمسة أجبل من طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودي وبنى قواعده من حراء فلما فرغ من بنائه خرج به الملك الى عرفات فأراه المناسك التي يفعلها الناس اليوم ثم قدم به مكة فطاف بالبيت اسبوعا ثم رجع الى الهند فمات على نود فعلى هذا القول أهبط حواء وآدم جميعا وان آدم بنى البيت وهذا خلاف الذي ذكره ان شاء الله تعالى منه ان البيت أنزل من السماء وقيل حج آدم من الهند أربعين حجة ماشيا ولما أنزل الى الهند كان على رأسه اكليل من شجر الجنة فلما وصل الى الارض يبس فتساقط ورقه فنبتت منه أنواع الطيب بالهند وقيل بل الطيب من الورق الذي خصف آدم وحواء عليهما وقيل لما أمر بالخروج من الجنة جعل لا يمر بشجرة منها الا أخذ منها غصنا فهبط وتلك الاغصان معه فكان أصل الطيب بالهند منها وزوده الله من ثمار الجنة فثمارنا هذه منها غير ان هذه تتغير وتلك لا تتغير وعلمه صنعة كل شئ ونزل معه بعض طيب الجنة والحجر الاسود وكان أشد بياضا من الثلج وكان من يا قوت الجنة ونزل معه عصا موسى وهي من آس الجنة أو من لبان وانزل بعد ذلك العلاة والمطرقة والكلبتان وكان حسن الصورة لا يشبهه من ولده غير يوسف وانزل عليه جبريل بصرة فيها حنطة فقال آدم ما هذا قال هذا الذي أخرجك من الجنة فقال ما أصنع به فقال انثره في الارض ففعل فانبته الله من ساعته ثم حصده وجمعه وفركه وذراه وطحنه وعجنه وخبزه كل ذلك بتعليم جبريل وجمع له جبريل الحجر والحديد فقدحه فخرجت منه النار وعلمه جبريل صنعة الحديد والحراثة وانزل اليه ثورا فكان يحرث عليه قيل هو الشقاء الذي ذكره الله تعالى بقوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ثم ان الله أنزل آدم من الجبل وملكه الارض وجميع ما عليها من الجن والدواب والطير وغير ذلك فشكا الى الله تعالى وقال يارب أما في هذه الارض من يسبحك غيري فقال الله تعالى سأخرج من صلبك من يسبحني ويحمدني وسأجعل فيها بيوتا ترفع لذكري وأجعل فيها بيتا أخصه بكرامتي وأسميه بيتي وأجعله حرما آمنا فمن حرمه بحرمتي فقد استوجب كرامتي ومن أخاف أهله فيه فقد خفر ذمتي وأباح حرمتي أول بيت وضع للناس فمن اعتمده لا يريد غيره فقد وفد الي وزارني وضافني وبحق

المصري في اخبار العباسيين وغيرهم وكتاب التاريخ في اخبار الخلفاء من بني العباس وغيرهم لعبد الله بن الحسين ابن معدة الكاتب وكتاب محمد بن مزيد بن أبي الازهر في التاريخ وغيره وكتابه المترجم بكتاب الفرج والاحداث ورأيت سنان ابن ثابت بن قرة الحراني حين انتحل ما ليس من صناعته واستنسج ما ليس من طريقته قد ألف كتابا جعله رسالة الى بعض اخوانه من الكتاب واستقصى فيه بجوامع من الكلام في اخلاق النفس وأقسامها من الناطقة والغضبية والشهوانية وذكر لها من السياسات المدنية مما ذكره افلاطون في كتابه في السياسة المدنية وهو عشر مقالات ولها مما يجب على الملوك والوزراء ثم خرج الى اخبار يزعم انها صحت عنده ولم يشاهدها ووصل ذلك باخبار المعتضد بالله وذكر صحبته به وايامه السالفة ثم ترقى الى خليفة خليفة في التصنيف مضادة لرسم الاخبار والتواريخ وخروجا عن جملة أهل التآليف وهو وان أحسن فيه ولم يخرجه عن معانيه فاغا عيبه أنه خرج عن مركز صناعته وتكلف ما ليس

على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وان يسعف كلا بحاجته تعمره أنت يا آدم ما كنت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة ثم أمر آدم أن يأتي البيت الحرام وكان قد أهبط من الجنة ياقوتة واحدة وقيل درة واحدة وبقي كذلك حتى أغرق الله قوم نوح عليه السلام فرفع وبقي اساسه فبوأ الله لابراهيم عليه السلام فبناه على ما نذكره ان شاء الله تعالى وسار آدم الى البيت ليحجه ويتوب عنده وكان قد بكى هو وحواء على خطيئتهما وما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوما ثم أكلا وشربا بعدها ومكث آدم لم يقرب حواء مائة عام فحج البيت وتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴿نود بضم النون وسكون الواو وآخره دال مهملة﴾

﴿ذكر اخراج ذرية آدم من ظهره وأخذ الميثاق﴾

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أخذ الله الميثاق على ذرية آدم بنعمان من عرفة فأخرج من ظهره كل ذرية ذرأها الى أن تقوم الساعة فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة الى قوله بما فعل المبطلون ﴿نعمان بفتح النون الاولى﴾ وقيل عن ابن عباس أيضا انه أخذ عليهم الميثاق بدحنا موضع وقال السدي أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه الى الارض من السماء ثم مسح صفحة ظهره اليمنى فأخرج ذرية كهيئة الذر بيضاء مثل اللؤلؤ فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتي ومسح صفحة ظهره اليسرى فخرج منها كهيئة الذر سوداء فقال ادخلوا النار ولا أبالي فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال ألست بربكم قالوا بلى فأعطوه الميثاق طائفة طائعين وطائفة على وجه التقية

﴿ذكر الاحداث التي كانت في عهد آدم في الدنيا﴾

وكان أول ذلك قتل قابيل بن آدم أخاه هابيل وأهل العلم مختلفون في اسم قابيل فبعضهم يقول قين وبعضهم يقول قاين وبعضهم يقول قابيل واختلفوا أيضا في سبب قتله وقيل كان سببه ان آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت له فيها بقابيل ابن آدم وتوأمته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولم تجد عليهما طلقا حين ولدتهما ولم ترمعهما دما لطهر الجنة فلما أكلا من الشجرة وهبطا الى الارض فأعلمها بما تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق حين ولدتهما ورأت معهما الدم وكانت حواء فيما يذكرون لا تحمل الا توأما ذكرا وأنثى فولدت حواء لآدم أربعين ولدا صلبه من ذكر وأنثى في عشرين بطنا وكان الولد منهم أي أخوانه شاء تزوج الا توأمته التي تولد معه فانها لا تحل له وذلك انه لم يكن يومئذ نساء الا أخواتهم وأمهم حواء فأمر آدم ابنه قابيل ان ينكح توأمة هابيل وأمر هابيل ان ينكح توأمة أخيه قابيل وقيل بل كان آدم غائبا وكان لما أراد السير قال للسماء احفظي ولدي بالامانة فأبت وقال للارض فأبت وللجبال فأبت وقال لقابيل فقال نعم نذهب ونرجع وستجد ما يسرك فانطلق آدم فكان ما نذكره وفيه قال الله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا فلما قال آدم لقابيل وهابيل في معنى نكاح أختيهما ما قال لهما سلما هابيل لذلك ورضي به وأبى ذلك قابيل وكرهه تكرما عن أخت هابيل ورغب بأخته عن هابيل وقال نحن من ولادة الجنة وهما من ولادة الارض فأنا أحق بأختي وقال بعض أهل العلم ان أخت قابيل كانت من أحسن

من مهنته ولو أقبل على الذي انفرد به من علم اقليدس والمعظمات والمجسطي والمدورات ولو استفتح بسقراط وافلاطون وارسطاطاليس فاخبر عن الاشياء الفلكية والآثار العلوية والمزاجات الطبيعية والنسب والتأليفات والنتائج والمقدمات والصنائع المركبات ومعرفة الطبيعيات من الالهيات والجواهر والهيآت ومقادير الاشكال وغير ذلك من أنواع الفلسفة لكان قد سلم مما تكلفه وأتى بما هو أليق بصنعته ولكن العارف بقدره يعود والعالم بمواضع الخلة مفقود وقد قال عبد الله بن المقفع من وضع كتابا فقد استهدف فان أجاد فقد استشرف وان أساء فقد استقدف (قال أبو الحسن) علي بن الحسين بن علي المسعودي ولم يذكر من كتب التواريخ والاخبار والسير والآثار الا ما اشتهر مصنفوها وعرف مؤلفوها ولم نتعرض لذكر كتب تواريخ أصحاب الاحاديث في معرفة أسماء الرجال وأعصارهم وطبقاتهم اذ كان ذلك أكثر من ان نأتي على ذكره في هذا الكتاب اذ كنا قد أتينا على جميع تسمية أهل الاعصار من حملة الآثار

ونقلة السير والاخبار وطبقات أهل العلم من عصر الصحابة ثم من تلاهم من التابعين وأهل كل عصر على اختلاف أنواعهم وتنازعهم فى آرائهم من فقهاء الامصار وغيرهم من أهل الآراء والنحل والمذاهب والجدل الى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى كتابنا المترجم بكتاب اخبار الزمان والكتاب الاوسط (وقد وسمت كتابى هذا بكتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر) لمناسبة ما حواه وعظم خطر ما استولى عليه من طوالع بوارع ما ضمنته كتبنا السالفة فى معناه وغرر مؤلفاتنا فى مغزاه وجعلته تحفة للاشراف من الملوك وأهل الدرايات لما قد ضمنته من جمل ما تدعو الحاجة اليه وتنازع النفوس الى علمه من دراية ما سلف وغبر فى الزمان وجعلته مسوقا على اغراض ما سلف من كتبنا ومشتملا على جوامع يحسن بالاديب العاقل معرفتها ولا يعذر فى التغافل عنها ولم نترك نوعا من العلوم ولا فنا من الاخبار ولا طريقة من الآثار الا أوردناه فى هذا الكتاب مفصلا أو ذكرناه مجملا أو اشرنا اليه بضرب من

الناس فضن بها على أخيه وارادها لنفسه وانها لم يكونا من ولادة الجنة انما كانا من ولادة الارض والله أعلم فقال له أبوه آدم يا بنى انها لا تحل لك فأبى ان يقبل ذلك من أبيه فقال له أبوه يا بنى فقرب قربانا ويقرب اخوك هابيل قربانا فأيكما قبل الله قربانه فهو أحق بها وكان قابيل على بذر الارض وهابيل على رعاية الماشية فقرب قابيل قمحا وقرب هابيل ابكارا من أبكار غنمه وقيل قرب بقرة فأرسل الله نارا بيضاء فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل وبذلك كان يقبل القربان اذا قبله الله فلما قبل الله قربان هابيل وكان فى ذلك القصاص له باخت قابيل غضب قابيل وغلب عليه الكبر واستحوذ عليه الشيطان وقال لاقتلنك حتى لا تنكح أختى قال هابيل انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك الى قوله فطوعت له نفسه قتل أخيه فاتبعه وهو فى ماشيته فقتله فهما اللذان قص الله خبرهما فى القرآن فقال واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر الى آخر القصة قال فلما قتله سقط فى يده ولم يدر كيف يوارى به ذلك أنه كان فيما يزعمون أول قتيل من بنى آدم فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال يا ويلتى أعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة اخى فاصبح من النادمين الى قوله المسرفون فلما قتل اخاه قال الله تعالى يا قابيل أين اخوك هابيل قال لا أدرى ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان صوت دم أخيك ينادينى من الارض الآن أنت ملعون من الارض التى فتحت فاها فبلعت دم أخيك فاذا أنت عملت فى الارض فانها لا تعود تطيعك حرثها حتى تكون فزعا تائها فى الارض فقال قابيل عظمت خطيئتى ان لم تغفرها قيل كان قتله عند عقبة حراء ثم نزل من الجبل آخذا بيد أخته وهرب بها الى عدن من اليمن قال ابن عباس لما قتل أخاه أخذ بيد أخته ثم هبط بها من جبل نود الى الحضيض فقال له آدم اذهب فلا ترال مرعوبا لا تأمن من تراه فكان لا يمر به أحد من ولده الا رماه فأقبل ابن لقابيل اعمى ومعه ابن له فقال للاعمى ابنه هذا أبوك قابيل فارمه فرمى الاعمى أباه قابيل فقتله فقال ابن الاعمى لابيه قتلت أباك فرفع الاعمى يده فلطم ابنه فمات فقال يا ويلتى قتلت أبى برميتى وابنى بلطمتى ولما قتل هابيل كان عمره عشرين سنة وكان لقابيل يوم قتله خمس وعشرون سنة وقال الحسن كان الرجلان اللذان ذكرهما الله تعالى فى القرآن بقوله واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق من بنى اسرائيل ولم يكونا من بنى آدم لصلبه وكان آدم أول من مات وقال أبو جعفر الصحيح عندنا انهما ابنا آدم لصلبه للحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما من نفس تقتل ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل منها وذلك لانه أول من سن القتل فبان بهذا انهما لصلب آدم فان القتل مازال بين بنى آدم قيل بنى اسرائيل وفى هذا الحديث انه أول من سن القتل ومن الدليل على أنه مات من ذرية آدم قبله ما ورد فى تفسير قوله تعالى هو الذى خلقكم من نفس واحدة الى قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما عن ابن عباس وابن جبير والسدى وغيرهم قالوا كانت حواء تلد لآدم فتعبدهم أى تسميهم عبد الله وعبد الرحمن ونحو ذلك فيصيبهم الموت فأتاهما ابليس فقال لو سميتما بغير هذه الاسماء لعاش ولد كما فولدت ولدا فسمته عبد الحرث وهو اسم ابليس فنزلت هو الذى خلقكم من نفس واحدة الآيات وقد روى هذا المعنى مرفوعا (قلت) انما كان الله تعالى يميت أولادهم أولا وأحياهم لهذا المسمى بعبد الحرث امتحانا واختبارا وان كان الله تعالى يعلم الاشياء بغير امتحان لكن علما لا يتعلق به الثواب والعقاب ومن الدليل على ان القاتل والمقتول ابنا آدم لصلبه ما رواه العلماء عن على بن أبى طالب ان آدم قال لما قتل هابيل

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الملبح

فى أبيات غيرها وقد زعم أكثر علماء الفرس ان جيومرث هو آدم وزعم بعضهم انه ابن آدم لصلبه من حواء وقالوا فيه أقوالا كثيرة يطول بذكرها الكتاب اذ كان قصدنا ذكر الملوك وأيامهم ولم يكن ذكر الاختلاف فى نسب ملك من جنس ما أنشأناه الكتاب فان ذكرنا من ذلك شيأ فلتعريف من ذكرنا ليعرفه من لم يكن عارفا به وقد خالف علماء الفرس فيما قالوا من ذلك آخرون من غيرهم ممن زعم انه غير آدم ووافق علماء الفرس على اسمه وخالفهم فى عينه وصفته فزعم ان جيومرث الذى زعمت الفرس انه آدم انما هو حام بن يافث بن نوح وانه كان معمرا سيدا نزل جبل دنباوند من جبال طبرستان من أرض المشرق وتملك بها وبفارس وعظم أمره وأمر ولده حتى ملكوا بابل وملكوا فى بعض الاوقات الاقاليم كلها وابتنى جيومرث المدن والحصون وأعد السلاح واتخذ الخيل وتجبر فى آخر أمره وتسمى بآدم وقال من سمانى بغيره قتلته وتزوج ثلاثين امرأة فكثر منهن نسله وان مارى ابنه ومارياة أخته ممن كانا ولدا فى آخر عمره فأعجب بهما وقدمهما فصارا الملوك من نسلهما قال أبو جعفر وانما ذكرت من أمر جيومرث فى هذا الموضع ما ذكرت لانه لا تدافع بين علماء الامم انه أبو الفرس من العجم وانما اختلفوا فيه هل هو آدم أبو البشر أم غيره على ما ذكرناه ومع ذلك فلان ملكه وملك أولاده لم يزل منتظما على سياق متصل بارض المشرق وجبالها الى ان قتل يزدجرد بن شهريار بمرو وأيام عثمان بن عفان والتاريخ على اسماء ملوكهم اسهل بيانا واقرب الى التحقيق منه على أعمار ملوك غيرهم من الامم اذ لا يعلم أمة من الامم الذين ينتسبون الى آدم دامت لهم المملكة واتصل الملك لملوكهم يأخذه آخرهم عن أولهم وغابرهم عن سالفهم سواهم وانا ذاكر ما انتهى الينا من القول فى عمر آدم واعمار من بعده من ولده من الملوك والانبياء وجيومرث أبى الفرس فاذكر ما اختلفوا فيه من أمرهم الى الحال التى اجتمعوا عليها واتفقوا على ملك منهم فى زمان بعينه انه هو الملك فى ذلك الزمان ان شاء الله وكان آدم مع ما اعطاه الله تعالى من ملك الارض نبيا رسولا الى ولده وأنزل الله عليه احدى وعشرين صحيفة كتبها آدم بيده علمه اياها جبريل روى أبو ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قال قلت يا رسول الله كم الرسل من ذلك قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا منى كثيرا طيبا قال قلت من أولهم قال آدم قال قلت يا رسول الله وهو نبى مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه رجلا وكان ممن أنزل عليه تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم فى احدى وعشرين ورقة

﴿ذكر ولادة شيث﴾

ومن الاحداث فى أيامه ولادة شيث وكانت ولادته بعد مضى مائة وعشرين سنة لآدم وبعد قتل هابيل بخمس سنين وقيل ولد فردا بغير توأم وتفسير شيث هبة الله ومعناه انه خلف من هابيل وهو وصى آدم وقال ابن عباس كان معه توأم ولما حضرت آدم الوفاة عهد الى شيث وعلمه ساعات الليل والنهار وعبادة الخلوة فى كل ساعة منها وأعلمه بالطوفان وصارت الرياسة بعد آدم اليه وأنزل الله عليه خمسين صحيفة واليه انساب بنى آدم كلهم اليوم وأما الفرس الذين قالوا ان جيومرث هو آدم فانهم قالوا ولد لجيومرث ابنته ميشان أخت ميشى وتزوج ميشى أخته ميشان فولدت له

الاشارات أولوحنا اليه بنحو من العبارات فمن حرف شيأ من معناه أوزال ركنا من مبناه أوطمس واضحة من معالمه أولبس شاهدة من تراجمه أوغيره أو بدله أوشحنه أواختصره أونسبه الى غير نا أوأضافه الى سوانا فوافاه من غضب الله ووقوع نقمه وفوادح بلاياه مايعجز عنه صبره ويحار له فكره وجعله الله مثلة للعالمين وعبرة للمعتبرين وآية للمتوسمين وسلبه الله ما أعطاه وحال بينه وبين ما أنعم عليه من قوة ونعمة مبتدع السموات والارض من أى الملل كان والآراء انه على كل شئ قدير وقد جعلت هذا التخويف فى أول كتابى هذا وآخره ليكون رادعا لمن ميله هوى أوغلبه شقاء فليراقب أمر ربه وليحاذر منقلبه فالمدة يسيرة والمسافة قصيرة والى الله المصير وهذا حين نبدأ بجمل ما استودعناه هذا الكتاب من الابواب وما حوى كل باب منها من أنواع الاخبار وبالله التوفيق

﴿ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب﴾

قد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ذكرنا الاغراضه فلنذكر الآن جملا من كمية أبوابه على حسب

سيامك وسيامى فولد لسيامك بن جيومرث افروال ودقس وبواسب واجرب واوراش وأمهم جميعا سيامى ابنة ميشى وهى أخت أبيهم وذكروا ان الارض كلها سبعة أقاليم فارض بابل وما يوصل اليه مما يأتيه الناس براو بحرافهو من اقليم واحد وسكانه ولد افروال بن سيامك واعقابهم فولد لافروال بن سيامك من افرى ابنة سيامك أوشهنج بيشداد الملك وهو الذى خالف جده جيومرث فى الملك وهو أول من جمع ملك الاقاليم السبعة وسنذكر اخباره وكان بعضهم يزعم ان أوشهنج هذا هو ابن آدم لصلبه من حواء وأما ابن الكلبى فانه زعم أن أول من ملك الارض أوشهنق بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح قال والفرس تزعم انه كان بعد آدم بمائتى سنة وانما كان بعد نوح بمائتى سنة ولم تعرف الفرس ما كان قبل نوح والذى ذكره هشام بن الكلبى لا وجه له لان أوشهنج مشهور عند الفرس وكل قوم اعلم بانسابهم وأيامهم من غيرهم قال وقد زعم بعض نسابة الفرس ان أوشهنج هذا هو مهلائيل وان أباه افروال هو قينان وان سيامك هو انوش أو قينان وان ميشى هو شيث أو انوش وان جيومرث هو آدم فان كان الامر كما زعم فلا شك ان أوشهنج كان فى زمن آدم رجلا وذلك لان مهلائيل فيما ذكر فى الكتب الاولى كانت ولادة أمه دينه ابنة براكيل بن محويل بن حنوخ بن قين بن آدم وأتاه بعد ما مضى من عمر آدم ثلثمائة سنة وخمس وتسعون سنة وقد كان له حين وفاة آدم ستمائة سنة وخمس وستون سنة على حساب أن عمر آدم كان ألف سنة وقد زعمت الفرس أن ملك أوشهنج كان أربعين سنة فان كان الامر على ما ذكره النسابة الذى ذكرت منه ما ذكرت فما يبعد من قال ان ملكه كان بعد وفاة آدم بمائتى سنة

﴿ذكر وفاة آدم عليه السلام﴾

ذكر ان آدم مرض أحد عشر يوما وأوصى الى ابنه شيث وأمره ان يخفى علمه عن قابيل وولده لانه قتل هابيل حسدا منه له حين خصه آدم بالعلم فاخفى شيث وولده ما عندهم من العلم ولم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به وقد روى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال قال الله تعالى لآدم حين خلقه ائت أولئك النفر من الملائكة فقل السلام عليكم فأتاهم فسلم عليهم وقالوا له عليك السلام ورحمة الله ثم رجع الى ربه فقال له هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم ثم قبض له يديه فقال له خذ واختر فقال أخترت يمين ربى وكلتا يديه يمين ففتحها له فاذا فيها صورة آدم وذريته كلهم واذا كل رجل منهم مكتوب عنده أجله واذا آدم قد كتب له عمر ألف سنة واذا قوم عليهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين عليهم النور فقال هؤلاء الانبياء والرسل الذين أرسلهم الى عبادى واذا فيهم رجل هو من اضوئهم نورا ولم يكتب له من العمر الا أربعين سنة فقال آدم يارب هذا من اضوئهم نورا ولم تكتب له الا اربعين سنة بعد ان اعطيته انه داود عليه السلام فقال ذلك ما كتبت له فقال يارب انقص له من عمرى ستين سنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اهبط الى الارض بعد أيامه فلما أتاه ملك الموت لقبضه قال له آدم عجلت يا ملك الموت قد بقى من عمرى ستون سنة فقال له ملك الموت ما بقى شئ سألت ربك ان يكتبه لابنك داود فقال ما فعلت فقال النبى صلى الله عليه وسلم فنسى آدم فنسيت ذريته وجحد فجحدت ذريته فحينئذ وضع الله الكتاب وامر بالشهود وروى عن ابن عباس قال لما نزلت آية الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من جحد آدم ثلاث مرار وان الله لما خلقه مسح ظهره فاخرج منه ما هو ذارئ الى يوم القيامة

مراتبها فيه واستحقاقها منه لكى يقرب تناولها على مريدها فأول ذلك

ذكر المبدء وشأن الخليقة وذرء البرية من آدم الى ابراهيم عليهما الصلاة والسلام

ذكر قصة ابراهيم عليه السلام ومن تلا عصره من الانبياء والملوك من بنى اسرائيل

ذكر ملك ارخبم بن سليمان ابن داود ومن تلا عصره من ملوك بنى اسرائيل وجمل من اخبار الانبياء والملوك من بنى اسرائيل

ذكر أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم

ذكر جمل من اخبار الهند واربابها ومدد ممالكها وسيرها وآرائها فى عبادتها

ذكر الارض والبحار ومبادئ الانهار والجبال والاقاليم السبعة وما والاها من الكواكب وغير ذلك

ذكر جمل من الاخبار عن انتقال البحار وجمل من اخبار الانهار الكبار

ذكر الاخبار عن البحر الحبشى وما قيل فى مقداره وتشعبه وخلجانه

ذكر تنازع الناس فى المد والجزر وجوامع ما قيل فى ذلك

ذكر البحر الرومى ووصف

القيامة فجعل يعرضهم على آدم فرأى منهم رجلا يزهر فقال أى رب أى بنى هذا قال ابنك داود قال كم عمره قال ستون سنة قال زده من العمر قال الله تعالى لا الا ان تزيده أنت وكان عمر آدم الف سنة فوهب له اربعين سنة فكتب عليه بذلك كتابا واشهد عليه الملائكة فلما احتضر آدم اتته الملائكة لتقبض روحه فقال قد بقى من عمرى اربعون سنة قالوا انك قد وهبتها لابنك داود قال ما فعلت ولا وهبت له شيأ فانزل الله عليه الكتاب واقام الملائكة شهودا فاكمل لآدم الف سنة واكمل لداود مائة سنة وروى مثل هذا عن جماعة منهم سعيد بن جبير وقال ابن عباس كان عمر آدم تسعمائة سنة وستا وثلاثين سنة وأهل التوراة يزعمون ان عمر آدم تسعمائة سنة وثلاثون سنة والاخبار عن رسول الله والعلماء ماذكرنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الخلق وعلى رواية ابى هريرة التى فيها ان آدم وهب داود من عمره ستين سنة لم يكن كثير اختلاف بين الحديثين وما فى التوراة من ان عمره كان تسعمائة وثلاثين سنة فلعل الله ذكر عمره فى التوراة سوى ما وهبه لداود قال ابن اسحق عن يحيى بن عباد عن أبيه قال بلغنى ان آدم حين مات بعث الله بكفنه وحنوطه من الجنة ثم وليت الملائكة قبره ودفنه حتى غيبوه وروى ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم ان آدم حين حضرته الوفاة بعث الله اليه بحنوطه وكفنه من الجنة فلما رأت حواء الملائكة ذهبت لتدخل دونهم فقال خلى عنى وعن رسل ربى فما لقيت ما لقيت ما لقيت الا منك ولا أصابنى ما أصابنى الا فيك فلما قبض غسلوه بالسدر والماء وترا وكفنوه فى وتر من الثياب ثم لحدوا له ودفنوه ثم قالوا هذه سنة ولد آدم من بعده قال ابن عباس لما مات آدم قال شيث لجبرائيل صل عليه فقال تقدم انت فصل على ابيك فكبر عليه ثلاثين تكبيرة فأما خمس فهى الصلاة وأما خمس وعشرون تفضيلا لآدم وقيل دفن فى غار فى جبل أبى قبيس يقال له غار الكنز وقال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة دفن آدم بيت المقدس وكانت وفاته يوم الجمعة كما تقدم وذكر ان حواء عاشت بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع زوجها فى الغار الذى ذكرت الى وقت الطوفان واستخرجهما نوح وجعلهما فى تابوت ثم حملهما معه فى السفينة فلما غاضت بالارض الماء ردهما الى مكانهما الذى كانا فيه قبل الطوفان قال وكانت حواء فيما ذكر قد غزلت ونسجت وعجنت وخبزت وعملت اعمال النساء كلها واذ قد فرغنا من ذكر آدم وعدوه ابليس وذكر اخبارهما وما صنع الله بعدوه وابليس حين تجبر وتكبر من تعجيل العقوبة وطغى وبغى من الطرد والابعاد والنظرة الى يوم الدين وما صنع بآدم اذ أخطأ ونسى من تعجيل العقوبة له ثم تغمده الله بالرحمة اذ تاب من زلته فأرجع الى ذكر قابيل وشيث ابنى آدم وأولادهما ان شاء الله

﴿ ذكر شيث بن آدم عليه السلام ﴾

قد ذكرنا بعض أمره وانه كان وصى آدم فى تخليفه بعد مضيه لسبيله وما أنزل الله عليه من الصحف وقيل انه لم يزل مقيما بمكة يحج ويعتمر الى ان مات وانه كان جمع ما أنزل عليه وعلى أبيه آدم من الصحف وعمل بما فيها وانه بنى الكعبة بالحجارة والطين وأما السلف من علمائنا فانهم قالوا لم تزل القبة التى جعل الله لآدم مكان البيت الى أيام الطوفان فرفعها الله حين أرسل الطوفان وقيل ان شيثا لما مرض أوصى الى ابنه انوش ومات فدفن مع أبويه بغار أبى قبيس وكان مولده لمضى مائتى سنة وخمس وثلاثين سنة من عمر آدم وقيل غير ذلك وقد تقدم وكانت وفاته وقد أتت عليه تسعمائة سنة واثنتا عشرة سنة وقام انوش بن شيث بعد موت أبيه بسياسة الملك وتدبير من تحت

ما قيل فى طوله وعرضه وابتدائه وانتهائه
ذكر بحر نيطش وبحر مانطش وخليج القسطنطينية
ذكر بحر الباب والخزر وجرجان وجملة من الاخبار عن ترتيب جميع البحار
ذكر ملوك الصين والترك وتفرق ولد عاو ر واخبار الصين وملوكهم وجوامع من سيرهم وسياساتهم وغير ذلك
ذكر جمل من الاخبار عن البحار ومافيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك وغير ذلك
ذكر جبل الفتح واخبار الامم من اللان والسرير وأنواع من الترك والبلغر واخبار الباب والابواب ومن حولهم من الملوك والامم
ذكر ملوك السريانيين
ذكر ملوك الموصل ونينوى وهم الصوريون
ذكر ملوك قبائل من النبط وغيرهم وهم الكلدانيون
ذكر ملوك الفرس الاولى وسيرها وجوامع من اخبارها
ذكر ملوك الطوائف الاشعانيين وهم بين الفرس الاولى والثانية
ذكر انساب فارس وما قاله الناس فى ذلك
ذكر ملوك الساسانية وهم

بديه من رعيته مقام أبيه لا يوقف منه على تغيير ولا تبديل فكان جميع عمر انوش سبعمائة وخمس سنين وكان مولده بعد ان مضى من عمر أبيه شيث ستمائة سنة وخمس سنين وهذا قول أهل التوراة وقال ابن عباس ولد لشيث انوش وولد معه نفرا كثيرا واليه أوصى شيث ثم ولد لانوش بن شيث ابنه قينان من أخته نعمة بنت شيث بعد مضى تسعين سنة من عمر انوش وولد معه نفرا كثيرا واليه الوصية وولد قينان مهلائيل ونفرا كثيرا معه واليه الوصية وولد مهلائيل يردو هو اليارد ونفر امعه واليه الوصية فولدت يرد حنوخ وهو ادريس النبي ونفر امعه واليه الوصية وولد حنوخ متوشلخ ونفر امعه واليه الوصية وأما التوراة ففيها ان مهلائيل ولد بعد ان مضى من عمر آدم عليه السلام ثلثمائة وخمس وتسعون سنة ومن عمر قينان سبعون وولد يرد لمهلائيل بعد ما مضى من عمر آدم اربعمائة سنة وستون سنة فكان على منهاج أبيه غير ان الاحداث بدأت في زمانه

﴿ذكر الاحداث التي كانت من لدن ملك شيث الى ان ملك يرد﴾

ذكر ان قابيل لما قتل هابيل وهرب من أبيه آدم الى اليمن أتاه ابليس فقال له ان هابيل انما قبل قربانه وأكلته النار لانه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أنت أيضا نارا تكون لك ولعقبك ففعل فبنى بيت نار فهو أول من نصب النار وعبدها وقال ابن اسحق ان قينا وهو قابيل نكح أخته اشوث بنت آدم فولدت له رجلا وامرأة حنوخ بن قين وعذب بنت قين فنكح حنوخ أخته عذب فولدت ثلاثة بنين وامرأة غيردو محويل وأنوشيل ومولیث ابنة حنوخ فنكح أنوشيل بن حنوخ أخته مولیث وولدت له رجلا اسمه لامك فنكح لامك امرأتين اسم احداهما عدى والاخرى صلى فولدت عدى بولس بن لامك فكان أول من سكن القباب واقتنى المال وتوبلين فكان أول من ضرب بالوبج والصنج وولدت رجلا اسمه توبلقين وكان أول من عمل النحاس والحديد وكان أولادهم فراعنة وجبابرة وكانوا قد أعطوا بسطة في الخلق قال ثم انقرض ولد قين ولم يتركوا عقبا الا قليلا وذرية آدم كلها حملت أنسابهم وانقطع نسلهم الا ما كان من شيث فمنه كان النسل وانساب الناس اليوم كلهم اليه دون أولاد أبيه آدم ولم يذكر ابن اسحق من أمر قابيل وولده الا ما حكيت وقال غيره من أهل التوراة ان أول من اتخذ الملاهي من ولد قابيل رجل يقال له ثوبال بن قابيل اتخذها في زمان مهلائيل بن قينان اتخذ المزامير والطنابير والطبول والعيدان والمعازف فانهمك ولد قابيل في اللهو وتناهى خبرهم الى من بالجبل من ولد شيث فهم منهم مائة رجل بالنزول اليهم ومخالفة ما أوصاهم به آباؤهم وبلغ ذلك يارد فوعظهم ونهاهم فلم يقبلوا ونزلوا الى ولد قابيل فأعجبوا بما رأوا منهم فلما أرادوا الرجوع حيل بينهم وبين ذلك لدعوة سبقت من آبائهم فلما أبطؤا طن من بالجبل ممن كان في نفسه زيغ انهم أقاموا اغتباطا فتسللوا اينزلون من الجبل ورأوا اللهو فأعجبهم ووافقوا نساء من ولد قابيل متشرعات اليهم وصرن معهم وانهمكوا في الطغيان وفشت الفحشاء وشرب الخمر فيهم وهذا القول غير بعيد من الحق وذلك أنه قد روى عن جماعة من سلف علمائنا المسلمين نحو منه وان لم يكونوا بينوا زمان من حدث ذلك في ملكه الا انهم ذكروا ان ذلك كان فيما بين آدم ونوح منهم ابن عباس أو مثله ومثله روى الحكم بن عتيبة عن أبيه مع اختلاف قريب من القولين والله أعلم وأما نسابو الفرس فقد ذكرت ما قالوا في مهلائيل بن قينان وانه هو أوشهنج الذي ملك الاقاليم السبعة وبينت قول من خالفهم وقال هشام بن الكلبي انه أول من بنى البناء واستخرج المعادن وأمر أهل زمانه باتخاذ

الفرس الثانية وسيرهم وجوامع من اخبارهم
ذكر ملوك اليونانيين واخبارهم وما قال الناس في بدء انسابهم
ذكر جوامع من اخبار حرب الاسكندر بارض الهند
ذكر ملوك اليونانيين بعد الاسكندر
ذكر الروم وما للناس في بدء انسابهم وعدد ملوكهم وتاريخ سنيهم وجوامع من سيرهم
ذكر ملوك الروم المتنصرة وهم ملوك القسطنطينية ولمع مما كان في اعصارهم
ذكر ملوك الروم عند ظهور الاسلام الى ارمينوس وهو الملك في سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة
ذكر مصر ونيلها واخبارها وبنائها وعجائبها واخبار ملوكها
ذكر اخبار الاسكندرية وبنائها وملوكها
ذكر السودان وانسابهم واختلاف أجناسهم وأنواعهم وتباينهم في ديارهم واخبار ملوكهم
ذكر الصقالبة ومساكنهم واخبار ملوكهم وتفرق أجناسهم
ذكر الافرنجة والجلالقة وملوكهما وجوامع من اخبارهما وسيرهما

المساجد وبنى مدينتين كانتا أول ما بنى على ظهر الارض من المدائن وهما مدينة بابل وهى بالعراق ومدينة السوس بخوزستان وكان ملكه أربعين سنة وقال غيره هو أول من استنبط الحديد وعمل منه الادوات للصناعات وقدر المياه فى مواضع المنافع وحض الناس على الزراعة واعتماد الاعمال وأمر بقتل السباع الضارية واتخاذ الملابس من جلودها والمفارش وبذبح البقر والغنم والوحش وأكل لحومها وانه بنى مدينة الرى قالوا وهى أول مدينة بنيت بعد مدينة جيومرث التى كان يسكنها بدنباوند وقالوا انه أول من وضع الاحكام والحدود وكان ملقبا بذلك يدعى بيشداد ومعناه بالفارسية أول من حكم بالعدل وذلك ان بيش معناه أول وداد معناه عدل وقضاء وهو أول من استخدم الجوارى وأول من قطع الشجر وجعله فى البناء وذكروا أنه نزل الهند وتنقل فى البلاد وعقد على رأسه تاجا وذكروا انه قهر ابليس وجنوده ومنعهم الاختلاط بالناس وتوعدهم على ذلك وقتل مردتهم فهربوا من خوفه الى المفاوز والجبال فلما مات عادوا وقيل انه سمى شرار الناس شياطين واستخدمهم وملك الاقاليم كلها وانه كان بين مولد أوشهنج وموت جيومرث مائتا سنة وثلاث وعشرون سنة ﴿عتيبة بالعين وبعدها تاء فوقها نقطتان وياء تحتها نقطتان وباء موحدة﴾

﴿ذكر يرد﴾

وقيل باردبن مهلائيل أمه خالته سمعن ابنة براكيل بن محويل بن حنوخ بن قين بن آدم ولد بعد ما مضى من عمر آدم أربعمائة سنة وستون سنة وفى أيامه عملت الاصنام وعاد من عاد عن الاسلام ثم نكح يرد فى قول ابن اسحق وهو ابن مائة واثنتين وستين سنة بركتا ابنة الدرمسيل بن محويل بن حنوخ بن قين بن آدم فولدت له حنوخ وهو ادريس النبى فكان أول بنى آدم اعطى النبوة وخط بالقلم وأول من نظر فى علوم النجوم والحساب وحكماء اليونانيين يسمونه هرمس الحكيم وهو عظيم عندهم فعاش يرد بعد مولد ادريس ثمانمائة سنة وولد له بنون وبنات فكان عمره تسعمائة سنة واثنتين وستين سنة وقيل أنزل على ادريس ثلاثون صحيفة وهو أول من جاهد فى سبيل الله وقطع الثياب وخاطها وأول من سبى من ولد قابيل بن آدم فاسترق منهم وكان وصى والده يرد فيما كان آباؤه وصوابه اليه وفيما أوصى بعضهم بعضا وتوفى آدم بعد ان مضى من عمر ادريس ثلثمائة وثمان سنين ودعا ادريس قومه ووعظهم وأمرهم بطاعة الله تعالى ومعصية الشيطان وان لا يلابسوا ولد قابيل فلم يقبلوا منه قال وفى التوراة ان الله رفع ادريس بعد ثلثمائة سنة وخمس وسبعين سنة من عمره وبعد ان مضى من عمر أبيه خمسمائة سنة وسبع وعشرون سنة فعاش أبوه بعد ارتفاعه أربعمائة وخمسا وثلاثين سنة تمام تسعمائة واثنتين وستين سنة قال النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر من الرسل أربعة ٣ سريانيون آدم وشيث وحنوخ وهو أول من خط بالقلم وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة وقيل ان الله أرسله الى جميع أهل الارض فى زمانه وجمع له علم الماضين وزاده ثلاثين صحيفة وقال بعضهم ملك بيوراسب فى عهد ادريس وكان قد وقع عليه من كلام آدم فاتخذه سحرا وكان بيوراسب يعمل به ياردبياء معجمة باثنتين من تحتها وراء مهملة وذال (٣) معجمة وحنوخ بحاء مهملة مفتوحة ونون بعدها واو وناء معجمة وقيل بخاءين معجمتين

﴿ذكر ملك طهمورث﴾

زعمت الفرس انه ملك بعد موت أوشهنج طهمورث بن ويونجهان يعنى خير أهل الارض ابن

وحروبهم مع أهل الاندلس
ذكر التوكيرد وملوكها والاخبار عن مسالكها
ذكر عاد وملوكها ولمع من أخبارها وما قيل فى طول أعمارهم
ذكر ثمود وملوكها وصالح نبيها عليه السلام ولمع من أخبارها
ذكر مكة وأخبارها وبناء البيت ومن تداوله من جرهم وغيرهم وما لحق بهذا الباب
ذكر جوامع من الاخبار فى وصف الارض والبلدان وحنين النفوس الى الاوطان
ذكر تنازع الناس فى المعنى الذى من أجله سمى اليمن يمنا والشام شاما والعراق والحجاز
ذكر اليمن وانسابها وما قاله الناس فى ذلك
ذكر اليمن وملوكها من التبابعة وغيرها وسيرها ومقادير سنيها
ذكر ملوك الحيرة من اليمن وغيرهم وأخبارهم
ذكر ملوك الشام من اليمن وغيرهم وأخبارهم
ذكر البوادى من العرب وغيرها من الامم وعلة سكناها البدو واكراد الجبال وانسابهم وجمل من أخبارهم وغير ذلك مما اتصل بهذا الباب

ذكر ديانات العرب وآرائها في الجاهلية وتفرقها في البلاد وأخبار أصحاب الفيل وأمر الاحابيش وغيرهم وعبد المطلب وغير ذلك مما يلحق بهذا الباب

ذكر ما ذهب اليه العرب في النفوس والهام والصفر وأخبارها في ذلك

ذكر أقاويل العرب في التغول والغيلان وما قال غيرهم من الناس في ذلك وغير ذلك مما لحق بهذا الباب واتصل بهذه المعاني

ذكر أقاويل الناس في الهواتف والجان من العرب وغيرهم ممن أثبت ذلك ونفاه

ذكر ما ذهب اليه العرب من القيافة والعيافة والزجر والسانح والبارح وغير ذلك

ذكر الكهانة وصفتها وما قاله الناس في ذلك من أخبارها وحد الناطقة وغيرها من النفوس وما قيل فيما يراه النائم وما اتصل بهذا الباب

ذكر رجل من أخبار الكهان وسيل العرم بارض سبأ ومأرب وتفرق الازد في البلدان وسكناهم في البلاد

ذكر سني العرب والعجم وشهورها وما اتفق منها

حباید ادبن أوشهنج وقيل في نسبه غير ذلك وزعم الفرس أيضا انه ملك الاقاليم السبعة وعقد على رأسه تاجا وكان محمودا في ملكه مشغفا على رعيته وانه ابتنى سابور من فارس ونزلها وتنقل في البلدان وانه وثب بابليس حتى ركبه فطاف عليه في أدانى الارض وأقاصيها وافزعه ومردته حتى تفرقوا وكان أول من اتخذ الصوف والشعر للبس والفرش وأول من اتخذ زينة الملوك من الخيل والبغال والحمير وأمر باتخاذ الكلاب لحفظ المواشي وغيرها وأخذ الجوارح للصيد وكتب بالفارسية وان بيوراسب ظهر في أول سنة من ملكه ودعا الى ملة الصابئين كذا قال أبو جعفر وغيره من العلماء انه ركب ابليس وطاف عليه والعهدة عليهم وانما نحن نقلنا ما قالوه قال ابن الكلبي أول ملوك الارض من بابل طهمورث وكان الله مطيعا وكان ملكه أربعين سنة وهو أول من كتب بالفارسية وفي أيامه عبدت الاصنام وأول ما عرف الصوم في ملكه وسببه ان قوما افقراء تعذر عليهم القوت فامسكوا نهارا وأكلوا ليلا ما يمسك رمقهم ثم اعتقدوه تقربا الى الله وجاءت الشرائع به

﴿ ذكر حنوخ وهو ادريس عليه السلام ﴾

ثم نكح حنوخ بن يردهانة وتقال اذانة ابنة باويل بن محويل بن حنوخ بن قين بن آدم وهو ابن خمس وستين سنة فولدت له متوشلخ بن حنوخ فعاش بعد ما ولد متوشلخ ثلثمائة سنة ثم رفع واستخلفه حنوخ على أمر ولده وأمر الله وأوصاه وأهل بيته قبل ان يرفع واعلمهم ان الله سوف يعذب ولد قابيل ومن خالطهم ونهاهم عن مخالطتهم وانه كان أول من ركب الخيل لانه سلك رسم أبيه حنوخ في الجهاد ثم نكح متوشلخ عربا ابنة عزاريل بن أنوشيل بن حنوخ بن قين وهو ابن مائة سنة وسبع وثلاثين سنة فولدت له لملك بن متوشلخ فعاش بعد ما ولد له لملك سبعمائة سنة وولد له بنون وبنات فكان كل ما عاش متوشلخ تسعمائة سنة وسبعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى الى ابنه لملك فكان لملك يعظ قومه وينهاهم عن مخالطة قابيل فلم يقبلوا حتى نزل اليهم جميع من كان معهم في الجبل وقيل كان لمتوشلخ ابن آخر غير لملك يقال له صابئ وبه سمي الصابئون (قلت محويل بحاء مهملة وياء معجمة باثنتين من تحت وقين بقاف وياء معجمة باثنتين من تحت ومتوشلخ بفتح الميم وبالثاء المعجمة باثنتين من فوق وبالشين المعجمة وبحاء مهملة وقيل خاء معجمة) ونكح لملك بن متوشلخ قينوش ابنة براكيل بن محويل بن حنوخ بن قين وهو ابن مائة سنة وسبع وثمانين سنة فولدت له نوح بن لملك وهو النبي فعاش لملك بعد مولد نوح خمسمائة سنة وخمسا وتسعين سنة وولد له بنون وبنات ثم مات ونكح نوح بن لملك عزرة بنت براكيل بن محويل بن حنوخ بن قين وهو ابن خمسمائة سنة فولدت له ولده ساما وحاما ويافث بني نوح وكان مولد نوح بعد موت آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة ولما أدرك قال له أبوه لملك قد علمت انه لم يبق في هذا الجبل غيرنا فلا تستوحش ولا تتبع الامة الخاطئة وكان نوح يدعو قومه ويعظهم فيستخفون به وقيل كان نوح في عهد بيوراسب وكانوا قومه فدعاهم الى الله تسعمائة وخمسين سنة كلما مضى قرن اتبعهم قرن على ملة واحدة من الكفر حتى انزل الله عليهم العذاب وقال ابن عباس فيما رواه الكلبي عن أبي صالح عنه فولد لملك نوحا وكان له يوم ولد لنوح اثنتان وثمانون سنة ولم يكن في ذلك الزمان أحد ينهى عن منكر فبعث الله اليهم نوحا وهو ابن أربعمائة وثمانين سنة فدعاهم مائة وعشرين سنة ثم أمره الله بصنعة الفلك فصنعها وركبها وهو ابن ستمائة سنة وغرق من غرق ثم مكث من بعد

السفينة

السفينة ثلثمائة سنة وخمسين سنة وروى عن جماعة من السلف انه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على ملة الحق وان الكفر بالله حدث فى القرن الذى بعث اليهم فيه نوح فاوسله الله وهو أول نبى بعث بالانذار والدعاء الى التوحيد وهو قول ابن عباس وقتادة

﴿ذكر ملك جمشيد﴾

وأما علماء الفرس فانهم قالوا ملك بعد طهمورث جمشيد والشيد عندهم الشعاع وجم القمر لقبوه بذلك لجماله وهو جم بن ويونجهان وهو أخو طهمورث وقيل انه ملك الاقاليم السبعة وسخر له ما فيها من الجن والانس وعقد التاج على رأسه وأمر لسنة مضت من ملكه الى خمسين سنة بعمل السيوف والدروع وسائر الاسلحة وآلة الصناع من الحديد ومن سنة خمسين من ملكه الى سنة مائة بعمل الابريسم وغزله والقطن والكتان وكل ما يستطاع غزله وحياكة ذلك وصبغه ألوانا ولبسه ومن سنة مائة الى سنة خمسين ومائة صنف الناس أربع طبقات طبقة مقاتلة وطبقة فقهاء وطبقة كتاب وصناع وطبقة حراثين واتخذ منهم خدما ووضع لكل أمر خاتما مخصوصا به فكتب على خاتم الحرب الرفق والمداراة وعلى خاتم الخراج العمارة والعدل وعلى خاتم البريد والرسل الصدق والامانة وعلى خاتم المظالم السياسة والانتصاف وبقيت رسوم تلك الخواتيم حتى محاها الاسلام ومن سنة مائة وخمسين الى سنة خمسين ومائتين حارب الشياطين وأذلهم وقهرهم وسخروا له ومن سنة خمسين ومائتين الى سنة ست عشرة وثلثمائة وكل الشياطين بقطع الاحجار والصخور من الجبال وعمل الرخام والجص والكلس والبناء بذلك الحمامات والنقل من البحار والجبال والمعادن والذهب والفضة وسائر ما يذاب من الجواهر وأنواع الطيب والادوية فنفذوا فى ذلك بأمره ثم أمر فصنعت له عجلة من الزجاج فاصعد فيها الشياطين وركبها وأقبل عليها فى الهواء من دنباوند الى بابل فى يوم واحد وهو يوم هرمزروز وافروردين ماه فاتخذ الناس ذلك اليوم عيدا وخمسة أيام بعده وكتب الى الناس فى اليوم السادس يخبرهم انه قد سار فيهم بسيرة ارتضاها الله فكان من جزائه اياه عليها انه قد جنبهم الحر والبرد والاسقام والهرم والحسد فمكث الناس ثلثمائة سنة بعد الثلثمائة والستة عشر سنة لا يصيبهم شئ مما ذكره ثم بنى قنطرة على دجلة فبقيت دهرا طويلا حتى خربها الاسكندر وأراد الملوك عمل مثلها فعجزوا فعدلوا الى عمل الجسور من الخشب ثم ان جما بطر نعمة الله عليه وجمع الانس والجن والشياطين وأخبرهم انه وليهم ومانعهم بقوته من الاسقام والهرم والموت وتمادى فى غيه فلم يحر أحد منهم جوابا وفقد مكانه بهاء وعزه وتخلت عنه الملائكة الذين كان الله أمرهم بسياسة أمره فأحس بذلك بيوراسب الذى سمى الضحاك فابتدر الى جم لينتهسه فهرب منه ثم ظفر به بعد ذلك بيوراسب فاستطرد امعاءه وأشره بمنشار وقيل انه ادعى الربوبية فوثب عليه أخوه ليقتله واسمه اسفنور فتوارى عنه مائة سنة فخرج عليه فى توار بيوراسب فغلبه على ملكه وقيل كان ملكه سبعمائة سنة وست عشرة سنة وأربعة أشهر قلت وهذا الفصل من حديث جم قد أتينا به تاما بعد ان كنا عازمين على تركه لما فيه من الاشياء التى تمجها الاسماع وتأباها العقول والطباع فانها من خرافات الفرس مع أشياء أخر قد تقدمت قبلها وانما ذكرناها ليعلم جهل الفرس فانهم كثيرا ما يتشنعون على العرب بجهلهم وما بلغوا هذا ولا نالوه وكنا تركنا هذا الفصل خلا من شئ نذكره من أخبارهم

وما اختلف ذكر شهور القبط والسريانيين والخلاف فى أسمائها وجمل من التاريخ وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى

ذكر شهور السريانيين ووصف موافقتها الشهور الروم وعدد أيام السنة ومعرفة الانواء

ذكر شهور الفرس وما اتصل بذلك

ذكر أيام الفرس وما اتصل بذلك

ذكر سنى العرب وشهورها وتسمية أيامها وليالها

ذكر قول العرب فى ليالى الشهور القمرية وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى

ذكر القول فى تأثير القمرين فى هذا العالم وجمل مما قيل فى ذلك مما اتصل بهذا الباب

ذكر أنواع العالم وما خص به كل جزء منه من الشرقى والعربى واليمنى والجنوبى وغير ذلك من سلطان الكواكب وغير ذلك من عجائب العالم

ذكر البيوت المعظمة والهياكل المشرفة وبيوت النيران والاصنام وعبادات الهند وذكر الكواكب وغير ذلك من عجائب العالم

ذكر البيوت المعظمة عند اليونانيين ووصفها

To: www.al-mostafa.com

ذكر البيوت المعظمة عند الصقالبة ووصفها
ذكر البيوت المعظمة عند أوائل الروم ووصفها
ذكر بيوت معظمة وهياكل مشرفة للصابئة من الحرانيين وغيرهاوما فيها من العجائب والاخبار وغيرها
ذكر الاخبار عن بيوت النيران وكيفية بنائها وأخبار المجوس فيها وما لحق ببنائها
ذكر جامع تاريخ العالم من بدئه الى مولد النبي صلى الله عليه وسلم وما اتصل بهذا الباب من العلوم
ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه وغير ذلك مما لحق بهذا الباب
ذكر مبعثه عليه الصلاة والسلام وما قيل في ذلك
الى هجرته صلى الله عليه وسلم
ذكر هجرته وجوامع مما كان في أيامه الى وفاته صلى الله عليه وسلم
ذكر الاخبار عن امور وأحوال كانت من مولده الى حين وفاته صلى الله عليه وسلم
ذكر ما بدئ به عليه الصلاة والسلام من الكلام مما لم يحفظ قبله عن أحد من الانام

﴿ذكر الاحداث التي كانت في زمن نوح عليه السلام﴾

قد اختلف العلماء في ديانة القوم الذين ارسل اليهم نوح فمنهم من قال انهم كانوا قد أجمعوا على العمل بما يكرهه الله تعالى من ركوب الفواحش والكفر وشرب الخمور والاشتغال بالملاهي عن طاعة الله ومنهم من قال انهم كانوا أهل طاعة بيوراسب أول من أظهر القول بمذهب الصابئين وتبعه على ذلك الذين ارسل اليهم نوح وسنذكر أخبار بيوراسب فيما بعد وأما كتاب الله قال فينطق بأنهم أهل أوثان قال تعالى وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا قلت لاتناقض بين هذه الاقاويل الثلاثة فان القول الحق الذي لا يشك فيه هو انهم كانوا أهل أوثان يعبدونها كما نطق به القرآن وهو مذهب طائفة من الصابئين فان أصل مذهب الصابئين عبادة الروحانيين وهم الملائكة لتقربهم الى الله تعالى زلفى فانهم اعترفوا بصانع العالم وانه حكيم قادر مقدس الا انهم قالوا الواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى معرفة جلاله وانما نتقرب اليه بالوسائط المقربة لديه وهم الروحانيون وحيث لم يعاينوا الروحانيين تقربوا اليهم بالهياكل وهي الكواكب السبعة السيارة لانها مدبرة لهذا العالم عندهم ثم ذهبت طائفة منهم وهم أصحاب الاشخاص حيث رأوا ان الهياكل تطلع وتغرب وترى ليلا ولا ترى نهارا الى وضع الاصنام لتكون نصب أعينهم ليتوسلوا بها الى الهياكل والهياكل الى الروحانيين والروحانيون الى صانع العالم فهذا كان أصل وضع الاصنام أولا وقد كان أخيرا في العرب من هو على هذا الاعتقاد قال تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فقد حصل من عبادة الاصنام مذهب الصابئين والكفر والفواحش وغير ذلك من المعاصي فلما تمادى قوم نوح على كفرهم وعصيانهم بعث الله اليهم نوحا يحذرهم بأسه ونقمته ويدعوهم الى التوبة والرجوع الى الحق والعمل بما أمر الله تعالى وأرسل نوح وهو ابن خمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما وقال عون بن شداد ان الله تعالى أرسل نوحا وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ثم عاش بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة وقيل غير ذلك وقد تقدم قال ابن اسحق وغيره ان قوم نوح كانوا يبطشون به فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال اللهم اغفر لي ولقومي فانهم لا يعلمون حتى اذا تمادوا في معصيتهم وعظمت منهم الخطيئة وتطاول عليه وعليهم الشأن اشتد عليه البلاء وانتظر النجل بعد النجل فلا يأتي قرن الا كان أخبث من الذي كان قبله حتى ان كان الآخر ليقول قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا مجنونا لا يقبلون منه شيأ وكان يضرب ويلف ويلقى في بيته يرون انه قد مات فاذا أفاق اغتسل وخرج اليهم يدعوهم الى الله فلما طال ذلك عليه ورأى الاولاد شرا من الآباء قال رب قد ترى ما يفعل بي عبادك فان تك لك فيهم حاجة فاهدهم وان يك غير ذلك فصبرني الى أن تحكم فيهم فأوحى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلما يئس من ايمانهم دعا عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى آخر القصة فلما شكا الى الله واستنصره عليهم أوحى الله اليه ان اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاقبل نوح على عمل الفلك ولما عن دعاء قومه وجعل يهيئ عتاد الفلك من الخشب والحديد والقار وغيرها مما لا يصلحه سواه وجعل قومه يمرون به وهو في عمله فيسخرون منه فيقول ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون قال ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة واعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم وصنع الفلك من خشب الساج وأمره ان يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السماء ثلاثين ذراعا وقال قتادة كان

طولها

طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا وقال الحسن كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع والله أعلم وأمر نوحا ان يجعله ثلاث طبقات سفلى ووسطى وعليا ففعل نوح كما أمره الله تعالى حتى اذا فرغ منه وقد عهد الله اليه اذا جاء أمرنا وفار التنور فاحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل وقد جعل التنور آية فيما بينه وبينه فلما فار التنور وكان فيما قيل من حجارة كان لحواء وقال ابن عباس كان ذلك تنورا من أرض الهند وقال مجاهد والشعبي كان التنور بأرض الكوفة وأخبرته زوجته بفوران الماء من التنور وأمر الله جبرائيل فرفع الكعبة الى السماء الرابعة وكانت من ياقوت الجنة كما ذكرناه وخبأ الحجر الاسود بجبل أبي قبيس فبقي فيه الى ان بنى ابراهيم البيت فأخذه فجعله موضعه ولما فار التنور حمل نوح من أمر الله تحمله وهم أولاده الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم وستة أناسي فكانوا مع نوح ثلاث عشرة وقال ابن عباس كان في السفينة ثمانون رجلا أحدهم جرهم كلهم بنو شيث وقال قتادة كانوا ثمانية أنفس نوح وامرأته وثلاثة بنوه ونساؤهم وقال الاعمش كانوا سبعة ولم يذكر فيهم زوج نوح وحمل معه جسد آدم ثم أدخل ما أمر الله به من الدواب وتخلف عنه ابنه يام وكان كافرا وكان آخر من دخل السفينة الحمار فلما دخل صدره تعلق ابليس بذنبه فلم ترتفع رجلاه فجعل نوح يأمره بالدخول فلا يستطيع حتى قال ادخل وان كان الشيطان معك فقال كلمة رلت على لسانه فلما قالها دخل الشيطان معه وقال له نوح ما أدخلك يا عدو الله فقال ألم تقل ادخل وان كان الشيطان معك فتركه ولما أمر نوح بادخال الحيوان السفينة قال أي رب كيف أصنع بالاسد والبقرة وكيف أصنع بالعناق والذئب والطير والهر قال الذي ألقى بينهما العداوة هو يؤلف بينهما فالقى الحمى على الاسد وشغله بنفسه ولذلك قيل وما الكلب مخلدا ان طال عمره * ألا انما الحمى على الاسد الورد

وجعل نوح الطير في الطبق الاسفل من السفينة وجعل الوحش في الطبق الاوسط وركب هو ومن معه من بني آدم في الطبق الاعلى فلما اطمأن نوح في الفلك وأدخل فيه كل من أمر به وكان ذلك بعد ستمائة سنة من عمره في قول بعضهم وفي قول بعضهم ما ذكرناه وحمل معه من حمل جاء الماء كما قال الله تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر فكان بين ان أرسل الماء وبين ان يحتمل الماء الفلك أربعون يوما وأربعون ليلة وكثر واشتد وارتفع وطمى وغطى نوح عليه وعلى من معه طبق السفينة وجعلت الفلك تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه الذي هلك وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين وكان كافرا قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء وكان يعهد الجبال وهي حرز ولجأ فقال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وعلا الماء على رؤس الجبال فكان على أعلى جبل في الارض خمسة عشر ذراعا فهلك ما على وجه الارض من حيوان ونبات فلم يبق الا نوح ومن معه والاعوج بن عنق فيما زعم أهل التوراة وكان بين ارسال الماء وبين ان غاض ستة أشهر وعشرا يال قال ابن عباس أرسل الله المطر أربعين يوما فأبلت الوحش حين أصابها المطر والطين الى نوح وسخرت له فحمل منها كما أمره الله فركبوا فيها العشر ليال مضين من رجب وكان ذلك لثلاث عشرة خلت من آب وخرجوا منها يوم عاشوراء من المحرم فلذلك صام من صام يوم عاشوراء وكان الماء نصفين نصفا من السماء ونصفا من الارض وطافت السفينة بالارض كلها لا تستقر حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم أسبوعا ثم ذهبت في الارض تسير

ذكر خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ونسبه ولمع من اخباره وسيره

ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ونسبه ولمع من اخباره وسيره

ذكر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ونسبه ولمع من اخباره وسيره

ذكر خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونسبه ولمع من اخباره وسيره ونسب اخوته واخواته

ذكر الاخبار عن يوم الجمل وبدئه وما كان فيه من الحروب وغير ذلك

ذكر جوامع مما كان بين اهل العراق وأهل الشام بصفين

ذكر الحكمين وبدء التحكيم

ذكر حرب رضي الله عنه مع أهل النهروان وهم الشراة وما لحق بهذا الباب

ذكر مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه

ذكر لمع من كلامه وزهده وما لحق بهذا المعنى من اخباره

ذكر خلافة الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ولمع من اخباره وسيره

ذكر ايام معاوية بن أبي سفيان ولمع من اخباره وسيره ونوادر من بعض اخباره

ذكر جمل من اخلاق معاوية

وسياسانه وطرف من عيون اخباره
ذكر الصحابة ومدحهم وعلى بن أبي طالب والعباس رضى الله عنهما وفضلهم
ذكر ايام يزيد بن معاوية بن أبي سفيان
ذكر مقتل الحسين بن على ابن أبي طالب رضى الله عنهما ومن قتل من أهل بيته وشيعته
ذكر أسماء ولد على بن أبي طالب رضى الله عنه
ذكر لمع من اخبار يزيد بن معاوية وسيره ونوادر من بعض افعاله وما كان منه فى الحرة وغيرها
ذكر أيام معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم والمختار ابن عبد الله وعبد الله بن الزبير ولمع من اخبارهم وسيرهم وبعض ما كان فى أيامهم
ذكر أيام عبد الملك بن مروان ولمع من اخباره وسيره والحجاج بن يوسف وافعاله ونوادر من بعض اخباره
ذكر لمع من اخبار الحجاج بن يوسف وخطبه وما كان منه فى بعض افعاله
ذكر أيام الوليد بن عبد الملك ولمع من اخباره وسيره وما كان من الحجاج فى أيامه
ذكر أيام سليمان بن عبد الملك ولمع من اخباره وسيره
ذكر خلافة عمر بن عبد

بهم حتى انتهت الى الجودى وهو جبل بقردى بأرض الموصل فاستقرت عليه فقيل عند ذلك بعدا للقوم الظالمين ولما استقرت قيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء نشفته الارض وأقام نوح فى الفلك الى ان غاض الماء فلما خرج منها اتخذ بناحية من قردى من أرض الجزيرة موضعا وابتنى قرية سموها ثمانين وهى الآن تسمى سوق الثمانين لان كل واحد ممن معه بنى لنفسه بيتا وكانوا ثمانين رجلا قال بعض أهل التوراة لم يولد لنوح الا بعد الطوفان وقيل ان ساما ولد قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة وقيل ان اسم ولده الذى أغرق كان كنعان وهو يام وأما المجوس فانهم لا يعرفون الطوفان ويقولون لم يزل الملك فينا من عهد جيومرث وهو آدم قالوا ولو كان كذلك لكان نسب القوم قد انقطع وملكهم قد اضمحل وكان بعضهم يقر بالطوفان ويزعم انه كان فى اقليم بابل وما قرب منه وان مساكن ولد جيومرث كانت بالمشرق فلم يصل ذلك اليهم وقول الله تعالى أصدق فى ان ذرية نوح هم الباقون فلم يعقب أحد ممن كان معه فى السفينة غير ولده سام وحام ويافث ولما حضرت نوحا الوفاة قيل له كيف رأيت الدنيا قال كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر وأوصى الى ابنه سام وكان أكبر ولده

ذكر بيوراسب وهو الازدهاق الذى يسميه العرب الضحاك

وأهل اليمن يدعون أن الضحاك منهم وانه أول الفراعنة وكان ملك مصر لما قدمها ابراهيم الخليل والفرس تذكر انه منهم وتنسبه اليهم وانه بيوراسب بن ارونداسب بن رينكار بن وندريشتك بن يارين بن فروال بن سيامك بن ميشى بن جيومرث ومنهم من ينسبه هذه النسبة وزعم أهل الاخبار انه ملك الاقاليم السبعة وانه كان ساحرا فاجرا قال هشام بن الكلبى ملك الضحاك بعد جم فيما يزعمون والله أعلم الف سنة ونزل السواد فى قرية يقال لها برس فى ناحية طريق الكوفة وملك الارض كلها وسار بالفجور والعسف وبسط يده فى القتل وكان أول من سن الصلب والقطع وأول من وضع العشور وضرب الدراهم وأول من تغنى وغنى له قال وبلغنا ان الضحاك هو غرودوان ابراهيم عليه السلام ولد فى زمانه وانه صاحبه الذى أراد احراقه وتزعم الفرس ان الملك لم يكن الا للبطن الذى منه أوشهنج وجم وطهمورث وان الضحاك كان غاصبا وانه غصب أهل الارض بسحره وخبثه وهول عليهم بالحيتين اللتين كانتا على منكبيه وقال كثير من أهل الكتب ان الذى كان على منكبيه كان لحمتين طويلتين كل واحدة منهما كرأس الثعبان وكان يسترهما بالثياب ويذكر على طريق التهويل أنهما حيتان يقتضيانه الطعام وكانتا تحركان تحت ثوبه اذا جاعا وقلق الناس منه جهدا شديدا وذبح الصبيان لان اللحمتين اللتين كانتا على منكبيه كانتا تضربانه فاذا طلاهما بدماغ انسان سكنتا فكان يذبح كل يوم رجلين فلم يزل الناس كذلك حتى اذا أراد الله هلاكه وثب رجل من العامة من أهل أصبهان يقال له كابى بسبب ابنين له أخذهما أصحاب بيوراسب بسبب اللحمتين اللتين على منكبيه وأخذ كابى عصا كانت بيده فعلق بطرفها جرابا كان معه ثم نصب ذلك كالعلم ودعا الناس الى مجاهدة بيوراسب ومحاربته فاسرع الى اجابته خلق كثير لما كانوا فيه من البلاء وفنون الجور فلما غلب كابى تفاءل الناس بذلك العلم فعظموه وزادوا فيه حتى صار عند ملوك العجم علمهم الاكبر الذى يتبركون به ويسمونه درفش كابيان وكانوا لا يسيرونه الا فى الامور الكبار العظام ولا يرفع الا لاولاد الملوك اذا وجهوا فى الامور الكبار وكان من خبر كابى أنه من أهل أصبهان فثار بمن اتبعه فالتفت الخلائق اليه فلما أشرف على

الضحاك قذف فى قلب الضحاك منه الرعب فهرب عن منازله وخلى مكانه فاجتمع الاعجام الى كابى فاعلمهم انه لا يتعرض للملك لانه ليس من أهله وأمرهم ان يملكوا بعض ولد حم لانه ابن الملك أو شهنج الاكبر بن فروال الذى رسم الملك وسبق فى القيام به وكان أفريدون بن اثفيان مستخفيا من الضحاك فوافى كابى ومن معه فاستبشروا بوافاته فملكوه وصار كابى والوجوه لافريدون اعوانا على أمره فلما ملك وأحكم ما احتاج اليه من أمر الملك واحتوى على منازل الضحاك وسار فى أثره فأسره بدنباوند فى جبالها وبعض المجوس تزعم انه وكل به قوما من الجن وبعضهم يقول انه لقى سليمان بن داود وحبسه سليمان فى جبل دنباوند وكان ذلك الزمان بالشام فخرج بيوراسب بحيله يجره حتى حمله الى خراسان فلما عرف سليمان ذلك أمر الجن فأوثقوه حتى لا يزول وعملوا عليه طلسما كرجلين بدقان باب العار الذى حبس فيه أبد الثلاثة فانه عندهم لا يموت وهذا أيضا من أكاذيب الفرس البارده ولهم فيه أكاذيب اعجب من هذا تركنا وذكرها وبعض الفرس يزعم ان افريدون قتله يوم النيروز فقال المجم عند قتله امروز نوروز وأى استقبلنا الدهر بيوم جديد فاتخذوه عيدا وكان أسره يوم المهرجان فقال المجم امد مهرجان لقتل من كان يذبح وزعموا انهم لم يسمعوا فى أمور الضحاك بشئ يستحسن غير شئ واحد وهو أن بليته لما اشتدت ودام جوره وتراسل الوجوه فى أمره فاجمعوا على المصير الى بابه فوافاه الوجوه فاتفقوا على ان يدخل عليه كابى الاصبهانى فدخل عليه ولم يسلم فقال أيها الملك أى السلام أسلم عليك سلام من يملك الاقاليم كلها أم سلام من يملك هذا الاقليم فقال بل سلام من يملك الاقاليم لانى ملك الارض فقال كابى اذ كنت تملك الاقاليم كلها فلم خصصتنا بانقالك واسبابك من بينهم ولم لا تقسم الامور بيننا وبينهم وعدد عليه أشياء كثيرة فصدقه فعمل كلامه فى الضحاك فأقر بالاساءة وتألف القوم ووعدهم بما يحبون وأمرهم بالانصراف ليعودوا ويقضى حوائجهم ثم ينصرفوا الى بلادهم وكانت أمه حاضرة تسمع معاتبتهم وكانت شرا منه فلما خرج القوم دخلت مغتاظة من احتماله وحمله عنهم فوبخته وقالت له الا أهلكتهم وقطعت أيديهم فلما أكثرت عليه قال لها هذه لا تعكرى فى شئ الا وقد سبقت اليه الا ان القوم بدهونى بالحق وقرعونى به فكلما هممت بهم تخيل لى الحق بمنزلة الجبل بينى وبينهم فما أمكنتنى فيهم شئ ثم جلس لاهل النواحى ففى لهم بما وعدهم وقضى أكثر حوائجهم وقال بعضهم كان ملكه ستمائة سنة وكان عمره ألف سنة وانه كان فى باقى عمره شبيها بالملك لقدرته ونفوذ أمره وقيل كان ملكه ألف سنة ومائة سنة وانما ذكرنا خبر بيوراسب ههنا لان بعضهم يزعم ان نوحا كان فى زمانه وانما أرسل اليه والى أهل مملكته وقيل انه هو الذى بنى مدينة بابل ومدينة صور ومدينة دمشق

﴿ذكر ذرية نوح عليه السلام﴾

قال النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين انهم سام وحام ويافث وقال وهب بن منبه ان سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم وان حام أبو السودان وان يافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج وقيل ان القبط من ولد قوط بن حام وانما كان السودان فى نسل حام لان نوحا نام فانكشفت سوأته فرآها حام فلم يغطها ورآها سام ويافث فألقيا عليه ثوبا فلما استيقظ علم ما صنع حام واخوته فدعا عليهم قال ابن اسحق فكانت امرأة سام بن نوح صلب ابنة بتاويل بن محويل بن حنوخ بن قين بن آدم فولدت له نفرا أرفخشذ واشوذ ولاوذ وآرم قال ولا أدرى آرم لام أرفخشذ واخوته أم لا فمن ولد لاوذ بن سام فارس وجرجان وطسم وعمليق وهو أبو العمالق

العزيز بن مروان بن الحكم رضى الله عنه ولمع من اخباره وسيره وزهده

ذكر أيام يزيد بن عبد الملك ولمع من اخباره وسيره

ذكر أيام هشام بن عبد الملك ولمع من اخباره وسيره

ذكر أيام الوليد بن يزيد بن عبد الملك ولمع من اخباره وسيره

ذكر أيام يزيد بن الوليد بن عبد الملك وابراهيم بن الوليد ابن عبد الملك ولمع من اخبارهما

ذكر السبب فى العصبية بين اليمانية والنزارية وما ولد ذلك على بنى أمية من العصبية

ذكر ايام مروان بن محمد ابن مروان بن الحكم وحروبه ومقتله

ذكر مقدار المدة من الزمان وما ملكت فيه بنو أمية من الاعوام

ذكر الدولة العباسية ولمع من اخبار مروان ومقتله وجوامع من حروبه وسيره

ذكر خلافة السفاح وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان فى ايامه

ذكر خلافة المنصور وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان فى ايامه

ذكر خلافة المهدى وجمل من اخباره وسيره ولمع مما كان فى ايامه

ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون والفراعنة بمصر وكان أهل البحرين وعمان منهم ويسمون جاشم وكان منهم بنو أميم بن لاوذ أهل وبار بأرض الرمل وهي بين اليمامة والشحر وكانوا قد كثروا فأصابتهم نقمة من الله من معصية أصابوها فهلكوا وبقيت منهم بقية وهم الذين يقال لهم الفسناس وكان طسم ساكني اليمامة الى البحرين فكانت طسم والعماليق وأميم وجاشم قوما عربا بالسانهم عربي ولحقت عبيل بيثرب قبل ان تبنى ولحقت العماليق بصنعاء قبل ان تسمى صنعاء وانحدر بعضهم الى يثرب فأخرجوا منها عبيلا فنزلوا موضع الجحفة فأقبل سيل فاجتحفهم أي أهلكهم فسميت الجحفة قال و ولد آرم بن سام عوص وعابر وحويل فولد عوص عابر وعاد وعبيل وولد عابر بن آرم ثمود وجديس وكانوا عربا يتكلمون بهذا اللسان المصري وكانت العرب تقول لهذه الامم ولجرهم العرب العاربة ويقولون لبني اسمعيل العرب المتعربة لانهم انما تكلموا بلسان هذه الامم حين سكنوا بين أظهرهم فكانت عاد بهذا الرمل الى حضرموت وكانت ثمود بالحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى ولحقت جديس بطسم وكانوا معهم بالیمامة الى البحرين واسم اليمامة اذ ذاك جو وسكنت جاشم عمان والنبط من ولد نبيط بن ماش بن آرم بن سام والفرس بنو فارس بن تيرش بن ماسور بن سام قال و ولد لارفخشذ بن سام ابنه قينان كان ساحرا و ولد لقينان شالخ بن أرفخشذ من غير ذكر قينان لما ذكر من سحره وولد لشالخ عابر ولعابر فالغ ومعناه القاسم لان الارض قسمت والالسن تبلبلت في أيامه ولقطان بن عابر فولد لقحطان يعرب ويقطان فنزلا اليمن وكان أول من سكن اليمن وأول من سلم عليه بابيت اللعن وولد لفالغ بن عابر ارغو وولد لارغو ساروغ وولد لساروغ ناحور وولد لناحور تارخ واسمه بالعربية آزر وولد لآزر ابراهيم عليه السلام وولد لارفخشذ أيضا نمروذ وقيل هو نمروذ ابن كوش بن حام بن نوح قال هشام بن الكلبي السند والهند بنو نوقير بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وجرهم من ولد يقطن بن عابر وحضرموت بن يقطن ويقطن هو قحطان في قول من نسبه الى غير اسمعيل والبربر من ولد ثميلا بن مارب بن فاران بن عمرو بن عميلق بن لاوذ بن سام بن نوح ما خلا صنهاجة وكتامة فانهما بنو فريقش بن صيفي بن سبا وأما يافث فمن ولده جامر وموعع ومورك وبوان وفوبا وماشج وتيرش فمن ولد جامر ملوك فارس في قول ومن ولد تيرش الترك والخزر ومن ولد ماشج الاشبان * ومن ولد موعع يأجوج ومأجوج ومن ولد بوان الصقالبة وبرجان والاشبان كانوا في القديم بأرض الروم قبل ان يقع بها من وقع من ولد العيص ابن اسحق وغيرهم وقصد كل فريق من هؤلاء الثلاثة سام وحام ويافث أرضا فسكنوها ودفعوا غيرهم عنها ومن ولد يافث الروم وهم بنو لنطي بن يونان بن يافث بن نوح وأما حام فولد له كوش ومصرايم وقوط وكنعان فمن ولد كوش نمروذ بن كوش وقيل هو من ولد سام وصارت بقية ولد حام بالسواحل من النوبة والحبشة والزنج ويقال ان مصرايم ولد القبط والبربر وأما قوط فقيل انه سار الى الهند والسند فنزلها وأهلها من ولده وأما الكنعانيون فلحق بعضهم بالشام ثم جاءت بنو اسرائيل فقتلوهم بها ونفوهم عنها وصار الشام لبني اسرائيل ثم وثبت الروم على بني اسرائيل فاجلوهم عن الشام الى العراق الا قليلا منهم ثم جاءت العرب فغلبوا على الشام وكان يقال لعاد عادارم فلما هلكوا قيل لثمود ثمودارم قال وزعم أهل التوراة ان أرفخشذ ولد لسام بعد ان مضى من عمر سام مائة سنة وسنتان وكان جميع عمر سام ستمائة سنة ثم ولد لارفخشذ قينان بعد ان مضى من عمر أرفخشذ خمس وثلاثون سنة وكان عمره أربعمائة وثمانيا وثلاثين سنة ثم ولد

ذكر خلافة الهادي وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه

ذكر خلافة الرشيد وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه

ذكر البرامكة وأخبارهم وما كان منهم في أيامهم

ذكر خلافة الامين وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه

ذكر خلافة المأمون وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه

ذكر خلافة المعتصم وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه

ذكر خلافة الواثق وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه

ذكر خلافة المتوكل وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه

ذكر خلافة المنتصر وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه

ذكر خلافة المستعين وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه

ذكر خلافة المعتز وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه

ذكر خلافة المهتدي وجمل من أخباره وسيره ولمع مما كان في أيامه

ذكر خلافة المعتمد وجمل

لقينان شالخ بعد ان مضى من عمره تسع وثلاثون سنة ولم تذكر مدة عمر قينان فى الكتب لما ذكرنا من سحره ثم ولد لشالخ عابر بعد ما مضى من عمره ثلاثون سنة وكان عمره كله أربعمائة وثلاثا وثلاثين سنة ثم ولد لعابر فالغ وأخوه قحطان وكان مولد فالغ بعد الطوفان بمائة وأربعين سنة وكان عمره أربعمائة وأربعا وسبعين سنة ثم ولد لفالغ أرغو بعد ثلاثين سنة من عمر فالغ وكان عمره مائتين وتسعا وثلاثين سنة وولد لارغو ساروغ بعد ما مضى من عمره اثنتان وثلاثون سنة وكان عمره مائتين وتسعا وثلاثين سنة وولد لساروغ ناخور بعد ثلاثين سنة من عمره وكان عمره كله مائتين وثلاثين سنة ثم ولد لناخور تارخ أبو ابراهيم بعد ما مضى من عمره سبع وعشرون سنة وكان عمره كله مائتين وثمانيا وأربعين سنة وولد لتارخ وهو آزر ابراهيم عليه السلام وكان بين الطوفان ومولد ابراهيم ألف سنة ومائتا سنة وثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم بثلاثة آلاف سنة وثلثمائة وسبع وثلاثين سنة وولد لقحطان بن عابر يعرب وولد ليعرب يشجب فولد ليشجب سبا وولد سبا حمير وكهلان وعمرا والاشعر وأنمارا ومرة فولد لعمرو بن سبا عديا وولد عدى لخما وجذاما

﴿ذكر ملك افريدون﴾

وهو افريدون بن اثفيان وهو من ولد جمشيد وقد زعم بعض نسابة الفرس ان نوحا هو افريدون الذى قهر الضحاك وسلبه ملكه وزعم بعضهم ان افريدون هو ذو القرنين صاحب ابراهيم الذى ذكره الله فى كلامه العزيز وانما ذكرته فى هذا الموضع لان قصته فى أولاده الثلاثة شبيهة بقصة نوح على ما سيأتى ولحسن سيرته وهلاك الضحاك على يديه ولانه قيل ان هلاك الضحاك كان على يد نوح وأما باقى نسابة الفرس فانهم ينسبون افريدون الى جمشيد الملك وكان بينهما عشرة آباء كلهم يسمى اثفيان خوفا من الضحاك وانما كانوا يتميزون بالقاب لقبوها فكان يقال لاحدهم اثفيان صاحب البقر الحمر واثفيان صاحب البقر البلق واشباه ذلك وكان افريدون أول من ذلل الفيلة وامتطاها ونتج البغال واتخذ الاوز والحمام وعمل الترياق ورد المظالم وأمر الناس بعبادة الله والانصاف والاحسان ورد على الناس ما كان الضحاك غصبه من الارض وغيرها الا ما لم يجد له صاحبا فانه وقفه على المساكين وقيل انه أول من سمى الصوفى وهو أول من نظر فى علم الطب وكان له ثلاثة بنين اسم الاكبر شرم والثانى طوج والثالث ايرج فخاف ان يختلفوا بعده فقسم ملكه بينهم اثلاثا وجعل ذلك فى مهام كتب أسماءهم عليها وأمر كل واحد منهم فاخذ سهما فصارت الروم وناحية العرب لشرم وصارت الترك والصين لطوج وصارت العراق والسند والهند والحجاز وغيرها لايرج وهو الثالث وكان يحبه وأعطاه التاج والسرير ومات افريدون ونشبت العداوة بين أولاده وأولادهم من بعدهم ولم يزل التحاسد ينمو بينهم الى أن وثب طوج وشرم على أخيهما ايرج فقتلاه وقتلا ابنين كانا لايرج وملكا الارض بينهما ثلثمائة سنة ولم يزل افريدون يتبع من بقى بالسواد من آل غرو ذو النمط وغيرهم حتى أتى على وجوههم ومحا أعلامهم وكان ملكه خمسمائة سنة

﴿ذكر الاحداث التى كانت بين نوح وابراهيم﴾

قد ذكرنا ما كان من أمر نوح وأمر ولده وانقسامهم الارض بعده ومساكن كل فريق منهم فكان ممن طغى وبغى فأرسل الله اليهم رسولا فكذبوه فأهلكهم الله هذان الحيان من ولد ارم بن

من أخباره وسيره وملخ مما كان فى أيامه

ذكر خلافة المعتضد وجمل من أخباره وسيره وملخ مما كان فى أيامه

ذكر خلافة المكتفى وجمل من أخباره وسيره وملخ مما كان فى أيامه

ذكر خلافة المقتدر وجمل من أخباره وسيره وملخ مما كان فى أيامه

ذكر خلافة القاهر وجمل من أخباره وسيره وملخ مما كان فى أيامه

ذكر خلافة الراضى وجمل من أخباره وسيره وملخ مما كان فى ايامه

ذكر خلافة المتقى لله وجمل من أخباره وسيره وملخ مما كان فى أيامه

ذكر خلافة المستكفى وجمل من أخباره وسيره وملخ مما كان فى أيامه

ذكر خلافة المطيع وملخ مما كان قد جرى فى أيامه

ذكر جامع التاريخ الثانى من الهجرة الى هذا الوقت وهو جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وثلثمائة وقد انتهينا فيه الى الفراغ من هذا الكتاب

ذكر من حج بالناس من أول الاسلام الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وهو آخر الكتاب

ذكر جمل ألقابهم وما ورد

عن ذوى الدراية فى اعدادهم

(قال المسعودى) فهذه جوامع ماحوى هذا الكتاب من الابواب على انه يأتى فى كل باب مما ذكرناه من أنواع العلوم وفنون الاخبار والآثار مالم تأت عليه تراجم الابواب وهو مرتب على حسب ماقدمناه من أبوابه على تفصيل منا لتاريخ الخلفاء ومقادير أعمارهم بابواب نفردها عن سيرهم وأخبارهم ثم تعقب بعد ذلك بالغرر من أخبارهم والعيون من سيرهم والجوامع مما كان فى أعصارهم وأخبار وزرائهم وماجرى من أنواع العلوم فى مجالسهم ملوحين بذلك الى ماسلف من تصنيفنا وتقدم من تاليفنا فى هذه المعانى والفنون وعدد ما اجتمع من جميع ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب مائة واثنان وثلاثون بابا أولها ذكر جميع اغراض هذا الباب * والثانى ذكر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب وآخرها ذكر من حج بالناس من أول الاسلام الى سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وذكر جمل القابهم

سام بن نوح أحدهما عاد والثانى ثمود فاما عاد فهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهو عاد الاولى وكانت مساكنهم مابين الشحر وعمان وحضرموت بالاحقاف فكانوا جبارين طوال القامة لم يكن مثلهم يقول الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فأرسل الله اليهم هود بن عبد الله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص ومن الناس من يزعم انه هود وهو عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وكانوا أهل أوثان ثلاثة يقال لاحدهما صاضرا وللآخر صمود وللثالث الهباء فدعاهم الى توحيد الله وافراده بالعبادة دون غيره وترك ظلم الناس فكذبوه وقالوا من أشد منا قوة ولم يؤمن بهود منهم الا قليل وكان من أمره ماذكره ابن اسحق قال ان عادا أصابهم قحط تتابع عليهم بتكذيبهم هودا فلما أصابهم قالوا اجهزوا منكم وفدا الى مكة يستسقون لكم فبعثوا قيل بن عبير ولقيم بن هزال ومرثد بن سعد وكان مسلما يكتم اسلامه وجلهمة بن الخيبرى خال معاوية بن بكر ولقمان بن عاد بن فلان بن عاد الاكبر فى سبعين رجلا من قومهم فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر بظاهر مكة خارجا عن الحرم فاكرمهم وكانوا اخوانه وسهره لان لقيم بن هزال كان تزوج هزيلة بنت بكر أخت معاوية فأولدها أولادا كانوا عند خالهم معاوية بمكة وهم عبيد وعمرو وعامر وعمير بنو لقيم وهم عاد الآخرة التى بقيت بعد عاد الاولى فلما نزلوا على معاوية أقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية فلما رأى معاوية طول مقامهم وتركهم ما أرسلوا له شق عليه ذلك وقال هلك اخوالى واستحيا ان يأمر الوفد بالخروج الى مابعثوا له فذكر ذلك للجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قائله لعلهم يتحركون فقال معاوية

ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يصبحنا غماما
فيسقى أرض عاد ان عادا * قد آمسوا لا يبينون الكلاما

فى أبيات ذكرها والهيثم الكلام الخفى فلما غنتهم الجرادتان ذلك الشعر وسمعه القوم قال بعضهم لبعض ياقوم بعثكم قومكم يتغوثون بكم من البلاء الذى نزل بهم فابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد انهم والله لا يسقون بدعائكم ولكن أطيعوا نبيكم فأنتم تسقون وأظهر اسلامه عند ذلك فقال جلهمة بن الخيبرى خال معاوية بن بكر احبس عنا مرثد بن سعد وخرجوا الى مكة يستسقون بها لعاد فدعوا الله تعالى لقومهم واستسقوا فأنشأ الله سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ونادى منادمنها ياقيل اختر لنفسك وقومك فقال قد اخترت السحابة السوداء فانها أكثرماء فناداه منادا اخترت رمادا رمددا لا تبقى من عاد أحدا لا ولدا تترك ولا والدا الا جعلته همدا الا بنى اللوذية المهدى وبنو اللوذية بنو لقيم بن هزال كانوا بمكة عند خالهم معاوية بن بكر وساق الله السحابة السوداء بما فيها من العذاب الى عاد فخرجت عليهم من واديهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بامر ربها أى كل شئ أمرت به وكان أول من رأى مافيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها هزهد فلما رأت مافيها اصاحت وصعقت فلما أفاقت قالوا ماذا رأيت قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار امامها رجال يقودونها فلما خرجت الريح من الوادى قال شعثة رهط من الخلجان تعالوا حتى نقوم على شفير الوادى فنرد ها فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله فتدق عنقه وبقى الخلجان فمال الى الجبل وقال

لم يبق الا الخلجان نفسه * يالك من يوم دهاني أمسه
بثابت الوطء شديد وطسه * لو لم يجئني جئته أحسه

فقال له هود أسلم تسلم فقال ومالي قال الجنة فقال فما هؤلاء الذين في السحاب كانهم البخت قال الملائكة قال أيعيذني ربك منهم ان اسلمت قال هل رأيت ملكا لا يعيذ من عنده قال لو فعل ما رضيت ثم جاءت الريح وألحقته بأصحابه وسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما كما قال تعالى والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد أحدا الا هلك واعتزل هود والمؤمنون في حظيرة لم يصبه ومن معه الا تليين الجلود وانها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وعاد وفد عاد الى معاوية بن بكر فنزلوا عليه فأتاهم رجل على ناقة فأخبرهم بصاب عاد وسلامة هود قال وكان قد قيل للقمان بن عاد اختر لنفسك الا انه لا سبيل الى الخلود فقال يارب أعطني عمرا فقيل له اختر فاختار عمر سبعة أنسر فعمر فيما يزعمون عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ الذكر حين يخرج من بيضته حتى اذا مات أخذ غيره وكان يعيش كل نسر ثمانين سنة فلما مات السابع مات لقمان معه وكان السابع يسمى لبدا قال وكان عمر هود مائة وخمسين سنة وقبره بحضرموت وقيل بالحجر من مكة فلما هلكوا أرسل الله طيرا أسود فنقلتهم الى البحر فذلك قوله تعالى فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم ولم تخرج ريح قط الا بكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فذلك قوله أهلكوا بريح صرصر عاتية وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة عروقها وتهدم البيت على من فيه وأما ثمود فهم ولد ثمود بن جاثر بن ارم بن سام وكانت مساكن ثمود بالحجر بين الحجاز والشام وكانوا بعد عاد قد كثروا وكفروا وعتوا فبعث الله اليهم صالح بن عبيد بن اسف بن ماشج بن عبيد بن جادر بن ثمود وقيل اسف بن كماشج بن اروم بن ثمود يدعوهم الى توحيد الله تعالى وافراده بالعبادة فقالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا وكان الله قد اطال اعمارهم حتى ان كان أحدهم يبني البيت من المدر فيهدم وهو حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فارهين فنحتوها وكانوا في سعة من معايشهم ولم يزل صالح يدعوهم فلم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم بالدعاء والتحذير والتخويف سألوه فقالوا يا صالح اخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون اليه بأصنامهم فارنا آية فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال نعم فخرجوا بأصنامهم وصالح معهم فدعوا أصنامهم ان لا يستجاب لصالح ما يدعو به وقال له سيد قومه يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة ناقة جوفاء عشراء فان فعلت ذلك صدقناك فأخذ عليهم المواثيق بذلك وأتى الصخرة وصلى ودعا ربه عز وجل فاذا هي تتمخض كما تتمخض الحامل ثم انفجرت وخرجت من وسطها الناقة كما طلبوا وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فآمن به سيد قومه واسمه جندع بن عمرو ورهط من قومه فلما خرجت الناقة قال لهم صالح هذه الناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ومتى عقرتموها أهلككم الله فكان شربها يوما وشربهم يوما معلوما فاذا كان يوم شربها خلوا بينها وبين الماء وحلبوا لبنها وملؤا كل وعاء وانا واذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء فلم تشرب منه شيأ وتزودوا من الماء للعد وأوحى الله الى صالح ان قومك سيعقرون الناقة فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل قال الا تعقروها أنتم يوشك ان يولد فيكم مولود يعقرها فقالوا وما علامته فوالله لا نجده الا قتلناه قال فانه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر قال فكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان لاحدهما ابن رغب له عن المناكح وللآخر ابنة لا يجد لها كفؤا فزوج أحدهما ابنته بابنة الآخر وولد بينهما المولود فلما قال لهم صالح انما

﴿بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله﴾

﴿ذكر المبدء وشأن الخليفة وذرء البرية﴾

اتفق أهل العلم جميعا من أهل الاسلام ان الله عز وجل خلق الاشياء على غير مثال وابتدعها من غير أصل ثم روى عن ابن عباس وغيره أن أول ما خلق الله عز وجل الماء وكان عرشه عليه فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع الدخان فوق الماء فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين الاحد والاثنين وخلق الارض على حوت والحوت هو الذي ذكره الله سبحانه في القرآن في قوله تعالى ن والقلم وما يسطرون والحوت في الماء والماء على الصفا والصفا على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة على الريح وهي الصخرة التي ذكرها الله تعالى في القرآن حكاية عن قول لقمان لابنه يابني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير فاضطرب الحوت فتزلزلت الارض فأرسى الله عليها الجبال فقرت الارض وذلك قوله

تعالى وجعل فيها رواسي أن تميد بكم وخلق الجبال فيها وخلق أقوات أهلها وسخرها وما ينبغي لها في يومين في يوم الثلاثاء والاربعاء وذلك قوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فكان ذلك الدخان من نفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع في يومين في يوم الخميس والجمعة وانما سمي الجمعة لان الله جمع فيه خلق السموات والارض ثم قال وأوحى في كل سماء أمرها يقول خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد وان سماء الدنيا من زمردة خضراء والسماء الثانية من فضة بيضاء والسماء الثالثة من ياقوتة حمراء والسماء الرابعة من درة بيضاء والسماء الخامسة من ذهب أحمر والسماء السادسة من ياقوتة صفراء والسماء السابعة من نور قد طبقها

يعقرها مولود فيكم اختاروا قوابل من القرية وجعلوا معهن شرطا يطوفون في القرية فاذا وجدوا امرأة تلد نظروا ولدها ما هو فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة وقلن هذا الذي يريد نبي الله صالح فأرادوا الشرط ان يأخذوه فحال جداه بينهم وبينه وقالوا لو أراد صالح هذا لقتلناه فكان شر مولود وكان يشب في اليوم شباب غيره في الجمعة فاجتمع تسعة رهط منهم يفسدون في الارض ولا يصلحون كانوا قتلوا أبناءهم حين ولدوا خوفا ان يكون عاقر الناقة منهم ثم ندموا فاقسموا ليقتلن صالحا وأهله وقالوا نخرج فترى الناس أنا نريد السفر فنأتي الغار الذي على طريق صالح فنكون فيه فاذا جاء الليل وخرج صالح الى مسجده قتلناه ثم رجعنا الى الغار ثم انصرفنا الى رحالنا وقلنا ما شهدنا قتله فيصدقنا قومه وكان صالح لا يبيت معهم كان يخرج الى مسجده يعرف بمسجد صالح فيبيت فيه فلما دخلوا الغار سقطت عليهم صخرة فقتلتهم فانطلق رجال ممن عرف الحال الى الغار فرأوهم هلكى فعادوا يصيحون ان صالحا أمرهم بقتل أولادهم ثم قتلهم وقيل انما كان تقاسم التسعة على قتل صالح بعد عقر الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب وذلك ان التسعة الذين عقروا الناقة قالوا تعالوا فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلنا قتله وان كان كاذبا ألحقناه بالناقة فأتوه ليلا في أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فهلكوا فأتى أصحابهم فرأوهم هلكى فقالوا لصالح أنت قتلتهم وأرادوا قتله فمنعهم عشيرته وقالوا انه قد أنذركم العذاب فان كان صادقا فلا تزيدوا ربكم غضبا وان كان كاذبا فنحن نسلمه اليكم فعادوا عنه فعلى القول الاول يكون التسعة الذين تقاسموا غير الذين عقروا الناقة والثاني أصح والله أعلم وأما سبب قتل الناقة فقيل ان قدار بن سالف جلس مع نفر يشربون الخمر فلم يقدروا على ما يمزجون به خمرهم لانه كان يوم شرب الناقة فحرض بعضهم بعضا على قتلها وقيل ان ثمودا كان فيهم امرأتان يقال لاحداهما قطام وللاخرى قبال وكان قدار يهوى قطام ومصدع يهوى قبال ويجتمعان بهما في بعض الليالي فقالتا لقدار ومصدع لا سبيل لكما الينا حتى تقتلا الناقة فقالا نعم وخرجا وجمعا أصحابهما وقصدا الناقة وهي على حوضها فقال الشقي لاحدهم اذهب فاعقرها فأتاها فتعاظمه ذلك فاصرف عنه وبعث آخر فاعظم ذلك وجعل لا يبعث أحدا الا تعاظمه قتلها حتى مشى هو اليها فتطاول فضرب عرقوبها فوقعت تركض وكان قتلها يوم الاربعاء وأسمه بلغتهم جبار وكان هلاكهم يوم الاحد وهو عندهم أول فلما قتلت أتى رجل منهم صالحا فقال أدرك الناقة فقد عقروها فأقبل وخرجوا يتلقونه يعتذرون اليه يا نبي الله انما عقرها فلان انه لا ذنب لنا قال انظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى الله ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه ولما رأى الفصيل أمه تضطرب قصد جبلا يقال له القارة فصعد فصعده وذهبوا يطلبونه فأوحى الله الى الجبل فطال في السماء حتى ما يناله الطير ودخل صالح القرية ولما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم استقبل صالحا فرغا ثلاثا فقال صالح لكل رغوة أجل يوم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وآية العذاب أن وجوهكم تصبح في اليوم الاول مصفرة وتصبح في اليوم الثاني محمرة وتصبح في اليوم الثالث مسودة فلما أصبحوا اذا وجوههم كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم فلما أصبحوا في اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة فلما أصبحوا في اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فتكفنوا وتحنطوا وكان حنوطهم الصبر والمر وكانت أكفانهم الانطاع ثم ألقوا أنفسهم الى الارض فجعلوا يقلبون أبصارهم الى السماء والارض لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما أصبحوا في اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء

فيها صوت كالصاعقة فتقطعت قلوبهم في صدورهم فأصبحوا في ديارهم جاثمين وأهلك الله من كان بين المشارق والمغارب منهم الا رجلا كان في الحرم فمنعه الحرم قيل ومن هو قيل أبو رغال وهو أبو ثقيف في قول ولما سار النبي صلى الله عليه وسلم أتى على قرية ثمود فقال لاصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها وأراهم مرتقى الفصيل في الجبل وأراهم الفج الذي كانت الناقة ترد منه الماء وأما صالح عليه السلام فانه سار الى الشام فنزل فلسطين ثم انتقل الى مكة فأقام بها يعبد الله حتى مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة وكان قد أقام في قومه يدعوهم عشرين سنة وأما أهل التوراة فانهم يزعمون انه لا ذكر لعاد وهود وثمود وصالح في التوراة قال وأمرهم عند العرب في الجاهلية والاسلام كشهرة ابراهيم الخليل عليه السلام (قلت) وليس انكارهم ذلك بأعجب من انكارهم نبوة ابراهيم الخليل ورسالته وكذلك انكارهم حل المسيح عليه السلام

﴿ذكر ابراهيم الخليل عليه السلام ومن كان في عصره من ملوك العجم﴾

وهو ابراهيم بن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام واختلف في الموضع الذي كان فيه والموضع الذي ولد فيه فقيل ولد بالسوس من أرض الاهواز وقيل ولد ببابل وقيل بكوثى وقيل بحران ولكن آباءه نقلوه قال عامة أهل العلم كان مولده في عهد نمروذ بن كوش ويقول عامة أهل الاخبار ان نمروذ كان عاملا للازدهاق الذي زعم بعض من زعم ان نوحا أرسل اليه واما جماعة من سلف من العلماء فانهم يقولون كان ملكا برأسه قال ابن اسحق وكان ملكه قد أحاط بمشارق الارض ومغاربها وكان ببابل قال ويقال لم يجتمع ملك الارض الا لثلاثة ملوك نمروذ وذي القرنين وسليمان بن داود وأصاف غيره الهم بختنصر وسنذكر بطلان هذا القول فلما أراد الله ان يبعث ابراهيم حجة على خلقه ورسولا الى عباده ولم يكن فيما بينه وبين نوح نبي الا هود وصالح فلما تقارب زمان ابراهيم اتى أصحاب النجوم نمروذ فقالوا له انا نجد غلاما يولد في قريتك هذه يقال له ابراهيم يفارق دينكم ويكسر أصنامكم في شهر كذا من سنة كذا فلما دخلت السنة التي ذكروا حبس نمروذ الحبالى عنده الا أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها لانه لم يظهر عليها اثره فذبح كل غلام ولد في ذلك الوقت فلما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبة منها فولدت ابراهيم وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود ثم سدت عليه المغارة ثم سعت الى بيتها راجعة ثم كانت تطالعه لتنظر ما فعل فكان يشب في اليوم ما يشب غيره في الشهر وكانت تجده حيا يمص ابهامه جعل الله رزقه فيها وكان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وقيل بل علم آزر بولادة ابراهيم وكتمه حتى نسي الملك ذكر ذلك فقال آزر ان لي ابنا قد خبأته أفتخافون عليه الملك ان أنا جئت به فقالوا لا فانطلق فأخرجه من السرب فلما نظر الى الدواب والى الخلق ولم يكن رأى قبل ذلك غير أبيه وأمه فجعل يسأل أباه عما يراه فيقول أبوه هذا بعير أو بقرة أو غير ذلك فقال ما لهؤلاء الخلق بد من ان يكون لهم رب وكان خروجه بعد غروب الشمس فرفع رأسه الى السماء فاذا هو بالكوكب وهو المشتري فقال هذا ربي فلم يلبث أن غاب فقال لا أحب الآفلين وكان خروجه في آخر الشهر فلما رأى الكوكب قبل القمر وقيل كان تفكر وعمره خمسة عشر شهرا وقال لامه وهو في المغارة أخرجيني انظر فأخرجته عشاء فنظر فرأى الكوكب وتفكر في خلق السموات والارض وقال في الكوكب ما تقدم فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما غاب قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين

الله بملائكة قيام على رجل واحدة تعظيما لله لقربهم منه قد خرقت أرجلهم الارض السابعة واستقرت أقدامهم على مسيرة خمسمائة عام تحت الارض السابعة ورؤسهم تحت العرش من غير ان تبلغ العرش وهم يقولون لا اله الا الله ذو العرش المجيد وهم على ذلك منذ خلقوا الى أن تقوم الساعة وتحت العرش بحر تنزل منه أرزاق الحيوان يوحي الله تعالى اليه فيمطر ما شاء الله من سماء الى سماء حتى ينتهي الى موضع يقال له الابرم فيوحي الله الى الريح فتحمله الى السحاب فتغتر به وتحت سماء الدنيا بحر من ما يطفح فيه من الدواب مثل ما في بحور الارض مسمسك بالقدرة وان الله تعالى أسكن ظهر الارض لما فرغ من خلقها الجن قبل آدم فجعلهم من مارج من نار وابليس فيهم فنهاهم الله ان يسفكوا دم البهائم ويظهروا المعصية بينهم فسفكوا وعدا بعضهم على بعض فلما رآهم ابليس لا يقلعون عن ذلك سأل الله تعالى ان يرفعه الى السماء فصار مع الملائكة يعبد الله أشد عبادة وأرسل الله الى الجن وهم حزب ابليس قبيلا من الملائكة فطردوهم

فلما جاء النهار وطلعت الشمس رأى نورا أعظم من كل ما رأى فقال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت
قال يا قوم اني برىء مما تشركون ثم رجع ابراهيم الى أبيه وقد عرف ربه وبرئ من دين قومه الا أنه لم
ينادهم بذلك فأخبرته أمه بما كانت صنعت من كتمان حاله فسره ذلك وكان آزر يصنع الاصنام
التي يعبدونها ويعطيها ابراهيم ليبيعها فكان ابراهيم يقول من يشري ما لا يضره ولا ينفعه فلا
يشتري بها منه أحد وكان يأخذها وينطلق بها الى نهر فيصوب رؤسها فيه ويقول اشربي استهزاء
بقومه حتى فشا ذلك عنه في قومه غير أنه لم يبلغ خبره نمروذ فلما بدا لابراهيم ان يدعو قومه الى ترك
ما هم عليه ويأمرهم بعبادة الله تعالى دعا أباه الى التوحيد فلم يجبه ودعا قومه فقالوا من تعبد أنت
قال رب العالمين قالوا نمروذ قال بل أعبد الذي خلقني فهو يهدين وهو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو
يشفين ثم بلغ نمروذ ان ابراهيم اراد ان
يرى قومه ضعف الاصنام التي يعبدونها ليلزمهم الحجة فجعل يتوقع فرصة ينتهي بها ليفعل
باصنامهم ذلك فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم أي طعين ليهربوا منه اذا سمعوا به واغا يريد
ابراهيم أن يخرجوا عنه ليبلغ من أصنامهم وكان لهم عيد يخرجون اليه جميعهم فلما خرجوا قال في
هذه المقالة فلم يخرج معهم الى العيد وخالف الى أصنامهم وهو يقول تالله لاكيدن أصنامكم
فسمعه ضعفاء الناس ومن هو في آخرهم ورجع الى الاصنام وهي في بهو عظيم بعضها الى جنب
بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما بين يدي آلهتهم
وقالوا تترك الآلهة الى حين نرجع فتأكله فلما نظر ابراهيم الى ما بين ايديهم من الطعام قال ألا
تأكلون فلم يجبه أحد قال مالكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فكسرها بفأس في يده
حتى اذا بقي أعظم صنم منها ربط الفأس بيده ثم تركهن فلما رجع قومه ورأوا ما فعل بأصنامهم
راعهم ذلك واعظموه وقالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له
ابراهيم يعنون يسبها ويعيبها ولم نسمع ذلك من غيره وهو الذي نظنه صنع بها هذا وبلغ ذلك نمروذ
وأشراف قومه فقالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ما نفعل به وقيل يشهدون عليه
كرهوا ان يأخذوه بغير بينة فلما أتي به واجتمع له قومه عند ملكهم نمروذ قالوا أأنت فعلت هذا
بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون غضب من ان تعبدوا هذه
الصغار وهو أكبرهن فكسرها فارعووا ورجعوا عنه فيما ادعوا عليه من كسرها الى أنفسهم
فيما بينهم فقالوا لقد ظلمناه وما تراه الا كما قال ثم قالوا وعرفوا انها لا تضر ولا تنفع ولا تبطش لقد
علمت ما هؤلاء ينطقون أي لا يتكلمون فيخبرونا من صنع هذا بها وما تبطش بالايدي فنصدقك
يقول الله تعالى ثم نكسوا على رؤسهم في الحجة عليهم لابراهيم فقال لهم ابراهيم عند قولهم ما هؤلاء
ينطقون أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله
أفلا تعقلون ثم ان نمروذ قال لابراهيم أرأيت الهك الذي تعبد وتدعو الى عبادته ما هو قال ربي
الذي يحيي ويميت قال نمروذ أنا أحيي وأميت قال ابراهيم وكيف ذلك قال آخذ رجلين قد
استوجبا القتل فأقتل احدهما فأكون قد أمته وأعفو عن الآخر فأكون قد أحييته فقال
ابراهيم ان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت عند ذلك نمروذ ولم يرجع اليه شيأ
ثم انه وأصحابه أجمعوا على قتل ابراهيم فقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم قال عبد الله بن عمر أشار
بتحريقه رجل من اعراب فارس قيل له وللفرس اعراب قال نعم الاكراد هم اعرابهم قيل كان
اسمه هيزن فخسف به فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة فأمر نمروذ بجمع الحطب من أصناف

الى جزائر البحار وقتلوا من
شاء الله منهم وجعل الله
ابليس على سماء الدنيا حارسا
فوقع في صدره كبر ثم شاء
الله عز وجل ان يخلق آدم
فقال الله للملائكة اني جاعل
في الارض خليفة فقالوا
ربنا وما يكون ذلك الخليفة
قال تكون له ذرية
ويفسدون في الارض
ويتحاسدون ويقتل بعضهم
بعضا فقالوا ربنا أتجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدماء
ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك قال اني أعلم ما لا تعلمون
ثم بعث الله جبريل الى
الارض ليأتيه ببطين منها
فقالت له الارض اني أعوذ
بالله منك ان تنقصني فرجع
ولم يأخذ منها شيأ وقال يا رب
انها عاذت بك ثم بعث الله
ميكائيل فقالت له مثل ذلك
فرجع ولم يأخذ منها شيأ
فبعث الله ملك الموت فعاذت
بالله منه فقال وأنا أعوذ بالله
ان أرجع ولم أنفذ الامر
فأخذ من تربة سوداء
وحمراء وبيضاء فلذلك
خرج بنو آدم مختلفين في
الالوان وسمي آدم لانه أخذ
من أديم الارض وقيل غير
ذلك ووكل الله ملك الموت
بالموت وجعله تعالى
وتركه حتى صار طينا لازبا
يلزق بعضه ببعض أربعين
سنة ثم تركه حتى أنتن وتغير

الحشب حتى ان كانت المرأة لتنذر بان بلغت ما تطلب ان تحطب لنار ابراهيم حتى اذا أرادوا أن يلقوه فيها قدموه وأشعلوا النار حتى ان كانت الطير لتمر بها فتحترق من شدتها وحرها فلما اجمعوا لقذفه فيها صاحت السماء والارض وما فيها الا الثقلين الى الله صيحة واحدة اى ربنا ابراهيم ليس فى أرضك من يعبدك غيره يحرق بالنار فيك فأذن لنا فى نصره قال الله تعالى ان استغاث بشئ منكم فليتصره وان لم يدع غيرى فأناله فلما رفعوه على رأس البنيان رفع رأسه الى السماء وقال اللهم أنت الواحد فى السماء وأنت الواحد فى الارض حسبى الله ونعم الوكيل وعرض له جبريل وهو يوثق فقال ألك حاجة يا ابراهيم قال أما اليك فلا فقذفوه فى النار فناداها الله فقال يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم وقيل ناداها جبريل فلولم يتبع بردها سلام لمات ابراهيم من شدة بردها فلم يبق يومئذ نار الا طفئت ظنت انها هى وبعث الله ملك الظل فى صورة ابراهيم فقعد فيها الى جنبه يؤنسه فكث نمروذ أياما لا يشك ان النار قد اكلت ابراهيم فرأى كأنه نظر فيها وهى يحرق بعضها بعضا وابراهيم جالس الى جنبه رجل مثله فقال لقومه لقد رأيت كأن ابراهيم حى ولقد شبه على ابنوا لى صرحا يشرف بى على النار فبنوا له وأشرف منه فرأى ابراهيم جالسا والى جانبه رجل فى صورته فناداه نمروذ يا ابراهيم ان الهك كبير الذى بلغت قدرته وعزته أن حال بينك وبين ما أرى هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال أتحتى ان أقمت فيها قال لا فقام ابراهيم فخرج منها فلما خرج قال له يا ابراهيم من الرجل الذى رأيت معك مثل صورتك قال ذلك ملك الظل أرسله الى ربى ليؤنسنى قال نمروذ انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته وما صنع بك حين أبيت الا عبادته فقال ابراهيم اذا لا يقبل الله منك ما كنت على شئ من دينك فقال يا ابراهيم لا أستطيع ترك ملكى وقرب أربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم ومنعه الله منه وآمن مع ابراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله به على خوف من نمروذ وملئهم وآمن له لوط بن هاران وهو ابن أخى ابراهيم وكان لهم أخ ثالث يقال له ناخور بن تارخ وهو أبو بتويل وبتويل أبو لابان وأبو ربقا امرأة اسحق بن ابراهيم أم يعقوب ولابان أبو ليا وراحيل زوجتى يعقوب وآمنت به سارة وهى ابنة عمه وهى سارة ابنة هاران الاكبر عم ابراهيم وقيل كانت ابنة ملك حران فآمنت بالله تعالى مع ابراهيم

﴿ذكر هجرة ابراهيم عليه السلام ومن آمن معه﴾

ثم ان ابراهيم والذين اتبعوا أمره أجمعوا على فراق قومهم فخرج مهاجرا حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى كان اسمه سنان بن علوان بن عبيد بن عوج بن عملاق بن لاوذ بن سام ابن نوح وقيل كان أخا الضحاك استعمله على مصر وكانت سارة من أحسن النساء وجها وكانت لا تعصى ابراهيم شيأ فلما وصفت لفرعون أرسل الى ابراهيم فقال من هذه التى معك قال أختى يعنى فى الاسلام وتخوف ان قال هى امرأتى أن يقتله فقال له زينها وأرسلها الى فأمر بذلك ابراهيم فتزينت وأرسلها اليه فلما دخلت عليه أهوى بيده اليها وكان ابراهيم حين أرسلها قام يصلى فلما أهوى اليها أخذ أخذا شديدا فقال ادعى الله ولا أضرك فدعت له فأرسل فاهوى اليها فأخذ أخذا شديدا فقال ادعى الله ولا أضرك فدعت له فأرسل ثم فعل ذلك الثالثة فذكر مثل المرتين فدعا أدنى حجابه فقال انك لم تأتنى بانسان وانك أتيتنى بشيطان أخرجها وأعطها هاجر ففعل فانقلبت بهاجر فلما أحس ابراهيم بها انفتل من صلاته فقال مهيم فقالت كفى الله كيد الكافرين

أربعين سنة وذلك قوله تعالى من حمأ مسنون أى متغير منتن ثم صوره وتركه بلا روح من صلصال كالفخار حتى أتى عليه مائة وعشرون سنة وقيل أربعون سنة وهو قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا فكانت الملائكة تمر به فيفزعون منه وكان أشدهم فزعا ابليس كان يمر به فيضربه برجله فيظهر له صوت كطهور من الفخار وتكون له صلصلة وذلك قوله تعالى من صلصال كالفخار وقد قيل ان الصلصال غير ما ذكرنا وكان ابليس يدخل من فيه ويخرج من دبره ويقول لامر ما خلقت فلما أراد الله تعالى ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وقال يا رب أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين والنار أشرف من الطين وأنا الذى كنت مستخلفا فى الارض وأنا الملبس بالريش والموشح بالنور والمتوج بالكرامة وأنا الذى عبدتك فى سمائك وأرضك فقال الله تعالى اخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين فسأل الله المهلة الى يوم يبعثون فأنظره الله الى

وأخدم هاجر وكان أبو هريرة يقول تلك أمكم يابني ماء السماء وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث مرات اثنتين في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله في سارة هي أختي

﴿ذكر ولادة اسمعيل عليه السلام وحمله الى مكة﴾

قيل كانت هاجر جارية ذات هيئة فوهبتها سارة لابراهيم وقالت خذها لعل الله يرزقك منها ولد وكانت سارة قد منعت الولد حتى أسنت فوقع ابراهيم على هاجر فولدت اسمعيل ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما يعني ولادة هاجر فكان ابراهيم قد خرج بها الى الشام من مصر خوفا من فرعون فنزل السبع من ارض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع مسيرة يوم وليلة فبعثه الله نبيا وكان ابراهيم قد اتخذ بالسبع بئرا ومسجدا وكان ماء البئر معينا طاهرا فاذا أهل السبع فانتقل عنهم فنضب الماء فاتبعوه يسألونه العود اليهم فلم يفعل وأعطاهم سبعة اعنز وقال اذا أوردتموها الماء ظهر حتى يكون معينا طاهرا فاشربوا منه ولا تغترفوا منه امرأة حائض فخرجوا بالاعنز فلما وقفت على الماء ظهر اليها وكانوا يشربون منه الى أن غرفت منه امرأة طامث فعاد الماء الى الذي هو عليه اليوم وأقام ابراهيم بين الرملة وايليا ببلد يقال له قط أوقط قال فلما ولد اسمعيل حزنت سارة حزنا شديدا فوهبها الله اسحق وعمرها سبعون سنة فعمر ابراهيم مائة وعشرون سنة فلما كبرا اسمعيل واسحق اختصما فغضبت سارة على هاجر فأخرجتها ثم اعادتها فغارت منها فأخرجتها وحلفت لتقطعن منها بضعة فتركت أنفها وأذنها الثلاث ثم خفضتها فلم ثم خفضت النساء وقيل كان اسمعيل صغيرا وانما أخرجتها سارة غيرة منها وهو الصحيح وقالت سارة لا تساكنني في بلد فأوحى الله الى ابراهيم أن يأتي مكة وليس بها يومئذ نبت فجاء ابراهيم باسمعيل وأمه هاجر فوضعهما بموضع زمزم فلما مضى نادته هاجر يا ابراهيم من أمرك أن تتركنا بأرض ليس فيها زرع ولا ضرع ولا ماء ولا زاد ولا أنيس قال ربي أمرني قالت فانه لن يضيعنا فلما ولى قال ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن يعني من الحزن وقال رب اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم الآية فلما طمث اسمعيل جعل يدحض الارض برجله فانطلقت هاجر حتى صعدت الصفا لتنظر هل ترى شيأ فلم ترشيأ فانحدرت الى الوادي فسعت حتى أتت المروة فاستشرفت هل ترى شيأ فلم ترشيأ ففعلت ذلك سبع مرار فذلك أصل السعي ثم جاءت الى اسمعيل وهو يدحض الارض بقدميه وقد نبعت العين وهي زمزم فجعلت تفحص الارض بيدها عن الماء وكلما اجتمع أخذته وجعلته في سقائها قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم يرحمها الله لو تركتها لكانت عينا سائحة وكانت جرهم بوادي قريب من مكة ولزمت الطير الوادي حين رأت الماء فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادي قالوا ما لزمته الا وفيه ماء فجاؤا الى هاجر فقالوا لو شئت لكنا معك فآنسناك والماء ماؤك قالت نعم فكانوا معها حتى شب اسمعيل وماتت هاجر فتزوج اسمعيل امرأة من جرهم فتعلم العربية منهم وأولاده فهم العرب المتعربة واستأذن ابراهيم سارة أن يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل فقدم وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ليس ههنا ذهب يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع قال ابراهيم هل عندك ضيافة قالت ليس عندي

ضيافة

الوقت المعلوم وذهب على ابليس المعنى الذي من أجله أمر لآدم بالسجود فمن الناس من رأى ان آدم كان محرابا للأمورين بالسجود والمقصود بذلك الخالق عز وجل وموافقة الامر والطاعة له على سبيل البلوى والاختبار والمحنة الواقعة بالمكلفين ومنهم من رأى غير ذلك ثم نفخ الله تعالى في آدم من روحه فكان كلما دخل في بعضه الروح يذهب ليجلس فقال الله تعالى وكان الانسان عجولا وما تتابع فيه الروح عطس فقال الله له قل الحمد لله يرحمك الله يا آدم (قال المسعودي) وما ذكرناه من الاخبار في مبدا الخليقة هو ما جاءت به الشريعة ونقله الخلف عن السلف والباقي عن الماضي فعبرنا عنهم على حسب ما نقل الينا من الفاظهم ووجدناه في كتبهم مع شهادة الدلائل بحدوث العالم واتضاحها بكونه ولم نتعرض لوصف من وافق ذلك وانقاد اليه من أهل الملل القائلين بالحدوث ولا الرد على من سواهم ممن خالف ذلك وقال بالقدم لذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصنيفنا وقد ذكرنا في مواضع كثيرة من كتابنا هذا

ضيافة وماعندى أحد فقال ابرهيم اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولى له فليغير عتبة بابه وعاد ابراهيم وجاء اسمعيل فوجد ريح أبيه فقال لامرأته هل عندك أحد قالت جاءنى شيخ كذا وكذا كالمستخفة بشأنه فال فما قال لك قالت قال اقرئى زوجك السلام وقولى له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى فلبث ابراهيم ماشاء الله أن يلبث ثم استأذن سارة ان يزور اسمعيل فأذنت له وشرطت عليه ان لا ينزل فجاء ابراهيم حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب ليتصيد وهو يجئ الآن ان شاء الله تعالى فانزل يرحمك الله فقال لها فعندك ضيافة قالت نعم قال فهل عندك خبز أو بر أو شعير أو تمر قال فجاءت باللبن واللحم فدعا لهما بالبركة ولو جاءت ومئذ بخبز أو تمر أو بر أو شعير لكانت أكثر أرض الله من ذلك فقالت انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بالمقام بالاناء فوضعته عند شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقى أثر قدمه فيه فغسلت شق رأسه الايمن ثم حولت المقام الى شقه الايسر ففعلت به كذلك فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه منى السلام وقولى له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد قالت نعم شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فقال لى كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت رأسه وهذا موضع قدمه وهو يقرئك السلام ويقول قد استقامت عتبة بابك قال ذلك ابراهيم وقيل ان الذى انبع الماء جبرئيل فانه نزل الى هاجر وهى تسعى فى الوادى فسمعت حسه فقالت قد اسمعتنى فاغثنى فقد هلكت أنا ومن معى فجاء بها الى موضع زمزم فضرب بقدمه ففارت عينا فجعلت تفرغ فى شنها فقال لها لا تخافى الظمأ

﴿ ذكر عمارة البيت الحرام بمكة ﴾

قيل ثم أمر الله ابراهيم ببناء البيت الحرام فضاق بذلك ذرعا فأرسل الله السكينة وهى ريح خجوج وهى اللينة المحبوب لها رأسان فسار معها ابراهيم حتى انتهت الى موضع البيت فطوت عليه كتطوى الحجفة فأمر ابراهيم ان يبنى حيث تستقر السكينة فبنى ابراهيم وقيل أرسل الله مثل الغمامة له رأس فكلمه وقال يا ابراهيم ابن على ظلى أو على قدرى لا تزد ولا تنقص فبنى وهذان القولان نقلا عن على وقال السدى الذى دله على موضع البيت جبريل فسار ابراهيم الى مكة فلما وصلها وجد اسمعيل يصلح نبلا له وراء زمزم فقال له يا اسمعيل ان الله قد أمرنى ان أبنى له بيتا قال اسمعيل فأطع ربك فقال ابراهيم قد أمرك ان تعيننى على بنائه قال اذن أفعل فقام معه فجعل ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة ثم قال ابراهيم لاسمعيل ائتنى بحجر حسن أضعه على الركن فيكون للناس علما فناداه أبو قبيس ان لك عندى وديعة وقيل بل جبريل أخبره بالحجر الاسود فأخذه ووضعه موضعه وكانا كلما بنيا دعوا الله ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم فلما ارتفع البنيان وضعف الشيخ عن رفع الحجارة قام على حجر وهو مقام ابراهيم فجعل يناوله فلما فرغ من بناء البيت أمره الله ان يؤذن فى الناس بالحج فقال ابراهيم يارب وما يبلغ صوتى قال أذن وعلى البلاغ فنادى أيها الناس ان الله قد كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فسمعه ما بين السماء والارض وما فى اصلاب الرجال وارحام النساء فأجابه من آمن ممن سبق فى علم الله ان يحج الى يوم القيامة فأجيب لبيك لبيك ثم خرج باسمعيل معه الى التروية فنزل به منى ومن معه من المسلمين فصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ثم بات حتى اصبح فصلى بهم الفجر ثم سار الى عرفة فقام بهم هناك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم راح بهم الى الموقف من

جملا من علوم النظر والبراهين والجدل تتعلق بكثير من الآراء والنحل على طريق الخبر وروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام انه قال ان الله حين شاء تقدير الخليقة ودره البرية وابداع المبدعات نصب الخلق فى سور كالهباء قبل دحو الارض ورفع السماء وهو فى انفراد ملكوته ووحدة جبروته فأتاح نورا من نوره فلمع ونزع قبسا من ضيائه فسطع ثم اجتمع النور فى وسط تلك الصور الخفية فوافق ذلك صوره بيننا محمد صلى الله عليه وسلم فقال الله عز من قائل أنت المختار المنتخب وعندك مستودع نورى وكنوز هدايتى من أجلك أسطح البطحاء وأموج الماء وارفع السماء وأجعل الثواب والعقاب والجنة والنار وانصب أهل بيتك للهداية وأوتيهم من مكنون علمى ما لا يشكل عليهم دقيق ولا يعييهم خفى واجعلهم حجتى على بريتى والمنبهين على قدرتى ووحدانيتى ثم أخذ الله الشهادة عليهم بالربوبية والاخلاص بالوحدانية فقبل أخذ ما أخذ جل شأنه بيصائر الخلق انتخب محمدا وآله وأراهم ان الهداية

معه والنور له والامامة فى آله تقديما لسنة العدل وليكون الاعذار متقدما ثم أخفى الله الخليقة فى غيبه وغيبها فى مكنون علمه ثم نصب العوالم وبسط الزمان ومتوج الماء وأثار الزبد وأهاج الدخان فطفا عرشه على الماء فسطح الارض على ظهر الماء ثم استجابهما الى الطاعة فاذعنا بالاستجابة ثم أنشأ الله الملائكة من أنوار أبدعها وأرواح اخترعها وقرن توحيده بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فشهرت فى السماء قبل بعثته فى الارض فلما خلق الله آدم أبان فضله للملائكة وأراهم ما خصه به من سابق العلم حيث عرفه عند استنبائه اياه أسماء الاشياء فجعل الله آدم محرابا وكعبة وبابا وقبلة أسجد لها الابرار والروحانيين الانوار ثم به آدم على مستودعه وكشف له عن خطر ما ائتمنه عليه بعد ما سماه اماما عند الملائكة فكان حظ آدم من الخير ما أراه من مستودع نورنا ولم يزل الله تعالى يحبا النور تحت الزمان الى ان وصل محمدا صلى الله عليه وسلم فى ظاهر الفترات فدعا الناس ظاهرا وباطنا وندبهم سرا واعلانا واستدعى عليه السلام التنبيه على العهد الذى قدمه الى الذر قبل

عرفة الذى يقف عليه الامام فوقف به على الاراك فلما غربت الشمس دفع به ومن معه حتى أتى المزدلفة فجمع بها الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة ثم بات بها ومن معه حتى اذا طلع الفجر صلى الغداة ثم وقف على قزح حتى اذا اسفر دفع به ومن معه يريه ويعلمه كيف يصنع حتى رمى الجمرة وأراه المنحر ثم نحر وحلق وأراه كيف يطوف ثم عاد به الى منى ليريه كيف رمى الجمار حتى فرغ من الحج وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان جبرئيل هو الذى أرى ابراهيم كيف يحج ورواه عنه ابن عمر ولم يزل البيت على ما بناه ابراهيم عليه السلام الى ان هدمته قريش سنة خمس وثلاثين من مولد النبى صلى الله عليه وسلم على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر قصة الذبح﴾

واختلف السلف من المسلمين فى الذبيح فقال بعضهم هو اسمعيل وقال بعضهم هو اسحق وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم كلا القولين ولو كان فيهما صحيح لم نعده الى غيره فاما الحديث فى أن الذبيح اسحق فقد روى الاحنف عن العباس بن عبد المطلب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث ذكر فيه وفديناه بذبح عظيم هو اسحق وقد روى هذا الحديث عن العباس من قوله لم يرفعه واما الحديث الآخر فى ان الذبيح اسمعيل فقد روى الصنابحى قال كنا عند معاوية بن أبى سفيان فذكروا الذبيح فقال على الخبير سقطتم كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول الله عدعلى مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك صلى الله عليه وسلم فقيل لمعاوية وما الذبيحان فقال ان عبد المطلب بذر ان سهل الله حفر زمزم أن يذبح أحد أولاده فخرج السهم لى عبد الله أبى النبى صلى الله عليه وسلم ففداه بمائة بعير وسنذكره ان شاء الله والذبيح الثانى اسمعيل

﴿ذكر من قال انه اسحق﴾

ذهب عمر بن الخطاب وعلى والعباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله رضى الله عنهم فيما رواه عنه عكرمة وعبد الله بن مسعود وكعب وابن سابط وابن أبى الهذيل ومسروق الى ان الذبيح اسحق عليه السلام حدث عمرو بن أبى سفيان بن أبى أسيد بن أبى جارية الثقفى ان كعبا قال لابى هريرة ألا أخبرك عن اسحق بن ابراهيم قال بلى قال كعب لما رأى ابراهيم ذبح اسحق قال الشيطان والله لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم لم أفتن أحدا منهم بعد ذلك أبدا فتمثل رجلا يعرفونه فأقبل حتى ذا خرج ابراهيم باسحق ليذبحه دخل على سارة امرأة ابراهيم فقال لها أين أصبح ابراهيم غاديا باسحق قالت لبعض حاجته قال لا والله انما غاد به ليذبحه قالت سارة لم يكن ليذبح ولده قال الشيطان بلى والله لانه زعم ان الله قد أمره بذلك قالت سارة فهذا أحسن ان يطيع ربه ثم خرج الشيطان فأدرك اسحق وهو مع أبيه فقال له ان ابراهيم يريد أن يذبحك قال اسحق ما كان ليفعل قال بلى والله انه زعم أن ربه أمره بذلك قال اسحق فوالله لئن أمره ربه بذلك ليطيعنه فتركه ولحق ابراهيم فقال أين أصبحت غاديا بابنك قال لبعض حاجتى قال لا والله انما تريد ذبحه قال ولم قال لانك زعمت أن الله أمرك بذلك قال ابراهيم فوالله ان كان الله أمرنى بذلك لافعلن فلما أخذ ابراهيم اسحق ليذبحه أعفاه الله من ذلك وفداه بذبح عظيم واوحى الله الى اسحق انى معطيك دعوة أستجيب لك فيها قال اسحق اللهم فأيما عبد لقيك من الاولين والآخرين لا يشرك بك شيأ فادخله

الجنة وقال عبيد بن عمير قال موسى يارب يقولون يا اله ابراهيم واسحق ويعقوب فبم نالوا ذلك قال ان ابراهيم لم يعدل بى شيأ قط الا اختارنى وان اسحق جادلى بالذبح وهو بغير ذلك أجود وان يعقوب كلما زدته بلاء زادنى حسن ظن بى (أسيد بفتح الهمزة وكسر السين وجارية بالحيم)

﴿ذكر من قال ان الذبيح اسمعيل عليه السلام﴾

روى سعيد بن جبير ويوسف بن مهران والشعبى ومجاهد وعطاء بن أبى رباح كلهم عن ابن عباس انه قال ان الذبيح اسمعيل وقال زعمت اليهود انه اسحق وكذبت اليهود وقال ابو الطفيل والشعبى ومجاهد والحسن ومحمد بن كعب القرظى انه اسمعيل قال الشعبى رأيت قرنى الكبش فى الكعبه قال محمد بن كعب ان الذى أمر الله ابراهيم بذبحه من ابنيه اسمعيل وانا نجد ذلك فى كتاب الله فى قصة الخبر عن ابراهيم وما أمر به من ذبحه ابنه انه اسمعيل وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابنى ابراهيم قال وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين ويقول وبشرناه باسحق نبيا ومن وراء اسحق يعقوب بابن وابن ابن فلم يكن يأمره بذبح اسحق وله فيه من الله عز وجل ماوعده وما الذى أمر بذبحه الا اسمعيل فذكر ذلك محمد بن كعب لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة فقال ان هذا لشئ ما كنت انظر فيه وانى لاراه كما قلت

﴿ذكر السبب الذى من اجله أمر ابراهيم بالذبح وصفة الذبح﴾

قيل أمر الله ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه فيما ذكر انه دعا الله ان يهب له ولدا ذكرا صالحا فقال رب هب لى من الصالحين فلما بشرته الملائكة بغلام حليم قال اذن هو لله ذبيح فلما ولد الغلام وبلغ معه السعى قيل له أوف نذرك الذى نذرت وهدا على قول من زعم ان الذبيح اسحق وقائل هذا يزعم ان ذلك كان بالشام على ميلين من ايليا واما من زعم انه اسمعيل فيقول ان ذلك كان بمكه قال محمد بن اسحق ان ابراهيم قال لابنه حين أمر بذبحه يا بنى خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب لاهلك فلما توجه اعترضه ابليس ليصده عن ذلك فقال اليك عنى ياعدو الله فوالله لامضين لامر الله فاعترض اسمعيل فأعلمه ما يريد ابراهيم يصنع به فقال سمعا لامر ربى وطاعة فذهب الى هاجر فاعلمها فقالت ان كان ربه أمره بذلك فتسليما لامر الله فرجع بغيظه لم يصب منهم شيأ فلما خلا ابراهيم بالشعب وهو شعب ثبير قال له يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ثم قال له يا أبت ان أردت ذبحى فاشدد رباطى لا يصبك من دمى شئ فينتقص أجرى فان الموت شديد واشحذ شفرتك حتى تريحنى فاذا أضجعتنى فكبنى على وجهى فانى أخشى ان نظرت فى وجهى أنك تدركك رحمة فتحول بينك و بين أمر الله وان رأيت ان تردقميصى الى هاجر أمى فعسى ان يكون اسلى لها عنى فافعل فقال ابراهيم نعم المعين أنت أى بنى على أمر الله ربطه كما امره ثم أحتشنرنه وتله للجبين ثم أدخل الشفرة لحلقه فقلبها الله لقفاها ثم اجتذبها اليه ليفرغ منه فنودى أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا هذه ذبيحتك فداه لابنك فاذبحها وقيل جعل الله على حلقه صفيحة نحاس قال ابن عباس خرج عليه كبش من الجنة قد رعى فيها أربعين خريفا وقيل هو الكبش الذى قربه هابيل وقال على عليه السلام كان كبشا أقرن أعين أبيض وقال الحسن ما فدى اسمعيل الا بتيس من الاروى هبط عليه من ثبير فذبحه قيل بالمقام وقيل بمنى فى المنحر

النسل فمن وافقه واقتبس من مصباح النور المقدم اهتدى الى سيره واستبان واضح أمره ومن ألبسته الغفلة استحق السخط ثم انتقل النور الى غرائزنا ولمع فى أئمتنا فنحن أنوار السماء وأنوار الارض فبنا النجاة ومناكنون العلم والينا مصير الامور وبهدينا تقطع الحجج خاتمة الائمة ومنقذ الامة وغاية النور ومصدر الامور فنحن أفضل المخلوقين وأشرف الموحدين وحجج رب العالمين فلهنأ بالنعمه من تمسك بولايتنا وويل عروتنا وهذا ما روى عن أبى عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن على عن أبيه على بن الحسين عن أبيه الحسين بن على عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ولم نتعرض لكثير من أسانيد هذه الاخبار وطرقها الا ناقد أتينا على جميع ذكرها واتصالها فى النقل بمن ذكرناها عنه ومرويناها اليه فيما سلف من كتبنا خوف الاكثار والتطويل فى هذا الكتاب وأما ما وجدت فى التوراة فهو ان الله تعالى ابتدأ الخلق فى يوم الاثنين وكان انتهاء الفراغ يوم السبت فاتخذ اليهود لذلك يوم

﴿ذكر ما امتحن الله به ابراهيم عليه السلام﴾

بعد ابتلاء الله تعالى ابراهيم بما كان من نمرود وذبح ولده بعد رجاء نفعه ابتلاه الله بالكلمات التي أخبرانه ابتلاه بهن فقال تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن واختلف السلف من العلماء الائمة في هذه الكلمات فقال ابن عباس من رواية عكرمة عنه في قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه الا ابراهيم وقال الله وابراهيم الذي وفى قال والكلمات عشر في براءة وهي العابدون الحامدون الآية وعشر في الاحزاب وهي ان المسلمين والمسلمات الآية وعشر في المؤمنين من أولها الى قوله تعالى والذين هم على صلاتهم يحافظون وقال آخرون هي عشر خصال قال ابن عباس من رواية طاوس وغيره عنه الكلمات عشر وهي خمس في الراس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمس في الجسد وهي تقليم الاظفار وحلق العانة والختان ونتف الابط وغسل أثر الغائط وقال آخرون هي مناسك الحج وقوله تعالى اني جاعلك للناس اماما وهو قول أبي صالح ومجاهد وقال آخرون هي ست وهي الكواكب والقمر والشمس والنار والهجرة والختان وذبح ابنه وهو قول الحسن قال ابتلاه بذلك فعرف أن ربه دائم لا يزول فوجه وجهه للذي فطر السموات والارض وهاجر من وطنه وأراد ذبح ابنه وختن نفسه وقيل غير ذلك مما لا حاجة اليه في التاريخ المختصر وانما ذكرنا هذا القدر لئلا يخلو من فصول الكتاب

﴿ذكر عدو الله نمرود وهلاكه﴾

ونرجع الآن الى خبر عدو الله نمرود وما آل اليه امره في دنياه وتمرده على الله تعالى واملاء الله له وكان أول جبار في الارض وكان احراقه ابراهيم ما قدمنا ذكره فأخرج ابراهيم عليه السلام من مدينته وحلف انه يطلب اله ابراهيم فأخذ أربعة أفرخ نسور فربأهن باللحم والخمر حتى كبرن وغلظن فقرنهن بتابوت وقعد في ذلك التابوت فأخذ معه رجلا ومعه لحم لهن فطرن به حتى اذا ذهبن اشرف ينظر الى الارض فرأى الجبال تدب كالنمل ثم رفع لهن اللحم ونظر الى الارض فرآها يحيط بها البحر كأنها فلك في ماء ثم رفع طويلا فوقع في ظلمة فلم ير ما فوقه وما تحته ففزع وألقى اللحم فانقضت النسور منقضات فلما نظرت الجبال اليهن وقد أقبلن منقضات وسمعن حفيفهن فزعت الجبال وكادت تزول ولم يفعلن وذلك قول الله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وكان طيرانهن من بيت المقدس ووقوعهن في جبل الدخان فلما رأى انه لا يطيق شيأ أخذ في بنيان الصرح فبناه حتى علا وارتقى فوقه ينظر الى اله ابراهيم بزعمه وأحدث ولم يكن يحدث وأخذ الله بنيانهم من القواعد من أساس الصرح فسقط وتبلبلت الالسن يومئذ من الفزع فتكاموا بثلاثة وسبعين لسانا وكان لسان الناس قبل ذلك سريانيا هكذا روي انه لم يحدث وهذا ليس بشيء فان الطبع البشري لم يخل منه انسان حتى الانبياء صلوات الله عليهم وهم أكثر اتصالا بالعالم العلوي وأشرف أنفسا ومع هذا فيأكلون ويشربون وينامون ويتغوطون فلو نجا منه أحد لكان الانبياء أولى لشرفهم وقربهم من الله تعالى وان كان لكثرة ملكه فالصحيح انه لم يملك مستقلا ولو ملك مستقلا لكان الاسكندر أكثر ملكا منه ومع هذا فلم يقل فيه شيء من هذا قال زيد بن أسلم ان الله تعالى بعث الى نمرود بعد ابراهيم ملكا يدعوه الى الله أربع مرات فابى وقال أرب غيري فقال

السبت عيدا وزعم أهل الانجيل ان المسيح عليه السلام قام من قبره يوم الاحد فاتخذوا ذلك اليوم عيدا وأما ما ذهب اليه الجمهور من أهل الفقه والآثار فهو ان الابتداء كان يوم الاحد والفراغ يوم الجمعة وفيه نفخ في آدم الروح وهو اليوم السادس من نيسان ثم خلقت حواء من آدم وأسكنا الجنة لثلاث ساعات مضت منه فكنا ثلاث ساعات وهو ربع يوم بمائتي سنة وخمسين سنة من اعوام الدنيا وأهبط الله آدم بسرنديب وحواء بجدة وابليس ببيسان والحية باصبهان فهبط آدم بالهند على جزيرة سرنديب على جبل الراهون وعليه الورق الذي خصفه من ورق الجنة فبيس فذرته الرياح فانتشر في بلاد الهند فيقال والله أعلم ان علة كون الطيب بارض الهند من ذلك الورق وقيل غير ذلك ولذلك خصت أرض الهند بالعود والقرنفل والافاويه والمسك وسائر الطيب وكذلك الجبل لمعت عليه اليواقيت وكان منه الماس وفي جزائر بحره السنباذج وفي قعره مغائص اللؤلؤ وان آدم لما أهبط من الجنة أخرج منها معه

له الملك اجمع جموعك الى ثلاثة أيام فجمع جموعه ففتح الله عليه بابا من البعوض فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها فبعثها الله عليهم فاكلتهم ولم يبق منهم الا العظام والملك كما هو لم يصبه شئ فارسل الله عليه بعوضة فدخلت فى منخره فمكث يضرب رأسه بالمطارق فأرحم الناس به من يجمع يديه ويضرب بهما رأسه وكان ملكه ذلك أربعمائة سنة وأماته الله تعالى وهو الذى بنى الصرح وقال جماعة ان نمروذ بن كنعان ملك مشرق الارض ومغربها وهذا قول يدفعه أهل العلم بالسير واخبار الملوك وذلك انهم لا ينكرون أن مولد ابراهيم كان أيام الضحاك الذى ذكرنا بعض اخباره فيما مضى وانه كان ملك شرق الارض وغربها وقول القائل ان الضحاك الذى ملك الارض هو نمرود ليس بصحيح لان أهل العلم بالمتقدمين يذكرون ان نسب نمرود فى النبط معروف ونسب الضحاك فى الفرس مشهور وانما الضحاك استعمل نمرود على السواد وما اتصل به يمنة ويسرة وجعله وولده عمالا على ذلك وكان هو ينتقل فى البلاد وكان وطنه ووطن أجداده دنباوند من جبال طبرستان وهناك رمى به افريدون حين ظفر به وكذلك يختص ذكر بعضهم أنه ملك الارض جميعها وليس كذلك وانما كان اصبهبذ ما بين الاهواز الى أرض الروم من غربى دجلة من قبل كسراسب لان كسراسب كان مشتغلا بقتال الترك مقيما بازائهم ببلخ وهو بناها لما تطاول مقامه هناك لحرب الترك ولم يملك أحد من النبط شبرا من الارض مستقلا برأسه فكيف الارض جميعها وانما تطاولت مدة نمرود بالسواد فمكث أربعمائة سنة ثم دخل من نسله بعد هلاكه جيل يقال له نبط بن قمون ملك بعده مائة سنة ثم كداوص بن نبط ثمانين سنة ثم بالش بن كداوص مائة وعشرين سنة ثم نمرود بن بالش سنة وشهرا فذلك سبعمائة سنة وسنة وشهد أيام الضحاك وظن الناس فى نمرود ما ذكرناه فلما ملك افريدون وقهر الازدهاق قتل نمرود بن بالش وشرد النبط وقتل فيهم مقتلة عظيمة

﴿ذكر قصة لوط وقومه﴾

قد ذكرنا مهاجر لوط مع ابراهيم عليه السلام الى مصر وعودهم الى الشام ومقام لوط بسدوم فلما أقام بها أرسله الله الى أهلها وكانوا أهل كفر بالله تعالى وركوب فاحشة كما قال تعالى لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فكان قطعهم السبيل أنهم كانوا يأخذون المسافر اذا مر بهم ويعملون به ذلك العمل الخبيث وهو اللواطة وأما اتيانهم المنكر فى ناديهم فقيل كانوا يحذفون من مر بهم ويسخرون منهم وقيل كانوا يتضارطون فى مجالسهم وقيل كان يأتى بعضهم بعضا فى مجالسهم وكان لوط يدعوهم الى عبادة الله وينهاهم عن الامور التى يكرهها الله منهم من قطع السبيل وركوب الفواحش واتيان الذكور فى الادبار ويتوعدهم على اصرارهم وترك التوبة بالعذاب الاليم فلا يزجرهم ذلك ولا يزيدهم وعظه الا تماديا واستعجالا لعقاب الله انكارا منهم لوعيده ويقولون له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين حتى سأل لوط ربه النصرة عليهم لما تطاول عليه أمرهم وتماديهم فى غيهم فبعث الله لما أراد هلاكهم ونصر رسوله جبرئيل وملكين آخرين معه أحدهما ميكائيل والآخر اسرافيل فاقبلوا فيما ذكر مشاة فى صورة رجال وأمرهم ان يبدؤا بابراهيم وسارة ويبشروه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا على ابراهيم وكان الضيف قد أبطأ عنه خمسة عشر يوما حتى شق ذلك عليه وكان يضيف من نزل به وقد وسع الله عليه

صرة من الحنطة وثلاثين قضيبا من شجرات الجنة مودعة أصناف الثمار منها عشرة نماله فشر وهى الجوز واللوز والجلوز وهو البندق والفستق والخشخاش والشاهبلوط والراتج والرمان والموز والباوط ومنها عشرة ذات نوى وهو الخوخ والمشمش والاجاص والرطب والغبيراء والنبق والزعرور والعناب والمقل والشاهلوج وهذا اسم فارسى وتفسيره ملك الاجاص ومنها ما لا قشر له ولا يزال دون مطعمها والنوى داخلها وهى التفاح والسفرجل والعنب والكمثرى والتين والتوت والاترج والقثاء والخيار والخروب ويقال ان آدم لما هبط من الجنة هو وحواء هبطا متفارقين فتعارفا بالموضع الذى يسمى عرفة وبتعارفهما فيه سمى بهذه التسمية وقيل غير ذلك وان آدم عليه السلام تاق الى حواء فغشيها فاشتملت على ذكر وانثى فسمى الذكر قاين والانثى لويذاء ثم عاود الغشيان فاشتملت حواء أيضا على ذكر وأنثى فسمى الذكر هابيل والانثى أقليمياء وقد تنوزع فى اسم الولد الاول فذهب الاكثر من

الرزق فرح بهم ورأى ضيفا لم ير مثلهم حسنا وجمالا فقال لا يخدم هؤلاء القوم أحد الا أنا بيدى فخرج الى أهله فجاء بعجل سمين قد حنذه أى أنضجه فقربه اليهم فامسكوا أيديهم عنه فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته سارة قائمة فضحكت لما عرفت من أمر الله ولما تعلم من قوم لوط فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فقالت وصكت وجهها آألد وأنا عجوز الى قوله حميد مجيد وكانت ابنة تسعين سنة وابراهيم ابن عشرين ومائة فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى ذهب يجادل جبرائيل فى قوم لوط فقال له أرأيت ان كان فيهم خمسون من المسلمين قالوا وان كان فيهم خمسون من المسلمين لم يعذبهم قال وأربعون قالوا وار بعون قال وثلاثون حتى بلغ عشرة قالوا وان كان فيهم عشرة قال ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير ثم قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين ثم مضت الملائكة نحو سدوم قرية لوط فلما انتهوا اليها لقوا لوطا فى أرض له يعمل فيها وقد قال الله تعالى لهم لا تهلكوهم حتى تشهدوا عليهم لوطا أربع شهادات فأتوه فقالوا انا ضيفوك الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت اليهم فقال لهم اما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية والله ما أعلم على ظهر الارض انسانا أخبث منهم حتى قال ذلك أربع مرات وقيل بل لقوا ابنته فقالوا ايا جارية هل من منزل قالت نعم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم خافت عليهم من قومها فاتت أباها وقالت يا أبتاه ادرك فتيانا على باب المدينة ما رأيت أصبح وجوها منهم لئلا يأخذهم قومك فيفضحوهم وكان قومه قد نهوه ان يضيف رجلا فجاءهم فلم يعلم الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فاخبرت قومها وقالت لهم قد نزل بنا قوم ما رأيت أحسن وجوها منهم ولا أطيب رائحة فجاءه قومه يهرعون اليه فقال يا قوم اتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد فنهاهم ورغبهم وقال هؤلاء بناتى هن أطهر لكم مما تريدون قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد أولم ننهك عن العالمين فلما لم يقبلوا منه قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد يعنى لو أن لى أعوانا أو عشيرة يمنعونى منكم فلما قال ذلك وجل عليه الرسل فقالوا ان ركنك لشديد ولم يبعث الله نبيا الا فى ثروة من قومه ومنعة من عشيرته وأغلق لوط الباب فعالجوه وفتح لوط الباب فدخلوا واستأذن جبرئيل ربه فى عقوبتهم فاذن له فبسط جناحه ففقأ أعينهم وخرجوا يدوسون بعضهم بعضا عميانا يقولون النجاء النجاء فان فى بيت لوط أسحر قوم فى الارض وقالوا للوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون فأخرجهم الله الى الشام وقال لوط أهلكوهم الساعة فقالوا لن نؤمر الا بالصبح أليس الصبح بقريب فلما كان الصبح ادخل جبرائيل وقيل ميكائيل جناحه فى أرضهم وقراهم الخمس فرفعها حتى سمع أهل السماء صياح ديكتهم ونباح كلابهم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل فأهلكت من لم يكن بالقرى وسمعت امرأة لوط الهدة فقالت واقوماه فأدركها حجر فقتلها ونجى الله لوطا وأهله الا امرأته وذكر أنه كان فيها أربعمائة ألف وكان ابراهيم يشرف عليها ويقول سدوم يوما هالك ومدائن قوم لوط خمس سدوم وصبعة وعمرة ودوما وصعوة وسدوم هى القرية العظمى قوله يهرعون اليه هو مشى بين الهرولة والجز

﴿ذكر وفاة سارة زوج ابراهيم عليه السلام وذكر أولاده وأزواجه﴾

لا يدفع أحد من أهل العلم ان سارة توفيت بالشام ولها مائة وسبع وعشرون سنة وقيل انها

كانت

أهل الكتاب وغيرهم ان اسمه قاين على ما ذكرنا ومنهم من رأى أن اسمه قابيل وهو قول فريق من الناس والاغلب ما قدمناه وقد ذكر على بن الجهم فى قصيدته فى بدء الخلق والذرء ذلك فقال

واقتفيا الابن فسمى قاينا
وعاينا من نشئه ما عاينا
فشب هابل وشب قاين

ولم يكن بينهما تباين

وذكر أهل الكتاب ان آدم زوج أخت هابيل لقاين وأخت قاين لهابيل وفرق فى النكاح بين البطنين وهذه سنة آدم عليه السلام احتياطا لا تقصى ما يكمه فى ذوى التحارم لموضع الاضطرار وعجز النسل عن التباين والاغتراب وقد زعمت المجوس ان آدم لم يخالف فى النكاح بين البطون ولم يحرم المخالفة ولهم فى هذا المعنى شعر يدعون فيه الفضل فى الصلاح بتزويج الاخ من أخته والام من ابنها وقد أتينا به فى الفن الرابع عشر من كتابنا الموسوم باخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال الخالية والممالك الدائرة وان هابيل وقاين قربا قربانا فتحرها هابيل أجود

كانت بقرية الجبابرة من أرض كنعان وقيل عاشت هاجر بعد سارة مدة والصحيح ان هاجر توفيت قبل سارة كما ذكرنا فى مسير ابراهيم الى مكة وهو الصحيح ان شاء الله تعالى فلما ماتت سارة تزوج بعدها قطورا ابنة يقطن امرأة من الكنعانيين فولدت له ستة نفر نفشان و زمران ومدين ومدان و نشق وسرح وكان جميع أولاد ابراهيم مع اسمعيل واسحق ثمانية نفر وكان اسمعيل بكره وقيل فى عدد أولاده غير ذلك فالبر بر من ولد نفشان وأهل مدين قوم شعيب من ولد مدين وقيل تزوج بعد قطورا امرأة أخرى اسمها حجون ابنة اهير

﴿ذكر وفاة ابراهيم وعدد ما أنزل عليه﴾

قيل لما أراد الله قبض روح ابراهيم أرسل اليه ملك الموت فى صورة شيخ هرم فرآه ابراهيم وهو يطعم الناس وهو شيخ كبير فى الحر فبعث اليه بحمار فركبه حتى أتاه فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فاه فيدخلها فى عينه وأذنه ثم يدخلها فاه فاذا دخلت جوفه خرجت من دبره وكان ابراهيم سأل ربه أن لا يقبض روحه حتى يكون هو الذى يسأله الموت فقال يا شيخ ما لك تصنع هذا قال يا ابراهيم الكبر قال ابن كم أنت فزاد على عمر ابراهيم سنتين فقال ابراهيم اغا بينى و بين أن أصير هكذا سنتان اللهم اقبضنى اليك فقام الشيخ وقبض روحه ومات وهو ابن مائتى سنة وقيل مائة وخمس وسبعين سنة وهذا عندى فيه نظر لان ابراهيم لا يخلو أن يكون قد رأى من هو أكبر منه بسنتين أو أكثر من ذلك فان من عاش مائتى سنة كيف لا يرى من هو أكبر منه بهذا القدر القريب ولكن هكذا روى ثم انه قد بلغه عمر نوح ولم يصبه شئ مما رأى بذلك الرجل وروى أبو ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال وأنزل الله على ابراهيم عشر صحائف قال قلت يا رسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال كانت أمثالا كلها أيها الملك المسلط المبتلى المغرور انى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا أردها ولو كانت من كافر وكان فيها أمثال (٣) منها وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله ان يكون له ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يفكر فيها فى صنع الله وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال فى المطعم والمشرب وعلى العاقل ان لا يكون ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاده أو مرمة لمعاشه أو لذة فى غير محرم وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن حسب كلامه من عمله قل الا فيما يعنيه وهو أول من اختتن وأول من أضاف الضيف وأول من اتخذ السراويل الى غير ذلك من الاقاويل

﴿ذكر خبر ولد اسمعيل بن ابراهيم﴾

قد ذكرنا فيما مضى سبب اسكان اسمعيل الحرم وتزوجه امرأة من جرهم وفراقه اياها بامر ابراهيم ثم تزوج اخرى وهى السيدة بنت مضاض الجرهمى وهى التى قال لها قولى لزوجك قد رضيت عتبة بابك فولدت لاسمعيل اثنى عشر رجلا نابت وقيذار واذيل وميشا ومسمع ورما وماش وآزر وقطورا وفاقس وطميا وقيدمان وكان عمر اسمعيل فيما يزعمون سبعا وثلاثين ومائة سنة ومن نابت وقيذار ابنى اسمعيل نشر الله العرب وأرسله الله تعالى الى العمالق وقبائل اليمن وقد ينطق أولاد اسمعيل بغير الالفاظ التى ذكرت ولما حضرت اسمعيل الوفاة اوصى الى أخيه اسحق ان يزوج ابنته من العيص بن اسحق وان يدفن عند قبر أمه هاجر بالحجر

غنمه وأفضل طعامه فقربه ونحر قاين شر ماله وقربه فكان من أمرهما ما قد حكاه الله تعالى فى كتابه العزيز من قتل قاين هابيل و يقال انه اغتاله فى برية قاع و يقال ان ذلك كان ببلاد دمشق من أرض الشأم وكان قتله شدخا بحجر فيقال ان الوحوش هنالك استوحشت من الانسان وذلك انه بدأ فبلغ الغرض بالشر والقتل فلما قتله تحير فى توريته وحمله يطوف به فبعث الله غرابا الى غراب فقتله ثم دفنه فأسف قاين ثم قال ما حكاه القرآن عنه يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فدفنه عند ذلك فلما علم آدم بذلك حزن وجزع وارتاع وهلع (قال المسعودى) وقد استفاض فى الناس شعر يعزونه الى آدم قاله حين حزن على ولده وأسف على فقده وهو

تغيرت البلاد ومن عليها
فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى لون وطعم
وقل بشاشة الوجه الصبيح
وبدل أهلها خطا واثلا
بجنات من الفردوس فيح
وجاورنا عدو ليس ينسى
لعين لا يموت فنستريح

وقيل قاين هابيل ظلما فوا أسفا على الوجه المليح

(٣) قوله وكان فيها امثال هكذا فى النسخ التى بأيدينا والاولى حذفها أو ابدال امثال بمواعظ اه

﴿ذكر اسحق بن ابراهيم وأولاده﴾

قيل ونكح اسحق رفقا بنت بتويل فولدت له عيص ويعقوب توأمين وان عيص كان أكبرهما وكان عمر اسحق لما ولد له ستين سنة ثم نكح عيص ابن اسحق نسمة بنت عمه اسمعيل فولدت له الروم بن عيص وكل بني الاصفر من ولده وزعم بعض الناس ان اشبان من ولده ونكح يعقوب ابن اسحق وهو اسرائيل ابنة خاله ليا بنت لبان بن بتويل فولدت له روبيل وكان أكبر ولده وشمعون ولاوي ويهوذا وزبالون ولشحر وقيل ويشحر ثم توفيت ليا فتزوج اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وهو بالعبرية شداد وولد له من سريتين أربعة نفردان ونفتالي وجاد واشر فكان ليعقوب اثنا عشر رجلا قال السري تزوج اسحق بجارية فحملت بغلامين فلما أرادت ان تضع أراد يعقوب ان يخرج قبل عيص فقال عيص والله لئن خرجت قبلي لاعترض في بطن أمي ولاقتلنها فتأخر يعقوب وخرج عيص وأخذ يعقوب بعقب عيص فسمي يعقوب وسمي أخوه عيص لعصيانه وكان عيص احبهما الى أبيه ويعقوب أحبهما الى أمه وكان عيص صاحب صيد فقال له اسحق لما كبر وعمي يابني اطعمني لحم صيد واقترب مني أدع لك بدعاء دعا لي به أبي وكان عيص رجلا أشعر وكان يعقوب أجرد وسمعت أمهما ذلك فقالت ليعقوب يابني اذبح شاة واشوها والبس جلدها وقربها الى أبيك وقل له أنا ابنك عيص ففعل ذلك يعقوب فلما جاء قال يا أبتاه كل قال من أنت قال أنا ابنك عيص فمسحه اسحق فقال المس مس عيص والريح ريح يعقوب فقالت أمه انه عيص فكل فاكل ودعا له ان يجعل الله في ذريته الانبياء والملوك وقام يعقوب وجاء عيص وكان في الصيد فقال لابيه قد جئتك بالصيد الذي طلبت فقال يابني قد سبقك أخوك فخاف عيص ليقتلن يعقوب فقال يابني قد بقيت لك دعوة فدعا له أن تكون ذريته عدد التراب وان لا يملكهم غيرهم وهرب يعقوب خوفا من أخيه الى خاله وكان يسري بالليل ويكمن بالنهار فلذلك سمي اسرائيل ثم ان يعقوب تزوج ابنتي خاله وجمع بينهما فلذلك قال الله تعالى وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف وولد له منهما فماتت راحيل في نفاسها بنيامين وأراد يعقوب الرجوع الى بيت المقدس فاعطاه خاله قطيع غنم فلما ارتحلوا لم يكن لهم نفقة فقالت زوجة يعقوب ليوسف اسرق صنما من أصنام أبي نستنفق منه فسرق صنما من أصنام أبيها واحب يعقوب يوسف وأخاه بنيامين حبا شديدا اليتيمهما وقال يعقوب لراع من الرعاة اذا أتاكم أحد يسألكم من أنتم فقولوا نحن ليعقوب عبد عيص فلقيهم عيص فسألهم فاجابه الراعي بذلك الجواب فكف عيص عن يعقوب ونزل يعقوب الشام ومات اسحق بالشام وعمره مائة وستون سنة ودفن عند أبيه ابراهيم عليه السلام

﴿قصة أيوب عليه السلام﴾

وهو رجل من الروم من ولد عيص وهو أيوب بن موص بن رازح بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وقيل موص بن روعيل بن عيص وكانت زوجته التي أمر ان يضربها بالضغث ليا ابنة يعقوب بن اسحق وقيل هي رحمة ابنة افرايم بن يوسف وكانت أمه من ولد لوط وكان دينه التوحيد والاصلاح بين الناس واذا أراد حاجة سجد ثم طلبها وكان من حديثه وسبب بلائه ان ابليس سمع تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب حين ذكره الله فحسده وسأل الله ان يسلطه عليه ليفتنه عن دينه فسلطه على ماله حسب فجمع ابليس عظماء أصحابه من العفاريت وكان لايوب البثنية جميعها من اعمال دمشق بما فيها وكان له فيها ألف شاة برعاته وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل

فقالي لا أجود بسكب دمع
وهابيل تضمنه الضريح
أرى طول الحياة علي غما
وما أنا من حياتي مستريح
ووجدت في عدة من كتب التواريخ والسير والانساب ان آدم لما نطق بهذا الشعر أجابه ابليس من حيث يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول
تنح عن البلاد وساكنيها
فقد في الارض ضاق بك الفسيح
وكنت وزوجك الحواء فيها
أآدم من أذى الدنيا مريح
فما زالت مكايدتي ومكري
الى ان فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الرحمن أضحت
بكفك من جنان الخلد ريح
ووجدت أن آدم عليه السلام سمع صوتا ولا يرى شخصا وهو يقول بيتا آخر مفردا دون ما ذكرنا من هذا الشعر وهو هذا البيت
أباها هابيل قد قتلا جميعا
وصار الحي بالموت الذبيح
فلما سمع آدم ذلك ازداد حزنا وجزعا على الماضي والباقي وعلم ان القاتل مقتول فاوحى الله اليه اني مخرج منك نوري الذي به السلوك في القنوات الطاهرة والارومات الشريفة وأباهي به الانوار وأجعله خاتم الانبياء وأجعله خيار الائمة الخلفاء وأختم الزمان بهم وأخص الارض

عبد امرأة وولد ومال ويحمل آلة الفدان اثنان ولكل اثنان ولد واثنان ومافوق ذلك فلما جمعهم ابليس قال ما عندكم من القوة والمعرفة فانى قد تسلطت على مال أيوب فقال كل منهم قولا فارسلهم فاهلكوا ماله كله وأيوب يحمد الله ولا يرجع عن الجد فى عبادته والشكر له على ما أعطاه والصبر على ما ابتلاه فلما رأى ذلك ابليس من أمره سأل الله ان يسلطه على ولده فسلط ولم يجعل له سلطانا على جسده ولا عقله وقلبه فاهلك ولده كلهم ثم جاء اليه متمثلا بعمله الذى كان يعلمهم الحكمة جريحا مشدوخا يرقه حتى رق أيوب فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه فسر بذلك ابليس ثم ان أيوب ندم لذلك وجد واستغفر فصعد حفظته من الملائكة بتوبته الى الله قبل ابليس فلما لم يرجع أيوب عن عبادة ربه والصبر على ما ابتلاه به سأل الله تعالى ان يسلطه على جسده فسلطه عليه خلا لسانه وقلبه وعقله فانه لم يجعل له على ذلك سلطانا فجاءه وهو ساجد فنفخ فى منخره نفخة اشتعل منها جسده وصار أمره الى ان انتثر لحمه وامتلأ جسده دودا فان كانت الدودة لتسقط من جسده فيردها اليه ويقول كلى من رزق الله وأصابه الجذام وكان أشد من ذلك عليه انه كان يخرج فى جسده مثل ثدى المرأة ثم يتفقأ وأنتن حتى لم يطق احد ان يشم ريحه فاخرجه أهل القرية منها الى الكناسة خارج القرية لا يقربه أحد الا زوجته وكانت تختلف اليه بما يصلحه فبقى مطروحا على الكناسة سبع سنين ما يسأل الله ان يكشف ما به وما على وجه الارض أكرم على الله منه وقيل كان سبب بلائه ان أرض الشام اجدبت فارسل فرعون الى أيوب ان هلم الينا فان لك عندنا سعة فاقبل باهله وخيله وماشيته فاقطعهم فرعون القطائع ثم ان شعيبا النبى دخل الى فرعون فقال يا فرعون اما تخاف ان يغضب الله غضبة فيغضب لغضبه أهل السماء وأهل الارض والبحار والجبال وأيوب ساكت لا يتكلم فلما خرجا أوحى الله الى ايوب يا أيوب سكت عن فرعون لذهابك الى أرضه استعد للبلاء فقال أيوب أما كنت اكفل اليتيم وآوى الغريب وأشبع الجائع واكسى العارية خرت سحابة يسمع فيها عشرة آلاف صوت من الصواعق يقولون من فعل ذلك يا أيوب فأخذ ترابا فوضعه على رأسه وقال أنت يا رب فاوحى الله اليه استعد للبلاء قال فدينى قال اسلمك قال فما أبالى وقيل كان السبب غير ذلك وهو نحو مما ذكرناه فلما ابتلاه الله واشتد البلاء قالت امرأته انك رجل مجاب الدعوة فادع الله ان يشفيك فقال كم فى النعماء سبعين سنة فلنصبر فى البلاء سبعين سنة والله لئن شفانى الله لاجلدنك مائة جلدة وقيل انما اقسم ليجلدنها لان ابليس ظهر لها وقال بما أصابكم ما أصابكم قالت بقدر الله قال وهذا أيضا بقدر الله فاتبعينى فاتبعته فأراها جميع ما ذهب منهم فى واد وقال اسجدى لى وأرد عليكم فقالت ان لى زوجا استأمره فلما أخبرت ايوب قال الم تعلمى ان ذلك الشيطان لئن شفيت لاجلدنك مائة جلدة وأبعدها وقال لها طعامك وشرابك على حرام لا اذوق مما تأتينى به شيأ فابعدى عنى فلا أراك فذهبت عنه فلما رأى أيوب ان امرأته قد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا وقال رب انى مسنى الضر وانت أرحم الراحمين كرر ذلك فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ورد الله اليه جسده وصورته واما امرأته فقالت كيف اتركه وليس عنده أحد يموت جوعا وتأكله السباع فرجعت اليه فرأت ايوب وقد عوفى فلم تعرفه فجعلت حيث لم تره على حاله فقالت له يا عبد الله هل رأيت ذلك الرجل المبتلى الذى كان ههنا قال وهل تعرفينه اذا رأيتيه قالت نعم قال هو انا فعرفته وقيل انما

بدعوتهم وانتشرها بشيعتهم
فشمر وتطهر وقدس وسبح
واغتسل زوجتك على طهارة
منها فان وديعتى تنتقل الى
الولد الكائن منكما فواقع
آدم حواء فحملت لوقتها
وأشرق جبينها وتلألأ
النور فى محابلها ولمع من
محاجرها حتى اذا انتهى
حملها وضعت نسمة كأسرة
ما يكون من الذكران وأتمهم
وقارا وأحسنهم صورة
وأكملهم هيئة وأعدلهم
خلقا مجللا بالنور والهيبة
موشحا بالجلالة والابهة
فانتقل النور من حواء
اليه حتى لمع فى أسارير جبهته
ويسق فى غرة طلعته فسماه
آدم شيثا وقيل شيث هبة
الله حتى اذا ترعرع ويفع
وكهل واستبصر أوعز اليه
آدم وصيته وعرفه محل
ما استودعه وأعلمه انه حجة
الله بعده وخليفته فى الارض
والمؤدى حق الله الى أوصيائه
وأنه ثانى انتقال الذرة
الطاهرة والجرثومة
الزاهرة ثم ان آدم حين
أدى الوصية الى شيث
احتقبها واحتفظ بمكنونها
وأتت وفاة آدم عليه
السلام وقرب انتقاله
فتوفى يوم الجمعة لست
خلون من نيسان فى
الساعة التى كان فيها خلقه
وكان عمره عليه السلام

تسعمائة سنة وثلاثين سنة
وكان قد وصى ابنه شيثا عليه
السلام على ولده وقال ان
آدم مات عن اربعين ألفا
من ولده وولد ولده وتنازع
الناس في قبره فمنهم من زعم
ان قبره بنى في مسجد الخيف
ومنهم من رأى انه في كهف
جبل أبي قبيس وقيل غير
ذلك والله أعلم بحقيقة الحال
وان شيثا حكم في الناس
واستشرع صحف أبيه وما
أنزل عليه في خاصته من
الاسفار والاشراع وان
شيثا واقع امرأته فحملت
بأنوش فانتقل النور اليها
حتى اذا وضعته لاح النور
عليه فلما بلغ الوصاة أوعز
اليه شيث في شان الوديعة
وعرفه شأنها وانها شرفهم
وكرمهم وأوعز اليه أن ينبه
ولده على حقيقة هذا
الشرف وكبر محله وأن
يبهوا أولادهم عليه ويجعل
ذلك فيهم وصية متنقلة
مادام النسل فكانت
الوصية جارية تنتقل من
قرن الى قرن الى ان أدى الله
النور الى عبد المطلب
وولده عبد الله ابي رسول
الله صلى الله عليه وسلم
وهذا موضع تنازع الناس
فيه من أهل الملة ممن قال
بالنص وغيرهم من أصحاب
الاختيار والقائلون بالنص
هم الاباضية أهل الامامة

قال مسني الضر لما وصل الدود الى لسانه وقلبه خاف ان يبطل عن ذكر الله تعالى والفكر ورد الله
اليه اهله ومثلوهم معهم قيل هم باعيانهم وقيل رد الله اليه امرأته وولد لها شبابا فولدت له ستة
وعشرين ذكرا وانزل الله اليه ملكا فقال يا ايوب ان الله يقرئك السلام لصبرك على البلاء اخرج
الى أندرك فخرج اليه فبعث الله سحابة فألقت عليه جرادا من ذهب وكانت الجراد تذهب
فيتبعها حتى يردها في اندره فقال الملك اما تشبع من الداخل حتى تتبع الخارج فقال ان هذه البركة
من بركات ربي لست اشبع منها وعاش ايوب بعد ان رفع عنه البلاء سبعين سنة ولما عوفي امره الله
ان يأخذ عرجونا من النخل فيه مائة شمراخ فيضرب به زوجته ليبر من يمينه ففعل ذلك وقول أيوب
رب اني مسني الضر دعاء لبس بشكوى ودليله قوله تعالى فاستجبنا له وكان من دعاء ايوب أعوذ بالله
من جار عين ترانى ان رأى حسنة ستراها وان رأى سيئة ذكرها وقيل كان سبب دعائه انه كان
فد اتبعه ثلاثة نفر على دينه اسم احدهم بلدد والآخر اليفر والثالث صافر فانطلقوا اليه وهو في
البلاء فبكتوه أشد تبكيت وقالوا له لقد اذنبت ذنبا ما اذنبه احد فلهذا لم يكشف العذاب عنك
وطال الجدال بينهم وبينه فقال فتى كان معهم لهم كلاما رد عليهم فقال قد تركتم من القول
أحسنه ومن الرأي أصوبه ومن الامر أجمله وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام أفضل من
الذي وصفتم فهل تدرون حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتم ألم تعلموا أن
أيوب نبي الله وخيرته من خلقه يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يعلمكم الله انه سخط شيأ من أمره ولا انه نزع
شيأ من الكرامة التي أكرم الله بها عباده ولا أن ايوب فعل غير الحق في طول ما صحبتموه فان كان
البلاء هو لدى ازرى به عندكم ووضعه في نفوسكم وقد علتم ان الله يبتلي النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لأولئك دليلا على سخطه عليهم ولا على هوانهم عليه ولكنها
كرامة وخيرة لهم وأطال في هذا النحو من الكلام ثم قال لهم وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر
الموت ما يكل ألسنتكم ويكسر قلوبكم ويقطع حجتكم الم تعلموا ان لله عبادا اسكتتهم خشيته عن
الكذب من غير عي ولا بكم وانهم لهم الفصحاء الالباء العالمون بالله وآياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة
الله انكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم وطاشت احلامهم وعقولهم فزعا من الله وهيبة له فاذا
أفاقوا استبشروا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون انفسهم مع الظالمين وانهم لابرار ومع
المقصرين وانهم لاكياس أتقياء ولكنهم لا يستكثرون لله عز وجل الكثير ولا يرضون له القليل
ولا يدلون عليه بالاعمال فهم أبدا لقيتهم خائفون منه يعون وجلون فلما سمع ايوب كلامه قال ان
الله ينزع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فتى كانت في القلب ظهرت على اللسان
ولا تكون الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة واذا جعل الله تعالى عبدا حكيما
عند الصبا لم تسقط منزلته عند الحكام ثم اقبل على الثلاثة فقال رهبتم قبل ان تسترهبوا وبكيتم
قبل ان تضربوا كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عني باموالكم لعل الله ان يخلصني أو قربوا قربانا
لعل الله ان يتقبل ويرضى عني وانكم قد اجتهدتم انفسكم فظننتم انكم عوفيتم باحسانكم فبئتم
وتعززتم لو صدقتم ونظرتم بينكم وبين ربكم لوجدتم لكم عيبا باسترها الله بالعافية وقد كنت فيما
خلا والرجال يوقرونني وأنا مسموع كلامي معروف من حقي مستنصف من خصمي فاصبحت
اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم فانتم أشد علي من مصيبتي ثم اعرض عنهم واقبل على ربه
مستغيثا به متضرعا اليه فقال رب لاي شيء خلقتني ليتني ان كرهتني لم تخلقني يا ليتني كنت حيضة

ملقاه و يا ليتني عرفت الذنب الذي اذنبت فصرفت وجهك الكريم عني لو كمت امتني فالموت أجمل بي ألم اكن للغريب دارا وللمسكين قرارا واليتيم وليا وللارملة قيما الهي أباعبد ذليل ان أحسنت فالمن لك وان اسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا فقد وقع علي البلاء لو سلطته على جبل الضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي ذهب المال فصرت اسأل بكفي فيطعمني من كمت أعوله اللقمة الواحدة فيمنها علي ويعيرني اهلك أولادي ولو بقي أحدهم أعانني قد ملني أهلي وعقني ارحامي فتنكرت معارفي ورغب عني صديقي وحمدت حقوقي وسيئت صنائعي اصرخ فلا يصرخ وني واعتذر فلا يعذرني دعوت غلامي فلم يجبني وتضرعت الى أمتي فلم ترحمني وان قضاءك هو الذي آذاني واقاني وان سلطانك هو الذي اسقمني فلوان ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم مل مفي ثم كان ينبغي للعبد ان يحاج مولاه عن نفسه لرجوت ان تعافيني عند ذلك ولكنه القاني وعلا عني فهو يراني ولا اراه و يسمعني ولا أسمعه لا نظر الي فرحمني ولا دناني فاتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي فلما قال أيوب ذلك أطلتهم غمامة ونودي منها يا أيوب ان الله يقول قد دنوت منك ولم ازل منك قريبا فقم فادل بحجتك وتكلم ببراءتك وقم مقام جبار فانه لا ينبغي ان يخاصمني الا جبار تجعل الزبار في فم الاسد و اللجام في فم التنين وتكيل مكيالا من النور وتزن مثقالا من الريح وتصر صرة من الشمس وترد امس لقد منتك نفسك أمرا لا تبلغه بمثل قوتك أردت ان تكابرني بضعفك أم تخاصمني بعبك ام تحاجني بخطلك أين أنت مني يوم خلقت الارض هل علمت باي مقدار قدرتها اين كمت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا بعلائق ولا بدعائم تحملها هل تبلغ حكمتك ان تجري نورها او تسير نجومها او يختلف امرك ليلها ونهارها وذكر أشياء من مصنوعات الله فقال أيوب قصرت عن هذا الامر ليت الارض انشقت لي فذهبت فيها ولم اتكلم شيئا يسخطك الهي اجتمع علي البلاء وانا أعلم ان كل الذي دكرت صنع يديك وتدبير حكمتك لا يحرك شيئ ولا تخفى عليك خافية تعلم ما تحوي القلوب وقد علمت في بلائي ما لم اكن اعلمه كنت اسمع بسطوتك سمعا فاما الآن فهو نظر العين انما تكلمت بما تكلمت به لتعذرني وسكت لترحمني وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني وألصقت بالعراب خدي فدسست فيه وجهي فلا أعود لشيئ تكرهه ودعا فقال الله يا أيوب نفذ فيك حكمي وسبقت رحمتي غضبي قد غفرت لك ورددت عليك اهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وعبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء وقرب عن أصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك فركض برجله فانفجرت له عين ماء فاغتسل فيها فرفع الله عنه البلاء ثم خرج فجلس واقبلت امرأته فسألته عنه فقال هل تعرفينه قالت نعم مالي لا اعرفه فتبسم فعرفته بضحكه فاعتنقته فلم تفارقه من عناقه حتى مر بهما كل مال لهما وولد وانما ذكرته قبل يوسف وقصته لما ذكر بعضهم من أمره وانه كان نبيا في عهد يعقوب وذكر ان عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة وانه أوصى عند موته الى ابنه حوصل وان الله بعث بعده ابنه بشر بن أيوب نبيا وسماه ذا الكفل وكان مقيما بالشام حتى مات وكان عمره خمسا وسبعين سنة فاوصى الى ابنه عيدان وان الله بعث بعده شعيب بن صفيون بن عنقا بن نابت بن مدين بن ابراهيم عليه السلام

﴿ذكر قصة يوسف عليه السلام﴾

من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه والطاهرين من ولده الذين زعموا ان الله لم يخل عصرا من الاعصار من قائم بحق الله اما أنبياء واما أوصياء منصوص عن أسمائهم واعيانهم من الله ورسوله وأصحاب الاخبار هم فقهاء الامصار والمتزلة وفرق من الخوارج والمرجئة وكثير من أصحاب الحديث والعوام وفرق من الزيدية فزعم هؤلاء ان الله ورسوله فوض الى الامة ان تختار رجلا منها فتنصبه لها اماما وان بعض الاعصار قد يخلو من حجة لله وهو الامام المعصوم عند الشيعة وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب لمعاني ايضاح ما وصفنا من أقاويل المتنازعين وتبيان المختلفين وان انوش قد لبث في الارض بعمرها وقد قيل والله أعلم ان شيثا أصل النسل من آدم دون سائر ولده وقيل غير ذلك وفي زمن انوش قتل قابن ابن آدم قابل أخيه ولمقتله خبر عجيب قد أوردناه في اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وكانت وفاة انوش لثلاث خلون من تشرين الاول فكانت مدته تسعمائة سنة وستين سنة وكان قد ولد له قينان ولاح النور في جبينه وأخذ عليه

ذكروا أن اسحق توفى وعمره ستون ومائة سنة وقبره عند أبيه ابراهيم قبره ابناه يعقوب وعيص
فى مزرعة حيرون وكان عمر يعقوب مائة وسبعا واربعين سنة وكان ابنه يوسف قد قسم له ولامه
شطر الحسن وكان يعقوب قد دفعه الى أخته ابنة اسحق تحضنه فاحبته حبا شديدا وأحبه يعقوب
أيضا حبا شديدا فقال لاخته يا أخية سلمى الى يوسف فوالله ما أقدر ان يغيب عنى ساعة فقالت
والله ما انا بتاركته ساعة فأصر يعقوب على أخذه منها فقالت اتركه عندى أياما لعل ذلك يسلينى ثم
عمدت الى منطقة اسحق وكانت عندها لانها كانت اكبر ولده فحزمتها على وسط يوسف ثم قالت
قد فقدت المنطقة فانظروا من أخذها فالتمست فقالت اكشفوا أهل البيت فكشفوهم
فوجدوها مع يوسف وكان من مذهبهم ان صاحب السرقة يأخذ السارق له لا يعارضه فيه أحد
فاخذت يوسف فامسكته عندها حتى ماتت وأخذه يعقوب بعد موتها فهذا الذى تقول اخوة
يوسف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل وقيل فى سرقته غير هذا وقد تقدم فلما رأى اخوة يوسف
محبة أبيهم له واقباله عليه حسدوه وعظم عندهم ثم ان يوسف رأى فى منامه كأن احد عشر كوكبا
والشمس والقمر تسجد له فقصها على أبيه وكان عمره حينئذ اثنتى عشرة سنة فقال له أبوه يا بنى
لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين ثم عبر له رؤياه
فقال وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث وسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف
لابيه فقالت لها يا يعقوب اكتمى ما قال يوسف لا تخبرى أولادك قالت نعم فلما أقبل أولاد يعقوب
من الرعى أخبرتهم بالرؤيا فازدادوا حسدا وكراهة له وقالوا ما عنى بالشمس غير ابينا ولا بالقمر غيرك
ولا بالكواكب غيرنا ان ابن راحيل يريد ان يملك علينا ويقول أنا سيدكم وتأمر وابينهم ان
يفرقوا بينه وبين أبيه وقالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفى ضلال مبين
فى خطأ بين فى ايثارهما علينا اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من
بعده قوما صالحين اى تائبين فقال قائل منهم وهو يهودا وكان أفضلهم وأعقلهم لا تقتلوا يوسف
فان القتل عظيم وألقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة واخذ عليهم العهود انهم لا يقتلونه
فاجمعوا عند ذلك ان يدخلوا على يعقوب ويكلموه فى ارسال يوسف معهم الى البرية واقبلوا اليه
ووقفوا بين يديه وكذلك كانوا يفعلون اذا أرادوا منه حاجة فلما رآهم قال ما حاجتكم قالوا يا أبانا
مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون نحفظه حتى نرده أرسله معنا الى الصحراء يرتع ويلعب
وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب انه ليحزننى ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون
لا تشعرون وانما قال لهم ذلك لانه كان رأى فى منامه كأن يوسف على رأس جبل وكأن عشرة من
الذئاب قد شدوا عليه ليقتلوه واذا ذئب منها يحمى عنه وكأن الارض انشقت فذهب
فيها فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة ايام فلذلك خاف عليه الذئب فقال له بنوه لئن اكله الذئب
ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما سمع يعقوب ذلك اطمأن اليهم فقال يوسف يا أبت ارسلنى
معهم قال أوتحب ذلك قال نعم فاذن له فلبس ثيابه وخرج معهم وهم يكرمونه فلما برزوا الى البرية
أظهروا له العداوة وجعل بعض اخوته يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه فجعل لا يرى منهم
رحيما فضربوه حتى كادوا يقتلونه وجعل يصيح يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما يصنع بابنك بنوا الاماء فلما
كادوا يقتلونه قال لهم يهودا أليس قد أعطيتمونى موثقا ان لا تقتلوه فانطلقوا به الى الجب فأوثقوه
كتافا ونزعوا قميصه وألقوه فيه فقال يا اخوته ردوا على قميصى أوارى به فى الجب فقالوا ادع

ذكروا أن اسحق توفى وعمره ستون ومائة سنة وقبره عند أبيه ابراهيم قبره ابناه يعقوب وعيص فى مزرعة حيرون وكان عمر يعقوب مائة وسبعا واربعين سنة وكان ابنه يوسف قد قسم له ولامه شطر الحسن وكان يعقوب قد دفعه الى أخته ابنة اسحق تحضنه فاحبته حبا شديدا وأحبه يعقوب أيضا حبا شديدا فقال لاخته يا أخية سلمى الى يوسف فوالله ما أقدر ان يغيب عنى ساعة فقالت والله ما انا بتاركته ساعة فأصر يعقوب على أخذه منها فقالت اتركه عندى أياما لعل ذلك يسلينى ثم عمدت الى منطقة اسحق وكانت عندها لانها كانت اكبر ولده فحزمتها على وسط يوسف ثم قالت قد فقدت المنطقة فانظروا من أخذها فالتمست فقالت اكشفوا أهل البيت فكشفوهم فوجدوها مع يوسف وكان من مذهبهم ان صاحب السرقة يأخذ السارق له لا يعارضه فيه أحد فاخذت يوسف فامسكته عندها حتى ماتت وأخذه يعقوب بعد موتها فهذا الذى تقول اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل وقيل فى سرقته غير هذا وقد تقدم فلما رأى اخوة يوسف محبة أبيهم له واقباله عليه حسدوه وعظم عندهم ثم ان يوسف رأى فى منامه كأن احد عشر كوكبا والشمس والقمر تسجد له فقصها على أبيه وكان عمره حينئذ اثنتى عشرة سنة فقال له أبوه يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين ثم عبر له رؤياه فقال وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث وسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لابيه فقالت لها يا يعقوب اكتمى ما قال يوسف لا تخبرى أولادك قالت نعم فلما أقبل أولاد يعقوب من الرعى أخبرتهم بالرؤيا فازدادوا حسدا وكراهة له وقالوا ما عنى بالشمس غير ابينا ولا بالقمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا ان ابن راحيل يريد ان يملك علينا ويقول أنا سيدكم وتأمر وابينهم ان يفرقوا بينه وبين أبيه وقالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفى ضلال مبين فى خطأ بين فى ايثارهما علينا اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين اى تائبين فقال قائل منهم وهو يهودا وكان أفضلهم وأعقلهم لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم وألقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة واخذ عليهم العهود انهم لا يقتلونه فاجمعوا عند ذلك ان يدخلوا على يعقوب ويكلموه فى ارسال يوسف معهم الى البرية واقبلوا اليه ووقفوا بين يديه وكذلك كانوا يفعلون اذا أرادوا منه حاجة فلما رآهم قال ما حاجتكم قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون نحفظه حتى نرده أرسله معنا الى الصحراء يرتع ويلعب وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب انه ليحزننى ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لا تشعرون وانما قال لهم ذلك لانه كان رأى فى منامه كأن يوسف على رأس جبل وكأن عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليقتلوه واذا ذئب منها يحمى عنه وكأن الارض انشقت فذهب فيها فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة ايام فلذلك خاف عليه الذئب فقال له بنوه لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما سمع يعقوب ذلك اطمأن اليهم فقال يوسف يا أبت ارسلنى معهم قال أوتحب ذلك قال نعم فاذن له فلبس ثيابه وخرج معهم وهم يكرمونه فلما برزوا الى البرية أظهروا له العداوة وجعل بعض اخوته يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه فجعل لا يرى منهم رحيما فضربوه حتى كادوا يقتلونه وجعل يصيح يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما يصنع بابنك بنوا الاماء فلما كادوا يقتلونه قال لهم يهودا أليس قد أعطيتمونى موثقا ان لا تقتلوه فانطلقوا به الى الجب فأوثقوه كتافا ونزعوا قميصه وألقوه فيه فقال يا اخوته ردوا على قميصى أوارى به فى الجب فقالوا ادع

العهد فعمر البلاد حتى مات فكانت مدته تسعمائة سنة وعشرين سنة وقد قيل ان مونه كان فى غور بعد ما ولد له مهلائيل فكانت مدة مهلائيل ثمانمائة سنة وقد ولد له لود والنور متوارث والعهد ماخوذ والحق قائم ويقال ان كثيرا من الملاهى أحدثت فى ايامه أحدثها ولد قاين قاتل أخيه ولولد قاين مع ولد لود حروب وقصص قد أتينا على ذكرها فى كتابنا اخبار الزمان ووقع التحارب بين ولد شيث وبين غيرهم من ولد قاين واكثر هذا النوع بأرض قار من أرض الهند والى بلادهم أضيف العود القمارى فكانت حياة لود سبعمائة سنة واثنتين وثلاثين سنة وكانت وفاته فى اذار وقام بعده ولده (خنوخ) وهو ادريس النبى صلى الله عليه وسلم والصابئة تزعم انه هو هرمس ومعنى هرمس عطارد وهو الذى أخبر الله عز وجل فى كتابه انه رفعه مكانا عليا وهو أول من درز الدروز وخاط بالابرة وأنزل عليه ثلاثون صحيفة وكان قد نزل قبل ذلك على آدم احدى وعشرون صحيفة وأنزل على شيث تسع وعشرون صحيفة فيها تسابيح وتسابيح وقام بعده (متوشلخ)

الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا يوانسونك قال انى لم أرشيا فدلوه فى الجب فلما بلغ نصفه ألقوه وأرادوا أن يموت وكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم أوى الى صخرة فقام عليها ثم نادوه فظن أنهم قد رجعوه فاجابهم فارادوا أن يرضخوه بالحجارة فمنعهم يهودا ثم أوحى الله اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون بالوحى وقيل لا يشعرون انه يوسف والجب بأرض بيت المقدس معروف ثم عادوا الى أبيهم عشاء يبكون فقالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب فقال لهم أبوهم بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل ثم قال لهم أروني قميصه فأروه فقال تالله ما رأيت ذئبا أحلم من هذا أكل ابنى ولم يشق قميصه ثم صاح وخر مغشيا عليه ساعة فلما أفاق بكى بكاء طويلا فأخذ القميص يقبله ويشمه وأقام يوسف فى الجب ثلاثة أيام وأرسل الله ملكا فحل كتافه ثم جاءت سيارة فأرسلوا واردهم وهو الذى يتقدم الى الماء فأدلى دلوه الى البئر فتعلق به يوسف فأخرجه من الجب وقال يا بشرى هذا غلام أى تبا شروا وقيل بشرى اسم غلام وأسروه بضاعة يعنى الوارد وأصحابه خافوا ان يقول اشتريناه فيقول الرفقة أشركونا فيه فقال ان أهل الماء استبضعونا هذا الغلام وجاء يهودا بطعام ليوسف فلم يره فى الجب فنظر فرآه عند مالك فى المنزل فاخبر اخوته بذلك فأتوا مالكا وقالوا هذا عبد ابق منا وخافهم يوسف فلم يذكر حاله واشتروه من اخوته بثمن بخس قيل عشرون درهما وقيل أربعون درهما وذهبوا به الى مصر فكساه مالك وعرضه للبيع فاشتراه قطفير وقيل اطفير وهو العزيز وكان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العمالقة قيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن بيوسف ومات ويوسف حى وملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف فلم يؤمن فلما اشترى يوسف وأتى به الى منزله قال لامرأته واسمها راعيل أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا اذ افهم الامور بعض ما نحن بسبيله او نتخذه ولدا وكان لا يأتى النساء وكانت امرأته حسناء ناعمة فى ملك ودنيا فلما خلا من عمر يوسف ثلاث وثلاثون سنة آتاه الله العلم والحكمة قبل النبوة وراودته راعيل عن نفسه وأغلقت الابواب عليه وعلمها ودعته الى نفسها فقال معاذ الله انه ربى يعنى ان زوجك سيدى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون يعنى ان خيانته ظلم وجعلت تذكر محاسنه وتشوقه الى نفسها فقالت له يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول ما ينتثر من جسدى قالت يا يوسف ما أحسن عينيك قال هى أول ما يسيل من جسدى قالت ما أحسن وجهك قال هو للتراب فلم تزل به حتى همت وهم بها وذهب ليحل سراويله (٢) فاذا هو بصورة يعقوب قد عض على اصبعه يقول يا يوسف أتواقعها فتصير مثلك ما لم تواقعها مثل الطير فى جو السماء لا يطاق ومثلك اذا واقعتها مثل اذا مات وسقط الى الارض وقيل جلس بين رجليها فرأى فى الحائط ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فقام حين رأى برهان ربه هاربا يريد الباب فادركته قبل خروجه من الباب فجذبت قميصه من قبل ظهره فقدته وألفيا سيدها لدى الباب وابن عمها معه فقالت له ما جزاء من أراد بأهلك سوأ الا ان يسجن قال يوسف بل هى راودتنى عن نفسى فهربت منها فادركتنى فقدت قميصى قال لها ابن عمها تبيان هذا فى القميص فان كان قد من قبل فصدقت وان كان قد من دبر وكذبت فأتى بالقميص فوجده قد من دبر فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وقيل كان الشاهد صبيا فى المهد قال ابن عباس تكلم أربعة فى المهد وهم صغار ابن ماشطة امرأة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم وقال لزوجها يوسف أعرض عن هذا أى ذكر ما كان منها فلا تذكره لاحد ثم قال لزوجته استغفرى لذنبك انك

ابن خنوخ فعمر البلاد والنور فى جبينه وولد له أولاد وقد تكلم الناس فى كثير من ولده وان البلغر والروس والصقالبة من ولده وكانت حياته تسعمائة سنة وستين سنة ومات فى أيلول وقام بعده (ملك) وكانت فى أيامه كوائن واختلاف وتوفى وكانت حياته سبعمائة سنة وتسعين سنة وقام بعده (نوح) بن ملك عليه السلام وقد كثر الفساد فى الارض فاشتدت دياجى الظلم فقام فى الارض داعيا الى الله فأبوا الا طغيانا وكفرا فدعا الله عليهم فأوحى الله اليه ان اصنع الفلك فلما فرغ من السفينة أتاه جبريل عليه السلام بنابوت آدم فيه رمته وكان ركوبهم فى السفينة يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من آذار فقام نوح ومن معه فى السفينة على ظهر الماء وقد غرق جميع الارض خمسة أشهر ثم

(٢) قوله وذهب ليحل سراويله نعوذ بالله من اعتقاد هذا بل هم بها بالضرب تأديبا أو ان الهم وحصوله معلق على عدم رؤية البرهان والانبياء الله منزهون عن الهم على الفاحشة اه من هامش

كنت من الخاطئين وتحدث النساء بأمر يوسف وامرأة العزيز وبلغ ذلك امرأة العزيز فارسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ يتكئن عليه وسائد وحضرن وقدمت لهن أترنجا واعطت كل واحدة منهن سكينا لتقطع الاترنج وقد أجلست يوسف فى غير المجلس الذى هن فيه وقالت له اخرج عليهن فخرج فلما رأينه اكبرنه واعظمنه وقطعن أيديهن بالسكاكين ولا يشعرن وقلن معاذ الله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فلما حل بهن ما حل من قطعهن أيديهن وذهاب عقولهن وعرفن خطأهن فيما قلن أقرت على نفسها وقالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين فاختار يوسف السجن على معصية الله فقال رب السجن أحب الى مما يدعوتنى اليه والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن ثم بدا للعزيز من بعد ما رأى الآيات من القميص وخمش الوجه وشهادة الطفل وتقطيع النسوة ايديهن فى ترك يوسف مطلقا وقيل انها شكت الى زوجها وقالت ان هذا العبد قد فضحنى فى الناس يخبرهم اتى راودته عن نفسه فسجنه سبع سنين فلما حبس يوسف ادخل معه السجن فتيان من أصحاب فرعون مصر أحدهما صاحب طعامه والآخر صاحب شرابه لانهما نقل عنهما انهما يريدان أن يسما الملك فلما دخل يوسف السجن قال انى اعبر الاحلام فقال أحد الفتيين للآخر هلم فلنجربه قال الخبار انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه وقال الآخر انى أرانى أعصر خمرا فقال لهما يوسف لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما كره ان يعبر لهما ما سألاه عنه واخذ فى غير ذلك وقال يا صاحبى السجن ا ارباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار وكان اسم الخبار مجلث واسم الآخر نبو فلم يدعاه حتى أخبرهما بتأويل ما سألاه عنه فقال اما أحدكما وهو الذى رأى انه يعصر الخمر فيسقى ربه خمرا يعنى سيده الملك وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه فلما عبر لهما قالا ما رأينا شيأ قال قضى الامر الذى فيه تستفتيان ثم قال لنبو وهو الذى ظن انه ناج منهما اذكرنى عند ربك الملك وأخبره انى محبوس ظلما فأنساه الشيطان ذكر ربه غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان فأوحى الله اليه يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا لاطيلن حبسك فلبث فى السجن سبع سنين ثم ان الملك وهو الريان بن الوليد بن الهروان بن اراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاود ابن سام بن نوح رأى رؤيا هائلة رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ورأى سبع سنبلات خضر وأخر يابسات فجمع السحرة والكهنة والحازة والعافة فقصها عليهم فقالوا اضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين فقال الذى نجا منهما واذكر بعد أمة أى حين أنا أنبئكم بتأويله فارسلون فارسلوه الى يوسف فقص عليه الرؤيا فقال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلهن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون فان البقر السمان سنون مخاصيب والبقرات العجاف السنون المحول وكذلك السنبلات الخضر واليابسات فعادا بها الى الملك فاخبره فعلم ان قول يوسف حق فقال ائتونى به فلما أتاه الرسول ودعاه الى الملك لم يخرج معه وقال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن فلما رجع الرسول من عند يوسف سأل الملك أولئك النسوة فقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء ولكن امرأة العزيز خبرتنا انها راودته عن نفسه فقالت امرأة العزيز أنا راودته عن نفسه فقال يوسف انما رددت الرسل ليعلم سيدى أنى لم أخنه بالغيب فى زوجته فلما قال ذلك قال له جبرائيل ولا حين هممت بها فقال يوسف

أمر الله الارض ان تبتلع الماء والسماء أن تقلع واستوت السفينة على الجودى والجودى ببلاد ماسور جزيرة ابن عمر الموصلى وبينه وبين دجلة ثمانية فراسخ وموضع خروج السفينة على رأس هذا الجبل الى هذه الغاية وذكر ان بعض الارض لم يسرع الى بلع الماء ومنها ما أسرع الى بلعه عند ما أمرت فما أطاع كان ماؤه عذبا اذا احتفر وما تأخر عن القبول اعقبها الله بماء ملح وملاحات ورمال وما تخلف من الماء الذى امتنعت الارض من بلعه انحدر الى قعور مواضع من الارض فمن ذلك البحار وهى بقية ماء غضب اهلك به امم وسنذكر بعد هذا الموضع من كتابنا هذا أخبار البحار ووضعها ونزل نوح من السفينة ومعه أولاده الثلاثة وهم (سام وحام ويافث) وكنائنه الثلاث أزواج أولاده وأربعون رجلا وأربعون امرأة وصاروا الى سفح هذا الجبل فابتنوا هنالك مدينة سموها ثمانين وهو اسمها الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ودبر عقب هؤلاء

وما أبرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء فلما ظهر للملك براءة يوسف وأمانته قال ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما جاءه الرسول خرج معه ودعا لاهل السجن وكتب على بابه هذا قبر الاحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ثم اغتسل ولبس ثيابه وقصد الملك فلما وصل اليه وكلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين فقال يوسف اجعلني على خزائن الارض فاستعمله بعد سنة ولو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته فسلم خزائنه كلها اليه بعد سنة وجعل القضاء اليه وحكمه نافذا ورد اليه عمل قطفير سيده بعد ان هلك وكان هلاكه في تلك الليالي وقيل بل عزله فرعون وولى يوسف عمله والاول أصح لان يوسف تزوج امرأته على ما نذكره ولما ولي يوسف عمل مصر دعا الملك الريان الى الايمان فآمن ثم توفي ثم ملك بعده مصر قابوس بن مصعب بن معاوية بن غمير بن السلواس بن فاران ابن عمرو بن عملاق فدعاه يوسف الى الايمان فلم يؤمن وتوفي يوسف في ملكه ثم ان الملك الريان زوج يوسف راعيل امرأة سيده فلما دخل بها قال أليس هذا خيرا مما كنت تريدين فقالت أيها الصديق لا تلمني فاني كنت امرأة حسناء جميلة في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك فغلبتني نفسي ووجدها بكرا فولدت له ولدين افرايم ومنشا فلما ولي يوسف خزائن أرضه ومضت السنون السبع المخصبات وجمع فيها الطعام في سنبله ودخلت السنون المجدبة وقحط الناس وأصابهم الجوع وأصاب بلاد يعقوب التي هو بها فبعث بنيه الى مصر وامسك بنيامين أخا يوسف لامه فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون وانما أنكروه لبعد عهدهم منه ولتغير لبسه فانه لبس ثياب الملوك فلما نظر اليهم قال أخبروني ما شأنكم قالوا نحن من الشام جئنا نختار الطعام قال كذبتم أنتم عيون فأخبروني خبركم قالوا نحن عشرة أولاد رجل واحد صديق كنا اثني عشر وانه كان لنا أخ فخرج معنا الى البرية فهلك وكان أحبنا الى أبينا قال فالى من سكن أبوكم بعده قالوا الى أخ لنا أصغر منه قال فأتوني به أنظر اليه فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه قال فاجعلوا بعضكم عندي رهينة حتى ترجعوا فوضعوا شمعون أصابته القرعة وجهزهم يوسف بجهازهم وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم يعني ثمن الطعام في رحالهم لعلهم يرجعون لما علم ان أمانتهم وديانتهم تحملهم على رد البضاعة فيرجعون اليه لاجلها وقيل رد مالهم لانه خشي ان لا يكون عند أبيه ما يرجعون به مرة أخرى فلما ارتحلوا ومعهم بضاعة عاد وأوكان يوسف حين رأى ما بالناس من الجهد قد آسى بينهم وكان لا يحمل للرجل الا بعير فلما رجعوا الى أبيهم باجمالهم قالوا يا أبانا ان عزيز مصر قد أكرمنا كرامة لو انه بعض أولاد يعقوب ما زاد على كرامته وانه ارتهن شمعون وقال ائتوني باخيكم الذي عطف عليه أبوكم بعد أخيكم فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على اخيه من قبل فلما فتحوا امتاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير قال يعقوب ذلك كيل يسير فقال يعقوب لن أرسله معكم حتى تؤتوني موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل ثم أوصاهم أبوهم بعد ان أذن لاخيهم في الرحيل معهم وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة خاف عليهم العين وكانوا ذوي صورة حسنة ففعلوا كما أمرهم أبوهم ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه وعرفه وأنزلهم منزلا وأجرى عليهم الوظائف وقدم لهم الطعام واجلس كل اثنين على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا

الثمانين نفسا وجعل الله نسل الخليقة من نوح من الثلاثة من ولده وقد اخبر الله عز وجل بذلك بقوله وجعلنا ذريته هم الباقين والله أعلم بهذا التأويل والمتخلف عنه من ولده الذي قال له يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فلما ركب السفين وقسم الارض نوح بين أولاده أقساما وخص كل واحد بموضع ودعا على ولده حام لامر كان منه مع ما قد اشتهر فقال ملعون حام عبد عنيد يكون لاخوته ثم قال مبارك سام ويكثر الله يافث ويحل يافث في مسكن سام ووجدت في التوراة ان نوحا عاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة فجميع عمر نوح تسعمائة سنة وخمسون سنة فانطلق حام واتبعه ولده فنزلوا مساكنهم في البر والبحر على حسب ما ذكره بعد هذا الموضع من هذا الكتاب وسنذكر تفرق النسل في الارض ومساكنهم فيها من ولد يافث وسام وحام (فاما سام) فسكن وسط الارض من بلاد الحرم الى حضرموت الى عمان الى عالج فمن ولده ارم بن سام وارفخشذ بن سام بن نوح ومن ولد ارم بن سام عاد بن عوض بن ارم بن سام وكانوا ينزلون الاحقاف من الرمل فارسل اليهم هود وثمود بن

لاجلسني معه فقال يوسف لقد بقي أخوكم هذا وحيدا فاجلسه معه وقعدوا كلهم فلما كان الليل جاءهم بالفرش وقال لينم كل أخوين منكم على فراش وبقي بنيامين وحده فقال هذا ينام معي فبات معه على فراشه فبقي يشمه ويضمه اليه حتى أصبح وذكر له بنيامين حزنه على يوسف فقال له اتحب أن أكون أخاك عوض أخيك الذاهب فقال بنيامين ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه فعانقه وقال له اني أنا أخوك يوسف فلا تبتئس بما فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا ولا تعلمهم بما علمتك وقيل لما خلوا على يوسف نقر الصواع وقال انه يخبرني انكم كنتم اثني عشر رجلا وانكم بعتم أخاكم فلما سمعه بنيامين سجد له وقال سل صاعك هذا عن أخي أحي هو فنقره ثم قال هو حي وستراه قال فاصنع بي ما شئت فانه ان علم بي سوف يستنقذني قال فدخل يوسف فبكى ثم توضأ وخرج اليهم قال فلما حمل يوسف ابل اخوته من الميرة جعل الاناء الذي يكيل به الطعام وهو الصواع وكان من فضة في رحل أخيه وقيل كان اناء يشرب فيه ولم يشعر أخوه بذلك وقيل ان بنيامين لما علم ان يوسف أخوه قال لا أفارقك قال يوسف أخاف غم أبوينا ولا يمكنني حبسك الا بعد ان أشهرك بامر فطيع قال افعل قال فاني اجعل الصواع في رحلك ثم أنادي عليك بالسرقة لآخذك منهم قال افعل فلما ارتحلوا أذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين لانا رددنا ثمن الطعام الى يوسف فلما قالوا ذلك قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه نأخذه لكم فبدأ باوعيتهم فتشها قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه فقالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يعنون يوسف وكانت سرقته حين سرق صنما لجده أبي أمه فكسره فعيروه بذلك وقيل ما تقدم ذكره من المنطقة فلما استخرجت السرقة من رحل الغلام قال اخوته يا بني راحيل لا يزال لنا منكم بلاء فقال بنيامين بل بنو راحيل ما يزال لهم منكم بلاء وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم فأخذ يوسف أخاه بحكم اخوته فلما رأوا انهم لا سبيل لهم عليه سألوه ان يتركه لهم وقالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه فقال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فلما أيسوا من خلاصه خلصوا نجيا لا يختلط بهم غيرهم فقال كبيرهم وهو شمعون وقيل روبيل ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ان نأتيه بأخينا الا ان يحاط بنا ومن قبل هذه المرة ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الارض حتى يأذن لي أبي بالخروج وقيل بالحرب فارجعوا الى أبيكم فقصوا عليه خبركم فلما رجعوا الى أبيهم فاخبروه بخبر بنيامين وتخلف شمعون قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا بيوسف وأخيه وشمعون ثم أعرض عنهم وقال واحزناه على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم مملوء من الحزن والغيظ فقال له بنوه تالله لا تزال تذكر يوسف حتى تكون حرضا اي دنفا او تكون من الهالكين فاجابهم يعقوب فقال انما اشكو بثي وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون من صدق رؤيا يوسف وقيل بلغ من وجد يعقوب وجد سبعين مثكلا واعطى على ذلك اجر مائة شهيد قيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب قد انهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه اتشكوني الى خلقي قال يا رب خطيئة فاغفرها قال قد غفرتها لك وكان يعقوب اذا سئل بعد ذلك قال انما اشكو بثي وحزني الى الله فاوحى الله اليه لو كانا ميتين لاحييتهما لك انما ابتليتك لانك قد شويت وقترت على جارك ولم تطعمه وقيل كان سبب ابتلائه انه كان له بقرة لها عجول فذبح عجولها بين يديها وهي تخور فلم يرحمها

غافر بن ارم بن سام وكانوا ينزلون الحجر بين الشام والحجاز فارسل الله اليهم أخاهم صالحا وكان من امرهم مع صالح ما قد اتضح أمره واشتهر خبره وسنذكر بعد هذا الموضع من هذا الكتاب لمعا من اخباره واخبار غيره من الانبياء عليهم السلام وطسم وجديس ابنا لاوذ ابن ارم وكانوا ينزلون اليمامة والبحرين وأخوهما عملیق ابن لاوذ بن ارم نزل بعضهم الحجر وبعضهم الشام ومنهم العمالیق تفرقوا في البلاد واخوهم أميم بن لاوذ نزل أرض فارس وسنذكر في باب تنازع الناس وانساب الفرس من هذا الكتاب ما الحق كيومرث بادم وقيل ان اميما نزل أرض وبار وهي التي غلبت عليها الجن على ما زعم الاخباريون من العرب ونزل بنو عميل بن عوض أخي عاد بن عوض مدينة الرسول عليه السلام وولد سام بن نوح ماس ابن ارم بن سام نزل بابل فولد نمرود بن ماس وهو الذي بنى الصرح ببابل وجسر جسر ابابل على شاطئ الفرات وملك خمسمائة سنة وهو ملك النبط وفي زمانه فرق الله الالسن فجعل في ولد سام تسعة

يعقوب فابتلى بفقد اعز ولده عنده وقيل ذبح شاه فقام ببابه مسكين فلم يطعمه منها فأوحى الله اليه
فى ذلك واعلمه انه سبب ابتلائه فصنع طعاما ونادى من كان صائما فليفطر عند يعقوب ثم ان يعقوب
امر بنيه الذين قدموا عليه من مصر بالرجوع اليها وتحسس الاخبار عن يوسف وأخيه فرجعوا
الى مصر فدخلوا على يوسف وقالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة يعنى
قليلة فأوف لنا الكيل قيل كانت بضاعتهم دراهم زيوفا وقيل كانت سمنا وصوفا وقيل غير ذلك
وتصدق علينا بفضل ما بين الجيد والردى وقيل بردا خيانا علينا فلما سمع كلامهم غلبته نفسه
فارفض دمعه باكيا ثم باح لهم بالذى كان يكتم وقيل انما اظهر لهم ذلك لان اباه كتب اليه حين قيل
له انه احتذا بنه لانه سرق كتابا من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى
عزيز مصر المظهر العدل اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء أما جدى فشدت يداه ورجلاه والقى
فى النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبى فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على حلقه ليذبح
فنجاه الله واما انا فكان لى ابن وكان احب اولادى الى فذهب به اخوته الى البرية فعادوا ومعهم
قميصه ملطخا بدم وقالوا اكله الذئب وكان لى ابن آخر اخوه لامه فكنت اتسلى به فذهبوا به ثم
رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على
والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ الكتاب لم يتمالك ان بكى واظهر لهم فقال
هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون قالوا أئنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا
اخى قد من الله علينا بأن جمع بيننا فاعتذروا وقالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال
لا تثريب عليكم اليوم اى لا أذكر لكم ذنبكم يغفر الله لكم ثم سألهم عن أبيه فقالوا لما فانه بنيامين
عمى من الحزن فقال اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه ابى يات بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين
فقال يهوذا أنا اذهب به لانى ذهبت اليه بالقميص ملطخا بالدم وأخبرته ان يوسف أكله الذئب
فانا اخبره انه حى فافرحه كما أحزنته وكان هو البشير ولما فصلت العير عن مصر حملت الريح الى
يعقوب ريح يوسف وبينهما ثمانون فرسخا يوسف بمصر ويعقوب بارض كنعان فقال يعقوب انى
لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون فقال له من حضره من اولاده تالله انك لفى ذكر يوسف لفى
ضلالك القديم فلما ان جاء البشير بقميص يوسف ألقاه على وجه يعقوب فعاد بصيرا وقال الم اقل
لكم انى اعلم من الله ما لا تعلمون يعنى تصديق الله تاويل رؤيا يوسف ولما ان جاء البشير قال له
يعقوب كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اى دين تركته قال تركته
على الاسلام قال الآن تمت النعمة فلما رأى من عنده من اولاده قميص يوسف وخبره قالوا له
يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا قال سوف استغفر لكم أخر الدعاء الى السحر من ليلة الجمعة ثم ارتحل
يعقوب وولده فلما دنا من مصر خرج يوسف يتلقاه ومعه أهل مصر وكانوا يعظمونه فلما دنا احدهما
من صاحبه نظر يعقوب الى الناس والخيل وكان يعقوب يمشى ويتوكأ على ابنه يهوذا فقال له
يا بنى هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك يوسف فلما قرب منه اراد يوسف ان يبدأه بالسلام فمنع من
ذلك فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان لانه لم يفارقه الحزن والبكاء مدة غيبة يوسف
عنه قال فلما دخلوا مصر رفع أبويه يعنى أمه وأباه وقيل كانت خالته وكانت أمه قد ماتت وخر له
يعقوب وأمه واخوته سجدا وكان السجود تحية الناس للملوك ولم يرد بالسجود وضع الجبهة على
الارض فان ذلك لا يجوز الا لله تعالى وانما أراد الخضوع والتواضع والانحناء على السلام كما
يفعل الآن بالملوك والعرش السرير وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا

عشر لسانا وفى ولد حام
سبعة عشر لسانا وفى ولد
يافث ستة وثلاثين لسانا
وتشعبت بعد ذلك اللغات
وتفرعت الالسن وسنذكر
هذا فى موضعه الذى يوجد
فى كتابنا هذا وتفرق الناس
فى البلاد وما قالوا فى ذلك
من الاشعار عند تفرقهم
فى البلاد بارض العراق
ويقال ان فالغ هو الذى قسم
الارض بين الامم ولذلك سمى
فالغ وهو فالخ أى قاسم بن
شالخ بن ارفخشذ بن سام بن
نوح فولد شالخ فالغ بن شالخ
الذى قسم الارض وهو جد
ابراهيم عليه السلام وعابر
ابن شالخ وابنه قحطان بن
عابر وابنه يعرب بن قحطان
وهو أول من حياه ولده
تحية الملك أنعم صباحا وأبيت
اللعن وقيل ان غيره حيا
بهذه التحية الملك من ملوك
الحيرة وقحطان أبو اليمن كلها
على حسب ما يذكر ان شاء
الله تعالى فى باب تنازع
الناس فى انساب اليمن
من هذا الكتاب وهو أول
من تكلم بالعربية لاعرابه
عن المعانى وابانته عنها
ويقطن بن عابر بن شالخ
وهو جرهم وجرهم بن عم
يعرب وكانت جرهم ممن
سكن اليمن وتكلم بالعربية
ثم نزلوا بمكة فكانوا بها على
حسب ما نورده من اخبارهم

وكان بين رؤيا يوسف ومجئ يعقوب أربعون سنة وقيل ثمانون سنة فانه ألقي في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة ولقيه وهو ابن سبع وتسعين سنة وعاش بعد جمع شمله ثلاثا وعشرين سنة وتوفي وله مائة وعشرون سنة واوصى الى أخيه بوذا وقيل كانت غيبة يوسف عن يعقوب ثماني عشرة سنة وقيل ان يوسف دخل مصر وله سبع عشرة سنة واستوزره فرعون بعد ثلاث عشرة سنة من قدومه الى مصر وكانت مدة غيبته عن يعقوب اثنتين وعشرين سنة وكان مقام يعقوب بمصر وأهله معه سبع عشرة سنة وقيل غير ذلك والله اعلم ولما مات يعقوب اوصى الى يوسف أن يدفنه مع أبيه اسحق ففعل يوسف فسار به الى الشام فدفنه عند أبيه ثم عاد الى مصر واوصى يوسف ان يحمل من مصر ويدفن عند آبائه فحمله موسى لما خرج ببني اسرائيل وولد يوسف افرايم ومنشا فولد لافرايم نون ولنون يوشع فتى موسى وولد لمنشا موسى قيل موسى بن عمران وزعم اهل التوراة انه موسى الخضر وولد له رحمة امرأة أيوب في قول

﴿قصة شعيب عليه السلام﴾

قيل ان اسم شعيب يثرون بن ضيعون بن عنقا بن نابت بن مدين بن ابراهيم وقيل هو شعيب بن ميكيل من ولد مدين وقيل لم يكن شعيب من ولد ابراهيم وانما هو من ولد بعض من آمن بابراهيم وهاجر معه الى الشام ولكنه ابن بنت لوط فجده شعيب ابنة لوط وكان ضرير البصر وهو معنى قوله تعالى وانا لنراك فينا ضعيفا أي ضرير البصر وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكره قال ذاك خطيب الانبياء بحسن مراجعته قومه وان الله ارسله الى أهل مدين وهم أصحاب الايكة والايكة شجر ملتف وكانوا أهل كفر بالله وبخس للناس في المكاييل والموازين وافساد أموالهم وكان الله وسع عليهم في الرزق وبسط لهم في العيش استدراجا لهم منه مع كفرهم بالله فقال لهم شعيب يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني أراكم بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط فلما طال تماديهم في غيهم وضلالهم ولم يردهم تذكير شعيب اياهم وتحذيره عذاب الله اياهم الاتماديا لما أراد اهلاكهم سلط عليهم عذاب يوم الظلة وهو ما ذكره ابن عباس في تفسير قوله تعالى فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم فقال بعث الله عليهم وقدة وحرا شديدا فأخذ بأنفسهم فخرجوا من البيوت هربا الى البرية فبعث الله عليهم سحابة فأظلتهم من الشمس فوجدوا الها بردا ولذة فنادى بعضهم بعضا حتى اجتمعوا تحتها فارسل الله عليهم نارا قال عبد الله بن عباس فذلك عذاب يوم الظلة وقال قتادة بعث الله شعيبا الى أمتين الى قومه أهل مدين والى أصحاب الايكة وكانت الايكة من شجر ملتف فلما اراد الله أن يعذبهم بعث عليهم حرا شديدا ورفع لهم العذاب كانه سحابة فلما دنت منهم خرجوا اليها رجاء بردها فلما كانوا تحتها اصطرت عليهم نارا قال فذلك قوله فاخذهم عذاب يوم الظلة واما أهل مدين فهم من ولد مدين بن ابراهيم الخليل فعذبهم الله بالرجفة وهي الزلزلة فاهلكوا قال بعض العلماء كان قوم شعيب عطلوا حدا فوسع الله عليهم في الرزق ثم عطلوا حدا فوسع الله عليهم في الرزق فجعلوا كلما عطلوا حدا اوسع الله عليهم في الرزق حتى اذا أراد اهلاكهم سلط عليهم حرا لا يستطيعون ان يتقارّوا ولا ينفعهم ظل ولا ماء حتى ذهب ذاهب منهم فاستظل تحت ظله فوجد بردا فنادى أصحابه هلموا الى الروح فذهبوا اليه سراعا حتى اذا اجتمعوا اليها ألهبها الله عليهم نارا فذلك عذاب يوم الظلة وقد روى عامر عن ابن عباس انه قال له من حدثك ما عذاب يوم الظلة فكذبه وقال مجاهد عذاب يوم الظلة هو اظلال العذاب على قوم شعيب وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى ياشعيب اصلواتك تأمرك ان نترك

وقطوربنوعم لهم ثم اسكنها الله اسمعيل عليه السلام ونكح في جرهم فهم اخوال ولده وذكر أهل الكتاب ان مالك بن سام بن نوح حي لان الله عز وجل أوحى الى سام ان الذي وكلته بجسد آدم بقيته الى آخر الابد وذلك ان سام بن نوح دفن تابوت آدم في وسط الارض فوكل مالكا بقبره وكانت وفاة سام يوم الجمعة وذلك في أيلول وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل ستمائة سنة وكان القيم بعد سام في الارض ولده (ارفخشذ) وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل أربعمائة سنة وخمسا وستين سنة وكانت وفاته في نيسان ولما قبض الله ارفخشذ قام بعده ولده (شالخ) بن ارفخشذ وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل اربعمائة سنة وثلاثين سنة ولما قبض الله شالخ قام بعده ولده (عابر) فعمر البلاد وكانت في ايامه كوائن وتنازع في مواضع من الارض وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل اليه ثلثمائة وأربعين سنة ولما قبض الله عابر قام بعده (فالغ) على نهج من سلف من آبائه وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل مائتي سنة وسبعا وثلاثين سنة وقد قدمنا

ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء قال مما كان ينهاهم عنه قطع الدراهم

﴿قصة الخضر وخبره مع موسى﴾

قال أهل الكتاب ان موسى صاحب الخضر هو موسى بن منشا بن يوسف بن يعقوب والحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى صاحب الخضر هو موسى بن عمران على ما ذكره وكان الخضر ممن كان في أيام افريدون الملك بن اثفيان في قول علماء الكتاب الاول قبل موسى بن عمران وقيل انه كان على مقدمة ذي القرنين الاكبر الذي كان في أيام ابراهيم الخليل وانه بلغ مع ذي القرنين نهر الحياة فشرب من مائه ولا يعلم ذو القرنين ومن معه فخلد وهو حي عندهم الى الآن وزعم بعضهم انه كان من ولد من آمن مع ابراهيم وهاجر معه واسمه بليا بن ملكان بن فالغ ابن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وكان أبوه ملكا عظيما وقال آخرون ذو القرنين الذي كان على عهد ابراهيم افريدون بن اثفيان وعلى مقدمته كان الخضر قال عبد الله بن شوذب الخضر من ولد فارس والياس من بني اسرائيل يلتقيان كل عام بالموسم وقال ابن اسحق استخلف الله على بني اسرائيل رجلا منهم يقال له ناشية بن أموص فبعث الله لهم الخضر معه نبيا قال واسم الخضر فيما يقول بنو اسرائيل ارميا بن حلقيا وكان من سبط هرون بن عمران وبين هذا الملك وبين افريدون أكثر من ألف عام وقول من قال ان الخضر كان في أيام افريدون وذي القرنين الاكبر قبل موسى بن عمران أشبه للحديث الصحيح ان موسى بن عمران أمره الله بطلب الخضر ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أعلم الخلق بالكائن من الامور فيحتمل ان يكون الخضر على مقدمة ذي القرنين قبل موسى وانه شرب من ماء الحياة فطال عمره ولم يرسل في أيام ابراهيم وبعث في أيام ناشية بن أموص وكان ناشية هذا في أيام بشتاسب بن لهراسب والحديث مار واه أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس ان نوفا يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى بن عمران فقال كذب عدو الله حدثني أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان موسى قام في بني اسرائيل خطيبا فقيل له أي الناس اعلم فقال أنا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم اليه فقال يا رب هل هناك أعلم مني قال بلى عبدي بمجمع البحرين قال يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتا فتجعله في مكتل فحيث تفقده فهو هناك فأخذ حوتا فجعله في مكتل ثم قال لفتاه اذا فقدت هذا الحوت فأخبرني فانطلقا يمشيان على ساحل البحر حتى أتيا الصخرة وذلك الماء وهو ماء الحياة لو شرب منه خلد ولا يقارب شيئا ميت الا حيي فمس الحوت منه فحيي وكان موسى راقدا واضطرب الحوت في المكتل فخرج في البحر فامسك الله عنه جرية الماء فصار مثل الطاق فصار للحوت سربا وكان لهما عجبا ثم انطلقا فلما كان حين الغداء قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى تجاوز حيث أمره الله فقال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا قال يقصان آثارهما حتى أتيا الصخرة فاذا رجل نائم مسجى بثوبه فسلم موسى عليه فقال وأنى بأرضنا السلام قال أنا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم قال يا موسى اني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله لا أعلمه قال له موسى هل أتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني ان شاء الله

ذكره في هذا الكتاب فيما سلف وما كان بأرض بابل عند تبلبل الالسن ولما قبض الله فالغ قام بعده (رعو) بن فالغ وقيل ان في زمنه كان مولد نمروذ الجبار وكان عمره الى ان قبضه الله مائتي سنة وكانت وفاته في نيسان ولما قبض الله رعو قام بعده (سار وغ) بن رعو وقيل انه في ايامه ظهرت عبادة الاصنام والصور الضروب من العلل احدثت في الارض وكان عمره الى ان قبضه الله اليه مائتي سنة وثلاثين سنة ولما قبض الله سار وغ قام بعده (ناحور) ابن سار وغ مقتديا بمن سلف من آبائه وحدث في ايامه رجف وزلازل لم تعهد فيما سلف من الايام قبله وأحدثت في أيامه ضروب من المحن والآلات وكانت في ايامه حروب وتحزيب الاحزاب من الهند وغيرها وكان عمره الى ان قبضه الله اليه مائة سنة وستا وأربعين سنة ولما قبض الله ناحور قام بعده ولده (تارح) وهو آزر ابو ابراهيم الخليل وفي عصره كان نمروذ بن كنعان وفي ايام نمروذ حدثت في الارض عبادة النيران والانوار وجعل لها مراتب في العبادات وكان في الارض

صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ثم ركبا سفينة فجاء عصفور فقعد على حرف السفينة فنقر في الماء فقال الخضر لموسى ما ينقص علمي وعلمك من علم الله الا مقدار ما نقر هذا العصفور من البحر قال فبيناهم في السفينة فلم يعجأ موسى الا وهو بوتد وتدا أو ينزع تختا منها فقال له موسى حملنا بغير نول فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا قال وكانت الاولى من موسى نسيانا قال فخرجا فانطلقا يمشيان فأبصر اغلاما يلعب مع الغلمان فاخذ برأسه فقتله فقال له موسى أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فابوا أن يضيفوهما فلم يجدا أحدا يطعمهما ولا يسقيهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فاقامه فقال له موسى لم يضيفونا ولم ينزلونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وفي قراءة ابي وكان امامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنزا لهما وكان أبوهما صالحا فاراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك فهذا ما لم تسطع عليه صبرا فكان ابن عباس يقول ما كان الكنز الا علما قيل لابن عباس لم نسمع لفتى موسى بذكر قال شرب النبي من الماء فضل فاخذه العالم فطابق به سفينته ثم أرسلها في البحر فانها التموج به الى يوم القيامة الحديث يدل على ان الخضر كان قبل موسى وفي أيامه ويدل على خطأ من قال انه ارميا لان ارميا كان أيام بختنصر وبين أيام موسى وبختنصر من المدة ما لا يشكل على عالم بايام الناس فان موسى انما بني في أيام منوجهر وكان ملكه بعد جده افريدون

﴿ذكر الخبر عن منوجهر والحوادث في أيامه﴾

ثم ملك بعد افريدون بن اثفيان بن كاو منوجهر وهو من ولد ايرج بن افريدون وكان مولده بدنباوند وقيل بالري فلما ولد منوجهر أخفى أمره خوفا من طوج وسلم عميه ولما كبر منوجهر سار الى جده افريدون فتوسم فيه الخير وجعل له ما كان جعله لجده ايرج من المملكة وتوجه بتاجه وقد زعم بعضهم ان منوجهر بن شجر بن افريقش بن اسحق بن ابراهيم انتقل اليه الملك واستشهد بقول جرير بن عطية

وابناء اسحق الليوث اذا ارتدوا * حمائل موت لابسين السنورا
اذا انتسبوا عدوا الصهبد منهم * وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا
وكان كتاب فيهم ونبوة * وكانوا باصطخر الملوك وتسترا
فجمعنا والغر ابناء فارس * أب لا يبالي بعده من تأخرا
أبونا خليل الله والله ربنا * رضينا بما أعطى الاله وقدرا

وأما الفرس فتنكر هذا النسب ولا تعرف لهم ملكا الا في اولاد افريدون ولا تقر بالملك لغيره قلت والحق ما قاله الفرس فان أسماء ملوكهم قبل الاسكندر معروفة وبعد أيامه ملوك الطوائف واذا كان منوجهر أيام موسى وكل ما بين موسى واسحق خمسة آباء معروفون ولم

رهج عظيم من حروب واحداث حروب وممالك بالشرق والغرب وغير ذلك وظهر القول باحكام النجوم وصور الافلاك وعملت لها الآلات وقرب فهم ذلك الى قلوب الناس فنظر أصحاب النجوم الى طالع السنة التي ولد فيها ابراهيم عليه السلام وماذا يوجب فاخبر النمروذ ان مولودا يولد يسفه احلامهم ويزيل عبادتهم فامر النمروذ بقتل الولدان واخفي ابراهيم عليه السلام ومات آزر وهو تارح وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل مائتين وستين سنة والله الموفق للصواب

(ذكر مصه ابراهيم عليه السلام ومن تلا عصره من الانبياء والملوك من بني اسرائيل وغيرهم)

ولما نشأ ابراهيم عليه السلام وخرج من المغارة التي كان بها وتامل آفاق الارض والعالم وما فيه من دلائل الحدوث والتأثير نظر الى الزهرة واشراقها فقال هذا ربي فلما رأى القمر أنور منها قال هذا ربي فلما رأى الشمس أبهر مما رأى قال هذا ربي هذا أكبر وقد تنازع الناس في قول ابراهيم هذا ربي فمنهم من رأى ان ذلك كان على طريق الاستدلال

يزالوا

زالوا بمصر في أي زمان كثروا وانتشروا وملكوا بلاد الفرس ومن أين لجرير هذا العلم حتى يكون قوله حجة لا سيما وقد جعل الجميع ابناء اسحق قال هشام بن الكلبي ملك طوح وسلم الارض بعد أخيهما ايرج ثلثمائة سنة ثم ملك منوجهر مائة وعشرين سنة ثم وثب به ابن لطوج التركي على رأس ثمانين سنة فنفاه عن بلاد العراق اثنتي عشرة سنة ثم أديل منه منوجهر فنفاه عن بلاده وعاد الى ملكه بعد ذلك ثمانيا وعشرين سنة وكان منوجهر يوصف بالعدل والاحسان وهو أول من خندق الخنادق وجمع آلة الحرب وأول من وضع الدهقنة فجعل لكل قرية دهقانا وأمر أهلها بطاعته ويقال ان موسى ظهر في سنة ستين من ملكه وقال غير هشام انه لما ملك سار نحو بلاد الترك طالبا بدم جده ايرج بن افريدون وقتل طوج بن افريدون وأخاه سلما ثم ان افراسياب بن فشنج بن رستم بن نرك الذي ينسب اليه الاتراك من ولد طوج بن افريدون حارب منوجهر بعد قتله طوج بسنين سنة وحاصره بطبرستان ثم اصطلحا ان يجعلا حدما بين ملكيهما رومية سهم رحل من أصحاب منوجهر اسمه ايرشي وكان راميا شديد النزع فرمى سهما من طبرستان فوقع بنهر بلخ وصار النهر حدما بين الترك ولد طوج وعمل منوجهر قلاعا وهذا من أعجب ما يتداوله الفرس في أكاذيبهم ان رمية سهم تبلغ هذا كله وقد ذكر ان منوجهر اشتق من الفرات ودجلة ونهر بلخ أنهارا عظاما وأمر بعمارة الارض وقيل ان الترك تناولت من أطراف رعيته بعد خمس وثلاثين سنة من ملكه فوبخ قومه وقال لهم أيها الناس انكم لم تلدوا الناس كلهم وانما الناس ناس ماناضلوا عن أنفسهم ودفعوا العدو عنهم وقد نالت الترك من أطرافكم وليس ذلك الا بتركم جهاد عدوكم وان الله أعطانا هذا الملك ليبلونا أنشكر أم نكفر فيما قبلنا فاذا كان غدا فاحضروا فحضر الناس والاشراف فقام على قدميه وقام له الناس فقال اقعدوا انما خفت لاسمعكم فجلسوا فقال أيها الناس انما الخلق للخالق والشكر للمنعم والتسليم للقادر ولا بد مما هو كائن وانه لا أضعف من مخلوق طالبا كان أو مطلوبا ولا أقوى من خالق ولا أقدر ممن طلبته في يده ولا أعجز ممن هو في يد طالبه وان التفكر نور والغفلة ظلمة فالصلاة جهاله وقد ورد الاول ولا بد للآخر من اللحاق بالاول ان الله أعطانا هذا الملك وله الحمد وسأله الهام الرشد والصدق واليقين وانه لا بد ان يكون للملك على أهل مملكته حق ولاهل مملكته عليه حق فحق الملك عليهم أن يطيعوه وينا صحوه ويقاتلوا عدوه وحقهم على الملك ان يعطيهم أرزاقهم في أوقاتها اذ لا معول لهم الا عليها وانه حارسهم وحق الرعية على الملك ان ينظر اليهم ويرفق بهم ولا يحملهم على ما لا يطيقون وان أصابتهم مصيبة أو تنقص من ثمارهم ان يسقط عنهم خراج ما نقص وان اجتاحتهم مصيبة ان يعوضهم ما يقويهم على عمارتهم ثم يأخذهم بعد ذلك قدر ما لا يجحف بهم في سنة او سنتين الا وان الملك ينبغي ان يكون فيه ثلاث خصال ان يكون صديقا لا يكذب وان يكون سخيا لا يبخل وان يملك نفسه عند الغضب فانه مسلط ويده مبسوطة والخراج يأتيه ولا يستأثر على جنده ورعيته بما هم أهل له وان يكثر العفو فانه لا ملك أقوى ولا أبقى من ملك فيه العفو فان الملك ان يخطئ في العفو خير من ان يخطئ في العقوبة الا وان الترك قد طمعت فيكم فاكفونا فانما تكفون انفسكم وقد أمرت لكم بالسلاح والعدة وأنا شريككم في الرأي وانما انا من هذا الملك اسمه مع الطاعة منكم ألا وانما الملك ملك اذا أطيع فان خولف فهو مملوك وليس بملك ألا وان آكل الاداة عند المصيبات الاخذ بالصبر والراحة الى اليقين فمن قتل في مجاهدة العدو رجوت له بفوز رضوان الله وانما هذه الدنيا سفر لاهلها لا يحلون عقد الرحال الا في غيرها وهي خطبة طويلة ثم أمر بالطعام فاكلوا وشربوا

والاستخبار ومنهم من رأى ان ذلك منه كان قبل البلوغ وحال التكليف ومنهم من رأى غير ذلك فاتاه جبريل فعلمه دينه واصطفاه الله نبيا وخليلا وكان قد أوتي رشده من قبل ومن أوتي رشده فقد عصم من الخطا والزلل وعبادة غير الواحد الصمد فعاب ابراهيم عليه السلام على قومه ما رآى من عبادتهم واتخاذهم المحوقات آلهة لهم فلما كثر عليهم دم ابراهيم لاجل لهتهم واستفاض ذلك فيهم اتخذ له النمرود النار وألقاه فيها فجعلها الله عليه بردا وسلاما وحمدت النار على سائر بقاع الارض في ذلك اليوم وولد لابراهيم (اسمعيل) عليهما السلام وذلك بعد ان مضى من عمره ست وثمانون أو سبع وثمانون سنة وقيل سبعون سنة من هاجر جارية كانت لسارة وكانت سارة أول من آمن بابراهيم عليه السلام وهي ابنة بتوايل بن ناحور وهي ابنة عم ابراهيم وقد قيل غير هذا مما سنورده بعد هذا الموضع وآمن به لوط بن هاران بن تارح بن ناحور وهو ابن أخي ابراهيم عليه السلام وأرسل الله (لوطا) الى سدوم وقراها الخمس وهي صبعة وعمرة وادماه وصبوغ وبالع وان قوم لوط

وخرجوا وهم له شاكرون مطيعون وكان ملكه مائة وعشرين سنة وزعم ابن الكلبي ان الرائش
واسمه الحرث بن قيس بن صيفي بن سبا بن يعرب بن قحطان وكان قد ملك اليمن بعد يعرب بن قحطان
كان ملكه باليمن أيام ملك منوجهر وانما سمي الرائش لغنيمة غنمها فادخلها اليمن فسمي الرائش ثم
غزا الهند فقتل بها وأسر وغنم ورجع الى اليمن ثم سار على جبلي طيئ ثم على الانبار ثم على الموصل
ووجه منها خيله وعليها رجل من أصحابه يقال له شمر بن العطاف فدخل على الترك بأرض
أذربيجان فقتل المقاتلة وسبى الذرية وكتب ما كان من مسيره على حجرين وهما معروفان
باذربيجان ثم ملك بعده ابنه ابرهة ولقبه ذو المنار وانما لقب بذلك لانه غزا بلاد المغرب وأوغل
فيها برا وبحرا وخاف على جيشه الضلال عند قفوله فبنى المنار ليهتدوا وقد زعم أهل اليمن انه وجه
ابنه العيد بن ابرهة في غزوانه الى ناحية من أقاصي المغرب فغنم وقدم بسبي له وحشة منكرة
فذعر الناس منهم فسمي ذو الاذعار فابرهة أحد ملوكهم الذين توغلوا في البلاد وانما ذكرت من
ذكرت من ملوك اليمن ههنا لقول من زعم ان الرائش كان أيام منوجهر وان ملوك اليمن كانوا
عمالا لملوك فارس

﴿قصة موسى عليه السلام ونسبه وما كان في أيامه من الاحداث﴾

قيل هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وولد لاوي
ليعقوب وهو ابن تسع وثمانين سنة وولد قاهث للاوي وهو ابن ست وأربعين سنة وولد لقاهث
يصهر وولد عمران ليصهر وله ستون سنة وكان عمره جميعه مائة وسبعا وأربعين سنة وولد
موسى ولعمران سبعون سنة وكان عمر عمران جميعه مائة وسبعا وثلاثين سنة وأم موسى يوحانذ
واسم امرأته صفورا بنت شعيب النبي وكان فرعون مصر في أيامه قابوس بن مصعب بن معاوية
صاحب يوسف الثاني وكانت امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون
يوسف الاول وقيل كانت من بني اسرائيل فلما نودي موسى اعلم ان قابوس فرعون مصر مات
وقام أخوه الوليد بن مصعب مكانه وكان عمره طويلا وكان أعتى من قابوس والخبر وأمر بان يأتيه
هو وهرون بالرسالة ويقال ان الوليد تزوج آسية بعد أخيه ثم سار موسى الى فرعون رسولا مع
هرون فكان من مولد موسى الى ان أخرج بني اسرائيل من مصر ثمانون سنة ثم سار الى التيه
بعد ان مضى وعبر البحر وكان مقامهم هنالك الى ان خرجوا مع يوشع بن نون أربعين سنة فكان
بين مولد موسى الى وفاته مائة وعشرون سنة قال ابن عباس وغيره دخل حديث بعضهم في
بعض ان الله تعالى لما قبض يوسف وهلك الملك الذي كان معه وتوارثت الفراعنة ملك مصر
ونشر الله بني اسرائيل لم يزل بنو اسرائيل تحت يد الفراعنة وهم على بقايا من دينهم مما كان
يوسف ويعقوب واسحق وابراهيم شرعوا فيهم من الاسلام حتى كان فرعون موسى وكان
أعتاهم على الله وأعظمهم قولا وأطولهم عمرا واسمه فيما ذكر الوليد بن مصعب وكان سيئ الملكة
على بني اسرائيل يعنتهم ويجعلهم خولا ويسومهم سوء العذاب فلما أراد الله ان يستنقذهم بلغ
موسى الاشد وأعطاه الرسالة وكان شأن فرعون قبل ولادة موسى انه رأى في منامه كأن نارا
أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقت القبط وتركت بني اسرائيل
وأخربت بيوت مصر فدعا السحرة والحزاة والكهنة فسألهم عن رؤياه فقالوا يخرج من هذا
البلد يعني بيت المقدس الذي جاء بنو اسرائيل منه رجل يكون على وجهه هلاك مصر فامر ان
لا يولد لبني اسرائيل مولود الا ذبح ويترك الجواري وقيل انه لما تقارب زمان موسى أتى المنجمون

هم أصحاب المؤتفكة وهذا
الاسم مشتق من الافك
وهو الكذب على رأي من
ذهب الى الاشتقاق وقد
ذكرهم الله في كتابه بقوله
والمؤتفكة أهوى وهذه
بلاد بين تحوم الشام والحجاز
مما يلي الاردن وبلاد فلسطين
الا ان ذلك في حيز الشام
وهي مبقاة الى وقتنا هذا
وهو سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة خرابا لا أحد بها
والحجارة المسومة موجودة
فيها يراها الناس السفار
سودا فأقام فيهم لوط بضعا
وعشرين سنة يدعوهم الى
الله فلم يؤمنوا فاخذهم
العذاب على حسب ما أخبر
الله من شأنهم ولما ولد
(اسمعيل) هاجر الى مكة
فاسكنهم بها وذلك قوله
عز وجل يخبر عن ابراهيم
رب اني اسكنت من ذريتي
بواد غير ذي زرع عند بيتك
المحرم فاجاب الله دعوته
وآنس وحشتهم بجرهم
والعماليق وجعل أفئدة من
الناس تهوى اليهم وأهلك
الله قوم لوط في عهد ابراهيم
لما كان من فعلهم واتضح
من خبرهم ثم أمر الله
ابراهيم عليه السلام بذبح
ولده فبادر الى طاعة ربه وتله
للجبين ففداه الله بذبح عظيم
ورفع ابراهيم القواعد من
البيت واسمعيل ثم ولد

فرعون وخزانه اليه فقالوا اعلم انا نجد فى علمنا ان مولودا من بنى اسرائيل قد أظلك زمانه الذى يولد فيه يسلبك ملكك ويغلبك على سلطانك ويبدل دينك فأمر بقتل كل مولود يولد فى بنى اسرائيل وقيل بل تذاكر فرعون وجلساؤه معا ما وعد الله عز وجل ابراهيم ان يجعل فى ذريته أنبياء وملوكا فقال بعضهم ان بنى اسرائيل لينتظرون ذلك وقد كانوا يظنونه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا وعد الله ابراهيم فقال فرعون كيف ترون فاجمعوا على ان يبعث رجالا يقتلون كل مولود فى بنى اسرائيل وقال للقبط انظروا نما اليكم الذين يعملون خارجا فأدخلوهم واجعلوا بنى اسرائيل يلون ذلك فجعل بنى اسرائيل فى أعمال غلمانهم فذلك حين يقول الله عز وجل ان فرعون علا فى الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم فجعل لا يولد لبنى اسرائيل مولود الا ذبح وكان يأمر بتعذيب الحبالى حتى يضعن فكان يشق القصب ويوقف المرأة عليه فيقطع أقدامهن وكانت المرأة تضع فتتقى بولدها القصب وقضى الله الموت فى مشيخة بنى اسرائيل فدخل رؤس السبط على فرعون وكلموه وقالوا ان هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت فيوشك ان يقع العمل على غلماننا تذبح الصغار وتفنى الكبار فلو انك كتبت تبقى من أولادهم فامرهم ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فلما كان فى تلك السنة التى تركوا فيها ولد هرون وولد موسى فى السنة التى يقتلون فيها وهى السنة المقبلة فلما أرادت أمه وضعه حزنت من شأنه فاوحى الله اليها اى أمهما ان أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم وهو النيل ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فلما وضعته ارضعته ثم دعت نجارا فجعل له تابوتا وجعل مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه وألقته فى اليم فلما توارى عنها أتاها ابليس فقالت فى نفسها ما الذى صنعت بنفسى لو ذبح عندى فواريته وكفنته كان أحب الى من ان القيه بيدى الى حيتان البحر ودوابه فلما ألقته قالت لاخته واسمها مريم قصيه يعنى قصى اثره فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون انها اخته فاقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ويخفضه اخرى حتى ادخله بين أشجار عند دور فرعون فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يغتسلن فوجدن التابوت فادخلنه الى آسية وظنن ان فيه مالا فلما فتح ونظرت اليه آسية وقعت عليها رحمته وأحبته فلما اخبرت به فرعون وانتهه به قالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه فقال فرعون يكون لك وأما انا فلا حاجة لى فيه قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى يحلف به لو اقر فرعون ان يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله كما هداها وأراد ان يذبحه فلم تزل آسية تكلمه حتى تركه لها وقال انى أخاف أن يكون هذا من بنى اسرائيل وان يكون هذا الذى على يديه هلاكنا فذلك قوله عز وجل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وأراد والله المرضعات فلم يأخذ من احد من النساء فذلك قوله وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت اخته مريم هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فاخذوها وقالوا ما يدريك ما نصحهم له هل يعرفونه حتى شكوا فى ذلك فقالت نصحهم له شفقتهم عليه ورغبتهم فى قضاء حاجة الملك ورجاء منفعته فانطلقت الى امه فاخبرتها الخبر فجاءت امه فلما اعطته ثديها أخذ منها فكادت تقول هذا ابنى فعصمها الله وانما سمى موسى لانه وجد فى ماء وشجر والماء بالقبطية مو والشجر سا فذلك قوله تعالى فرددناه الى امه كى تقر عينها ولا تحزن وكان غيبته عنها ثلاثة أيام واخذته معها الى بيتها واتخذه فرعون ولدا فدعى ابن فرعون فلما تحرك الغلام حملته امه الى آسية فاخذته ترقصه وتلعب به وناولته فرعون فلما أخذه اليه آخذ الغلام بلحيته فنتفها فقال فرعون على به الذباحين يذبحونه هو هذا فقالت آسية لا تقتلوه عسى ان

لابراهيم من سارة (اسحق) عليه السلام وذلك بعد مضى عشرين ومائة سنة من عمره وقد تنازع الناس فى الذبيح فمنهم من ذهب الى انه اسحق ومنهم من رأى انه اسمعيل فان كان الامر وقع بالذبح بالحجاز فالذبيح اسمعيل لان اسحق لم يدخل الحجاز وان كان الامر بالذبح وقع بالشام فالذبيح اسحق لان اسمعيل لم يدخل الشام بعد ان حمل منه وتوفيت سارة وتزوج ابراهيم بعد ذلك بقنطوراء فولد له منها ستة ذكور وهم مرق ونفس ومدن ومدين وسنان وسرح وتوفى ابراهيم بالشام وكان عمره الى ان قبضه الله عز وجل مائة سنة وخمسا وتسعين سنة وأنزل الله عليه عشرا من الصحف وتزوج اسحق بعد ابراهيم بمحاه ابنة بتوايل فولدت له (العيص ويعقوب) فى بطن واحد وكان البادئ منهما الى الفصل عيص ثم يعقوب وكان لاسحق فى وقت مولدهما ستون سنة وذهب بصر اسحق فدعا ليعقوب بالرياسة على اخوته والنبوة فى ولده ودعا لعيص بالملك فى ولده وكان عمر اسحق الى ان قبضه الله مائة وخمسا وثمانين سنة ودفن مع أبيه الخليل ومواضع قبورهم

ينفعنا أو نتخذه ولدا انما هو صبي لا يعقل وانما فعل هذا من جهل وقد علمت انه ليس في مصر امرأة أكثر حليا مني أنا اضع له حليا من ياقوت وجمرا فان أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان اخذ الجمر فانما هو صبي فاخرجت له ياقوتها ووضعت له طشتا من جمر فجاء جبريل فوضع يده في جمرة فاخذها فادارها موسى في فيه فاحرقت لسانه فهو الذي يقول الله تعالى واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فدرأت عن موسى بتلك القتل وكبر موسى وكان يركب مركب فرعون ويلبس مايلبس ويدعى موسى بن فرعون وامتنع به بنو اسرائيل ولم يبق قبطي يظلم اسرائيليا خوفا منه ثم ان فرعون ركب مركبا وليس عنده موسى فجاء موسى قيل له فرعون قد ركب فركب موسى في اثره فادركه المقيل بارض يقال لها منف وهذه منف (بفتح الميم وسكون النون) مصر القديمة التي هي مصر يوسف الصديق وهي الآن قرية كبيرة فدخل نصف النهار وقد اغلقت اسواقها على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته يقول هذا اسرائيلي قيل انه السامري وهذا من عدوه يقول من القبط فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فغضب موسى لانه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني اسرائيل وحفظه لهم وكان قد حماهم من القبط وكان الناس لا يعلمون انه منهم بل كانوا يظنون ان ذلك بسبب الرضاع فلما اشتد غضبه وكزه فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم أوحى الله تعالى الى موسى وعزتي لوان النفس التي قتلت أقرت لي ساعة واحدة اني خالق رازق لاذقتك العذاب قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين فاصبح في المدينة خائفا يترقب ان يؤخذ فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه يقول يستعينه قال له موسى انك لغوي مبين ثم أقبل لينصره فلما نظر الى موسى وقد اقبل نحوه ليبطش بالرجل الذي يقاتل الاسرائيلي خاف ان يقتله من أجل انه اغلظ له في الكلام قال اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين فترك القبطي فذهب فاشيء عليه ان موسى هو الذي قتل الرجل فطلبه فرعون وقال خذوه فانه صاحبنا فجاء رجل فاخبره وقال له ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج قيل كان حزقيل مؤمن آل فرعون كان على بقية من دين ابراهيم عليه السلام وكان أول من آمن بموسى فلما أخبره خرج من بينهم خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين وأخذ في ثنيات الطريق فجاءه ملك على فرس وفي يده عنزة وهي الحربة الصغيرة فلما رآه موسى سجد له من الفرق فقال له لا تسجد لي ولكن اتبعني فهداه نحو مدين وقال موسى وهو متوجه اليها عسى ربي ان يهديني سواء السبيل فانطلق به الملك حتى انتهى به الى مدين فكان قد سار وليس معه طعام وكان يأكل ورق الشجر ولم يكن له قوة على المشي فما بلغ مدين حتى سقط خف قدمه فلما ورد ماء مدين قصد الماء فوجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان أي تحبسان غنمهما وهما ابنتا شعيب النبي وقيل ابنتا يثرون وهو ابن أخي شعيب فلما رآهما موسى سألهما ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فرحمهما موسى فاتى البئر فاقتلع صخرة عليها كان النفر من أهل مدين يجتمعون عليها حتى يرفعوها فسقى لهما غنمهما فرجعتا سريعا وكانتا انما تسقيان من فضول الحياض وقصد موسى شجرة هناك ليستظل بها فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير قال ابن عباس لقد قال موسى ذلك ولو شاء انسان ان ينظر الى خضرة امعائه من شدة الجوع لفعل وما سأل الا أكلة فلما رجع الجاريتان الى أبيهما سريعا سألهما فاخبرتاه فأعاد احداهما الى موسى تستدعيه

فاتته

منهورة وذلك على ثمانية عشر ميلا من بيت المقدس في مسجد هناك يعرف بمسجد ابراهيم ومراعيه وقد كان اسحق أمر ولده يعقوب بالمسير الى أرض الشام وبشره بالنبوة ونبوة أولاده الاثني عشر وهم (لاوي ويهوذا ويساخر وزبولون ويوسف وبنيامين ودوان ونفتالي وكان واشار وشمعون وروبيل) هؤلاء الاسباط والنبوة والملك في عقب أربعة منهم لاوي ويهوذا ويوسف وبنيامين وكثر جزع يعقوب من أخيه العيص فأمنه الله من ذلك وكان ليعقوب خمسة آلاف وخمسمائة من الغنم فأعطى يعقوب لاخيه العيص العشر من غنمه استكفاه للشر وخوفا من سطوته من بعد ان آمنه الله عز وجل من خوفه وان لا سبيل له عليه فعاقبه الله في ولده لمخالفته لوعده فأوحى الله تعالى اليه ألم تطمئن الى قولي فلاجعلن ولد العيص يملكون ولدك خمسمائة وخمسين عاما وكانت المدة مدة أخربت الروم بيت المقدس واستعبدت بني اسرائيل الى ان فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس وكان أحب ولد يعقوب اليه (يوسف) فحسده اخوته على ذلك

فأتته وقالت له ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا فقام معها فمشت بين يديه فضربت الريح ثوبها فحكى عجيزتها فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق فانا أهل بيت لا ننظر في اعقاب النساء فلما أتاه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما وهي التي احضرته يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين قال لها أبوها القوة قد رأيتها فما يدريك بامانته فذكرت له ما أمرها به من المشي خلفه فقال له أبوها اني أريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني نفسك ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك فقال له موسى ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل فاقام عنده يومه فلما أمسى احضر شعيب العشاء فامتنع موسى من الاكل فقال ولم ذلك قال انا من أهل بيت لا ناخذ على اليسير من عمل الآخرة الدنيا باسرها فقال شعيب ليس لذلك اطعمتك انما هذه عادتي وعادة آبائي فاكل وازدادت رغبة شعيب في موسى فروجه ابنته التي احضرته واسمها صفورا وأمرها ان تأتيه بعصا فأتته بعصا وكانت تلك العصا قد استودعها اياه ملك في صورة رجل قد فتها اليه فلما رآها أبوها أمرها بردها والاتيان بغيرها فألقتها وأرادت ان تأخذ غيرها فلم تقع يدها سواها وجعل يردها وكل ذلك لا يخرج في يدها غيرها فاخذها موسى ليرعى بها فندم أبوها حيث أخذها وخرج ليأخذها منه حيث هي وديعة فلما رآه موسى يريد أخذها منه مانعه فحكما أول رجل يلقاهما فاتاهما ملك في صورة آدمي فقضى بينهما ان يضعها موسى في الارض فمن حملها منهم فهي له فالقاها موسى فلم يطق أبوها حملها وأخذها موسى بيده فتركها له وكانت من عوسج لها شعبتان وفي رأسها محجن وقيل كانت من آس الجنة حملها آدم معه وقيل في أخذها غير ذلك وأقام موسى عند شعيب يرعى له غنمه عشر سنين وسار باهله في رمن شتاء وبرد فلما كانت الليلة التي أراد الله عز وجل لموسى كرامته وابتداءه فيها بنبوته وكلامه اخطأ فيها الطريق حتى لا يدري أين يتوجه وكانت امرأته حاملا فاخذها الطلق في ليلة شاتية ذات مطر ورعد وبرق فاخرج زنده ليقدح نارا لاهله ليصطلوا ويبيتوا حتى يصبح ويعلم وجه طريقه فاصلد زنده فقدح حتى اعيا فرفعت له نارا فلما رآها ظن انها نار وكانت من نور الله فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر فان لم أجد خبرا آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فحين قصدها رآها نورا فامتد من السماء الى شجرة عظيمة من العوسج وقيل من العناب فتحير موسى وخاف حين رأى نارا عظيمة بغير دخان وهي تلتهب في شجرة خضراء لا تزداد النار الا عظما ولا تزداد الشجرة الا خضرة فطار بامنها استأخرت عنه وفزع ورجع فنودي منها فلما سمع الصوت استانس فعاد فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن من الشجرة في البقعة المباركة ان بورك من في النار ومن حولها يا موسى اني أنا الله رب العالمين فلما سمع النداء ورأى تلك الهيبة علم انه رب به تعالى فخفق قلبه وكل لسانه وصعقت قوته وصار حيا كميت الا ان الروح تتردد فيه فارسل الله اليه ملكا يشد قلبه فلما ثاب اليه عقله نودي اخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى وانما أمر بخلع نعليه لانهما كانتا من جلد حمار ميت وقيل ليباشر قدمه الارض المباركة ثم قال له تسكينا لقلبه وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها واهش بها على غنمي يقول أضرب الشجر فيسقط ورقه للغنم ولي فيها مآرب أخرى أحمل عليها المزود والسقاء وكانت تضيء لموسى في الليلة المظلمة وكانت اذا أعوزه الماء دلاها في البئر فينال الماء ويصير في رأسها شبه الدلو وكان اذا اشتهى فاكهة غرسها في الارض فنبتت لها اغصان تحمل الفاكهة لوقتها قال له ألقها يا موسى فألقاها موسى فاذا هي حية تسعى عظيمة الجثة في خفة حركة الجان فلما

وكان من أمره مع اخوته ما قص الله عز وجل في كتابه وأخبر على لسان نبيه واشتهر ذلك في أمته وقبض الله عز وجل يعقوب بلاد مصر وهو ابن مائة وأربعين سنة فحمله يوسف فدفنه ببلاد فلسطين عند تربة ابراهيم واسحق وقبض الله يوسف بمصر وله مائة وعشر ون سنة وجعل في تابوت من الرخام وشد بالرصاص وطلي بالاطلية الداعية للهواء والماء وطرح في نيل مصر نحو مدينة منف وهناك مقبره وقيل ان يوسف أوصى ان يحمل فيدفن عند أبيه يعقوب في مقبرة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان في عصره (أيوب) النبي صلى الله عليه وسلم وهو أيوب بن موص بن رزاح ابن رعوايل بن العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام وذلك في بلاد الشام من أرض حوران والبثنية من بلاد دمشق والجابية وكان كثير المال والولد فابتلاه الله في نفسه وماله وولده فصبر ورد الله عليه ذلك وأفاله عثرته واقتص ما اقتص من أخباره في كتابه على لسان

رآها موسى ولى مدبرا ولم يعقب فنودى يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون اقبل ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى عصا واغما أمره الله بالقاء العصا حتى اذا ألقاها عند فرعون لا يخاف منها فلما اقبل قال خذها ولا تخف وأدخل يدك فى فيها وكان على موسى جبة صوف فالف يده بكمه وهو لها هائب فنودى ألق كمك عن يدك فالقاه وأدخل يده بين لحيها فلما ادخل يده عادت عصا كما كانت لا ينكر منها شيأ ثم قال له أدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء يعنى برصا فادخلها وأخرجها بيضاء من غير سوء مثل الثلج لها نور ثم ردّها فعادت كما كانت فقيل له هذان برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون وأخى هرون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردأ يصدقنى أى يبين لهم عنى ما أكلمهم به فانه يفهم عنى ما لا يفهمون قال سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون فاقبل موسى الى أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلا فتضيف على أمه وهو لا يعرفهم ولا يعرفونه فجاء هرون فسألها عنه فاخبرته انه ضيف فدعاه فاكل معه وسأله هرون من أنت قال أنا موسى فاعتنقا وقيل ان الله ترك موسى سبعة أيام ثم قال أجب ربك فيما كلمك فقال رب اشرح لى صدرى الآيات فامره بالمسير الى فرعون ولم يزل أهله مكانهم لا يدرون ما فعل حتى مر براع من أهل مدين فعرفهم فاحتملهم الى مدين فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعد ما فلق البحر فسار وا اليه واما موسى فانه سار الى مصر وأوحى الله الى هرون يعلمه بقفول موسى ويأمره بتلقيه فخرج من مصر فالتقى به قال موسى يا هرون ان الله تعالى قد أرسلنا الى فرعون فانطلق معى اليه قال سمعا وطاعة * فلما جاء الى بيت هرون وأطهرانهما ينطلقان الى فرعون سمعت ذلك ابنة هرون فصاحت امهما فقالت أنشدكما الله ان لا تذهبا الى فرعون فيقتلكما جميعا فابيا فانطلقا اليه ليلا فضرب بابه فقال فرعون لبوّابه من هذا الذى يضرب بابى هذه الساعة فاشرف عليهما البوّاب فكلمهما فقال له موسى انا رسولا رب العالمين فاخبر فرعون فادخل اليه وقيل ان موسى وهرون مكثا سنتين يغدوان الى باب فرعون ويروحان يلتمسان الدخول اليه فلم يجسر أحد يخبره بشأنهما حتى أخبره مسخرة كان يضحكه بقوله فامر حينئذ فرعون بادخالهما فلما دخلا قال له موسى انى رسول من رب العالمين فعرفه فرعون فقال له ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما يعنى نبوّة وجعلنى من المرسلين فقال له فرعون ان كنت جئت بآية فات بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين قد فتح فاه فوضع اللحى الاسفل فى الارض والاعلى على القصر وتوجه نحو فرعون ليأخذه فخافه فرعون ووثب فزعا فاحدث فى ثيابه ثم بقى بضعا وعشرين يوما يجيء بطنه حتى كاد يهلك وناشده فرعون بربه تعالى ان يردّ الثعبان فاخذه موسى فعاد عصا ثم ادخل يده فى جيبه وأخرجها بيضاء كالثلج لها نور يتلألأ ثم ردّها فعادت الى ما كانت عليه من لونها ثم اخرجها الثانية لها نور ساطع فى السماء تكل منه الابصار قد اضاءت ما حولها يدخل نورها البيوت ويرى من الكوى ومن وراء الحجب فلم يستطع فرعون النظر اليها ثم ردّها موسى فى جيبه واخرجها فاذا هى على لونها وأوحى الله تعالى الى موسى وهرون ان قولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى فقال له موسى هل لك فى ان أعطيك شبابك فلا تهرم وملكك فلا ينزع وارد اليك لذة المناكح والمشارب والركوب فاذا مت دخلت الجنة وتؤمن بى فقال لا حتى يأتى هامان فلما حضرها مان عرض عليه قول موسى

نبيه صلى الله عليه وسلم ومسجده والعين التى اغتسل منها فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة مشهور ان ببلاد نوى والجولان فيما بين دمشق وطبرية من بلاد الاردن وهذا المسجد والعين على ثلاثة اميال من مدينة نوى ونحو ذلك والحجر الذى كان يأوى اليه فى حال بلائه هو وزوجته واسمها رحمة فى ذلك المسجد الى هذا الوقت وذكر أهل التوراة والكتب الاولى ان (موسى) بن ميشاء بن يوسف بن يعقوب نبى قبل موسى بن عمران وانه هو الذى طلب الخضر بن لمكان بن فالغ بن عابور ابن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وذكر بعض أهل الكتب ان (الخضر) هو خضرون بن عميائيل ابن النصر بن العيص بن اسحق بن ابراهيم وانه أرسل الى قومه فاستجابوا له فكان (موسى) بن عمران ابن قاهث بن لاوى بن يعقوب بمصر فى زمن فرعون الجبار وهو الوليد ابن مصعب بن معاوية بن أبى غيرن الهلواس بن ليث ابن هران بن عمر بن عملاق وهو الرابع من فراعنة

فعجزه وقال له تصير تعبد بعد ان كنت تعبد ثم قال له انا اردّ عليك شبابك فعمل له الوسمة فخضبه بها فهو أول من خضب بالسواد فطار آه موسى هاله ذلك فاوحى الله اليه لا يهولنك ما ترى فلن يلبث الا قليلا فلما سمع فرعون ذلك خرج الى قومه فقال ان هذا لساحر عليم وأراد قتله فقال مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات وقال الملأ من قوم فرعون أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم ففعل وجمع السحرة فكانوا سبعين ساحرا وقيل اثنين وسبعين وقيل خمسة عشر ألفا وقيل ثلاثين الفا فوعدهم فرعون واتعدوا يوم العيد كان لفرعون فصفهم فرعون وجمع الناس وجاء موسى ومعه أخوه هرون وبيده عصاه حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه مع أشراف قومه فقال موسى للسحرة حين جاءهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب فقال السحرة بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر ثم قالوا لأتينك بسحر لم ترمثله وقالوا بعزة فرعون انا نحن الغالبون فقال له السحرة يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال بل القوا فالقوا حبالهم وعصيهم فاذا هي في رأى العين حيات أمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا فاوجس موسى خوفا فاوحى الله اليه ان ألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا فالقى عصاه من يده فصارت ثعبانا عظيما فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم وهي كالحيات في أعين الناس فجعلت تلقفها وتبتلعها حتى لم تبق منها شيأ ثم أخذ موسى عصاه فاذا هي في يده كما كانت وكان رئيس السحرة أعمى فقال له أصحابه ان عصا موسى صارت ثعبانا عظيما وتلقف حبالنا وعصينا فقال لهم ولم يبق لها أثر ولا عادت الى حالها الاول فقالوا لا فقال هذا ليس بسحر فخروا سجدا وتبعه السحرة اجمعون وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال فرعون آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل فقطعهم وقتلهم وهم يقولون ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وكانوا أول النهار كفارا وآخر النهار شهداء وكان حزقيل مؤمن آل فرعون يكتم ايمانه قيل كان من بني اسرائيل وقيل كان من القبط وقيل هو النجار الذي صنع التابوت الذي جعل فيه موسى وألقي في النيل فلما رأى غلبة موسى السحرة أظهر ايمانه وقيل أظهر ايمانه قبل ذلك وكان فرعون أراد قتل موسى فقال أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فلما أظهر ايمانه قتل وصلب مع السحرة وكان له امرأة مؤمنة تكتم ايمانها أيضا وكانت ماشطة ابنة فرعون فبينما هي تمشطها اذ وقع المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت ابنة فرعون أبي قالت لا بل ربي وربك ورب أبيك فاخبرت أباها بذلك فدعا بها وبولدها وقال لها من ربك قالت ربي وربك الله فامر بتنور نحاس فاحمي ليعذبها وأولادها فقالت لي اليك حاجة قال وما هي قالت تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها قال ذلك لك فامر بأولادها فالقوا في التنور واحدا واحدا وكان آخر أولادها صبيا صغيرا فقال اصبري يا أماه فانك على الحق فالقيت في التنور مع ولدها وكانت آسية امرأة فرعون من بني اسرائيل وقيل كانت من غيرهم وكانت مؤمنة تكتم ايمانها فلما قتلت الماشطة رأت آسية الملائكة تعرج بروحها كشف الله عن بصيرتها وكانت تنظر اليها وهي تعذب فلما رأت الملائكة قوى ايمانها وازدادت يقينا وتصديقا لموسى فبينما هي كذلك اذ دخل عليها فرعون فاخبرها خبر الماشطة قالت له آسية الويل لك ما اجرأك على الله فقال لها لعلك اعتراك الجنون الذي اعترى الماشطة فقالت ما بي جنون ولكني آمنت بالله تعالى ربي وربك ورب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها ان ابنتك قد أصابها ما أصاب الماشطة فاقسم

مصر وقد كان طال عمره وعظم جسمه وكان بنو اسرائيل قد استرقوا بعد مضي يوسف واشتد عليهم البلاء وأخبر أهل الكهانة والنجوم والسحر فرعون ان مولودا سيولد ويزيل ملكه ويحدث ببلاد مصر امورا عظيمة فجزع لذلك فرعون وأمر بذبح الاطفال وكان من أمر موسى ما أوحى الله عز وجل الى امه في أمره أن اقذفيه فقذفته في اليم الى آخر ما اقتص من خبره وأوضحه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وكان في ذلك الزمان (شعيب) صلى الله عليه وسلم وهو شعيب بن نويب بن رعويل بن مرين عنقا بن مدين بن ابراهيم فكان لسانه عربيا وكان مبعوثا من أهل مدين فلما خرج موسى عليه السلام هاربا من فرعون مر بشعيب النبي صلى الله عليه وسلم وكان من أمره معه وتزويجه ابنته ما قد ذكره الله عز وجل فكلم الله موسى تكليما وشد عضده بأخيه (هارون) وبعثهما الى فرعون فخالفهما فاغرق الله عز وجل فرعون وأمره الله عز وجل بالخروج ببني اسرائيل الى التيه وكان عددهم ستمائة ألف بالغ

لتذوقن الموت أولتكفرن بالله موسى فخلت بها امها وأرادتها على موافقة فرعون فابت وقالت أما ان اكفر بالله فلا والله فامر فرعون حتى مدت بين يديه أربعة اوتاد وعذبت حتى ماتت فطاعاينت الموت قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين فكشف الله عن بصيرتها فرأت الملائكة وما اعد لها من الكرامات فضحكت فقال فرعون انظروا الى الجنون الذى بها تضحك وهى فى العذاب ثم ماتت ولما رأى فرعون قومه قد دخلهم الرعب من موسى خاف ان يؤمنوا به ويتركوا عبادته فاحتال لنفسه وقال لوزيره هامان ابن لى صرحا لعلى أطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا فامر هامان بعمل الآجر وهو أول من عمله وجمع الصناع وعمله فى سبع سنين وارتفع البنيان ارتفاعا لم يبلغه بنيان آخر فشق ذلك على موسى واستعظمه فاوحى الله اليه ان دعه وما يريد فانى مستدرجه ومبطل ما عمله فى ساعة واحدة فطاتم بناؤه أمر الله جبريل فخربه واهلك كل من عمل فيه من صانع ومستعمل فطار أى فرعون ذلك من صنع الله أمر أصحابه بالشدة على بنى اسرائيل وعلى موسى ففعلوا ذلك وصاروا يكلفون بنى اسرائيل من العمل مالا يطيقونه وكان الرجال والنساء فى شدة وكانوا قبل ذلك يطعمون بنى اسرائيل اذا استعملوهم فصاروا لا يطعمونهم شيأ فيعودون باسوأ حال بريدون يكسبون ما يقومهم فشكوا ذلك الى موسى فقال لهم استعينوا بالله واصبروا ان العاقبة للمتقين وان الله يستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون فطال فى فرعون وقومه الآيات على الكفر تابع الله عليه الآيات فارسل عليهم الطوفان وهو المطر المتتابع فغرق كل شئ لهم فقالوا يا موسى ادع ربك يكشف عنا هذا ونحن نؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل فكشفه الله عنهم ونبتت زروعهم فقالوا ما يسرنا اما لم يضر فبعث الله عليهم الجراد فأكل زروعهم فسألوا موسى ان يكشف ما بهم ويؤمنون به فدعا الله فكشفه فلم يؤمنوا وقالوا قد بقى من زروعنا بقية فأرسل الله عليهم الدبا وهو الفسل فاهلك الزروع والنبات اجمع وكان يهلك أطعمتهم ولم يقدروا ان يحترزوا منه فسألوا موسى أن يكشفه عنهم ففعل فلم يؤمنوا فارسل الله عليهم الضفادع وكانت تسقط فى قدورهم وأطعمتهم وملأت البيوت عليهم فسألوا موسى ان يكشفه عنهم ليؤمنوا به ففعل فلم يؤمنوا فارسل الله عليهم الدم فصارت مياه القرعونيين دما وكان الفرعونى والاسرائيلى يستقيان من ماء واحد فيأخذ الاسرائيلى ماء ويأخذ القرعونى دما وكان الاسرائيلى يأخذ الماء فى فيه فيمجه فى فم القرعونى فيصير دما فبقى ذلك سبعة أيام فسألوا موسى ان يكشفه عنهم ليؤمنوا ففعل فلم يؤمنوا فلما يئس من ايمانهم ومن ايمان فرعون دعا موسى وأمن هرون فقال ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله لهما فمسخ الله أموالهم ماعدا حيلهم وجواهرهم وزينتهم حجارة والنحل والاطعمة والدقيق وغير ذلك فكانت احدى الآيات التى جاء بها موسى فلما طال الامر على موسى أوحى الله اليه يأمره بالمسير ببنى اسرائيل وأن يحمل معه تابوت يوسف بن يعقوب ويدفنه بالارض المقدسة فسأل موسى عنه فلم يعرفه الا امرأة عجوز فأرته مكانه فى النيل فاستخرجه موسى وهو فى صندوق من مرمر فاخذه معه فسار وأمر بنى اسرائيل ان يستعيروا من حلى القبط ما أمكنهم ففعلوا ذلك وأخذوا شيأ كثيرا وخرج موسى ببنى اسرائيل ليلا والقبط لا يعلمون وكان موسى على ساقة بنى اسرائيل وهرون على مقدمتهم وكان سير بنى اسرائيل لما سار وا من مصر ستمائة ألف وعشرين ألفا وتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان فلما رأى

دون من لبس بالغ وكانت الالواح التى أنزلها الله على موسى بن عمران على جبل طور سيناء من زمرذ أخضر فيها كتابة بالذهب فلما نزل من الجبل رأى قوما من بنى اسرائيل قد اعتكفوا على عبادة عجل لهم وارنعد فسقطت الالواح من يده وانكسرت فجمعها وأودعها تابوت السكينة مع عصاه وجعله فى الهيكل وكان هارون كهنا وهو قيم الهيكل وأقام الله بروحل بن بول التوراة على موسى بن عمران وهو فى التيه وقبض الله هرون فى التيه ودفن فى جبل هران من نحو جبل الشراة مما يلى الطور وقبره مشهور فى مغارة عادية يسمع منها فى بعض الليالى دوى عظيم يجزع منه كل ذى روح وقيل انه غير مدفون بل هو موضوع فى تلك المغارة ولهذا الموضع خبر عجيب قد ذكرناه فى كتابنا اخبار الزمان عن الامم الماضية والممالك الداثرة ومن وصل الى هذا الموضع علم ما وصفناه وكان ذلك قبل وفاة موسى بسبعة أشهر وقبض الله هرون وهو ابن مائة وثلاث وعشرين سنة وقيل انه قبض وهو ابن مائة وعشرين وقيل ان

الجمان قال أصحاب موسى انا لمدركون ياموسى أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا اما الاول فكنا نذبحون أبناءنا ونستحيون نساءنا وأما الآن فيدركنا فرعون فيقتلنا قال موسى كلا ان معي ربي سيهدين وبلغ بنو اسرائيل الى البحر وبقي بين أيديهم وفرعون من ورائهم وأيقنوا بالهلاك فتقدم موسى فضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق فقال كل سبط قد هلك أصحابنا فأمر الله الماء فصار كالشبابيك فكان كل سبط يرى من عن يمينه وعن شماله حتى خرجوا ودنا فرعون وأصحابه من البحر فرأى الماء على هيئته والطرق فيه فقال لاصحابه ألا ترون البحر قد فرق مني وانفتح لي حتى أدرك أعدائي فلما وقف فرعون على أفواه الطرق لم تقتحمه خيله فنزل جبريل على فرس أنثى يديق فشمت الحصن ريحها فاقتحمت في أثرها حتى اذا هم أولهم ان يخرج ودخل آخرهم أمر البحر ان يأخذهم فالتطم عليهم فأغرقهم وبنو اسرائيل ينظرون اليهم وانفرد جبريل بفرعون يأخذ من حمأة البحر فيجعلها في فيه وقال حين ادركه الغرق آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وغرق فبعث الله اليه ميكائيل بعيره فقال له الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم لو رأيتني وأنا أدس من حمأة البحر في فم فرعون مخافة ان يقول كلمة رحمه الله بها فلما نجا بنو اسرائيل قالوا ان فرعون لم يغرق فدعا موسى فاخرج الله فرعون غريقا فأخذه بنو اسرائيل يتمثلون به ثم ساروا فأتوا على قوم يعبدون الاصنام فقالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون فتركوا ذلك ثم بعث موسى جندين عظيمين كل جند اثنا عشر ألفا الى مدائن فرعون وهي يومئذ خالية من أهلها قد اهلك الله عظماءهم ورؤساءهم ولم يبق غير النساء والصبيان والزمنى والمرضى والمشايخ والعاجزين فدخلوا البلاد وغنموا الاموال وحملوا ما أطاقوا وباعوا ما عجزوا عن حمله على غيرهم وكان على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوفنا وكان موسى قد وعده الله وهو بصحرا به اذا خرج مع بني اسرائيل منها واهلك الله عدوهم ان يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون فلما اهلك الله فرعون وأنجى بني اسرائيل قالوا يا موسى ائتنا بالكتاب الذي وعدتنا فسأل موسى ربه ذلك فأمره أن يصوم ثلاثين يوما ويتطهر ويطهر ثيابه ويأتي الى الجبل جبل طور سيناء ليكلمه ويعطيه الكتاب فصام ثلاثين يوما أولها أول ذي القعدة وسار الى الجبل واستخلف أخاه هرون على بني اسرائيل فلما قصد الجبل أنكر ريح فمه فتسوك بعود خروب وقيل تسوك بلحاء شجرة فاوحى الله اليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك وأمره ان يصوم عشرة أيام أخرى فصامها وهي عشر ذي الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة ففي تلك الليالي العشر افتتن بنو اسرائيل لان الثلاثين انقضت ولم يرجع اليهم موسى وكان السامري من أهل باجرمى وقيل من بني اسرائيل فقال هرون يا بني اسرائيل ان الغنائم لا تحل لكم والحلي الذي استعرتموه من القبط غنيمة فاحفروا حفرة وألقوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه ففعلوا ذلك وجاء السامري بقبضة من التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل فألقاه فيه فصار الحلي عجلا جسدا له خوار وقيل ان الحلي ألقي في النار فذاب فألقى السامري ذلك التراب فصار الحلي عجلا جسدا له خوار وقيل كان يخور ويمشي وقيل ما خار الا مرة واحدة ولم يعد وقيل ان السامري صاغ العجل من ذلك الحلي في ثلاثة أيام ثم قذف فيه التراب فقام له خوار فطار أو د قال لهم السامري هذا الهكم واله موسى فنسي موسى وتركه ههنا وذهب يطلبه فعكفوا عليه يعبدونه فقال لهم هرون يا قوم انما فتنتم به

موسى قبض بعد وفاة هرون بثلاث سنين وانه خرج الى الشام وكان له بها حروب من سرايا كانوا يسرونها من البر الى العماليق والعريانين والمدينيين وغيرهم ممن كان بالشام وغيرهم من الطوائف على حسب ما في التوراة وأنزل الله عز وجل على موسى عشر صحف فاستتم مائة صحيفة ثم أنزل الله عليه التوراة بالعربية وفيها الامر والنهي والتحريم والتحليل والسنن والاحكام وذلك في خمسة اسفار والسفر يريدون به الصحيفة وكان موسى قد ضرب التابوت الذي فيه السكينة من الذهب من ستمائة ألف مثقال وسبعمائة وخمسين مثقالا فصار الكاهن بعد هارون (يوشع بن نون) من سبط يوسف وقبض الله موسى وهو ابن عشرين ومائة سنة ولم يحدث لموسى ولا لهارون شيء من الشيب ولا حالا عن صفة الشباب ولما قبض الله عز وجل موسى ابن عمران سار يوشع بن نون ببني اسرائيل الى بلاد الشام وقد كان غلب عليها الجبابرة من ملوك العماليق وغيرهم من ملوك الشام فاسرى اليهم يوشع بن نون

وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري فأطاعه بعضهم وعصاه بعضهم فأقام عن معه ولم يقاتلهم ولما تاجى الله تعالى موسى قال له ما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري قال فانا قد فتنا قومك من بعدك يا موسى وأضلهم السامري فقال موسى يارب هذا السامري قد أمرهم ان يتخذوا العجل من نفخ فيه الروح قال أنا قال فأنت اذا أضللتهم ثم ان موسى لما كلمه الله تعالى احب ان ينظر اليه قال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فتجلى الله للجبل فجعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين واعطاه الالواح فيها الحلال والحرام والمواعظ وعاد موسى ولا يقدر أحد أن ينظر اليه وكان يجعل عليه حريرة نحو أربعين يوما ثم يكشفها لما تغشاه من النور فلما وصل الى قومه ورأى عبادتهم العجل ألقى الالواح وأخذ برأس اخيه ولحيته يجره اليه قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي فترك هرون واقبل على السامري وقال ما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس ثم اخذ العجل وبرده بالمبارد واحرقه وأمر السامري فمال عليه وذراه في البحر فلما ألقى موسى الالواح ذهب ستة اسباعها وبقي سبع وطلب بنو اسرائيل التوبة فأبى الله ان يقبل توبتهم وقال لهم موسى يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم فاقتتل الذين عبدوه والذين لم يعبدوه فكان من قتل من الفريقين شهيدا فقتل منهم سبعون ألفا وقام موسى وهرون يدعوان الله فعفا عنهم وأمرهم بالكف عن القتال وتاب عليهم وأراد موسى قتل السامري فأمره الله بتركه وقال انه سخي فلعنه موسى ثم ان موسى اختار من قومه سبعين رجلا من أخيارهم وقال لهم انطلقوا معي الى الله فتوبوا مما صنعتم وصوموا وتطهروا وخرج بهم الى طور سيناء للميقات الذي وقته الله له فقالوا اطلب أن نسمع كلام ربنا فقال افعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل كله ودخل فيه موسى وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام فوقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه فلما فرغ انكشف عن موسى الغمام فأقبل اليهم فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة فماتوا جميعا فقام موسى يناشد الله تعالى ويدعوه ويقول يارب اخترت أخيار بني اسرائيل واعود اليهم وليسوا معي فلا يصدقوني ولم يزل يتضرع حتى رد الله اليهم أرواحهم فعاشوا رجلا رجلا ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فقالوا يا موسى انت تدعو الله فلا تسأله شيأ الا اعطاك فادعه يجعلنا انبياء فدعا الله فجعلهم أنبياء وقيل أمر السبعين كان قبل ان يتوب الله على بني اسرائيل فلما مضوا للميقات واعتذروا وقبل توبتهم وامرهم ان يقتل بعضهم بعضا والله أعلم ولما رجع موسى الى بني اسرائيل ومعه التوراة ابوا ان يقبلوها ويعملوا بما فيها للاثقال والشدة التي جاءبها وامر الله جبريل فقطع جبلا من فلسطين على قدر عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ ورفعه فوق رؤسهم مقدار قامة الرجل مثل الظلة وبعث نارا من قبل وجوههم واتاهم البحر من خلفهم فقال لهم موسى خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا فان قبلتموه وفعلتم ما أمرتم به والا رضختكم بهذا الجبل وغرقتكم في هذا البحر واحرقتكم بهذه النار فلما رأوا ان لا مهرب لهم قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة في اليهود يسجدون على جانب وجوههم وقالوا سمعنا واطعنا ولما رجع موسى من المناجاة بقي أربعين يوما لا يراه أحد الا مات وقيل ما رآه الا عمى فجعل على وجهه ورأسه برنسا

سرابا وكانت له معهم وقائع فافتتح بلادا أريحاء من أرض الغور وهي أرض البحيرة المنتنة التي لا تقبل الغرقاء ولا يتكون فيها ذو روح من سمك ولا غيره وقد ذكرها صاحب المنطق وغيره من الفلاسفة ومن تقدم وتأخر من عصره واليها ينتهي ماء بحيرة طبرية وهو الاردن وبده ماء بحيرة طبرية من بحيرة كقولي وفرعون من أرض دمشق فاذا انتهى مصب نهر الاردن الى البحيرة المنتنة خرقها وانتهى الى وسطها متميزا عن مائها فيغوص في وسطها وهو نهر عظيم فلا يدري اين غاص من غير ان يزيد من البحيرة ولا ينقص منها ولهذه البحيرة أعني المنتنة اخبار عجيبة وقصة طويلة وقد أتينا على ذلك في كتابنا اخبار الزمان عن الامم الماضية والملوك الداثرة وذكرنا أخبار الاحجار التي تخرج منها على صورة البطيخ على شكلين ويعرف الواحد منها بالحجر اليهودي وذكرته الفلاسفة واستعملته في الطب لمن به وجع الحصاة في المثانة وهو نوعان ذكر وانثى فالذكر للرجال والانثى للنساء ومن هذه البحيرة

لئلا يرى وجهه * ثم ان رجلا من بني اسرائيل قتل ابن عم له ولم يكن له وارث غيره ليرث ماله وحمله والقاه بموضع آخر ثم اصبح يطلب دمه عند موسى من بعض بني اسرائيل فجعدوا فسأل موسى ربه فامرهم ان يذبحوا بقرة فقالوا اتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين المستهزئين فقالوا له ما هي ولو ذبحوا بقرة تما لاجزأت عنهم ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم وانما كان تشديدهم لان رجلا منهم كان بارا بامه وكان له بقرة على النعت المذكور فنفعه بره بامه فلم يجدوا على الصفة المذكورة الا بقرته فباعها منهم بملء جلدها ذهبا فلما سألوا موسى عنها قال انها بقرة لا فارض ولا بكر يقول لا كبيرة ولا صغيرة نصف بين السنين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها يعني لا عيب فيها وقيل لا بياض فيها قالوا الآن جئت بالحق وطلبوها فلم يجدوا الا بقرة ذلك الرجل البار بامه فاشتروها فاتى بها حتى أخذ ملء جلدها ذهبا فذبحوها وضربوا القتيل بلسانها وقيل بغيره فحيي وقال قتلني فلان ثم مات

﴿ذكر أمر بني اسرائيل في التيه ووفاة هرون عليه السلام﴾

ثم ان الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يسير ببني اسرائيل الى ارياحا بلد الجبارين وهي أرض بيت المقدس فساروا حتى كانوا قريبا منهم فبعث موسى اثني عشر نقيبا من سائر اسباط بني اسرائيل فساروا اليأتوا بخبر الجبارين فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عناق فاخذ الاثني عشر فحملهم وانطلق بهم الى امرأته فقال انظري الى هؤلاء القوم الذين يزعمون انهم يريدون ان يقاتلونا وارادان يطأهم برجله فنعته امرأته وقالت اطلقهم ليرجعوا ويخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك فلما خرجوا قال بعضهم لبعض انكم ان أخبرتم بني اسرائيل بخبر هؤلاء لا يقدموا عليهم فاكتموا الامر عنهم وتعاهدوا على ذلك ورجعوا ومكث عشرة منهم العهد واخبروا بما رأوا وكتم رجلان منهم وهما يوشع بن نون وكالب بن يوقا ختن موسى ولم يخبروا الا موسى وهرون فلما سمع بنو اسرائيل الخبر عن الجبارين امتنعوا عن المسير اليهم فقال لهم موسى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان وهما يوشع وكالب من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فغضب موسى فدعا عليهم فقال رب اني لا أملك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وكانت عجلة من موسى فقال الله تعالى فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فندم موسى حينئذ فقالوا له فكيف لنا بالطعام فانزل الله المن والسلوى فاما المن فقيل هو كالصمغ وطعمه كالشهد يقع على الاشجار وقيل هو الترنجبين وقيل هو الخبز الرقاق وقيل هو عسل كان ينزل لكل انسان صاع وأما السلوى فهو طائر يشبه السمانى فقالوا أين الشراب فامر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين فقالوا أين الظل فظلل عليهم الغمام فقالوا أين اللباس فكانت ثيابهم تطول معهم ولا يتمزق لهم ثوب ثم قالوا يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم فلما خرجوا من التيه رفع

يخرج الغبار المعروف بالحمرة وليس في الدنيا والله أعلم بحيرة لا يتكون فيها ذو روح من سمك وغيره الا هذه البحيرة وبحيرة ركبتها ببلاد اذربيجان بين مدينة ارمينية ومنارة هي المعروفة هناك بكنودان وقد ذكر الناس ممن تقدم عذر عدم تكون الحيوان في البحيرة المتنة ولم يتعرضوا لبحيرة كنودان وينبغي على قياس قولهم ان تكون عينهما واحدة وسار ملك الشام وهو السميدع بن هوبر بن مالك الى يوشع بن نون فكانت بينهم حروب الى ان قتله يوشع واحتوى على جميع ملكه والحق به غيره من الجبابرة والعماليق وشن الغارات بارض الشام وكانت مدة يوشع بن نون في بني اسرائيل بعد وفاة موسى ابن عمران تسعا وعشرين سنة وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم وقيل ان يوشع بن نون كان بدو محاربته لملك العماليق وهو السميدع ببلاد ايلة نحو مدين ففي ذلك يقول عوف ابن سعيد الجرهمي

ألم تر ان العلقمي بن هوبر
بايلة أمسى لجه قد تمزعا
تداعت اليه من يهود جحافل
ثلاثون ألفا حاسرين ودرعا

عنهم المن والسلوى ثم ان موسى التقى هو وعوج بن عناق فوثب موسى عشرة اذرع وكانت عصاه عشرة اذرع كان طوله عشرة اذرع فاصاب كعب عوج فقتله وقيل عاش عوج ثلاثة آلاف سنة ثم ان الله أوحى الى موسى انى متوفى هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلقا نحوه فاذا هم فيه بشجرة لم يروا مثلها وفيه بيت مبنى وسرير عليه فرش وريح طيبة فلما رآه هرون أعجبه قال يا موسى انى اريد ان انام على هذا السرير فقال له موسى ثم قال انى اخاف رب هذا البيت ان يأتى فيغضب على قال موسى لا تخف أنا أكفيك قال فنم معى فلما نام أخذ هرون الموت فلما وجد حسه قال يا موسى خدعتنى فتوفى ورفع على السرير الى السماء ورجع موسى الى بنى اسرائيل فقال له بنو اسرائيل انك قتلت هرون لحبنا اياه فقال ويحكم افترونى ان أقتل أخى فلما أكثروا عليه صلى ودعا الله فنزل بالسرير حتى نظروا اليه ما بين السماء والارض فاخبرهم انه مات وان موسى لم يقتله فصدقوه وكان موته فى التيه

﴿ ذكر وفاة موسى عليه السلام ﴾

قيل بينما موسى عليه السلام يمشى ومعه يوشع بن نون فتاه اذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر اليها يوشع ظن انها الساعة فالتزم موسى وقال لا تقوم لساعة وانا ملتزم نبى الله فاستل موسى من تحت القميص وبقى القميص فى يدى يوشع فلما جاء يوشع بالقميص أخذه بنو اسرائيل وقالوا قتلت نبى الله فقال ما قتلته ولكنه استل منى فلم يصدقوه قال فاذا لم تصدقونى فاخرونى ثلاثة أيام فوكلوا به من يحفظه فدعا الله فاتى كل رجل كان يحرسه فى المنام فاخبر ان يوشع لم يقتل موسى فاناروا فعناه الينا نتركوه وقيل ان موسى كره الموت فأراد الله ان يحبب اليه الموت فاوحى الله الى يوشع بن نون وكان يغدو عليه ويروح ويقول له موسى يا نبى الله ما أحدث الله اليك فقال له يوشع بن نون يا نبى الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شئ مما أحدث الله لك ولا يذكر له شيأ فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت وقيل انه مر متفردا برهط من الملائكة يحفرون قبرا فعرفهم فوقف عليهم فلم ير أحسن منه ولم ير مثل ما فيه من الخضرة والبهجة فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا نحفره لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد له منزل كريم ما رأيت مضجعا ولا مدخلا مثله فقالوا أتحب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك وتنفس اسهل تنفس تنفسه فنزل فيه وتوجه الى ربه ثم تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وكان صلى الله عليه وسلم زاهدا فى الدنيا راغبا فيما عند الله انما كان يستظل فى عريش ويأكل ويشرب من نقير من حجر تواضعا الى الله تعالى وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله أرسل ملك الموت ليقبض روحه فلطمه ففقأ عينه فعاد وقال يا رب أرسلتنى الى عبد لا يحب الموت قال الله ارجع له وقل له يضع يده على ظهر ثور وله بكل شعرة تحت يده سنة وخيره بين ذلك وبين ان يموت الآن فاتاه ملك الموت وخيره فقال له فما بعد ذلك قال الموت قال فالآن اذا فقبض روحه وهذا القول صحيح قد صح النقل به عن النبى صلى الله عليه وسلم فكان موته فى التيه أيضا وقيل بل هو الذى فتح مدينة الجبارين على ما نذكره وكان جميع عمر موسى مائة وعشرين سنة من ذلك فى ملك افريدون عشرون وفى ملك منوجهر مائة سنة وكان ابتداء أمره منذ بعثه الله الى ان قبضه فى ملك منوجهر ثم نبئ بعده يوشع بن نون فكان فى زمن منوجهر عشرين سنة وفى زمن افراسياب سبع سنين

﴿ ذكر يوشع بن نون عليه السلام وفتح مدينة الجبارين ﴾

فاستبقى عداد العماليق بعده على الارض يتشيا مصعدين وفزعا كما ان لم يكونوا بين أجبال مكة ولم يرهم قبل ذلك السميدعا وكان بقرية من قرى البلقاء من بلاد الشأم رجل يقال له بلعم بن باعوراء بن سنور بن وسيم بن ناب بن لوط بن هاران وكان مستجاب الدعوة فحمله قومه على الدعاء على يوشع بن نون فلم يتأت له ذلك وعجز عنه فاشار على بعض ملوك العماليق ان يبرز والحسان من النساء نحو عسكر يوشع بن نون ففعلوا فتسرعوا الى النساء فوقع فيهم الطاعون فهلك منهم سبعون ألفا وقيل ان يوشع بن نون قبض وهو ابن مائة وعشرين سنة وقام فى بنى اسرائيل بعد يوشع بن نون (كالب) بن يوفنا بن يارض بن يهوذا ويوشع وكالب الرجلان اللذان انعم الله عليهما (قال المسعودى) ووجدت فى نسخة ان القائم فى بنى اسرائيل بعد وفاة يوشع بن نون (وشان) الكعرى وانه أقام فيهم ثمانين سنة وهلك وملك (عمايل) بن قائم من سبط يهوذا أربعين سنة وقيل (كوش) جبار كان فى آب من أرض البلقاء وان

لما توفى موسى بعث الله يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام نبيا الى بنى اسرائيل وأمره بالمسير الى أريحا مدينة الجبارين واختلف العلماء فى فتحها على يد من كان فقال ابن عباس ان موسى وهرون توفيا فى التيه وتوفى فيه كل من دخله وقد جاوز العشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فلما انقضى أربعون سنة أوحى الله الى يوشع بن نون فامره بالمسير اليها وفتحها ومثله قال قتادة والسدى وعكرمة وقال آخرون ان موسى عاش حتى خرج من التيه وسار الى مدينة الجبارين وعلى مقدمته يوشع بن نون ففتحها وهو قول ابن اسحق قال ابن اسحق سار موسى بن عمران الى أرض كنعان لقتال الجبارين وقدم يوشع ابن نون وكالب بن يوفنا وهو صهره على اختته مريم بنت عمران فلما لقوها اجتمع الجبارون الى بلعم بن باعورا وهو من ولد لوط فقالوا له ان موسى قد جاءنا بقضاء وبحر جاس ديارنا فادع الله عليهم وكان بلعم يعرف اسم الله الاعظم فقال لهم كيف ادعو على نبى الله والمؤمنين ومعهم الملائكة فراجعوه فى ذلك وهو يمتنع عليهم فاوا امرأته وأهدوا لها هدية فقبلتها وطلبوا اليها ان تحسن لزوجها ان يدعو لبنى اسرائيل فقالت له فى ذلك فامتنع فلم تزل به حتى قال استخير الله فاستخار الله تعالى وبقاه فى المنام فاخبرها بذلك فقالت راجع ربك فعاود الاستخارة فلم يرد اليه جوابا فقالت لو أراد ربك اهلاكك لم يترك هذا منك ولم تزل تخدعه حتى اجابهم فركب حماره متوجها الى جبل مشرف على بنى اسرائيل ليقف عليه ويدعو عليهم فسار عليه الا قليلا حتى ربض الحمار فنزل عنه وسيره حتى قام فركبه فسار به قليلا فعثر فعل ذلك ثلاث مرات فلما اشتد سيره فى اثنائه اطلعه الله تعالى له وبخه يا بلعم أين تذهب أما ترى الملائكة تردنى فلم يرجع فاطلق الله الحمار حينئذ فسار عليه حتى أشرف على بنى اسرائيل فكان كلما اراد ان يدعو عليهم يصرف لسانه الى الدعاء لهم واذا أراد ان يدعو لقومه انقلب دعاؤه عليهم فقالوا له فى ذلك فقال هذا شئ غلبنى الله عليه وابدا لسانه فوقع على صدره فقال الآن قد ذهبت منى الدنيا والآخرة ولم يبق غير المكر والحيلة وأمرهم ان يزينوا نساءهم ويعطوهن السلع للبيع ويرسلوهن الى العسكر ولا يمنع امرأة منهم ممن يريدها وقال ان زنى منهم رجل واحد كفيتموهم فعلوا ذلك ودخل النساء عسكر بنى اسرائيل فاخذ رمرى بن شلوم وهو رأس سبط شمعون بن يعقوب امرأة وأتى بها موسى وقال له أطلنا تقول هذا حرام فوالله لا نطيعك ثم أدخلها خيمته فوقع عليها فانزل الله عليهم الطاعون وكان فنحاص بن العيزار بن هرون صاحب أمر عمه موسى غائبا فلما جاء رأى الطاعون فاسترجع وبنى اسرائيل وأخذ الحربة وكان ذا قوة وبطش فقصد رمرى فرآه وهو مع المرأة فطعنهما بحربته فى يده فاضطمهما ورفع الطاعون وقد هلك فى تلك الساعة عشرون ألفا وقيل سبعون ألفا فانزل الله فى بلعم وانل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان وكان من الغاوين ثم ان موسى قدم يوشع الى اريحا فى بنى اسرائيل فدخلها وقتل بها الجبارين وبقيت منهم بقية وقد قاربت الشمس المغروب فخشى ان يدركهم الليل فيحجروه فدعا الله تعالى ان يحبس عليهم الشمس فعل وحبسها حتى استأصلهم ودخلها موسى فاقام بها ما شاء الله ان يقيم وقبضه الله اليه لا يعلم بقبره أحد من الخلق وأما من زعم ان موسى كان قد توفى قبل ذلك وقال ان الله أمر يوشع بالمسير الى مدينة الجبارين فسار ببنى اسرائيل فسار به رجل يقال له بلعم بن باعورا وكان يعرف الاسم الاعظم وساق من حديثه نحوا مما تقدم فلما أمر يوشع بالجبارين أدركه المساء ليلة السبت فدعا الله فرد الشمس عليه وزاد فى النهار ساعة فهزم الجبارين ودخل مدينتهم وجمع

بنى اسرائيل كسرت بعد ذلك فهلك الله عليهم (كنعان) عشرين وهلك وكان على بنى اسرائيل (عملاق) الاحبارى أربعين سنة ثم قام (سمويه) الى ان وليهم طالوت وخرج عليهم جالوت الجبار وهلك الجبار من أرض فلسطين (قال المسعودى) فاما على الرواية الاولى التى قدمنا ذكرها فالقائم بعده فى بنى اسرائيل والمدبر لهم فنحاص بن العيزار بن هرون ابن عمران ثلاثين سنة وكان عهد الى مصاحف موسى بن عمران عليه السلام فحملها فى حاشية نحاس ورصص رأسها وأتى بها صخرة بيت المقدس وذلك قبل سائه وابرجت فادام عاره فيها صخرة ثانية فوضع الحاشية فيها والتصقت الصخرة على ذلك كلكومها أولا ولما هلك فيحاس بن العيزار دبر أمرهم كوشان بن لاسم ملك الجزيرة فتعبدنى اسرائيل وأحدهم البلاء ثمان سنين ثم دبرهم عثنيئال ابن قناز اخو كالاب من سبط يهوذا أربعين سنة ثم دبرهم عنلون ملك هاب تعبد شديدا ثمان عشرة سنة ثم دبرهم أهود من ولد افرايم حسا وعشرين سنة وخمس وثلاثين سنة حلت من ايامهم للعالم

غنائمهم ليأخذها القربان فلم تأت النار فقال يوشع فيكم غلول فبايعوني فبايعوه فلصقت يده في يد من غل فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل بالياقوت فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلتهما وقيل بل حصرها سنة أشهر فلما كان السابع تقدموا الى المدينة وصاحوا صيحة واحدة فسقط السور فدخلوها وهزموا الجبارين وقتلوا فيهم فأكثروا ثم اجتمع جماعة من ملوك الشام وقصدوا يوشع فقاتلهم وهزمهم وهرب الملوك الى غار فأمر بهم يوشع بن نون فقتلوا وصلبوا ثم ملك الشام جميعه فصار لبني اسرائيل وفرق عماله فيه ثم توفاه الله فاستخلف على بني اسرائيل كالب بن يوفنا وكان عمر يوشع مائة وستا وعشرين سنة وكان قيامه بالامر بعد موسى سبعا وعشرين سنة وأما من بقي من الجبارين فان افريقش بن قيس بن صيفي بن سبا بن كعب بن زيد بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان مر بهم متوجها الى افريقية فاحتملهم من سواحل الشام فقدم بهم افريقية فافتتحها وقتل ملكها جرجير وأسكنهم اياها فهم البرابرة واقام من حمير في البربر صنهاجة وكتامة فهم فيهم الى اليوم

﴿ذكر أمر قارون﴾

وكان قارون بن يصهر بن قاهث وهو ابن عم موسى بن عمران بن قاهث وقيل كان عم موسى والاول أصح وكان عظيم المال كثير الكنوز قيل ان مفاتيح خزائنه كانت تحمل على أربعين بغلا فبغى على قومه بكثرة ماله فوعظوه ونهوه وقالوا له ما قص الله تعالى في كتابه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين فاجابهم جواب مغتر لحلم الله عنه فقال انما أوتيته يعني المال والخزائن على علم عندي قيل على خبر ومعرفة مني وقيل لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا فلم يرجع عن غيه ولكنه تمادى في طغيانه حتى خرج على قومه في زينته وهي انه ركب برذونا أبيض بمراكب الارجوان المذهبة وعليه الثياب المعصفرة وقد حمل معه ثلثمائة جارية على مثل برذونه وأربعة آلاف من أصحابه وبنى داره وضرب عليها صفائح الذهب وعمل لها بابا من ذهب فتمنى أهل الغفلة والجهل مثل ماله فنهاهم أهل العلم بالله وأمره الله تعالى بالزكاة فجاء الى موسى من كل ألف دينار دينار وعلى هذا من كل ألف شيء شيء فلما عاد الى بيته وجده كثيرا فجمع نفرا يثق بهم من بني اسرائيل فقال ان موسى امركم بكل شيء فاطيعوه وهو الآن يريد أخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت فقال آمركم ان تحضروا بلانة البغي فجعلوا لها جعلا فتقذفه بنفسها ففعلوا ذلك فاجابتهم اليه ثم أتى موسى فقال ان قومك قد اجتمعوا لك لتأمرهم وتنهاهم فخرج اليهم فقال من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة وان كانت له امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت أنت فقال نعم قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فقال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسى أقسمت عليك بالذي أنزل التوراة الا صدقت أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء قالت لا كذبوا ولكن جعلوا لي جعلا على ان أقذفك فسجد وداعا عليهم فاوحى الله اليه مر الارض بما شئت تطعك فقال يا أرض خذيهم وقيل ان هذا الامر بلغ موسى فدعا الله تعالى عليه فأوحى الله اليه مر الارض بما شئت تطعك فجاء موسى الى قارون فلما دخل عليه عرف الشر في وجهه فقال له يا موسى ارحمني فقال موسى يا أرض خذيهم فاضطربت داره وساخت بقارون وأصحابه الى الكعبين وجعل يقول يا موسى ارحمني قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى ركبهم فلم يزل

ربعة آلاف سنة وقيل غير ذلك من التاريخ ثم دبرهم ساعان بن أهوذ خمسا وعشرين سنة ثم دبرهم بابين الكنعاني ملك الشام عشرين سنة ثم دبرهم امرأة يقال لها دبورا وقيل انها ابنته وضمت اليها رجلا من سبط نفتالي يقال له بازاق أربعين سنة ثم تداولتهم رؤساء بني اسرائيل وهم عريب وزيب وبرسونا ودارع وصلناع تسع سنين وثلاثة أشهر ثم دبرهم كذعون من آل ميشا أربعين سنة وقيل ملوك مدين ثم ابنه أبيمالخ ثلاث سنين وثلاثة أشهر ثم توبع من آل فرعون ثلاثة وعشرين سنة ثم سابه من آل ميشا اثنتين وعشرين سنة ثم ملوك عمان ثماني عشرة سنة وثلاثة أشهر ثم بحثون من بيت لحم سبع سنين ثم قهرهم ملوك فلسطين أربعين سنة ثم عالي الكاهن بعد ذلك أربعين سنة وفي زمانه ظفر البابليون ببني اسرائيل وغنموا التابوت وكان بنو اسرائيل يستفتحون به فحملوه الى بابل وأخرجوهم من ديارهم وابنائهم وكان ما كان من أمر قوم حزقيل وهم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا

يستطعمه وهو يقول يا أرض خذيهم حتى خسف بهم فأوحى الله الى موسى ما أفظك أما وعزتي لو اياي نادى لاجبته ولا أعيد الارض تطيع احدا أبدا بعدك فهو يخسف به كل يوم قامة فلما أنزل الله تعالى منه حمد المؤمنون الله وعرف الذين تمنوا مكانه بالامس خطأ أنفسهم واستغفروا وتابوا

﴿ ذكر من ملك من الفرس بعد منوجهر ﴾

لما هلك منوجهر ملك فارس سارا فراسياب بن فشنج بن رستم ملك الترك الى مملكة الفرس واستولى عليها وسار الى أرض بابل وأكثر المقام بها وبجهرجان فقذف وأكثر الفساد في مملكة فارس وعظم ظلمه وأخرب ما كان عامرا ودفن الانهار والقنى وقحط الناس سنة خمس من ملكه الى ان خرج عن مملكة فارس ولم يزل الناس منه في أعظم البلية الى ان ملك زوبن طهماسب وكان منوجهر قد سخط على ولده طهماسب ونفاه عن بلاده فأقام في بلاد الترك عند ملك لهم يقال له وامن وتزوج ابنته فولدت له زوبن طهماسب وكان المنجمون قد قالوا لابيها ان ابنته تلد ولدا يقتله فحبسها فلما تزوجها طهماسب وولدت منه كتمت أمرها وولدها ثم ان منوجهر رضي عن طهماسب وأحضره اليه فاحتال في اخراج زوجته وابنه زو من محبسهما فوصلت اليه ثم ان زو فيما ذكر قتل جده وأمن في بعض الحروب وطرد افراسياب التركي عن مملكة فارس حتى رده الى الترك بعد حروب جرت بينهما فكانت غلبة افراسياب على أقاليم بابل ومملكة الفرس اثنتي عشرة سنة من لدن توفي منوجهر الى أن أخرجه عنها زو وكان اخراجه عنها في زوزابان من شهر ابان ماه فاتخذ لهم هذا اليوم عيدا وجعلوه الثالث لعيديهم النوروز والمهرجان وكان زو محمودا في ملكه محسنا الى رعيته وأمر باصلاح ما كان افراسياب أفسده من مملكتهم وبعمارة الحصون واخراج المياه التي غوّر طرقها حتى عادت البلاد الى أحسن ما كانت ووضع عن الناس الخراج سبع سنين فعمرت البلاد في ملكه وكثرت المعايش واستخرج بالسواد نهرا وسماه الزاب وبنى عليه مدينة وهي التي تسمى العتيقة وجعل لها طسوج الزاب الاعلى وطسوج الزاب الاوسط وطسوج الزاب الاسفل وكان أوّل من اتخذ ألوان الطبيخ وأمر بها وباصناف الاطعمة وأعطى جنوده ما غنم من الترك وغيرهم وكان جميع ملكه الى ان انقضت مدته ثلاث سنين وكان كرشاسب بن انوط وزيره في ملكه ومعينه فيه وقيل كان شريكه في الملك والاوّل أصح وكان عظيم الشأن في فارس الا انه لم يملك

﴿ ذكر ملك كيقباذ ﴾

ثم ملك بعد زو كيقباذ بن راع بن ميسرة بن نوذر بن منوجهر وقدر مياه الانهار والعيون لشرب الارض وسمى البلاد بأسمائها وحدها بحدودها وكور الكور وبين حيز كل كورة وأخذ العشر من غلاتها الا رزاق الجند وكان فيما ذكر كيقباذ حريصا على عمارة البلاد ومنعها من العدو كثير الكنوز وقيل ان الملوك الكيانية وآباءهم من نسله وجرت بينه وبين الترك حروب كثيرة فكان مقيما بالقرب من نهر بلخ وهو جيحون لمنع الترك من تطرق شيء من بلاده وكان ملكه مائة سنة

﴿ ذكر الاحداث في بني اسرائيل في عهد زو وكيقباذ ونبوة حزقيل ﴾

لما توفي يوشع بن نون قام بأمر بني اسرائيل بعده كالب بن يوفنا ثم حزقيل بن نوري وهو الذي يقال له ابن العجوز وانما قيل له ذلك لان أمه سألت الله الولد وقد كبرت فوهبه الله لها وهو الذي دعا

ثم أحياهم وكان قد أصابهم الطاعون فبقي منهم ثلاثة اسباط فلحقت فرقة بالرمل وفرقة بشواهق الجبال وفرقة بجزيرة من جزائر البحر وكان لهم خبر طويل حتى رجعوا الى ديارهم فقالوا لحزقيل هل رأيت قوما أصابهم ما أصابنا قال لا ولا سمعت بقوم فروا من الله فراركم فسلط الله عليهم الطاعون سبعة أيام فماتوا عن آخرهم ودبر بني اسرائيل بعد غيلام الكاهن شمويل بن بروحان بن ناحورا ونبي فمكث فيهم عشرين سنة ووضع الله عز وجل عنهم القتال وصلح أمرهم فخلطوا بعد ذلك فقالوا لشمويل ابعث لنا ملكا يقاتل معنا في سبيل الله فامر بتمليك طالوت وهو ساود بن بشر بن ابنال ابن طرون بن بحرون بن افيح بن سميداح بن فالح ابن بقيامين بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام فملكه عليهم ولم يجمعهم قبل ذلك مثل طالوت وكان بين خروج موسى عليه السلام ببني اسرائيل من مصر الى ان ملك على بني اسرائيل طالوت خمسمائة سنة واثنتان وسبعون وثلاثة أشهر وكان طالوت دباغا يعمل الأدم

للقوم الموتى فأحياهم الله وكان سبب ذلك ان قرية يقال لها راوردان وقع بها الطاعون فهرب عامة أهلها ونزلوا ناحية فهلك أكثرهم بقي بالقرية وسلم الآخرون فلما ارتفع الطاعون رجعوا وقال الذين بقوا أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا بقينا فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وهم بضعة وثلاثون ألفا وقيل ثلاثة آلاف وقيل أربعة آلاف وقيل غير ذلك حتى نزلوا ذلك المكان فصاح بهم ملك فماتوا ونخرت عظامهم فمر بهم حزقيل فلما رآهم جعل يتفكر في بعثهم فأوحى الله اليه أتريد أن أريك كيف أحييهم قال نعم فقيل ناد فنادى يا أيتها العظام البالية ان الله يأمرك ان تجتمعي فجعلت العظام تطير بعضها الى بعض حتى صارت أجسادا من عظام ثم نادى يا أيتها العظام ان الله أمرك ان تكتسي فالبست لحما ودما وثيابها التي ماتت فيها ثم نادى يا أيتها الارواح ان الله يأمرك أن تعودي الى أجسادك فعادت وقامت الاجساد أحياء وقالوا حين أحيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا أنت فرجعوا الى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى بحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد كفنا دسما ثم ماتوا ثم مات حزقيل ولم تذكر مدته في بني اسرائيل وقيل كانوا قوم حزقيل فلما أن ماتوا بكى حزقيل وقال يارب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا فقال الله أتحب ان احييهم قال نعم قال فاني قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا باذن الله تعالى فعاشوا

﴿ذكر الياس عليه السلام﴾

لما توفي حزقيل كثرت الاحداث في بني اسرائيل وتركوا عهد الله وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم الياس بن ياسين بن فنحاص بن العزار بن هرون بن عمران نبيا وكان الانبياء في بني اسرائيل بعد موسى بن عمران يبعثون بتجديد ما نسوا من التوراة وكان الياس مع ملك من ملوكهم يقال له اداب وكان يسمع منه ويصدقه وكان الياس يقيم له أمره وكان بنو اسرائيل قد اتخذوا صنما يعبدونه يقال له بعل فجعل الياس يدعوهم الى الله وهم لا يسمعون الا من ذلك الملك وكان ملوك بني اسرائيل متفرقة كل ملك قد تغلب على ناحية بأكلها فقال ذلك الملك الذي كان الياس معه والله ما أرى ادى تدعو اليه الا باطلا لاني أرى فلانا وفلانا يعبد ملوك بني اسرائيل قد عبدوا الاوثان فلم يضرهم ذلك شيأ يأكلون ويشربون ويتمتعون ما ينقص ذلك من دنياهم وما نرى لنا عليهم من فضل ففارقه الياس وهو يسترجع فعبد ذلك الملك الاوثان أيضا وكان للملك جار صالح مؤمن يكتم ايمانه وله بستان الى جانب دار الملك والملك يحسن جواره وللملك زوجة عظيمة الشر والكفر فقالت له ايأخذ بستان الرجل فلم يفعل فكانت تخلف زوجها اذا سار عن بلده وتظهر للياس فعاب مرة فوضعت امرأته على صاحب البستان من شهد عليه أنه سب الملك فقتلته وأخذت بستانه فلما عاد الملك غضب من ذلك واستعظمه وأنكره فقالت فان أمره فاوحى الله الى الياس يأمره ان يقول للملك وامره أنه ان يرد البستان على ورثة صاحبه فان لم يفعل غضب عليهما وأهلكهما في البستان ولم يتمتعا به الا قليلا فاخبرهما الياس بذلك فلم يراجعا الحق فلما رأى الياس أن بني اسرائيل قد أبوا الا الكفر والظلم دعا عليهم فامسك الله عنهم المطر ثلاث سنين فهلكت الماشية والطيور والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا واستخفى الياس خوفا من بني اسرائيل فكان يأتيه رزقه ثم انه أوى ليلة الى امرأة من بني اسرائيل لها ابن يقال له اليسع بن أخطوب به ضر شديد فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به واتبع الياس وكان معه وصحبه وصدقه وكان الياس قد كبر فاوحى الله اليه انك قد أهلكت كثيرا من الخلق

فاخبرهم نبيهم شمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا فتملوا فيه ما اخبر الله عز وجل في كتابه أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم وأخبرهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة وكان مدة ما مكث التابوت ببابل عشرين سنين فسمعوا عند الفجر حفيف الملائكة تحمل التابوت واشتد سلطان جالوت وكثرت عساكره وقواده وبلغه انقياد بني اسرائيل الى طالوت فسار جالوت من فلسطين باجناس من البربر وهو جالوت بن بابيل بن ريار ابن حطال بن فارس فنزل بساحة بني اسرائيل فامر شمويل طالوت بالمسير ببني اسرائيل الى حرب جالوت فابتلاهم الله عز وجل بنهر بين الاردن وفلسطين وسلط الله عليهم العطش وقد قص الله ذلك في كتابه وأمروا كيف يشربون من النهر فولغه أهل الريبة ولغ الكلاب فقتلهم طالوت عن آخرهم ثم فضل من

من البهائم والدواب والطير وغيرها ولم يعصر سوى بنى اسرائيل فقال الياس أى رب دعنى اكن انا الذى أدعوهم وابتهج بالفرج لعلهم يرجعون فجاء الياس اليهم وقال لهم انكم قد هلكتم وهلكت الدواب بخطاياكم فان أحببتم ان تعلموا ان الله ساخط عليكم بفعلكم وأن الذى أدعوكم اليه هو الحق فاخرجوا بأصنامكم وادعوها فان استجابت لكم فذلك الحق كما تقولون وان هى لم تفعل علمتم انكم على باطل فنزعتم ودعوت الله فنرج عنكم قالوا انصفت فخرجوا بأصنامهم فدعوها فلم يستجب لهم ولم يفرج عنهم فقالوا لالياس اناقد هلكنا فادع الله لنا فدعا لهم بالفرج وأن يسقوا فخرجت سحابة مثل الترس وعظمت وهم ينظرون ثم أرسل الله منها المطر فحيت بلادهم وفرج الله عنهم ما كانوا فيه من البلاء فلم ينزعوا ولم يراجعوا الحق فلما رأى ذلك اليأس سأل الله ان يقبضه فيريحه منهم فكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فصار ملكا انسيا هواويا أرضيا وسلط الله على الملك وقومه عدوا فظفر بهم وقتل الملك وزوجته بذلك البستان وألقاهما فيه حتى بليت لحومهما

﴿ذكر نبوة اليسع عليه السلام وأخذ التابوت من بنى اسرائيل﴾

فلما انقطع الياس عن بنى اسرائيل بعث الله اليسع فكان فيهم ما شاء الله ثم قبضه الله وعظمت فيهم الاحداث وعندهم التابوت يتوارثونه فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة فكانوا اذا لقاهم عدو يقدمون التابوت الا هزم الله العدو وكانت السكينة شبه رأس هرة فاذا صرخت فى التابوت بصراخ هرة يقنوا بالنصر وجاءهم الفتح ثم خلف فيهم ملك يقال له ايلاف وكان الله يمنعهم ويحميهم فلما عظمت أحداثهم نزل بهم عدو فخرجوا اليه وأخرجوا التابوت فاقتتلوا فعلبهم عدوهم على التابوت وأخذه منهم وانهزموا فلما علم ملكهم ان التابوت أخذ مات كمدا ودخل العدو أرضهم ونهب وسبى وعاد فمكثوا على اضطراب من أمرهم واختلاف وكانوا يتعادون أحيانا فى غيهم فيسلط الله عليهم من ينتقم منهم فاذا رجعوا التوبة كف الله عنهم ثم عدوهم فكان هذا حالهم من لدن توفى يوشع بن نون الى ان بعث الله اشمويل وملكهم طالوت وردعليهم التابوت وكانت مدة ما بين وفاة يوشع الذى كان يلى أمر بنى اسرائيل بعضها القضاء وبعضها الملوك وبعضها المتغلبون الى ان ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة الى أشمويل أربعمائة سنة وستين سنة فكان أول من سلط عليهم رجل من نسل لوط يقال له كوشان فقهرهم وأذلهم ثمانى سنين ثم أنقذهم من يده أخو الكالب الاصغر يقال له عتنيل فقام بأمرهم أربعين سنة ثم سلط عليهم ملك يقال له عجلون فحكمهم ثمانى عشرة سنة ثم استنقذهم منه رجل من سبط بنيامين يقال له آهوذ وقام بأمرهم ثمانين سنة ثم سلط عليهم ملك من الكنعانيين يقال له يابين فملكهم عشرين سنة واستنقذهم منه امرأة من بنى أنيائهم يقال لها دبورا ودبر الامر رجل من قبلها يقال له باراق أربعين سنة ثم سلط عليهم قوم من نسل لوط فملكوهم سبع سنين واستنقذهم رجل يقال له جدعون بن يواش من ولد نفتالى بن يعقوب فدبر أمرهم أربعين سنة وتوفى ودبر أمرهم بعده ابنه أبيمالخ ثلاث سنين ثم دبر بعده فواع بن قوا ابن خال أبيمالخ ويقال انه ابن عمه ثلاثا وعشرين سنة ثم دبر أمرهم بعده رجل يقال له يائير اثنتين وعشرين سنة ثم ملكهم قوم من أهل فلسطين بنى عمون ثمانى عشرة سنة ثم قام بأمرهم رجل منهم يقال له يفتح ست سنين ثم دبر بعده يحسون سبع سنين ثم بعده آلون عشر سنين ثم بعده لترون ويسميه بعضهم عكرون ثمانى سنين ثم قهرهم أهل فلسطين وملكوهم أربعين سنة ثم وليهم شمسون عشرين سنة ثم بقوا بعده عشرين سنة بغير

خيارهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فيهم داود عليه السلام ولحق داود باخوته فتوافق الجيشان جميعا وكانت الحروب بينهما سجالا وندب طالوت الناس وحمل لمن يخرج الى جالوت ثلث ماله ويتزوج ابنته فبرز داود فتقلد بحجر كان فى مخلاته رماه بمقلاع فخر جالوت صريعا وقد اخبر الله عز وجل بذلك فى كتابه بقوله وقتل داود جالوت وقد ذكر ان الحجر الذى كان فى مخلاة داود كان ثلاثة احجار فاحتكت وصارت حجرا واحدا وهى التى قتل بها جالوت وان القوم الذين ولغوا فى الماء وخالفوا ما أمروا به كان القائل لهم طالوت وقد أتينا على خبر الدرع التى كان أخبرهم نبيهم انه لا يقتل جالوت الا من صلحت عليه تلك الدرع اذا لبسها وانها صلحت على داود وما كان من هذه الحروب وخبر الدهن الذى استدار على رأسه وخبر طالوت واخبار البربر وبدء شأنهم فى كتابنا أخبار الزمان وسنورد بعد هذا جملا من أخبار البربر وتفرقهم فى البلاد فى الموضع اللائق بها من هذا الكتاب (ورفع الله ذكر داود) واجمل ذكر

مدبر ولا رئيس ثم قام بأمرهم بعد ذلك عالى الكاهن وفى أيامه غلب أهل فلسطين على التابوت فى قول فلما مضى من وقت قيامه أربعون سنة بعث اشمويل نبيا فدبرهم عشرسنين ثم سألوا اشمويل ان يبعث لهم ملكا يقاتل بهم أعداءهم

﴿ذكر حال اشمويل وطالوت﴾

كان من خبر اشمويل بن بالى ان بنى اسرائيل لما طال عليهم البلاء وطمع فيهم الاعداء وأخذ التابوت منهم فصاروا بعده لا يلقون ملكا الا خائفين فقصدهم جالوت ملك الكنعانيين وكان ملكه مابين مصر وفلسطين فظفر بهم فضرب عليهم الجزية وأخذ منهم التوراة فدعوا الله ان يبعث لهم نبيا يقاتلون معه وكان سبط النبوة هلكوا فلم يبق منهم غير امرأة حبلى فحبسوها فى بيت خيفة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بنى اسرائيل فى ولدها فولدت غلاما سمته اشمويل ومعناه سمع الله دعائى وسبب هذه التسمية انها كانت عاقرا وكان لزوجها أمرأة أخرى قد ولدت له عشرة أولاد فبعث عليها بكثرة الاولاد فانكسرت الجوز ودعت الله أن يرزقها ولدا فرحم الله انكسارها وحاضت لوقتها وقرب منها زوجها فحملت فلما انقضت مدة الحمل ولدت غلاما فسمته اشمويل فلما كبر أسلمته فى بيت المقدس يتعلم التوراة وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ أن يبعثه الله نبيا أتاه جبريل وهو يصلى فناداه بصوت يشبه صوت الشيخ فجاءه فقال ما تريد فكره أن يقول لم ادعك فيفزع فقال ارجع فنم فرجع فعاد جبريل لمثلها فجاء الى الشيخ فقال له يا بنى عد فاذا دعوتك فلا تجبنى فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل وأمره بانذار قومه واعلمه ان الله بعثه رسولا فدعاهم فكذبوه ثم أطاعوه وأقام يدبر أمرهم عشرسنين وقيل أربعين سنة وكان العمالقة مع ملكهم جالوت قد عظمت نكايتهم فى بنى اسرائيل حتى كادوا يهلكونهم فلما رأى بنو اسرائيل ذلك قالوا ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا قالوا وما لنا أن لا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فدعا الله فأرسل اليه عصا وقرنا فيه دهن وقيل له ان صاحبكم يكون طوله طول هذه العصا واذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذى فى القرن فهو ملك بنى اسرائيل فادهن رأسه به وملكه عليهم فقاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلها وكان طالوت دباغا وقيل كان سقاء يسقى الماء ويبيعه فضل حماره فانطلق يطلبه فلما اجتاز بالمكان الذى فيه اشمويل دخل يساله ان يدعو له لبرد الله حماره فلما دخل نش الدهن فقاسوه بالعصا فكان مثلها فقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وهو بالسريانية شاول بن قيس بن انمار بن ضرار بن يحرف بن يفتح بن ايش بن بنيامين بن يعقوب بن اسحق فقالوا له ما كنت قط أكذب منك الساعة ونحن من سبط المملكة ولم يؤت طالوت سعة من المال فتبعه فقال اشمويل ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم فقالوا ان كنت صادقا فأت بآية فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة والسكينة رأس هر وقيل طشت من ذهب يغسل فيها قلوب الانبياء وقيل غير ذلك وفيه الالواح وهى من درو ياقوت وزبرجد وأما البقية فهى عصا موسى ورضاضة الالواح فحملته الملائكة واتت به الى طالوت نهارا بين السماء والارض والناس ينظرون فاحرجه طالوت اليهم فاقروا بملكه ساخطين وخرجوا معه كارهين وهم ثمانون ألفا فلما خرج قال لهم طالوت ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى وهو نهر فلسطين وقيل الاردن فشربوا منه الا قليلا وهم أربعة آلاف فمن شرب منه عطش ومن لم يشرب منه الا غرفة روى

طالوت وأبى طالوت ان يفى لداود بما تقدم من شرطه فلما رأى ميل الناس اليه زوجه ابنته وسلم اليه ثلث الجباية وثلث الحكم وثلث الناس ثم حسده بعد ذلك فاغتاله فمنعه الله عز وجل من ذلك فابى داود ان ينافسه فى ملكه وانما أمر داود فبات طالوت على سرير ملكه فمات من ليلته كذا وانقادت بنو اسرائيل الى داود عليه السلام وكان مدة طالوت عشرين سنة وذكر ان الموضع الذى قتل فيه جالوت نيسان من أرض الغور من بلاد الاردن وألان الله عز وجل لداود الحديد فعمل منه الدروع وسخر له الجبال والطير يسبحن معه وحارب داود أهل موات من أرض البلقاء وأنزل الله عز وجل عليه الزبور بالعبرانية خمسين ومائة سورة وجعله ثلاثة أثلاث فثلث ما يكون مع بخت نصر وما يكون من أمره فى المستقبل وثلث ما يلقون من أهل أنور وثلث موعظة وترغيب ومحبة وترهيب ليس فيه أمر ولا نهى ولا تحليل ولا تحريم واستقامت الامور لداود ولحقت الخوارج من الاكراد باطراف الارض لهيبة

فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه لقيهم جالوت وكان ذا باس شديد فلما رأوه رجع أكثرهم وقالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ولم يبق معه غير ثلثمائة وبضعة عشر عدد أهل بدر فلما رجع من رجع قالوا كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وكان فيهم ايشا أبو داود ومعه من أولاده ثلاثة عشر ابنا وكان داود اصغر بنيه وقد خلفه يرعى لهم ويحمل لهم الطعام وكان قد قال لابيه ذات يوم يا أبتاه ما أرمي بقذافتي شيأ الا صرعته ثم قال له لقد دخلت بين الجبال فوجدت اسدا ربضا فركبت عليه وأخذت باذنيه فلم أخفه ثم أتاه يوما آخر فقال اني لامشي بين الجبال فاسبح فلا يبقى جبل الا سبح معي قال له أبشر فان هذا خير اعطاكه الله فارسل الله الى النبي الذي مع طالوت قرنا فيه دهن وتنور من حديد فبعث به الى طالوت وقال له ان صاحبكم الذي يقتل جالوت يوضع هذا الدهن على رأسه فيغلي حتى يسيل من القرن ولا يجاوز رأسه الى وجهه ويبقى على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملؤه فدعا طالوت بني اسرائيل فجربهم فلم يلحقه منهم أحد فأحضر داود من رعيه فمر في طريقه بثلاثة أحجار فكلمنه وقلن خذنا يا داود تقتل بنا جالوت فأخذهن فجعلهن في مخلاته وكان طالوت قد قال من قتل جالوت زوجته ابنتي وأجريت ختمه في مملكتي فلما جاء داود وضعوا القرن على رأسه فغلى حتى ادهن منه وليس التنور فملأه وكان داود مسقاما أزرق مصفارا فلما دخل في التنور تضايق عليه حتى ملأه وفرح اشمويل وطالوت وبنو اسرائيل بذلك وتقدموا الى جالوت وتصافوا للقتال وخرج داود نحو جالوت وأخذ الاحجار ووضعها في قذافته ورمى بها جالوت فوقع الحجر بين عينيه فثقب رأسه فقتله ولم يزل الحجر يقتل كل من أصابه ينفذ منه الى غيره فانهزم عسكر جالوت باذن الله ورجع طالوت فأنكح ابنته داود واجرى خاتمه في مملكه فمال الناس الى داود وأحبوه فحسده طالوت وأراد قتله غيلة فعلم ذلك داود ففارقه وجعل في مضجعه زق خمر وسجاه ودخل طالوت الى منام داود وقد هرب داود فضرب الزق ضربة خرقه فوقعت قطرة من الخمر في فيه فقال يرحم الله داود ما كان أكثر شربه الخمر فلما أصبح طالوت علم أنه لم يصنع شيأ فخاف داود أن يغتاله فشد حجابه وحراسه ثم ان داود أتاه من المقابلة في بيته وهو نائم فوضع سهمين عند رأسه وعند رجليه فلما استيقظ طالوت بصر بالسهام فقال يرحم الله داود هو خير مني ظفرت به وأردت قتله وظفر بي فكف عني وأذكى عليه العيون فلم يظفر به وركب طالوت يوما فرأى داود فركض في اثره فهرب داود منه واختفى في غار في الجبل فعمى الله اثره على طالوت ثم ان طالوت قتل العلماء حتى لم يبق أحدا الا امرأة كانت تعرف اسم الله الاعظم فسلمها الى رجل يقتلها فرحمها وتركها واخفى أمرها ثم ان طالوت ندم وأراد التوبة وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس فكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكي ويقول أنشد الله عبدا علم لي توبة الا أخبرني بها فلما أكثر ناداه منادٍ من القبور يا طالوت امارضيت قتلتنا احياء حتى تؤذينا أمواتا فازداد بكاء وحزنا فرحمه الرجل الذي أمره بقتل تلك المرأة فقال له ان دللتك على عالم لعله تقتله قال لا فاخذ عليه العهود والمواثيق ثم أخبره بتلك المرأة فقال سلها هل لي من توبة فحضر عندها وسألها هل له من توبة فقالت ما أعلم له من توبة ولكن هل تعلمون قبر نبي قالوا نعم قبر يوشع بن نون فانطلقت وهم معها فدعت فخرج يوشع فلما رآهم قال مالكم قالوا جئنا نسألك هل لطالوت من توبة قال ما أعلم له توبة الا أن يتخلى من ملكه ويخرج هو وولده فيقاتلون في سبيل الله حتى تقتل أولاده ثم يقاتل هو حتى يقتل فعسى أن يكون له توبة ثم سقط ميتا ورجع طالوت أحزن مما كان يخاف ان لا يتابعه ولده فبكى حتى سقطت اشفار عينيه ونحل جسمه فسأله بنوه عن حاله فأخبرهم

داود وبنى داود بيتا للعبادة باورشليم وهي بيت المقدس وهو البيت الباقي لوقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة يدعى بمحراب داود عليه السلام وليس في بيت المقدس أعلى منه في هذا الوقت وقد يرى من اعلاه البحيرة المنتنة ونهر الاردن المقدم ذكره وكان من أمر اود مع الخصمين ما قص الله عز وجل في كتابه من خبره وقوله لاحدهما قبل استماعه من الآخر لقد ظلمك وقد تنازع الناس في خطيئة داود فمنهم من رأى ما وصفنا ونفى عن الانبياء المعاصي وتعمد الفسق وانهم معصومون فكانت الخطيئة ما ذكرنا وذلك قوله عز وجل يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ومنهم من رأى ان ذلك كان قضية ارويا بن حيان ومقتله على ما ذكرنا في كتاب المبتدا والخبر وغيره وتاب الله عز وجل على داود بعد أربعين يوما كان فيها صائما باكيا وتزوج داود عليه السلام مائة امرأة ونشأ سليمان ابن داود عليه السلام وبرع وداخل أباه في قضائه فآتاه الله فصل الخطاب والحكم على ما أخبر الله عز وجل عنهما بقوله وكلا آتينا حكما وعلما ولما حضرت داود الوفاة أوصى الى ولده سليمان

فتجهز واللغز وقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم قاتل هو بعدهم حتى قتل وقيل ان النبي الذي بعث لطالوت حتى أخبره بتوبته اليسع وقيل اشمويل والله أعلم وكانت مدة ملك طالوت الى ان قتل أربعين سنة

﴿ذكر ملك داود﴾

هو داود بن ايشا بن عوفيذ بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمينوذب بن رام بن حصرون بن فارض ابن يهوذا بن يعقوب بن اسحق وكان قصيرا أزرق قليل الشعر فلما قتل طالوت أتى بنو اسرائيل داود فاعطوه خزائن طالوت وملكوه عليهم وقيل ان داود ملك قبل ان يقتل جالوت وسبب ملكه حينئذ أن الله أوصى الى اشمويل لما أمر طالوت بغزو مدين وقتل من بها فسار اليها وقتل من بها الا ملكهم فانه أخذه أسيرا فأوحى الله الى اشمويل قل لطالوت آمرك بأمر فتركته لا نزعن الملك منك ومن بنيك ثم لا يعود فيكم الى يوم القيامة وأمر اشمويل بتمليك داود فملكه وسار الى جالوت فقتله والله أعلم فلما ملك بني اسرائيل جعله الله نبيا وملكا وأنزل عليه الزبور وعلمه صنعة الدروع وهو أول من عملها وألان له الحديد وأمر الجبال والطير يسبحون معه اذا سبح ولم يعط الله أحدا مثل صوته كان اذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يأخذ أعناقها وانها المصيخة تسمع صوته وكان شديد الاجتهاد كثير العبادة والبكاء وكان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر وكان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف وكان يأكل من كسب يده وفي ملكه مسخ أهل أيلة قردة وسبب ذلك أنهم كانوا تأتيهم يوم السبت حيتان البحر كثيرا فاذا كان غير يوم السبت لا يجيء اليهم منها شئ فعملوا على جانب البحر حياضا كبيرة وأجروا اليها الماء فاذا كان آخر نهار يوم الجمعة يتحول الماء الى الحياض فدخلها الحيتان ولا تقدر على الخروج عنها فيأخذونها يوم الاحد فنهاهم بعض أهلها فلم ينتهوا فمسخهم الله قردة وبقوا ثلاثة أيام وهلكوا

﴿ذكر فتنته بزوجة أوريا﴾

ثم ان الله ابتلاه بزوجة أوريا وكان سبب ذلك أنه قد قسم زمانه ثلاثة أيام ويوما يقضي فيه بين الناس ويوما يخلو فيه للعبادة ويوما يخلو فيه مع نسائه وكان له تسع وتسعون امرأة وكان يحسد فضل ابراهيم واسحق ويعقوب فقال أي رب أرى الخير قد ذهب آبائي به فاعطني مثل ما أعطيتهم فأوحى اليه ان آباءك ابتلوا ببلاء فصبروا ابتلى ابراهيم بذبح ابنه وابتلى اسحق بذهاب بصره وابتلي يعقوب بحزنه على يوسف فقال رب ابتلني بمثل ما ابتليتهم وأعطني مثل ما أعطيتهم فأوحى الله اليه انك مبتلى فاحترس وقيل كان سبب البلية أنه حدثت نفسه انه يطيق ان يقطع يوما بغير معرفة سوء فلما كان اليوم الذي يخلو فيه للعبادة عزم على ان يقطع ذلك اليوم بغير سوء وأغلق بابه وأقبل على العبادة فاذا هو بحمامة من ذهب فيها كل لون حسن قد وقعت بين يديه فاهوى ليأخذها فطارت غير بعيد من غير ان ييأس من أخذها فما زال يتبعها وهي تفر منه حتى أشرف على امرأة تغتسل فأعجبه حسنها فلما رأت ظله في الارض جللت نفسها بشعرها فاستترت به فزاده ذلك رغبة فسأل عنها فاخبر أن زوجها بثغر كذا فبعث الى صاحب الثغر بان يقدم أوريا بين يدي التابوت في الحرب وكان كل من يتقدم بين يدي التابوت لا ينهزم اما ان يظفر أو يقتل ففعل ذلك به فقتل وقيل ان داود لما نظر الى المرأة فاعجبته سأل عن زوجها فقيل انه في جيش كذا فكتب الى صاحب الجيش ان يبعثه في سرية الى عدو كذا ففعل ذلك ففتح الله عليه فكتب الى داود فامر ان يرسله أيضا الى عدو كذا أشد منه ففعل فظفر فامر داود ان يرسل الى عدو ثالث ففعل فقتل أوريا

وقبض فكان ملكه أربعين سنة على فلسطين والاردن وكان عسكره ستين ألفا أصحاب سيوف جرادا مردا أصحاب بأس ونجدة وكان ببلاد مدين وأيلة في عصر داود عليه السلام (لقمان الحكيم) وهو لقمان بن عنقاء ابن مربد بن صاوون وكان نوبيا مولى للقين بن حسر ولد على عشر سنين من ملك داود عليه السلام وكان عبدا صالحا فمن الله عز وجل عليه بالحكمة ولم يزل باقيا في الارض مظهرا للحكمة والزهد في هذا العالم الى أيام يونس بن متى حين أرسل الى أهل نينوى من بلاد الموصل ولما قبض داود عليه السلام قام بعده ولده (سليمان) بالنبوة والحكم وعمر عدله رعيته واستقامت له الامور وانقادت له الجيوش وابتدأ سليمان ببنيان بيت المقدس وهو المسجد الاقصى الذي بارك الله عز وجل حوله فلما استتم بناءه بنى لنفسه بيتا وهو الموضع الذي يسمى في وقتنا هذا كنيسة القمامة وهي الكنيسة العظمى ببيت المقدس عند النصارى ولهم كنائس غيرها معظمة ببيت المقدس منها كنيسة صهيون وقد ذكرها داود عليه السلام والكنيسة المعروفة بالجسمانية ويزعمون

في المرة الثالثة فلما قتل تزوج داود امرأته وهي أم سليمان في قول قتادة وقبل ان خطيئة داود كانت انه لما بلغه حسن امرأة أوريا تمنى أن تكون له حلالا فاتفق ان أوريا سار الى الجهاد وقتل فلم يجد له من الهم ما وجده لغيره فبينما داود في المحراب يوم عبادته وقد أغلق الباب اذ دخل عليه ملكان أرسلهما الله اليه من غير الباب فراعه ذلك فقالا لا تخف نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب أي قهرني وأخذ نعجتي فقال للآخر ما تقول قال صدق اني أردت أن أكمل نعاجي مائة فأخذت نعجته فقال داود لقد ظلمك وداك وقال الملك ما أنت بقادر عليه قال داود فان لم ترد اليه ماله ضربنا منك هذا وهذا وأومأ الى اعلاه وجهته قال يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا حيث لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لأوريا الا امرأة واحدة فلم تزل به حتى قتل وتزوجت امرأته ثم غاب عنه فعرف ما ابتلي به وما وقع فيه فخر ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة لا بد منها وادام البكاء حتى نبت من دموعه بشب غطى رأسه ثم نادى يا رب قرح الجبين وجمدت العين وداود لم يرجع اليه في خطيئته بشئ فنودي أجائع فتطعم أم مريض فتشفى أم مظلوم فتنصر قال فنحب نحبة هاج ما كان نبت وعند ذلك قبل الله توبته وأوحى اليه ارفع رأسك فقد غفرت لك قال يا رب كيف أعلم انك قد غفرت لي وأنت حكم عدل لا تحيف في القضاء اذا جاء أوريا يوم القيامة آخذا رأسه بيمينه تشخب أوداجه دما قبل عرشك يقول يا رب سل هذا فيم قتلني فأوحى الله اليه اذا كان ذلك دعوته وأستوهبك منه فهبه لي فاهبه بذلك الجنة قال يا رب الآن علمت انك قد غفرت لي قال فما استطاع داود بعدها ان يرفع بصره الى السماء حياء من ربه حتى قبض ونقش خطيئته في يده فكان اذا رآها اضطربت يده وكان يؤتى بالشراب في الاناء ليشربه فكان يشرب نصفه أو ثلثيه ويذكر خطيئته فيكتئب حتى تكاد مفاصله تزول بعضها من بعض ثم يملأ الاناء من دموعه وكان يقال ان دمعة داود تعدل دموع الخلائق وهو يجئ يوم القيامة وخطيئته مكتوبة بكفه فيقول يا رب دنى ذنبي قدمني فيقدم فلا يأمن فيقول يا رب أخرني فلا يأمن وأزالت الخطيئة طاعة داود عن بني اسرائيل واستحمو بأمره ووثب عليه ابن له يقال له ايشا وأمه ابنة طالوت فدعا الى نفسه فكثر تباعه من أهل الزيغ من بني اسرائيل فلما تاب الله على داود اجتمع اليه طائفة من الناس فحارب ابنه حتى هزمه ووجه اليه بعض قواده وأمره بالرفق به واللطف لعله يأسره ولا يقتله وطلبه القائد وهو منهزم فاضطره الى شجرة فقتله فحزن عليه داود حزنا شديدا وتنكر لذلك القائد

﴿ذكر بناء بيت المقدس ووفاة داود عليه السلام﴾

قيل أصاب الناس في زمان داود طاعون جارف فخرج بهم الى موضع بيت المقدس وكان يرى الملائكة تعرج منه الى السماء فلهذا قصده ليدعو فيه فلما وقف موضع الصخرة دعا الله تعالى فكشف الطاعون عنهم فاستجاب له ورفع الطاعون فاتخذوا ذلك الموضع مسجدا وكان الشروع في بنائه لاحدى عشرة سنة مضت من ملكه وتوفي قبل ان يستتم بناءه وأوصى الى سليمان بإتمامه وقتل القائد الذي قتل أخاه ايشا بن داود فلما توفي داود دفنه سليمان وقدم بانفاذ أمره فقتل القائد واستتم بناء المسجد بناه بالرخام وزخرفه بالذهب ورصعه بالجواهر وقوى على ذلك جميعه بالجن والشياطين فلما فرغ اتخذ ذلك اليوم عيدا عظيما وقرب قربانا فتقبله الله منه وكان ابتداؤه

ان فيها قبر داود عليه السلام وأعطى الله عز وجل لسليمان عليه السلام من الملك ما لم يعطه لاحد من خلقه وسخر له الجن والانس والطير والريح على حسب ما ذكر الله عز وجل في كتابه وكان ملك سليمان بن داود على بني اسرائيل أربعين سنة وقبض وهو ابن اثنتين وخمسين سنة والله ولي التوفيق

﴿ذكر مالك بن رحبعم بن سليمان بن داود عليهما السلام ومن تلاه من بني اسرائيل وجمل من أخبار الانبياء﴾

وملك على بني اسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام مالك بن رحبعم بن سليمان واجتمعت عليه الاسباط ثم افترقوا عنه الاسباط يهوذا وسبط بنيامين وكان ملكه الى أن هلك سبع عشرة سنة وملك على العشرة أسباط (نورهم) وكانت له كوائن وحروب واتخذ له عجلا من الذهب والجوهر واعتكف على عبادته فاهلكه الله عز وجل فكان ملكه عشرين سنة وملك بعده (لودم) فاظهر عبادة الاصنام والتماثيل وكان ملكه سنة ثم ملكت بعده امرأة يقال لها (عيلان)

فبدلت السيف فى ولد داود عليه السلام فلم ينج منهم الا غلام فانكرت بنو اسرائيل ذلك من فعلها فقتلوها وكان ملكها سبع سنين وقيل غير ذلك وملكوا عليهم (العلام) الذى بقى من نسل داود فذلك وله سبع سنين فاقام ملكا اربعين سنة وقيل دون ذلك وملك بعده (مليصا) وكان ملكه اثنتين وخمسين سنة وكان فى عصره (شعيب) النبى ولشعيب معه اخبار وكانت له حروب قد أتينا على ذكرها فى كتاب اخبار الزمان وملك بعده (نوفا) ابن عدل عشر سنين وقيل ست عشرة سنة وملك بعده (اجام) فاظهر عبادة الاصنام فطغى وأطهر البغى فصار اليه بعض ملوك بابل وكان يقال له فلعيمس وكان من عظماء ملوك بابل وكان للاسرائيلى معه حروب الى ان اسره البابلى وخرب مدن الاسباط ومساكنهم وكان فى أيامه تنازع بين اليهود فى الديانة فنبذ منهم الاسامرة وأنكروا نبوة داود عليه السلام ومن تلاه من الانبياء وأبوا ان يكون بعد موسى نبى وجعلوا رؤساءهم من ولد هرون ابن عمران والاسامرة فى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين

أولا ببناء المدينة فلما فرغ منها ابتدأ بعمارة المسجد وقد أكثر الناس فى صفة البناء مما يستبعد ولا حاجة الى ذكره وقيل ان سليمان هو الذى ابتدأ بعمارة المسجد وكان داود أراد ان يبنيه فاوحى الله اليه ان هذا بيت مقدس وانك قد صبغت يدك فى الدماء فلست ببانيه ولكن ابنك سليمان يبنيه لسلامته من الدماء فلما ملك سليمان بناه ثم ان داود توفى وكان له جارية تغلق الابواب كل ليلة وتاتيه بالمفاتيح فيقوم الى عبادته فاغلقتها ليلة فرأت فى الدار رجلا فقالت من أدخلك الدار فقال انا الذى ادخل على الملوك بغير اذن فسمع داود قوله فقال أنت ملك الموت قال نعم قال فهلا أرسلت الى لاستعد للموت قال قد أرسلت اليك كثيرا قال من كان رسولك قال أين أبوك وأخوك وجارك ومعارفك قال ماتوا قال فهم كانوا رسلى اليك لانك تموت كما ماتوا ثم قبضه فلما مات ورث سليمان ملكه وعلمه ونبوته وكان له تسعة عشر ولدا فورثه سليمان دونهم وكان عمر داود لما توفى مائة سنة صح ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم وكانت مدة ملكه أربعين سنة

﴿ذكر ملك سليمان بن داود عليه السلام﴾

لما توفى داود ملك بعده ابنه سليمان على بنى اسرائيل وكان ابن ثلاث عشرة سنة وآتاه مع الملك النبوة رسأل الله ان يؤتيه ملكا لا ينبغى لاحد من بعده فاستجاب له وسخر له الانس والجن والشياطين والطير والريح فكان اذا خرج من بيته الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس وقيل انما سخر له الريح والجن والشياطين والطير وغير ذلك بعد ان زال ملكه وأعاده الله سبحانه اليه على ما نذكره وكان أبيض جسيما كثير الشعر يلبس البياض وكان أبوه يستشيره فى حياته ويرجع الى قوله فمن ذلك ما قصه الله فى كتابه فى قوله وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث الآية وكان حبره ان غنما دخلت كرما فاكلت عناقيده وافسدته فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان أو غير ذلك ان يسلم الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ويدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها الى أن يعود كرمه الى حاله ثم يأخذ كرمه ويدفع الغنم الى صاحبها فامضى داود قوله وقال الله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما قال بعض العلماء فى هذا دليل على ان كل مجتهد فى الاحكام الفروعية مصيب فان داود أخطأ الحكم الصحيح عند الله تعالى وأصابه سليمان فقال له الله تعالى وكلا آتينا حكما وعلما وكان سليمان يأكل من كسب يده وكان كثير الغزو وكان اذا أراد الغزو أمر بعمل بساط من خشب يسع عسكره ويركبون عليه هم ودوابهم ومايحتاجون اليه ثم أمر الريح فحملته فسارت فى غدوته مسيرة شهر وفى روحته كذلك وكان له ثلثمائة زوجة وسبعمائة سرية وأعطاه الله انه لا يتكلم أحد بشئ الا حملته الريح اليه فيعلم ما يقول

﴿ذكر ما جرى له مع بلقيس﴾

نذكر أولا ما قيل فى نسبها وملكها ثم ما جرى له معها فنقول قد اختلف العلماء فى اسم آبائها فقيل انها هى بلقمة ابنة الهدهاد واسمه ايشرح بن الحرث بن قيس بن صيفى بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقيل هى بلقمة ابنه الهدهاد واسمه ايشرح بن تبع ذى الاعذار بن تبع ذى المنار بن تبع الرائش وقيل فى نسبها غير ذلك ولا حاجة الى ذكره وقد اختلف الناس فى الثيابعة وتقديم بعضهم على بعض وازيادة فى عددهم والنقصان اختلافا لا يحصل الناظر فيه على طائل وكذا أيضا اختلفوا فى نسبها اختلافا كثيرا وقال كثير من الرواة ان أمها جنية ابنة ملك الجن واسمها راحة بنت السكر

وقيل اسم أمها بلقمة بنت عمرو بن عمير الجني وانما نكح أبوها الى الجن لانه قال ليس في الانس لي كفؤة فخطب الى الجن فرد وجوه واختلفوا في سببه وصوله الى الجن حتى خطب اليهم فقيل انه كان لهجا بالصيد فربما اصطاد الجن على صور الظباء ويجلي عنهن فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فانكحه على ان يعطيه ساحل البحر ما بين يبرين الى عدن وقيل ان أباها خرج يوما متصيدا فرأى حيتين تقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فامر بقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها ماء فافاقت فاطلقها وعاد الى داره وجلس منفردا فاذا معه شاب جميل فذعر منه فقال له لا تخف أنا الحية التي انجيتني والاسود الذي قتلته غلام لما تمرد علينا وقتل عدة من أهل بيتي وعرض على ابيها المال وعلم الطب فقال اما المال فلا حاجة لي به وأما الطب فهو قبيح بالملك ولكن ان كان لك بنت مزوجنيها فزوجه على شرط ان لا يغير عليها شيأ تعمله ومتى غير فارقته فاجابه الى ذلك فحملت منه فولدت له غلاما فالقته في النار فجزع لذلك وسكت للشرط ثم حملت منه فولدت جارية فالقتها الى كلبة فاخذتها فعظم ذلك عليه وصبر للشرط ثم انه عصى عليه بعض أصحابه فجمع عسكره وسار اليه ليقاتله وهي معه فانتهى الى مفازة فلما توسطها رأى جميع ما معهم من الزاد يخلط بالتراب واذا الماء يصب من القرب والمزاود فايقنوا بالهلاك وعلموا أنه من فعال الجن عن أمر زوجته فصاح ذرعا عن حمل ذلك فاتاها وجلس وأوما الى الارض وقال يا أرض صبرت لك على احراق ابني واطعام الكلبة ابني ثم أنت الان قد خنتينا بالزاد والماء وقد اشرفنا على الهلاك فقالت المرأة لو صبرت لكان خيرا لك وساخبرك ان عدوك خدع وزيرك فجعل السم في الازواد والمياه ليقتلك واصحابك فمر وزيرك ليشرب ما بقي من الماء ويأكل من الزاد فامره فامتنع وعتله ودلتهم على الماء والميرة من قريب وقالت اما ابنك فدفعته الى حاضنة تربيه وقدمات وأما ابنتك فهي باقية واذا بجويرية قد خرجت من الارض وهي بلقيس وفارقته امر أته وسار الى عدوه فظفر به وقيل في سبب نكاحه اياهم غير ذلك والجميع حديث خرافة لا أصل له ولا حقيقة وأما ملكها اليمن فقيل ان أباها فوض اليها الملك فملكت بعده وقيل بل مات عن غير وصية بالملك لاحد فاقام الناس ابن أخ له وكان فاحشا خبيثا فاساء الا يلغه عن بنت قيل ولا ملك ذات جمال الا أحضرها وفضحها حتى انتهى الى بلقيس بنت عمه فاراد ذلك منها فوعدته ان يحضر عندها الى قصرها واعدت له رجلين من أقاربها وأمرتهما بقتله اذا دخل اليها وانفرد بها فلما دخل اليها وثبا عليه فقتلاه فلما قتل أحضرت وزراءه فقررتهم فقالت أما كان فيكم من يأنف لكريمته وكرائم عشيرته ثم ارتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكونه فقالوا لا نرضى بغيرك فملكوها وقيل ان أباها لم يكن ملكا وانما كان وزير الملك وكان الملك خبيثا قبيح السيرة يأخذ بنات الاقيال والاعيان والاشراف وايها اقتنته فملكها الناس عليهم وكذلك أيضا عظموا ملكها وكثرة جندها فقيل كان تحت يدها أربعمائة ملك كل ملك منهم على كورة مع كل ملك منهم أربعة آلاف مقاتل وكان لها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها وكان لها اثنا عشر قائدا يقود كل قائد منهم اثني عشر ألف مقاتل وبالغ آخرون مبالغة تدل على سخف عقولهم وجهلهم فقالوا كان لها اثنا عشر ألف قيل تحت يد كل قيل مائة ألف مقاتل مع كل مقاتل سبعون ألف جيد في كل جيش سبعون ألف مبارز ليس فيهم الا ابناء خمس وعشرين سنة وما اظن الساعة رأى هذا الكذب الفاحش عرف الحساب حتى يعلم مقدار جهله ولو عرف صانع العدد لاقصر عن اقدامه على هذا القول السخيف فان أهل الارض لا يبلغون جميعهم شبابهم وشيوخهم وصبيانهم

وثلاثين وثلثمائة ببلاد فلسطين والاردن وفي قرى متفرقة مثل القرية المعروفة بعاراوهي بين الرملة وطبرية وغيرها من القرى الى مدينة نابلس وأكثرهم في هذه المدينة أعني نابلس ولهم حبل يقال له طور بلك وللسامرة عليه صلوات في أوقاتها ولهم بوقات من فضة ينفخ فيها عند أوقات الصلاة وهم الذين يقولون لا مساس ويزعمون ان نابلس هي بيت المقدس وهي مدينة يعقوب النبي عليه السلام وهناك مرعاه وهم صنفان صنف ينسبان كتابهم لسائر اليهود وأحد الصنفين يقال له الكوسان والآخر الدورسان أحد الصنفين يقول بقدم العالم ومعاد غير ذلك أعرضنا عن ذكرها لمخافة التطويل وأن كتابنا هذا كتاب خبر لا كتاب آراء ونحل وكان ملك اجام الى ان أسره الملك الثاني سبع عشرة سنة ولما أسر الملك اجام ولد له ولد يقال (حرقيل اجام) فاظهر عبادة الرحمن وأمر بتكسير التماثيل والاصنام وفي ملكه سار (سيحارك) ملك بابل الى بيت المقدس وكانت له حروب كثيرة مع بني

اسرائيل وقتل من أصحابه
خلق كثيرون وسبى من
الاسباط عددا كثيرا وكان
ملك حزقيل الى ان هلك
سبعا وعشرين سنة ثم ملك
بعد حزقيل ولده يقال له
(منشا) فعمر عمره سائر
ملكته وهو الذى قتل
شعيبا النبى فبعث الله
قسطنطين ملك الروم فسار
اليه فى الجيوش فهزم
جيشه وأسره فاقام فى
أرض الروم عشرين سنة
واقلع عما كان عليه وعاد
الى ملكه فكان ملكه الى
ان هلك خمسا وعشرين
سنة وقيل ثلاثين سنة ثم
ملك بعده ولده يقال له
(أمون) بن منشا فاظهر
الطغيان وكفر بالرحمن
وعبد التماثيل والاصنام
ولما اشتد بغيه سار اليه
فرعون الاعرج من بلاد
مصر فى الجيوش فامعن فى
القتل وأسره ومضى به الى
مصر فمات هناك وكان
ملكه خمس سنين وقيل غير
ذلك وملك بعده أخ له يقال
له (نوفيل) وهو أبو دانيال
عليه السلام وفى عصر هذا
الملك سار البخت نصر وهو
هرزبان العراق والعرب
من قبائل فارس وكان
ببلخ وكانت قصبة الملك
فامعن البخت نصر فى القتل
لبنى اسرائيل والاسر

ونساؤهم هذا العدد فكيف ان يكونوا ابناء خمس وعشرين سنة فيالبيت شعرى كم يكون غيرهم ممن
ليس من أسنانهم وكم تكون الرعية وأرباب الحرف والفلاحة وغير ذلك وانما الجند بعض أهل
البلاد وان كان الحاصل من اليمن قد قل فى زماننا فان رقعة أرضه لم تصغر وهى لا تسع هذا العدد
قياما كل واحد الى جانب الآخر ثم انهم قالوا أنفقت على كوة بيتها التى تدخل الشمس منها فتجد
لها ثلثمائة ألف أوقية من الذهب وقالوا غير ذلك وذكروا من أمر عرشها اما يناسب كثرة جيشها
ولا نطول بذكره وقد تواطؤا على الكذب والتلاعب بعقول الجهال واستهانوا بما يلحقهم من
استجهال العقلاء لهم وانما ذكرنا شذا على قبحه ليقف بعض من كان يصدق به عليه فينتهى الى
الحق واما سبب مجيئها الى سليمان واسلامها فانه طلب الهدهد فلم يره وانما طلبه لان الهدهد يرى
الماء من تحت الارض فيعلم هل فى تلك الارض ماء أم لا وهل هو قريب أم بعيد فبينما سليمان فى
بعض مغازيه اذ احتاج الى الماء فلم يعلم أحد ممن معه بعده فطلب الهدهد ليسأله عن ذلك فلم يره وقيل
بل نزلت الشمس الى سليمان فنظر ليرى من أين نزلت لان الطير كانت تظله فرأى موضع الهدهد
فارغا فقال لاعذبنه عذابا شديدا اولاذبحنه أولياتينى بسلطان مبين وكان الهدهد قد مر على قصر
بلقيس فرأى بستانا لها خلف قصرها فمال الى الخضرة فرأى فيه هدهدا فقال له أين أنت عن سليمان
وما تصنع ههنا فقال له ومن سليمان فذكر له حاله وما سخر له من الطير وغيره فعجب من ذلك فقال له
هدهد سليمان وأعجب من ذلك ان كثرة هؤلاء القوم تملكهم امرأة وأوتيت من كل شئ ولها عرش
عظيم وجعلوا الشكر لله ان سجدوا للشمس من دونه وكان عرشها سريرا من ذهب مكلل بالجواهر
النفيسة من اليواقيت والزبرجد واللؤلؤ ثم ان الهدهد عاد الى سليمان فاخبره بعذره فى تاخيره
فقال له اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم فوافاها وهى فى قصرها فالقاه فى حجرها فاخذته وقرأته
واحضرت قومها وقالت انى القى الىّ كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا
تعلوا على وائتونى مسلمين يا أيها الملأ ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولو قوة وأولو
بأس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين قالت انى مرسلة اليهم بهدية فان قبلها فهو من
ملوك الدنيا فنحن أعز منه وأقوى وان لم يقبلها فهو نبى من الله فلما جاءت الهدية الى سليمان قال
للرسل أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم الى قوله وهم صاغرون فلما رجع الرسل اليها سارت
اليه وأخذت معها الافيال من قومها رهم القواد وقدمت عليه فلما قاربته وصارت منه على نحو
فرسخ قال لاصحابه أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن
تقوم من مقامك يعنى قبل أن تقوم فى الوقت الذى تقصد فيه بيتك للغداء قال سليمان أريد أسرع
من ذلك فقال الذى عنده علم من الكتاب وهو آصف بن برخيا وكان يعرف اسم الله الاعظم أنا
آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك وقال له انظر الى السماء وادم النظر فلا ترد طرفك حتى احضره
عندك وسجد ودعا فرأى سليمان العرش قد نبع من تحت سريره فقال هذا من فضل ربى ليبلونى
أأشكر اذا تانى به قبل أن يرتد الى طرفى أم أكفر اذ جعل تحت يدى من هو أقدر منى على احضاره
فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو ولقد تركته فى حصون وعنده جنود تحفظه فكيف
جاء الى ههنا فقال سليمان للشياطين ابنوا لى صرحا تدخل على فيه بلقيس فقال بعضهم ان سليمان
قد سخر له ما سخر وبلقيس ملكة سبا يمكنها فلعله غلاما فلا ننفك من العبودية أبدا وكانت امرأة
شعراء الساقين فقال الشياطين ابنوا له بنيانا يرى ذلك منها فلا يتروجها فبنوا له صرحا من قوارير
خضر وجعلوا له طوابق من قوارير بيض فبقى كأنه الماء وجعلوا تحت الطوابق صور دواب البحر

من السمك وغيره وقعد سليمان على كرسي ثم أمر فادخلت بلقيس عليه فلما أرادت ان تدخله ورأت صور السمك ودواب الماء حسبته لجة ماء فكشفت عن ساقيها لتدخل فلما رآها سليمان صرف نظره عنها وقال انه صرح ممرد من قوارير فقالت رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين فاستشار سليمان في شيء يزيل الشعر ولا يضر الجسد فعمل له الشياطين النوره فهي أول ما عملت النوره وتكحها سليمان وأحبها حبا شديدا ورد ها الى ملكها باليمن فكان يزورها كل شهر مرة يقيم عندها ثلاثة أيام وقيل انه أمرها ان تتزوج رجلا من قومها فامتنعت وانتمت من ذلك فقال لا يكون في الاسلام الا ذلك فقالت ان كان ولا بد من ذلك فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجه اياها ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على الملك وأمره الجبر من أهل اليمن بطاعته فاستعمل ذو تبع فعملوا له عدة حصون باليمن منها سلحين ومراوح وفليون وهنيدة وغيرها فلما مات سليمان لم يطيعوا ذا تبع وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان وقيل بل بقيا وقيل ان بلقيس ماتت قبل سليمان بالشام وانه دفنها بتدمر واخفى قبرها

﴿ ذكر غزوته أباز وجته جرادة ونكاحها وعبادة الصنم في داره وأخذ خاتمه وعوده اليه ﴾

قيل سمع سليمان بملك في جزيرة من جزائر البحر وشدة ملكه وعظم شأنه وانه لم يكن للناس اليه سبيل فخرج سليمان الى تلك الجزيرة وحملته الريح حتى نزل بجنوده بها فقتل ملكها وغنم ما فيها وغنم بنته الملك لم ير الناس مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على قلة رغبة فيه واحبها حبا شديدا وكانت لا يذهب حزنها ولا تزال تبكي وتقول لها ويحك ما هذا الحزن والدمع الذي لا يرقأ فقالت اني اذكر أبي وملكه وما أصابه فيحزنني ذلك قال فقد ابدلك الله ملكا خيرا من ملكه وهداك الى الاسلام قالت انه كذلك ولكني اذا ذكرته أصابني ماتري فلو أمرت الشياطين فصوروا صورته في داري أراها بكرة وعشية لرجوت ان يذهب ذلك حزني فامر الشياطين فعملوا لها مثل صورته لا ينكر منها شيأ وألبسها ثيابا مثل ثياب أبيها وكانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه في جواريها فتسجد له ويسجدن معها وتروح عشية وبرحن وتفعل مثل ذلك ولا يعلم سليمان بشيء من أمرها أربعين صباحا وبلغ الخبر آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد من منازل سليمان أي وقت أراد من ليل أو نهار سواء كان سليمان حاضرا أو غائبا فاتاه وقال يا نبي الله قد كبرسني ودق عظمي وقد حان مني ذهاب بصري وقد احببت ان أقوم مقاما اذكر فيه انبياء الله واثني عليهم بعلمي فيهم واعلم الناس بعض ما يجهلون قال افعل فجمع له سليمان الناس فقام آصف خطيبا فيهم فذكر من مضى من الانبياء واثنى عليهم حتى انتهى الى سليمان فقال ما كان احملك في صغرك وابعدك من كل ما يكره في صغرك ثم انصرف فلقي سليمان غضبانا فارسل اليه وقال له يا آصف لما ذكرتني جعلت تثني علي في صغري وسكت عما سوى ذلك فما الذي احدثت في آخر أمري قال ان غير الله ليعبد في دارك أربعين يوما في هوى امرأة قال انا لله وانا اليه راجعون لقد علمت انك ما قلت الا عن شيء بلغك ودخل داره وكسر الصنم وعاقب تلك المرأة وجواريها ثم امر بثياب الطهارة فاتي بها وهي ثياب تغزلها الابكار اللاتي لم يحضن ولم تمسها امرأة ذات دم فلبسها وخرج الى الصحراء وفرش الرماد ثم اقبل تائبا الى الله يتمعك في الرماد بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا وبكى واستغفر يومه ذلك ثم عاد الى داره وكانت ام ولد له لا يشق الا بها يسلم خاتمه اليها وكان لا ينزعه الا عند دخول الخلاء واذا اراد أن يصيب امرأة يسلمه اليها حتى يتطهر وكان ملكه في خاتمه فدخل في بعض تلك الايام الخلاء وسلم خاتمه اليها فاتاها شيطان اسمه صخر الجني في

وحملهم الى أرض العراق وأخذ التوراة وما كان في بيت المقدس من كتب الملوك وطرحه في بئر وعمد الى تابوت السكينة فاودعه بعض المواضع من الارض فيقال انه كان عدة من سبي من بني اسرائيل ثمانية عشر الفا وفي هذا العصر كان (أقدما) النبي عليه السلام وسار بخت نصر الى مصر فقتل فرعون الاعرج وكان يومئذ ملك مصر وسار نحو المغرب فقتل ملوكا وافتتح مدائن وكان ملك فارس تزوج جارية من سبايا بني اسرائيل فاولدها ولدا فردت بني اسرائيل الى ديارهم وكان ذلك بعد سنين ولما رجعت بنو اسرائيل الى بلادهم ملكت عليها (زربابل) بن سلسال فابتنى مدينة بيت المقدس وعمر ما كان خرب واخرجت بنو اسرائيل التوراة من البئر واستقامت لهم الامور فاقام هذا الملك على عمارة أرضهم سنة وأربعين سنة وشرع لهم الصلوات وغيرها من الشرائع مما كان تلف منهم في حال السبي والاساطير تزعم ان التوراة التي في يد اليهود ليست التوراة التي أورد موسى ابن عمران عليه السلام وان تلك حرمت وبدلت وغيرت وان المجدد لها هذا

صورة سليمان فاخذ الخاتم وخرج الى كرسي سليمان وهو في صورة سليمان فجلس عليه وعكفت عليه الانس والجن والطير وخرج سليمان وقد تغيرت حاله وهيئته فقال خاتمي فقالت ومن أنت قال انا سليمان قالت كذبت لست بسليمان فذهب سليمان واخذ خاتمه مني وهو جالس على سريره فعرف سليمان خطيئته فخرج وجعل يقول لبني اسرائيل أنا سليمان فيحثون عليه التراب فطار أي ذلك قصد البحر وجعل ينقل سمك الصيادين ويعطونه كل يوم سمكتين يبيع احداهما يخبز ويأكل الاخرى فبقي كذلك أربعين يوما ثم ان آصف وعظماء بني اسرائيل انكروا حكم الشيطان المتشبه بسليمان فقال آصف يابني اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان ما رأيت قالوا نعم قال أمهلوني حتى أدخل على نسائه وأسألهن هل أنكرن ما أنكر منه فدخل عليهن وسألهن فذكرن أشد مما عنده فقال انا لله وانا اليه راجعون ان هذا لهو البلاء المبين ثم خرج الى بني اسرائيل فاخبرهم فلما رأى الشيطان انهم قد علموا به طار من مجلسه فرمى بالبحر فالقى الخاتم فيه فبلعته سمكة واصطادها صياد وحمل له سليمان يومه ذلك فاعطاه سمكتين تلك السمكة احداهما فاخذها فشقها اليسلمها ويأكلها فرأى خاتمه في جوفها فاخذه وجعله في اصبعه وخر لله ساجدا وعكفت عليه الانس والجن والطير واقبل عليه الناس ورجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وبث الشياطين في احضار صخر الذي أخذ الخاتم فاحضروه فنقب له صخره وجعله فيها وسد الثقب بالحديد والرصاص والقاه في البحر وكان مقامه في الملك اربعين يوما بمقدار عبادة الصنم في دار سليمان وقيل كان السبب في ذهاب ملكه ان امرأة له كانت ابر نسائه عنده تسمى جرادة ولا يأتمن على خاتمه سواها فقالت له ان اخي بينه وبين فلان حكومة وانا أحب ان تقضي له فقال افعل ولم يفعل فابتلي واعطاها خاتمه ودخل الحلاء فخرج الشيطان في صورته فاخذه وخرج سليمان بعده فطلب الخاتم فقالت ألم تاخذه قال لا وخرج من مكانه تائها وبقي الشيطان أربعين يوما يحكم بين الناس فقطنوا له واحدقوا به ونشروا التوراة فقرؤها فطار من بين أيديهم والقى الخاتم في البحر فابتلعه حوت ثم ان سليمان قصد صيادا وهو جائع فاستطعمه وقال أنا سليمان فكذبه وضربه فشجه فجعل يغسل الدم فلام الصيادون صاحبهم واعطوه سمكتين احداهما التي ابتلعت الخاتم فشق بطنها وأخذ الخاتم فرد الله اليه ملكه فاعتذروا اليه فقال لا أحدكم على عذركم ولا ألومكم على ما كان منكم وسخر الله له الجن والشياطين والريح ولم يكن سخرها له قبل ذلك وهو أشبه بظاهر القرآن وهو قوله تعالى قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك أنت الوهاب فسخر له الريح تجري بامره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد وقيل في سبب زوال ملكه غير ذلك والله أعلم

﴿ذكر وفاة سليمان﴾

لما اراد الله الى سليمان الملك لبث فيه مطاعا والجن تعمل له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات وغير ذلك ويعذب من الشياطين من شاء ويطلب من شاء حتى اذا دنا أجله وكان عادته اذا صلى كل يوم رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول ما اسمك فتقول كذا فيقول لاي شيء أنت فان كانت لغرس غرست وان كانت لدواء كتبت فبينما هو قد صلى ذات يوم اذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك فقالت الخرنوبة فقال لها لاي شيء أنت قالت لخراب هذا البيت يعني بيت المقدس فقال سليمان ما كان الله ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب البيت وقلعها ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الناس ان الجن لا يعلمون الغيب وكان سليمان

الملك لانه جمعها عن كان يحفظها من بني اسرائيل وان التوراة الصحيحة هي في أيدي الاساورة دون غيرهم وكان ملك هذا الملك ستا وأربعين سنة ووجدت في نسخة أخرى ان المتزوج في بني اسرائيل هو بخت نصر وهو الذي ردهم ومن عليهم وفيه نظر ودبر اسمعيل بن ابراهيم أمر البيت بعد ابراهيم عليه السلام وبأه الله عز وجل وأرسله الى العماليق وقبائل اليمن فنهاهم عن عبادة الاوثان فآمن طائفة منهم وكفر أكثرهم وولد اسمعيل اثني عشر ذكرا وهم قائث وقيدار وأربل وميم ومسمع ودوما وودام وميشا وحداد ويجم وقطورا وماش وكانت وصية ابراهيم الى ابنه اسمعيل عليه السلام ووصى اسمعيل الى أخيه اسحق عليهما السلام وقد قيل الى ولده قيدار بن اسمعيل وكان عمر اسمعيل الى ان قبضه الله اليه مائة سنة وسبعا وثلاثين سنة ودفن بالمسجد الحرام في الموضع الذي كان فيه الحجر الاسود ودبر أمر البيت بعده قائث ابن اسمعيل عليه السلام

يتحرد للعبادة فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل وأكثر يدخل طعامه وشرابه فادخله فى المرة التى توفى فيها فبيناهو قائم يصلى متوكئا على عصاه أدركه أجله فمات ولا تعلم به الشياطين ولا الجن وهم فى ذلك يعملون حوقامنه فاكلت الارضه عصاه فانكسرت فسقط فعلموا انه قد مات وعلم الناس ان الجن لا يعلمون الغيب ولو علموا الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين ومقاساة الاعمال الشاقة ولما سقط أراد بنو اسرائيل ان يعلموا منذ كم مات فوضعوا الارضة على العصا يوما وليلة فاكلت منها حسبوا بنسبته فكان أكل تلك العصا فى سنة ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تاكلين الطعام لاتيناك باطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب لاتيناك باطيب الشراب ولكنا سننقل لك الماء والطين فهم يتقلون اليها حيث كانت الم تر الى الطين يكون فى وسط الخشبة فهو ما ينقلونه لها قيل ان الجن والشياطين شكوا ما يلحقهم من التعب والنصب الى بعض أولى النجدة منهم وقيل كان ابليس فقال لهم الستم تنصرفون باحمال وتعودون غير احمال قالوا بلى قال فلكم فى كل ذلك راحة فحملت الريح الكلام فالقته فى اذن سليمان فامر الموكلين بهم انهم اذا جاؤا بالاحمال والآلات التى يبنى بها الى موضع البناء والعمل يجعلهم من هنالك فى عودهم ما يلقونه من المواضع التى فيها الاعمال ليكون أشق عليهم وأسرع فى العمل فاحتاز وا بذلك الذى شكوا اليه حالهم فاعلموه حالهم فقال لهم انتظروا الفرج فان الامور اذا تناهت تغيرت فلم تطل مدة سليمان بعد ذلك حتى مات وكان مده عمره ثلاثا وخمسين سنة وملكه اربعين سنة

﴿ ذكر من ملك من الفرس بعد كيقباذ ﴾

لما توفى كيقباذ ملك بعده ابنه كيكاووس بن كينية بن كيقباد فلما ملك حمى بلاده وقتل جماعة من عظماء البلاد المجاورة له وكان يسكن بنواحى بلخ وولد له ولد سماه سياوخش وضمه الى رستم الشديد بن داستان بن نريمان بن جوذنك بن كرشاسب وكان اصبهد سجستان وما يليها وجعله عنده ليربيه فاحسن تربيته وعلمه العلوم والفروسية والآداب وما يحتاج الملوك اليه فلما كمل ما أراد حمله الى أبيه فلما رآه سر به صورة ومعنى وكان أبوه كيكاووس قد تزوج ابنة افراسياب ملك الترك وقيل انها ابنة ملك اليمن فهويت سياوخش ودعته الى نفسها فامتنع فسعت به الى أبيه حتى أفسدته عليه فسأل سياوخش رستم الشديد ان يحاطب أباه ليبعثه الى محاربة افراسياب بسبب منعه بعض ما كان قد استقر بينهما وأراد البعد عن أبيه لما علم كيد امرأته فعمل ذلك رستم فسير أبوه وضم اليه جيشا كثيفا فسار الى بلاد الترك للقاء افراسياب فلما سار الى تلك الناحية جرى بينهما صلح وكتب سياوخش الى أبيه يعتذر مما جرى بينه وبين افراسياب من الصلح وكتب اليه والده باعراضه عما هضة افراسياب ومحاربته وفسخ الصلح فاستفتح سياوخش العذر وانف منه فلم ينفذ ما أمر به ورأى ان ذلك من فعل زوجة والده ليفتح فعله فراسل افراسياب فى الامان لنفسه لينتقل اليه فاجابه افراسياب الى ذلك وكان السفير فى ذلك قيران بن وكسمان ودخل سياوخش الى بلاد الترك فاكرمه افراسياب وأنزله واجرى عليه وزوجه بنت له يقال لها وسمافريدوهى أم كيخسرو فظهر له من ادب سياوخش ومعرفته بالملك وشجاعته ما خاف على ملكه منه وزاد الفساد بينهما بسعى ابنى افراسياب وأخيه كندو حسد منهم لسياوخش فامرهم افراسياب بقتله فقتلوه ومثلوا به وكانت زوجته ابنة افراسياب حاملا منه بابنه كيخسرو فطلبوا الحيلة فى اسقاط ما فى بطنها فلم يسقط فانكر قيران الذى كان اماب سياوخش على يده

على سميه اسمعيل وملنه وقيل أيضا انه كان وصى أبيه اسمعيل عليه السلام وكان بين سليمان بن داود وبين المسيح عليهما السلام انبياء وعباد وصالحون منهم ارميا ودانيال وعزير وقد تنازع الناس فى نبوته أيوب واشعياء وحزقيل والياس واليسع ويونس وذى الكفل والخضر وروى عن اسحق انه ارميا وقيل بل كان عبدا صالحا وزكريا وهو من ولد داود من سبط يهوذا وكانت أيساع بنت عمران أخت مريم بنت عمران أم المسيح عليهما السلام وهو عمران بن ماتان بن يعاميم من ولد داود أيضا واسم أم أيساع ومريم حمنه ولدت لزكريا يحيى بن خالة المسيح عليهم السلام وكان زكريا نجارا فاشاعت اليهود انه ركب من مريم الفاحشة فقتلوه وكان لما أحس بهم لجأ الى شجرة ودخل فى جوفها فعدلهم عليه ابليس لعنه الله عز وجل فنشروا الشجرة وهو فيها فقطعوه وقطعوها ولما ولدت أيساع ابنة عمران أخت مريم أم المسيح يحيى بن زكريا عليهما السلام هربت به من بعض

قتله وحذرعاقبته والاخذ بثاره من والده كيكاووس ومن رستم وأخذ زوجة سياوخش اليه لتضع مافى بطنها ويقتله فلما وضعت رق فيران لها ولولدولم يقتله وستر أمره حتى بلغ فسير كيكاووس الى بلاد الترك من كشف أمره وآخذه اليه وحين بلغ خبر قتله الى فارس لبس شادوس بن جودرز السواد حزنا وهو أول من لبسه ودخل على كيكاووس فقال له ماهذا فقال ان هذا اليوم يوم ظلام وسواد ثم ان كيكاووس لما علم بقتل ابنه سير الجيوش مع رستم الشديد وطوس اصبهبد اصبهان لمحاربة افراسياب فدخلا بلاد الترك فقتلا واسرا واثخنا فيها وجرى لهما مع افراسياب حروب شديدة قتل فيها ابنا افراسياب وأخوه الذين أشار وا بقتل سياوخش وزعمت الفرس ان الشياطين كانت مسخرة له وانها بنت له مدينة طولها فى زعمهم ثلثمائة فرسخ وبنوا عليها سورا من صفر وسورا من شبه وسورا من فضة وكانت الشياطين تنقلها بين السماء والارض وان كيكاووس لا ياكل ولا يشرب ولا يحدث فيها ثم ان الله أرسل الى المدينة من يخربها فحجرت الشياطين عن المنع عنها فقتل كيكاووس جماعة من رؤسائهم وقال بعض العلماء باخبار المتقدمين انما سخر له فعل الشياطين بامر سليمان بن داود وكان مظفر الاينا وبه أحد من الملوك الاطهر عليه فلم يزل كذلك حتى حدثته نفسه بالصعود الى السماء فسار من خراسان الى بابل واعطاه الله تعالى قوة ارتفع بها هو ومن معه حتى بلغوا السحاب ثم سلبهم الله تلك القوة فسقطوا وهلكوا وافلت بنفسه واحدث يومئذ وهذا جميعه من اكاذيب الفرس الباردة ثم ان كيكاووس بعد هذه الحادثة تمزق ملكه وكثرت الخوارج عليه وصار وا يغزونه فيظفر مرة ويظفرون أخرى ثم غزا بلاد اليمن وملكها يومئذ ذو الاذعار بن ابرهة ذى المنار بن الرائش فلما ورد اليمن خرج اليه ذو الاذعار وكان قد أصابه الفالج فلم يكن بغزو فلما وطئ كيكاووس بلاده خرج اليه بنفسه وعساكره وظفر بكيكاووس فاسره واستباح عسكره وحبسه فى بئر واطبق عليه فسار رستم من سجستان الى اليمن وأخرج كيكاووس وأخذه وأراد ذو الاذعار منعه فجمع العساكر وأراد القتال ثم خاف البوار فاصطلحا على أخذ كيكاووس والعود الى بلاد الفرس فاخذه واعاده الى ملكه فاقطعه كيكاووس سجستان وزابلستان وهى أعمال غرنة وأزال عنه اسم العبودية ثم توفى كيكاووس وكان ملكه مائة وخمسين سنة

﴿ ذكر ملك كيخسرو بن سياوخش بن كيكاووس ﴾

لما مات كيكاووس ملك بعده ابن ابنه كيخسرو بن سياوخش بن كيكاووس وأمه وسفافريد ابنة افراسياب ملك الترك فلما ملك كتب الى الاصبهبذين جميعهم ان يأتوا بعساكرهم جميعا فلما اجتمعوا جهز ثلاثين ألفا مع طوس وأمره بدخول بلاد الترك وان لا يمر بقرية ولا مدينة لهم الا قتل كل من فيها الا مدينة من مدنهم كان بها أخ له اسمه فرود بن سياوخش كان أبوه قد تزوج أمه فى بعض مدائن الترك فاجتاز طوس بها فجرى بينه وبين فرود حرب قتل فيها فرود فبلغ خبره كيخسرو فعظم عليه وكتب الى عمه كان مع طوس يامره بالقبض على طوس وارساله مقيدا والقيام بامر الجيش ففعل ذلك وسار بالعسكر نحو افراسياب فسير افراسياب العساكر اليه فاقتتلوا قتالا شديدا كثرت فيه القتلى وانحازت الفرس الى رؤس الجبال وعادوا الى كيخسرو فوبخ عمه ولامه واهتم بغزو الترك فامر بجمع العساكر جميعها وان لا يتخلف أحد فلما اجتمعوا أعلمهم انه يريد قصد بلاد الترك من أربعة وجوه فسير جودرز فى أعظم العساكر وأمره بالدخول الى بلاد الترك مما يلى بلخ وأعطاه درفش كابيان وهو العلم الاكبر الذى لهم وكانوا لا يرسلونه الامع

الملوك الى مصر فلما صار رجلا بعثه الله عز وجل الى بنى اسرائيل فقام فيهم بأمر الله عز وجل ونهيه فقتلوه وكثرت الاحداث فى بنى اسرائيل فبعث الله عليهم ملكا من ناحية المشرق يقال له حردوس فقتل منهم على دم يحيى بن زكريا ألوفا من الناس وهو يفور الى ان هدأ الدم بعد خطب طويل ولما بلغت مريم ابنة عمران سبع عشرة سنة بعث الله عز وجل اليها جبريل فنفخ فيها الروح فحملت بالسيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وولدت بقرية يقال لها بيت لحم على أميال من بيت المقدس وولدته فى يوم الاربعاء لاربع وعشرين ليلة خلت من كانون الاول وكان من أمره ماذكره الله عز وجل فى كتابه واتضح على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد زعمت النصارى ان أشيوع الناسرى أقام على دين من سلف من قومه يقرأ التوراة والكتب السالفة فى مدينة طبرية من بلاد الاردن فى كنيسة يقال لها المدراس ثلاثين سنة وقيل تسعا وعشرين سنة وانه فى بعض الايام كان يقرأ فى سفر اشعياء

بعض أولاد الملوك لامر عظيم وسير عسكرا آخر من ناحية الصين وسير عسكرا آخر مما يلي الخزر وعسكرا آخر بين هذين العسكرين فدخلت العساكر بلاد الترك من كل جهاتها واخربتها الاسيما جودر زفانه قتل وأخرب وسبى وتبعه كيخسرو بنفسه فى طريقه فوصل اليه وقد قتل جماعة كثيرة من أهل افراسياب واثخن فيهم ورآه قد قتل خمسمائة ألف وبقى منهم وستين ألفا وأسر ثلاثين ألفا وغنم مالا يحد ولا يحصى وعرض عليه من قتل من أهل افراسياب وطراخنته فعظم جودرز عنده وشكره واقطعه اصبهان وجرجان ووردت عليه الكتب من عساكره الداخلة من تلك الوجوه الى الترك بما قتلوا وغنموا وأحرقوا وانهم هزموا الافراسياب عسكرا بعد عسكر وكتب اليهم ان يجدوا فى محاربتهم ويوافوه عوضع سماه لهم فلما بلغ افراسياب قتل من قتل من طراخنته وأهله وعساكره عظم ذلك عليه وسقط فى يديه ولم يكن بقى عنده من أولاده الا ولده شيده فوجهه فى جيش نحو كيخسرو فسار اليه واقتتلوا قتالا شديدا أربعة أيام ثم انهزمت الترك وتبعهم الفرس يقتلونهم ويأسرون وأدركوا اب افراسياب فقتلوه وسمع افراسياب بالحادثة وقتل ابنه فاقبل فيمن عنده من العساكر فلقى كيخسرو فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع بمثله واشتد الامر فانهزم افراسياب وكثر القتل فى الترك ففقد منهم مائة ألف وجد كيخسرو فى طلب افراسياب ولم يزل يهرب من بلد الى بلد حتى بلغ ادربيجان فاستتر وظفر به وأتى به الى كيخسرو فلما حضر عنده سأله عن غدره بابيه فلم يكن له حجة ولا عذر فامر بقتله فذبح كما تذبح سيا وحش ثم انصرف من اذربيجان مظفرا منصورا فرحا فلما قتل افراسياب ملك الترك بعده أخوه كى سواسف فلما توفى ملك بعده ابنه خرزاسف وكان جبارا عاتيا فلما فرغ كيخسرو من الاخذ بثار أبيه واستقر فى ملكه زهد فى الدنيا وترك الملك وتنسك واجتهد أهله وأصحابه به ليلازم الملك فلم يفعل فقالوا له فاعهد الى من يقوم بالملك بعدك فعهد الى لهراسب وفارقهم كيخسرو وغاب عنهم فلا يدرى ما كان منه ولا أين مات وبعض يقول غير ذلك وكان ملكه ستين سنة وملك بعده لهراسب

﴿ذكر أمر بنى اسرائيل بعد سليمان﴾

قيل ثم ملك بعد سليمان على بنى اسرائيل ابنه رحبعم بن سليمان وكان ملكه سبع عشرة سنة ثم افترقت ممالك بنى اسرائيل بعد رحبعم فملك افيا بن رحبعم سبط يهودا وبنيامين دون سائر الاسباط وذلك ان سائر الاسباط ملكوا عليهم يوربعم بن بابعا عبد سليمان بسبب القربان الذى كانت جرادة زوجة سليمان فيما زعموا قربته فى داره للصنم فتوعده الله تعالى ان ينزع بعض الملك عن ولده فكان ملك افيا بن رحبعم ثلاث سنين ثم ملك اسا بن افيا أمر السبطين اللذين كان أبوه يملكهما احدى وأربعين سنة وكان رجلا صالحا وكان أعرج

﴿ذكر محاربة اسا بن افيا وروح الهندى﴾

قيل كان اسا بن افيا رجلا صالحا وكان أبوه قد عبد الاصنام ودعا الناس الى عبادتها فلما ملك ابنه اسا أمر مناديا فنادى ألا ان الكفر قد مات وأهله وعاش الايمان وأهله فليس كافر فى بنى اسرائيل يطلع رأسه بكفر الا قتلته فان الطوفان لم يعرق الدنيا وأهلها ولم يخسف بالقرى ولم تمطر الحجارة والنار من السماء الى الارض الا بترك طاعة الله والعمل بمعصيته وشدد فى ذلك فاتى بعضهم ممن كان يعبد الاصنام ويعمل بالمعاصى الى ام اسا الملك وكانت تعبد الاصنام فشكوا اليها فجاءت اليه ونهته عما كان يفعله وبالغت فى زجره فلم يصغ الى قولها بل تهددها على عبادة الاصنام وأظهر البراءة منها فحينئذ أيس الناس منه وانتزح من كان يخافه وساروا الى الهند

اذ نظر فى السفر الى كتاب من نور فيه انت نبى وخالصتى اصطفيتك لنفسى فاطبق السفر ودفعه الى خادم الكنيسة وخرج وهو يقول الآن تمت المشيئة لله فى ان البشر وقد قيل ان المسيح عليه السلام كان بقرية يقال لها ناسرة من بلاد اللجون من اعمال الاردن وبذلك سميت النصرانية ورأيت فى هذا القرن كنيسة تعظمها النصارى وفيها توابيت من حجارة فيها عظام الموتى يسيل منها زيت تحسين كالرب تتبرك به النصارى وان المسيح مر ببحيرة طبرية وعليها أناس من الصيادين والقصارين وقد ذكر أن ميروحنا وشمعون وبولس ولوقا هم الحواريون الاربع الذين تلقوا الانجيل فالفوا خبر عيسى عليه السلام وما كان من أمره وخبر مولده وكيف عمده يحيى بن زكريا وهو يحمى المعمدانى فى بحيرة طبرية وقيل فى بحر الاردن الذى يخرج من بحيرة طبريه ويجرى الى البحيرة المنتنة وما فعل من الاعاجيب وأتى من المعجزات وما قالت اليهود الى ان رفعه الله عز وجل اليه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وفى الانجيل خطب طويل فى أمر المسيح ومريم عليها

وكان بالهند ملك يقال له رزح وكان جبارا عاتيا عظيم السلطان قد أطاعه أكثر البلاد وكان يدعو الناس الى عبادته فوصل اليه أولئك النفر من بنى اسرائيل وشكوا اليه ملكهم ووصفوا له البلاد وكثرتها وقلة عسكرها وضعف ملكها وأطمعوه فيها فارسل الجواسيس فاتوه باخبارها فلما تيقن الخبر جمع العساكر وسار الى الشام فى البحر وقال له بنو اسرائيل ان لاساصديقا ينصره ويعينه قال فاين اساو صديقه من كثرة عساكرى وجنودى وبلغ خبره الى اسا فتضرع الى الله تعالى وأظهر الضعف والعجز عن الهدى وسأل الله النصرة عليه فاستجاب الله له وأراه فى المنام انى سأظهرك على من قدرتى فى رزح الهندى وعساكره ما أكفيك شرهم وأغنمكم أموالهم حتى يعلم أعداؤك ان صديقك لا يطاق وليه ولا ينهزم جنده ثم سار رزح حتى أرسى بالساحل وسار الى بيت المقدس فلما صار على مرحلتين منه وقع عساكره فامتلأت منهم تلك الارض وملأت قلوب بنى اسرائيل رعبا وبعث اسا العيون فعادوا وأخبروه من كثرتهم بما لم يسمع بمثله وسمع الخبر بنو اسرائيل فصاحوا وبكوا وودع بعضهم بعضا وعزموا على أن يخرجوا الى رزح ويستسلموا اليه وينقادوا له فقال لهم ملكهم ان ربى قد وعدنى بالظفر ولا خلف لوعده فعاودوا الدعاء والتضرع ففعلوا ودعوا جميعهم وتضرعوا فرحموا ان الله أوحى اليه يا اسا ان الحبيب لا يسلم حبيبه وأنا الذى أكفيك عدوك فانه لا يهون من توكل على ولا يضعف من تقوى بى وقد كنت تذكرنى فى الرخاء فلا أسلمك فى الشدة وسأرسل بعض الزبانية يقتلون أعدائى فاستبشر واخبر بنى اسرائيل فاما المؤمنون فاستبشروا واما المنافقون فكذبوه وأمره الله بالخروج الى رزح فى عساكره فخرج فى نفر يسير ووقفوا على رابية من الارض ينظرون الى عساكره فلما رآهم رزح احتقرهم واستصغرهم وقال انما خرجت من بلادى وجمعت عساكرى وأنفقت أموالى لهذه الطائفة ودعا النفر من بنى اسرائيل الذين قصدوه والجواسيس الذين أرسلهم ليختبروا له وقال كذبتمونى وأخبرتمونى بكثرة بنى اسرائيل حتى جمعت العساكر وفرقت أموالى ثم أمر بهم فقتلوا وأرسل الى اسا يقول له أين صديقك الذى ينصرك ويخلصك من سطوتى فاجابه اسا يا شقى انك لا تعلم ما تقول أتريد ان تغالب الله بقوتك أم تكاثره بقلتك وهو معى فى موقفى هذا ولن يغلب أحد كان الله معه وستعلم ما يحل بك فغضب رزح من قوله وصف عساكره وخرج الى قتال اسا وأمر الرماة فرموهم بالسهام فبعث الله من الملائكة مدد البنى اسرائيل فاخذوا السهام ورموا بها الهنود فقتلت كل انسان منهم نشابته فقتل جميع الرماة وصاح بنو اسرائيل بالتسبيح والدعاء وتراءت الملائكة للهنود فلما رآهم رزح ألقى الله الرعب فى قلبه وسقط فى يده ونادى فى عساكره يامرهم بالحملة عليهم فحملوا فقتلتهم الملائكة ولم يبق منهم غير رزح وعبيده ونسائه فلما رأى ذلك ولى هاربا وهو يقول قلبى صديقى اسا فلما رآه اسا مد يديه وقال اللهم انك ان لم تهلكه استشرى علينا نائبه وبلغ رزح ومن معه الى البحر فركبوا السفن فلما سارت بهم أرسل الله عليهم الرياح فغرقتهم أجمعين ثم ملك بعد اسا ابنه ساقاط الى أن هلك خمسا وعشرين سنة ثم ملكت عزليبا بنت عمرم أخت اخزيا وكانت قتلت أولاد ملوك بنى اسرائيل ولم يبق منهم الا يواش بن اخزيا وهو ابن ابنها فانه ستر عنها ثم قتلها يواش وأصحابه وكان ملكها سبع سنين ثم ملك يواش أربعين سنة ثم قتله أصحابه وهو الذى قتل جدته ثم ملك عوزيا بن امصيا بن يواش ويقال له عوريا الى أن توفى اثنتين وخمسين سنة ثم ملك يوثام بن عوريا الى أن توفى ست عشرة سنة ثم ملك حزقيا ان احاز الى أن توفى فيقال انه صاحب شعيا الذى أعلمه شعيا انقضاء عمره فتضرع الى ربه فزاده وأمر شعيا باعلامه ذلك وقيل

السلام ويوسف النجار أعرضنا عن ذلك لان الله عز وجل لم يخبر بشئ من ذلك فى كتابه ولا أخبر به محمد نبيه صلى الله عليه وسلم

﴿ذكر أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم﴾

وكان بين المسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم جماعة من أهل التوحيد ممن يقر بالبعث وقد اختلف فيهم فمن الناس من رأى انهم أنبياء ومنهم من رأى غير ذلك فممن ذكر أنه نبى حنظلة بن صفوان وكان من ولد اسمعيل ابن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم وأرسل الى أصحاب الرس وكانوا من ولد اسمعيل ابن ابراهيم وهم قبيلتان يقال لاحداهما ادمان وللاخرى يامن وقيل رعويل ودلك باليمن فقام فيهم حنظلة يامر الله عز وجل فقتلوه فأوحى الله الى نبى من أنبياء بنى اسرائيل من سبط يهوذا ان يأمر بختنصر يسير اليهم فسار اليهم فأتى عليهم فذلك قوله عز وجل فلما أحسوا بأسنا الى قوله حصيدا خامدين وقيل ان القوم كانوا من حمير وقد ذكر ذلك بعض شعرائهم فى مرثية له فقال

بكت عينى لاهل الر
س رعويل وقدمان
وأسلم من أبى زرع
بكال الحى قيطان

ان صاحب شعيا في هذه القصة اسمه صدقيا على ما يرد ذكره

﴿ذكر شعيا والملك الذي معه من بني اسرائيل ومسير سنحاريب الى بني اسرائيل﴾

قيل كان الله تعالى قد أوحى الى موسى ما ذكر في القرآن وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا وكثرفي بني اسرائيل الاحداث والذنوب وترك الله يتعاورهم عنها منعطفا عليهم وكان من أول ما أنزل الله عليهم من ذلك انه لما ملكهم يقال له صدقيا وكانت عادتهم اذا ملك عليهم رجل بعث الله اليه نبيا يرشده ويوحي اليه ما يريد ولم يكن لهم غير شريعة التوراة فطال ملك صدقيا بعث الله تعالى اليه شعيا وهو الذي بشر بعيسى ومحمد عليهما السلام فلما قارب أن ينقضي ما عظمت الاحداث في بني اسرائيل فارسل الله عليهم سنحاريب ملك بابل في عساكر يغص بها الفضاء فسار حتى نزل بيت المقدس واحاط به وملك بني اسرائيل مريض في سياقة فرحه فاتاه النبي شعيا وقال له ان الله يأمرك أن توصي وتعهد فانك ميت فاقبل الملك على الدعاء والتضرع فاستجاب الله له فاوحى الله الى شعيا انه قد زاد في عمر الملك صدقيا خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنحاريب فلما قال له ذلك زال عنه الالم وجاءته الصحة ثم ان الله أرسل على عساكر سنحاريب ملكا صاح بهم صيحة واحدة فرمتهم سنحاريب وخمسة من كتابه أحدهم يختنصر في قول بعضهم فخرج صدقيا وبنو اسرائيل الى معسكرهم فعموا ما فيه والتمسوا سنحاريب فلم يجدوه فارسل الطلب في اثره فوجدوه ومعه أصحابه فاخذوهم وقيدوهم وحملوهم اليه فقال لسنحاريب كيف رأيت صنع ربنا بك فقال قد أتاني خبر ربكم وصيره اياكم فلم أصدق ذلك فطاف بهم حول بيت المقدس ثم سجنهم فاوحى الله الى شعيا يأمر الملك باطلاق سنحاريب ومن معه فاطلقهم فعادوا الى بابل وأخبروا قومهم بما فعل الله بهم وبعساكرهم وبقي بعد ذلك سبع سنين ثم مات وقد زعم بعض أهل الكتاب ان بني اسرائيل سار اليهم قبل سنحاريب ملك من ملوك بابل يقال له كفرو وكان يختنصر ابن عمه وكاتبه وان الله أرسل عليهم ريحا فأهلكت جيشه وأفلت هو وكاتبه وان هذا البابلي قتله ابن له وان يختنصر غصب لصاحبه فقتل ابنه الذي قتله وان سنحاريب سار بعد ذلك وكان ملكه بنينوى وغزا مع ملك اذربيجان ومئذ بني اسرائيل فاوقع بهم ثم اختلف سنحاريب وملك اذربيجان وخيارباخي تفاني عسكراهما فخرج بنو اسرائيل وغنموا ما معهم وقيل كان ملك سنحاريب الى أن توفي تسعا وعشرين سنة وكان ملك بني اسرائيل الذي حصره سنحاريب حزقيا فلما توفي حزقيا ملك بعده ابنه منشا خمسا وخمسين سنة ثم ملك بعده امون الى أن قتله أصحابه ثنتي عشرة سنة ثم ملك ابنه يوشا الى أن قتله فرعون مصر الاحدع احدى وثلاثين سنة ثم ملك بعده ابنه ياهواحاز بن يوشيا فعزله فرعون الاجدع واستعمل بعده يوياقيم ابن ياهواحاز ووطف عليه خراجا يحمله اليه وكان ملكه احدى عشرة سنة ثم ملك بعده ابنه يوياحين فغزاه يختنصر وأشخصه الى بابل بعد ثلاثة أشهر من ملكه وملك بعده يقونيا ابن عمه وسماه صدقيا وخالفه فغزاه وظفر به وحمله الى بابل وذبح ولده بين يديه وسمل عينيه وخرب بيت المقدس والهيكل وسبى بني اسرائيل وحملهم الى بابل فمكثوا الى ان عادوا اليه على ما نذكره ان شاء

وقد حكى عن وهب بن منبه ان ذا القرنين وهو الاسكندر كان بعد المسيح عليه السلام في الفترة وانه كان حليما رأى فيه انه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شرقيها وغربها وعرسها فقص رؤياه على قومه فسموه ذي القرنين وللناس في ذي القرنين تنازع كبير قد أتينا على ذلك في كتاب اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وسنذكر لمعا من خبره عند ذكرنا لملوك اليونانيين والروم وكذلك تنازع الناس في أصحاب الكهف في أي الاعصار كانوا فمنهم من زعم انهم كانوا في زمن الفترة ومنهم من رأى غير ذلك وسنأتي بلمع من خبرهم في ذكر ملوك الروم في هذا الكتاب وان كنا قد أتينا على ذلك في الكتاب الاوسط وفيما سلف قبله من كتاب اخبار الزمان وممن كان في الفترة بعد المسيح عليه السلام جرجيس وقد أدرك بعض الحواريين فأرسله الله الى بعض ملوك الموصل فدعاه الى الله عز وجل فقتله فاحياه الله وبعثه اليه ثانية فقتله فاحياه الله فأمر بنشره ثالثة واحراقه واذرائه في دجلة فاهلك الله

الله وكان جميع ملك صدقيا احدى عشرة سنة وقيل ان شعيا أوحى الله اليه ليقوم فى بنى اسرائيل يذكرهم بما يوحى الله على لسانه لما كثرت فيهم الاحداث ففعل فعدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخلها وأخذ الشيطان بهدب ثوبه وأراه بنى اسرائيل فوضعوا المنشار على الشجرة فنشروها حتى قطعوه فى وسطها وقيل فى أسماء ملوكهم غير ذلك تركناه كراهة التطويل ولعدم الثقة بصحة النقل به

﴿ذكر ملك لهراسب وابنه بشتاسب وظهور زرادشت﴾

قد ذكرنا ان كيحسر ولما حضرته الوفاة عهد الى ابن عمه لهراسب بن كيوخى بن كيكاوس فهو ابن ابن كيكاوس فلما ملك اتخذ سريرا من ذهب وكلله بانواع الجواهر وبنيت له بارض خراسان مدينة بلخ وسماها الحسناء ودون الدواوين وقوى ملكه بانتخابه الجنود وعمر الارض وجبى الخراج لارزاق الجند واشتدت شوكة الترك فى زمانه فنزل مدينة بلخ فقتالهم وكان محمودا عند أهل مملكته شديد القمع لاعدائه المجاورين له شديد التفقد لاصحابه بعيد الهمة عظيم البنيان وشق عدة أنهار وعمر البلاد وحمل اليه ملوك الهند والروم والمغرب الخراج وكاتبوه بالتمليك هيبة له وحذرا منه ثم انه تنسك وفارق الملك واشتغل بالعبادة واستخلف ابنه بشتاسب فى الملك وكان ملكه مائة وعشرين سنة وملك بعده ابنه بشتاسب وفى أيامه ظهر زرادشت بن سقيمان الذى ادعى النبوة وتبعه المجوس وكان زرادشت فيما يزعم أهل الكتاب من أهل فلسطين يخدم لبعض تلامذة أرميا النبى خاصابه فخانه وكذب عليه فدعا الله عليه فبرص ولحق ببلاد اذربيجان وشرع بها دين المجوس وقيل انه من العجم وصنف كتابا وطاف به الارض فاعرف أحد معناه وزعم انها لغة سماوية خوطب بها وسماه اشتافسار من اذربيجان الى فارس فلم يعرفوا ما فيه ولم يقبلوه فسار الى الهند وعرضه على ملوكها ثم أتى الصين والترك فلم يقبله أحد وأخرجوه من بلادهم وقصد فرغانة فاراد ملكها ان يقتله فهرب منها وقصد بشتاسب بن لهراسب فامر بحبسه فحبس مدة وشرح زرادشت كتابه وسماه زند ومعناه التفسير ثم شرح الزند بكتاب سماه بازند يعنى تفسير التفسير وفيه علوم مختلفة كالرياضة واحكام النجوم والطب وغير ذلك من اخبار القرون الماضية وكتب الانبياء وفى كتابه تمسكوا بما حتجكم به الى ان يجيئكم صاحب الجمل الاحمر يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وذلك على رأس ألف سنة وستمائة سنة وبسبب ذلك وقعت البغضاء بين المجوس والعرب ثم يذكر عند أخبار سابور ذى الاكتاف ان من جملة الاسباب الموجبة لغزوة العرب هذا القول والله أعلم ثم ان بشتاسب أحضر زرادشت وهو ببلخ فلما قدم عليه شرع له دينه فاعجبه واتبعه وقهر الناس على اتباعه وقتل منهم خلقا كثيرا حتى قبلوه ودانوا به وأما المجوس فيزعمون ان أصله من اذربيجان وانه نزل على الملك من سقف ايوانه وبيده كبة من نار يلعب بها ولا تحرقه وكل من أخذها من يده لم تحرقه وانه اتبعه الملك ودان بدينه وبنى بيوت النيران فى البلاد وأشعل من تلك النار فى بيوت النيران فيزعمون ان النيران التى فى بيوت عباداتهم من تلك الى الآن وكذبوا فان النار التى للمجوس طفئت فى جميع البيوت لما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم على ما نذكره ان شاء الله تعالى وكان ظهور زرادشت بعد مضى ثلاثين سنة من ملك بشتاسب وأتاه بكتاب زعم انه وحى من الله تعالى وكتب فى جلده اثنى عشر الف بقرة حفرا ونقشا بالذهب فجعله بشتاسب فى موضع باصطخر ومنع من تعليمه العامة وكان بشتاسب وآباؤه قبله يدينون بدين الصابئة وسيرد بأثر أخباره

عز وجل الملك وجميع أهل مملكته ممن اتبعه على حسب ما وردت به الاخبار عن أهل الكتاب ممن آمن وذلك موجود فى كتاب المبتدا والسير لوهب بن منبه وغيره وممن كان فى الفترة حبيب النجار وكان يسكن انطاكية من أرض الشام وكان بها ملك متجبر يعبد التماثيل والصور فسار اليه اثنان من تلامذة المسيح فدعوه الى الله عز وجل فحبسهما وضربهما فعززهما الله بثالث وقد تنورع فيه فذهب كثير من الناس الى انه بطرس وهذا بالرومية واسمه بالعربية شمعان وبالسريانية شمعون وهو شمعون الصفاء وذكر كثير من الناس واليه ذهب سائر فرق النصرانية ان الثالث المعزز به بولس وان الاثنين المتقدمين اللذين أودعا الحبس توما وبطرس فكان لهم مع ذلك الملك خطب عظيم طويل فيما أظهروا من الاعجاز والاعاجيب والبراهين من ابراء الاكمه والابرص واحياء الميت وحيلة بولس عليه بعد اخلته اياه وتلطفه له واستنقاذ صاحبيه من الحبس بجاه حبيب النجار فصدقهم لما رأى من آيات الله عز وجل

﴿ ذكر مسير بختنصر الى بني اسرائيل ﴾

قد اختلف العلماء في الوقت الذي أرسل فيه بختنصر على بني اسرائيل فقيل كان في عهد أرميا النبي ودانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل وقيل انما أرسله الله على بني اسرائيل لما قتلوا يحيى ابن زكريا والاول أكثر وكان ابتداء أمر بختنصر ماذكره سعيد بن جبير قال كان رجل من بني اسرائيل يقرأ الكتب فلما بلغ الى قوله تعالى بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد قال أي رب أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني اسرائيل على يده فأرى في المنام مسكينا يقال له بختنصر ببابل فسار على سبيل التجارة الى بابل وجعل يدعو المساكين ويسأل عنهم حتى دلوه على بختنصر فأرسل من يحضره فرآه صعلوكا مريضا فاهتم عليه في مرضه يعالجه حتى برأ فلما برأ أعطاه نفقة وعزم على السفر فقال له بختنصر وهو يبكي فعلت معي ما فعلت ولا أقدر على مجازاتك قال الاسرائيلي بلى تقدر عليه تكتب لي كتابا ان ملكت أطلقتني فقال أتستهزئ بي فقال انما هذا أمر لا محالة كائن ثم ان ملك الفرس أحب أن يطلع على أحوال الشام فأرسل انسانا يثق به ليتعرف له اخباره وحال من فيه فسار اليه ومعه بختنصر فقير لم يخرج الا للخدمة فلما قدم الشام رأى أكبر بلاد الله خيلا ورجالا وسلاحا فقفت ذلك في ذرعه فلم يسأل عن شيء وجعل بختنصر يجلس مجالس أهل الشام فيقول لهم ما يمنعكم ان تغزوا بابل فلو غزوتموها ما دون بيت مالها شيء فكلهم يقول له لا تحسن القتال ولا تراه فلما عادوا أخبر الطليعة بما رأوا من الرجال والسلاح والخيل وأرسل بختنصر الى الملك يطلب اليه ان يحضره ليعرفه جلية الحال فاحضره فأخبره بما كان جميعه ثم ان الملك أراد أن يبعث عسكرا الى الشام أربعة آلاف راكب جريدة واستشار فيمن يكون عليهم فأشاروا ببعض أصحابه فقال لا بل بختنصر فجعله عليهم فسار وافتتحوا وأوقعوا ببعض البلاد وعادوا سالمين ثم ان لهراسب استعمله اصبهبذ على ما بين الاهواز الى أرض الروم من غربي دجلة وكان السبب في مسيره الى بني اسرائيل انه لما استعمله لهراسب كما ذكرنا سار الى الشام فصالحه أهل دمشق وبيت المقدس فعاد عنهم وأخذ رهائنهم فلما عاد من المقدس الى طبرية وثب بنو اسرائيل على ملكهم الذي صالح بختنصر فقتلوه وقالوا دا هنت أهل بابل وخذلتنا فلما سمع بختنصر قتل الرهائن الذين معه وعاد الى القدس فاخربه وقيل ان الذي استعمله انما كان الملك بهمن بن بشتاسب بن لهراسب وكان بختنصر قد خدم جده وأباه وخدمه وعمر عمرا طويلا وأرسل بهمن رسلا الى ملك بني اسرائيل ببيت المقدس فقتلهم الاسرائيلي فغضب بهمن من ذلك واستعمل بختنصر على أقاليم بابل وسيره في الجنود الكثيرة فعمل بهم ما نذكره هذه الاسباب الظاهرة وانما السبب الكلي الذي أحدث هذه الاسباب الموجبة للانتقام من بني اسرائيل هو معصية الله تعالى ومخالفة أوامره وكانت سنة الله تعالى في بني اسرائيل انه اذا ملك عليهم ملكا أرسل معه نبيا يرشده ويهديه الى أحكام التوراة فلما كان قبل مسير بختنصر اليهم كثرت فيهم الاحداث والمعاصي وكان الملك فيهم يقونيا بن يوياقيم فبعث الله اليه أرميا قيل هو الخضر عليه السلام فأقام فيهم يدعوهم الى الله وينهاهم عن المعاصي ويذكرهم نعمة الله عليهم باهلاك سنحاريب فلم يرعووا فأمره الله ان يحذرهم عقوبته وانهم ان لم يراجعوا الطاعة سلط عليهم من يقتلهم ويسبي ذراريهم ويخرب مدينتهم ويستعبدهم ويأتيهم بجنود ينزع من قلوبهم الرأفة والرحمة فلم يراجعوها فأرسل الله اليه لا قيضن لهم فتنة تذر الحليم حيران ويضل فيها رأي ذي الرأي وحكمة الحكيم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا عاتيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل

وقد أخبر الله عز وجل بذلك في كتابه بقوله اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما الى قوله وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى وقتل نواس و بطرس بمدينة رومية وصلبا منكسين وكان لهما فيها خبر طويل مع الملك وسحر سليمان الساحر ثم جعلا بعد ذلك في خزانة من البلور وذلك بعد ظهور دين النصرانية وحرمهما في كنيسة هناك قد ذكرناها في الكتاب الاوسط عند ذكرنا العجائب رومية وأخبار تلاميذ المسيح عليه السلام وتفرقهم في البلاد وسنورد في هذا الكتاب لمعا من اخبارهم ان شاء الله تعالى فأما أصحاب الاخدود فانهم كانوا في الفترة في مدينة نجران باليمن في ملك ذي نواس وهو القاتل الذي سار وكان على دين اليهودية فبلغ ذا نواس ان قوما بنجران على دين المسيح عليه السلام فسار اليهم بنفسه واحتفر لهم اخاديد في الارض وملأها جمرا وأضرمها نارا ثم عرضهم على اليهودية فمن تبعه تركه ومن أبى قذفه في النار فأتى بامرأة معها طفل ابن سبعة أشهر فأبت ان تتخلى عن دينها فادنيت من النار فجزعت فأنطق الله عز وجل

سواد الليل وعساكر مثل قطع السحاب يهلك بنى اسرائيل و ينتقم منهم ويخرب بيت المقدس
فلما سمع أرميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه وجعل الرماد على رأسه وتضرع الى الله فى رفع ذلك
عنهم فى أيامه فأوحى الله اليه وعزتى لا أهلك بيت المقدس وبنى اسرائيل حتى يكون الامر من
قبلك فى ذلك ففرح أرميا وقال لا والذى بعث موسى وأنبياءه بالحق لا آمر بهلاك بنى اسرائيل أبدا
وأتى ملك بنى اسرائيل فأعلمه بما أوحى اليه فاستبشر وفرح ثم لبثوا بعد هذا الوحى ثلاث سنين
ولم يزدادوا الا معصية وتمادوا فى الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقل الوحى حيث لم يكونوا
هم يتذكرون فقال لهم ملكهم يا بنى اسرائيل انتهوا عما أنتم عليه قبل أن يأتيكم عذاب الله فلم
ينتهوا فألقى الله فى قلب بختنصر ان يسير الى بنى اسرائيل ببيت المقدس فسار فى العساكر الكثيرة
التى تملأ الفضاء و بلغ ملك بنى اسرائيل الخبر فاستدعى أرميا النبى فلما حضر عنده قال له يا أرميا
أين ما زعمت ان ربك أوحى اليك أن لا يهلك بيت المقدس حتى يكون الامر منك فقال أرميا ان
ربى لا يخلف الميعاد وأنابه واثق فلما قرب الاجل ودنا انقطاع ملكهم وأراد الله اهلاكهم أرسل
الله ملكا فى صورة آدمى الى أرميا وقال له استفته فأتاه وقال له يا أرميا انا رجل من بنى اسرائيل
استفتيك فى ذوى رحمى وصلت أرحامهم بما أمرنى الله به وأتيت اليهم حسنا وكرامة فلا تزيدهم
كرامتى اياهم الا سخطا الى وسوء سيرة معى فافتنى فيهم فقال له احسن فيما بينك و بين الله وصل
ما أمرك الله به ان تصله فانصرف عنه الملك ثم عاد اليه بعد أيام فى تلك الصورة فقال له أرميا أما
طهرت اخلاقهم وما رأيت منهم ما تريد فقال والذى بعثك بالحق ما أعلم كرامة يؤتيها أحد من
الناس الى ذوى رحمه الا وقد أتيتها اليهم وأفضل من ذلك فلم يزدادوا الا سوء سيرة فقال ارجع
الى أهلك واحسن اليهم فقام الملك من عنده فلبث أياما ونزل بختنصر على بيت المقدس باكثر من
الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل وقال ملكهم لارميا أين ما وعدك ربك فقال انى بربى واثق ثم ان
الملك الذى ارسله الله يستفتى أرميا عاد اليه وهو قاعد على جدار بيت المقدس فقال مثل قوله
الاول وشكا أهله و جورهم وقال له يا نبى الله كل شئ كنت أصبر عليه قبل اليوم لان ذلك كان
فيه سخطى وقد رأيتهم اليوم على عمل عظيم من سخط الله تعالى فلو كانوا على ما كانوا عليه اليوم لم
يشتد عليهم غضبى وانما غضبت اليوم لله وأتيتك لاخبرك خبرهم وانى أسألك بالله الذى بعثك
بالحق الا ما دعوت الله عليهم ان يهلكهم فقال ارميا يا ملك السموات والارض ان كانوا على حق
وصواب فابقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فاهلكهم فلما خرجت الكلمة من فيه أرسل
الله صاعقة من السماء فى بيت المقدس والتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها
فلما رأى ذلك أرميا صاح وشق ثيابه و نبذ الرماد على رأسه وقال يا ملك السموات والارض يا أرحم
الراحمين أين ميعادك أيا رب الذى وعدتنى به فأوحى الله اليه انه لم يصبهم ما أصابهم الا بخطيئاك التى
أفتيت رسولنا فاستيقن انها فتياه وان السائل كان من عند الله وخرج أرميا حتى خالط الوحش
ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس فوطئ الشام وقتل بنى اسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت
المقدس وأمر جنوده فحملوا التراب وألقوه فيه حتى ملؤه ثم انصرف راجعا الى بابل وأخذ معه
سبايا بنى اسرائيل وأمرهم فجمعوا من كان فى بيت المقدس كلهم فاجتمعوا واختار منهم مائة
ألف صبى فقسمهم على الملوك والقواد الذين كانوا معه وكان من أولئك الغلمان دانيال النبى
وحنانيا وعزاريا وميشائيل وقسم بنى اسرائيل ثلاث فرق فقتل ثلثا وأقر بالشام ثلثا وسبى ثلثا ثم
عمر الله بعد ذلك أرميا فهو الذى رؤى بفلوات الارض والبلدان ثم ان بختنصر عاد الى بابل وأقام

الطفل فقال يا امه امض
على دينك فلا نار بعد هذه
فالقاها فى النار وكانوا
مؤمنين موحدين لا على
رأى النصرانية فى هذا
الوقت فمضى رجل منهم
يقال له دمعليان الى قيصر
ملك الروم يستنجده فكتب
الى النجاشى لانه كان أقرب
اليهم دارا فكان من أمر
الحبشة وعبورهم الى أرض
اليمن و تغلبهم عليها الى ان
كان من أمر سيف بن ذى
يزن واستنجاده الملوك الى
ان أنجده انوشروان ما قد
أتينا على ذكره فى كتابنا
فى أخبار الزمان وفى الكتاب
الاوسط وسنذكر لمعا
من ذلك فيما يرد من هذا
الكتاب عند ذكرنا لاخبار
الاذواء وملوك اليمن وقد
ذكر الله عز وجل فى كتابه
قصة أصحاب الاخدود بقوله
عز وجل قتل أصحاب
الاخدود الى قوله وما نقموا
منهم الا أن يؤمنوا بالله
العزيز الحميد وممن كان فى
الفترة خالد بن سنان العبسى
وهو خالد بن سنان بن عنبة
ابن عبس وقد ذكره النبى
صلى الله عليه وسلم فقال
ذاك نبى أضاعه قومه
وذلك ان نارا ظهرت فى
العرب فافتتنوا بها وكانت
تتقل وكادت العرب
تتمجس وتغلب عليها المجوسية

فى سلطانه ماشاء الله ان يقيم ثم رأى رؤيا فبينما هو قد أعجبه ما رأى اذ رأى شيأ انساه ما رأى
فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل وقال أخبرونى عن رؤيا رأيتها فانسيتها ولئن لم تخبرونى
بها وبتأويلها لانزعن أكتافكم فخرجوا من عنده ودعوا الله وتضرعوا اليه وسألوه ان يعلمهم
اياها فاعلمهم الذى سألهم عنه فجاؤا الى بختنصر فقالوا رأيت حلما لا قال صدقتم فالوا فدماه وسافاه
من نحاس وركبتاه ونخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد
فبينما أنت تنظر اليه قد اعجبك ارسل الله عليه صخرة من السماء فدقته وهى التى انستك الرؤيا
قال صدقتم فما تأويلها قالوا أربت ملك الملوك فبعضهم كان ألين ملكا من بعض وبعضهم كان
أحسن ملكا من بعض وبعضهم أشد وكان أول الملك الفخار وهو اضعفه والينه ثم كان فوقه
النحاس وهو افضل منه واشد ثم كان فوق النحاس الفضة وهى أفضل من ذلك واحسن ثم كان
فوقها الذهب وهو أحسن من الفضة وأفضل ثم كان الحديد وهو ملكك فهو أشد الملك وأعز
وكانت الصخرة التى رأيت ان ارسل الله ملكا من السماء فدق ذلك جميعه نبيا يبعثه الله من
السماء فيدق ذلك أجمع ويصير الامر اليه فلما عبر دانيال ومن معه رؤيا بختنصر قربهم وادناهم
واستشارهم فى أمره فحسدهم أصحابه وسعوا بهم اليه وقالوا عنهم ما أوحشه منهم فامر فحفر لهم
اخدود وألقاهم فيه وهم ستة رجال والقى معهم سبعا ضاريا يأكلهم ثم قال أصحاب بختنصر
انطلقوا فلنا كل ولنشرب فذهبوا فاكلوا وشربوا ثم راحوا فوجدوهم جلوسا والسبع مقترش
ذراعيه بينهم لم يخدش منهم أحدا ووجدوا معهم رجلا سابعا فخرج اليهم السابع وكان ملكا من
الملائكة فلطم بختنصر لطمة فمسخه وصار فى الوحش فى صورة اسد وهو مع ذلك يعقل
ما يعقله الانسان ثم رده الله الى صورة الانس واعاد عليه ملكه فلما عاد الى ملكه كان دانيال
واصحابه أكرم الناس عليه فعاد الفرس وسعوا بهم الى بختنصر وقالوا له فى سعايتهم ان دانيال اذا
شرب الخمر لا يملك نفسه من كثرة البول وكان ذلك عندهم عارا فصنع لهم بختنصر طعاما واحضره
عنده وقال للبواب انظر أول من يخرج ليبول فاقتله وان قال لك انا بختنصر فقل له كذبت بختنصر
أمرنى بقتلك واقتله فحبس الله عن دانيال البول وكان أول من قام من الجمع بختنصر فقام مدلا انه
الملك لئلا يقدم أحد عليه وكان ذلك ايلا فلما رآه البواب شد عليه ليقتله فقال له أنا بختنصر فقال
له كذبت ان بختنصر أمرنى بقتلك وقتله وقيل فى سبب قتله ان الله ارسل عليه بعوضة فدخلت
فى منخره وصعدت الى رأسه فكان لا يقر ولا يسكن حتى يدق رأسه فلما حضره الموت قال لاهله
شقوا رأسى فانظروا ما هذا الذى قتلنى فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة بام رأسه ليرى الله
العباد قدرته وسلطانه وضعف بختنصر لما تجبر قتله باضعف مخلوقاته تبارك الذى بيده ملكوت كل
شئ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد واما دانيال فانه اقام بارض بابل وانتقل عنها ومات ودفن بالسوس
من أعمال خوزستان ولما أراد الله تعالى ان يرد بنى اسرائيل الى بيت المقدس كان بختنصر قد
مات فانه عاش بعد تخريب بيت المقدس اربعين سنة فى قول بعض أهل العلم وملك بعده ابن له
يقال له أولمردخ فلك الناحية ثلاثا وعشرين سنة ثم هلك وملك ابن له يقال له بلتاصر سنة فلما ملك
تخلط فى أمره فعزله ملك الفرس حينئذ وهو مختلف فيه على ما ذكرناه واستعمل بعده داريوش
على بابل والشام وبقى ثلاثين سنة ثم عزله واستعمل مكانه اخشويرش فبقى أربع عشرة سنة ثم
ملك ابنه كيرش العلمى وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكان قد تعلم التوراة ودان باليهودية وفهم عن
دانيال ومن معه مثل حنانيا وعزاريا وغيرهما فسألوه ان يأذن لهم فى الخروج الى بيت المقدس

فأخذ خالد بن سنان هراوة
وشد عليها وهو يقول بدأ
كل ذى دين برد الى الله الا على
لا دخلنها وهى تتلظى
ولا خرجن منها وما بى سدى
فاطفأها فلما حضرت خالد بن
سنان الوفاة قال لاخوته اذا
أنا دفنت فانه سيجىء عانة من
حمير وحش يقدمها عير
أبتر فتضرب قبرى بحافرها
فاذا رأيتم ذلك فانبشوا عنى
فانى سأخرج اليكم فاخبركم
بجميع ما هو كائن فلما مات
ودفنوه رأوا ما قال فأرادوا
ان يخرجوه فكره ذلك
بعضهم وقالوا نخاف ان
تنسبنا العرب الى نبشنا
عن ميت لنا وأتت ابنته
الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسمعته يقرأ قل هو
الله أحد فقالت كان أبى
يقول هذا وسنورد فيما
يرد من هذا الكتاب لمعا
من أخباره مما تدعو الحاجة
الى ذكره ان شاء الله تعالى
(قال المسعودى) وممن كان
فى الفترة وثاب السنى وكان
من عبد القيس ثم من سن
وكان على دين المسيح عيسى
ابن مريم عليه السلام قبل
مبعث النبى صلى الله عليه
وسلم وكان لا يموت أحد من
ولد وثاب فيدفن الا رأوا
واسطا على قبره ومنهم
اسعد أبو كرب

فقال لو كان بقي منكم ألف نبي ما فارقتكم وولى دانيال القضاء وجعل اليه جميع أمره وأمره ان يقسم ما غنمه بختنصر من بني اسرائيل عليهم وامره بعمارة بيت المقدس فعمر في أيامه وعاد اليه بنو اسرائيل وهذه المدة لهؤلاء الملوك معدودة من خراب بيت المقدس منسوبة الى بختنصر وكان ملك كيرش اثنتين وعشرين سنة وقيل ان الذي أمر بعود بني اسرائيل الى الشام بشتاسب بن لهراسب وكان قد بلغه خراب بلاد الشام وانها لم يبق بها من بني اسرائيل احد فنادى في ارض بابل من شاء من بني اسرائيل ان يرجع الى الشام فليرجع وملك عليهم رجلا من آل داود وأمره ان يعمر بيت المقدس فرجعوا وعمروه وكان أرميا بن حزقيا من سبط هرون بن عمران فلما وطئ بختنصر الشام وخرب بيت المقدس وقتل بني اسرائيل وسباهم قد فارق البلاد واختلط بالوحش فلما عاد بختنصر الى بابل اقبل أرميا على حماره معه عصير عنب وفي يده سلة تين فرأى بيت المقدس خرابا فقال اني يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم اماث حماره وأعمى عنه العيون فلما أن عمر بيت المقدس أحيا الله من ارميا عينيه ثم أحيا جسده وهو ينظر اليه وقيل له كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قيل بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وينغير وانظر الى حمارك فنظر الى عظام حماره وهي تجتمع بعضها الى بعض ثم كسي لحما ثم قام حيا بادن الله ونظر الى المدينة وهي تبنى وقد كثر فيها بنو اسرائيل وتراجعوا اليها من البلاد وكان عهدها خرابا وأهلها ما بين قتيل وأسير فلما رآها عامرة قال أعلم ان الله على كل شئ قدير وقيل ان الذي أماته الله مائة عام ثم أحياه كان عزيرا فلما عاش قصد منزله من بيت المقدس على وهم منه فرأى عنده عجوزا عمياء زمنة كانت جارية له ولها من العمر مائة وعشرون سنة فقال لها هذا منزل عزير قالت نعم وبكت وقالت ما أرى أحدا يذكر عزيرا غيرك فقال أنا عزير فقالت ان عزيرا كان مجاب الدعوة فادع الله لي بالعافية فدعا لها فعاد بصرها وقامت ومشت فلما رأته عرفته وكان لعزير ولد وله من العمر مائة وثلاث عشرة سنة وله أولاد شيوخ فذهبت اليهم الجارية وأخبرتهم به فجاؤا فلما رأوه عرفه ابنه بشامة كانت في ظهره وقيل ان عزيرا كان مع بني اسرائيل بالعراق فعاد الى بيت المقدس فجدد لبني اسرائيل التوراة لانهم عادوا الى بيت المقدس ولم يكن معهم التوراة لانها كانت قد أخذت فيما أخذ وأحرقت وعدمت وكان عزير قد أخذ مع السبي فلما عاد عزير الى بيت المقدس مع بني اسرائيل جعل يبكي ليلا ونهارا وانفرد عن الناس فبينما هو كذلك في حزنه اذ أقبل اليه رجل وهو جالس فقال يا عزير ما يبكيك فقال ابكي لان كتاب الله وعهده الذي كان بين أظهرنا انعدم قال فتريد أن يرده الله عليكم قال نعم قال فارجع وصم وتطهر والميعاد بيننا غدا هذا المكان ففعل عزير ذلك وأتى المكان فانتظره وأتاه ذلك الرجل بإناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله في صورة رجل فسقاه من ذلك الاناء فتمثلت التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل فوضع لهم التوراة يعرفونها بحلالها وحرامها وحدودها فاحبوه حبا شديدا لم يحبوا شيأ قط مثله وأصلح أمرهم وأقام عزير بينهم ثم قبضه الله اليه على ذلك وحدثت فيهم الاحداث حتى قال بعضهم عزير ابن الله ولم يزل بنو اسرائيل ببيت المقدس وعادوا وكثروا حتى غلبت عليهم الروم زمن ملوك الطوائف فلم يكن لهم بعد ذلك جماعة وقد اختلف العلماء في أمر بختنصر وعمارة بيت المقدس اختلافا كثيرا تركناه اختصارا

﴿ذكر غزو بختنصر العرب﴾

قيل أوحى الله الى برخيا بن حسانيا بأمره ان يقول لبختنصر ليغز العرب فيقتل مقاتلتهم ويسبي

الحميري وكان مؤمنا وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث بسبعمائة سنة قال

شهدت على أحمد انه
رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره
لكنت وزيراله وابن عم
والزم طاعته كل من
على الارض من عرب أو عجم
وهو أول من كسا الكعبة
الانطاع والبرود فلذلك
يقول بعض حمير
وكسوت البيت الذي عظم
الله ملاء مقصبا وبرودا

ومنهم قس بن ساعدة بن ايادبن نزار بن معد وكان حكيم العرب وكان مقرا بالبعث وهو الذي يقول من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت وقد ضرب العرب بحكمته وعقله الامثال قال الاعشى

وأحكم من قس وأجرى من الذي
يذى الهي من جفان أصبح خادرا

وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد من اياد فسألهم عنه فقالوا هلك فقال رحمه الله كأني أنظر اليه بسوق عكاظ على جمل له أحمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش

ذراريهم ويستبيح أموالهم عقوبة لهم على كفرهم فقال برخيا لبختنصر ما أمر به فابتدأ من في بلاده من تجار العرب فاخذهم وبنى لهم حران بالنجف وحبسهم فيه ووكل بهم وانتشر الخبر في العرب فخرجت اليه طوائف منهم مستأمنين فقبلهم وعفا عنهم فانزلهم السواد فابتنوا الانبار وخلى عن أهل الحيرة فاتخذوها منزلا لاحياء بختنصر فلما مات انضموا الى أهل الانبار وهذا أول سكنى العرب السواد بالحيرة والانبار وسار الى العرب بنجد والحجاز فاوحى الله الى برخيا وأرميا بامرهما أن يسيرا الى معد بن عدنان فيأخذاه ويحملاه الى حران وأعلمهما انه يخرج من نسله محمد صلى الله عليه وسلم الذي يختم به الانبياء فسارا تطوى لهما المنازل والارض حتى سبقا بختنصر الى معد فحملاه الى حران في ساعتهما ولمعد حينئذ اثنتا عشرة سنة وسار بختنصر فلقي جموع العرب فقاتلهم فهزمهم وأكثر القتل فيهم وسار الى الحجاز فجمع عدنان العرب والتقى هو وبختنصر بذات عرق فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم عدنان وتبعه بختنصر الى حصون هناك واجتمع عليه العرب وخندق كل واحد من الفريقين على نفسه وأصحابه فكمن بختنصر كمينا وهو أول كمين عمل وأخذتهم السيوف فنادوا بالويل ونهى عدنان عن بختنصر وبختنصر عن عدنان فافترقا فلما رجع بختنصر خرج معد بن عدنان مع الانبياء حتى أتى مكة فاقام اعلامها وحج وحج معه الانبياء وخرج معد حتى أتى يثرب وسأل عمن بقي من ولد الحرث بن مضاض الجرهمي فقيل له بقي جوشم بن جلهمة فتزوج معد ابنته معانة فولدت له نزار بن معد

﴿ذكر بشتاسب والحوادث في ملكه وقتل أبيه لهراسب﴾

لما ملك بشتاسب بن لهراسب ضبط الملك وقرر قوانينه وابتنى بفارس مدينة فسار وترتب سبعة من عظماء أهل مملكته مراتب وملك كل واحد منهم مملكة على قدر مرتبته ثم انه أرسل الى ملك الترك واسمه خرزاسف وهو أخو افراسياب وصالحه واستقر الصلح على ان يكون لبشتاسب دابة واقفة على باب ملك الترك لا تزال على عادتها على أبواب الملوك فلما جاء زرادشت الى بشتاسب واتبعه على ما ذكرناه أشار زرادشت على بشتاسب بنقض الصلح مع ملك الترك وقال أنا اعين لك طالعا تسير فيه الى الحرب فتظفر وهذا أول وقت وضعت الاختيارات للملوك بالنجوم وكان زرادشت عالما بالنجوم جيد المعرفة بها فاجابه بشتاسب الى ذلك فارسل الى الدابة التي بباب ملك الترك والى الموكل بها فصرفها فغضب ملك الترك وأرسل اليه يتهدده وينكر عليه ذلك ويأمره بانفاذ زرادشت اليه وان لم يفعل غزاه وقتله وأهل بيته فكتب اليه بشتاسب كتابا غليظا يؤذنه فيه بالحرب وسار كل واحد منهما الى صاحبه والتقيا واقتتلا قتالا شديدا فكانت الهزيمة على الترك وقتلوا قتلا ذريعا وهزموا منهزمين وعاد بشتاسب الى بلخ وعظم أمر زرادشت عند الفرس وعظم شأنه حيث كان هذا الظفر بقوله وكان أعظم الناس غنى في هذه الحرب اسفنديار بن بشتاسب فلما انجلت الحرب سعى الناس بين بشتاسب وابنه اسفنديار وقال يريد الملك لنفسه فدبه لحرب بعد حرب ثم أخذه وحبسه مقيدا ثم ان بشتاسب سار الى ناحية كرمان وسجستان وسار الى جبل يقال له طمبدر لدراسة دينه والنسك هناك وخلف أباه لهراسب ببلخ شيخا قد أبطله الكبر وترك بها خزائنه وأولاده ونساءه فبلغت الاخبار الى ملك الترك خرزاسف فلما تحققه جمع عساكره وحشد وسار الى بلخ وانتهز الفرصة بغيبة بشتاسب عن مملكته ولما بلغ بلخ ملكها وقتل لهراسب وولدين لبشتاسب والهرابذة واحرق الدواوين وهدم بيوت النيران وأرسل السرايا الى البلاد

مات ومن مات فات وكل
ما هو آت آت أما بعد فان في
السماء لخبرا وان في الارض
لعبرا نجوم تمور وبحار تفور
وسقف مرفوع ومهاد
موضوع اقسم بالله قسما
لا استثنا فيه ولا آثما ان
لله دينا هو أرضى من دين
أنتم عليه ما لي أراهم
يذهبون ولا يرجعون
أرضوا بالمقام فأقاموا
ام تركوا فناموا سبيل
مؤتلف وعمل مختلف
وقال أبياتا لا أحفظها
فقام أبو بكر رضي الله عنه
فقال أنا أحفظها يا رسول
الله فقال هاتها فقال
في الذاهبين الاولين
من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا
للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها
تمضي الاوائل والاواخر
لا يرجع الماضي ولا
يبقى من الباقين غابر
ايقنت اني لا محا
لة حيث صار القوم صائر
فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رحم الله قسا اني
لأرجو أن يبعثه الله أمة
(قال المسعودي) ولقس
أشعار كثيرة وحكم واخبار
مع قيصر في الطب والزجر
والفأل وانواع الحكم وقد
ذكرنا ذلك في كتاب اخبار
الزمان وفي الكتاب الاوسط

وممن كان في الفترة زيد بن عمرو بن نفيل أبو سعيد بن زيد أحد العشرة وهو ابن عم عمر بن الخطاب وكان زيد يرغب عن عبادة الاصنام وعابها فاولع به عمه الخطاب من سفهاء مكة وساطهم عليه فآذوه فسكن كهفا بحراء وكان يدخل مكة سرا وصار الى الشام يبحث عن الدين فسمه بعض ملوك غسان بدمشق وقد أتينا عليه فيما سلف من كتبنا ومنهم أمية بن أبي الصلت الثقفي وكان شاعرا عاقلا وكان يتجر الى الشام فتلقاه أهل الكنائس من اليهود والنصارى وقرأ الكتب وكان علم ان نبيا يبعث من العرب وكان يقول أشعارا على آراء أهل الديانة يصف فيها السموات والارض والشمس والقمر والملائكة وذكر الانبياء والبعث والجنة والنار ويعظم الله عز وجل ويوحده من ذلك قوله

الحمد لله لا شريك له
من لم يقلها فنفسه ظلما

ووصف أهل الجنة فقال

فلا لغو ولا تأثيم فيها
وما فاهوا به لهم مقيم

وما بلغه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم اغتاظ وتأسف وجاء المدينة ليسلم فرده الحسد فرجع الى الطائف

فقتلوا وسبوا وأخربوا وسبى ابنتين لبشتاسب احداهما خماني وأخذ علمهم الاكبر المعروف بدرفش كابيان وسار متبعا لبشتاسب وهرب بشتاسب من بين يديه فتحصن بتلك الجبال مما يلي فارس وضاق ذرعا بما نزل به فلما اشتد عليه الامر أرسل الى ابنه اسفنديار مع علمهم جاماسب فاخرجه من محبسه واعتذر اليه ووعده ان يعهد اليه بالملك من بعده فلما سمع اسفنديار كلامه سجد له ونهض من عنده وجمع من عنده من الجند وبات ليلته مشغولا بالتجهز وسار من الغد نحو عسكر الترك وملكهم والتقوا واقتتلوا واحتمت الحرب وحمي الوطيس وحمل اسفنديار على جانب من العسكر فاثر فيه ووهنه وتابع الحملات وفشا في الترك ان اسفنديار هو المتولي لحربهم فانهزموا لا يلوون على شيء وانصرف اسفنديار وقد ارتجع درفش كابيان فلما دخل على أبيه استبشر به وأمره باتباع الترك ووصاه بقتل ملكهم ومن قدر عليه من أهله ويقتل من الترك من أمكنه قتله وان يستنقذ السبايا والغنائم التي أخذت من بلادهم فسار اسفنديار ودخل بلاد الترك وقتل وسبى وأخرب وبلغ مدينتهم العظمى ودخلها عنوة وقتل الملك واخوته ومقاتلته واستباح أمواله وسبى نساءه واستنقذ أختيه ودوخ البلاد وانتهى الى آخر حدود بلاد الترك والى التبت وأقطع بلاد الترك وجعل كل ناحية الى رجل من وجوه الترك بعد أن أمنهم ووظف عليهم خراجا يحملونه كل سنة الى أبيه بشتاسب ثم عاد الى بلخ فحسده أبوه بما ظهر منه من حفظ الملك والظفر بالترك وأسر ذلك في نفسه وأمره بالتجهز والمسير الى قتال رستم الشديد بسجستان وقال له هذا رستم متوسط بلادنا ولا يعطينا الطاعة لان الملك كيكاووس اعتقه فاقطعه اياها وقد ذكرنا ذلك في ملك كيكاووس وكان غرض بشتاسب ان يقتله رستم أو يقتل هو رستم فانه كان أيضا شديد الكراهة لرستم فجمع العساكر وسار الى رستم لينزع سجستان منه فخرج اليه رستم وقاتله فقتل اسفنديار قتله رستم ومات بشتاسب وكان ملكه مائة سنة واثنتي عشرة سنة وقيل مائة وعشرين سنة وقيل مائة وخمسين سنة وقيل انه جاءه رجل من بني اسرائيل زعم انه نبي أرسل اليه واجتمع به ببلخ فكان يتكلم بالعبري وزراد شت نبي المجوس يعبر عنه وجاماسب العالم هو حاضر معهم يترجم أيضا عن الاسرائيلي وكان بشتاسب ومن قبله من آبائه وسائر الفرس يدينون بدين الصابئة قبل زراد شت

﴿ذكر الخبر عن ملوك بلاد اليمن من أيام كيكاووس الى أيام بهمن بن اسفنديار﴾

قد مضى ذكر الخبر عمن زعم ان كيكاووس كان في عهد سليمان بن داود وقد ذكرنا من كان في عهد سليمان من ملوك اليمن والخبر عن بلقيس بنت ايا شرح وصار الملك بعد بلقيس الى ياسر بن عمرو بن يعفر الذي يقال له انعم الانعامة قال أهل اليمن انه سار غازيا نحو المغرب حتى بلغ واديا يقال له وادي الرمل ولم يبلغه أحد قبله فلما انتهى اليه لم يجد وراءه مجازا لكثرة الرمل فبينما هو مقيم عليه اذ انكشف الرمل فامر رجلا يقال له عمرو أن يعبره هو وأصحابه فعبروا فلم يرجعوا فلما رأى ذلك أمر بنصب صنم نحاس فصنع ثم نصب على صخرة على شفير الوادي وكتب على صدره بالمسند هذا الصنم لياسر انعم الحميري ليس وراءه مذهب فلا يتكلفن أحد ذلك فيعطب وقيل ان وراء ذلك الرمل قوما من أمة موسى وهم الذين عنى الله بقوله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون والله أعلم * ثم ملك بعده تبع وهو تبان وهو أسعد وهو أبو كرب بن ملكيكرب تبع بن زيد ابن عمرو بن تبع وهو ذو الاذعار بن ابرهة تبع ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبا وكان يقال له الزائد وكان تبع هذا في أيام بشتاسب وارد شير بهمن بن اسفنديار بن بشتاسب وانه شخص

منوجها من اليمن فى الطريق الذى سلكه الرائش حتى خرج على جبلى طيئ ثم سار يريد الانبار فلما انتهى الى موضع الحيرة تحير وكان ليلا فاقام بمكانه فسمى ذلك المكان بالحيرة وخلف به قوما من الازد ولخم وجذام وعاملة وقضاعة فبنوا وأقاموا به ثم انتقل اليهم بعد ذلك ناس من طيئ وكلب والسكون و بلحرث بن كعب واياد ثم توجه الى الموصل ثم الى اذربيجان فلقى الترك فهزمهم فقتل لمقاتلة وسبى الذرية ثم عاد الى اليمن فهابته الملوك وأهدوا اليه وقدمت عليه هدية ملك الهند وفيها تحف كثيرة من الحرير والمسك والعود وسائر طرف الهند فرأى مالم ير مثله فقال للرسول كل هذا فى بلدكم فقال أكثره من بلد الصين و وصف له بلد الصين فخاف ليغزونها فسار بحميره حتى أتى الى الركابك وأصحاب القلانس السود ووجه رجلا من أصحابه يقال له ثابت نحو الصين فى جمع عظيم فأصيب فسار تبع حتى دخل الصين فقتل مقاتلتها واكتسح ماوجد فيها وكان مسيره ومقامه ورجعته فى سبع سنين ثم انه خلف بالتبت اثنى عشر ألف فارس من حميرفهم أهل التبت و يزعمون انهم عرب وألوانهم ألوان العرب وخلقهم هكذا ذكر وقد خالف هذه الرواية كثير من أصحاب السير والتواريخ وكل واحد منهم خالف الآخر وقدم بعضهم من أخره الآخر فلم يحصل منهم كثير فائدة ولكن ننقل ماوجدنا مختصرا

﴿ذكر خبر اردشير بهمن وابنته خمانى﴾

ثم ملك بعد بشتاسب ابن ابنه اردشير بهمن بن اسفنديار وكان مظفرا فى مغازيه وملك أكثر من أبيه وقيل انه ابتنى بالسواد مدينة وسماها اياوان اردشير وهى القرية المعروفة بهمينا بالراب الاعلى وابتنى بكور دجلة الابلة وسار الى سجستان طالبا بثار أبيه فقتل رستم وأباه دستان وابنه فرامرز و بهمن هو أبو دارا الاكبر وأبو ساسان أبى ملوك الفرس الاحرار اردشير بن بابك وولده وأم دارا خمانى ابنة بهمن فهى أخته وأمه وغزا بهمن رومية الداخلة فى ألف ألف مقاتل وكان ملوك الارض يحملون اليه الاتاوة وكان أعظم ملوك الفرس شأنا وأفضلهم تدبيرا وكانت أم بهمن من نسل بنيامين بن يعقوب وأم ابنه ساسان من نسل سليمان بن داود وكان ملك بهمن مائة وعشرين سنة وقيل ثمانين سنة وكان متواضعا مرضيا فيهم وكانت كتبه تخرج من عبد الله خادم الله السائس لامورهم * ثم ملكت بعده ابنته خمانى ملكوها حيالا بيها ولعقلها وفروسيتها وكانت تلقب بشهرزاد وقيل انما ملكت لانها حين حملت منه دارا الاكبر سألته ان يعقد التاج له فى بطنها و يؤثره بالملك ففعل بهمن وعقد التاج عليه حملا فى بطنها وساسان بن بهمن رجل يتصنع للملك فلما رأى فعل أبيه لحق باصطخر وتزهد ولحق برؤس الجبال واتخذ غنما وكان يتولاها بنفسه فاستبشعت العامة ذلك منه وهلك بهمن وابنه دارا فى بطن أمه فملكوها ووضعته بعد أشهر من ملكها فانفت من اطهار ذلك وجعلته فى تابوت وجعلت معه جواهر وأجرته فى نهر الكر من اصطخر وقيل بنهر بلخ وسار التابوت الى طمان من أهل اصطخر ففرح لما فيه من الجوهر فحضنته امرأته ثم ظهر أمره حين شب فاقرت خمانى باسمائها فلما تكامل امتحن فوجد على غاية مايكون ابناء الملوك فحولت التاج اليه وسارت الى فارس و بنت مدينة اصطخر وكانت قد أوتيت ظفرا واغزت الروم وشغلت الاعداء عن تطرق بلادها وخففت عن رعيتها الخراج وكان ملكها ثلاثين سنة وقيل ان خمانى أم دارا حضنته حتى كبر فسلمت الملك اليه وعزلت نفسها فضبط الملك بشجاعة وحزم * ونرجع الى ذكر بنى اسرائيل ومقابلة تاريخ أيامهم الى حين تصرمها

افيفنا هو ذات يوم فى فتية يشرب اذ وقع غراب فنعب ثلاثة أصوات وطار فقال أمية اتدرون ماقال قالوا لا قال فانه يقول لكم ان أمية لا يشرب الكأس الثالثة حتى يموت فقال القوم لتكذبن قوله ثم قال حسوا كأسكم فحسوها فلما انتهت النوبة اليه اغمى عليه فسكت طويلا ثم أفاق وهو يقول

لبيكا لبيكا * ها أناذا لديكا
نامن حفت به النعمة والحمد والشكر
ان تغفر اللهم تغفر جما
وأى عبدلك لا ألما

أو قال انا من حفت به النعمة ولم يجهد فى الشكر ثم أنشأ يقول

ان يوم الحساب يوم عظيم
شاب فيه الصغير يوما طويلا
ليتنى كنت عندما قد بدا لى
فى رؤس الجبال أرعى الوعولا
كل عيش وان تطاول حينا
فقصارى أيامه ان يزولا

ثم شهق شهقة فكانت فيها نفسه (قال المسعودى) وقد ذكر جماعة من أهل المعرفة بايام الناس واخبار من سلف كأبى دأب والهيثم ابن عدى وأبى مخنف لوط ابن يحيى ومحمد بن السائب الكلبى ان السبب فى كتابة قريش واستفتاحها

ومدة من كان فى أيامهم من ملوك الفرس قد ذكرنا فيما مضى سبب انصراف من انصرف الى بيت المقدس من سبايا بنى اسرائيل الذين كان بختنصر سباهم وكان ذلك فى أيام كيرش بن اخشويرش وملكه ببابل من قبل بهمن وأربع سنين بعد وفاته فى ملك ابنته خمانى وكانت مدة خراب بيت المقدس من لدن خربه بختنصر مائة سنة كل ذلك فى أيام بهمن بعضه وفى أيام ابنته خمانى بعضه وقيل غير ذلك وقد تقدم ذكر الاختلاف وقد زعم بعضهم ان كيرش هو بشتاسب وانكر عليه قوله ولم يملك كيرش صفرداقط ولما عمر بيت المقدس ورجع اليه أهله كان فيهم عزيز وكان الملك عليهم بعد ذلك من قبل الفرس اما رجل منهم واما رجل من بنى اسرائيل الى أن صار الملك بناحيتهم لليونانية والروم لسبب غلبة الاسكندر على الناحية حين قتل دارا بن دارا وكان جملة مدة ذلك فيما قيل ثمانيا وثمانين سنة

﴿ذكر خبر دارا الاكبر وابنه دارا الاصغر وكيف كان هلاكه مع خبر ذى القرنين﴾

وملك دارا بن بهمن بن اسفنديار وكان يلقب جهرازاد يعنى كريم الطبع فنزل ببابل وكان ضابطا لملكه قاهرا لمن حوله من الملوك يؤدون اليه الخراج وبنى بفارس مدينة سماها دارابجرد وحذف دواب البريد ورتبها وكان محبا لابنه دارا ومن حبه له سماه باسم نفسه وصير له الملك بعده وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة * ثم ملك بعده ابنه دارا وبنى بارض الجزيرة بالقرب من نصيبين مدينة داراوهى مشهورة الى الآن واستوزر انسانا لا يصلح لها فافسد قلبه على أصحابه فقتل رؤساء عسكره واستوحش منه الخاصة والعامة وكان شابا غرا جميلا حقود اجبارا سيئ السيرة فى رعيته وكان ملكه أربع عشرة سنة

﴿ذكر الاسكندر ذى القرنين﴾

كان فيلقوس أبو الاسكندر اليونانى من أهل بلدة يقال لها مقدونية كان ملكا عليها وعلى بلاد أخرى فصالح دارا على خراج يحمله اليه فى كل سنة فلما هلك فيلقوس ملك بعده ابنه الاسكندر واستولى على بلاد الروم أجمع فقوى على دارا فلم يحمل اليه من الخراج شيأ وكان الخراج الذى يحمله بيضا من ذهب فسخط عليه دارا وكتب اليه يؤنبه بسوء صنيعه فى ترك حمل الخراج وبعث اليه بصولجان وكرة وقفيز من سمسم وكتب اليه انه صبى وانه ينبغى له ان يلعب بالصولجان والكرة ويترك الملك وان لم يفعل ذلك واستعصى عليه بعث اليه من يأتيه به فى وثاق وان عدة جنوده كعدة حب السمسم الذى بعث به اليه فكتب اليه الاسكندر انه قد فهم ما كتب به وقد نظر الى ماذكر فى كتابه اليه من ارساله الصولجان والكرة وتيمن به لالقاء الملاقى الكرة الى الصولجان واحترازه اياها وبشبهه الارض بالكرة وانه يجر ملك دارا الى ملكه وتيمنه بالسمسم الذى بعث كتيمنه بالصولجان والكرة لدسمه وبعده من المرارة والحرافة وبعث اليه بصرة فيها حرجل وأعلمه فى ذلك أن ما بعث به اليه قليل ولكنه مرحريف وان جنوده مثله فلما وصل كتابه الى دارا تأهب لمحاربته وقد زعم بعض العلماء باخبار الاوليين ان الاسكندر الذى حارب دارا بن دارا هو أخو دارا الاصغر الذى حاربه وان أباه دارا الاكبر كان تزوج أم الاسكندر وهى ابنة ملك الروم فلما حملت اليه وجد نتن ريحها وسهكوا فامر ان يحتال لذلك منها فاجتمع رأى اهل المعرفة فى مداواتها على شجرة يقال لها بالفارسية سندر فغسلت بمائها فاذهب ذلك كثيرا من نتنها ولم يذهب كله وانتهت نفسه عنها فردها الى أهلها وقد علقت منه فولدت فى أهلها غلاما فسمته باسم الشجرة التى غسلت بمائها مضافا الى اسمها وقد هلك أبوها وملك الاسكندر بعده فمنع الخراج الذى كان يؤديه جده

الى

فى أوائل كتبها باسمك اللهم هو أن أمية بن أبى الصلت الثقفى خرج الى الشام فى نفر من ثقيف وقريش فى عير لهم فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلا واجتمعوا الى مثالهم اذ أقبلت حية صغيرة حتى دنت منهم فحصبها بعضهم بشئ فى وجهها فرجعت فشدوا على ابلهم وارتحلوا من منزلهم فلما برزوا عن المنزل أشرفت عليهم عجوز من كثيب رمل متوكئة على عصا لها فقالت ما منعكم ان تطعموا رحيمة الجارية اليتيمة التى جاءتكم عشية قالوا ومن أنت قالت أم العوام أوتمت منذ أعوام أما ورب العباد لتفترقن فى البلاد ثم ضربت بعصاها الارض أثارت بها الرمل وقالت أطيلى ايابهم وأنفرى ركابهم فوثبت الابل فكان كل بعير منها على ذروة ما غلك منها شيأ حتى افترقت فى البوادى فجمعناها من آخر النهار الى غد ولم نكد فلما أفخناها عادت الى مقالتها ما منعكم ان تطعموا رحيمة الجارية اليتيمة ألا أطيلى ايابهم وأنفرى ركابهم فخرجت الابل ما غلك منها شيأ فجمعناها من آخر النهار الى غد ولم نكد فلما أفخناها فعلت مثل فعلتها الاولى والثانية فتفرقت الابل

الى دارا فارسل يطلبه وكان بيضا من ذهب فاجابه انى قد ذبحت الدجاجة التى كانت تبيض ذلك البيض واكلت لحمها فان أحببت وادعنا لك وان أحببت ناجزناك ثم خاف الاسكندر من الحرب فطلب الصلح فاستشار دارا أصحابه فاشاروا عليه بالحرب لفساد قلوبهم عليه فعند ذلك ناجزه دارا القتال فكتب الاسكندر الى حاجبى دارا وحكمهما على الفتك بدارا فاحتكما شيأ ولم يشترطا أنفسهما فلما التقيا للحرب طعن دارا حاجباه فى الوقعة وكانت الحرب بينهما سنة فانهزم أصحاب دارا ولحقه الاسكندر وهو بآخر رمق وقيل بل فتك به رجلان من حرسه من أهل همذان حبا للراحة من ظلمه وكان فتكهما به لما رأيا عسكره قد انهزم عنه ولم يكن ذلك بامر الاسكندر وكان قد أمر الاسكندر مناديا ينادى عند هزيمة عسكر دارا أن يؤسر دارا ولا يقتل فاخبر بقتله فنزل اليه ومسح التراب عن وجهه وجعل رأسه فى حجره وقال له انما قتلك أصحابك وانى لم أهم بقتلك قط ولقد كنت أرغب لك بالشريف الاشراف ويا ملك الملوك وحر الاحرار عن هذا المصرع فأوصى بما أحببت فاوصاه دارا أن يتزوج ابنته روشنك ويرعى حقها ويعظم قدرها ويستبقى احرار فارس ويأخذ له بثاره ممن قتله ففعل الاسكندر ذلك أجمع وقتل حاجبى دارا وقال لهما انكما لم تشترطا نفوسكما فقتلهما بعد أن وفى لهما بما ضمن لهما وقال ليس ينبغى ان يستبقى قاتل الملوك الا بذمة لا تخفر وكان التقاؤهما بناحية خراسان مما يلى الخزر وقيل ببلاد الجزيرة عند دارا وكان ملك الروم قبل الاسكندر متفرقا فاجتمع وملك فارس مجتمعا فتفرق وحمل الاسكندر كتبا وعلوما لاهل فارس من علوم ونجوم وحكم ونقله الى الرومية وقد ذكرنا قول من قال ان الاسكندر اخو دارا لابيه واما الروم وكثير من أهل الانساب فيزعمون انه الاسكندر بن فيلقوس وقيل فيلبوس بن مطربوس وقيل ابن مصرايم بن هرمس بن هردس بن ميطون بن رومى بن ليطى بن يونان بن يافث ابن نوبه بن سرحون بن رومیط بن زنط بن توقيل بن رومى بن الاصفر بن ايلغر بن العيص بن اسحق ابن ابراهيم فجمع بعده ملك دارا ملك دارا ذلك العراق والشام والروم ومصر والجزيرة وعرض جنده فوجدهم على ما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف رحل منهم من جنده ثمانمائة ألف رجل ومن جند دارا ستمائة ألف رحل وتقدم بهدم حصون فارس وبيوت النيران وقتل الهرابذة واحرق كتبهم واستعمل على مملكة فارس رجالا وسار قدما الى أرض الهند فقتل ملكها وفتح مدنها وخرب بيوت الاصنام وأحرق كتب علومهم ثم سار منها الى الصين فلما وصل اليها أتاه حاجبه فى الليل وقال هذا رسول ملك الصين فاحضره فسلم وطلب الخلوة فتنحوه فلم ير معه شيأ فخرج من كان عند الاسكندر فقال انا ملك الصين جئت أسالك عن الذى تريده فان كان مما يمكن عمله عملته وتركت الحرب فقال له الاسكندر ما الذى آمنك منى قال علمت أنك عاقل حكيم ولم يكن بينى وبينك عداوة ولا ذحل وأنت تعلم انك ان قتلتنى لم يكن قتلى سببا لتسليم أهل الصين ملكى اليك ثم انك تنسب الى الغدر فعلم انه عاقل فقال له أريد منك ارتفاع ملكك لثلاث سنين عاجلا ونصف الارتفاع لكل سنة قال قد أجبتك ولكنك اسألنى كيف حالى قال قل كيف حالك قال أكون أوّل قتيل لمحارب وأول أكلة لمفترس قال فان قنعت منك بارتفاع سنتين قال يكون حالى أصلح قليلا قال فان قنعت منك بارتفاع سنة قال يبقى ملكى وتذهب لذاتى قال وانا اترك لك ما مضى وآخذ الثلث لكل سنة فكيف يكون حالك قال يكون السدس للفقراء والمساكين ومصالح البلاد والسدس لى والثلث للعسكر والثلث لك قال قد قنعت منك بذلك فشكره وعاد وسمع العسكر بذلك ففرحوا بالصلح فلما كان الغد خرج ملك الصين بعسكر عظيم أحاط بعسكر الاسكندر فركب

وأمسينا فى ليلة مقمرة
وقد ينسنا من ظهورنا فقلنا
لامية بن أبى الصلت أين
ما كنت تخبرنا به عن نفسك
وتوجه الى ذلك الكثيب
الذى تاتى منه العجوز حتى
هبط منه من ناحية أخرى
ثم صعد كثيبا آخر حتى هبط
منه ثم رفعت له كنيسة فيها
قنديل فاذا رجل وهو
مضطجع معترض على بابها
واذا رجل جالس أبيض
الرأس واللحية قال أمية
فلما وقفت عليه رفع رأسه
الىّ وقال انك لمتبوع قلت
أجل قال فمن أين يأتيك
صاحبك قلت من أذنى
اليسرى قال فبأى الثياب
يأمرك قلت بالسواد قال
خطب الحوادث ولم فعل
وليكن بكلمك فى اذنك
اليمنى وأحب الثياب اليه
البياض فما جاءبك وما
حاجتك فحدثته حديث
العجوز قال صدقت وليست
بصادقة هى امرأة يهودية
هلك زوجها منذ أعوام
وانها لا تزال تصنع بكم ذلك
حتى تهلككم ان استطاعت
قال أمية فما الحيلة قال
اجمعوا طعامكم وركبكم فاذا جاءتكم
ففعلت ما كانت تفعل فقولوا
لها سبعا من فوق وسبعا من
أسفل باسمك اللهم فانها
لا تضركم فرجع الى أصحابه
فأخبرهم بما قيل له فجاءتهم

فعلت كما كانت تفعل فقالوا
سبعا من فوق وسبعا من
أسفل يا عمك اللهم فلم
تضرهم فلما رأى الابل لم
تضرهم قالت عرفت ما حبكم
ليبيضن أسلافه ويسودن
أسفله وسرنا فلما أدركنا الصبح
نظرنا الى امية قد برص في
عذاريه ورقبته وصدره
واسود في أسفله فلما قدموا
مكة ذكروا هذا الحديث
وكان أمية أول من كتب
باسمك اللهم الى ان جاء الله
عز وجل بالاسلام وكتب
بسم الله الرحمن الرحيم وله
أخبار غير هذه قد أتينا عليها
وعلى ذكرها في اخبار الزمان
وغيره فيما سلف من كتبنا
ومنهم ورقة بن نوفل بن
أسد بن عبد العزى بن قصي
وهو ابن عم خديجة بنت
خويلد زوج النبي صلى
الله عليه وسلم لحا وكان قد
قرأ الكتاب وطلب العلم
ورغب عن عبادة الاصنام
وبشر خديجة بالنبي صلى
الله عليه وسلم وانه نبي هذه
الامة وانه سيؤذى ويكذب
والقى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا ابن أخي انت
على ما أنت عليه فوالذي
نفس ورقة بيده انك لنبي
هذه الامة ولتؤذين
ولتكذبن ولتخرجن ولتقاتلن
ولكن ان أدركت ذلك
لانصرن الله نصرا يعلمه

الاسكندر والناس فظهر ملك الصين على الفيل وعلى رأسه التاج فقال له الاسكندر أغدرت قال
لا ولكني أردت ان تعلم اني لم اطعك من ضعف ولكني لما رأيت العالم العلوي مقبلا عليك أردت
طاعته بطاعتك والقرب منه بالقرب منك فقال له الاسكندر لا يسام مثلك الجزية فما رأيت بيني
وبينك من يستحق الفضل والوصف بالعقل غيرك وقد أعفيتك من جميع ما أردته منك وأنا
منصرف عنك فقال له ملك الصين فلست تخسر وبعث اليه بضعف ما كان قرره معه وسار
الاسكندر عنه من يومه ودانت له عامة الارضين في الشرق والغرب وملك التبت وغيرها فلما
فرغ من بلاد المغرب والشرق وما بينهما قصد بلاد الشمال وملك تلك البلاد ودان له من بها من
الامم المختلفة الى أن اتصل بديار يأجوج ومأجوج وقد اختلفت الاقوال فيهم والصحيح انهم نوع
من الترك لهم شوكة وفيهم شر وهم كثيرون وكانوا يفسدون فيما يجاورهم من الارض ويخربون
ما قدروا عليه من البلاد ويؤذون من يقرب منهم فلما رأى أهل تلك البلاد الاسكندر شكوا
اليه من شرهم كما أخبر الله عنهم في قوله ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وهما جبلان متقابلان
لا يرتقى فيهما وليس لهما مخرج الا من الفرجة التي بينهما فلما بلغ الى تلك وقارب السدين وجد
من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في
الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني
بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما يقول ما مكني فيه ربي خير من خرجكم ولكن أعينوني بالقوة
والقوة الفعلة والصناع والآلة التي يبنى بها فقال آتوني زبر الحديد أي قطع الحديد فأتوه بها فحفر
الاساس حتى بلغ الماء ثم جعل الحديد والحطب صفوفا بعضها فوق بعض حتى اذا ساوى بين
الصدفين وهما جبلان اشعل النار في الحطب فحمي الحديد وافرغ عليه القطر وهو النحاس
المذاب فصار موضع الحطب وبين قطع الحديد فصار كأنه برد محبر من حمرة النحاس وسواد الحديد
وجعل أعلاه شرفا من الحديد فامتنعت يأجوج ومأجوج من الخروج الى البلاد المجاورة لهم
قال الله تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا فلما فرغ من أمر السد دخل
الظلمات مما يلي القطب الشمالي والشمس جنوبية فلهذا كانت ظلمة والاغلس في الارض
موضع الاتطلع الشمس عليه أبدا فلما دخل الظلمات أخذ معه أربعمائة من أصحابه يطلب عين
الخلد فسار فيها ثمانية عشر يوما ثم خرج ولم يظفر بها وكان الخضر على مقدمته فظفر بها وسبح فيها
وشرب منها والله أعلم ورجع الى العراق فمات في طريقه بشهرزور بمدينة الخوانيق وكان عمره ستا
وثلاثين سنة في قول ودفن في تابوت من ذهب مرصع بالجوهر وطلي بالصبر لئلا يتغير وحمل الى
أمه بالاسكندرية وكان ملكه أربع عشرة سنة وقتل دارا في السنة الثالثة من ملكه وبنى اثنتي
عشرة مدينة منها أصبهان وهي التي يقال لها جي ومدينة هراة ومرو وسمرقند وبنى بالسواد
مدينة لروشك ابنة دارا وبارض اليونان مدينة وبمصر الاسكندرية فلما مات الاسكندر أطاف
به من معه من الحكماء اليونانيين والفرس والهند وغيرهم فكان يجمعهم ويسترعي الى كلامهم
فوقفوا عليه فقال كبيرهم ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا
ووضع يده على التابوت وقال أصبح آسر الاسراء أسيرا وقال آخر هذا الملك كان يحبأ لذهب فقد
صار الذهب يحبؤه وقال آخر ما أرهد الناس في هذا الجسد وما أرغبهم في التابوت وقال آخر من
أعجب العجب أن القوي قد غلب والضعفاء لاهون مغترون وقال آخر هذا الذي جعل أجله
ضمارا وجعل أمله عيانا هلا باعدت من أجلك لتبلغ بعض أملك بل هلا خففت من أملك بالامتناع

من وفور أجلك وقال آخر أيها الساعي المنتصب جمعت ماخذلك عن الاحتياج اليه فعودت عليك أو زاره وقارفت آثامه فجمعت لغيرك واثمه عليك وقال آخر قد كنت لنا واعظا فما وعظتنا موعظة أبلغ من وفاتك فمن كان له معقول فليعقل ومن كان معتبرا فليعتبر وقال آخر رب هائب لك يخافك من ورائك وهو اليوم بحضرتك ولا يخافك وقال آخر رب حريص على سكوتك اذ لا تسكت وهو اليوم حريص على كلامك اذ لا تتكلم وقال آخر كم أماتت هذه النفس لئلا تموت وقد ماتت وقال آخر وكان صاحب كتب الحكمة قد كنت تأمرني ان لا أبعد عنك فاليوم لا أقدر على الدنو منك وقال آخر هذا يوم عظيم أقبل من شره ما كان مدبرا وأدبر من خيره ما كان مقبلا فمن كان باكيا على من زال ملكه فليبك وقال آخر يا عظيم السلطان اضمحل سلطانك كما اضمحل ظل السحاب وعفت آثار مملكتك كما عفت آثار الذباب وقال آخر يا من ضاقت عليه الارض طولا وعرضا ليت شعري كيف حالك بما احتوى عليك منها وقال آخر اعجبوا ممن كان هذا سبيله كيف شهر نفسه بجمع الاموال الحطام البائد الهشيم النافد وقال آخر أيها الجمع الحافل والمأتى الفاضل لا ترغبوا فيما لا يدوم سروره وتنقطع لذته فقد بان لكم الصلاح والرشاد من الغي والفساد وقال آخر انظروا الى حلم النائم كيف انقضى وظل الغمام كيف انجلى وقال آخر يا من كان غضبه الموت هلا غضبت على الموت وقال آخر قد رأيتم هذا الملك الماضي فليتعظ به هذا الملك الباقي وقال آخر ان الذي كانت الآذان تنصت له قد سكت فليتكلم الآن كل ساكت وقال آخر سيلحق بك من سره موتك كما لحقت بمن سرك موته وقال آخر مالك لا تقل عضوا من أعضائك وقد كنت تستقل بملك الارض بل مالك لا ترغب عن ضيق المكان الذي أنت فيه وقد كنت ترغب عن رحب البلاد وقال آخر ان دنيا يكون هذا في آخرها فالزهد أولى أن يكون في أولها وقال صاحب مائدته قد فرشت النمارق ونضدت النضائد ولا أرى عميد القوم وقال صاحب بيت ماله قد كنت تأمرني بالادخار فالى من أدفع ذخائرك وقال آخر هذه الدنيا الطويلة العريضة قد طويت منها في سبعة أشبار ولو كنت بذلك موقنا لم تحمل على نفسك في الطلب وقالت روجته روشنك ما كنت أحسب ان غالب دارا يغلب فان الكلام الذي سمعت منكم فيه شماتة فقد خلف الكأس الذي شرب به ليشرب به الجماعة وقالت أمه حين بلغها موته ابن فقدت من ابني أمره لم يفقد من قلبي ذكره فهذا كلام الحكماء فيه مواعظ وحكم حسنة فلهذا أثبتها ومن حيل الاسكندر في حروبه أنه لما حارب دارا خرج الى بين الصفين وأمر منادية فنادى يا معشر الفرس قد علمتم ما كتبتم الينا وما كتبنا اليكم من الامان فمن كان منكم على الوفاء فليعتزل فانه يرى منا الوفاء فاتهمت الفرس بعضها بعضا واضطربوا ومن حيله انه تلقاه ملك الهند بالفيلة فنفرت خيل أصحابه عنها فعاد عنه وأمر باتخاذ فيلة من نحاس وألبسها السلاح وجعلها مع الخيل حتى ألفتها ثم عاد الى الهند فخرج اليهم ملك الهند فأمر الاسكندر بتلك الفيلة فشتت بطونها من النفط والكبريت وجرت على الجمل الى وسط المعركة ومسها جمع من أصحابه فلما نشبت الحرب أمر باشعال النار في تلك الفيلة فلما حميت انكشف أصحابه عنها وغشيتها فيلة الهند فضربتها بخراطيمها فاحترقت وولت هاربة راجعة على الهند فانهزموا بين يديها ومن حيله انه نزل على مدينة حصينة وكان بها كثير من الاقوات وبها عيون ماء فعاد عنها فأرسل اليها قوما على هيئة التجار ومعهم أمتعة يبيعونها وأمرهم بشترى الطعام والمغالاة في ثمنها فاذا صار عندهم أحرقوه وهربوا ففعلوا

وقد اختلف فيه فمنهم من زعم انه مات نصرانيا ولم يدرك ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ولم يدركه أبوه ومنهم من رأى انه مات مسلما وانه مدح النبي صلى الله عليه وسلم فقال

يعفو ولم صفح لا يجزي بسيئة
ويكظم الغيظ عند الشتم والغضب

ومنهم عداس مولى عتبة ابن أبي ربيعة كان من أفاضل نينوى ولقي النبي صلى الله عليه وسلم بالطائف حين خرج يدعوهم الى الله عز وجل وكان له مع النبي صلى الله عليه وسلم خطب في الحديقة وقتل يوم بدر على النصرانية وكان ممن يبشر بالنبي صلى الله عليه وسلم ومنهم أبو قيس صرمة بن أبي أنس من الانصار من بني النجار وكان ترهب ولبس المسوح وهجر الاوثان ودخل بيتا واتخذه مسجدا لا تدخله طامث ولا جنب وقال أعبد رب ابراهيم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم أسلم وحسن اسلامه وفيه نزلت آية السحور وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وهو القائل في رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذلك وهربوا اليه فانفذ السرايا الى سواد تلك المدينة وأمرهم بالغارة مرة بعد أخرى فهربوا ودخلوا البلد ليحتموا به فسار الاسكندر اليهم فلم يمتنعوا عليه وكتب الى ارسطاطاليس يذكر له ان من خاصة الروم جماعة لهم هم بعيدة ونفوس كبيرة وشجاعة وأنه يخافهم على نفسه ويكره قتلهم بالظنة فكتب اليه ارسطاطاليس فهمت كتابك فان ماذكرت من بعد همهم فان الوفاء من بعد الهمة وكبر النفس والغدر من دناءة النفس وخبثها وأما شجاعتهم ونقص عقولهم فمن كانت هذه حاله فرفهه فى معيشته واخصصه بحسان النساء فان رفاهية العيش تميت الشجاعة وتحبب السلامة واياك والقتل فانه زلة لا تستقال وذنب لا يغفر وعاقب بدون القتل تكن قادرا على العفو فما أحسن العفو من القادر وليحسن خلقك تخلص لك النيات بالمحبة ولا توثر نفسك على أصحابك فليس مع الاستئثار محبة ولا مع المواساة بغضة وكتب الى ارسطاطاليس أيضا لما ملك بلاد فارس يذكر له انه رأى بايران شهر رجالا ذوى رأى ورزانة وشجاعة وجمال وانساب رفيعة وانه انما ملكهم بالحظ والاتفاق وانه لا يأمن ان سافر عنهم ففارقهم وثوبهم وأنه لا يكفى شرهم الا بوارهم فكتب اليه قد فهمت كتابك فى رجال فارس فاما قتلهم فهو من الفساد والبغى الذى لا يؤمن عاقبته ولو قتلتهم لاثبت أهل البلد امثالهم وصار جميع اهل البلد اعداءك بالطبع واعداء عقبك لانك تكون قد وترتهم فى غير حرب واما اخراجك اياهم من عسكرك فخاطرة بنفسك وأصحابك ولكنى أشير عليك برأى هو أبلغ من القتل وهو ان تستدعى منهم أولاد الملوك ومن يصلح للملك فتقلدهم البلدان وتجعل كل واحد منهم ملكا برأسه فتتفرق كلمتهم ويقع بأسهم بينهم ويجتمعون على الطاعة والمحبة لك ويرون أنفسهم صنيعتك ففعل الاسكندر ذلك فهم ملوك الطوائف وقيل فى ملوك الطوائف غير هذا السبب ونحن نذكره ان شاء الله

﴿ ذكر من ملك من قومه بعد الاسكندر ﴾

لما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه الاسكندرون فابى واختار العبادة فملكت اليونان فيما قيل بطليموس بن لاغوس وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة ثم ملك بعده بطليموس فيلوذفوس وكان ملكه أربعين سنة ثم ملك بعده بطليموس أوراغاطس اربعا وعشرين سنة ثم ملك بعده بطليموس فيلافطر احدى وعشرين سنة ثم ملك بعده بطليموس افيفانس اثنتين وعشرين سنة ثم ملك بعده بطليموس اوراغاطس تسعا وعشرين سنة ثم ملك بعده بطليموس سلطر سبع عشرة سنة ثم ملك بعده بطليموس الاخشدر احدى عشرة سنة ثم ملك بعده بطليموس الذى اختفى عن ملكه ثمانى سنين ثم ملكت بعده قالوبطرى سبع عشرة سنة وكانت من الحكماء وهؤلاء كلهم من اليونان وكل من كان بعد الاسكندر كان يدعى بطليموس كما كانت تدعى ملوك الفرس اكاسرة وملوك الروم قياصرة وقد ذكر بعض العلماء ان بطليموس صاحب المجسطى وغيره من الكتب لم يكن من هؤلاء الملوك وانما كان أيام ملوك الروم على ما نذكره ان شاء الله تعالى ثم ملك الشام فيما بعد قالوبطرى ملوك الروم فكان أول من ملك منهم جابوس يولوس خمس سنين ثم ملك بعده اغسطوس ستا وخمسين سنة فلما مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة ولد عيسى ابن مريم عليه السلام وقيل كان بين مولده وقيام الاسكندر ثلثمائة سنة وثلاث سنين

﴿ ذكر أخبار ملوك الفرس بعد الاسكندر وهم ملوك الطوائف ﴾

لما مات الاسكندر ملك بلاد الفرس بعده ملوك الطوائف وقد تقدم ذكر السبب فى تمليكهم وقيل كان السبب فى ذلك ان الاسكندر لما ملك بلاد الفرس ووصل الى ما أراد كتب الى

ارسطاطاليس

قوى فى قريش بضع عشرة سنة

بمكة لا يلقى صديقا ولا مواتيا ومنهم أبو عامر الاوسى وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة وكان سيد الاوس ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة كان له معه خطب فخرج فى خمسين غلاما فمات على النصرانية بالشام ومنهم عبد الله بن جحش الاسدى من بنى أسد بن خزيمة وكانت عنده أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب قبل ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد قرأ الكتب فمال الى النصرانية فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر الى أرض الحبشة فيمن هاجر من المسلمين ومعه روجته أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ثم انه ارتد عن الاسلام وتنصر ومات بأرض الحبشة وكان يقول للمسلمين اتانا فتحنا وصاصاتم يريد أبصرنا وأنتم تلمسون البصر وهذا مثل ضربه لهم وذلك انه يقال للكلب اذا فتح عينيه بعد ما ولد وهو جرو قد فتح واذا كان يريد ان يفتحهما ولم يفتحهما قيل صاصا

ولما مات عبد الله بن جحش

ارسطاطاليس الحكيم انى قد وترت جميع من فى بلاد المشرق وقد خشيت ان يتفقوا بعدى على قصد بلادنا وايذائنا وقد هممت ان اقتل أولاد من قتلت من الملوك والحقهم بآبائهم فما ترى فكتب اليه انك ان قتلت أبناء الملوك افضى الملك الى السفل والاندال والسفل اذا ملكوا قذروا واذا قدروا طغوا وبغوا وظلموا وما يخشى من معرتهم أكثر والرأى أن تصفح أبناء الملوك فتملك كل واحد منهم بلدا واحدا وكورة واحدة فان كل واحد منهم يقوم فى وجه الآخر يمنعه عن بلوغ غرضه خوفا على ما بيده فتتولد العداوة بينهم فيشتغل بعضهم ببعض فلا يتفرغون الى من بعدهم فعندها قسم الاسكندر بلاد المشرق على ملوك الطوائف ونقل عن بلدانهم النجوم والحكمة وكان من حالهم بعد الاسكندر ما ذكره ارسطاطاليس واشتغلوا عن قصد اليونان وكان ارسطاطاليس من افضل الحكماء وأعلمهم وكان الاسكندر يصدر عن رأيه وأخذ الحكمة عن افلاطون تلميذ سقراط وسقراط تلميذ اوسيلاوس فى الطبيعيات دون غيرها ومعناه رأس السباع وكان اوسيلاوس تلميذ انكساغورس الا ان ارسطاطاليس خالف استاذه فى عدة مسائل فلما قيل له فى ذلك قال افلاطون صديق والحق صديق الا أن الحق أولى بالصداقة منه وقد اختلف العلماء فى الملك الذى كان بسواد العراق بعد الاسكندر وعدد ملوك الطوائف الذين ملكوا اقليم بابل فقال هشام بن الكلبى وغيره ملك بعد الاسكندر بلاقس سليقيس ثم انطيخس وهو الذى بنى مدينة انطاكية وكان فى أيدى هؤلاء الملوك سواد الكوفة اربعا وخمسين سنة وكانوا يتطرقون الجبال وناحية الاهواز وفارس

﴿ذكر ملك اشك بن اشكان﴾

ثم خرج رجل يقال له اشك وهو من ولد دارا الاكبر وكان مولده ومنشؤه بالرى فجمع جمعا كبيرا وسار يريد انطيخس وزحف اليه انطيخس والتقيا ببلاد الموصل فقتل انطيخس وملك اشك السواد وصار بيده من الموصل الى الرى واصبهان وعظمته سائر ملوك الطوائف لسنه وشرفه وفعله وبدعوا به كتبهم وسموه ملكا من غير ان يعزل أحد امنهم ثم ملك بعده ابنه سابور بن اشك

﴿ذكر ملك جوذرز﴾

ثم ملك بعد سابور جوذرز اشكان وهو الذى غزا بنى اسرائيل فى المرة الثانية وسبب تسليط الله اياه عليهم قتلهم يحيى بن زكريا فاكثر القتل فيهم فلم يعد لهم جماعة كجماعتهم الاولى ورفع الله منهم النبوة وأنزل بهم الذل وقيل ان الذى غزا بنى اسرائيل طيطوس بن اسفيانوس ملك الروم فقتلهم وسباهم وخرب بيت المقدس وقد كانت الروم غزت بلاد فارس يعلبون تارا انطيخس وملك بابل حينئذ بلاش ابو اردوان الذى قتله اردشير بن بابك فكتب بلاش الى ملوك الطوائف يعلمهم ما أجمعت عليه الروم من غزو بلادهم وما حشدوا وجمعوا وانه ان عجز عنهم ظفروا بهم جميعا فوجه كل ملك من ملوك الطوائف الى بلاش من الرجال والسلاح والمال بقدر قوته فاجتمع عنده اربعمائة ألف رجل فولى عليهم صاحب الحضر وكان له ما بين السواد والجزيرة فلقى الروم وقتل ملكهم واستباح عسكرهم وذلك الذى هيج الروم على بناء القسطنطينية ونقل الملك من رومية الهاء وكان الذى انشأها قسطنطين الملك وهو أول من تنصر من ملوك الروم وأجلى من بقى من بنى اسرائيل عن فلسطين والشام لقتلهم عيسى بزعمهم وأخذ الخشبة التى يزعمون انهم صلبوا المسيح عليها فعظمها الروم وأدخلوها خزائنهم وهى عندهم الى اليوم ولم يزل ملك فارس متفرقا حتى ملك أردشير بن بابك ولم يبين هشام مدة ملكهم وقال غيره من اهل العلم بأخبار فارس ملك بلادهم بعد

تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبى سفيان زوجها اياه النجاشى وأمهرها عنه أربعمائة دينار ومنهم بحيرى الراهب وكان مؤمنا على دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام واسم بحيرى فى النصارى جرجس وكان من عبد القيس ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه الى الشام فى تجارة أبى طالب وهو ابن اثنتى عشرة سنة ومعهما أبو بكر وبلال مروا ببحيرى وهو فى صومعته فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته ودلائله وما كان يجده فى كتابه ان الغمام تظله حيث ما جلس فانزلهم بحيرى وأكرمهم واصطنع لهم طعاما ونزل من صومعته حتى نظر الى خاتم النبوة بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع يده على موضعه وآمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وأعلم أبا بكر وبلالا بقصته وما يكون من أمره وسأله ان يرجع به من وجهه ذلك وحذرهم عليه من أهل الكتاب وأخبر عمه أبا طالب بذلك فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة وأعلم قريشا بما أظهر الله

الاسكندر ملوك من غير الفرس كانوا يطيعون كل من ملك بلاد الجبل وهم الاشغانيون الذين يدعون ملوك الطوائف وكان ملكهم مائتي سنة وقيل كان ملكهم ثلثمائة وأربعين سنة ملك من هذه السنين اشك بن اشكان عشرين سنة ثم ابنه سابور ستين سنة وفي احدى وأربعين سنة من ملكه ظهر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وان تيطوس بن اسبيانوس ملك رومية غزا بيت المقدس بعد ارتفاع المسيح بخمس أربعين سنة فملك المدينة وقتل وسبى وأخرب المدينة ثم ملك جوذرز بن اشغان الاكبر عشر سنين ثم ملك بيرون الاشغاني احدى وعشرين سنة ثم ملك حوذرز لاشغاني تسعا وثمانين سنة ثم ملك نرسي الاشغاني أربعين سنة ثم ملك هرمز الاشغاني سبع عشرة سنة ثم ملك اردوان الاشغاني اثنتين وعشرين سنة ثم ملك كسرى الاشغاني أربعين سنة ثم ملك بلاش الاشغاني أربعا وعشرين سنة ثم ملك اردوان الاصغر ثلاث عشرة سنة ثم ملك اردشير بن بابك وقال بعضهم ملك بلاد الفرس بعد الاسكندر ملوك الطوائف الذين فرق الاسكندر المملكة بينهم وتفرد بكل ناحية من ملك عليها من حين ملكه عليها ما خلا السواد فانه كان أربعا وخمسين سنة بعد هلاك الاسكندر في يد الروم وكان في ملوك الطوائف رجل من سفل الملوك قد ملك الجبال واصبهان ثم غلب ولده بعد ذلك على السواد وكانوا ملوكا عليها وعلى الماهات والجبال واصبهان كالرئيس على سائر ملوك الطوائف لان العادة جرت بتقديمه وتقديم ولده ولذلك قصدنا ذكرهم في كتب سير الملوك فاقتصرنا على ذكرهم دون غيرهم فكانت مدة ملوك الطوائف مائتي سنة وستين سنة وقيل ثلثمائة وأربعا وأربعين سنة وقيل خمسمائة وثلاثا وعشرين سنة والله أعلم فمن الملوك الذين ملكوا الجبال ثم تهيأت بعد أولادهم الغلبة على السواد اشك بن جزه وهو من ولد اسفنديار بن بشتاسب في قول وبعض الفرس زعم ان اشك بن دارا قال بعضهم اشك بن أشكان الكبير هو من ولد كيكاووس وكان ملكه عشرين سنة ثم ملك بعده اشك ابنه احدى وعشرين سنة ثم ملك ابنه سابور ثلاثين سنة ثم ملك ابنه جوذرز عشر سنين ثم ملك ابنه تيري احدى وعشرين سنة ثم ملك ابنه جوذرز الاصغر تسع عشرة سنة ثم ابنه نرسه أربعين سنة ثم هرمز بن بلاش بن اشكان سبع عشرة سنة ثم اردوان الاكبر بن اشكان اثنتي عشرة سنة ثم كسرى ابن اشكان أربعين سنة ثم اردوان الاصغر ابن بلاش ثلاث عشرة سنة وكان أعظم ملوك الاشكانية وأطهرهم واعزهم قهر الملوك ثم ملك أردشير بن بابك وجمع مملكة الفرس على ما نذكره ان شاء الله وقد عد بعضهم في اسماء الملوك غير ما ذكرنا لا حاجة الى الاطالة بذكره وقد ذكرنا بعض ما قيل عند ملك أردشير بن بابك

﴿ذكر الاحداث ايام ملوك الطوائف فمن ذلك ذكر المسيح عيسى بن مريم ويحيى ابن زكريا عليهم السلام﴾

انما جمعنا هذين الامرين العظيمين في هذه الترجمة لتعلق أحدهما بالآخر فنقول كان عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود وكان آل ماثان رؤس بني اسرائيل وأحبارهم وكان متزوجا بحنة بنت فاقوذ وكان زكريا بن برخيا متزوجا باختها ايشاع وقيل كانت ايشاع اخت مريم بنت عمران وكانت حنة قد كبرت وعجزت ولم تلد ولدا فبينما هي في ظل شجرة ابصرت طائرا يزق فرخاله فاشتهت الولد فدعت الله ان يهب لها ولدا ونذرت ان يرزقها ولدا أن تجعله من سدنة بيت المقدس وخدمته فحررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو وكان النذر المحرر عندهم ان يجعل للكنيسة يقوم بخدمتها ولا يبرح منها حتى يبلغ الحلم فاذا بلغ خير فان أحب ان يقيم فيها أقام وان أحب ان يذهب ذهب

عز وجل من اظهار دلائل نبوته وما أخبر به وما كان منه في طريقه (قال المسعودي) فهذه جمل مذة الخليقة الى حيث انتهينا من هذا الموضع ولم نشبعه بشئ غير ما جاءت به الشرائع ونطقت به الكتب وأوضحت عنه الرسل عليهم الصلاة والسلام ولنذكر الآن بدء ممالك الهند ولمعا من آثارها ونتبع ذلك بذكر سائر الممالك اذ كنا قد مناذكر ملوك الاسرائيليين على حسب ما وجدناه في كتب الشرعيين والله أعلم

﴿ذكر جمل من اخبار الهند وآثارها وبدء ممالكها وملوكها﴾

ذكر جماعة من أهل العلم والنظر والبحث الذين وصلوا الغاية بتأمل شأن العالم وبدئه ان الهند كانت قديم الزمان العزة التي فيها الصلاح والحكمة فانه لما تجيلت الاجيال وتحزبت الاحزاب حاولت الهند ان تضم المملكة وتستولي على الحوزة وتكون الرياسة فيهم فقال كبراؤهم نحن أهل البدء ومنا التناهي ولنا الغاية والصدر والانتهاء ومناسري الاب الى الارض فلا ندع أحدا شاقنا ولا عاندنا وأراد بنا الاغتماص الا أتينا عليه

حيث شاء ولم يكن يحرر الا الغلمان لان الاناث لا يصلحن لذلك لما يصيبهن من الحيض والادى
ثم هلك عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها اذهى أنثى فقالت عند ذلك رب انى وضعتها أنثى والله
اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى فى خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وانى سميتها مريم وهو
بلغتهم العبادة ثم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار أبناء هرون وهم يلون من
بيت المقدس ما يلى بنو شيبة من الكعبة فقالت دونكم هذه المنذورة فتنافسوا فيها لانها بنت
امامهم وصاحب قربانهم فقال زكريا أنا احق بها لان خالتها عندى فقالوا لكن نقترع عليها فانطلقوا
اقلامهم فى نهر جار قيل هو نهر الاردن فالقوا فيه اقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة فارتفع
قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فاخذها وكفلها وضمها الى خالتها أم يحيى واسترضع لها حتى
كبرت فبنى لها غرفة فى المسجد لا يرقى اليها الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان يجد عندها فاكهة
الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء فيقول أنى لك هذا فتقول هو من عند الله فلما رأى
زكريا ذلك منها دعا الله تعالى ورجا الولد حيث رأى فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى
الصيف فقال ان الذى فعل هذا بمريم قادر على ان يصلح زوجتى حتى تلد فقال رب هب لى من لدنك
ذرية طيبة انك سميع الدعاء فبينما هو يصلى فى المذبح الذى لهم فاذا هو برجل شاب هو جبريل
ففزع زكريا منه فقال له ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله يعنى عيسى بن مريم عليه
السلام ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وذلك ان أمه كانت حاملا به فاستقبلت مريم وهى
حامل بعيسى فقالت لها يا مريم احامل أنت فقالت لما ذا تسألينى قالت لما انى أرى ما فى بطنى
يسجد لما فى بطنك فذلك تصديقه وقيل صدق المسيح عليه السلام وله ثلاث سنين وسماه الله تعالى
يحيى ولم يكن قبله من تسمى هذا الاسم قال الله تعالى لم نجعل له من قبل سميا وقال تعالى والسلام
عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا قيل أوحش ما يكون ابن آدم فى هذه الايام الثلاثة فسلمه الله
تعالى من وحشتها وانما ولد يحيى قبل المسيح بثلاث سنين وقيل بستة أشهر وكان لا يأتى النساء
ولا يلعب مع الصبيان قال رب أنى يكون لى ولد وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر وكان عمره اثنتين
وتسعين سنة وقيل مائة وعشرين سنة وكانت امرأته ابنة ثمان وتسعين سنة فقيل له كذلك الله
يفعل ما يشاء وانما قال ذلك استخبارا هل يرزق الولد من امرأته العاقر أم غيرها الانكار القدرة
الله تعالى قال رب اجعل لى آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا قال أمسك الله لسانه
عقوبة لسؤاله الآية والرمز الاشارة فلما ولدت آه أبوه حسن الصورة قليل الشعر قصير الاصابع
مقرون الحاجبين دقيق الصوت قويا فى طاعة الله مذ كان صبيا قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا
قيل انه قال له يوما الصبيان امثاله يا يحيى اذهب بنا نلعب فقال لهم ما للعب خلقت وكان يأكل
العشب وأوراق الشجر وقيل كان يأكل خبز الشعير ومر به ابليس ومعه رغيف شعير فقال أنت
تزعم انك زاهد وقد ادخرت رغيف شعير فقال يحيى يا ملعون هو القوت فقال ابليس ان الاقل من
القوت يكفى لمن يموت فاوحى الله اليه اعقل ما يقول لك ونبئ صغيرا فكان يدعو الناس الى عبادة
الله ولبس الشعر فلم يكن له دينار ولا درهم ولا مسكن يسكن اليه أينما جنه الليل اقام ولم يكن له
عبد ولا أمة واجتهد فى العبادة فنظر يوما الى بدنه وقد نحل فبكى فاوحى الله اليه يا يحيى اتبكى لما نحل
من جسمك وعزتى وجلالى لو اطلعت فى النار اطلاعة لتدرعت الحديد عوض الشعر فبكى حتى
أكلت الدموع لحم خديه وبدت اضراسه للناظرين فبلغ ذلك أمه فدخلت عليه وأقبل زكريا
وصحبه الاحبار فقال يا بنى ما يدعوك الى هذا قال أنت أمرتنى بذلك حيث قلت ان بين الجنة والنار

وأبدناه أو يرجع الى طاعتنا
فازمعت على ذلك ونصبت
لها ملكا وهو البرهمن
الاكبر والملك الاعظم
والامام فيها المقدم ظهرت
فى ايامه الحكمة وتقدمت
العلماء واستخرجوا الحديد
من المعادن وضربت فى
أيامه السيوف والخناجر
وكثير من أنواع المقاتل
وشيد الهياكل ورصعها
بالجواهر المشرقة المنيرة
وصور فيها الافلاك والبروج
الاثنى عشر والكواكب
وبين بالصورة كيفية العالم
وأورد بالصورة أيضا أفعال
الكواكب فى هذا العالم
واحداثها الاشخاص
الحيوانية من الناطقة
وغيرها وبين حال المدبر
الذى هو الشمس وأثبت
تابعه فى براهين جميع ذلك
وقرب الى عقول العوام
فهم ذلك وغرس فى نفوس
الخواص دراية ما هو
أعلى من ذلك واشار الى
المبدا الاول المعطى سائر
الموجودات وجودها
الفائض عليها بجوده
وانقاد له الهند وأخصبت
بلادها وأراهم وجه مصالح
الدنيا وجمع الحكماء فاحدثوا
فى ايامه كتاب السند
هند وتفسيره دهر الدهور
ومنه فرعت الكتب كالكتاب

عقبة لايجوزها الا البكاؤن من خشية الله فقال فابك واجتهد اذن فصنعت له أمه قطعتى لبد على خديه توارى اضراسه فكان يبكى حتى يبله ماوكان زكريا اذا أراد أن يعظ الناس نظر فان كان يحيى حاضرا لم يذكر جنة ولا نارا و بعث الله عيسى رسولا نسخ بعض أحكام التوراة فكان مما نسخ انه حرم نكاح بنت الاخ وكان لملكهم واسمه هيرودس بنت أخ تعجبه يريدان يتزوجها فنهاه يحيى عنها وكان لها كل يوم حاجة يقضيها لها فلما بلغ ذلك امها قالت لها اذا سألك الملك ما حاجتك فقولى ان تذبح يحيى بن زكريا فلما دخلت عليه وسألها ما حاجتك قالت أريد أن تذبح يحيى بن زكريا فقال سلى غير هذا قالت ما أسألك غيره فلما أبت دعا بحيى ودعا بسطت فذبحه فلما رأت الرأس قالت اليوم قرت عينى فصعدت الى سطح قصرها فسقطت منه الى الارض ولها كلاب ضارية تحته فوثبت الكلاب عليها فاكلتها وهى تنظر وكان اخر ما أكل منها عيناها التعتبر فلما قتل بذرت قطرة من دمه على الارض فلم تزل تغلى حتى بعث الله بختنصر عليهم فجاءته امرأة فدلته على ذلك الدم فالقى الله فى قلبه ان يقتل منهم على ذلك الدم حتى يسكن فقتل منهم سبعين ألفا حتى سكن الدم وقال السدى نحو هذا غير انه قال أراد الملك ان يتزوج بنت امرأته فنهاه يحيى عن ذلك فطلبت المرأة من الملك قتل يحيى فارسل اليه فقتله وأحضر رأسه فى طست وهو يقول له لاتحل لك فبقى دمه يغلى فطرح عليه تراب حتى بلغ سور المدينة فلم يسكن الدم فسلط الله عليهم بختنصر فى جمع عظيم فحصرهم فلم يظفر بهم فاراد الرجوع فاتته امرأة من بنى اسرائيل فقالت بلغنى انك تريد العود قال نعم قد طال المقام وجاع الناس وقلت الميرة بهم وضاق عليهم فقالت ان فتحت لك المدينة أتقتل من أمرك بقتله وتكف اذا أمرتك قال نعم قالت اقسم جندك أربعة أقسام على نواحى المدينة ثم ارفعوا أيديكم الى السماء وقولوا اللهم انا نستفتحك على دم يحيى بن زكريا ففعلوا فخرب سور المدينة فدخلوها فامرتهم العجوز ان يقتلوا على دم يحيى بن زكريا حتى يسكن فلم يزل يقتل حتى قتل سبعين ألفا وسكن الدم فامرته بالكف وكف وخرب بيت المقدس وأمر ان تلقى فيه الجيف وعاد ومعه دانيال وغيره من وجوه بنى اسرائيل منهم عزريا وميشائيل ورأس الجالوت فكان دانيال أكرم الناس عليه فحسدهم المجوس وسموا بهم الى بختنصر وذكر نحو ما تقدم من القائهم الى السبع ونزول الملك عليهم ومسخ بختنصر ومقامه فى الوحش سبع سنين وهذا القول ومالم نذكره من الروايات من ان بختنصر هو الذى خرب بيت المقدس وقتل بنى اسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا باطل عند أهل السير والتاريخ وأهل العلم بامور الماضين وذلك انهم أجمعون محجمون على ان بختنصر غزا بنى اسرائيل عند قتلهم نبيهم شعيا فى عهد أرميا بن حلقيا وبين عهد أرميا وقتل يحيى أربعمائة سنة واحدى وستون سنة عند اليهود والنصارى ويذكرون ان ذلك فى كتبهم وأسفارهم مبين وتوافقهم المجوس فى مدة غزو بختنصر بنى اسرائيل الى موت الاسكندر وتخالفهم فى مدة ما بين موت الاسكندر ومولد يحيى فيزعمون ان مدة ذلك كانت احدى وخمسين سنة واما ابن اسحق فانه قال الحق ان بنى اسرائيل عمروا بيت المقدس بعد مرجعهم من بابل وكثروا ثم عادوا يحدثون الاحداث ويعود الله سبحانه عليهم ويبعث فيهم الرسل فتارة يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله فيهم زكريا وابنه يحيى وعيسى بن مريم عليهم السلام فقتلوا يحيى وزكريا فابتعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له جودرس فسار اليهم حتى دخل عليهم الشام فلما دخل عليهم بيت المقدس قال لقائد عظيم من عسكره اسمه نبوزاذان وهو صاحب الفيل انى كنت حلفت لئن أنا ظفرت ببنى اسرائيل لاقتلنهم حتى تسيل دماؤهم فى وسط

الازجهير والمجسطى وفرع من الازجهير الاركند ومن المجسطى كتاب بطليموس ثم عمل منها بعد ذلك الزيجات واحدثوا التسعة الاحرف المحيطة بالحساب الهندى وكان أول من تكلم فى اوج الشمس وذكر انه يقيم فى كل برج ثلاثة آلاف سنة ويقطع الفلك فى ستة وثلاثين ألف سنة والاوج على رأى البرهن فى وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة فى برج الثور وانه اذا انتقل الى البروج الجنوبية انتقلت العمارة فصار العامر خرابا والخارب عامرا والشمال جنوبا والجنوب شمالا ورتب فى بيت الذهب حساب الدور الاول والتاريخ الاقدم الذى عليه عملت الهند فى تواريخ البرد وظهورها فى أرض الهند دون سائر الممالك ولهم فى البردة خطب طويل اعرضنا عن ذكره اذ كان كتابنا كتاب خبر لا كتاب بحث ونظر وقد أتينا على جمل من ذلك فى الكتاب الاوسط ومن الهند من يذكر ان ابتداء العالم فى كل سبعين ألف سنة هازروان وان العالم اذا قطع هذه المدة عاد الكون فظهر النسل ومرحت البهائم وتغلغل

عسكرى الا ان لا أجد من أقتله وأمره ان يدخل المدينة و يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم فدخل نبوزاذان المدينة فاقام فى المدينة التى يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلى فقال يابنى اسرائيل ماشأن هذا الدم يغلى فقالوا هذا دم قربان لم يقبل فذلك هو يغلى فقال ماصدقتمونى الخبر فقالوا انه قد انقطع منا الملك والنبوة فلذلك لم يقبل منا فذبح منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلا من رؤسهم فلم يهدأ فأمر بسبعمائة من علمائهم فذبحوا على الدم فلم يهدأ فلما رأى الدم لا يبرد قال لهم يابنى اسرائيل اصدقونى واصبروا على أمر ربكم فقد طال ما ملكتم فى الارض تفعلون ماشئتم قبل ان لا أدع منكم نافخ نار ولا ذاكرا الا قتلته فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر وقالوا هذا نبى كان ينهانا عن كثير مما يسخط الله و يخبرنا بخبركم فلم نصدقه وقتلناه فهذا دمه فقال ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الآن صدقتمونى لمثل هذا انتقم ربكم منكم وخرسا جدا وقال لمن حوله أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من ههنا من جيش جودرس فقعلوا وخلا فى بنى اسرائيل ثم قال للدم يايحيى قد علم ربى و ربك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهدأ باذن الله قبل ان لا يبقى من قومك أحد فسكن الدم ورفع نبوزاذان القتل وقال آمنت بما آمنت به بنو اسرائيل وصدقت به وأيقنت انه لا رب غيره ثم قال لبنى اسرائيل ان جودرس أمرنى ان أقتل فيكم حتى تسيل دماؤكم فى عسكره ولست أستطيع ان أعصيه قالوا افعل فامرهم ان يحفروا حفيرة وأمر بالخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والابل فذبحها حتى كثر الدم وأجرى عليه ماء فسال الدم فى العسكر فامر بالقتلى الذين كان قتلهم فالقوا فوق المواشى فلما نظر جودرس الى الدم قد بلغ عسكره أرسل الى نبوزاذان أن ارفع القتل عنهم فقد انتقمت منهم بما صنعوا وهى الوقعة الاخيرة التى أنزل الله ببنى اسرائيل يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فحاسوا خلال الديار كان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا وعسى من الله حق وكانت الوقعة الاولى بحنصور وجنوده ثم رد الله سبحانه لهم الكرة ثم كانت الوقعة الاخيرة جودرس وجنوده وكانت أعظم الوقعتين فيها كان خراب بلادهم وقتل رجالهم وسبى ذراريهم ونسائهم يقول الله تعالى وليتبروا ما علوا تتبيرا وزعم بعض أهل العلم ان قتل يحيى كان أيام أردشير ابن بابك وقيل كان قتله قبل رفع المسيح عليه السلام بسنة ونصف والله أعلم

﴿ ذكر قتل زكريا ﴾

لما قتل يحيى وسمع أبوه بقتله فر هاربا فدخل بستانا عند بيت المقدس فيه أشجار فارسل الملك فى طلبه فمر زكريا بالشجرة فنادته هلم الى يانبى الله فلما أتاها انشقت فدخلها فالتبست عليه و بقى فى وسطها فاتى عدو الله ابليس فاخذ هدب ردائه فاخرجه من الشجرة ليصدقوه اذا أخبرهم ثم لقى الطلب فاخبرهم فقال لهم ماتريدون فقالوا نلتمس زكريا فقال انه سحر هذه الشجرة فانشقت له فدخلها فقالوا لا نصدقك قال فان لى علامة تصدقونى بها فاراهم طرف ردائه فاخذوا المنشار وقطعوا الشجرة باثنتين وشقوها بالمنشار فمات زكريا فسلط الله عليهم أخبث أهل الارض فانتقم به منهم وقيل ان السبب فى قتله ان ابليس جاء الى مجالس بنى اسرائيل فقذف زكريا بجريم

الماء ودب الحيوان و بقل العشب وخرق النسيم الهواء فأما أكثر الهند فانهم قالوا بكرور منصوبات على دوائر تتمدئ القوى متلاشية الشخص موجودة القوة منتصبة الذات وحدوا لذلك أجلا شربوه ووقتا نصبوه وجعلوا الدائرة العظمى والحادثة الكبرى ورسموا ذلك بعمر العالم وجعلوا المسافة بين البدء والانتهاء مدة ستة وثلاثين ألف سنة مكررة فى اثنى عشر ألف عام وهذا عندهم الهاز روان الضابط لقوى هذه الاشياء والمدبر لها وان لدوائر تقبض وتبسط جميع المعانى التى تستودعها وان الاعمار تطول فى أول الكر لانفساح الدوائر وتمكن القوى من المحال وتقصر الاعمار فى آخر الكر لضيق الدائرة وكثرة مايعرض فيها من الاكدار البائرة للاعمار وذلك أن قوى الاجسام وصفوها فى أول الكر يظهر و يسرح وان الصفو سابق الكدر والصافى يبادر العقل والاعمار تطول بحسب صفاء المزاج وتكامل القوى المدبرة لعناصر اخلاط الكائنات الفاسدات المستحيلات البائدات وان آخر الكر الاعظم وغاية البدء الاكبر تظهر الصور

منسوبة والنفوس صعيفة
والامزجة مختلطة وتتناقض
القوى وتبيد المواضل وترد
المواد فى الدوائر منعكسة
مزدحمة فلا تخطئ ذوى
الاعصار تمام الاعمار وللهند
فيما ذكرنا علل وبراهين فى
المبادى الاول وفيما بسطناه
من تفريقهم فى الدوائر
الهمازوايات ورموز
واسرار فى النفوس واتصالها
بما علا من العوالم وكيفية
بدئها من أعلى الى أسفل
وغير ذلك مما رتب لهم
البرهمن فى بده الزمان وكان
ملك البرهمن الى ان هلك
ثلثمائة سنة وستين سنة وولده
يعرفون بالبراهمة الى وقتنا
والهند تعظمهم وهم أعلى
أجناسهم وأشرفهم ولا
يقتنون بشئ من الحيوان
وفى رقاب الرجال والنساء
منهم خيوط صغر يتقلدون
بها كحمائل السيوف فرقا
بينهم وبين غيرهم من
أنواع الهند وقد كان اجتمع
منهم فى قديم الزمان فى
ملك البرهمن سبعة من حكمائهم
المنظور اليهم فى بيت الذهب
فقال بعضهم لبعض اجلسوا
حتى نتناظر فننظر ماقصة
العالم وماسره ومن أين
أقبلنا والى أين نمر وهل
خروجنا من عدم الى وجود
حكمة أوضد ذلك وهل خالقنا

وقال لهم ما أحبلها غيره وهو الذى كان يدخل عليها فطلبوه فهرب وذكر من دخوله الشجرة نحو ما تقدم

﴿ذكر ولادة المسيح عليه السلام ونبوته الى آخر أمره﴾

كانت ولادة المسيح أيام ملوك الطوائف قالت المجوس كان ذلك بعد خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل وبعد احدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين وقالت النصارى ان ولادته كانت لمضى ثلثمائة وثلاث وستين سنة من وقت غلبة الاسكندر على أرض بابل وزعموا ان مولد يحيى كان قبل مولد المسيح بستة اشهر وان مريم عليها السلام حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وقيل خمس عشرة وقيل عشرين وأن عيسى عاش الى ان رفع اثنتين وثلاثين سنة وأياما وان مريم عاشت بعده ست سنين فكان جميع عمرها احدى وخمسين سنة وان يحيى قتل قبل ان يرفع المسيح وأتت المسيح النبوة والرسالة وعمره ثلاثون سنة وقد ذكرنا حال مريم فى خدمة الكنيسة وكانت هى وابن عمها يوسف بن يعقوب بن ماثان النجار يليان خدمة الكنيسة وكان يوسف حكيما نجارا يعمل بيديه ويتصدق بذلك وقالت النصارى ان مريم كان قد تزوجها يوسف ابن عمها الا انه لم يقربها الا بعد رفع المسيح والله أعلم وكانت مريم اذا نفد ماؤها وماء يوسف ابن عمها أخذ كل واحد منهما قلته وانطلق الى المغارة التى فيها الماء يستعذبان منه ثم يرجعان الى الكنيسة فلما كان اليوم الذى لقيها فيه جبرائيل نفد ماؤها فقالت ليوسف ليذهب معها الى الماء فقال عندى من الماء ما يكفينى الى غد فاخذت قلتها وانطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت جبرائيل قد مثل الله لها بشرا سويا فقال لها يا مريم ان الله قد بعثنى اليك لاهب لك غلاما زكيا قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا أى مطيعا لله وقيل هو اسم رجل بعينه وتحسبه رجلا قال انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا أى زانية قال كذلك قال ربك الى قوله أمرا مقضيا فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ فى جيب درعها ثم انصرف عنها وقد حملت بالمسيح وملأت قلتها وعادت وكان لا يعلم فى أهل زمانها أعبد منها ومن ابن عمها يوسف النجار وكان معها وهو أول من أنكر حملها فلما رأى الذى بها استعظمه ولم يدر على ماذا يضع ذلك منها فاذا أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وانها لم تغب عنه ساعة قط واذا أراد أن يبرئها رأى الذى بها فلما اشتد ذلك عليه كلمها فكان أول كلامه لها ان قال لها انه قد وقع من أمرك شئ قد حرصت على ان امنعه وأكتمه فغلبنى فقالت قل قولا جميلا فقال حدثينى هل ينبت زرع بغير بذر قالت نعم قال فهل ينبت شجر بغير غيث يصيبه قالت نعم قال فهل يكون ولد بغير ذكر قالت له نعم ألم تعلم ان الله انبت الزرع يوم خلقه بغير بذر ألم تعلم ان الله خلق الشجر من غير مطر وانه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كل واحدة منهما وحده أو تقول لن يقدر الله على ان ينبت حتى يستعين بالبذر والمطر قال يوسف لا أقول هكذا ولكنى أقول ان الله يقدر على ما يشاء انما يقول لذلك كن فيكون قالت له ألم تعلم ان الله خلق آدم وحواء من غير ذكر ولا أنثى قال بلى فلما قالت له ذلك وقع فى نفسه ان الذى بها شئ من الله لا يسعه ان يسألها عنه لما رأى من كتمانها له وقيل انها خرجت الى جانب الحجرات لحيض أصابها فاتخذت من دونهم حجابا من الجدران فلما طهرت اذا برجل معها وذكر الآيات فلما حملت أتتها خالتها امرأة زكريا ليلة تزورها فلما فتحت لها الباب التزمتها فقالت امرأة زكريا انى حبلى فقالت لها مريم وأنا أيضا حبلى قالت امرأة زكريا فانى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك وولدت امرأة زكريا يحيى وقد

اختلف

اختلف فى مدة حملها فقيل تسعة اشهر وهو قول النصارى وقيل ثمانية أشهر فكان ذلك آية أخرى لانه لم يعش مولود لثمانية أشهر غيره وقيل ستة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة وهو أشبه بظاهر القرآن العزيز لقوله تعالى فحملته فانتبذت به مكانا قصيا عقيبه بالفاء فلما أحست مريم خرجت الى جانب المحراب الشرقى فاتت اقصاه فجاءها المخاض الى جذع النخلة فقالت وهى تطلق من الحبل استحياء من الناس يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا يعنى نسى ذكرى وأثرى فلا يرى لى أثر ولا عين قالت مريم كنت اذا خلوت حدثنى عيسى وحدثته فاذا كان عندنا انسان سمعت تسبيحه فى بطنى فناداها جبرائيل من تحتها أى من أسفل الجبل لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهو النهر الصغير اجراه تحتها فمن قرأ من تحتها بكسر الميم جعل المنادى جبرائيل ومن فتحها قال انه عيسى انطقه الله وهزى اليك بجذع النخلة كان جذعا مقطوعا فهزته فاذا هو نخلة وقيل كان مقطوعا فلما اجهدها الطلق احتضنته فاستقام واخضر وأرطب فقيل لها وهزى اليك بجذع النخلة فهزته فتساقط الرطب فقال لها كلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا وكان من صام فى ذلك الزمان لا يتكلم حتى يمسى فلما ولدته ذهب ابليس فاخبر بنى اسرائيل ان مريم قد ولدت فاقبلوا يشتدون بدعوتها فاتت به قومها تحمله وقيل ان يوسف النجار تركها فى مغارة أربعين يوما ثم جاء بها الى أهلها فلما رأوها قالوا لها يا مريم لقد جئت شيأ فريا يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا فاين لك أنت وكانت من نسل هرون أخى موسى كذا قيل قلت انها ليست من نسل هرون انما هى من سبط يهودا بن يعقوب من نسل سليمان بن داود وانما كانوا يدعون بالصالحين وهرون من ولد لاوى بن يعقوب قالت لهم ما أمرها الله به بعد ذلك فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام أشارت اليه فغضبوا وقالوا السخرية بنا اشد علينا من زناها قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا فتكلم عيسى فقال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا فكان أول ما تكلم به العبودية ليكون ابلغ فى الحجة على من يعتقد أنه اله وكان قومها قد اخذوا الحجارة ليرجموها فلما تكلم ابنها تركوها ثم لم يتكلم بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان وقال بنو اسرائيل ما احبها لغير زكريا فانه هو الذى كان يدخل عليها ويخرج من عندها فطلبوه ليقتلوه ففر منهم ثم ادركوه فقتلوه وقيل فى سبب قتله غير ذلك وقد تقدم ذكره وقيل انه لما دنا نفاسها اوحى الله اليها ان اخرجى من ارض قومك فانهم ان ظفروا بك عيروك وقتلوك وولدك فاحتملها يوسف النجار وسار بها الى ارض مصر فلما وصلا الى تخوم مصر ادركها المخاض فلما وضعت وهى محزونة قيل لها لا تحزنى الآية الى انسيا فكان الرطب يتساقط عليها وذلك فى الشتاء واصبحت الاصنام منكوسة على رؤسها وفزعت الشياطين فجاؤا الى ابليس فلما رأى جماعتهم سألهم فاخبروه فقال قد حدث فى الارض حادث فطار عند ذلك وغاب عنهم فمر بالمكان الذى ولدت فيه عيسى فرأى الملائكة محدقين به فعلم ان الحدث فيه ولم تمكنه الملائكة من الدنو من عيسى فعاد الى اصحابه واعلمهم بذلك وقال لهم ما ولدت امرأة الا وانا حاضر وانى لارجو ان أضل به أكثر ممن يهتدى واحتملته مريم الى ارض مصر فمكث اثنتى عشرة سنة تكتمه من الناس فكانت تلتقط السنبل والمهد فى منكبيها قلت والقول الاول فى ولادته بارض قومها للقرآن أصح لقول الله تعالى فاتت به قومها تحمله وقوله كيف نكلم من كان فى المهد صبيا وقيل ان مريم حملت المسيح الى مصر بعد ولادته ومعها يوسف النجار وهى الربوة التى ذكرها الله تعالى وقيل الربوة

المخترع لنا والمنشئ لاجسامنا يجتلب بخلقنا منفعة أم هل يدفع بفنائنا عن هذه الدار عن نفسه مضرة أم هل يدخل عليه من الحاجة والنقص ما يدخل علينا أم هل هو غنى من كل وجه عن ابقائه اياتا واعدامنا بعد وجودنا وآلامنا وملاذنا فقال الحكيم المنظور اليه منهم أترى أحدا من الناس أدرك الاشياء الحاضرة والغائبة على حقيقة الادراك فظفر بالبغية واستراح الى الثقة قال الحكيم الثانى لو تناهت حكمة البارئ عز وجل فى أحد العقول كان ذلك نقصا من حكمته وكان الغرض غير مدرك وكان التقصير مانعا من الادراك قال الحكيم الثالث الواجب علينا ان نبتدئ بمعرفة أنفسنا التى هى أقرب الاشياء منا ونحن أولى بها وهى أولى بنا من قبل ان نتفرغ الى علم ما بعد منا قال الحكيم الرابع لو شاء وقوع أمر وقع وقوعا احتاج فيه بنفسه قال الحكيم الخامس من ههنا وجب الاتصال بالعلماء الممدودين بالحكمة قال الحكيم السادس الواجب على المرء المحب لسعادة نفسه ان

دمشق وقيل بيت المقدس وقيل غير ذلك فكان سبب ذلك الخوف من ملك بني اسرائيل وكان من الروم واسمه هيردوس فان اليهود أغروه بقتله فسار والى مصر وأقاموا بها اثنتي عشرة سنة الى ان مات ذلك الملك وعادوا الى الشام وقيل ان هيردوس لم يرد قتله ولم يسمع به الا بعد رفعه وانما خافوا اليهود عليه والله أعلم

﴿(ذكر نبوة المسيح وبعض معجزاته)﴾

لما كانت مريم بمصر نزلت على دهقان وكانت داره يأوي اليها الفقراء والمساكين فسرق له مال فلم يتهم المساكين فحزنت مريم فلما رأى عيسى حزن امه قال أتريدين ان أدله على ماله قالت نعم قال انه أخذه الاعمى والمقعد اشتركا فيه حمل الاعمى المقعد فاخذه فقيل للاعمى ليحمل المقعد فاظهر العجز فقال له المسيح كيف قويت على حمله البارحة لما أخذتما المال فاعترفا واعاداه ونزل بالدهقان اضياف ولم يكن عنده شراب فاهتم لذلك فلما رآه عيسى دخل بيت الدهقان فيه صفان من جرار فأمر عيسى بيده على أفواهها وهو يمشي فامتلأت شرابا وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة وكان في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع أهلوهم وبما كانوا يأكلون قال وهب بينما عيسى يلعب مع الصبيان اذ وثب غلام على صبي فضربه على رجله فقتله فألقاه بين رجلي المسيح متلطخا بالدم فانطلقوا به الى الحاكم في ذلك البلد فقالوا قتل صبيا فسأله الحاكم فقال ما قتلته فأرادوا أن يبطشوا به فقال ائتوني بالصبي حتى أسأله من قتله فتعجبوا من قوله واحضروا عنده القتيل فدعا الله وأحياه فقال من قتلك فقال فلان يعني الذي قتله فقال بنو اسرائيل للقتيل من هذا قال هذا عيسى بن مريم ثم مات الغلام من ساعته وقال عطاء سلمت مريم عيسى الى صباغ يتعلم عنده فاجتمع عند الصباغ ثياب وعرض له حاجة فقال للمسيح هذه ثياب مختلفة الالوان وقد جعلت في كل ثوب منها خيطا على اللون الذي يصبغ به فاصبغها حتى أعود من حاجتي هذه فاخذها المسيح وألقاها في حب واحد فلما عاد الصباغ سأله عن الثياب فقال صبغتها فقال أين هي قال في هذا الحب قال كلها قال نعم قال لقد أفسدتها على اصحابها وتغيظ عليه فقال له المسيح لا تعجل وانظر اليها وقام وأخرجها كل ثوب منها على اللون الذي أراد صاحبه فتعجب الصباغ منه وعلم ان ذلك من الله تعالى ولما عاد عيسى وأمه الى الشام نزلوا بقرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى فأقام الى ان بلغ ثلاثين سنة فاوحى الله اليه ان يبرز للناس ويدعوهم الى الله تعالى ويداوي المرضى والزمنى والاكمه والابرص وغيرهم من المرضى ففعل ما أمر به واحبه الناس وكثر اتباعه وعلا ذكره وحضر يوما طعام بعض الملوك وكان دعا الناس اليه فقعد على قصعة يأكل منها ولا تنقص فقال الملك من انت قال أنا عيسى بن مريم فنزل الملك عن ما[illegible]ه واتبعه في نفر من اصحابه فكانوا الحواريين وقيل ان الحواريين هم الصباغ الذي تقدم ذكره وأصحاب له وقيل كانوا صيادين وقيل قصارين وقيل ملاحين والله أعلم وكانت عدتهم اثني عشر رجلا وكانوا اذا جاعوا أو عطشوا قالوا يا روح الله قد جعنا وعطشنا فيضرب يده الى الارض فيخرج لكل انسان منهم رغيفان وما يشربون فقالوا لمن أفضل منا اذ اشتنا أطعمتنا وسقيتنا فقال أفضل منكم من يأكل من كسب يده فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة ولما أرسله الله أظهر من المعجزات أنه صور من الطين صورة طائر ثم نفخ فيه فيصير طائرا باذن الله قيل هو الخفاش وكان غالب على زمانه الطب فاتاهم بما أبرأ الاكمه والابرص وأحيا الموتى بتجهيزالهم فمن أحياه عازر وكان صديقا لعيسى فمرض فارسلت أخته الى عيسى ان عازر يموت فسار اليه وبينهما ثلاثة أيام فوصل اليه وقد مات منذ ثلاثة أيام فاتى

لا يغفل عن ذلك لا سيما اذا كان المقام في هذه الدنيا ممتنعا والخروج منها واجبا قال الحكيم السابع أنا لا أدري ما تقولون غير اني أحرجت الى هذه الدنيا مضطرا وعشت فيها حائرا وأخرج منها مكرها فاختلف الهند ممن سلف وخلف في آرائهم هؤلاء السبعة وكل قد اقتدى بهم وعم مذهبهم ثم تفرعوا بعد ذلك في مذاهبهم وتنازعوا في آرائهم والذي وقع عليه الحصر من طوائفهم سبعون فرقة (قال المسعودي) وقد رأيت أبا القاسم البلخي ذكر في كتاب عيون المسائل والجوابات وكذلك الحسن بن موسى النوبختي في كتابه المترجم بالآراء والديانات مذاهب الهند وآراءهم والعلة التي من أجلها أحرقوا أنفسهم في النيران وقطعوا أجسامهم بأنواع العذاب فما تعرضا لشيء مما ذكرنا ولا سيما نحو ما وصفنا وقد تنوزع في البرهمن فمنهم من زعم انه آدم عليه السلام وانه رسول الله عز وجل الى الهند ومنهم من يقول انه كان ملكا على حسب ما ذكرنا وهذا أشهر ولما هلك البرهمن جزعت عليه الهند جزعا شديدا وفزعت

قبره فدعا له فعاش و بقي حتى ولد له وأحيا امرأته وعاشت وولد لها وأحيا سام بن نوح كان يوما مع الحواريين يذكر نوحا والغرق والسفينة فقالوا لو بعثت لنا من شهد ذلك فأتى تلا وقال هذا قبر سام ابن نوح ثم دعا الله فعاش وقال قد قامت القيامة فقال المسيح لا ولكن دعوت الله فأحياك فسألوه فأخبرهم ثم دعا ميتا وأحيا عزيرا النبي قال له بنو اسرائيل أحي لنا عزيرا والا أحرقناك فدعا الله فعاش فقالوا ما تشهد لهذا الرجل قال أشهد انه عبد الله ورسوله وأحيا يحيى بن زكريا وأحيا غير من ذكرناه وكان يمشي على الماء

﴿ذكر نزول المائدة﴾

وكان من المعجزات العظيمة نزول المائدة وسبب ذلك ان الحواريين قالوا له يا عيسى هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء فدعا عيسى فقال اللهم أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا فانزل الله المائدة عليها خبز ولحم يأكلون منها ولا تنفد فقال لهم انها مقيمة ما لم تدخروا منها فمضى يومهم حتى ادخروا وقيل أقبلت الملائكة تحمل المائدة عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات حتى وضعوها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وقيل كان عليها من ثمار الجنة وقيل كانت تعد بكل طعام الا اللحم وقيل كانت سمكة فيها طعم كل شيء فلما أكلوا منها وهم خمسة آلاف وزادت حتى بلغ الطعام ركبهم قالوا نشهد أنك رسول الله ثم تفرقوا فتحدثوا بذلك فكذب به من لم يشهده وقالوا سحر أعينكم فافتتن بعضهم وكفر فمسخوا خنازير ليس فيهم امرأة ولا صبي فبقوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا وقيل كانت المائدة سفرة حمراء تحتها غمامة وفوقها غمامة وهم ينظرون اليها تنزل حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة ولا عقوبة واليهود ينظرون الى شيء لم يروا مثله ولم يجدوا ريحا أطيب من ريحها فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الجنة فقال المسيح لا من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة انما هو شيء خلقه الله بقدرته فقال لهم كلوا مما سألتم فقالوا له كل أنت يا روح الله فقال معاذ الله أن آكل منها فلم يأكل ولم يأكلوا منها فدعا المرضى والزمنى والفقراء فأكلوا منها وهم ألف وثلثمائة فشبعوا وهي بحالها لم تنقص فصح المرضى والزمنى واستغنى الفقراء ثم صعدت وهم ينظرون اليها حتى توارت وندم الحواريون حيث لم يأكلوا منها وقيل انها نزلت أربعين يوما كانت تنزل يوما وتنقطع يوما وأمر الله عيسى أن يدعو اليها الفقراء دون الاغنياء ففعل ذلك فاشتد على الاغنياء وحسدوا نزولها وشكوا في ذلك وشككوا غيرهم فيها فاوحى الله الى عيسى اني شرطت ان أعذب المكذبين عذابا لا أعذب به أحدا من العالمين فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثة وثلاثين رجلا فاصبحوا خنازير فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى وبكوا وبكى عيسى على الممسوخين فلما أبصرت الخنازير عيسى بكوا وطافوا به وهو يدعوهم بأسمائهم ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا

﴿ذكر رفع المسيح الى السماء ونزوله الى امه وعوده الى السماء﴾

قيل ان عيسى استقبله ناس من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة وقذفوه وامه فسمع ذلك ودعا عليهم فاستجاب الله دعاءه ومسخهم خنازير فلما رأى ذلك رأس بني اسرائيل فزع وخاف وجمع كلمة اليهود على قتله فاجتمعوا عليه فسألوه فقال يا معشر اليهود ان الله يبغضكم فغضبوا من مقالته وثاروا اليه ليقتلوه فبعث اليه جبريل

الى نصب ملك عليها من أكبر ولده فكان ولي عهده الموسى له من ولده ابنه (الناهود) فسار فيهم سيرة أبيه وأحسن النظر اليهم وزاد في بناء الهياكل وقدم الحكماء وزاد في مراتبهم وحثهم على تعليم الناس الحكمة وبعثهم على طلبها فكان ملكه الى ان هلك مائة سنة وفي أيامه عمل النرد وأحدث اللعب بها وجعل ذلك مثلا للمكاسب وأنها لا تنال بالكسب ولا بالحيل في هذه الدنيا وأن الرزق لا يأتي فيها بالحذق وقد ذكر ان أردشير ابن بابك أول من صنع النرد ولعب بها وأرى تقلب الدنيا باهلها واختلاف أمورها وجعل بيوتها اثني عشر بيتا بعدد الشهور وجعل كل بيت ثلاثين بعدد أيام الشهر وجعل القصير مثلا للقدر ومثله بأهل الدنيا وان الانسان يلعب فيبلغ باسماء القدر اياه بما في مراده باللعب بها ومراده ان الحازم الفطن لا يتأتى له ما تأتى لغيره الا اذا أسعده القدر وان الارزاق والحظوظ في هذه الدنيا لا تنال الا بالجدود ثم ملك (دامان) بعد الناهود فكان ملكه نحوا من خمسين ومائة سنة ولدامان سير

فأدخله فى خوخة الى بيت فيها روزنة فى سقفها فرفعه الى السماء من تلك الروزنة فأمر رأس اليهود رجلا من أصحابه اسمه نطليانوس ان يدخل اليه فيقتله فدخل فلم ير أحدا وألقى الله عليه شبه المسيح فخرج اليهم فظنوه عيسى فقتلوه وصلبوه وقيل ان عيسى قال لاصحابه أيكم يحب ان يلقى عليه شبهى وهو مقتول فقال رجل منهم أنا يا روح الله فالقى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل ان الذى شبه بعيسى وصلب رجل اسرائيلى اسمه يوشع أيضا وقيل لما أعلم الله المسيح انه خارج من الدنيا جزع من الموت فدعا الحواريين فصنع لهم طعاما فقال احضروا فى الليلة فان لى اليكم حاجة فلما اجتمعوا عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا أخذ يغسل أيديهم بيده ويمسحها بثيابه فتعاظموا ذلك وكرهوه فقال من يرد على الليلة شيأ مما أصنع فليس منى فاقروه حتى فرغ من ذلك ثم قال اما ما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدى فليكن بى اسوة فلا يتعاظم بعضكم على بعض واما حاجتى التى أستعينكم عليها فتدعون الله لى وتجتهدون فى الدعاء ان يؤخر أجلى فلما نصبوا أنفسهم للدعاء أخذهم النوم حتى ما يستطيعون الدعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله ما تصبرون لى ليلة قالوا والله ما ندرى ما لنا لقد كنا نسمر فنكثر السمر وما نقدر عليه الليلة وكلما يريد الدعاء حيل بيننا وبينه فقال يذهب بالراعى ويفترق الغنم وجعل ينعى نفسه ثم قال ليكفرن بى أحدكم قبل ان يصبح الديك ثلاث مرات وليبيعنى أحدكم بدارهم يسيرة وليأكلن ثمنى ثم خرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأخذوا يسمعون أحد الحواريين وقالوا هذا صاحبه واختلف العلماء فى موته قبل رفعه الى السماء فقيل رفع ولم يمت وقيل توفاه الله ثلاث ساعات ثم أحياه ورفعه ولما رفع الى السماء قال الله له انزل فلما قالوا لتسمعون عن المسيح أحدا وقال ما أنا صاحبه فتركوه وفعلوا ذلك ثلاثا فلما سمع صياح الديك بكى وأحزنه ذلك وأتى أحد الحواريين الى اليهود فدلهم على المسيح وأعطوه ثلاثين درهما فأتى معهم الى البيت الذى فيه المسيح فدخله فرفع الله المسيح وألقى شبهه على الذى دلهم عليه فأخذوه وأوثقوه وقادوه وهم يقولون له أنت كنت تحيى الموتى وتفعل كذا وكذا فهلا تنجى نفسك وهو يقول أنا الذى دللتكم عليه فلم يصغوا الى قوله وصلبوه الى الخشبة وصلبوه عليها وقيل ان اليهود لما دلهم عليه الحوارى اتبعوه وأخذوه من البيت الذى كان فيه ليصلبوه فاظلمت الارض وأرسل الله ملائكة فحالوا بينهم وبينه وألقى شبه المسيح على الذى دلهم عليه فأخذوه ليصلبوه فقال أنا الذى دللتكم عليه فلم يلتفتوا اليه فقتلوه وصلبوه عليها ورفع الله المسيح اليه بعد ان توفاه ثلاث ساعات وقيل سبع ساعات ثم أحياه ورفعه ثم قال له انزل الى مريم فانه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن أحد حزنها فنزل عليها بعد سبعة أيام فاشتعل الجبل حين هبط نورا وهى عند المصلوب تبكى ومعها امرأة كان أبرأها من الجنون وقال ما شأنكما تبكيان قالتا عليك قال انى رفعنى الله اليه ولم يصبنى الا خير وان هذا الذى شبه لهم وأمرها فجمعت له الحواريين فبثهم فى الارض رسلا عن الله وأمرهم ان يبلغوا عنه ما أمره الله به ثم رفعه الله اليه وكساه الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم فصار انسيا ملكيا سماويا أرضيا فتفرق الحواريون حيث أمرهم فتلك الليلة التى أهبطه الله فيها هى التى تدخن فيها النصارى وتعدى اليهود على بقية الحواريين يعذبونهم ويشتمونهم فسمع بذلك ملك الروم واسمه هيردوس وكانوا تحت يده وكان صاحب وثن فقيل له ان رجلا كان فى بنى اسرائيل وكان يفعل الآيات من احياء الموتى وخلق الطير من الطين والاخبار عن الغيوب فعدوا عليه فقتلوه وكان يخبرهم انه رسول الله فقال الملك ويحكم ما منعكم ان تذكروا

اخبار وحروب مع ملوك فارس وملوك الصين قد أتينا على الغرر منها فيما سلف من كتبنا ثم ملك (فور) وهو الذى واقعه الاسكندر فقتله الاسكندر مبارزة وكان ملك فور الى ان هلك أربعين ومائة سنة ثم ملك بعده (دستم) وهو الواضع كتاب كليلة ودمنة الذى ينسب لابن المقفع وقد صنف سهل بن هرون الكاتب لامير المؤمنين المأمون كتابا ترجمه بقلة وعفرة يعارض به كتاب كليلة ودمنة فى أبوابه وامثاله يريد عليه فى حسن نظمه وكان ملكه مائة وعشرين سنة وقيل غير ذلك ثم ملك بعده (بلهيت) وصنعت فى أيامه الشطرنج فقضى بلعبها على النرد وبين الظفر الذى ينال الحازم والبلية التى تلحق الجاهل وحسب حسابهما ورتب لذلك كتابا للهند يعرف بطرق حكما يتداولونه بينهم ولعب بالشطرنج مع حكمائه وجعلها مصورة فمثيل مشكاة على صور الناطقين وغيرهم من الحيوان مما ليس بناطق وجعلهم درجات فى مراتب ومثل الشاه بالمدبر الرئيس وكذلك من يليه من القطائع وأقام ذلك مثالا للاجساد العلوية

هذا من أمره فوالله لو علمت ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من أيدى اليهود وسألهم عن دين عيسى فاخبروه وتابعهم على دينهم واستنزل المصلوب الذى شبه لهم فغيبه وأخذ الخشبة التى صلب عليها فاكرمها وصانها وعدا على بنى اسرائيل فقتل منهم قتلى كثيرة فمن هنالك كان أصل النصرانية فى الروم وقيل كان هذا الملك هيرودوس ينوب عن ملك الروم الاعظم الملقب قيصر واسمه طيبار يوس وكان هذا أيضا يسمى ملكا وكان ملك طيبار يوس ثلاثا وعشرين سنة منها الى ارتفاع المسيح ثمانى عشرة سنة وأياما

﴿(ذكر من ملك من الروم بعد رفع المسيح الى عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم)﴾

زعموا ان ملك الشام جميعه صار بعد طيبار يوس الى ولده جايوس وكان ملكه أربع سنين ثم ملك بعده ابن له آخر اسمه قلوديوس أربع عشرة سنة ثم ملك بعده نيرون الذى قتل بطرس وبولس فصلبهما منكسين أربع عشرة سنة ثم ملك بعده بوطلايس أربعة أشهر ثم ملك اسفسيانوس وهذا الذى وجه ابنه طيطوس الى البيت المقدس فهدمه وقتل من بنى اسرائيل غضبا للمسيح ثم ملك ابنه طيطوس ثم ملك أخوه دوميطيانوس ست عشرة سنة ثم ملك بعده نار واس ست سنين ثم ملك من بعده طرايانوس تسع عشرة سنة ثم ملك بعده هدريانوس احدى وعشرين سنة ثم ملك من بعده انطونينوس بن بطيانوس اثنتين وعشرين سنة ثم ملك مرقوس وأولاده تسع عشرة سنة ثم ملك بعده قوموذوس ثلاث عشرة سنة ثم ملك من بعده فرطيناجوس ستة أشهر ثم ملك بعده سيواروس أربع عشرة سنة ثم ملك بعده انطينانوس سبع سنين ثم ملك من بعده مرقيانوس ست سنين ثم ملك من بعده انطينانوس أربع سنين وفى ملكه مات جالينوس الطبيب ثم ملك اخسندروس ثلاث عشرة سنة ثم ملك مكسيمانوس ثلاث سنين ثم ملك جورديانوس ست سنين ثم فيلفوس سبع سنين ثم ملك داقيوس ست سنين ثم ملك قالوس ست سنين ثم ملك والريانوس وقالينوس خمس عشرة سنة ثم ملك قلوديوس سنة ثم ملك قريطاليوس شهرين ثم ملك أورليانوس خمس سنين ثم ملك طيقطوس ستة أشهر ثم ملك فولورنوس خمسة وعشرين يوما ثم ملك فرويوس ست سنين ثم دقلطيانوس ست سنين ثم ملك مخسيميانوس عشرين سنة ثم قسطنطين ثلاثين سنة ثم ملك بليانوس سنتين ثم ملك يوليانوس سنة ثم ملك والنطيانوس وغرطيانوس عشر سنين ثم ملك خرطيانوس ووالنطيانوس الصغير سنة ثم ملك تيداسيس الاكبر سبع عشرة سنة ثم ارقاديوس وانوريوس عشرين سنة ثم ملك تيداسيس الاصغر ووالنطيانوس ست عشرة سنة ثم ملك مرقيانوس سبع سنين ثم ملك لاوست عشر سنين ثم ملك زانون ثمانى عشرة سنة ثم ملك انسطاس سبعا وعشرين سنة ثم ملك يوسطنيانوس تسع سنين ثم ملك يوسطنيانوس الشيخ عشرين سنة ثم ملك يوسطينس اثنتى عشرة سنة ثم ملك طيبار يوس ست سنين ثم مريقيش وتاداسيس ابنه عشرين سنة ثم ملك فوقا الذى قتل سبع سنين وستة أشهر ثم هرقل الذى كتب اليه النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين فخلدن عمر البيت المقدس بعد ان أخربه بختنصر الى الهجرة على قولهم ألف سنة ونيف ومن ملك الاسكندر اليها تسعمائة ونيف وعشرون سنة فمن ذلك من وقت ظهوره الى مولد عيسى عليه السلام ثمثمائة سنة وثلاث سنين ومن مولده الى ارتفاعه اثنتان وثلاثون سنة ومن وقت ارتفاعه الى الهجرة خمسمائة وخمس وثمانون سنة وأشهر هذا الذى ذكره أبو جعفر من عدد ملوك الروم وقد أخلى ذكرهم عن شئ من الحوادث التى كانت فى أيامهم وقد سطرها غيره من العلماء بالتاريخ وخالفه فى كثير منها ووافقه

التى هى الاجسام السماوية من السبعة والاثنى عشر وافرد كل قطعة منها بكوكب وجعلها ضابطة للملكة واذا كان عدو من اعدائه فوقعت منه حيلة فى الحروب نظروا من أين يؤتون فى عاجل وآجل وللهند فى لعب الشطرنج سر يسرونه فى تصاعيف حسابها ويتعلقون بذلك الى ما علا من الافلاك وما اليه منتهى العلة الاولى وأعداد أصناف الشطرنج ثمانية عشر ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف وسبعمائة وأربعون ألف ألف ألف ألف ألف ألف وتسعة آلاف ألف ألف ألف وخمسمائة ألف ألف ألف واحد وخمسون ألف ألف وستمائة وخمسة عشر ألفا ومراتب هذه الالوف الستة لاولى ثم الخمسة التى هى ألف ألف خمس مرات ثم الاربع ثم الثلاث ثم الاثنتين ثم الواحدة لها عندهم معان يذكرونها فى الدهور والاعصار وما تقتضيه سائر المؤثرات العلوية فى هذا العالم لارتباط نفوس الناطقين بها والليونانيين والروم وغيرهم من الامم فى الشطرنج كلام ونوع من اللعب بها قد ذكر ذلك الشطرنجيون فى كتبهم ممن تقدم منهم الى الصولى

والعدل واليهما كان انتهاء اللعب بالشطرنج في هذا العصر وكان ملك بلويت ملك الهند الى ان هلك ثمانين سنة وفي بعض النسخ انه ملك ثلاثين ومائة سنة ثم ملك بعده كورس فاحدث للهند آراء في الديانات على حسب ما رأى من صلاح الوقت وما يحتمله من التكليف أهل العصر وخرج عن مذاهب من سلف وكان في مملكته وعصره سندباد دوّن له كتاب الوزراء السبعة والمعلم وامرأة الملك وهو الكتاب المترجم بالسندباد وعمل في حرانة هذا الملك الكتاب الاعظم في معرفة العلل والادواء والعلاجات وشكلت الحشائش وصورت وكان مدة ملك الهند هذا الى ان مات عشرين ومائة سنة وبهلاك هذا الملك اختلفت الهند في آرائها فتحربت الاحزاب وتجيلت الاجيال وانفرد كل رئيس بناحية فملك على أرض السند ملك وملك على أرض القنوج ملك وتملك على أرض قشمير ملك وتملك على مدينة الماملير وهي الحوزة الكبرى ملك يسمى بالبلهرا وهذا أول ملك سمي من ملوكهم بالبلهرا فصارت سمة لمن ادخر من الملوك

في الباقي مع مخالفة الاسم وأضاف الى أسمائهم ذكر شيء من الحوادث في أيامهم وانا اذكره مختصرا ان شاء الله

﴿ ذكر ملوك الروم وهم ثلاث طبقات فالطبقة الاولى الصابئون ﴾

ذكر غير واحد من علماء التاريخ ان الروم غلبت اليونان وهم ولد صوفير والاسرائيليون يدعون ان صوفير هو الاصغر بن نفر بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانوا ينزلون رومية قبل غلبتهم على اليونان وكانوا يدينون قبل النصرانية بمذهب الصابئين ولهم أصنام يعبدونها على عادة الصابئين فكان أول ملوكهم برومية غاليوس وكان ملكه ثماني عشرة سنة وقيل كان ملك قبله روملس وارماوس وهما بنياها واليهما نسبت وأضيف الروم اليهما وانما غاليوس أول من يعد في التاريخ لشهرته ثم ملك بعده بوليوس أربع سنين وأربعة أشهر ثم ملك أوغسطس ومعناه الصباء وهو أول من سمي قيصر وتفسير ذلك انه شق عنه بطن أمه لانها ماتت وهي حامل به فأخرج من بطنها ثم صار ذلك لقبا لملوكهم وكان ملكه ستا وخمسين سنة وخمسة أشهر وأكثر المؤرخين يبتدؤن باسمه لانه أول من خرج من رومية وسير الجنود برا وبحرا وغزا اليونانيين واستولى على ملكهم وقتل قلوبطرة آخر ملوكهم واستولى على الاسكندرية ونقل مافيها الى رومية وملك الشام واضمحل ملك اليونانيين ودخلوا في الروم واستخلف على البيت المقدس هيرودوس بن انطيقوس ولاثنتين وأربعين سنة من ملكه كانت ولادة المسيح وهو الذي بنى قيصارية ثم ملك بعده طيبار يوس ثلاثا وعشرين سنة وهو الذي بنى مدينة طبرية فأضيفت اليه وغربها العرب وفي ملكه رفع المسيح عليه السلام وملك بعد رفعه ثلاث سنين ثم ملك بعده ابنه غايوس أربع سنين وهو الذي قتل اسطفنوس رئيس الشمامسة عند النصارى ويعقوب أخا وحنا بن زبدي وهما من الحواريين وقتل خلقا من النصارى وهو أول الملوك من عباد الاصنام قتل النصارى ثم ملك فلوديوس بن طيبار يوس أربع عشرة سنة وفي ملكه حبس شمعون الصفا ثم خلص شمعون من الحبس وسار الى انطاكية فدعا الى النصرانية ثم سار الى رومية فدعا أهلها ايضا فاجابته زوجة الملك وسارت الى البيت المقدس وأخرجت الخشبة التي تزعم النصارى ان المسيح صلب عليها وكانت في أيدي اليهود فاخذتها وردتها الى النصارى ثم ملك نيرون ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وفي آخر ملكه قتل بطرس وبولس بمدينة رومية وصلبهما منكسين وفي أيامه ظفرت اليهود بيعقوب بن يوسف وهو أول الاساقفة بالبيت المقدس فقتلوه وأخذوا خشبة الصليب فدفنوها وفي أيامه كان مارينوس الحكيم صاحب كتاب الجغرافيا في صورة الارض ثم ملك بعده غلباس سبعة أشهر ثم ملك اوثون ثلاثة أشهر ثم ملك بيطاليس احد عشر شهرا ثم ملك اسباسيانوس سبع سنين وسبعة أشهر وفي أيامه خالف أهل البيت المقدس قيصر فحصرهم وافتتح المدينة عنوة وقتل كثيرا من أهلها من اليهود والنصارى وهم الاذى في أيامه ثم ملك ابنه طيطوس سنتين وثلاثة أشهر وفي أيامه اظهر مرقيون مقالته بالاثنين وهما الخير والشر وبعد ثالث بينهما واليه ينسب المرقونية وهو من أهل حران ثم ملك ذومطيانس بن اسباسيانوس خمس عشرة سنة وعشرة أشهر ولتسع سنين من ملكه نفى يوحنا الحواري كاتب الانجيل الى جزيرة في البحر ثم رده ثم ملك نرواس سنة وخمسة أشهر ثم ملك طرايانوس تسع عشرة سنة وفي السادسة من ملكه نفى يوحنا كاتب الانجيل بمدينة افسوس ثم ملك ايليا اندريانوس عشرين سنة وقتل من اليهود والنصارى خلقا كثيرا لخلاف كان منهم عليه وأخرب البيت المقدس

وهو اخر خرابه فلما مضى من ملكه ثمان سنين عمره ايضا وسماه أيليا وبقى الاسم عليه فكان قبل ذلك يسمى اورشلم وأسكن المدينة جماعة من الروم واليونان وبنى هيكلا عظيما للزهرة وكان عالى البنيان فهدم من أعلاه كثير وهو باق الى يومنا هذا وهو سنة ثلاث وثمانمائة وقد رأيته وهو محكم البناء ولا أدرى كيف نسب الى داود وقد بنى بعده بدهر طويل على أنى سمعت بالبيت المقدس من جماعة يذكرون ان داود بناه وكان يتفرغ فيه لعبادته وفى أيام هذا الملك كان ساقيدس الفيلسوف الصامت ثم ملك انطنيس بيوس اثنتين وعشرين سنة وفى أيامه كان بطليموس صاحب المجسطى والجغرافيا وغيرهما وقيل انه من ولد قلوديوس ولهذا قيل له القلودى نسبة اليه وهو السادس من ملوك الروم ودليل كونه فى هذا الزمان وايس من ملوك اليونان انه ذكر فى كتاب المجسطى انه رصد الشمس بالاسكندرية سنة ثمانمائة وثمانين لبختنصر وكان من ملك بختنصر الى قتل دارا آخر بعمائة وتسع وعشرون سنة وثلثمائة وسنة عشر يوما ومن قتل دارا الى زوال ملك قلوبطرة الملكة آخر ملوك اليونان على يد أوغسطس مائتا سنة وست وثمانون سنة ومده غلبة أوغسطس الى انطنينوس مائة وسبع وسنون سنة فذملك بختنصر الى ادريانوس ثمانمائة وثلاث وثمانون سنة تقريبا وهذا موافق لما حكاه بطليموس قال ومن زعم انه ابن قلوبطرة آخر ملوك اليونانيين فقد أبطل ذكر هذا بعض العلماء بالتاريخ وعد ملوك اليونان وذكر مدة ملكهم على ما قال واما ابو جعفر الطبرى فانه ذكر فى مدة ملكهم مائتى سنة وسبعا وعشرين سنة على ما تقدم ذكره ثم ملك بعده مرقس ويسمى أورليوس تسع عشرة سنة وفى ملكه أظهر ابن ديصان مقالته وكان أسقفا بارها وهو من القائلين بالاثنين ونسب الى نهر على باب الرها يسمى ديصان وجد عليه معبودا وبنى على هذا النهر كنيسة ثم ملك قومودوس اثنتى عشرة سنة وفى أيامه كان جالينوس قد أدرك بطليموس القلودى وكان دين النصرانية قد ظهر فى أيامه وذكرهم فى كتابه فى جوامع كتاب افلاطون فى السياسة ثم ملك برطينقس ثلاثة أشهر ثم ملك يوليانوس شهرين ثم ملك سيوارس سبع عشرة سنة وشمل اليهود والنصارى فى أيامه القتل والتشريد وبنى بالاسكندرية هيكلا عظيما سماه هيكل الآلهة ثم ملك انطونيوس ست سنين ثم ملك مقرونيوس سنة وشهرين ثم ملك انطونيوس الثانى أربع سنين ثم ملك الاكصندروس ويلقب ماميا س ثلاث عشرة سنة ثم ملك مقسميانوس ثلاث سنين ثم ملك مقسموس ثلاثة أشهر ثم ملك غرديانوس ست سنين ثم ملك فيلبوس ست سنين وتنصر وترك دين الصابئين وتبعه كثير من أهل مملكته واختلفوا لذلك وكان فيمن حالفه بطريق يقال له داقيوس فقتل فيلبوس واستولى على الملك ثم ملك بعد فيلبس داقيوس سنتين وتتبع النصارى فهرب منه أصحاب الكهف الى غار فى جبل شرقى مدينة افسوس وقد خربت المدينة وكان لبثهم فيه مائة وخمسين سنة وهذا باطل لانه على هذا السياق من حين رفع المسيح الى الآن نحو مائتى سنة وخمس عشرة سنة وكان لبث أصحاب الكهف على ما نطق به القرآن المجيد ثلثمائة وسبع سنين وازدادوا تسعا فذلك خمسمائة سنة وأربع وعشرون سنة فعلى هذا يكون ظهورهم قبل الاسلام بنحو ستين سنة وقد ذكرنا أن من لدن ظهورهم الى الهجرة زيادة على مائتى سنة فهذه الجملة أكثر من الفترة بين المسيح والنبى عليهما الصلاة والسلام الا ان هذا الناقل قد ذكر ان غيبتهم كانت مائة وخمسين سنة على ما تراه مذكورا وفيه مخالفة للقرآن ولولا نص القرآن لكان استقام له ما يريد ثم ملك بعده غليوس سنتين وكان شريكه فى الملك يوليانوس ملك خمس عشرة سنة ثم ملك قلوديوس (٣) ثم ملك ابنه أورليانوس

لهذه الحوزة الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وأرض الهند أرض واسعة فى البر والبحر والجبال وملكهم متصل بملك الزابج وهى دار مملكة المهراج ملك الجزائر وهذه المملكة قد رين مملكة الهند والصين وتضاف الى الهند والهند متصلة مما يلى الجبال بأرض خراسان والسند الى أرض التبت وبين هذه الممالك تباين وحروب ولغاتهم مختلفة وآراؤهم غير متفقة والاكثر منهم يقول بالتناسخ وتنقل الارواح على حسب ما قدمناه آنفا والهند فى عقولهم وسياساتهم وحكمهم وألوانهم وصفاتهم وصحة امزجتهم وصناعاتهم ودقة نظرهم بخلاف سائر السودان من الزنج والدادم وسائر الاجناس وقد ذكر جالينوس فى الاسود عشر خصال اجتمعت فيه ولم توجد فى غيره تفلفل الشعر وخفة الحاجبين وانتشار المنخرين وغلظ الشفتين وتحديد الاسنان ونتن الجلد وسواد الحدق وتشقق اليدين والرجلين وطول الذكر وكثرة الطرب قال جالينوس وانما غلب على الاسود الطرب لفساد دماغه وضعف ذلك عنده وقد ذكر

ست سنين ثم ملك طافسطوس وأخوه فورس تسعة أشهر ثم بروبس تسع سنين ثم ملك قاروس سنتين وخمسة أشهر ثم ملك دقلطيانوس سبع عشرة سنة ثم ملك مقسيمانوس وشاركه مقسنطيوس ثم اقتتلا فاقتسما الملك فملك الاب على الشام و بلاد الجزيرة و بعض الروم وملك الابن رومية وما اتصل بها من أرض الفرنج وملكا تسع سنين وتملك معهما قسطنس أبو قسطنطين بلاد نوطيا وما يليها وهي نواحي القسطنطينية ولم تكن بنيت حينئذ ثم مات قسطنطس وملك بعده ابنه قسطنطين المعروف بامه هيلانا وهو الذي تنصر قال ومن أول ملوك الروم الى ههنا كانوا شبيهين بملوك الطوائف لا ينضبط عددهم وقد اختلف الناس فيهم كاختلافهم في ملوك الطوائف وانما الذي يعول عليه من قسطنطين الى هرقل الذي مات محمد صلى الله عليه وسلم في أيامه والله صدق قائل هذا فان فيه من الاختلاف والتناقض ما ذكرنا بعضه عند ذكر فيوس وأصحاب الكهف ولهذه العلة لم يذكر الطبري أصحاب الكهف في زمان أي الملوك كانوا وانما ذكرناهم نحن لما قاربوا أيام الملوك من الحوادث

﴿ الطبقة الثانية من ملوك الروم المتنصرة ﴾

ثم ملك قسطنطين المعروف بامه هيلانا في جميع بلاد الروم وجرى بينه و بين مقسيمانوس وابنه حروب كثيرة فلما تاستولى على الملك وتفرد به وكان ملكه ثلاثا وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وهو الذي تنصر من ملوك الروم وقاتل عليها حتى قبلها الناس ودانوا بها الى هذا الوقت وقد اختلفوا في سبب تنصره فقيل انه كان به برص وأراد وانزعه فاشار اليه بعض وزرائه ممن كان يكتم النصرانية باحداث دين يقاتل عليه ثم حسن له النصرانية يساعده من دان به ففعل ذلك فتبعه النصارى من الروم مع أصحابه وخاصته فقوى بهم وقهر من خالفه وقيل انه سير عساكر على أصنامهم فانهزمت العساكر وكان لهم سبعة أصنام على أسماء الكواكب السبعة على عادة الصابئين فقال له وزيره يكتم النصرانية في هذا وازرى بالاصنام وأشار عليه بالنصرانية فاجابه فظفر ودام ملكه وقيل غير ذلك وهو الذي بنى مدينة القسطنطينية لثلاث سنين خلت من ملكه بحكم الآن اختاره لحصانته وهي على الخليج الآخذ من البحر الاسود الى بحر الروم والمدينة على البر المتصل برومية و بلاد الفرنج والاندلس والروم تسميها استنبول يعني مدينة الملك ولعشرين سنة مضت من ملكه كان السنهودس الاول بمدينة نيقية من بلاد الروم ومعناه الاجتماع فيه ألفان وثمانية وأربعون أسقفا فاختار منهم ثلثمائة وثمانية عشر أسقفا متفقين غير مختلفين فحرموا له اريوس الاسكندراني الذي يضاف اليه الاريوسية من النصارى ووضع شرائع النصرانية بعد ان لم تكن وكان رئيس هذا الجمع بطرق الاسكندرية وفي السنة السابعة من ملكه صارت امه هيلانا الرهاوية كان أبوه سباها من الرها فاولدها هذا الملك فسارت الى البيت المقدس وأخرجت الخشبة التي تزعم النصارى أن المسيح صلب عليها وحملت ذلك اليوم عيدا فهو عيد الصليب و بنت الكنيسة المعروفة بقمامة وتسمى القيامة وهي الى وقتنا هذا يحجها أنواع النصارى وقيل كان مسيرها بعد ذلك لان ابنها دان بالنصرانية في قول بعضهم بعد عشرين سنة من ملكه وفي السنة الحادية والعشرين من ملكه طبق جميع ممالكه بالبيع هو وأمه معها كنيسة حمص وكنيسة الرها وهي من العجائب ثم ملك بعده قسطنطين انطاكية أربعا وعشرين سنة بعهد من أبيه اليه وسلم اليه القسطنطينية والى أخيه قسطنطس انطاكية والشام ومصر والجزيرة والى أخيه قسطوس رومية وما يليها من بلاد الفرنج والصقالبة وأخذ عليهما المواثيق

بالانقياد

جالينوس في طرب السودان وغلبة الفرح عليهم وما خص به الزنج دون سائر السودان في الاكثر من الطرب أمورا قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا ولقد كان طاوس اليماني صاحب عبد الله بن عباس لا يأكل من ذبيحة الزنجي و يقول انه عبد مشوه الخلقة و بلغنا ان أبا العباس الراضي بن المقتدر بالله كان لا يتناول شيأ من أسود و يقول انه عبد مشوه خلقه فلست أدري أقلد عاوسا في مذهبه أم لضرب من الآراء والنحل وقد صنف عمرو بن بحر الجاحظ كتابا في فخر السودان ومناظرتهم مع البيضان والهند لا تملك الملك عليها أحد حتى يبلغ من عمره أربعين سنة ولا تكاد ملوكهم تظهر لعوامهم الا في كل برهة من الزمان معلومة و يكون ظهورها في أمور الرعية لان في نظر العوام عند ها الى ملوكها خرقا لهيبتها واستخفافا بحقها والرياسات عندهؤلاء لا تجور الا بالخير ووضع الاشياء مواضعها من مراتب السياسة (قال المسعودي) ورأيت في بلاد السريديب وهي جزيرة من جزائر البحر ان الملك من ملوكهم اذا مات صير

بالانقياد لاخيهما قسطنطين ثم ملك بعده يوليانوس ابن أخيه سنتين وكان يدين بمذهب الصابئين ويخفي ذلك فلما ملك أظهرها وحرب البيع وقتل النصارى وهو الذي سار الى العراق أيام سابور بن أردشير فقتل بسهم غرب وقد ذكر أبو جعفر خبر هذا الملك مع سابور ذي الاكتاف وهو بعد سابور بن اردشير ثم ملك بعده يونيانوس سنة اظهر دين النصرانية ودان بها وعاد عن العراق ثم ملك بعده ولنطيوش اثنتي عشرة سنة وخمسة أشهر ثم ملك والنس ثلاث سنين وثلاثة أشهر ثم ملك والنطيانوس ثلاث سنين ثم ملك تدوس الكبير ومعناه عطية الله تسع عشرة سنة وفي ملكه كان السنهدوس الثاني بمدينة القسطنطينية اجتمع فيه مائة وخمسون اسقفا العتوا مقدونس واشياعه وكان فيه بطرق الاسكندرية وبطرق انطاكية وبطرق البيت المقدس والمدن التي تكون فيها كراسي البطرق أربع احداها رومية وهي لبطرس الحواري والثانية الاسكندرية وهي لمرقس احد أصحاب الاناجيل الاربعة والثالثة القسطنطينية والرابعة انطاكية وهي لبطرس أيضا ولثمان سنين من ملكه ظهر أصحاب الكهف ثم ملك بعده ارقاديوس بن تدوس ثلاث عشرة سنة ثم ملك تدوس الصغير ابن تدوس الكبير اثنتين وأربعين سنة ولاحدى وعشرين سنة من ملكه كان السنهدوس الثالث بمدينة أفسوس وحضر هذا الجمع مائتا اسقف وكان سببه ماظهر من نسطورس بطرق القسطنطينية وهو رأس النسطورية من النصارى من مخالفة مذهبهم فلعنوه ونفوه فسار الى صعيد مصر فاقام ببلاد خميم ومات بقرية يقال لها سيصلح وكثر اتباعه وصار بسبب ذلك بينهم وبين مخالفيهم حرب وقتال ثم دثرت مقالته الى ان أحياها برصوما مطران نصيبين قديما ومن العجائب ان الشهرستاني مصنف كتاب نهاية الاقدام في الاصول ومصنف كتاب الملل والنحل في ذكر المذاهب والآراء القديمة والجديدة ذكر فيه ان نسطور كان أيام المأمون وهذا تفرد به ولا أعلم له في ذلك موافقا ثم ملك بعده مرقيان ست سنين وفي أول سنة من ملكه كان السنهدوس الرابع على تسقرس بطرق القسطنطينية اجتمع فيه ثلثمائة وثلاثون أسقفا وفي هذا المجمع حالف اليعقوبية سائر النصارى ثم ملك ليون الكبير ست عشرة سنة ثم ملك ليون الصغير سنة وكان يعقوبي المذهب ثم ملك زينون سبع سنين وكان يعقوبيا فرهد في الملك فاستخلف ابنه فهلك فعاد الى الملك ثم ملك نسطاس سبعا وعشرين سنة وكان يعقوبي المذهب وهو الذي بنى عمورية فلما حفر أساسها أصاب فيه مالا وفي بالنفقة على بنائها وفضل منه شيء بنى به بيعا ودير ثم ملك يوسطين سبع سنين وأكثر القتل في اليعقوبية ثم ملك يوسطانوس تسعا وعشرين سنة وبنى بالرها كنيسة عجيبة وفي أيامه كان السنهدوس الخامس بالقسطنطينية فحرموا ادريجا أسقف منبج لقوله بتناسخ الارواح في أجساد الحيوان وان الله يفعل ذلك جزاء لما ارتكبوه وفي أيامه كان بين اليعاقبة والملكية ببلاد مصر فتن وفي أيامه ثار اليهود بالبيت المقدس وجبل الخليل على النصارى فقتلوا منهم خلقا كثيرا وبنى الملك من البيع والديرة شيأ كثيرا ثم ملك يوسطينوس ثلاث عشرة سنة وفي أيامه كان كسرى أنوشروان ثم ملك طباريوس ثلاث سنين وثمانية أشهر وكان بينه وبين أنوشروان مراسلات ومهاداة وكان مغرى بالبناء وتحسينه وتزويقه ثم ملك موريق عشرين سنة وأربعة أشهر وفي أيامه ظهر رجل من أهل مدينة حماة يعرف بمارون اليه تنسب المارونية من النصارى واحدث رأيا يخالف من تقدمه وتبعه خلق كثير بالشام ثم انهم انقرضوا ولم يعرف الآن منهم أحد وهذا موريق هو الذي قصده كسرى ابرويز حين انهزم من بهرام جوبين فزوجه ابنته وأمده بعساكر وأعاده الى ملكه على ماذكره ان شاء الله ثم ملك

على بحلة قريبة من الارض صغيرة النكرة معدة لهذا المعنى وشعره ينجر على الارض وامرأة بيدها مكنسة تحثو التراب على رأسه وتنادي أيها الناس هذا ملككم بالامس قد صار فيكم حكمة وقد صار الى ماترون من ترك الدنيا وقبض روحه ملك الموت والحي القديم الذي لايموت فلا تغتروا بالحياة بعده وتقول كلاما هذا معناه من الترهيب والتزهيد في هذا العالم ويطاف به شوارع المدينة ثم يفصل أربع قطع وقد هيئ له الصندل والكافور وسائر أنواع الطيب فيحرق بالنار وينثر رماده في الرياح وكذا فعل أكثر أهل الهند بملوكهم وخواصهم لغرض يذكرونه ونهج يتيممونه في المستقبل من الزمان والملك مقصور في أهل بيت لاينتقل عنهم الى غيرهم وكذلك بيت الوزارة والقضاة وسائر اهل المراتب ولا تغير ولا تبدل والهند تمنع من شرب الشراب ويعنفون شاربه لا على طريق التدين ولكن تنزها أن يوردوا على عقولهم مايغشيها ويزيلها عما وضعت له فيهم واذا صح عندهم عن ملك من ملوكهم شربه استحق

بعده فوقاس وكان من بطارقه موريق فوثب به فاغتاله فقتله وملك الروم بعده وكان ملكه ثمان سنين وأربعة أشهر ولما ملك تتبع ولد موريق وحاشيته بالقتل فلما بلغ ذلك ابرويز غضب وسير الجنود الى الشام ومصر فاحتوى عليهما وقتلوا من النصارى خلقا كثيرا وسيرد ذلك عند ذكر ابرويز ثم ملك هرقل وكان سبب ملكه ان عساكر الفرس لما فتكت في الروم سارت حتى نزلوا على خليج القسطنطينية وحصروها وكان هرقل يحمل الميرة في البحر الى أهلها فحبس موقع ذلك من الروم وبانت شهامته وشجاعته وأحبه الروم فحماهم على الفتك بفوقاس وذكرهم سوء آثاره ففعلوا ذلك وقتلوه وملكوا عليهم هرقل

﴿ذكر الطبقة الثالثة من ملوك الروم بعد الهجرة﴾

فأولهم هرقل قد ذكر سبب ملكه وكان مدة ملكه خمسا وعشرين سنة وقيل احدى وثلاثين سنة وفي أيامه كان النبي صلى الله عليه وسلم ومنه ملك المسلمون الشام ثم ملك بعده ابنه قسطنطين وقيل هو ابن أخيه قسطنطين وكان ملكه تسع سنين وستة أشهر وسيرد خبره عند ذكر غزاة الصوارى ان شاء الله وفي أيامه كان السنهدوس السادس على اثنى عشر رجلا يقال له قورس الاسكندري حالف الملكية وفارق المارونية ثم ملك بعده ابنه قسطانس خمس عشرة سنة في خلافة علي عليه السلام ومعاوية ثم ملك هرقل الاصغر بن قسطنطين أربع سنين وثلاثة أشهر ثم ملك قسطنطين بن قسطانس ثلاث عشرة سنة بعض أيام معاوية وأيام يزيد وابنه معاوية ومروان بن الحكم وصدرا من أيام عبد الملك ثم ملك اسطينان المعروف بالاخرم تسع سنين أيام عبد الملك ثم خلعه الروم وخرموا أنفه وحمل الى بعض الجزائر فهرب ولحق بملك الخزر واستنجده فلم ينجده فانتقل الى ملك برجان ثم ملك بعده لوطش ثلاث سنين ايام عبد الملك ثم ترك الملك وترهب ثم ملك السمين المعروف بالطرسوسي سبع سنين فقصده اسطينان ومعه برجان وجرى بينهما حروب كثيرة وظفر به اسطينان وخلعه وعاد الى ملكه فكان ذلك أيام الوليد بن عبد الملك واستقر اسطينان وكان قد شرط لملك برجان ان يحمل اليه خراجا كل سنة فعسف الروم وقتل بها خلقا كثيرا فاجتمعوا عليه وقتلوه فكان ملكه الثاني سنتين ونصفا وكان قتله أول دولة سليمان بن عبد الملك ثم ملك نسطاس ابن فيلفوس وكان في أيامه اختلاف بين الروم فخلعوه ونفوه ثم ملك تيدوس المعروف بالارمني في أيام سليمان بن عبد الملك أيضا وهو الذي حصره مسلمة بن عبد الملك ثم ملك بعده اليون بن قسطنطين لضعفه عن الملك وضمن أليون للروم رد المسلمين عن القسطنطينية فلكوه فكان ملكه ستا وعشرين سنة ومات في السنة التي يويع فيها الوليد بن يزيد بن عبد الملك ثم ملك بعده ابنه قسطنطين احدى وعشرين سنة وفي أيامه انقرضت الدولة الاموية وتوفي لعشر سنين مضت من أيام منصور ثم ملك بعده ابنه اليون تسع عشرة سنة وأربعة أشهر بقية أيام منصور وتوفي في خلافة المهدي ثم ملك بعده ربني امرأة اليون بن قسطنطين ومعها ابنها قسطنطين بن اليون وهي تدبر الامر بقية أيام المهدي والهادي وصدرا من خلافة الرشيد فلما كبر ابنها أفسد ما بينه وبين الرشيد وكانت أمه مهادنة له فقصده الرشيد وجرى له معه وقعة فانهزم وكاد يؤخذ فخلعته أمه وانفردت بالملك بعده خمس سنين وهادنت الرشيد ثم ملك بعدها نقفور اخذ الملك منها وكان ملكه سبع سنين وثلاثة أشهر وهو نقفور بن استبراق وكنت قد رأيته مضبوطا بكثير من الكتب بسكون القاف حتى رأيت رجلا زعم ان اسمه نقفور بفتح القاف وعهد نقفور الى ابنه استبراق بالملك بعده

الخلع عن ملكه اذ كان لا يتأتى التدبير والسياسة مع الاختلاط وربما يستهون الجواري فيطربن بحضرتهم فيطرب الرجال لطرب الجواري وللهند سياسات كثيرة قد أتينا على ذكر كثير منها ومن اخبارهم وسيرهم في كتابنا اخبار الزمان وفي الكتاب الاوسط وانما نذكر في هذا الكتاب لمعا وأعظم ملوك الهند في وقتنا هذا البلهرا صاحب مدينة المانكير وأكثر ملوك الهند تتوجه في صلواتها نحوه وتصلي لرسله اذا وردوا عليهم وتلي مملكة البلهرا ممالك كثيرة للهند منهم ملوك في الجبال لا بحر لهم مثل الراي صاحب القمرين وملك الطاق وغير ذلك من ملوكهم أعني ملوك الهند ومنهم من يملكه بر وبحر فأما البلهرا فان بين دار ملكه وبين البحر مسيرة ثمانين فرسخا سندية والفرسخ ثمانية أميال وله جيوش وفيلة لا يدرى كثرتها وأكثر جيوشه رجالة لان دار ملكه بين الجبال ويساويه من ملوك الهند من لا بحر له بزورة صاحب مدينة القنوج وهذا الاسم تفسيره الذي على الشمال والجنوب والصبا والدبور لانه في كل

وهو أول من فعل ذلك في الروم ولم يكن يعرف قبله وكانت ملوك الروم قبل نقفور تحاق لحاها وكذلك ملوك الفرس فلم يفعله نقفور وكانت ملوك الروم قبله تكتب من فلان ملك النصرانية وكتب نقفور من فلان ملك الروم وقال لست ملك النصرانية كلها وكانت الروم تسمى العرب سارقيوس يعني عبيد سارة بسبب هاجر أم اسمعيل فنهاهم عن ذلك وجرى بين نقفور وبين برجان حرب سنة ثلاث وتسعين ومائة فقتل فيها ثم ملك بعده ابنه استبراق بهد من أبيه اليه وكان ملكه شهرين ثم ملك بعده ميخائيل بن جرجس وهو ابن عم نقفور وقيل ابن استبراق وكان ملكه سنتين في أيام الامين وقيل أكثر من ذلك فوثب به اليون المعروف بالبطريق وغلب على الامر وحبسه ثم ملك بعده اليون البطريق سبع سنين وثلاثة أشهر فوثب به أصحاب ميخائيل في خلاص صاحبهم وقتل اليون ثم فتح لهم ذلك وعاد ميخائيل الى الملك وقيل انه كان قد ترهب أيام اليون وكان ملكه هذه الدفعة الثانية تسع سنين وقيل أكثر من ذلك ثم ملك بعده ابنه توفيل بن ميخائيل أربع عشرة سنة وهو الذي فتح زبطرة وسار المعتصم بسبب ذلك وفتح عمورية وكان موته أيام الواثق ثم ملك بعده ابنه ميخائيل ثمانيا وعشرين سنة وكانت أمه تدبر الملك معه وأراد قتلها فرهبت وخرج عليه رجل من أهل عمورية من أبناء الملوك السالفة يعرف بابن بقراط فلقيه ميخائيل فيمن عنده من أساري المسلمين فظفر به ميخائيل فقتل به ثم خرج عليه بسيل الصقلبي فاستولى على الملك وقتل ميخائيل سنة ثلاث وخمسين ومائتين ثم ملك بعده بسيل الصقلبي عشرين سنة أيام المعتز والمهتدي وصدرا من أيام المعتمد وكانت أمه صقلبية فنسب اليها وقد غلط حمزة الاصفهاني فيه فقال عند ذكر ميخائيل ثم انتقل الملك عن الروم وصار في الصقالب فقتله بسيل الصقلبي ظنا منه ان أباه كان صقليا ثم ملك بعده ابنه اليون بن بسيل ستا وعشرين سنة أيام المعتمد والمعتضد والمكتفي وصدرا من أيام المقتدر وقيل ان وفاته كانت سنة سبع وتسعين ومائتين ثم ملك أخوه الاسكندروس سنة وشهرين ومات بالدبيلة وقيل انه اغتيل لسوء سيرته ثم ملك بعده قسطنطين بن اليون وهو صبي وتولى الامر له بطريق بطريق البحر واسمه ارماس وشرط على نفسه شروطا منها انه لا يطلب الملك ولا يلبس التاج لا هو ولا أحد من أولاده فلم يمض غير سنتين حتى خوطب هو وأولاده بالملوك وجلس مع قسطنطين على السرير وكان له ثلاثة من الولد فحصى أحدهم وجعله بطريقا ليأمن من المنازعة فان البطريق يحكم على الملك فبقي على حاله الى سنة ثلاثين وثلثمائة من الهجرة فاتفق أبناء مع قسطنطين الملك على ازالة أبيهما فدخلا عليه وقبضاه وسيراه الى دير له في جزيرة بالقرب من القسطنطينية واقام ولداه مع قسطنطين نحو أربعين يوما وأرادا القتل به فسبقهما الى ذلك وقبض عليهما وسيرهما الى جزيرتين في البحر فوثب أحدهما بالموكل به فقتله وأخذه أهل تلك الجزيرة فقتلوه وأرسلوا رأسه الى قسطنطين الملك فجزع لقتله وأما أرمانوس فانه مات بعد أربع سنين من ترهبه ودام ملك قسطنطين بقية أيام المقتدر والقاهر والراضي والمستكفي وبعض أيام المطيع ثم خرج على قسطنطين هذا قسطنطين ابن اندرونقس وكان أبوه قد توجه الى المكسي سنة أربع وتسعين ومائتين وأسلم على يده وتوفي فهرب ابنه هذا على طريق ارمينية واذربيجان الى بلاد الروم فاجتمع عليه خلق كثير وكثر اتباعه فسار الى القسطنطينية ونازع الملك قسطنطين في ملكه وذلك سنة احدى وثلثمائة فظفر به الملك فقتله وخرج عن طاعته أيضا صاحب رومية وهي كرسي ملك الافرنج وتسمى بالملك ولبس ثياب الملوك وكان قبل ذلك يطيع ملوك الروم أصحاب القسطنطينية ويصدرون عن أمرهم فلما كان سنة أربعين وثلثمائة قوي ملك رومية

وجد من هذه الوجوه يلقى ملكا محاذيا له وسنذكر جملا من أخبار ملوك السند والهند وغيرهم من ملوك الارض فيما يرد من هذا الكتاب عند ذكرنا البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك وغير ذلك وان كنا قد اسلفنا ذلك فيما تقدم من كتبنا والله أعلم

﴿ ذكر الارض والبحار ومبادي الانهار والجبال والاقاليم السبعة وما والاها من الكواكب وترتيب الافلاك وغير ذلك ﴾

قسمت الحكماء الارض الى جهة المشرق والمغرب والشمال والجنوب وقسموا ذلك الى قسمين مسكون وغير مسكون وعامر وغير عامر وذكروا أن الارض مستديرة ومركزها في وسط الفلك والهواء محيط بها من كل الجهات وانها عند تلك البروج بمنزلة النقطة وأخذوا عمرانها من حدود الجزائر الخالدات في بحر أوقيانوس الغربي وهي ستة أجزاء عامرة الى أقصى عمران الصين فوجدوا ذلك اثني عشر فعلموا أن الشمس اذا غابت في اقصى الصين كان طلوعها على الجزائر العامرة

المذكورة التي في بحر أوقيانوس الغربي واذ ثبت في هذه الجزائر كان طولها في أقصى الصين وذلك نصف دائرة الارض وهو طول العمران الذي ذكروا أنهم وقفوا عليه ومقداره من الاميال ثلاثة عشر الف ميل وخمسمائة ميل من الاميال التي عملوا عليها في مساحة دور الارض ثم نظروا الى العروض فوجدوا العمران مما وضع خط الاستواء عليه من الارض الى ناحية الشمال تنتهي الى جزيرة تولى التي في برابانية حيث يكون طول النهار الاطول عشرين ساعة وذكروا أن موضع خط الاستواء من الارض يقطع فيما بين المشرق والمغرب في جزيرة الهند والحبش من ناحية الجنوب فعرض ما بين الشمال والجنوب في النصف مما بين الجزائر العامرة وأقصى عمران الصين وهو قبة الارض المعروفة بما ذكرنا ويكون العرض من خط الاستواء الى جزيرة تولى قريبا من سبعين جزأ وذلك سدس دائرة الارض واذا ضرب هذا السدس الذي هو مقدار العرض في النصف الذي هو مقدار الطول كان مقدار ما ظهر

فخرج عن طاعته فأرسل اليه قسطنطين العساكر يقاتلونه ومن معه من الفرنج فالتقوا واقتتلوا فانهزمت الروم وعادت الى القسطنطينية منكوبة فكف حينئذ قسطنطين عن معارضته ورضي بالمسالمة وجرى بينهما مصاهرة فزوج قسطنطين ابنه ارمانوس بابنة ملك رومية ولم يزل أمر الافرنج بعد هذا يتوى ويزداد ويتسع ملكهم كالاستيلاء على بعض بلاد الاندلس على ما نذكره وكاخذهم جزيرة صقلية وبلاد ساحل الشام والبيت المقدس على ما نذكره وفي آخر الامر ملكوا القسطنطينية سنة احدى وستمائة على ما نذكره ان شاء الله ومما ينبغي ان يلحق بهذا ان الطوائف من الترك اجتمعت منهم البجناك والبخني وغيرهما وقصدوا مدينة الروم مدينة سمي وليد سنة اثنين وعشرين وثلثمائة وحصروها فبلغ خبرهم الى أرمانوس فسير اليهم عسكرا كثيفا فيهم من المتنصرة اثنا عشر ألفا فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم الروم واستولى الترك على المدينة وخربوها بعد ان اكثروا القتل فيها والسبي والنهب ثم ساروا الى القسطنطينية وحصروها أربعين يوما وأغاروا على بلاد الروم واتصلت غاراتهم الى بلاد الافرنج ثم عادوا راجعين

﴿ ذكر وصول قبائل العرب الى العراق ونزولهم الحيرة ﴾

قال ابن الكلبي لما مات بختنصر انضم الذين اسكنهم الحيرة من العرب الى أهل الانبار وبقيت الحيرة خرابا دهرا طويلا وأهلها بالانبار لا يطلع عليهم قادم من العرب فلما كثر أولاد معد بن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب ومن فيهم الحروب خرجوا يطلبون الريف فيما يليهم من اليمن ومشرق الشام وافترقت منهم قبائل حتى نزلوا بالبحرين وبها جماعة من الازد وكان الذين أقبلوا من تهامة مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم بن اسد بن وبرة بن قضاعة ومالك بن رهير بن عمرو بن فهم في جماعة من قومهم والحيقاد بن الحنق بن عمير بن قيس بن معد بن عدنان في قيس كلها ولحق بهم غطفان بن عمرو بن الطمثان بن عوذمناة بن يقدم بن افصى بن دعمي بن اياد بن نزار بن معد بن عدنان وغيره من اياد فاجتمع بالبحرين قبائل من العرب وتحالفوا على التنوخ وهو المقام وتعاقدوا على التناصر والتساعد فصاروا يدا واحدة وسميهم اسم تنوخ وتنخ عليهم بطون من غمارة بن لخم ودعا مالك بن زهير جديمة الابرش بن مالك بن فهم بن غانم بن أوس الاردي الى التنوخ معه وزوجه أخته لميس فسمي جذيمة وكان اجتماعهم ايام ملوك الطوائف وانما سموا ملوك الطوائف لان كل ملك منهم كان ملكه على طائفة قليلة من الارض قال ثم تطلعت أنفس من كان بالبحرين الى ريف العراق فطمعوا في ان يغلبوا الاعاجم فيما يلي بلاد العرب أو مشاركتهم فيه لاختلاف بين ملوك الطوائف فاجمعوا على المسير الى العراق فكان أول من تطلع منهم الحيقاد بن الحنق في جماعة من قومه واخلاط من الناس فوجدوا الارمانيين وهم الذين ملكوا أرض بابل وما يليها الى ناحية الموصل يقاتلون الاردوانيين وهم ملوك الطوائف وهو ما بين نفر وهي قريبة من سواد العراق الى الابلة فدفعوهم عن بلادهم والارمانيون من بقايا ارم فلهذا سموا الارمانيين وهم نبط السواد ثم طلع مالك وعمرو ابنا فهم بن تيم الله وغيرهم من تنوخ الى الانبار على ملك الارمانيين وطلع غمارة ومن معه الى نفر على ملك الاردوانيين وكانوا لا يدينون للاعاجم حتى قدمها تبع وهو اسعد أبو كرب بن مليكيكرب في جيوشه فخاف بها من لم يكن فيه قوة من عسكره وسار تبع ثم رجع اليهم فاقرهم على حالهم ورجع الى اليمن وفيهم من كل القبائل ونزلت تنوخ من الانبار الى الحيرة في الاخبية لا يسكنون بيوت المدر وكان أول من ملك منهم مالك بن فهم وكان منزله مما يلي الانبار ثم

مات

مات مالك ذلك بعده أخوه عمرو بن فهم بن غانم بن دوس الازدى ثم مات فلك بعده جذيمة الابرش ابن فهم وقيل ان جذيمة من العادية الاولى من بنى دمار بن أميم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام والله أعلم

﴿ذكر جذيمة الابرش﴾

قال وكان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأيا وأبعدهم مغارا وأشدهم نكاية وأول من استجمع له الملك بأرض العراق وضم اليه العرب ونمزا بالجيوش وكان به برص فكنت العرب عنه فقيل الوضاح والابرش اعظاما له وكان منازله ما بين الحيرة والانبار وبقه وهيت وعين التمر وأطراف البر الى العمير وحفية وتجبى اليه الاموال وتفد اليه الوفود وكان نمر اطسما وجديسا فى منازلهم من اليمامة فاصاب حسان بن تبع اسعد أبى كرب قد أغار عليهم فعاد عن معه وأصاب حسان سبى بهم لجذيمة فاجتاحها وكان له صنمان يقال لهما الصبرتان وكانت اياد بمن أباغ فذكر لجذيمة غلام من لخم ثم اخواله من اياد يقال له عدى بن نصر بن ربيعة له جمال وطرف فغزاهم جذيمة فبعث اياد من سرق صنميه وحملهما الى اياد فارسلت اليه ان صنميك أصبحتا فينا زهدا فيك فان أوثقت لنا ان لا تغزونا دفعناهما اليك قال وتدفعون معهما عدى بن نصر فاجابوه الى ذلك وأرسلوه مع الصنمين فضمه الى نفسه وولاه شرابه فأبصرته رقاش أخت جذيمة ومشفته وراسلته ليحطبها الى جذيمة فقال لا أجترئ على ذلك ولا أطمع فيه قالت اذا جلس على شرابه فاسقه صرفا واسق القوم ممزوجا فاذا أخذت الخمر فيه فاخطبنى اليه فلن يردك فاذا رجعت فاشهد القوم ففعل عدى ما أمرته فاجابه جذيمة واملكه اياها فانصرف اليها فاعرس بها من لياته وأصبح بالخلوق فقال له جذيمة وأنكر ما رأى به ما هذه الا آثار يا عدى قال آثار العرس قال أى عرس قال عرس رقاش قال من زوجكها وبحك قال الملك فندم جذيمة وأكب على الارض متفكرا وهرب عدى فلم ير له اثر ولم يسمع له بذكر فأرسل اليها جذيمة

خبرينى وأنت لا تكذبينى * ابجسر زنيت أم بهجين
أم بعبد فانت أهل لعبد * أم بدون فانت أهل لدون

فقالت لا بل أنت روحتنى امرأ عربيا حسيبا ولم تستامرنى فى نفسى وكف عنها وعذرها ورجع عدى الى اياد وكان فيهم فخرج يوما مع فتية متصيدين فرمى به فتى منهم فيما بين جبلين فتكسر فمات فحملت رقاش فولدت غلاما فسمته عمرا فلما ترعرع وشب البسته وعطرته وأزارته حاله فلما رآه أحبه وجعله مع ولده وخرج جذيمة متبديا بأهله وولده فى سنة خصيبة فاقام فى روضة ذات زهر وغدر فخرج ولده وعمرو معهم يجتنون الكمأة فكانوا اذا أصابوا كمأة جيدة أكلوها واذا أصابها عمرو خبأها فانصرفوا الى جذيمة يتعادون وعمرو يقول

هذا جناى وخياره فيه * اذ كل جان يده فى فيه

فضمه جذيمة اليه والتزمه وسر بقوله وامر فجعل له حلى من فضة وطوق فكان اذا رآه عربى ألبس طوقا فبيناهو على أحسن حالة اذ استطارته الجن فطلبه جذيمة فى الآفاق زمانا فلم يقدر عليه ثم أقبل رجلان من بلقين قصاعة يقال لهما مالك وعقيل ابنا فارج بن مالك من الشام يريدان جذيمة واهدى له طرفا فنزلا منزلا ومعهما فتية لهما تسمى أم عمرو فقدمت طعاما فبيناهما يأكلان اذ اقبل فتى عريان قد تلبد شعره وطالت أظفاره وساءت حاله فجلس ناحية عنهما ومد يده يطلب الطعام فناولته الفتية كراعا فاكلها ثم مد يده ثانية فقالت لا تعط العبد الكراع فيطمع فى الذراع فذهبت مثلا ثم سقتهما من شراب معها وأوكت زقها فقال عمرو بن عدى

من العمران من ناحية الشمال مقدار نصف سدس دائرة القمر واما الاقاليم السبعة فأولها أرض بابل منه خراسان وفارس والاهواز والموصل وأرض الجبال له من البروج الحمل والقوس ومن الانجم السبعة المشترى والاقليم الثانى الهند والسند والسودان له من البروج الجدى ومن الانجم السبعة زحل والاقليم الثالث مكة والمدينة واليمن والطائف والحجاز وما بينها له من البروج العقرب ومن الانجم السبعة الزهرة وهى سعد الفلك والاقليم الرابع مصر وافريقية والبربر والاندلس وما بينها له من البروج الجوزاء ومن الانجم السبعة عطارد والاقليم الخامس الشام والروم والجزيرة له من البروج الدلو ومن الانجم السبعة القمر والاقليم السادس الترك والخزر والديلم والصقالبة له من البروج السرطان ومن الانجم السبعة المريخ والاقليم السابع الدبيل والصين له من البروج الميزان ومن الانجم السبعة الشمس * ذكر جلوس المنجم صاحب كتاب الزيج فى النجوم عن خالد بن عبد الله المروزى وغيره وقد كانوا

صددت الكاس عنا أم عمرو * وكان الكاس مجراها اليمينا
وماشرّ الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذى لاتصبحينا

فسألاه عن نفسه فقال ان تنكرانى وتنكرا نسبى فانى أنا عمرو بن عدى ابن تنوخية اللخمى وغدا ماتريانى فى غارة غير معصى فنهضا وغسلا رأسه وأصلحا حاله وألبساه ثيابا وقالا ما كنا لنهدى لجذيمة أنفس من ابن اخته فخرجا به الى جذيمة فسرّ به سرورا شديدا وقال لقد رأيته يوم ذهب وعليه طوق فما ذهب من عينى وقلبى الى الساعة وأعادوا عليه الطوق فنظر اليه وقال كبر عمرو عن الطوق وارسلها مثلا وقال لمالك وعقيل ماحكمكما قالا حكمنا مادمت ما بقينا وبقيت فهما ندمانا جذيمة اللذان يضربان مثلا وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف الشام عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة العمليقى من عاملة العمالقة فتحارب هو وجذيمة فقتل عمرو وانهزمت عساكره وعاد جذيمة سالما وملكت بعد عمرو ابنته الزباء واسمها نائلة وكان جنود الزباء بقايا العماليق وغيرهم وكان لها من الفرات الى تدمر فلما استجمع لها أمرها واستحكم ملكها اجتمعت لغزو جذيمة تطلب بثار أبيها فقالت لها أختها ربيبة وكانت عاقلة ان غروت جذيمة فانما هو يوم له مابعده والحرب سجال وأشارت بترك الحرب واعمال الحيلة فأجابتها الى ذلك وكتبت الى جذيمة تدعوه الى نفسها وملكها وكتبت اليه انها لم تجد ملك النساء الا قبحا فى السماع وضعفا فى السلطان وانها لم تجد لملكها ولا لنفسها كفؤا غيره فلما انتهى كتاب الزباء اليه استخف مادعته اليه وجمع اليه ثقاته وهو ببقعة من شاطئ الفرات فعرض عليهم مادعته اليه واستشارهم فأجمع رأيهم على ان يسير اليها ويستولى على ملكها وكان فيهم رجل يقال له قصير بن سعد من لخم وكان سعد تزوج أمة لجذيمة فولدت له قصيرا وكان أديبا حاذرما ناصحا لجذيمة قريبا منه نخا لفهم فيما أشاروا به عليه وقال رأى فاتر وعدو حاضر فذهبت مثلا وقال لجذيمة اكتب اليها فان كانت صادقة لتقبل الميل والا لم تمكنها من نفسك وقد وترتها وقتلت أباها فلم يوافق جذيمة ما أشار به قصير وقال له لا ولكنك امرؤ رأيك فى الكن لا فى الضح فذهبت مثلا ودعا جذيمة ابن أخته عمرو بن عدى فاستشاره فشجعه على المسير وقال ان غاره قوى مع الزباء فلو رأوك صاروا معك وأطاعوه فقال قصير لا يطاع لقصير أمر وقالت العرب ببقعة أبرم الامر فذهبتا مثلا واستخلف جذيمة عمرو بن عدى على مملكه وعمرو بن عبد الجن على خيوله معه وسار فى وجوه أصحابه فلما نزل الفرضة قال لقصير ما الرأى قال ببقعة تركت الرأى فذهبت مثلا واستقبله رسل الزباء بالهدايا والالطاف فقال ياقصير كيف ترى نال خطر يسير وخطب كبير فذهبت مثلا وستلاقاك الخيول فان سارت امامك فان المرأة صادقة وان أخذت جنبيك وأحاطت بك فان القوم غادرون فاركب العصا وكانت فرسا لجذيمة لاتجارى فانى راكبها وسابك عليها فلقيته الكتائب فحالت بينه وبين العصا فركبها قصير ونظر اليه جذيمة موليا على متنها فقال ويل أمه حزما على متن العصا * فذهبت مثلا وقال ماضل من تجرى به العصا فذهبت مثلا وجرت به الى غروب الشمس ثم نفقت وقد قطعت أرضا بعيدة فبنى عليها برجا يقال له برج العصا وقالت العرب خير ماجاءت به العصا مثل تضربه وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيول حتى دخل على الزباء فلما رأته تكشفت فاذا هى مفلفورة الاسب والاسب بالباء الموحدة هو شعر الاست وقالت له ياجذيمة ادأب عروس ترى فذهبت مثلا فقال بلغ المدى وجف الثرى وأمر غدر أرى فذهبت مثلا فقالت له أما الحى ما بنا من عدم مواس ولا قلة أواس ولكنها شيمة ما اناس فذهبت مثلا

وقالت

وصدوا الشمس لامير المؤمنين المأمون فى بريه سنجار من بلاد ديار ربيعة ان مقدار درجة واحدة من وجه الارض ستة وخمسون ميلا فضربوا مقدار درجة واحدة فى ثمانية وستين فوجدوا دور منطقة كرة الارض المحيطة بالبر والبحر عشرين ألف ميل ومائة وستين ميلا ثم ضربوا دور الارض فى سبعة فاجتمع مائة ألف ميل وأحد وأربعون ألف ميل ومائة وعشرون ميلا فقسموا ذلك على اثنين وعشرين وخرج القسم الذى هو مقدار قطر الارض ستة آلاف وأربعمائة وأربعة عشر ميلا ونصف عشر بالتقريب ونصف قطر الارض ثلاثة آلاف ميل ومائتا ميل وسبعة أميال وست عشرة دقيقة وثلثا ثانية يكون ربع ميل وربع عشر ميل والميل أربع آلاف ذراع بالاسود وهى الذراع التى وضعها أمير المؤمنين المأمون للحساب ومساحة البناء وقسمة المنازل والذراع مائة وعشرون اصبعا (قال المسعودى) وقد ذكر بطليموس فى الكتاب المعروف بجغرافيا صفة الارض ومدنها وجبالها وما فيها من البحار والجزائر والانهار والعيون ووصف المدن المسكونة

وقالت له انبئت ان دماء الملوك شفاء من الكلب ثم أجلسته على نطع وأمرت بطست من ذهب فأعدلته وسقته الخمر حتى أخذت منه مأخذها ثم أمرت براهشيه فقطعا وقدمت اليه الطست وقد قيل لها ان قطر من دمه شيء في غير الطست طلب بدمه وكانت الملوك لا تقتل بضرب الرقبة الا في قتال تكرمة للملك فلما ضعفت يداه سقطتا فقطر من دمه في غير الطست فقالت لا تضيعوا دم الملك فقال جذيمة دعوا دما ضيعه أهله فذهبت مثلا فهلك جذيمة وخرج قصير من الحي الذين هلكت العصابين أظهرهم حتى قدم على عمرو بن عدي وهو بالحيرة فوجده قد اختلف هو وعمرو ابن عبد الجن فأصلح بينهما وأطاع الناس عمرو بن عدي وقال له قصير تهيأ واستعد ولا تطل دم خالك فقال كيف لي بها وهي أمنع من عقاب الجو فذهبت مثلا وكانت الزباء سألت كهنة عن أمرها وهلاكها فقالوا لها ترى هلاكك بسبب عمرو بن عدي ولكن حتفك بيدك فحذرت عمرا واتخذت نفقا من مجلسها الى حصن لها داخل مدينتها ثم قالت ان فجأني أمر دخلت النفق الى حصني ودعت رجلا مصورا حاذقا فأرسلته الى عمرو بن عدي متنكرا وقالت له صوره جالسا واقفا ومنفصلا ومتسكرا ومتسلحا بهيئته ولبسه ولونه ثم أقبل الي فعمل المصور ما أوصته الزباء وعاد اليها وأرادت ان تعرف عمرو بن عدي فلا تراه على حال الا عرفته وحذرته وقال قصير لعمرو اجدع أنفي واضرب ظهري ودعني واياها فقال عمرو ما أنا بفاعل فقال قصير خل عني اذا وخلاك ذم فذهبت مثلا فقال عمرو فانت أبصر فجدع قصير أنفه ودق بظهره وخرج كأنه هارب وأظهر ان عمرا فعل ذلك به وسار حتى قدم على الزباء فقيل لها ان قصيرا بالباب فأمرت به فادخل عليها فاذا أنفه قد جدع وظهره قد ضرب فقالت لا مرحبا بمن جدع قصير أنفه فذهبت مثلا قالت ما الذي أرى بك يا قصير قال زعم عمرو اني غدرت خاله وربيت له المسير اليك ومالأت عليه ففعل بي ما ترين فأقبلت اليك وعرفت اني لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك فأكرمته وأصابت عنده بعض ما أرادت من الحزم والرأي والتجربة والمعرفة بأمور الملك فلما عرف انها قد استرسلت اليه و وثقت به قال لها ان لي بالعراق أموالا كثيرة ولي بها طرائف وعطر فابعثيني لاحمل مالي وأحمل اليك من طرائفها وصنوف ما يكون بها من التجارات فتصيبين ارباحا وبعض ما لا غنى للملوك عنه فسرحته ودفعت اليه أموالا وجهزت معه عيرا فسار حتى قدم العراق وأتى عمرو بن عدي متخفيا وأخبره الخبر وقال جهزني بالبز والطرف وغير ذلك لعل الله يمكنك من الزباء فتصيب ثارك وتقتل عدوك فأعطاه حاجته فرجع بذلك كله الى الزباء فعرضه عليها فأعجبها وسرها وازدادت به ثقة ثم جهزته بعد ذلك بأكثر مما جهزته به في المرة الاولى فسار حتى قدم العراق وحمل من عند عمرو حاجته ولم يدع طرفة ولا متاعا قدر عليه ثم عاد الثالثة فأخبر عمرا الخبر وقال اجمع لي ثقاة أصحابك وجندك وهيء لهم الغرائر وهو أول من عملها وحمل كل رجلين على بعير في غرارتين وجعل معقدر وسهما من باطنهما وقال له اذا دخلت مدينة الزباء أقتلك على باب نفقها وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا باهل المدينة فمن قاتلهم قاتلوه وان أقبلت الزباء تريد نفقها قتلتها ففعل عمرو ذلك وساروا فلما كانوا قريبا من الزباء تقدم قصير اليها فبشرها وأعلمها كثرة ما حمل من الثياب والطرائف وسألها ان تخرج وتنظر الى الابل وما عليها وكان قصير يكمن النهار ويسير الليل وهو أول من فعل ذلك فخرجت الزباء فأبصرت الابل تكاد قوائمها تسوخ في الارض فقالت يا قصير

ما للجمال مشيها وئيدا * أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا باردا شديدا * أم الرجال جثما قعودا

والمواضع العامرة وان عددها أربع آلاف وخمسمائة وثلاثون مدينة في عصره وسماها مدينة مدينة في أقليم اقليم وذكر في هذا الكتاب ألوان جبال الدنيا من الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك من الالوان وان عددها مائتا جبل ونيف وذكر مقدارها وما فيها من المعادن والجواهر وذكر الفيلسوف هذا أن عدد البحار المحيطة بالارض خمسة أبحر وذكر ما فيها من الجزائر والعامر منها وغير العامر وما اشتهر من الجزائر دون ما لم يشتهر وذكر ان في البحر الحبشي جزائر متصلة نحو من ألف جزيرة يقال لها الدميجات عامرة كلها وذكر بطليموس في جغرافيا أن ابتداء بحر مصر من الروم الى بحر الاصنام النحاس وان جميع العيون الكبار التي تنبع من الارض مائتا عين وثلاثون عينا دون ما عداها من الصغار وان عدد الانهار الكبار الجارية في الاقاليم سبعة على حسب ما قدمناه في عدة الاقاليم وكل اقليم سبعته تسعمائة فرسخ في مثلها وفي البحار ما هو معمور بالحيوان ومنها ما ليس بمعمور وهو اقيانوس البحر المحيط وسنأتي

فيما يرد من هذا الكتاب على ذكر جمل في تفصيل الابصار ووصفها وهذه الابصار كلها في كتاب جغرافيا بأنواع من الاصباغ مختلفة المقادير في الصورة منها ماهو على صورة الطيلسان ومنها ماهو على صورة الشاورة ومنها مصراني الشكل ومنها مدور ومنها مثلث الاان اسماءها في هذا الكتاب باليونانية متعذر فهمها وان قطر الارض ألفان ومائة فرسخ تقديرا كل فرسخ ستة عشر ألف ذراع والذي محيطه باسفل دائرة النجوم هو ملك القمر فانه ألف فرسخ وخمسة وعشرون ألفا وستمائة وستون فرسخا وان قطر الارض من حد رأس الحمل الى الميزان أربعون ألف فرسخ بتقدير هذه الفراسخ وتقدير هذه الافلاك تسعة فأولها وهو أصغرها وأقربها الى الارض للقمر والثاني لعطارد والثالث للزهرة والرابع للشمس والخامس للمريخ والسادس للمشتري والسابع لزحل والثامن للكواكب الثابتة والتاسع للبروج وهيئة هذه الافلاك هيئة الاكر بعضها في جوف بعض

ودخلت الابل المدينة فلما توسطتها أناخت وخرج الرجال من الغرائر ودل عمر وعلى باب النفق وصاحوا باهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح وقام عمرو على باب النفق وأقبلت الزباء تريد الخروج من النفق فلما أبصرت عمرا قائما على باب النفق فعرفته بالصورة التي عملها المصور فصحت سما كان في خاتمها فقالت بيدي ولا بيد عمرو فذهبت مثلا وتلقاها عمرو بالسيف فقتلها وأصاب ما أصاب من المدينة ثم عاد الى العراق وصار الملك بعد جذيمة لابن أخته عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحرث بن مسعود بن مالك بن فهم بن غنم بن دارة بن لخم وهو أول من اتخذ الحيرة منزلا من ملوك العرب فلم يزل ملكا حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل مائة وثماني عشرة سنة منها أيام ملوك الطوائف خمس وتسعون سنة وأيام أردشير بن بابك أربع عشرة سنة وأشهر وأيام ابنه سابور بن اردشير ثمان سنين وشهران وكان منفردا بملكه يغزو المعازي ولا يدين لملوك الطوائف الى ان ملك اردشير بن بابك أهل فارس ولم يزل الملك في ولده الى ان كان آخرهم النعمان بن المنذر الى أيام ملوك كندة على ما نذكره ان شاء الله وقيل في سبب مسير ولد نصر بن ربيعة الى العراق غير ما تقدم وهو وزيارة أهار يعة وسيرد ذكرها عند أمر الحبشة ان شاء الله تعالى

﴿ذكر طسم وجديس وكانوا أيام ملوك الطوائف﴾

كان طسم بن لوذ بن أزهر بن سام بن نوح وجديس بن عابر بن أزهر بن سام ابني عم وكانت مساكنهم موضع اليمامة وكان اسمها حينئذ جو وكانت من أخصب البلاد وأكثرها خيرا وكان ملكهم أيام ملوك الطوائف عملبق وكان ظالما قد تعادى في الظلم والعشم والسيرة الكثيرة القبح وان امرأة من جديس يقال لها هزيلة طلقها زوجها وأراد أخذ ولدها منها فحاصمته الى عملبق وقالت أيها الملك حملته تسعا و وضعته رضعا وأرضعته شفعا حتى اذا تمت أوصاله ودنا فصاله أراد ان يأخذه مني كرها و يتركني بعده وزرها فقال زوجها أيها الملك انها أعطيت مهرها كاملا ولم أصب مهاطا ولا الاوليدا خاملا فافعل ما كنت فاعلا فامر الملك بالغلام فصار في غلمانه وان تباع المرأة وزوجها فيعطى زوجها خمس ثمنها وتعطى المرأة عشر ثمن زوجها فقالت هزيلة

أنينا أحا طسم ليحكم بيننا * فانفذ حكما في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت لا متورعا * ولا كنت فيمن يبرم الحكم عالما
ندمت ولم أندم وانى بعثرتي * وأصبح بعلي في الحكومة نادما

فلما سمع عملبق قولها أمر أن لا تزوج بكر من جديس وتهدى الى زوجها حتى يفترعها فلقوا من ذلك بلاء وجهدا وذلا ولم يزل يفعل ذلك حتى زوجت الثموس وهي عفيرة بنت عباد أخت الاسود فلما أراد واحملها الى زوجها انطلقوا بها الى عملبق لينالها قبله ومعها الفتيان فلما دخلت عليه افترعها وخلى سبيلها فخرجت الى قومها في دمائها وقد شقت درعها من قبل ودبر والدم يبين وهي في أقبح منظر تقول

لا أحد أذل من جديس * أهكذا يفعل بالعروس
يرضى بذا يا قوم بعل حر * أهدى وقد أعطى وسيق المهر

وقالت أيضا تحرض قومها

أيجمل ما يؤتى الى فتياتكم * وأنتم رجال فيكم عدد النمل
وتصبح تمشي في الدماء عفيرة * جهارا ولم تفت في النساء الى بعل

ولو أنا كنا رجالا وكنتم * نساء لكنا لا نقر لذا الفعل
فموتوا كراما أو أميتوا عدوكم * وذبوا النار الحرب بالحطب الجزل
والا فخلوا بطنها وتحملوا * الى بلد تفرر موتوا من الهرل
فلليس خير من مقام على الاذى * وللموت خير من مقام على الذل
وان أنتم لم تغضبوا بعد هذه * فكونوا نساء لا تعيب من الكحل
ودونكم طيب النساء فانما * خلقتم لاثواب العروس وللغسل
فبعدا وسحقا للذى ليس دافعا * ويختال يمشى بيننا مشية الفحل

فلما سمع أخوها الاسود قولها وكان سيد اطاعا قال لقومه يا معشر جديس ان هؤلاء القوم ليسوا باعز منكم فى داركم الا بملك صاحبهم علينا وعليهم ولولا عجزنا لما كان له فضل علينا ولو امتنعنا لانتصفنا منه فأطيعونى فيما آمركم فانه عين الدهر وقد حمى جديس لما سمعوا من قولها فقالوا نطيعك ولكن القوم أكثر منا قال فانى أصنع للملك طعاما وأدعوه وأهله اليه فاذا جاؤا يرفلون فى الحلل أخذنا سيوفنا وقتلناهم فقالوا افعل فصنع طعاما وأكثر وجعله بظهر البلد ودفن هو وقومه سيوفهم فى الرمل ودعا الملك وقومه فجاؤا يرفلون فى حللهم فلما أخذوا مجالسهم ومدوا أيديهم ليأكلوا أخذت جديس سيوفهم من الرمل وقتلوهم وقتلوا ملكهم وقتلوا بعد ذلك لسفله ثم ان بقية طسم قصدوا حسان بن تبع ملك اليمن فاستنصروه فسار الى اليمامة فلما كان منها على مسيرة ثلاث قال له بعضهم ان لى أختا متزوجة فى جديس يقال لها اليمامة تبصر الراكب من مسيرة ثلاث وانى أخاف ان تنذر القوم بك فر أصحابك وليقطع كل رجل منهم شجرة فليجعلها أمامه فامرهم حسان بذلك فنظرت اليمامة فأبصرتهم فقالت لجديس لقد سارت اليكم حمير قالوا وما ترين قالت أرى رجلا فى شجرة معه كتف يتعرقها أو نعل يخصفها وكان كذلك فكذبوها فصبحهم حسان فأبادهم وأتى حسان باليمامة ففقأ عينيها فاذا فيهما عروق سود فقال ما هذا قالت حجر أسود كنت أكتحل به يقال له الاثمد وكانت أول من اكتحل به وبهذه اليمامة سميت اليمامة وقد أكثر الشعراء ذكرها فى أشعارهم ولما هلكت جديس هرب الاسود فاتى عمليق الى جبلى طيئ فاقام بهما وذلك قبل ان تنزلهما طيئ وكانت طيئ تنزل الجرف من اليمن وهو الآن لمراد وهمدان وكان يأتى الى طيئ بعير أزمان الخريف عظيم السمن ويعود عنهم ولم يعلموا من أين يأتى ثم انهم اتبعوه يسيرون بسيره حتى هبط بهم على اجا وسلمى جبلى طيئ وهما بقرب فيد فرأوا فيه النخل والمراعى الكثيرة ورأوا الاسود بن عفار فقتلوه وأقامت طيئ بالجبلين بعده فهم هنالك الى الآن وهذا أول مخرجهم اليهما

ذكر أصحاب الكهف وكانوا أيام ملوك الطوائف

كان أصحاب الكهف أيام ملك اسمه دقيوس ويقال دقيانوس وكانوا بمدينة للروم اسمها افسوس وملكهم يعبد الاصنام وكانوا فتية آمنوا بربهم كما ذكر الله تعالى فقال أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا والرقيم خبرهم كتب فى لوح وجعل على باب الكهف الذى أووا اليه وقيل كتبه بعض أهل زمانهم وجعله فى البناء وفيه أسماؤهم وفى أيام من كانوا وسبب وصولهم الى الكهف وقيل كتبه الملك الذى ظهر عليهم وبنى الكنيسة عليهم وكانت عدتهم فيما ذكر ابن عباس سبعة وثامنهم كلبهم وقال أنا من القليل الذين يعلمونهم وقال ابن اسحق كانوا ثمانية فعلى قوله يكون تاسعهم كلبهم وكانوا من الروم وكانوا يعبدون الاوثان فهداهم الله وكانت

فلك البروج يسمى فلك الكل وبه يكون الليل والنهار لانه يدير الشمس والقمر وسائر الكواكب من المشرق الى المغرب فى كل يوم وليلة دورة واحدة على قطبين ثابتين أحدهما مما يلى الشمال وهو قطب بنات نعش والآخر مما يلى الجنوب وهو قطب سهيل وليس للبروج غير هذا الفلك وانما هى مواضع لثبت هذه الاسماء لتعرف مواضع الكواكب من الفلك الكلى فيجب ان تكون الفروج تضيق من ناحية القطبين وتتسع وسط الكرة والخط القاطع للكرة نصفين واحد وانما سمى دائرة معدل النهار لان الشمس اذا صارت عليها استوى الليل والنهار فى جميع البلدان فما كان من الفلك آخذا من الجنوب الى الشمال يسمى العرض وما كان آخذا من المشرق الى المغرب يسمى الطول والافلاك مستديرة محيطة بالعالم وهى تدور على مركز الارض والارض فى وسطها مثل النقطة فى وسط الدائرة وهى تسعة أفلاك فاقربها من الارض فلك القمر وفوقه فلك عطارد وفوق ذلك فلك الزهرة ثم فلك الشمس والشمس متوسطة

شريعتهم شريعة عيسى عليه السلام وزعم بعضهم انهم كانوا قبل المسيح بزمان المسيح أعلم قومه بهم والله بعثهم من رقدتهم بعد رفع المسيح والاول أصح وكان سبب ايمانهم انه جاء حواري من أصحاب عيسى الى مدينتهم فأراد ان يدخلها فقيل له ان على بابها صنما لا يدخلها أحد حتى يسجد له فلم يدخلها وأتى حماما قريبا من المدينة فكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام البركة وعلقه الفتية فجعل يخبرهم خبر السماء والارض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك يأمر أه فدخل بها الحمام فغيره الحواري فاستحيا ثم رجع مرة أخرى فغيره فسبه وانتهره ودخل الحمام ومعه المرأة فاتاني الحمام فقيل للملك ان الذي بالحمام قتلهما فطلب فلم يوجد فقيل من كان يصحبه فذكر الفتية فطلبوا فهربوا فمروا بصاحب لهم على حالهم في زرع له فذكر له أمرهم فسار معهم وتبعهم الكلب الذي له حتى آواهم الليل الى الكهف فقالوا نبيت ههنا حتى نصبح ثم نرى رأينا فدخلوه فرأوا عنده عين ماء وثمارا فاكلوا من الثمار وشربوا من الماء فلما جنهم الليل ضرب الله على آذانهم ووكل بهم ملائكة يقلبونهم ذات اليمين وذات الشمال لئلا تأكل الارض أجسادهم وكانت الشمس تطلع عليهم وسمع الملك دقيانوس خبرهم فخرج في أصحابه يتبعون أثرهم حتى وجدهم قد دخلوا الكهف وأمر أصحابه بالدخول اليهم واخراجهم فكلما أراد رجل ان يدخل ارتعب فعاد فقال بعضهم أليس لو كنت ظفرت بهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا ففعل فبقوا زمانا بعد زمان ثم ان راعيا أدركه المطر فقال لو فتحت باب هذا الكهف فادخلت غنمي فيه ففتحه فرد الله اليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا فبعثوا أحدهم بورق ليشتري لهم طعاما واسمه تمليخا فلما أتى باب المدينة رأى ما أنكره حتى دخل على رجل فقال بعني بهذه الدراهم طعاما فقال فمن أين لك هذه الدراهم قال خرجت أنا وأصحاب لي أمس فلما أصبحنا أرسلوني لاشتري لهم طعاما فقال هذه الدراهم كانت على عهد الملك الفلاني فرفعه الى الملك وكان ملكا صالحا فسأله عنها فاعادعليه حالهم فقال الملك وأين أصحابك قال انطلقوا معي فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف فقال دعوني ادخل الى أصحابي قبلكم لئلا يسمعوا أصواتكم فيخافوا ظنا منهم ان دقيانوس قد علم بهم فدخل عليهم وأخبرهم الخبر فسجدوا شكرا لله وسألوه ان يتوفاهم فاستجاب لهم فضرب على اذنه وآذانهم وأراد الملك الدخول عليهم فكانوا كلما دخل عليهم رجل أرعب فلم يقدروا ان يدخلوا عليهم فعاد عنهم وبنوا عليهم كنيسة يصلين فيها قال عكرمة لما بعثهم الله كان الملك حينئذ مؤمنا وكان قد اختلف أهل مملكته في الروح والجسد وبعثهما فقال قائل يبعث الله الروح دون الجسد وقال قائل يبعثان جميعا فشق ذلك على الملك فلبس المسوح وسأل الله ان يبين له الحق فبعث الله أصحاب الكهف بكره فلما بزغت الشمس قال بعضهم لبعض قد أغفلنا هذه الليلة عن العبادة فقاموا الى الماء وكان عند الكهف عين وشجرة فاذا العين قد غارت والاشجار قد يبست فقال بعضهم لبعض ان أمرنا لعجب هذه العين غارت وهذه الاشجار يبست في ليلة واحدة وألقى الله عليهم الجوع فقالوا أيكم يذهب الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا فدخل أحدهم يشتري الطعام فلما رأى السوق عرف طرقها وأنكر الوجوه ورأى الايمان ظاهرا بها فاتى رجلا يشتري منه فانكر الدراهم فرفعه الى الملك فقال الفتى أليس ملككم فلان فقال الرجل لا بل فلان فعجب لذلك فلما أحضر عند الملك أخبره بخبر أصحابه فجمع الملك الناس وقال لهم انكم قد اختلفتم في الروح والجسد وان الله قد بعث لكم آية هذا الرجل من

الافلاك السبعة وفوقها فلك المريخ وفوقه فلك المشترى وفوق ذلك فلك زحل وفي كل فلك من هذه الافلاك السبعة كوكب واحد فقط وفوق فلك زحل الفلك الثامن والفلك التاسع وهو أرفع وأعظم جسما وهو الفلك الاعظم محيط بالافلاك التي دونه عاسميناو بالطبائع الاربع وبجميع الخليقة وليس فيه كوكب ودوره من المشرق الى المغرب في كل يوم دورة واحدة تامة ويدير بدور انه ما تحته من الافلاك المتقدم وصفها وأما الافلاك السبعة التي قدمنا ذكرها فانها تدور من المغرب الى المشرق وللشمس فيما ذكرنا حجج بطول الخطب فيها والكواكب المرئية التي نشاهدها وسائر الكواكب في الفلك الثامن وهو يدور على قطبين غير قطبي الفلك الاعظم المتقدم ذكره وزعموا ان الدليل على ان حركة فلك البروج غير حركة الافلاك هو ان البروج الاثني عشر يتلو بعضها بعضا في مسيرها ولا تنتقل عن أماكنها ولا تتغير حركتها في طلوعها وغروبها وان الكواكب السبعة لكل واحد منها حركة خلاف حركة صاحبه ولها

قوم فلان يعنى الملك الذى مضى فقال الفتى انطلقوا بى الى أصحابى فركب الملك والناس معه فلما انتهى الى الكهف قال الفتى للملك ذرونى اسبقكم الى أصحابى أعرفهم خبركم لئلا يخافوا اذا سمعوا وقع حوافر دوابكم وأصواتكم فيظنوكم دقيانوس فقال افعل فسبقهم الى أصحابه ودخل على أصحابه فأخبرهم الخبر فعلموا حينئذ مقدار لبثهم فى الكهف وبكوا فرحا ودعوا الله ان يميتهم ولا يراهم أحد ممن جاءهم فماتوا لساعتهم فضرب الله على اذنه وآذانهم معه فلما استبطؤه دخلوا الى الفتية فاذا أجسادهم لا ينكرون منها شيأ غير انها الا أرواح فيها فقال الملك هذه آية لكم ورأى الملك تابوتا من نحاس مختوما بخاتم ففتحه فرأى فيه لوحا من رصاص مكتوبا فيه أسماء الفتية وانهم هربوا من دقيانوس الملك مخافة على نفوسهم ودينهم فدخلوا هذا الكهف فلما علم دقيانوس بمكانهم بالكهف سده عليهم فليعلم من يقرأ كتابنا هذا شأنهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله تعالى الذى أراهم هذه الآية للبعث ورفعوا أصواتهم بالتحميد والتسبيح وقيل ان الملك ومن معه دخلوا على الفتية فرأوهم أحياء مشرقة وجوههم وألوانهم لم تبل ثيابهم وأخبرهم الفتية بما لقوا من ملكهم دقيانوس واعتنقهم الملك وقعدوا معه يسبحون الله ويذكرونه ثم قالوا له نستودعك الله ورجعوا الى مضاجعهم كما كانوا فعمل الملك لكل رجل منهم تابوتا من الذهب فلما نام رآهم فى منامه وقالوا انا لم نخلق من الذهب انما خلقنا من التراب واليه نصير فعمل لهم حينئذ توابيت من خشب فحجبهم الله بالرعب وبنى الملك على باب الكهف مسجدا وجعل لهم عيدا عظيما واسماء الفتية مكسلمينا وتمليخا ومرطوس ونيرويس وكسطومس وديموس وريطوفس وقالوس ومخسيلينيا وهذه تسعة أسماء وهى أتم الروايات والله أعلم وكلبهم قطمير

﴿ذكر يونس بن متى﴾

وكان أمره من الاحداث أيام ملوك الطوائف قيل لم ينسب أحد من الانبياء الى أمه الا عيسى ابن مريم ويونس بن متى وهى أمه وكان من قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الاصنام فبعثه الله اليهم بالنهى عن عبادتها والامر بالتوحيد فاقام فيهم ثلاثا وثلاثين سنة يدعوهم فلم يؤمن غير رجلين فلما أيس من ايمانهم دعا عليهم فقيل له ما أسرع ما دعوت على عبادى ارجع اليهم فادعهم أربعين يوما فدعاهم سبعة وثلاثين يوما فلم يجيبوه فقال لهم ان العذاب يأتيكم الى ثلاثة أيام وآية ذلك ان ألوانكم تتغير فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم فقالوا قد نزل بكم ما قال يونس ولم تجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم فأمنوا من العذاب وان لم يبت فاعلموا ان العذاب يصبحكم فلما كانت ليلة الاربعين أيقن يونس بنزول العذاب فخرج من بين أظهرهم فلما كان الغد تغشاهم العذاب فوق رؤسهم خرج عليهم غيم أسود هائل يدخن دخانا شديدا ثم نزل الى المدينة فاسودت منه سطوحهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطلبوا يونس فلم يجدوه فالهمهم الله التوبة فاخلصوا النية فى ذلك وقصدوا شيخا وقالوا له قد نزل بنا ما ترى فما نفعل فقال آمنوا بالله وتوبوا وقولوا يا حى يا قيوم يا حى حين لا حى يا حى محيى الموتى يا حى لا اله الا أنت فخرجوا من القرية الى مكان رفيع فى براز من الارض وفرقوا بين كل دابة وولدها ثم عجوا الى الله واستغاثوه وردوا المظالم جميعا حتى ان كان أحدهم ليقلع الحجر من بنائه فيرده الى صاحبه فكشف الله عنهم العذاب وكان يوم عاشوراء يوم الاربعاء وقيل للنصف من شوال يوم الاربعاء وانتظر يونس الخبر عن القرية وأهلها حتى مر به ما رفقال ما فعل أهل القرية فقال تابوا الى الله فقبل منهم وأخر عنهم العذاب فغضب يونس عند ذلك فقال والله لا أرجع كذابا ولم تكن قرية رد الله عنهم العذاب بعد

تفاوت فى حركتها فربما أسرع الكوكب فى حركته ومسيره وربما أخذ فى الجنوب وربما أخذ فى الشمال وحد الفلك عندهم انه نهاية لما تصير اليه الطبائع علوا وسفلا وحده من جهة الطبائع انه شكل مستدير وهو أوسع الاشكال بالاشكال كلها واما مقادير حركة هذه الكواكب فى افلاكها فمقام القمر فى كل برج يومان ونصف ويقطع الفلك فى شهر ومقام الشمس فى كل برج شهر ومقام عطارد فى كل برج خمسة عشر يوما ومقام المريخ فى كل برج خمسة وأربعون يوما ومقام المشترى فى كل برج سنة ومقام زحل فى كل برج ثلاثون شهرا * زعم بطليموس صاحب كتاب المجسطى ان استدارة الارض كلها جبالها وبحارها أربعة وعشرون ألف ميل وان قطرها وهو عرضها وعمقها تسعة آلاف وستمائة وستة وثلاثون ميلا وانهم انما استدركوا ذلك بأنهم أخذوا ارتفاع القطب الشمالى فى مدينتين هما خط واحد من خط الاستواء مثل مدينة تدمر التى فى البرية بين العراق

ماغشيهم الاقوم يونس ومضى مغاضبا لربه وكان فيه حدة وعجلة وقلة صبر ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون مثله فقال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت ولما مضى ظن ان الله لا يقدر عليه أي يقضي عليه العقوبة وقيل يضيق عليه الحبس فسار حتى ركب في سفينة فأصاب أهلها عاصف من الريح وقيل بل وقعت فلم تسر فقال من فيها هذا بخطيئة أحدكم فقال يونس هذا بخطيئتي فألقوني في البحر فاوا عليه حتى أفاضوا بسهامهم فساهم فكان من المدحضين فلم يلقوه وفعلوا ذلك ثلاثا ولم يلقوه فألقى نفسه في البحر وذلك تحت الليل فالتقمه الحوت فاوحى الله الى الحوت ان يأخذه ولا يحدش له لحما ولا يكسر له عظما فاخذه وعاد الى مسكنه من البحر فلما انتهى اليه سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله اليه في بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة فقال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد له كل يوم عمل صالح فشفعوا له عند ذلك فنادى في الظلمات ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وظلمة الليل ان لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين وكان قد سبق له من العمل الصالح فانزل الله فيه فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وذلك ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر فنبذناه بالعراء وهو سقيم التقى على شاطئ البحر وهو كالصبي المنفوس ومكث في بطن الحوت أربعين يوما وقيل عشرين يوما وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام والله أعلم وأنبت عليه شجرة من يقطين وهو القرع يتقطر عليه منه اللبن وقيل هيأ الله له أروية وحشية فكانت ترضعه بكرة وعشية حتى رجعت اليه قوته وصار يمشي فرجع ذات يوم الى الشجرة فوجدها قد يبست فحزن وبكى عليها فعاتبه الله وقيل له أتبكي وتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف وزيادة اردت ان تهلكهم ثم ان الله أمره ان يأتي قومه فيخبرهم ان الله قد تاب عليهم وعهد اليهم فلقي راعيا فسأله عن قوم يونس فاخبره انهم على رجاء ان يرجع اليهم رسولهم قال فاخبرهم انك قد لقيت يونس قال لا أستطيع الا بشاهد فمشى له عتزام غنمه والبقعة التي كانا فيها وشجرة هناك وقال كل هذه تشهد لك فرجع الراعي الى قومه فاخبرهم أنه رأى يونس فهموا به فقال لا تعجلوا حتى أصبح فلما أصبح غدا بهم الى البقعة التي لقي فيها يونس واستظلها فشهدت له وكذلك الشاة والشجرة وكان يونس قد احتفى هناك فلما شهدت الشاه قالت لهم ان أردتم نبي الله فهو بمكان كذا وكذا فاتوه فلما رأوه قبلوا يديه ورجليه وأدخلوه المدينة وأقام فيهم ما شاء الله فمكث مع أهله وولده أربعين يوما وخرج سائحا وخرج الملك معه يصحبه وسلم الملك الى الراعي فاقام يدبر أمرهم أربعين سنة بعد ذلك ثم ان يونس أتاهم بعد ذلك وقال ابن عباس وشهر بن حوشب كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت وقال كذلك أخبر الله تعالى في سورة الصافات فانه قال فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وقال شهر ان جبريل أتى يونس فقال له انطلق الى أهل نينوى فانذرهم العذاب فانه قد حضرهم قال ألتمس دابة قال الامر اعجل من ذلك قال ألتمس حذاء قال الامر اعجل من ذلك قال فغضب وانطلق الى السفينة فركب فلما ركب احتبست قال فساهم فساهم فجاءت الحوت فنودي الحوت انا لم نجعل يونس من رزقك انما جعلناك له حرزا فالتقمه الحوت وانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الابلة ثم انطلق به على دجلة حتى ألقاه بنينوى

﴿وما كان من الاحداث أيام ملوك الطوائف﴾

والشام ومثل مدينة الرقة فوجدوا ارتفاع القصب في مدينة الرقة خمسة وثلاثين جرأ وثلثا وجدوا ارتفاع القطب في مدينة تدمر أربعة وثمانين جرأ وثلث جزء وصحوا ما بين الرقة وتدمر فوجدوه سبعة وثلاثين ميلا فلما ظهر لهم ان القطب سبعة وستون ميلا من الارض وثلث تسعة وستون جرأ لعلل ذكروها يبعد علينا ايرادها في هذا الموضع وهذه قسمة صحيحة عندهم لانهم وجدوا القطب قد اقتسمته الروح الاثنا عشر وان الشمس تقطع كل برج في شهر وتقطع الروح كل واحد في ثلثمائة وستين يوما وان الفلك مستدير يدور بمحورين وقطبين وانهما بمنزلة محوري النجارة والخراط الذي يخرط الاكرة والقصاع وغيرها من الآلات الخشب وان من كان مسكنه وسط الارض بين وعند خط الاستواء استوت ساعات ليله ونهاره وسائر الدهور ورأى هذين المحورين أعني القطب الشمالي والقطب الجنوبي فاما أهل البلد التي مالت الى ناحية الشمال فانهم يرون القطب الشمالي

ارسال الله تعالى الرسل الثلاثة الى مدينة انطاكية وكانوا من الحواريين أصحاب المسيح أرسل أولا اثنين وقد اختلف فى أسمائهما فقدما أنطاكية فرأيا عندها شيخا يرعى غنما وهو حبيب النجار فسلما عليه فقال من أنتما قالا رسولا عيسى ندعوكم الى عبادة الله تعالى قال معكما آية قالا نعم نحن نشفى المرضى ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله قال حبيب ان لى ابنا مريضا منذ سنين وأتيهما منزله فمسحا ابنه فقام فى الوقت صحيحا ففشا الخبر فى المدينة وشفى الله على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك اسمه انطيخس يعبد الاصنام فبلغ اليه خبرهما فدعاهما فقال من أنتما قالا رسولا عيسى ندعوك الى الله تعالى قال فما آيتكما قالا نبرئ الاكمه والابرص ونشفى المرضى باذن الله فقال قوما حتى ننظر فى أمركما فقاما فضربهما العامة وقيل انهما قدما المدينة فبقيا مدة لا يصلان الى الملك فخرج الملك يوما فكبرا وذكرا الله فغضب وحبسهما وجلد كل واحد منهما مائة جلدة فلما كذبا وضرب بابعث المسيح شمعون رأس الحواريين اليهما فدخل البلد متنكرا وعاشر حاشية الملك فرفعوا خبره الى الملك فاحضره ورضى عشرته وأنس به وأكرمه فقال له يوما أيها الملك بلغنى أنك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين دعوا الى دينهما فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال الملك حال الغضب بينى وبين ذلك قال فان رأى الملك ان يحضرهما حتى نسمع كلامهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما قالا الله الذى خلق كل شئ ولا شريك له قال فصفاه وأوجزا قال انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال شمعون فما آيتكما قالا ما تقترحه فأمر الملك فجئ بغلام مطموس العينين موضعهما كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر وأخذا بندقتين من الطين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك لذلك فقال ان قدر الهكما الذى تعبدانه على احياء ميت آمنا به وبكما قالا ان الهنا قادر على كل شئ فقال الملك ان ههنا ميتا منذ سبعة أيام فلم ندفنه حتى يرجع أبوه وهو غائب فاحضر الميت وقد تغيرت ريحه فدعوا الله تعالى علانية وشمعون يدعو سرا فقام الميت فقال لقومه انى مت مشركا وأدخلت فى أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه ثم قال فتحت أبواب السماء فنظرت فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن هم فقال هذا واوما الى شمعون وهذان وأشار اليهما فعجب الملك حينئذ دعا شمعون الملك الى دينه فآمن قومه وكان الملك فيمن آمن وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا النجار وهو على باب المدينة فجاء يسعى اليهم فيذكرهم ويدعوهم الى طاعة الله وطاعة المرسلين فذلك قوله تعالى اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث وهو شمعون فاضاف الله تعالى الارسال الى نفسه وانما أرسلهم المسيح لانه أرسلهم باذن الله تعالى فلما كذبهم أهل المدينة حبس الله عنهم المطر فقال أهلها للرسل انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم بالحجارة وقيل لنقتلنكم وليمسنكم منا عذاب أليم فلما حصر حبيب وكان مؤمنا يكتم ايمانه وكان يجمع كسبه كل يوم وينفق على عياله نصفه ويتصدق بنصفه فقال يا قوم اتبعوا المرسلين فقال قومه وأنت مخالف لدينا ومؤمن بالهة هؤلاء فقال ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون فلما قال ذلك قتلوه فأوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين وأرسل الله عليهم صيحة فماتوا

﴿ (ومما كان من الاحداث شمعون) ﴾

وكان من قرية من قرى الروم قد آمن وكانوا يعبدون الاصنام وكان على أميال من المدينة وكان يغزوهم وحده ويقاتلهم بلحى جمل فكان اذا عطش انفجر له من الحجر الذى فيه ماء عذب فيشرب

وبنات نعش ولا يرون القطب الجنوبى ولا الكواكب التى هى قريبة منه وكذلك لا يرى الكوكب المعروف بسهيل بناحية خراسان ويرى فى العراق فى السنة أياما ولا تقع عين جل من الجمال عليه الا هلك على حسب ما ذكرناه وما ذكر الناس من العلة فى ذلك شئ موت هذا النوع من الحيوان وأما فى البلدان الجنوبية فانه يرى فى السنة كلها وقد تنازع طوائف الفلكيين وأصحاب النجوم فى هذين المحورين اللذين يعتمد عليهما الفلك أساكنان هما أم متحركان فذهب الاكثر منهم الى انهما غير متحركين وقد أتينا على ما يلزم كل فريق منهم فى بيان هذين المحورين أمن جنس الافلاك هما أم من غير ذلك فيما سلف من كتبنا وقد تنوزع فى شكل البحار فذهب الاكثرون الفلاسفة المتقدمين من الهند وحكماء اليونانيين الا من خالفهم وذهب الى قول الشرعيين ان البحر مستدير على مواضع من الارض واستدلوا على صحة ذلك بدلائل كثيرة منها اذا لجت فيه غابت عنك الارض والجبال شيأ بعد شئ حتى يغيب ذلك كله ولا ترى شيأ

منه وكان قد أعطى قوة لا يوثقه حديد ولا غيره وكان على ذلك يجاهدهم ويصيب منهم ولا يقدرون منه على شئ فجعلوا الامر أنه جعلا لتوثقه لهم فاجابهم الى ذلك فاعطوها حبلا وثيقا فتركته حتى نام وشدت يديه فاستيقظ وجذبه فسقط الحبل من يديه فارسلت اليهم فاعلمتهم فارسلوا اليها بحامعة من حديد فتركتها في يديه وعنقه وهو نائم فاستيقظ وجذبها فسقطت من عنقه ويديه فقال لها في المرتين ما حملك على ما صنعت فقالت أريد أن أجرب قوتك وما رأيت مثلك في الدنيا فهل في الارض شئ يغلبك قال نعم شئ واحد فلم تزل تسأله عنه حتى قال لها وبحبك لا يضبطني الا شعري فلما نام أوثقت يديه بشعر رأسه وكان كثيرا فارسلت اليهم فجاؤا فاخذوه فجدعوا أنفه وأذنيه وفقؤا عينيه وأقاموه للناس وجاء الملك لينظر اليه وكانت المدينة على أساطين فدعا الله فمسون عليهم فامر ان يأخذ عمودين من عمد المدينة فيجذبهما ويرد اليه بصره وما اصابوا من جسده وحذب العمودين فوقعت المدينة بالملك والناس وهلك من فيها هدما وكان ثمسون أيام ملوك الطوائف

﴿ ومما كان من الاحداث أيضا جرجيس ﴾

قيل كان بالموصل ملك يقال له دازانه وكان جبارا عاتيا وكان جرجيس رجلا صالحا من أهل فلسطين يكتم ايمانه مع أصحاب له صالحين وكانوا قد أدركوا بقايا من الحواريين فاخذوا عنهم وكان جرجيس كثير التجارة عظيم الصدقة وربما تقدم ماله في الصدقة ثم يعود يكتسب مثله ولولا الصدقة لكان الفقر أحب اليه من الغنى وكان يخاف بالشام ان يفتتن عن دينه فقصد الموصل ومعه هدية للملك فلما دخل لاحد عليه سبيلا فجاءه وحين قد جاءه أحضر عظماء قومه وأوقد نارا وأعد أصنافا من العذاب وأمر بصنم له يقال له أفلون فنصب فمن لم يسجد له عذبه وألقى في النار فلما رأى جرجيس ما يصنع استعظمه وحدث نفسه بجهاده فعمد الى المال الذي معه فقسمه في أهل مدينته وأقبل عليه وهو شديد الغضب فقال له اعلم أنك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيأ ولا لغيرك شيأ وان فوقك ربا هو الذي خلقك ورزقك فاخذ في ذكر عظمة الله تعالى وعيب صنمه فاجابه الملك بان يساله من هو ومن أين هو فقال جرجيس أنا عبد الله وابن أمته من التراب خلقت واليه أعود فدعاه الملك الى عبادة صنمه وقال له لو كان ربك ملك الملكوت لرؤي عليك أثره كما ترى على من حولي من ملوك قومي فاجابه جرجيس بتعظيم أمر الله وتمجيده وقال له تعبد أفلون الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يغني من رب العالمين أم تعبد الذي قامت باسره السموات والارض أم تعبد طرقلينا عظيم قومك من الناس عليه السلام فانه كان آدميا يأكل ويشرب فاكرمه الله بان جعله انسيا ملكيا أم تعبد عظيم قومك مخليطيس أيضا وما قال ولا يتك عيسى عليه السلام وذكر من معجزاته وما خصه الله به من الكرامة فقال له الملك انك أتيتنا بأشياء لا نعلمها ثم خيره بين العذاب والسجود للصنم فقال جرجيس ان كان صنمك هو الذي رفع السماء وعدد أشياء من قدرة الله عز وجل فقد أصبت ونصحت والا فاخسأ أيها الملعون فلما سمع الملك أمر بحبسه ومشط جسده بامشاط الحديد حتى تقطع لحمه وعروقه وينضح بالخل والخردل فلم يمت فلما رأى ذلك لم يقتله أمر بستة مسامير من حديد فاحميت حتى صارت نارا ثم سمر بها رأسه فسال دماغه فحفظه الله تعالى فلما رأى ذلك لم يقتله أمر بحوض من نحاس فأوقد عليه حتى جعله نارا ثم أدخله فيه وأطبق عليه حتى برد فلما رأى ذلك لم يقتله دعا وقال له ألم تجد ألم هذا العذاب قال ان الهي حمل عني عذابك وصبرني ليحتج عليك فايقن الملك بالشر وخافه على نفسه وملكه فاجمع رأيه على أن يخلده في السجن فقال الملأ من

قومه

من شوامخ الجبال واذا أقبلت ايضا نحو الساحل ظهرت تلك الجبال شيأ بعد شئ وظهرت الاشجار والارض وهذا جبل دباوند بين بلد الري وطبرستان يرى من مائة فرسخ لعلوه وذهابه في الجو ويرتفع في أعاليه الدخان والثلوج مترادفة عليه حالية أعاليه منها ويخرج من أسفله نهر كثير الماء أصفر كلون زيتي ذهبي الون مسافة الصعود عليه في نحو ثلاثة أيام بلياليها وان من علاه وصار في قلته وجد مساحة رأس القلة نحو ألف ذراع في مثل ذلك وهي ترى في رأي العين من أسفل نحو القبة المخروطة وان في هذه المساحة في أعاليه رملا تغوص فيه الاقدام أحمر وان هذه القبة لا يلحقها شئ من الوحش ولا من الطير لشدة الرياح وسمومها في الهواء وشدة البرد وان في أعاليه نحو اثنين ثقبا يخرج منها الدخان الكبريتي العظيم ويخرج مع ذلك دوي عظيم كاشد ما يكون من الرعد وذلك صوت تلهب النيران وربما يحمل من غرر بنفسه وصعد الى أعاليه من أفواه هذه الثقوب كبريتا أصفر كانه الذهب يقع في أنواع

قومه انك ان تركته فى السجن طليقا يكلم الناس ويميل بهم عليك ولكن يعذب بعذاب يمنعه من الكلام فامر به فيقطع فى السجن على وجهه ثم أوتد فى يديه ورجليه أوتادا من حديد ثم أمر باسطوان من رخام حمله ثمانية عشر رجلا فوضع على ظهره فظل يومه ذلك تحت الجبل فلما أدركه الليل أرسل الله اليه ملكا وذلك أول ما أيد بالملائكة فاول ما جاءه الوحى فلع عنه الجبل ونزع الاوتاد وأطعمه وأسقاه وبشره وعزاه فلما أصبح أخرجه من السجن فقال له الحق بعدوك فجاهده فانى قد ابتليتك به سبع سنين يعذبك ويقتلك فيهن أربع مرات فى كل ذلك أرد اليك روحك فاذا كانت القتلة الرابعة تقبلت روحك وأوفيتك أجرك فلم يشعر الملك الا وقد وقف جرجيس على رأسه يدعوه الى الله فقال له أجرجيس قال نعم قال من أخرجك من السجن قال أخرجنى من سلطانه فوق سلطانك فلئ غيظا ودعا باصناف العذاب ومدوه بين خشبتين ووسعوا على رأسه سيفا ثم أشروه حتى سقط بين رجليه وصار رجلتين ثم قطعوهما قطعا وكان له سبعة اسد ضارية فى جب فالقوا جسده اليها فلما رأته خصمت برؤسها وقامت على براثنها لا تألو أن تنهشه الا ذى الذى تحتها فظلت يومها تحته ميتا وكان أول ميتة داقها فلما أدركه الليل جمع الله جسده وسواه ورد فيه روحه وأخرجه من قعر الجب فلما أصبحوا أقبل جرجيس وهم فى عيدهم صنموه فرجاءوت جرجيس فلما نظروا اليه مقبلا قالوا ما أشبه هذا بجرجيس قال الملك هو هو قال جرجيس أنا هو حقا يا قوم أنتم قتلتم ومثلتم فرد الله روحى الى فهلموا الى عذاب هذا الرب العظيم الذى أراكم قدرته فقالوا ساحر سحر أعيننا وأيديكم عنه فجمعوا من بلادهم من السحرة فلما جاؤا قال الملك الكبير هم اعرض على من سحرك ما يسرى به عنى فدعا بثور ونفخ فى أذنيه فاذا هو نوران ودعا ببذر فبذر وحرث وزرع وحصد ودق ودرى وطحن وخبز وأكل فى ساعة فقال له الملك هل تقدر أن تصنع كلبا قال ادع لى بقدح من ماء فاتى به فنفث فيه الساحر ثم قال لجرجيس اشربه فشربه جرجيس حتى أتى على آخره فقال له الساحر ماذا تجد قال ما أجد الا خيرا كنت عطشان فاطف الله بى فسقانى وأقبل الساحر على الملك وقال لو كنت تقاسى جبارا مثلك لغلبته انما تقاسى جبار السماء والارض وكانت أنت جرجيس امرأة من الشام وهو فى أشد العذاب فقالت له انه لم يكن لى مال الا ثور أعيش به من حرثه فمات وجئتك لترحمنى وتسأل الله ان يحيى ثورى فاعطاها عصا وقال اذهبى الى ثورك فاضربيه بهذه العصا وقولى له احى باذن الله فاخذت العصا وأتت مصرع الثور فرأت روثه وشعر ذنبه فجمعتها ثم قرعتها بالعصا وقالت ما أمرها به جرجيس فعاش ثورها وجاء الخبر بذلك فلما قال الساحر ما قال قال رجل من أصحاب الملك وكان أعظمهم بعد الملك اسمعوا منى قالوا نعم قال انكم قد وضعتم أمره على السحر وانه لم يعذب ولم يقتل فهل رأيتم ساحرا قط قدر لى أن يدفع عن نفسه الموت أو أحياميتا وذكر الثور واحياءه فقالوا له ان كلامك كلام رجل قد أصغى اليه فقال قد آمنت به وأشهد الله انى برىء مما تعبدون فقام اليه الملك وأصحابه بالخناجر فقطعوا اسانه بالخناجر فلم يلبث ان مات وقيل أصابه الطاعون فاعجله قبل ان يتكلم وكتموا شأنه فكشف جرجيس للناس فاتبعه أربعة آلاف وهو ميت فقتلهم الملك بانواع العذاب حتى أفناهم وقال له رجل من عظماء أصحاب الملك يا جرجيس انك زعمت ان الهك يبدأ الخلق ثم يعيده وانى سائلك أمرا ان فعله الهك آمنت به وصدقتك وكفيتك قومى هذا تحتنا أربعة عشر مبرا ومائدة واقداح وصحاف من خشب يابس وهو من أشجار شتى فادع ربك ان يعيدها خضرا

الصمغ والكيمياء وغير ذلك من الوجوه وان من علا يرى ما حوله من الجبال الشامخة كانها روابى وتلال لعلوه عليها وبين هذا الجبل وبحر طبرستان فى المسافة نحو من عشرين فرسخا والمراكب اذا لجت فى هذا البحر غاب عنها جبل دباوند فلم يره أحد فاذا صاروا فى هذا البحر على نحو من مائة فرسخ ودنوا من جبال طبرستان رأوا اليسير من أعالى هذا الجبل فكلما قربوا من هذا الساحل ظهر لهم وهذا دليل على ما ذهبوا اليه من كرية ماء البحر وانه مستدير الشكل وكذلك من يكون فى بحر الروم الذى هو بحر الشام يرى الجبل الاقرع وهو جبل لا يدرك علوه مطل على بلدة انطاكية واللاذقية وطرابلس وجزيرة قبرس وغيرها من بلاد الروم فيغيب عن أصار من فى المراكب ولا يخفى عنهم فى المسير فى البحر فى المواضع التى يرى منها وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جبل دباوند وما قال الفرس فى ذلك قال الضحاك ذو الافواه ومن أعاليه يا لحديد هذه النار التى فى أعالى هذا الجبل أطم عظيم من آطام الارض

كما بدأها يعرف كل عود بلونه وورقه وزهره وثمره قال جرجيس قد سألت أمرا عزيزا على وعليك وانه على الله يسير ودعا الله فبارحوا حتى اخضرت وساخت عروقها وتشعبت ونبت ورقها وزهرها حتى عرفوا كل عود باسمه فقال الذى سأله هذا أنا أتولى عذابه فعمد الى نحاس فصنع منه صورة ثور مجوف ثم حشاها نفطا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا وادخل جرجيس فى وسطها ثم أوقد تحت الصورة النار حتى التهبت وذاب كل شئ فيها واختلط ومات جرجيس فى جوفها فلما مات أرسل الله ريحا عاصفا ورعدا وبرقا وسحابا مظلما وأظلم ما بين السماء والارض وبقوا أياما متحيرين فارسل الله ميكائيل فاحتمل تلك الصورة فلما أقلها ضرب بها الارض ففزع من روعتها كل من سمعها وانكسرت وخرج منها جرجيس حيا فلما وقف وكلمهم انكشفت الظلمة واسعر ما بين السماء والارض قال له عظيم من عظمائهم ادع الله بان يحيي موتانا من هذه القبور فامر جرجيس بالقبور فنبشت وهى عظام رفات ثم دعا فبارحوا حتى نظروا الى سبعة عشر انسانا تسعة رجال وخمس نسوة وثلاث صبية وفيهم شيخ كبير فقال له جرجيس متى مت فقال فى زمان كذا وكذا فاذا هو ابن بعمائة عام فلما رأى ذلك الملك قال لم يبق من عذابكم شئ الا وقد عذبتموه وأصحابه الا الجوع والعطش فعذبوه به فعمدوا الى بيت عجوز فقيرة وكان لها ابن أعمى أبكم مقعد فحصروه فيه فلا يصل اليه طعام ولا شراب فلما جاع قال للعجوز هل عندك طعام أو شراب قالت لا والذى يحلف به مالنا عهد بالطعام من كذا وكذا وسأخرج فالتمس لك شيأ فقال لها هل تعبدين الله قالت لا فدعاها فآمنت وانطلقت تطلب له شيأ وفى بيتها دعامة خشبة يابسة تحمل خشب البيت فدعا الله فاخضرت تلك الدعامة وأنبتت كل فاكهة تؤكل وتعرف فظهر للدعامة فروع من فوق البيت تظله وما حوله وعادت العجوز وهو يأكل رغدا فلما رأت الذى فى بيتها قالت آمنت بالذى أطعمك فى بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم ان يشفى ابنى قال أدنيه منى فادنته فبصق فى عينيه فأبصر فنفث فى أذنيه فسمع قالت له أطلق لسانه ورجليه قال لها آخريه فان له يوما عظيما ورأى الملك الشجرة فقال أرى شجرة ما كنت أعهدها قالوا تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذى أردت ان تعذبه بالجوع وقد شبع منها وأشبعت العجوز وشفى لها ابنها فأمر بالبيت فهدموا بالشجرة ان تقطع فلما هموا بقطعها اليها الله وتركوها وأمر بجر جيس فقطع على وجهه وأمر بجعل فاقوا سطوانا وجعل فى أسفل الجعل خناجر وشفارا ثم دعا بأربعين ثورا فنهضت بالجعل نهضة واحدة وجرجيس تحتها فانقطع ثلاث قطع ثم أمر بقطعة فأحرقت حتى صارت رمادا وبعث بالرماد مع رجال فذروه فى البحر فلم يبرحوا حتى سمعوا صوتا من السماء يا بحران الله يأمرك ان تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب فانى أريد أن أعيده فأرسل الرياح فجمعته كما كان قبل أن يذروه والذين ذروه قيام لم يبرحوا وخرج جرجيس حيا مغبرا فرجعوا ورجع معهم وأخبروا خبر الصوت والرياح فقال له الملك هل لك فيما هو خير لى ولك ولولا أن يقال انك غلبتنى لآمنت بك ولكن اسجد لصنمى سجدة واحدة أو اذبح له شاة واحدة وأنا أفعل ما يسرك فطمع جرجيس فى اهلاك الصنم حين يراه وايمان الملك عند ذلك فقال له افعل خديعة منه وادخلنى على صنمك اسجد له واذبح ففرح الملك بذلك وقبل يده ورجليه وطلب منه أن يكون يومه وليلته عنده ففعل وأخلى له الملك بيتا ودخله جرجيس فلما جاء الليل قام يصلى ويقرأ الزبور وكان حس الصوت فلما سمعته امرأة الملك استجابت له وآمنت به وكتمت ايمانها فلما أصبح غدا به الى بيت الاصنام ليسجد لها وقيل للعجوز ان جرجيس قد افتتن وطمع فى الملك بعد الملك فخرجت تحمل ابنها على عاتقها

وعجائبها وقد تكلم الناس فى بعد الارض فذكر الاكثر أن من مركز الارض الى ماينتهى اليه الهواء والنار مائة ألف وثمانية عشر ألف ميل وأما القمر فان الارض أعظم منه بتسع وثلاثين مرة والارض أعظم من عطارد بثلاث وعشرين ألف مرة والارض أعظم من الزهرة باربع وعشرين ألف مرة والشمس أعظم من الارض بمائة وسبعين مرة وربع وثمن وأعظم من القمر بألف وستمائة وأربع وأربعين مرة والارض كلها نصف عشر ثمن من الشمس وقطر الارض اثنان وأربعون ألف ميل والمريخ مثل الارض وزيادة ثلاث وستين مرة وقطره ثمانية آلاف وسبعمائة ميل ونصف ميل والمشترى مثل الارض احدى وثمانين مرة ونصف وربع وقطره ثلاثة وثلاثون ألف ميل وستة عشر ميلا ورحل أعظم من الارض تسعا وتسعين مرة ونصفا وقطره اثنان وثلاثون ألف ميل وسبعمائة وستة وثلاثون ميلا وأما أجرام الكواكب الثابتة التى فى المشرق الاول وهى خمسة عشر كوكبا فكل كوكب منها أعظم من الارض باربع

في اغرانيها تو بخ جرجيس فلما دخل بيت الاصنام نظر فاذا العجوز وابنها أقرب الناس اليه فدعا ابنها فأجابه وما تكلم قبل ذلك قط ثم نزل عن عاتق أمه يمشي على قدميه سويا بين وما وطئ الارض قط فلما وقف بين يدي جرجيس قال له ادع لي هذه الاصنام وهي على منابر من ذهب واحد وسبعون صنما وهم يعبدون الشمس والقمر معها فدعاها فأقبلت تتدحرج الى فلما انتهت اليه ركض برجله الارض فخسف بها وبمنابرها فقال له الملك يا جرجيس خدعتني وأهلكت أصنامي فقال له فعلت ذلك عمدا لتعتبر وتعلم انها لو كانت آلهة لامتنعت مني فلما قال هذا قالت امرأة الملك وأظهرت اسلامها وعندت عليهم أفعال جرجيس وقالت ما تنتظرون من هذا الرجل الا دعوة فتهلكون كما هلكت أصنامكم فقال الملك ما أسرع ما أضللت هذا الساحر ثم أمر بها فعلقت على خشبة ثم مشط لحمها بأمشاط الحديد فلما آلمها العذاب قالت لجرجيس ادع الله أن يخفف عني الالم فقال انظري فوقك فنظرت فضحكت فقال لها الملك ما يضحكك قالت أرى على رأسي ملكين معهما تاج من حلي الجنة ينتظرون خروج روحي ليزيناني به ويصعدان بها الى الجنة فلما اتت أقبل جرجيس على الدعاء وقال اللهم أكرمتني بهذا البلاء لتعطيني أفضل منازل الشهداء وهذا آخر أياي فاسألك أن ترحل بهؤلاء المنكرين من سطواتك وعقوبتك مالا قبل لهم به فأمطر الله عليهم النار فاحرقتهم فلما احترقوا بحرتها اعمدوا اليه فضربوه بالسيوف فقتلوه وهي القتلة الرابعة فلما احترقت المدينة بجميع ما فيها رفعت من الارض وجعل عاليها ساقلها فلبثت زمانا يخرج من تحتها دخان منتن وكان جميع من آمن به وقتل معه أربعة وثلاثين ألفا وامرأة الملك

﴿ ذكر حال دس سنان العيسى ﴾

ومن كان في الفترة خالد بن سنان العبسي قيل كان نبيا وكان من معجزاته ان ناره ظهرت بارض العرب فافتتنوا بها وكادوا يتمجسون فأخذ خالد عصاه ودخلها حتى توسطها ففرقها وهو يقول بددا بددا كل هاد موءد الى الله الا على لا دخلها وهي تلظى ولا خرجن منها وثيابي تندى ثم انها طفئت وهو في وسطها فلما حضرته الوفاة قال لاهله اذا دفنت فانه ستجيء عانة من حمير يقدمها عير أبتر فيضرب قبري بحافره فاذا رأيتم ذلك فانبشوا عني فاني سأخبركم بجميع ما هو كائن فلما مات ودفنوه رأوا ما قال فاراد وا نبشه فكره ذلك بعضهم قالوا نخاف ان نبشناه أن تسبنا العرب بانا نبشنا ميتنا فاتركوه فقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه ذلك نبي ضيعه قومه وأتت ابنته النبي صلى الله عليه وسلم فآمنت به كذا قيل انه آخر الحوادث أيام ملوك الطوائف ولا وجه له فان من أدركت ابنته النبي صلى الله عليه وسلم يكون بعد اجتماع الملك لاردشير بن بابك بدهر طويل ونرجع الى اخبار ملوك الفرس لسياق التاريخ ونقدم قبل ذكرهم عدد الملوك الاشغانية من ملوك الطوائف وطبقات ملوك الفرس ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر طبقات ملوك الفرس ﴾

الطبقة الاولى الفيشداذية ملوك الارض بعد جيومرث أوشهنج وملك فيشداذ أربعين سنة ومنهي فيشداذ أول حاكم ملك بعده طهمورث بن نوجهان ثلاثين سنة ثم ملك أخوه جمشيد سبعمائة وست عشرة سنة ثم ملك بيوراسف بن اروندا سف ألف سنة ثم ملك افريدون بن اثفيان خمسمائة سنة ثم ملك منوجهر مائة وعشرين سنة ثم ملك افراسياب التركي اثنتي عشرة سنة ثم ملك زوبن تهماسف ثلاث سنين ثم ملك كرشاسب تسع سنين

﴿ الطبقة الثانية الكيانية ﴾

وتسعين مرة ونصف مرة وأما بعدها من الارض فان أقرب بعد القمر منها مائة ألف وثمانية وعشرون ألف ميل وأبعد بعده من الارض مائة ألف وأربعة وعشرون ألف ميل وأبعد بعد عطارد من الارض سبعمائة ألف ألف وسبعمائة وثلاثة وثلاثون ألف ميل وأبعد بعد الزهرة من الارض أربعة آلاف ومائة وتسعة عشر ألف ميل وستمائة ميل وأبعد بعد الشمس من الارض أربعة آلاف ألف وثمانمائة ألف وعشرون ألفا ونصف ميل وأبعد بعد المريخ من الارض ثلاثة وثلاثون ألف ميل وثمانمائة ميل وثني وأبعد بعد المشتري من الارض أربعة وخمسون ألف ألف ومائة ألف وستون ألف ميل الاشيا وأبعد بعد زحل من الارض سبعة وسبعون ألف ألف ميل الاشيا أو بعد الكواكب الثابتة من الارض نحو ذلك فيما ذكرنا من القسمة ولا نعد المقاييس استدرك القوم الساعات وبها افتخروا الآلات والاسطرلابات وعليها صنفوا كتبهم كلها وهذا باب ان شرعنا في ايراد البعض منه كثر واتسع الكلام واعا ذكرنا لمعا من هذه الفنون لتدل

على مالم نورده وقد رتبت الصابئة من الحرانيين وهم عوام اليونانيين وحشوية الفلاسفة المتقدمين فى هياكلها مراتب على ترتيب هذه الافلاك السبعة وأعلى كهانهم يسمى رأس كمرورد ثم بعدهم النصارى رتبة الكهنة فى كهانتها على ماتقدمت فيه الصابئة فى مذهبها وسمت النصارى هذه المراتب العطات فاولها السلط والثانى اعنبط والثالث بودنا والرابع شماس والخامس قسيس والسادس بودوط والسابع حور العينطس وهو الذى يحالف الاسقف والثامن اسقف والتاسع مطران وتفسير مطران رئيس المدينة والذى فوق هؤلاء كلهم فى المرتبة البطرك وتفسيره أبو الآباء ممن تقدم ذكرهم من أصحاب المراتب وغيرهم من الادانى وعوامهم هذا عند خواص النصارى فاما العوام منهم فيذكرون فى هذه المراتب غير ماذكرنا وهو أن ملكا كاطهر وأطهر أمورا يذكرونها لاحاجة بنا الى وصفها وهذا ترتيب الملكية وهم عمد النصرانية وقطبها لان المسارقة وهم العباد والملقبون بالنسطورية

ثم ملك كيقباذ مائة وستا وعشرين سنة ثم ملك كيكاوس مائة وخمسين سنة ثم ملك كيخسرو ثمانين سنة ثم ملك كى لهراسب مائة وعشرين سنة ثم ملك كى بشتاسب مائة وعشرين سنة ثم ملك كى بهمن مائة واثنتى عشرة سنة ثم ملك خمانى جهرازاد ثلاثين سنة ثم ملك أخوها دارا ابن بهمن اثنتى عشرة سنة ثم ملك ابنه دارا بن دارا أربع عشرة سنة وهو الذى أخذ الاسكندر الملك منه وكان ملك الاسكندر بعده أربع عشرة سنة

﴿ الطبقة الثالثة الاشغانية ﴾

وهم الذين استولوا على العراق والجبال وكان سائر ملوك الطوائف يعظمونهم فاول ملوك الاشغانيين أيام ملوك الطوائف أشك ملك اثنتين وخمسين سنة ثم ملك ابنه شابور بن اشك أربعا وعشرين سنة ثم ملك ابنه جودرز بن شابور وهو الذى غرابنى اسرائيل بعد قتل يحيى بن زكريا خمسين سنة ثم ملك ابن أخيه ويجن بن بلاش احدى وعشرين سنة ثم ملك جودرز بن ويجن تسع عشرة سنة ثم ملك أخوه نرسه ثلاثين سنة ثم ملك عمه هرمزان بن بلاش بن شابور تسع عشرة سنة ثم ملك ابنه فيروز بن هرمزان اثنتى عشرة سنة ثم ملك ابنه خسرو أربعين سنة ثم ملك أخوه بلاش ابن فيروز أربعا وعشرين سنة ثم ملك ابنه اردوان بن بلاش خمسا وخمسين سنة وقد ذكر بعضهم انه ملك بعد هرمزان بن بلاش اردوان الاكبر اثنتى عشرة سنة وقيل فى عدد ملوك الطوائف غير ذلك والفرس تعترف باضطراب التاريخ عليهم فى أيام ملوك الطوائف وملك بيوراسف وملك افراسياب الترکى لانهم زال الملك عنهم ولم يمكن ضبطه

﴿ الطبقة الرابعة الساسانية ﴾

وأولهم اردشير بن بابك

﴿ ذكر أخبار اردشير بن بابك وملوك الفرس ﴾

قيل لما مضى من لدن ملك الاسكندر أرض بابل فى قول النصارى وأهل الكتاب الاول خمسمائة سنة وثلاث وعشرون سنة وفى قول المجوس مائتان وست وستون وثب اردشير بن بابك ابن ساسان الاصغر بن بابك بن ساسان بن بابك بن مهرمص بن ساسان بن بهمن الملك بن اسفنديار ابن بشتاسب وقيل فى نسبته غير ذلك يريد الاخذ بثار الملك دارا بن دارا ورد الملك الى أهله والى مالم يزل عليه أيام سعة الدين مصوا قبل ملوك الطوائف وجمعه لرئيس واحد وذكر ان مولده كان بقرية من قرى اصطخر يقال لها طيروده من رستاق اصطخر وكان جده ساسان شجاعا صغرى بالصيد وتزوج امرأة من نسل ملوك فارس يعرفون بالبادرنجبين وكان قيما على بيت نار باصطخر يقال له بيت نار هيد فولدت له بابك فلما كبر قام بأمر الناس بعد أبيه ثم ولد له ابنه اردشير وكان ملك اصطخر يومئذ رجلا من البادرنجبين يقال له جوزهر وكان له خصى اسمه تيرى فدبره ارجيذ بدار ابجرد فلما أتى لاردشير سبع سنين قدمه أبوه الى جوزهر وسأله ان يضمه الى تيرى ليكون ربيبا له وارجيذ بعده فى موضعه فأجابه وأرسله الى تيرى فقبله وتناه فلما هلك تيرى تقلد اردشير الامر وحسن قيامه به وأعلمه قوم من المنجمين صلاح مولده وانه تملك فازداد فى الخير ورأى فى منامه ملكا جلس عند رأسه فقال له ان الله يملكك البلاد فقويت نفسه فقوة لم يعهدها وكان أول مافعل انه سار الى موضع من دارابجرد يسمى خوبابان فقتل ملكها واسمه فاسين ثم سار الى موضع يقال له كوسن فقتل ملكها واسمه منوجهر ثم الى موضع يقال له لزويز فقتل ملكها واسمه دارا وجعل فى هذه المواضع قوما من قبله وكتب الى أبيه بما كان منه وأمره

بالوثوب بجوزهر وهو بالبيضاء ففعل ذلك وقتل جوزهر وأخذ تاجه وكتب الى اردوان ملك الجبال وما يتصل بها يتضرع اليه ويسأله فى تتويج ابنه سابور بتاج جوزهر فمنعه من ذلك وهدده فلم يحفل بابك بذلك وهلك فى ثلاثة أيام فتوج سابور بن بابك بالتاج وملك مكان أبيه وكتب الى اردشير يستدعيه فاغتنم فغضب سابور وجمع جموعا وسار بهم نحوه ليحاربه وخرج من اصطخر وبها عدة من أصحابه واخوانه وأقاربه وفيهم من هو أكبر سنا منه فأخذوا التاج والسرير وسلموه الى اردشير فتتوج وافتتح أمره بجد وقوة وجعل له وزيرا ورتب موبذموبذان وأحسن الى اخوته وقوم كانوا معه بالفتك به فقتل جماعة كثيرة منهم وعصى عليه أهل دارابجرد فعاد اليهم فافتتحها وقتل جماعة من أهلها ثم سار الى كرمان وبها ملك يقال له بلاش فاقتتلا قتالا شديدا وقاتل اردشير بنفسه وأسر بلاش فاستولى على المدينة وجعل فيها ابنا له اسمه اردشير أيضا وكان فى سواحل بحر فارس ملك اسمه اسيون يعظم فسار اليه اردشير فقتله وقتل من معه واستخرج له أموالا عظيمة وكتب الى جماعة من الملوك منهم مهرك صاحب ابرساس من اردشير خره يدعوهم الى الطاعة فلم يفعلوا فسار اليهم فقتل مهرك ثم سار الى جور فأسسها وبنى الجوسق المعروف بالطويال وبيت نارها الذى بيناها وكذلك ذور دعليه رسول اردوان بكتاب فجمع الناس فقرأه عليهم فاذا فيه انك عدوت قدرك واجتلبت حتفك أيها الكردى من أذن لك فى التاج والبلاد ومن أمرك ببناء المدينة وأعلمه انه قد وجه اليه ملك الاهواز ليأتيه به فى وثاق فكتب اليه ان الله حباني بالتاج وملكني البلاد وأنا أرجو ان يمكنني منك فأبعث برأسك الى بيت النار الذى أسسته وسار اردشير نحو اصطخر وخلف وزيره ابرسام بارد شيرخره فلم يلبث الا قليلا حتى ورد عليه كتاب برسام بوافاه ملك الاهواز وعوده منكوبا ثم سار الى اصبهان فملكها وقيل ملكها وعاد الى فارس وتوجه الى محاربة نير وفرصاحب الاهواز وسار الى ارجان والى ميسان وطاسار ثم الى سرق فوقف على شاطئ دجيل فطفر بالمدينة وابتنى مدينة سوق الاهواز وعاد الى فارس بالغنائم ثم عاد من فارس الى الاهواز على طريق خرة وكازرون وقتل ملك ميسان وبنى هناك كرخ ميسان وعاد الى فارس فأرسل الى اردوان يؤذنه بالحرب ويقول له ليعين موضعا للقتال فكتب اليه اردوان انى أوافيك فى صحراء هرمزجان لاسلاخ مهرماه فوافاه اردشير قبل الوقت وخندق على نفسه واحتوى على الماء ووافاه اردوان وملك الارمانيين وكانا يتحاربان على الملك فاصطلحا على اردشير وحاربا وهما متساندان يقاتله هذا يوما وهذا يوما فاذا كان يوم بابا ملك الارمانيين لم يقم له اردشير واذا كان يوم اردوان لم يقم لاردشير فصالح اردشير بابا ملك الارمانيين على أن يكف عنه ويفرغ اردشير لاردوان فلم يلبث ان قتله واستولى على ما كان له وأطاعه بابا وسمى اردشير شاهنشاه ثم سار الى همدان فافتتحها والى الجبل وأذربيجان وأرمينية والموصل ففتحها عنوة وسار الى السواد من الموصل فملكه وبنى على شاطئ دجلة قبالة طهيسون وهى المدينة التى فى شرق المدائن مدينة غربية وسماها بابه اردشير وعاد من السواد الى اصطخر وسار منها الى سجستان ثم الى جرجان ثم الى نيسابور ومرو وبلخ وخوارزم وعاد الى فارس ونزل جور فجاءه رسل ملك كوسان وملك طوران وملك مكران بالطاعة ثم سار من جور الى البحرين فاضطر ملكها الى ان رمى نفسه من حصنه فهلك وعاد الى المدائن فتوج ابنه سابور بتاجه فى حياته وبنى ثمان مدن منها مدينة الخط بالبحرين ومدينة بهرسير مقابل المدائن وكان اسمه به اردشير فعربت به سير وأردشيرخرة هى مدينة فيروزاباذ سماها عضد الدولة بن بويه كذلك وبنى

والبعاقبة عن هؤلاء تفرعوا ومنهم تبددوا وانما أخذت النصارى جملا من هذه المراتب على ماذكرنا من الصابئة وأما القسيس والشماس وغير ذلك فعن المانية الا القسوس واسماع وكان مانى حدث بعد مضى السيد عيسى بن مريم عليه السلام وكذلك ابن ديصان ومرقيون والى مانى أضيفت المانية والى مرقيون أضيفت المرقيونية والى ابن ديصان أضيفت الديصانية ثم تفرعت بعد ذلك المردقية وغيرها من سلك طريقة صاحب الالعبن وقد أتينا فى كتابنا أخبار الزمان وفى الكتاب الاوسط على جمل من نوادر هذه المذاهب وما أوردوه من الخرافات المزخرفة والشبه الموضوعة وماذكرناه من مذاهبهم فى كتابنا فى المقالات فى أصول الديانات وماذكرناه من الآراء وهدم هذه المذاهب فى كتابنا المترجم بكتاب الامانه فى أصول الديانة وانما نذكر فى هذه الابواب ما يتشعب الكلام اليه ويتفاعل هذا الوصف نحوه فنورد منه لمعا على طريق الخبر والحكاية للذهب لا على طريق النظر والجدل

بكرمان مدينة أردشير أيضا فعربت بردشير وبنى بهمن أردشير على دجلة عند البصرة والبصريون يسمونها من شير وفرات ميسان أيضا وبنى رامهرمز بخوزستان وبنى سوق الاهواز وبالموصل نود أردشير وهى حرة ولم يزل محمود السيرة مظفرا منصورا لا ترد له راية ومذن المدن وكور الكور ورتب المراتب وعمر البلاد وكان ملكه من قتله أردوان الى ان هلك أربع عشرة سنة وقيل أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ولما استولى أردشير على العراق كره كثير من تنوخ المقام فى مملكته فخرج من كان منهم من قضاعة الى الشام ودان له أهل الحيرة والانبار وقد كانت الحيرة والانبار بفيتازمن بحتنصر فخربت الحيرة فتحول أهلها الى الانبار وعمرت الانبار خمسمائة سنة وخمسين سنة الى ان عمرت الحيرة زمن عمرو بن عدى فعمرت خمسمائة وبضعا وثلاثين سنة الى ان وضعت الكوفة وترلها أهل الاسلام

﴿ ذكر ملك سابور بن أردشير بن بابك ﴾

ولما هلك أردشير بن بابك قام بالملك بعده ابنه سابور وكان أردشير قد أسرف فى قتل الاشكانية حتى أفناهم بسبب اليتمه التى آلاها جده ساسان بن اردشير بن بهمن فانه أقسم انه ان ملك يوما من الدهر لم يستبق من نسل اشك بن حزة أحدا وأوجب ذلك على عقبه فكان أول من ملك من عقبه اردشير فقتلوهم جميعا نساءهم ورجالهم غير ان جارية وجدها فى دار المملكة فاعجبته وكانت ابنة للملك المقتول فسألها عن نسبها فذكرت انها خادم لبعض نساء الملك فسألها البكر أم ثيب فاخبرته انها بكر فاتخذها لنفسه وواقعها فعلقت منه فلما أمنت منه بحبلها أخبرته انها من ولد اشك فنفر منها ودعا هرجد بن اسام وكان شيخا مسنا فاخبره الخبر وقال له ليقتلها اليبرقسم جده فاخذها الشيخ ليقتلها فاخبرته انها حبلى فاتى بالقوابل فشهدن بحبلها فاودعها سربا من الارض ثم قطع مذاكيره ووضعها فى حق وختم عليه وحضر عند الملك فقال ما فعلت فقال استودعتها بطن الارض ودفع الحق اليه وسأله ان يختمه بخاتمه ويودعه بعض خزائنه ففعل ثم وضعت الجارية غلاما فكره الشيخ ان يسمى ابن الملك دونه وخاف أن يعلمه به وهو صغير فاخذله الطالع وسماه شاه بور ومعناه ابن الملك فيكون اسما وصفة وهو أول من تسمى بهذا الاسم وبقى اردشير لا يولد له فدخل عليه الشيخ الذى عنده الصبى يوما فوجده محزونا فقال له ما يحزنك الملك فقال ضربت بسيفى ما بين المشرق والمغرب حتى طفرت وصفا لى ملك آبائى ثم أهلك وليس لى عقب فيه فقال له الشيخ سرك الله أيها الملك وعمرك ذلك عندى وله طيب نفيس فادع لى بالحق الذى استودعتك أرك برهان ذلك فدعا اردشير بالحق وفضه فوجد فيه مذاكير الشيخ وكتابا فيه لما أخبرتنى ابنة اشك التى علقت من ملك الملوك حين أمر بقتلها لم أستحل اتلاف زرع الملك الطيب فاودعتها بطن الارض كما أمر وتبرأنا اليه من أنفسنا لئلا يجد علينا سبيلا فامره اردشير ان يجعل مع سابور مائة غلام وقيل ألف غلام من اشباهه فى الهيئة والقامة ثم يدخلهم عليه جميعا لا يفرق بينهم زى فعمل الشيخ فلما نظر اليهم اردشير قالت نفسه ابنه من بينهم ثم اعطوا صولجة وكرة فلعبوا بالكرة وهو فى الايوان فدخلت الكرة الايوان فهاب الغلمان ان يدخلوه وأقدم سابور من بينهم ودخل فاستدل باقدامه مع ما كان من قبوله له حين رآه انه ابنه فقال له اردشير ما اسمك قال شاه بور فلما ثبت عنده انه ابنه شهر أمره وعقد له التاج من بعده وكان عاقلا باليما فاضلا فلما ملك ووضع التاج على رأسه فرق الاموال على الناس من قرب ومن بعد وأحسن اليهم فبان فضل سيرته وفاق جميع الملوك وبنى مدينة نيسابور ومدينة سابور بفارس وبنى فيروزسابور وهى الانبار وبنى جنديسابور وقيل

لئلا يحلو كتابنا هذا مما تدعو الحاجة اليه والى ذكره والله أعلم

﴿ ذكر الاخبار عن انتقال البحار وجمل من اخبار الانهار الكبار ﴾

ذكر صاحب المنطق ان البحار تنتقل على مرور السنين وطويل الدهر حتى تصير مواضع مختلفة وان جملة البحار محركة الا ان تلك الحركة اذا أضيفت الى جملة مياهها وسعة سطوحها وبعد قعورها صارت كانها ساكنة وليست مواضع الارض الرطبة أبدا رطبة ولا مواضع الارض اليابسة أبدا يابسة لكنها تتغير وتستحيل لصب الانهار اليها وانقطاعها عنها ولهذه العلة يستحيل موضع البحر موضع البر فليس موضع البر أبدا برا ولا موضع البحر أبدا بحرا بل قد يكون برا حيث كان مرة بحرا ويكون بحرا حيث كان مرة برا وعلة ذلك الانهار وبدوها فان لمواضع الانهار شبابا وهرما وحياة وموتا ونشورا كما يكون ذلك فى الحيوان والنبات غير ان الشباب والكبر فى الحيوان والنبات لا يكون جزأ بعد جزء لكنها تشب وتكبر أجزاؤها كلها معا وكذلك تهرم وتموت فى وقت واحد

انه حاصر الروم بنصيبين وفيها جمع من الروم مدة ثم أتاه من ناحية خراسان ما احتاج الى مشاهدته فسار اليها وأحكم أمرها ثم عاد الى نصيبين فرعموا ان سورها تصدع وانفرجت منه فرجة دخل منها وقتل وسبى وغنم وتجاوزها الى بلاد الشام فافتتح من مدائنها مدنا كثيرة منها قالوقية وقدوقية وحاصر ملكا للروم بانطاكية فاسره وحمله وجماعة كثيرة معه فاسكنهم مدينة جندي سابور

﴿ ذكر خبر مدينة الحضر ﴾

كانت بجبال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحضر وكان بها ملك يقال له الساطرون وكان من الجرامقة والعرب تسميه الضيزن وهو من قضاعة وكان قد ملك الجزيرة وكثر جنده وابه تطرق بعض السواد اذ كان سابور بخراسان فلما عاد سابور أخبر بما كان منه فسار اليه وحاصره أربع سنين وقيل سنتين لا يقدر على هدم حصنه ولا الوصول اليه وكان للضيزن بنت تسمى النضيرة فحاضت فاخرجت الى ربض المدينة وكذلك كان يفعل بالنساء وكانت من أجمل النساء وكان سابور من أجمل الناس فرأى كل واحد منهما صاحبه فتعاشقا فارسلت اليه ما تجعل لى ان دللتك على ما تهدم به سور المدينة فقال احكمك وأرفعك على نسائى فقالت عليك بحمامة ورقاء مطوقة فاكتب على رجلها بحيض جارية بكر زرقاء ثم ارسلها فانها تقع على سور المدينة فيخرب وكان ذلك طلسم ذلك البلد ففعل وتداعت المدينة فدخلها عنوة وقتل الضيزن وأصحابه فلم يبق منهم أحد يعرف اليوم وأخرب المدينة واحتمل النضيرة فاعرس بها بعين التمر فلم تزل ليلتها تتصور فالتمس ما يؤذيها فاذا ورقة آس ملتزقة بمكنة من عكن بطنها فقال لها ما كان يغدوك به أولك قالت بالورد والمخ وشهد الابكار من النحل وصفو الخمر فقال وأبيك لانا أحدث عهدا وآثر لك من أبيك فامر رجلا فركب فرسا جموحا ثم عصب غدائرها بذنبه ثم استركضها فقطعها قطعا وقد أكثر الشعراء ذكر الضيزن فى أشعارهم وفى أيام سابور ظهر مانى الزنديق وادعى النبوة وتبعه خلق كثير وهم الذين يسمون المانوية وكان ملكه ثلاثين سنة وخمسة عشر يوما وقيل احدى وثلاثين سنة وستة أشهر وتسعة أيام

﴿ ذكر ملك ابنه هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك ﴾

وكان يشبه فى خلقه باردشير غير لاحق به فى تدبيره وكان من البطش والجراءة على أمر عظيم وكانت أمه من بنات مهرك الملك الذى قتله أردشير وتتبع نسله فقتلهم لان المنجمين اخبروه انه يكون من نسله من يملك فهربت أمه الى البادية وأقامت عند بعض الرعاء وخرج سابور متصيدا فاشتد به العطش وارتفعت له الاخبية التى فيها أم هرمز فقصدها وطلب الماء فناولته المرأة فرأى منها جمالا فائقا فلم يلبث ان حضر الرعاء فسألهم سابور عنها وقال بعضهم انها ابنته فتزوجها وسار بها الى منزله وكسيت ونظفت فارادها فامتنعت عليه مدة فلما طال عليه سألها عن سبب ذلك فاخبرته انها ابنة مهرك وانها تفعل ذلك ابقاء عليه من أردشير فعاهدها على ستر أمرها ووطئها فولدت له هرمز فستر أمره حتى صار له سنون فركب أردشير يوما الى منزل ابنه سابور لشئ أراد ذكره له فدخل منزله مفاجأة فلما استقر خرج هرمز وبيده صولجان وهو يصيح فى أثر الكرة فلما رآه أردشير انكره ووقف على المشابه التى فيه من حسن الوجه وعبالة الخلق وامور غيرها فاستدناه أردشير وسأل عنه سابور فخرج مفكرا على سبيل الاقرار بالخطا وأخبر أباه أردشير الخبر فسر وأخبره انه قد تحقق الذى ذكره المنجمون فى ولد مهرك وان ذلك قد سلى ما كان فى نفسه وأذهبه فلما ملك سابور ولى هرمز خراسان وسيره اليها فقهر الاعداء واستقل بالامر فوشى به الوشاة الى

فاما الارض فانها نهر م وتكبر جزأ بعد جزء وذلك بدوران الشمس وان مجراها كلها أعنى البحار واحد وذلك من البحر الاعظم وان ذلك بحر عذب ليس هو بحر اقيانوس وزعمت طائفة ان البحار فى الارضين كالعروق فى البدن وقال آخرون حق الماء ان يكون على سطح فلما اختلفت الارض فكان منها العالى والهابط انحدار الماء الى اعماق الارض فاذا انحصرت المياه فى اعماق الارض وقعورها طلبت النفس حينئذ الغلط الارض وضغطتها اياها اس أسفل فينشق من ذلك العيون والانهار وربما تتولد فى باطن الارض من الهواء الكائن هناك وان الماء ليس باستنقص وانما هو متولد من عفونات الارض وبخارها وقالوا فى ذلك كلاما كثيرا أعرضنا عن ذكره طلبا للايجاز وميلا للاختصار وبسطنا ذلك فى غير كتاب من كتبنا وأما مبادئ الانهار الكبار ومطارحها ومقادير جريانها فنهر مهران السند وحجس وهو نهر عظيم بأرض الهند ونهر سامط وهو نهر عظيم ونهر اطفاس الذى يصب الى نهر نيطش وغيرها مما

سابور أنه على عزم ان يأخذ الملك منه وسمع هرمز بذلك فقيل انه قطع يده وأرسلها الى أبيه فكتب اليه يبلغه وانه فعل ذلك ازالة للتهمة لان رعيتهم انهم كانوا لا يملكون ذا عاهة فلما وصلت يده الى سابور تقطع اسفا وأرسل الى هرمز يعلمه ما آله لذلك وعقد له على الملك وملكه ولما ملك عدل فى رعيته وكان صادقا وسلك سبيل آبائه وكور كورة رام هرمز وكان ملكه سنة وعشرة أيام

﴿ ذكر ملك ابنه بهرام بن هرمز بن ساور ﴾

وكان حليما متأنيا حسن السيرة وقتل مانى الزنديق وسلخه وحشا جلده تبنا وعلق على باب من ابواب جندى سابور يسمى باب مانى وكان ملكه ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام وكان عامل سابور بن أردشير وابنه هرمز وبهرام بن هرمز بعد مهلك عمرو بن عدى على ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة ومن آل نصر بن ربيعة وعمال الفرس وعاش مملكا فى عمله مائة سنة وأربع عشرة سنة منها فى زمن سابور بن أردشير ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وفى زمن هرمز بن سابور سنة وعشرة أيام وفى زمن بهرام ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام وفى زمن بهرام بن بهرام بن هرمز ثمانى عشرة سنة

﴿ ذكر ملك ابنه بهرام بن بهرام بن هرمز بن ساور بن أردشير ﴾

وكان ملكه حسنا وكان عالما بالامور فلما عقد له التاج وعدهم بحسن السيرة واختلف فى سنى ملكه فقيل ثمانى عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة والله أعلم

﴿ ذكر ملك بهرام بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن ساور ﴾

فلما عقد التاج على رأسه دعا له العظماء فاحسن الرد وكان قبل ان يفضى اليه الامر مملكا على سجستان وكان ملكه أربع سنين

﴿ ذكر ملك نرسى بن بهرام ﴾

وهو أخو بهرام الثالث فلما عقد التاج على رأسه دخل عليه الاشراف والعظماء فدعوا له ووعدهم خيرا وسار فيهم باعدل السيرة وقال لن نضيع شكر ما أنعم الله به علينا وكان ملكه تسع سنين

﴿ ذكر ملك هرمز بن نرسى بن بهرام بن بهرام بن هرمز ﴾

وكان الناس قد وجلوا منه لفظاظته فاعلمهم انه قد علم بما كانوا يخافون من شدة ولايته وان الله قد أبدل ما كان فيه من الفظاظة رقة ورأفة وساسهم أرفق سياسة وكان حريصا على انتعاش الضعفاء وعمارة البلاد والعدل ثم هلك ولا ولد له فشق ذلك على الناس فسألوا عن نسائه فذكر لهم ان بعضهن حبلى وقيل ان هرمز كان أوصى بالملك لذلك الحمل وولدت المرأة سابور ذا الاكتاف وكان ملك هرمز ست سنين وخمسة أشهر وقيل سبع سنين وخمسة أشهر وأسماء الملوك من سابور بن أردشير الى ههنا لم يحذف منها شئ

﴿ ذكر ملك ابنه سابور ذى الاكتاف ﴾

وهو سابور بن هرمز بن نرسى بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن اردشير بن بابك قيل ملك بوصية أبيه له فاستبشر الناس بولادته وبشوا خبره فى الآفاق وتقلد الوزراء والكتاب ما كانوا يعملونه فى ملك أبيه وسمع الملوك ان ملك الفرس صغير فى المهد فطمعت فى مملكتهم الترك والعرب والروم وكانت العرب أقرب الى بلاد فارس فسار جمع عظيم منهم فى البحر من عبد القيس والبحرين الى بلاد فارس وسواحل اردشيرخرة وغلبوا أهلها على مواشيهم ومعايشهم وأكثروا

كبرص الانهار قد تكلم الناس فى مقدار جريانها على وجه الارض فرأيت فى جغرافيا (النيل) مصورا ظاهرا من تحت جبل القمر ومنبعه ومبدء ظهوره من اثنتى عشرة عينا فتصب تلك المياه الى بحيرين هنالك كالطشت ثم يجتمع الماء جاريا فيمر برمال هنالك وجبال ويخرق أرض السودان ثم مايلى بلاد الزنج فيتشعب منه خليج ينصب الى بحر الزنج وهو بحر جزيرة قمبلو وهى جزيرة عامرة فيها قوم من المسلمين الا انهم لغتهم زنجية غلبوا على هذه الجزيرة وسبوا من كان فيها من الزنج كغلبة المسلمين على جزيرة اقريطش فى البحر الرومى وذلك فى صدر الدولة العباسية وتقضى الاموية ومنها الى عمان فى البحر نحو من خمسمائة فرسخ على ما يقول البحريون حررا منهم لذلك على طريق التحصيل والمساحة وذكر جماعة من نواخذه هذا البحر من السيرافيين والعمانيين ومنهم أرباب المراكب انهم يشاهدون فى هذا البحر فى الوقت الذى يذكر فيه زيادة النيل بمصر أو قبل الاوان بمدة يسيرة ماء يخرق هذا البحر ويشقه

الفساد وغلبت اياد على سواد العراق وأكثروا الفساد فيهم فكثر أحيانا يغزوهم أحد من الفرس اصغر ملكهم فلما ترعرع سابور وكبر كان أول ما عرف من حسن فهمه انه سمع في البحر ضوضاة وأصواتا فسأل عن ذلك فقيل ان الناس يزدحمون في الجسر الذي على دجلة مقبلين ومدبرين فامر بعمل جسر آخر يكون أحدهما للمقبلين والآخر للمدبرين فاستبشر الناس بذلك فلما بلغ ست عشرة سنة وقوي على حمل السلاح جمع رؤساء أصحابه فذكرلهم ما اختل من أمرهم وانه يريد الذب عنهم ويشخص الى بعض الاعداء فدعا له الناس وسألوه ان يقيم بموضعه ويوجه القواد والجنود ليكفوه ما يريد فابى واختار من عسكره ألف رجل فسألوه الازدياد فلم يفعل وسار بهم ونهاهم عن الابقاء على أحد من العرب وقصد بلاد فارس فاوقع بالعرب وهم غارون فقتل واسر وأكثر ثم قطع الصحراء الى الخط فقتل من بالبحرين لم يلتفت الى غنيمة وسار الى هجر وبها ناس من تميم وبكر بن وائل وعبد القيس فقتل منهم حتى سالت دماؤهم على الارض وأباد عبد القيس وقصد اليمامة وأكثر في أهلها القتل وغور مياه العرب وقصد بكرا وتغلب فيما بين مناظر الشام والعراق فقتل وسبى وغور مياههم وسار الى قرب المدينة ففعل كذلك وكان ينزع أكتاف رؤسائهم ويقتل الى ان هلك فسموه سابور ذا الاكتاف لهذا واتفقت اياد حينئذ الى الجزيرة وصارت تغير على السواد فجهز سابور اليهم الجيوش وكان اقيط الايادي معهم فكتب الى اياد

سلام في الصحيفة من اقيط * الى من بالجزيرة من اياد
بأن الليث كسري قد أتاكم * فلا يشغلكم سود النقاد
أتاكم منهم سبعون ألفا * يزجون الكتائب كالجراد

فلم يقبلوا منه وداموا على الغارة فكتب اليهم أيضا

أبلغ اياد وخل في سراتهم * اني أرى الرأي ان لم أعص قد نصعا

وهي قصيدة مشهورة من أجود ما قيل في صفة الحرب فلم يحذروا وأوقع بهم سابور وأبادهم قتلا الا من لحق بأرض الروم فهذا فعله بالعرب وأما الروم فان سابور كان هادن ملكهم وهو قسطنطين وهو أول من تنصر من ملوك الروم ونحن نذكر سبب تنصره عند الفراغ من ذكر سابور ان شاء الله ومات قسطنطين وفرق ملكه بين ثلاثة بنين كانوا له فحكموا وملكت الروم عليهم رجلا من أهل بيت قسطنطين يقال له اليانوس وكان على ملة الروم الاولى ويكتم ذلك فلما ملك أظهر دينه وأعاد ملة الروم وأخرب البيع وقتل الاساقفة ثم جمع جموعا من الروم والخزر وسار نحو سابور واجتمعت العرب للانتقام من سابور فاجتمع في عسكر اليانوس منهم خلق كثير وعادت عيون سابور اليه فاختلفوا في الاخبار فسار سابور بنفسه مع جماعة من ثقاته نحو الروم فلما قرب من يوسانوس وهو على مقدمة اليانوس اختفى وأرسل بعض من معه الى الروم فاخذوا وأقر بعضهم على سابور فارسل يوسانوس اليه سرا ينذره فارتحل سابور الى عسكره وتحارب هو والعرب والروم فانهزم عسكره وقتل منهم مقتلة عظيمة وملكت الروم مدينة طيستور وهي المدائن الشرقية وملكوا أيضا أموال سابور وخزائنه وكتب سابور الى جنوده وقواده يعلمهم ما لقي من الروم والعرب ويستحثهم على المسير اليه فاجتمعوا اليه وعادوا واستنقذ مدينة طيستور ونزل اليانوس مدينة بهرسير واختلف الرسل بينهما فبينما اليانوس جالس أصابه سهم لا يعرف رامية فقتله فسقط في أيدي الروم ويئسوا من الخلاص من بلاد الفرس فطلبوا من يوسانوس ان يملك عليهم فلم يفعل وأبى الا أن يعودوا الى النصرانية فاجبروه انهم على ملته وانما كتموا ذلك خوفا من اليانوس

من شدة جريانه يخرج من جبال الزنج عرضه أكثر من ميل عذبا حلوا يتكدر في اثارة الزيادة فيه السمسار وهو التمساح الكثير في نيل مصر ويسمى أيضا الورل وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ ان نهر مهران الذي هو نهر السند من النيل ويستدل على انه من النيل بوجود التماسيح فيه فلست أدري كيف وقع له هذا الدليل وذكر ذلك في كتابه المترجم بكتاب الامصار وهو كتاب في نهاية الغثاثة لان الرجل لم يسلك البحار ولا أكثر الاسفار ولا يعرف المسالك والامصار وانما كان حاطب ليل ينقل من كتب الوراقين أولم يعلم ان نهر مهران السند يخرج من أعين مشهورة من أعالي بلاد السند من أرض القنوج الى مملكة بوره وأرض قشمير والقندار والطافر حتى ينتهي الى بلاد المولتان ومن هناك يسمى مهران وتفسير المولتان رجل من قريش من ولد سامة بن لؤي بن غالب والقوافل منه الى خراسان متصلة وكذلك صاحب مملكة المنصورة رجل من قريش من ولد هبار بن الاسود وهذا الملك في هؤلاء وملك صاحب المولتان متوارثان قديما منذ صدر الاسلام حتى ينتهي نهر مهران الى

بلاد المنصورة ويصب نحو بلاد الديبل في بحر الهند والتمساح كثيرة في أجواف هذا البحر وفي خليج ميدابون من مملكة باغر من أرض الهند وخلجان الزاج من بحر مملكة المهراج وكذلك في خلجان الاعباب وفي عب التي تلي جزيرة سرنديب والاغلب على التمساح كونها في الماء العذب وماذكرنا من خلجانات الهند فالاغلب من أمواهها أن تكون عذبة لصب مياه الامصار اليها فلنرجع الآن الى الاخبار عن نيل مصر فنقول ان الذي ذكرته الحكماء انه يجري على وجه الارض تسعمائة فرسخ وقيل ألف فرسخ في غير عامر وغير عامر حتى يأتي اسوان من صعيد مصر والى هذا الموضع تصعد المراكب من فسطاط مصر وعلى أميال من اسوان جبال واحجار يجري النيل في وسطها ولا سبيل الى جريان السفن فيه هنالك وهذه الجبال والمواضع فارقة بين مواضع سفن الحبشة في النيل وبين سفن المسلمين ويعرف هذا الموضع من النيل بالجنادل والصخور ثم يأتي النيل الفسطاط وقد قطع الصعيد ومر بجبل الطيلمون وحجر الاهوازمن بلاد الفيوم

ذلك عليهم وأرسل سابور الى الروم يتهددهم ويطلب الذي ملك عليهم ليجتمع به فسار اليه بوسانوس في ثمانين رجلا فتلقاه سابور وتساجدا وطعما وقوى سابور أمر بوسانوس بجهده وقال للروم انكم أخربتم بلادنا وأفسدتم فيها فاما ان تعطونا قيمة ما أهلكتم واما ان تعوضونا نصيبين وكانت قديما للفرس فغلبت الروم عليها فدفعوها اليهم وتحول أهلها عنها فحول اليها سابور اثني عشر الف بيت من أهل اصطخر وأصبهان وغيرها وعادت الروم الى بلادها وهلك ملكهم بعد ذلك بيسير وقيل ان سابور سار الى حد الروم وأعلم أصحابه انه على قصد الروم مختفيا لمعرفة أحوالهم وأخبار مدنهم وسار اليهم فجال فيهم حينا وبلغه ان قيصر أولم وجمع الناس لخضر برى سائل لينظر الى قيصر على الطعام فقطن به وأخذ وأدرج في جلد ثور وسار قيصر بجنوده الى أرض فارس ومعه سابور على تلك الحال فقتل وأخرب حتى بلغ جنديسابور ففتحصن أهلها وحاصرها فبينما هو يحاصرها اذ غفل الموكلون بحراسة سابور وكان يقربه قوم من سبي الاهواز فأمرهم ان يلقوا على القد الذي عليه زيتا كان يقربهم ففعلوا ولان الجلد وانسل منه وسار الى المدينة وأخبر حراسها فادخلوه فارتفعت أصوات أهلها فاستيقظ الروم وجمع سابور من بها وعباهم وخرج الى الروم سحر تلك الليلة فقتلهم وأسر قيصر وغنم أمواله ونساءه وأثقله بالحديد وأمره بعمارة ما أخرب وألزمه بنقل التراب من بلد الروم ليبني به ما هدم المنجنيق من جنديسابور وان يغرس الزيتون مكان النخل ثم قطع عقبه وبعث به الى الروم على حمار وقال هذا جزاؤك بيغيك علينا فاقام مدة ثم غزا فقتل وسبى سبايا أسكنهم مدينة بناها بناحية السوس سماها ايران شهر سابور وبنى مدينة نيسابور بخراسان في قول وبالعراق بزرج سابور وكان ملكه اثنتين وسبعين سنة وهلك في ايامه امرؤ القيس بن عمرو بن عدي عامله على العرب فاستعمل ابنه عمرو بن امرئ القيس فبقي في عمله بقية ملك سابور وجميع أيام أخيه اردشير بن هرمز وبعض أيام سابور بن سابور وكانت ولايته ثلاثين سنة وأما سبب تنصر قسطنطين فانه كان قد كبر سنه وساء خلقه وظهر به وضح كبير فارادت الروم خلعه وترك ماله عليه فشاوروا نصحاءه فقالوا له لا طاقة لك بهم فقد أجمعوا على خلعك وانما تحتال عليهم بالدين وكانت النصرانية قد ظهرت وهي خفية وقالوا له استمهلهم حتى تزور البيت المقدس فاذا رأته دخلت في دين النصرانية وحملت الناس عليه فانهم يعترفون فيقاتل من عصاك بمن أطاعك وما قاتل قوم على دين الا نصروا ففعل ذلك فاطاعه عالم عظيم وخالفه خلق كثير وأقاموا على دين اليونانية فقاتلهم وظفر بهم فقتلهم فاحرق كتبهم وحكمتهم وبنى القسطنطينية ونقل الناس اليها وكانت رومية دار ملكهم وبقي ملكه عليه وغلب على الشام وكان الاكاسرة قبل سابور ذي الاكتاف ينزلون طيسفون وهي المدينة الغربية من المدائن فلما نشأ سابور بنى الايوان بالمدائن الشرقية وانتقل اليه وصار هو دار الملك وهو باق الى الآن ونحن في سنة خمس وعشرين وستمائة

﴿ذكر ملك اردشير بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن سابور بن اردشير بن بابك أخي سابور﴾

فلما ملك واستقر له الملك عطف على العظماء وذوي الرياسة فقتل منهم خلقا كثيرا فخافه الناس بعد أربع سنين من ملكه

﴿ذكر ملك سابور بن سابور ذي الاكتاف﴾

فلما ملك بعد خلع عمه استبشر الناس بعود ملك أبيه اليه وكتب الى العمال بالعدل والرفق بالرعية وأمر بذلك وزراءه وحاشيته وأطاعه عمه المخلوع وأحبه رعيته ثم ان العظماء وأهل الشرف

قطعوا أطناب خيمة كان فيها فسقطت عليه فقتلته وكان ملكه خمس سنين

﴿ذكر ملك أخيه بهرام بن سابور ذى الاكتاف﴾

وكان يلقب كرمان شاه لان أباه ملكه كرمان فى حياته فكتب الى القواد كتابا يحثهم على الطاعة وكان محمودا فى أموره وبنى بكرمان مدينة وثار به ناس من الفتاك فقتله أحدهم بنشابة وكان ملكه احدى عشرة سنة

﴿ذكر ملك يزدجرد الاثيم بن بهرام بن سابور ذى الاكتاف﴾

ومن أهل العلم من يقول ان يزدجرد هذا هو أخو بهرام كرمان شاه بن سابور لا ابنه وكان فظا غليظا ذا عيوب كثيرة يضع الشئ فى غير مواضعه كثير الرزيئة فى السغائر واستعمل كل ما عنده فى المواربة والدهاء والمخاتلة مع فطنة بجهات الشر ويحب به وكان علقاسيّ الخلق لا يغفر الصغير من الزلات ولا يقبل شفاعة أحد من الناس وان كان قريبا منه كثير التهمة ولا يأتمن أحدا على شئ ولم يكن يكافئ أحدا على حسن البلاء وان هو أولى الخسيس من العرف استعظمه واذا بلغه ان أحدا من أصحابه صافى أحدا من أهل صناعته نحاه عن خدمته وكان فيه مع ذلك ذكاء ذهن وحسن أدب وقد مهر فى صنوف من العلم واستوزر نرسى حكيم زمانه وكان فاضلا قد كمل أدبه ولقبه هزار بنده فامل الناس ان يصلح نرسى منه فكان ما أملوه بعيدا فلما استوى له الملك واشتدت شوكته هابته الاشراف والعظماء وحمل على الضعفاء فاكثر من سفك الدماء فلما ابتليت الرعية به شكوا ما نزل بهم منه الى الله تعالى وسألوه تعجيل انقاذهم منه فزعموا انه كان بجرجان فرأى ذات يوم فى قصره فرسا غائرا لم ير مثله فأخبر به فامر ان يسرج ويلجم ويدخل عليه فلم يقدر أحد على ذلك فاعلم بذلك فخرج اليه بنفسه وألجمه بيده وأسرجه فلما رفع ذنبه ليثفره رمحه على فؤاده رمحة هلك منها مكانه وملأ الفرس فروجه جريا ولم يعلم له خبر وكان ذلك من صنع الله ورأفته بهم وكان ملكه اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة عشر يوما وأما العرب فقيل انه لما هلك عمرو بن امرئ القيس الكندى ابن عمرو بن عدى فى عهد سابور استخلف سابور على عمله أوس بن قلام وهو من العماليق فملك خمس سنين وقتل فى عهد بهرام بن سابور فاستخلف بعده فى عمله امرؤ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الكندى فبقى خمسا وعشرين سنة وهلك أيام يزدجرد الاثيم فاستخلف بعده فى عمله ابنه النعمان وأمه شقيقة ابنة أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان وهو صاحب الخورنق وسبب بنائه له ان يزدجرد الاثيم كان لا يبقى له ولد فسأل عن منزل برى صحيح فدل على ظاهر الحيرة فدفع ابنه بهرام جور الى النعمان هذا وأمره ببناء الخورنق مسكنا له وأمر باخراجه الى بوادى العرب وكان الذى بنى الخورنق رجلا اسمه سنمار فلما فرغ من بنائه عجبوا منه فقال لو علمت أنكم توفونى أجرى لعملته يدور مع الشمس فقال وانك لتقدر على ما هو أفضل منه ثم أمر به فالقى من رأس الخورنق فهلك فضربت العرب بجزائه المثل وهو مذكور فى اشعارها وغزا النعمان هذا الشام مرارا وأكثر المصائب فى أهلها وسبى وغنم وجعل معه ملك فارس كتيبتين يقال لاحداهما دوس وهى لتنوخ وللاخرى الشهباء وهى لفارس فكان يغزو بهما الشام وممن لم يطعنه من العرب ثم انه جلس يوما فى مجلسه من الخورنق فاشرف منه على النجف وما يليه من البساتين والانهار فى يوم من أيام الربيع فاعجبه ذلك فقال لوزيره هل رأيت مثل هذا المنظر قط قال لا لو كان يدوم قال فالذى يدوم قال ما عند الله فى الآخرة قال فبم ينال ذلك قال بترك الدنيا وعبادة الله فترك ملكه من ليلته ولبس المسوح وخرج هاربا لا يعلم به فاصبح الناس فلم يروه وكان ملكه

وهو الموضع المعروف بالجزيرة التى اتخذها يوسف النبى صلى الله عليه وسلم وطنا فيقطعه وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب اخبار مصر والفيوم وضياعها وكيفية عمل يوسف عليه الصلاة والسلام فى مائها ثم يمضى جاريا فقسمه خلجانات الى بلاد تنيس ودمياط ورشيد والاسكندرية كل يصب الى البحر الرومى وقد أحدث فيه بحيرات فى هذه المواضع وقد كان النيل انقطع عن بلاد الاسكندرية قبل هذه الزيادة التى زادها فى هذه السنة وهى سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ونمى الى أثناء مدينة انطاكية والثغر الشامى ان النيل زاد فى هذه السنة ثمانية عشر ذراعا فلست أدرى أفى هذه الزيادة دخل خليج الاسكندرية أم لا وقد كان الاسكندر بن الفيلقوس المقدونى بنى الاسكندرية على هذا الخليج من النيل وكان يتفجر اليه عظيم ماء النيل ويسقى الاسكندرية وبلاد مريوط وكان بلد مريوط هذا فى نهاية العمارة والجبال المتصلة بأرض برقة من بلاد المغرب وكانت السفن تجرى فى النيل فتتصل بأسوان فى الاسكندرية وقد بلط أرض

الى ان تركه وساح تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر من ذلك فى أيام يزدجرد خمس عشرة سنة وفى زمن بهرام جور بن يزدجرد أربع عشرة سنة وأما علماء الفرس فانهم يقولون غير هذا وسيرد ذكره

﴿ ذكر ملك بهرام بن يزدجرد الاثيم ﴾

لما ولد يزدجرد بهرام جورا اختار لحضانته العرب فدعا بالمنذر بن النعمان واسمه بهرام وشرفه وكرمه وملكه على العرب فسار به المنذر واختار لرضاعه ثلاث نسوة ذوات اجسام صحيحة واذهان ذكية وآداب حسنة من بنات الاشراف منهن عربيتان وعجمية فأرضعنه ثلاث سنين فلما بلغ خمس سنين أحضر له مؤدبين فعلموه الكتابة والرمى والفقه بطلب من بهرام بذلك وأحضر حكيما من حكماء الفرس فتعلم ووعى كل ما علمه بأدنى تعليم فلما بلغ اثنتى عشرة سنة تعلم كل ما أفيد وفاق معلميه فامرهم المنذر بالانصراف وأحضر معلمى الفروسية فأخذ عنهم كل ما ينبغى له ثم صرفهم ثم أمر فأحضرت خيل العرب للسباق فسبقها فرس أشقر للمنذر وأقبل باقى الخيل بدا دفقرب المنذر الفرس بيده اليه فقبله وركبه يوما للصيد فبصر بعانة حمر وحش فرمى عليها وقصدها واذا هو بأسد قد أخذ عيرا منها فتناول ظهره بفيه فرماه بهرام بسهم فنفذ فى الاسد والعير ووصل الى الارض فساخ السهم الى ثلثه فرآه من معه فعجبوا منه ثم أقبل على الصيد واللهو والتلذذ فمات أبوه وهو عند المنذر فتعاهد العظماء وأهل الشرف على ان لا يملكوا أحدا من ذرية يزدجرد لسوء سيرته فاجتمعت الكلمة على صرف الملك عن بهرام لنشوه فى العرب وتخلقه باخلاقهم ولانه من ولد يزدجرد وملكوا رجلا من عقب اردشير بن بابك يقال له كسرى فانتهى هلاك يزدجرد وتمليك كسرى الى بهرام فدعا بالمنذر وابنه النعمان وناس من أشراف العرب وعرفهم احسان والده اليهم وشدته على الفرس وأخبرهم الخبر فقال المنذر لا يهولنك ذلك حتى الطف الحيلة فيه وجهز عشرة آلاف فارس ووجههم مع ابنه النعمان الى طيستور وبهرسير مدينتى الملك وأمره أن يعسكر قريبا منهما ويرسل طلائعه اليهما وان يقاتل من قاتله ويغير على البلاد ففعل ذلك وأرسل عظماء فارس حوابى صاحب رسائل يزدجرد الى المنذر يعلمه أمر النعمان فلما ورد حوابى قال له القى الملك بهرام فدخل عليه فراعه ما رأى منه فاغفل عن السجود دهشا فعرف بهرام ذلك فكلمه ووعده أحسن الوعد وورده الى المنذر وقال له أجبه فقال له ان الملك بهرام أرسل النعمان الى ناحيتكم حيث ملكه الله بعد أبيه فلما سمع حوابى مقالة المنذر وتذكر ما رأى من بهرام علم ان جميع من تشاور فى صرف الملك عن بهرام محجوج فقال للمنذر سر الى مدينة الملوك وتجمع اليك الاشراف والعظماء وتشاوروا فى ذلك فلن تخالفوا ما تشير به وسار المنذر بعد عود حوابى من عنده بيوم فى ثلاثين ألفا من فرسان العرب الى مدينتى الملك بهرام فجمع الناس وصعد بهرام على منبر من ذهب مكلل بالجوهر وتكلم عظماء الفرس فذكروا فظاظة يزدجرد أبى بهرام وسوء سيرته وكثرة قتله واخراب البلاد وانهم لهذا السبب صرفوا الملك عن ولده فقال بهرام لست أكذبكم ومازلت زاريا عليه ذلك ولم أزل أسأل الله ان يملكنى لاصلح ما أفسد ومع هذا فاذا بقى على ملكى سنة ولم أف بما أعد تبرأت من الملك طائعا وانا راض بان تجعلوا التاج وزينة الملك بين اسدين ضاريين فمن تناولهما كان الملك له فاجابوه الى ذلك ووضعوا التاج والزينة بين أسدين وحضر موبذ موبدان فقال بهرام لكسرى دونك التاج والزينة فقال كسرى أنت أولى لانك تطلب الملك بوراثة وأنا فيه مغتصب فحمل بهرام جرزا وتوجه نحو التاج فبدر اليه أحد الاسدين فوثب بهرام فملا ظهره وعصر جنبى الاسد بفخذيه وجعل يضرب رأسه بالجرز الذى معه ثم وثب

نيلها فى المدينة بالرحام والمرمر فانقطع الماء لعوارض سدت مجاريها ومنعت الماء من دخوله وقيل لعلل غير ذلك منعت من تنفسه وردت الماء الى كمانه لا يحملها كتابنا هذا لاستعمالنا فيه الاختصار فصار شربهم من الآبار وصار النيل على نحو يوم منها وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب فى باب ذكرنا لاخبار الاسكندرية جملا من اخبارها واخبار بنائها وما ذكرنا من الماء الجارى الى بحر الزنج فانما هو آخذ من معالى مصب الزنج وفارق بين بلاد الزنج وبين أقاصى بلاد الحاميس الاحابيش ولولا ذلك الخليج ومفاوز من رمال ودهاس لم يكن للحبشة مقام فى ديارهم من أنواع الزنج لكثرتها وبسطها (وأما نهر بلخ) الذى يسمى جيحون فانه يخرج من أعين تجرى حتى تأتى بلاد خوارزم وقد احتاز قبل ذلك بلادا الربد واسرائيل وغيرها من بلاد خراسان فاذا ورد الى بلاد خوارزم تفترق فى مواضع هنالك ويمضى باقيه فينصب فى البحيرة التى عليها القمر به المعروفة بالجرجانية أسفل خوارزم وليس فى ذلك الصقع أكبر من هذه البحيرة ويقال انه ليس فى

الاسد الآخر عليه فقبض أذنيه بيده ولم يزل يضرب رأسه برأس الاسد الآخر الذى تحته حتى دمغهما ثم قتلهما بالجرز الذى معه وتناول بعد ذلك التاج والزينة فكان أول من أطاعه كسرى وقال جميع من حضر قد أذعنا لك ورضينا بك ملكا وان العظماء والوزراء والاشراف سألوا المنذر ليكلم بهرام فى العفو عنهم فسأل المنذر الملك بهرام ذلك فاجابه وملك بهرام وهو ابن عشرين سنة وأمر ان يلزم رعيته راحة ودعة وجلس للناس يعدهم بالخير ويأمرهم بتقوى الله ولم يزل مدة ملكه يؤثر اللهو على ماسواه حتى طمع فيه من حوله من الملوك فى بلاده وكان أول من سبق الى قصده خاقان ملك الترك فانه غزاه فى مائتى ألف وخمسين ألفا من الترك فعظم ذلك على الفرس ودخل العظماء على بهرام وحذروه فتمادى فى لهوه ثم تجهز وسار الى أذربيجان ليتنسك فى بيت نارها ويتصيد بامنيته فى سبعة رهط من العظماء وثلثمائة من ذوى الباس والنجدة واستخلف اخاه نرسى فاشك الناس فى انه هرب من عدوه فاتفق رأى جمهورهم على الانقياد الى خاقان وبذل الخراج له خوفا على نفوسهم وبلادهم فبلغ ذلك خاقان فامن ناحيتهم وسار بهرام من اذربيجان الى خاقان فى تلك العدة فثبت للقتال وقتل خاقان بيده وقتل جنده وانهزم من سلم من القتل وامعن بهرام فى طلبهم يقتل ويأسر ويغنم ويسبى وعاد وجنده سالمون وظفر بتاج خاقان واكليله وغلب على طرف من بلاده واستعمل عليها مرزبانا وأتاه رسل الترك خاضعين مطيعين وجعلوا بينهم حدا لا يعدونه وارسل الى ماوراء النهر قائدا من قواده ففتل وسبى وغنم وعاد بهرام الى العراق وولى أخاه نرسى خراسان وأمره ان ينزل مدينة بلخ واتصل به ان بعض رؤساء الديلم جمع جمعا كثيرا واغار على الرى واعمالها فغنم وسبى وخرب البلاد وقد عجز أصحابه فى الشعر عن دفعه وقد قرروا عليهم اتاوة يدفعونها اليه فعظم ذلك عليه وسير مرزبانا الى الرى فى عسكر كثيف وأمره ان يضع على الديلمى من يطمعه فى البلاد ويغريه بقصدها ففعل ذلك فجمع الديلمى جموعه وسار الى الرى فارسل المرزبان الى بهرام جور يعلمه خبره فكتب اليه يأمره بالمسير نحو الديلمى والمقام بموضع سماه له ثم سار جريدة فى نفر من خواصه فادرك عسكره بذلك المكان والديلمى لا يعلم بوصوله وهو قد قوى طمعه لذلك فعبى بهرام أصحابه وسار نحو الديلم فلقيهم وباشر القتال بنفسه فاخذ رئيسهم أسيرا وانهزم عسكره فامر بهرام بالنداء فيهم بالامان لمن عاد اليه فعاد الديلم جميعهم فأمنهم ولم يقتل منهم أحدا وأحسن اليهم وعاد الى أحسن طاعة وأبقى على رئيسهم وصار من خواصه وقيل كانت هذه الحادثة قبل حرب الترك والله أعلم ولما ظفر بالديلم أمر ببناء مدينة سماها فيروز بهرام فبنيت له هى ورستاقها واستوزر نرسى فاعلمه انه ماض الى الهند متخفيا فسار الى الهند وهو لا يعرفه أحد غير ان الهنديرون شجاعته وقتله السباع ثم ان فيلا ظهر وقطع السبيل وقتل خلقا كثيرا فاستدل عليه فسمع الملك خبره فارسل معه من يأتيه بخبره فانتهى بهرام والهندى معه الى الاجمة فصعد الهندى شجرة ومضى بهرام فاستخرج الفيل وخرج وله صوت شديد فلما قرب منه رماه بسهم بين عينيه كاد يغيب ووقذه بالنشاب وأخذ مشفره ولم يزل يطعنه حتى أمكن من نفسه فاحتز رأسه وأخرجه واعلم الهندى ملكهم بما رأى فاكرمه وأحسن اليه وسأله عن حاله فذكر ان ملك فارس سخط عليه فهرب الى جواره وكان لهذا الملك عدو فقصدوه فاستسلم الملك واراد أن يطيع ويبذل الخراج فنهاه بهرام وأشار بمحاربته فلما التقوا قال لاساورة الهندى احفظوا لى ظهرى ثم حمل عليهم فجعل يضرب فى اعراضهم ويرميهم

العمران بحيرة أكبر منهما لان طولها مسيرة شهر فى نحو ذلك من العرض تجرى فيها السفن واليها يصب نهر فرغانة والشاش غربى بلاد العادات وبمدينة حيسه وتجرى فيه السفن الى هذه البحيرة وعليها مدينة للترك يقال لها المدينة الجديدة وفيها المسلمون والاغلب من الاتراك على هذا الموضع الغربى وهم بوادى الترك وحضرهم أيضا وهذا الجنس من الاتراك هم أصناف ثلاثة الاسافل والاعالى والاواسط وهم أشد الترك بأسا وأقصرهم وأصغرهم عينا وفى الترك أصغر من هؤلاء على ما ذكر صاحب المنطق فى كتاب الحيوان فى المقالة الرابعة عشرة والثامنة عشرة حيث ذكر الطير المعروف بالغرانيق وسنذكر مبلغا من اخبار اجناس الترك فيما يرد من هذا الكتاب مجتمعا ومفترقا وبمدينة بلخ رباط يقال له الاحسان على نحو من عشرين يوما منها وهو فى آخر عمالها وبازائهم أنواع من الكفار من الترك يقال لهم اوجار وبيت وعلى اليمين من هؤلاء جنس آخر يقال لهم العراكم ويخرج من هنالك نهر عظيم يعرف بنهر انقار زعم قوم من أهل الخبرة انه مبتدأ

بالنشاب حتى انهزموا وغنم أصحاب بهرام ما كان فى عسكر عدوه فاعطى بهرام الدبيل ومكران وأنكحه ابنته فاستقامت تلك البلاد فضمت الى مملكة الفرس وعاد بهرام مسرورا وأغزى نرسى بلاد الروم فى أربعين ألفا وأمره ان يطلب ملك الروم بالاناوة فسار الى القسطنطينية فهادنه ملك الروم فانصرف بكل ما أراد الى بهرام وقيل انه لما فرغ من خاقان والروم سار بنفسه الى بلاد اليمن ودخل بلاد السودان فقتل مقاتلتهم وسبى منهم خلقا كثيرا وعاد الى مملكته ثم انه فى آخر ملكه خرج الى الصيد فشد على عنزة امعن فى طلبه فارتطم فى جب فغرق فبلغ والدته ذلك فسارت الى ذلك الموضع وأمرت باخراجه فنقلوا من الحب طينا كثيرا حتى صار آكاما عظاما ولم يقدروا عليه وكان ملكه ثمانى عشرة سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما وقيل ثلاثا وعشرين سنة هكذا ذكر أبو جعفر فى اسم بهرام جوران أباه أسلمه الى المنذر بن النعمان كما تقدم وذكر عند يزجرد الاثيم انه سلم ابنه بهرام الى النعمان بن امرئ القيس ولا شك ان بعض العلماء قال هذا وبعضهم قال ذلك الا انه لم ينسب كل قول الى قائله

﴿ ذكر ملك ابنه يزدجرد بن بهرام جور ﴾

لما لبس التاج جلس للناس ووعدهم وذكر أباه ومناقبه وأعلمهم انهم ان فقدوا منه طول جلوسه لهم فان خلوته فى مصالحهم وكيد أعدائهم وانه فداستور نرسى صاحب أبيه وعدل فى رعيته ووقع أعداءه وأحسن الى جنده وكان له ابنان يقال لاحدهما هرمز وللآخر فيروز وكان لهرمز حسنات فغلب على الملك بعد هلاك أبيه يزجرد وهرب فيروز ولحق ببلاد الهياطلة واستنجد ملكهم فأمده بعد ان دفع اليه الطالقان فاقبل بهم فقتل أخاه بالرى وكانا من أم واحدة وقيل لم يقتله وانما أسره وأخذ الملك منه وكان الروم منعوا الخراج عن يزجرد فوجه اليهم نرسى فى العدة التى أنفذه أبوه فيها فبلغ ارادته وكان ملك يزدجرد ثمانى عشرة سنة وأربعة أشهر وقيل تسع عشرة سنة

﴿ ذكر ملك فيروز بن يزدجرد بن بهرام بعد ان قتل أخاه هرمز وثلاثة من أهل بيته ﴾

ولما طهر فيروز باخيه وملك أظهر العدل وأحسن السيرة وكان يتدين الا انه كان محدودا مشؤما الى رعيته وقحطت البلاد فى زمانه سبع سنين متوالية وغارت الانهار والقنى وقل ماء دجلة ومحلت الاشجار وهاجت عامة الزروع فى السهل والجبل من بلاده وماتت الطيور والوحوش وعم أهل البلاد الجوع والجهد الشديد فكتب الى جميع رعيته انه لا خراج عليهم ولا جزية ولا مؤنة وتقدم اليهم بان كل من عنده طعام مذخور يواسى به الناس وان يكون حال الغنى والفقير واحدا وأخبرهم انه ان بلغه ان انسانا مات جوعا بمدينة أو قرية عاقبهم ونكل بهم وساس الناس سياسة لم يعطب أحد جوعا ما خلا رجلا واحدا من رستاق أردشيرخرة وابتهل فيروز الى الله بالدعاء فازال ذلك القحط وعادت بلاده الى ما كانت عليه فلما حيى الناس والبلاد وأثخن فى أعدائه سار مريدا حرب الهياطلة فلما سمع أخشنوار ملكهم خافه فقال له بعض أصحابه اقطع يدى ورجلى وألقنى على الطريق وأحسن الى عيالى لاحتال على فيروز ففعل ذلك واجتاز به فيروز فسأله عن حاله فقال له انى قلت لاخشنوار لا طاقة لك بفيروز ففعل بى هذا وانى أدلك على طريق لم يسلكها ملك وهى أقرب فاغتر فيروز بذلك وتبعه فسار به وبجنده حتى قطع بهم مفازة بعيدة حتى اذا علم انهم لا يقدرون على الخلاص أعلمهم حاله فقال أصحاب فيروز لفيروز حذرناك فلم تحذر فليس الا التقدم على كل حال فتقدموا امامهم فوصلوا الى عدوهم وهم هلكى عطشى وقتل العطش

منهم

نهر جيحون وهو نهر بلخ ومقدار جريانه على وجه الارض نحو من خمسين ومائة فرسخ من مبدا نهر الترك وهو الغار وقيل أربعمائة فرسخ وقد غلط قوم من مصنفى الكتب فى هذا المعنى وزعموا أن جيحون ينصب الى نهر مهران السند ولم يذكروا نهر رست الاسود ولا نهر رست الابيض الذى يكون عليه مملكة كيمان وهم جنس من الترك وراء نهر بلخ وهو جيحون وعلى هذين النهرين العدوبة من الترك ولهذين أخبار لم نحط بها لمسافتهما على وجه الارض فنذكر ذلك (وكذلك جيحون) نهر الهند فبدؤه فى جبل من أقاصى أرض الهند مما يلى الصين من بحر بلاد الطغرغر من الترك ومقدار جريانه الى ان ينصب فى البحر الحبشى مما يلى جبل الهند أربعمائة فرسخ (وأما الفرات) فبدؤه من بلاد قاليقلا من ثغور ارمينية من جبل هناك يدعى افردحس على نحو يوم من قاليقلا ومقدار جريانه من بلاد الروم الى ان يأتى بلاد ملطية وأخبرنى بعض اخواننا من المسلمين ممن كان أسيرا فى أرض بلاد النصرانية ان الفرات

منهم كثيرا فلما أشرفوا على تلك الحال صالحوا أخشنوار على ان يخلى سبيلهم الى بلادهم على أن يحلف له فيروز انه لا يغزو بلاده فاصطلحا وكتب فيروز كتابا بالصلح وعاد فلما استقر فى مملكته ضمانه الا نفقة على معاودة أخشنوار فتهاون وزراؤه بمن نقض العهد فلم يقبل وسار نحوه فلما تقاربا أمر أخشنوار فحفر خلف عسكره خندقا عرضه عشرة أذرع وعمقه عشرون ذراعا وغطاه بخشب ضعيف وتراب ثم عاد وراءه فلما سمع فيروز بذلك اعتقده هزيمة فتبعه ولا يعلم عسكر فيروز بالخندق فسقط هو وأصحابه فيه فهلكوا وعاد أخشنوار الى عسكر فيروز وأخذ كل ما فيه وأسر نساءه وموبذان موبذ ثم استخرج جثة فيروز ومن سقط معه فجعلها فى النواويس وقيل ان فيروز لما انتهى الى الخندق الذى حفره أخشنوار ولم يكن مغطى عقد عليه قناطر وجعل عليها أعلاما له ولأصحابه يقصدونها فى عودهم وجاز الى القوم فلما التقى العسكران احتج عليه أخشنوار بالعهود التى بينهما وحذره عاقبة الغدر فلم يرجع فنهاه أصحابه فلم ينته فصعقت نياتهم فى القتال فلما أبى الا القتال رفع أخشنوار نسخة العهد على رمح وقال اللهم خذ بما فى هذا الكتاب وقلده بغيه فقاتله فانهزم فيروز وعسكره فضلوا عن مواضع القناطر فسقطوا فى الخندق فهلك فيروز وأكثر عسكره وغنم أخشنوار أموالهم ودوابهم وجميع ما معهم وغلب أخشنوار على عامة خراسان فسار اليهم رجل من أهل فارس يقال له سوخرا وكان فيهم عظيما وخرج كالمحتسب وقيل بل كان فيروز استخلفه على ملكه لما سار وكان له سجستان فاتى صاحب الهياطلة فاخرجه من خراسان واستعاد منه كل ما أخذ من عسكر فيروز مما هو فى عسكره موجودا من السبى وغيره وعاد الى بلاده فعظمت به العرس الى غاية لم يكن فوقه الا الملك وكانت مملكة الهياطلة طخارستان فكان فيروز قد أعطى ملكهم لما ساعده على حرب أخيه الطالقان وكان ملك فيروز ثنتا وعشرين سنة وقيل احدى وعشرين سنة

﴿ ذكر الاحداث فى العرب أيام يزدجرد وفيروز ﴾

كان يخدم ملوك حمير أبناء الاشراف من حمير وغيرهم وكان ممن يخدم حسان بن تبع عمرو بن حجر الكندى سيد كنده فلما قتل عمرو بن تبع أخاه حسان بن تبع اصطنع عمرو بن حجر وزوجه ابنة أخيه حسان ولم يطمع فى التزوج الى ذلك البيت أحد من العرب فولدت الحرث بن عمرو وملك بعد عمرو بن تبع عبد كلال بن مثوب وانما ملكوه لان أولاد عمرو كانوا صغارا وكان الجن قبل ذلك قد استهامت تبع بن حسان وكان عبد كلال على دين النصرانية الاولى ويكتم ذلك ورجع تبع بن حسان من استهامته وهو أعلم الناس بما كان قبله فملك اليمن وهابته حمير فبعث ابن أخته الحرث ابن عمرو بن حجر فى جيش الى الحيرة فسار الى النعمان بن امرئ القيس وهو ابن الشقيقة فقاتله وقتل النعمان وعدة من أهل بيته وأفلت المنذر بن النعمان الاكبر وأمه ماء السماء امرأة من التمر بن قاسط فذهب ملك آل النعمان وملك الحرث بن عمرو الكندى ما كانوا يملكون قاله بعضهم وقال ابن الكلبى ملك بعد النعمان المنذر بن النعمان بن المنذر بن النعمان أربعا وأربعين سنة من ذلك فى زمن بهرام جور ثمانى سنين وفى زمن يزدجرد بن بهرام ثمانى عشرة سنة وفى زمن فيروز بن يزدجرد سبع عشرة سنة ثم ملك بعده الاسود بن المنذر عشرين سنة منها فى زمن فيروز بن يزدجرد عشر سنين وفى زمن بلاش بن فيروز أربع سنين وفى زمن قباذ بن فيروز ست سنين وهكذا ذكر أبو جعفر ههنا ان الحرث بن عمرو قتل النعمان بن امرئ القيس وأخذ بلاده وانقرض ملك أهل بيته وذكر فيما تقدم ان المنذر بن النعمان أو النعمان على الاختلاف المذكور هو الذى جمع العساكر وملك بهرام جور على الفرس ثم ساق فيما بعد ملوك الحيرة من

اذا توسط أرض الروم تحلبت اليه مياه كثيرة منها نهر يخرج مما يلى بحيرة الماذرمون وليس فى أرض الروم بحيرة أكبر منها وهى نحو من شهر وقيل أكثر من ذلك طولا وعرضا تجرى فيها السفن وتنتهى الى الفرات الى جسر منبج وقد اجتاز تحت قلعة سميساط وهى قلعة الطين ثم ينتهى الى ماليس وهى نصفان موضع حرب أهل العراق وأهل الشام ثم ينتهى الى الرقة والى الرحبة وهيت والانبار ويأخذ منه أنهار مثل نهر عيسى وغيره مما ينتهى الى مدينة السلام فيصب فى دجلة وينتهى الفرات الى بلاد سوار وقصر ابن هبيرة والكوفة والجامعين وأحداباد والفرس والطفوف ثم تنتهى غايته الى البطيحة التى بين البصرة وواسط فيكون مقدار جريانه على وجه الارض نحو من خمسمائة فرسخ وقد قيل أكثر من ذلك وقد كان الفرات الاكثر من مائه ينتهى الى بلاد الحيرة ونهرها تين الى هذا الوقت فيصب فى البحر الحبشى حينئذ فى الموضع المعروف بالمحيف فى هذا الوقت

أولاد النعمان هذا الى آخرهم ولم يقطع ملكهم بالحرث بن عمرو وسبب هذا ان أخبار العرب لم تكن مضبوطة على الحقيقة فتنال كل واحد ما نقل اليه من غير تحقيق وقيل غير ذلك وسنذكره ثم قتل حجر بن عمرو والد امرئ القيس في أيام العرب ان شاء الله والصحيح ان ملوك كندة عمرو والحرث كانوا بنجد على العرب وأما اللخميون ملوك الحيرة المناذرة فلم يزالوا عليها الى ان ملك قباذ الفرس وأزالهم واستعمل الحرث بن عمرو الكندي على الحيرة ثم أعاد انوشروان الحيرة الى اللخميين على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر ملك بلاش بن فيروز بن يزدجرد﴾

ثم ملك بعد فيروز ابنه بلاش وجرى بينه وبين أخيه قباذ منازعة استظهر فيها قباذ وملك فلما ملك بلاش أكرم سوخرا وأحسن اليه لما كان منه ولم يزل حسن السيرة حريصا على العمارة وكان لا يبلغه ان بيتا خرب وجلا أهله الا عاقب صاحب تلك القرية على تركه سدّ فاقتهم حتى لا يضطروا الى مفارقة اوطانهم وبنى مدينة ساباط بقرب المدائن وكان ملكه أربع سنين

﴿ذكر ملك قباذ بن فيروز بن يزدجرد﴾

وكان قباذ قبل ان يصير الملك اليه قد سار الى خاقان مستنصرا به على أخيه بلاش فمر في طريقه بحدود نيسابور ومعه جماعة من أصحابه متنكرين وفيهم زرمهر بن سوخرا فاقت نفسه الى النكاح فشكا ذلك الى زرمهر وطلب منه امرأة فسار الى امرأة صاحب المنزل وكان من الاساورة وكان له بنت حسناء فخطبها منها وأطمعها وزوجها فزوجافدخل بها قباذ من ليلته فحملت بانوشروان وأمر لها بجائزة سنية وردها وسألتها أمها عن قباذ وحاله فذكرت أنها لا تعرف من حاله شيأ غير ان سراويله منسوجة بالذهب فعلمت انه من أبناء الملوك ومضى قباذ الى خاقان واستنصره على أخيه فاقام عنده اربع سنين وهو بعده ثم أرسل معه جيشا فلما صار بالقرب من الناحية التي بها زوجته سأل عنها فاحضرت ومعها أنوشروان وأعلمته أنه ابنه وورد الخبر اليه بذلك المكان ان أخاه بلاش قد هلك فتيمن بالمولود وحمله وأمه على مراكب نساء الملوك واستوثق له الملك وخص سوخرا وشكر لولده خدمته وتولى سوخرا الامر فمال الناس اليه وتهاونوا بقباذ فلم يحتمل ذلك فكتب الى سابور الداري وهو اصبهبذ ديار الجبل ويقال للبيت الذي هو منه مهران فاستقدمه ومعه جنده فتقدم اليه فاعلمه عزمه على قتل سوخرا وأمره بكتمان ذلك فاتاه يوما سابور وسوخرا عند قباذ فالقى في عنقه وهقا واخذه وحبسه ثم خنقه قباذ وأرسله الى أهله وقدم عوضه سابور الداري وفي أيامه ظهر مزدك وابتدع ووافق زرادشت في بعض ما جاء به وزاد ونقص وزعم انه يدعو الى شريعة ابراهيم الخليل حسبما دعا اليه زرادشت واستحل المحارم والمنكرات وسوى بين الناس في الاموال والاملاك والنساء والعبيد والاماء حتى لا يكون لاحد على أحد فضل في شيء البتة فكثر اتباعه من السفلة والاغتام فصاروا عشرات ألوف فكان مزدك يأخذ امرأة هذا فيسلمها الى الآخر وكذا في الاموال والعبيد والاماء وغيرها من الضياع والعقار فاستولى وعظم شأنه وتبعه الملك قباذ فقال يوما لقباذ اليوم نوبتي من امرأتك أم أنوشروان فاجابه الى ذلك فقام أنوشروان اليه ونزع خفيه بيده وقبل رجليه وشفع اليه حتى لا يتعرض لامه وله حكمه في سائر ملكه فتركها وحرم ذباحة الحيوان وقال يكفي في طعام الانسان ما تنبته الارض وما يتولد من الحيوان كالبيض واللبن والسمن والجبن فعظمت البلية به على الناس فصار الرجل لا يعرف ولده والولد لا يعرف أباه فلما مضى عشر سنين من ملك قباذ اجتمع

وكانت تتقدم هناك سفن الصين والهند ترد الى ملوك الحيرة وقد ذكرنا قبل هذا عبد المسيح بن عمرو بن قيلة الغساني حين خطب خالد بن الوليد في أيام أبي بكر ابن أبي قحافة رضي الله عنه حين قال له ما تذكر قال اذكر سفن الصين وراء هذه الحصون فلما انقطع الماء عن ذلك الموضع انتقل البحر برافصار من البحر في هذا الوقت على مسيرة أيام كثيرة ومن رأى النجف وأشرف عليه تبين له ما وصفناه وكثر رمل دجلة الغوراء فصار بينها وبين الدجلة في هذا الوقت مسافة بعيدة وصارت تدعى بطن حرجى وذلك من جهة مدينة فارس من أعمال واسط الى دوقاء الى نحو بلاد السوس وكذلك ما حدث في الجانب الشرقي ببغداد من الموضع المعروف برقة الشماسيه وما نقل الماء بتياره من الجانب الغربي من الضياع التي كانت بقطربل ومدينة السلام كالقرية المعروفة باليسرى والموضع المعروف بالعمر وغير ذلك من ضياع قطربل وقد كان لاهلها مطالبات مع أهل الجانب الشرقي ممن ملك رقة الشماسية في أيام المقتدر بحضرة الوزير أبي الحسن

موبذان موبذوالعلماء وخلعوه وملكوا عليهم أخاه جاماسب وقالوا له انك قد أثمت باتباعك مزدك وبما عمل أصحابه بالناس وليس ينجيك الا اباحة نفسك ونسائك وارادوه على ان يسلم نفسه اليهم ليذبحوه ويقربوه الى النار فامتنع من ذلك فحبسوه وتركوه لا يصل اليه أحد فخرج زرمهر ابن سوخرا فقتل من المزدكية خلقا وأعاد قباذ الى ملكه وأزال أخاه جاماسب ثم ان قباذ قتل بعد ذلك زرمهر وقيل لما حبس قباذ تولى أخوه دخلت احت لقباذ عليه كانها تزوره ثم لفته في بساط وحمله غلام فلما خرج من السجن سأله السجان عما معه فقالت هو مرحل كنت أحيض فيه فلم يمس البساط بعض الغلام بقباذ وهرب قباذ فلحق بملك الهياطلة يستجيشه فلما صار بايران شهر وهي نيسابور نزل برجل من أهلها له ابنة بكر حسنة جميلة فنكحها وهي أم كسرى أنوشروان فكان نكاحه اياها في هذه السفرة لا في تلك في قول بعضهم وعاد ومعه أنوشروان فغلب أخاه جاماسب على الملك وكان ملك جاماسب ست سنين وغزا قباذ بعد ذلك الروم ففتح مدينة آمد وبنى مدينة ارجان ومدينة حلوان ومات فملك ابنه كسرى أنوشروان بعده فكان ملك قباذ مع سني أخيه جاماسب ثلاثا وأربعين سنة فتولى أنوشروان ما كان أبوه أمر له به وفي أيامه خرجت الخزر فاغارت على بلاده فبلغت الدينور فوجه قباذ قائدا من عظماء قواده في اثني عشر ألفا فوطئ بلاد اران وفتح ما بين النهر المعروف بالرس الى شروان ثم ان قباذ لحق به فبنى باران مدينة البيلقان ومدينة البرذعة وهي مدينة الثغر كله وغيرهما وبقي الخزر ثم بنى سد اللان فيما بين أرض شروان وباب اللان وبنى على السد مدنا كثيرة خربت بعد بناء باب الابواب

﴿ذكر حوادث العرب أيام قباذ﴾

لما ملك الحرث بن عمرو بن حجر الكندي العرب وقتل النعمان بن المنذر بن امرئ القيس كما ذكرناه بعث اليه قباذ انه قد كان بيننا وبين الملك الذي كان قبلك عهد وأحب لقاءك وكان قباذ زنديقا يظهر الخير ويكره الدماء ويداري أعداءه فخرج اليه الحرث والتقيا واصطلحا على ان لا يجوز الفرات أحد من العرب فطمع الحرث الكندي فامر أصحابه ان يقطعوا الفرات ويغيروا على السواد فسمع قباذ فعلم انه من تحت يد الحرث فاستدعاه فحضر فقال له ان لصوصا من العرب صنعت كذا وكذا فقال ما علمت ولا أستطيع ضبط العرب الا بالمال والجنود وطلب منه شيأ من السواد فاعطاه ستة طساسيج وأرسل الحرث بن عمرو الى تبع وهو باليمن يطمعه في بلاد العجم فسار تبع حتى نزل الحيرة وأرسل ابن أخيه شمرا ذا الجناح الى قباذ فحاربه فهزمه شمر حتى لحق بالري ثم أدركه بها فقتله ثم وجه تبع شمرا الى خراسان ووجه ابنه حسان الى السغد فقال أيكما سبق الى الصين فهو عليها وكان كل واحد منهما في جيش عظيم يقال كانا في ستمائة ألف وأربعين ألفا وأرسل ابن أخيه يعفر الى الروم فنزل على القسطنطينية فاعطوه الطاعة والاتاوة ومضى الى رومية فحاصرها فاصاب من معه طاعون فوثب الروم عليهم فقتلوهم ولم يفلت منهم أحد وسار شمر ذو الجناح الى سمرقند فحاصرها فلم يظفر بها وسمع ان ملكها أحمق وان له ابنة وهي التي تقضي الامور فارسل اليها هدية عظيمة وقال لها انني انما قدمت لاتزوج بك ومعي أربعة آلاف تابوت مملوءة ذهبا وفضة أنا أدفعها اليك وأمضي الى الصين فان ملكت كنت امرأتي وان هلكت كان المال لك فلما بلغتها الرسالة قالت قد أجبته فليبعث المال فارسل أربعة آلاف تابوت في كل تابوت رجلان ولسمرقند أربعة أبواب ولكل باب ألف رجل وجعل العلامة بينهم ان يضرب بالجرس فلما دخلوا البلد صاح شمر في الناس وضرب بالجرس فخرجوا وملكوا الابواب

علي بن عيسى وما أجابه به أهل العلم في ذلك وما ذكرناه مشهور بمدينة السلام فاذا كان الماء في نحو من ثلاثين سنة قد ذهب بنحو من تسعمائة ميل فانه يسير ميلا في قدره في سنة فاذا سار اليهم أربعة آلاف ذراع من عرضه الاول خربت بذلك السير مواضع وعمرت مواضع وادا وجد الماء سبيلا منخفضا وانصبابا وسع بالحركة وشدة الجرية لنفسه فاقتلع المواضع من الارض من أبعد غاياتها وكلما وجد موضعا متسعا من الوهاد ملأه في طريقه من شدة جريته حتى يعمل بحيرات وبائح ومستنقعات وتخرب بذلك بلاد وتعمر بذلك بلاد ولا يغيب فهم ما وصفناه عن مرام ذي فكر ولنبدأ بذكر (دجلة ومبدأ جريانها ومصبها) فنقول دجلة تخرج من بلاد آمد من ديار بكر من أعين بلاد خلاط من أرمينية ويصب اليها نهر سريط وسائر ما يخرج من بلاد أردن وميافارقين وغير ذلك من الانهار كنهر دومنا والخابور الخارج من بلاد أرمينية ومصبه في دجلة من بلاد ماسور بن وسيلون من بلاد قردى وبازدى وباهمدان من بلاد الموصل وهذه الديار ديار بني

ودخل المدينة فقتل أهلها وحوى ما فيها وسار الى الصين فهزم الترك ودخل بلادهم ولقى حسان بن تبع فسبقه اليها ثلاث سنين فاقاما بها حتى ماتا وكان مقامهما فيما قيل احدى وعشرين سنة وقيل عاد الى طريقهما حتى قدما على تبع بالغنائم والسبى والجواهر ثم انصرفوا الى بلادهم ومات تبع باليمن فلم يخرج أحد من اليمن غازيا بعده وكان ملكه مائة واحدى وعشرين سنة وقيل تهود قال ابن اسحق كان تبع الآخر وهو تبان اسعد أبو كرب حين أقبل من المشرق بعد ان ملك البلاد حمل طريقه على المدينة وكان حين مر بها فى بدايته لم يهج أهلها وخلف عندهم ابنا له فقتل غيلة فقدمها غازيا على تعريبها واستئصال أهلها فجمع له الانصار حين سمعوا ذلك ورئيسهم عمرو بن الظلة أحد بنى عمرو بن مبذول من بنى النجار وخرجوا لقتاله وكانوا يقاتلونه نهارا ويقرونه ليلا فبينما هو على ذلك ادجاءه حبران من بنى قريظة عالمان فقالا له قد سمعنا ما تريد ان تفعل وانك ان ابيت الا ذلك حيل بينك وبينه ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فقال ولم ذلك فقالا انها مهاجر نبى من قريش تكون داره فانتهى عما كان يريد واعجبه ما سمع منهما واتبعهما على دينهما واسمهما كعب وأسد وكان تبع وقومه أصحاب أوثان وسار من المدينة الى مكة وهى طريقه وكسا الكعبة الوصائل والملاء وكان أول من كساها وجعل لها بابا ومفتاحا وخرج منوجها الى اليمن فدعا قومه الى اليهودية فأبوا عليه حتى حاكموه الى النار وكانت لهم نار تحكم بينهم فيما يزعمون تأكل الظالم ولا تضر المظلوم فقال لقومه أنصفتم نخرج قومه باوثانهم وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما حتى قعدوا عند مخرج النار فخرجت النار فغشيتهم وأكلت الاوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران تعرق جباههما لم يضرهما فاطبقت حمير على دينه وكان قدم على تبع قبل ذلك شافع بن كليب الصدفى وكان كاهنا فقال له تبع هل تجد لقوم ملكا يارى ملكى قال لا الا الملك غسان قال فهل تجد ملكا يزيد عليه قال أجد ملوك مبرور وراند بالقهور ووصف فى الزبور وفضلت أمته فى السفور يفرح الظلم بالنور أحمد النبى طوبى لامته حين يجىء أحد بنى لؤى ثم أحد بنى قصى فنظر تبع فى الزبور فاذا هو بنعت صفة النبى صلى الله عليه وسلم ثم ملك بعد تبع هذا وهو تبان أسعد أبو كرب بن ملكيكرب ربيعة بن نصر اللخمى فلما هلك ربيعة رجع الملك باليمن الى حسان بن تبان اسعد فلما ملك ربيعة رأى رؤيا هالته فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا عائفا الا أحضره قال لهم رأيت رؤيا هالتنى واخبرونى بتأويلها فقالوا اقصصها علينا فقال ان أخبرتكم بها لم اطمئن الى خبركم بتأويلها فلما قال ذلك قال له رجل منهم ان كان الملك يريد ذلك فليبعث الى سطيح وشق فهما يخبرانك عما سألت واسم سطيح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن دئب بن عدى بن غسان وكان يقال له الذئبى نسبة الى ذئب بن عدى وشق بن مصعب بن بشكر بن انمار فبعث اليهما فقدم عليه سطيح قبل شق فلما قدم عليه سطيح سأله عن رؤياه وتأويلها فقال رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بارض بهمة فاكلت منها كل ذات جمجمة قال له الملك ما اخطأت منها شيئا فما عندك فى تأويلها فقال أحلف بما بين الحرتين من حيش لهبطن أرضكم الجيش فليملكن ما بين ابين الى جرش قال الملك وأبيك ياسطيح ان هذا لغائظ موجع فمتى يكون أفى زمانى أم بعده قال بل بعده بحين سنتين سنة او سبعين يضين من السنين قال فهل يدوم ذلك من ملكهم أو ينقطع قال بل ينقطع لبضع وسبعين يمضين من السنين ثم يقتلون بها أجمعون ويخرجون منها هاربين قال الملك ومن الذى يلى ذلك قال يليه ارم ذى يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحدا منهم باليمن قال فيدوم ذلك من سلطانه أو

يقطع

حمدان وفى قردى وبازندى يقول الشاعر

بقردى وبازندى مصب ومربع

وعذب محاكى السلسلى برود

و بغداد ما بغداد ما تربها نحمى واما حرها فشديد

وليس هذا الحابور بابور النهر الذى يخرج من مدينة رأس العين من أعينها ويصب فى الفرات أسفل مدينة فرقيسيا ثم تمر دجلة بمدينة بلاد الموصل ويصب اليها نهر الزاب وهو من بلاد أرمينية (وهو زاب الاكبر) بعد الموصل وفوق جديه ثم يصب فيها زاب آخر فوق مدينة السحرة يأتى من بلاد أرمينية وأذربيجان ثم ينتهى الى مدينة تكريت ومر من رأى ومدينة السلام فيصب اليها الخندق والصراة ونهر عيسى وهى الانهار التى ذكرنا انها تأخذ من الفرات وتصب فى دجلة ثم تخرج دجلة عن مدينة السلام فينصب فيها أنهار كثيرة مثل النهر المعروف بدالى ونهر بين والنهروان مما يلى بلاد جرجرايا والسيب ونيل النعمانية فاذا خرجت دجلة من مدينة واسط تفرقت فى أنهار هى لك أخرى الى بطيحة البصرة مثل

ينقطع قال بل ينقطع يقطعه نبي زكي يأتيه الوحي من العلي وهو رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك في قومه الى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون قال أحق ما تخبرنا يا سطيح قال نعم والشفق والغسق والسلق اذا انسلق ان ما بيناتك به لحق ثم قدم عليه شق فقال يا شق اني رأيت رؤيا فاخبرني عنها وعن تأويلها وكتمه ما قال سطيح ليتظر هل يتفقان أم يختلفان قال نعم رأيت جمجمة خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة واكمة فأكلت منها كل ذات نسمة فلما سمع الملك ذلك قال ما أخطأت شيأ فما تأويلها قال احلف بما بين الحرتين من انسان ليسزان أرضكم السودان وليملكن ما بين ابين الى نجران قال الملك وأبيك يا شق ان هذا لعائظ فمتى هو كائن قال بعدك برمان ثم يستنقذكم منهم عظيم دوشان ويذيقهم أشد الهوان وهو غلام ليس بدني ولا مزن يخرج من بيت ذي يزن قال فهل يدوم سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل يكون الملك في قومه الى يوم الفصل ثم قال ومايوم الفصل قال يوم تجزى فيه الولاة ويدعى من السماء بدعوات ويسمع منها الاحياء والاموات ويجتمع فيه الناس للميقات فلما فرغ من مسئلتهما جهز بنيه وأهل بيته الى العراق بما يصلحهم فمن بقية ربيعة بن نصر كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة وهو النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر ذلك الملك فلما هلك ربيعة بن نصر واجتمع ملك اليمن الى حسان بن تبان بن أبي كرب بن ملكيكرب بن زيد بن عمرو ذي الاذعار كان مما هيج أمر الحبشة وتحول الملك عن حمير ان حسان سار باهل اليمن يريد ان يطأبهم أرض العرب والعجم كما كانت التبابعة تفعل فلما كان بالعراق كرهت قبائل العرب من اليمن المسير معه فكلموا أخاه عمرا في قتل حسان وتمليكه فاجابهم الى ذلك الا ما كان من ذي رعين الحميري فانه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه فعمد ذو رعين الى صحيفة فكتب فيها

ألا من يشتري سهرا بنوم * سعيد من يبيت قرير عين

وما حمير غدرت وخانت * فعذرة الاله لذي رعين

ثم ختمها وأتى بها عمرا فقال ضع هذه عندك ففعل فلما بلغ حسان ما أجمع عليه أخوه وقبائل اليمن قال لعمرو يا عمرو لا تجعل على منيتي * فالملك تأخذه بغير حشود

فابى الا قتله فقتله بموضع رحبة مالك فكانت نسمى فرصة نعم فيما قيل ثم عاد الى اليمن فمنع النوم منه فسأل الاطباء وغيرهم عما به وشكا اليهم السهر فقال له قائل منهم ما قتل أحد أخاه أو ذا رحم بغيا الا منع منه النوم فلما سمع ذلك قتل كل من أشار عليه بقتل أخيه حتى خلص الى ذي رعين فلما أراد قتله قال ان لي عندك براءة قال وما هي قال أخرج الكتاب الذي استودعتك فاخرجه فاذا فيه البيتان فكف عن قتله ولم يلبث عمرو أن هلك فتفرقت حمير عند ذلك قلت هذا الذي ذكره أبو جعفر من قتل قباذ بالري وملك تبع البلاد مر بعد قتله من النقل القبيح والغلط الفاحش وفساده أشهر من ان يذكر فلولا أني شرطت ان لا أترك ترجمة من تاريخ الاوناني بمعناها من غير اخلال بشيء لكان الاعراض عنه أولى ووجه الغلط فيه أنه ذكر ان قباذ قتل بالري ولا خلاف بين أهل النقل من الفرس وغيرهم ان قباذ مات حتف أنفه في زمان معلوم وكان ملكه مدة معلومة كما ذكرناه قبل ولم ينقل أحد انه قتل الا في هذه الرواية والما مات ملك ابنه كسرى أنوشروان بعده وهذا أشهر من قفانبك ولو كان ملك الفرس انتقل بعد قباذ الى حمير كيف كان يملك ابنه بعده وتمكن

خوفا على المراكب الواردة من عمان وسيراف وغيرهما ان تقع في تلك الحدارة فلا يكون لها خلاص وقد ذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وهذه الديار عجيبة في مصبات مياهها واتصال البحر بها والله أعلم

﴿ذكر جمل من الاخبار عن البحر الحبشي وما قيل في ذلك من مقداره وسعة خلجانه﴾

قد زاد بحر الهند وهو الحبشي حتى امتد طوله من المغرب الى المشرق من أقصى الحبش الى أقصى الهند والصين وصار ثمانية آلاف ميل وعرضه ألفان وتسعمائة ميل وعرضه في مواضع آخر الف وتسعمائة ميل وقد يتقارب في قلة العرض في موضع دون موضع ويكثر كذلك وقد قيل في طوله وعرضه غير ما وصفنا من الكثرة وأعرضنا عن ذكره لعدم قيام الدلالة على صحته عند أهل هذه الصناعة وليس في المعمور أعظم من هذا البحر وله خليج متصل بأرض الحبشة يمتد الى ناحية بربرى من بلاد الزنج والحبشة ويسمى الخليج البربرى طوله خمسمائة ميل وعرض طرفيه مائة ميل وليست هذه بربرى

في الملك حتى أطاعه ملوك الامم فجلب الروم اليه الخراج ثم ذكر أيضا ان تبعا وجه ابنه حسان الى الصين وشمرا الى سمرقند وابن أخيه الى الروم وانه ملك القسطنطينية وسار الى روسية فحاصرها فبالبت شعري ما هو اليمن وحضرموت حتى يكون بهما من الجنود وما يكون بعضهم في بلادهم لحسطها وجيش مع تبع وجيش مع حسان يسير بهم الى مثل الصين في كثرة عساكره ومقاتلته وجيش مع ابن أخيه تبع باقي بهم مثل كسرى ويهزمه ويملك بلاده ويحاصر به مثل سمرقند في كبرها وعظمها وكثرة أهلها وجيش مع يعفر يسيرهم الى ملك الروم ويملك القسطنطينية والمسلمون مع تبع لعلمهم واتساعها وكثرة عددهم قد اجتهدوا ليأخذوا القسطنطينية أو ما يجاورها واليمن من أقل بلادهم عددا وجنودا فلم يقدروا على ذلك وكيف يقدر عليه بعض عساكر اليمن مع تبع هذا مما تأباه العقول وتمجه الاسماع ثم انه قال ان ملك تبع بلاد الفرس والروم والصين وغيرها كان بعد قتل قباد يعني أيام ابنه أنوشروان ولا خلاف ان مولد النبي صلى الله عليه وسلم كان في زمن أنوشروان وكان ملكه سبعا وأربعين سنة ولا خلاف أيضا ان الحبشة لما ملكت اليمن انقرضت ملوك حمير منه وكان آخر ملوكهم دانواس وكان ملك حمير قد اختل قبل ذي نواس وانقطع نظامه حتى طمعت الحبشة فيه وملكته وكان ملكهم اليمن أيام قباد وكيف يمكن ان يكون ملك الحبشة الذي هو مقطوع به أيام قباد ويكون تبع هو الذي ملك اليمن قد قتل قباد وملك بلاده قبل ان تملك الحبشة اليمن هذا مردود بمحال وقوعه وكان ملك الحبشة اليمن سبعين سنة وقيل أكثر من ذلك وكان انقراض ملكهم في آخر ملك أنوشروان والخبر في ذلك مشهور وحديث سيف ذي يزن في ذلك ظاهر ولم تزل اليمن بعد الحبشة في يد الفرس الى أن ملكه المسلمون وكيف يستقيم ان ينقضي ملك تبع الذي هو ملك بلاد فارس ومن بعده من ملوك حمير وملك الحبشة وهو سبعون سنة في ملك أنوشروان وكان ملكه نيفا وأربعين سنة وهذا أعجب ان مدة بعضها سبعون سنة تنقضي قبل مضي نيف وأربعين سنة ولو أوكر أبو جعفر في ذلك لاستحيا من نقله وأعجب من هذا أنه قال ثم ملك بعد تبع هذا ربيعة بن نصر اللخمي وهذا ربيعة هو جد عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة وكان ملك عمر والحيرة بعد خاله جذيمة أيام ملوك الطوائف قبل ملك أردشير بن بابك بخمس وتسعين سنة وملك أيضا أيام أردشير وبين أردشير وقباذ ما يقارب عشرين ملكا وكيف يكون جد عمرو وقد ملك بعد قباذ وهو قبله بهذا الدهر الطويل ولو لم يرجع أبو جعفر على هذه الحادثة بقوله ذكر الحوادث أيام قباذ لكان يحتمل تأويلا فيه ثم ما قنع بذلك حتى قال بعد ان قص مسير تبع وقتل قباذ وملك البلاد وأما ابن اسحق فانه قال ان الذي سار الى المشرق من المتابعة هو تبع الاخير ويعني بقوله تبع الاخير انه آخر من سار الى المشرق وملك البلاد فان ابن اسحق وغيره يقولون ان الذي ملك البلاد المشرقية لما توفي ملك بعده عدة تبابعة ثم اختل أمرهم زمانا طويلا حتى طمعت الحبشة فيهم وخرجت الى اليمن فليت شعري اذا كان هذا تبع في أيام قباذ فلا شك ان تبعا الاخير الذي أخذ منه اليمن يكون في زمن بني أمية ويكون ملك الحبشة اليمن بعد مدة من ملك بني العباس ويكون أول الاسلام من ثلثمائة سنة من ملكهم أيضا بعدها حتى يستقيم هذا القول ثم انه قال ان عمر بن طلحة الانصاري خرج الى تبع وعمر هذا قيل انه أدرك النبي صلى الله عليه وسلم شيخا كبيرا ومات عند مرجعه من غزوة بدر ومن الدليل على بطلانه أيضا ان المسلمين لما قصدوا بلاد الفرس ما زالت الفرس تقول لهم عند مراسلاتهم ومحاوراتهم في حروبهم كنتم أقل الامم وأذلها وأحقرها والعرب تقرهم بذلك فلو كان ملك تبع قريب العهد لقالت العرب انا بالامس

قتلنا

برد اليهودي وما حوله والمصب الذي ينتهي الى القطر وفيه تحرى أكثر سفن البصرة وبغداد وواسط مقدار مسافة جريان دجلة الى وجه الارض بحومن ثلثمائة فرسخ وقيل أربعمائة وقد أعرضنا عن كثير من ذكر الانهار لما كبر واشتهر اذ كنا قد أتينا على ذكر ذلك على الاستقصاء في الكتاب المترجم باخبار الزمان وكذلك في الكتاب الاوسط وذكرنا في هذا الكتاب لمعاني سميناها من [illegible] وتمام [illegible] ولقي بصرة أنهارا كبارا منها نهر [illegible] ونهر أرس ونهر ابن عمر وكذلك بلاد الاهواز فيما بينها وبين بلاد البصرة أعرضنا عن ذكر ذلك اذ كنا قد تقصينا الاخبار عنها واخبار منتهى بحر فارس الى بلاد البصرة والابلة وخبر الموضع المعروف بالحدارة وهي دجلة من البصرة الى المرتفرب من نحو بلاد الابلة ومن أجلها صلح الاكثر من بلاد البصرة ولهذه الحدارة انحدرت الاخشاب في فم النهر مما يلي الابلة وعباد ان عليها أناس يوقدون النار بالليل على خشبات ثلاث كالكرسي في جوف الليل

قتلنا ملككم وملكنا بلادكم واستبحنا حريمكم وأموالكم فسكوت العرب عن ذلك واقرارها الفرس دليل على بعد عهده أو عدمه على ان الفرس لا تقر بذلك لا فى قديم الزمان ولا فى حديثه فانهم يزعمون ان ملكهم لم ينقطع من عهد جيومرث الذى هو آدم فى قول بعضهم الى ان جاء الاسلام الا أيام ملوك الطوائف وكان ملوك الفرس طرف من البلاد فى ذلك الزمان لم ينقطع انقطاعا كليا على ان أصحاب السير قد اختلفوا فى تتبع الذى سار وملك البلاد اختلافا كثيرا فقيل شمر بن افريقش وقيل تبع أسعد وانه بعث الى سمرقند شمرا ذا الجناح الى غير ذلك من الاختلافات التى لا طائل فيها وهذا القدر كاف فى كشف الخطا فيه

﴿ ذكر ملك لخنيعة ﴾

فلما هلك عمرو وتفرقت حمير وثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة يقال له لخنيعة تنوف ذو شناتر فملكهم فى قول ابن اسحق فقتل خيارهم وعاث ببيوت أهل المملكة منهم وكان امرأ فاسقا يزعمون انه كان يعمل عمل قوم لوط فكان اذا سمع بغلام من أبناء الملوك انه قد بلغ أرسل اليه فوقع عليه فى مشربة له لا يعلم بعد ذلك ثم يطلع الى حرسه وجنده قد أخذوا كافى فيه يعلمهم انه قد فرغ منه ثم يخلى سبيله فيفضحه

﴿ ذكر ملك ذى نواس وقصة أصحاب الاخدود ﴾

كان من أبناء الملوك ذرعة ذو نواس بن تبان أسعد بن كرب وكان صغيرا حين أصيب أخوه حسان فشب غلاما جميلا ذا هيئة فبعث اليه لخنيعة ليفعل به ما كان يفعل بغيره فاتخذ سكينا لطيفا فجعله بين نعله وقدمه ثم انطلق اليه مع رسوله فلما خلا به فى المشربة قتله ذو نواس بالسكين ثم احتز رأسه فجعله فى كوة مشربته التى يطلع منها ثم أخذوا كه فجعله فى فيه ثم خرج فقالوا له ذو نواس رطب أم يابس فقال سل بحماس استرطبان ذو نواس لا باس فذهبوا ينظرون حين قال لهم ما قال فاذا رأس لخنيعة مقطوع فخرجت حمير والحرس فى أثر ذى نواس حتى أدركوه فلكوه حيث أراحهم من لخنيعة واجتمعوا عليه وكان يهوديا بنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم على استقامة لهم رئيس يقال له عبد الله بن التامر وكان أصل النصرانية بنجران قال وهب بن منبه ان رجلا من بقايا أهل دين عيسى يقال له فيميون وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا فى الدنيا مجاب الدعوة وكان سائحا لا يعرف بقرية الا خرج منها الى غيرها وكان لا يأكل الا من كسب يده وكان يعمل الطين ويعظم الاحد لا يعمل فيه شيا ويخرج الى الصحراء يصلى جميع نهاره فنزل قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا ففطن به رجل اسمه صالح فاحبه حبا شديدا وكان يتبعه حيث ذهب لا يفطن به فيميون حتى خرج مرة يوم الاحد الى الصحراء واتبعه صالح وفيميون لا يعلم فجلس صالح منه منظر العين مستخفيا وقام فيميون يصلى فبينما هو يصلى اذ أقبل نحوه تنين فلما رآه فيميون دعا عليه فمات ورآه صالح ولم يدر ما أصابه فخاف على فيميون فصاح يا فيميون التنين قد أقبل نحوك فلم يلتفت اليه وأقبل على صلاته حتى أمسى وعرف ان صالحا عرفه فكلمه صالح وقال له يعلم الله انى ما أحببت شيا أحبك قط وقد أردت صحبتك حيثما كنت قال افعل فلزمه صالح وكان اذا جاءه العبد به ضر شفى اذا دعاله واذا دعى الى أحد به ضر لم يأته وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير فجعل ابنه فى حجرة ألقى عليه ثوبا ثم قال لفيميون قد أردت ان تعمل فى بيتى عملا فانطلق اليه لاشارطك عليه فانطلق معه فلما دخل الحجرة ألقى الرجل الثوب عن ابنه وطلب اليه ان يدعوله فدعا له فابصر وعرف فيميون انه قد عرف بالقرية فخرج هو وصالح ومر بشجرة عظيمة بالشام فناداه رجل وقال

التى ينسب اليها البرابرة الذين ببلاد المغرب من أرض أفريقية لان هذا موضع آخر يدعى بهذا الاسم وأهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج الى جزيرة قنبلو من بحر الزنج وفى هذه الجزيرة مسلمون من الاكابر من الزنج والعمانيون الذين ذكرنا من أرباب المراكب يزعمون ان هذا الخليج المعروف بالبربرى وهم يعرفونه ببحر بربرى وبلاد جفوى أكثر مسافة مما ذكرنا وموجه عظيم كالجبال الشواهق فانه موج أعمى يريدون بذلك انه مرتفع كارتفاع الجبال وينخفض كانخفاض ما يكون من الاودية لا ينكسر موجه ولا يظهر من ذلك زبد كتكسر أمواج سائر البحار ويزعمون انه موج مجنون وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر من أهل عمان عرب من الازد فاذا توسطوا هذا البحر ودخلوا بين ماذكرنا من الامواج ترفعهم وتخفضهم فيرتجزون ويقولون

بربرى وجفوى
وموجك المجنون
جفوتى وبربرى
وموجها كما ترى

وينتهى هؤلاء فى بحر الزنج الى جزيرة قنبلو على ماذكرنا والى بلاد سفالة الواق واق

ما زالت انتظرك لا تبرح حتى تقوم علي فاني ميت قال فمات فوراه فيمون واقصرف ومعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب وأخذهم ابعض العرب فباعوهما بنجران وأهل نجران على دين العرب تعبد نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد كل سنة تعلق عليها كل ثوب حسن وحلي جميل فعلقوا عنها يوما فابتاع رجل من أشرافهم فيمون وابتاع رجل صالحا فكان فيمون اذا قام من الليل يصلي في بيته استسرح له البيت حتى يصبح من غير مصباح فلما رأى سيده ذلك أعجبه فسأله عن دينه فأخبره وعاب دين سيده وقال له لو عوت الهي الذي أعبد لاهلك النخلة فقال افعل فانك ان فعلت دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه فصلى فيمون ودعا الله تعالى فارسل الله عليها ريحا فجففتها وألقتها فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه فحملهم على شريعة من دين عيسى ودخل عليهم بعد ذلك الاحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران وقال محمد بن كعب القرظي كان أهل نجران يعبدون الاوثان وكان في قرية من قراها ساحر كان أهل نجران يرسلون أولادهم اليه يعلمهم السحر فلما نزلها فيمون وهو رجل كان يعبد الله على دين عيسى ابن مريم عليه السلام فاذا عرف في قرية خرج منها الى غيرها وكان مجاب الدعوة يبرئ المرضى وله كرامات فوصل نجران فسكن خيمة بين نجران وبين الساحر فارسل التاجر ابنه عبد الله مع الغلمان الى الساحر فاجتاز بفيمون فرأى ما أعجبه من صلاته فجعل يجلس اليه ويستمع منه وأسلم معه ووحد الله تعالى وعبده وجعل يسأله عن الاسم الاعظم وكان يعلمه فكتمه اياه وقال ان تحتمله والتاجر يعتقد أن ابنه يختلف الى الساحر مع الغلمان فلما رأى عبد الله ان صاحبه قد ضن عليه بالاسم الاعظم عمد الى قداح فكتب عليها أسماء الله جميعها ثم ألقاها في النار واحدا واحدا حتى ألقى القدح الذي عليه الاسم الاعظم وثب منها فلم تضره شيأ فأخذه وعاد الى صاحبه فاخبره الخبر فقال له أمسك على نفسك وما أظن ان تفعل فكان عبد الله لا يلقى أحدا اذا أتى نجران به ضرا الا قال يا عبد الله أتدخل في ديني حتى أدعو الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء فيقول نعم فيوحد الله ويسلم ويدعو له عبد الله فيشفى حتى لم يبق أحد من أهل نجران ممن به ضرا الا أتاه واتبعه ودعا له فعوفي فرفع شأنه الى ملك نجران فدعاه فقال له أفسدت علي أهل قريتي وخالفت ديني لامثلن بك فقال لا تقدر على ذلك فجعل يرسله الى الجبل الطويل فيلقى من رأسه فيقع على الارض ليس به بأس فأرسله الى مياه نجران وهي بحور لا يقع فيها شئ الا هلك فيلقى فيها فيخرج ليس به بأس فلما غلبه قال عبد الله بن التاجر انك لا تقدر على قتلي حتى توحد الله وتؤمن كما آمنت فانك اذا فعلت قتلتني فوحد الله الملك ثم ضربه بعصا بيده فشجه شجة غير كبيرة فقتله فولي الملك مكانه واجتمع أهل نجران على دين عبد الله بن التاجر قال فسار اليهم ذو نواس بجنوده فجمعهم ثم دعاهم الى اليهودية وخيرهم بينها وبين القتل فاختاروا القتل فخدلهم الاخدود فحرق بالنار وقتل بالسيف حتى قتل قريبا من عشرين ألفا وهم الذين أنزل الله فيهم قتل أصحاب الاخدود وقال ابن عباس كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له ذو نواس واسمه يوسف بن شرحبيل وكان قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان له ساحر حاذق فلما كبر قال للملك اني كبرت فابعث الي غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما اسمه عبد الله بن التاجر ليعلمه فجعل يختلف الى الساحر وكان في طريقه راهب حسن القراءة فقعد اليه الغلام فاعجبه أمره فكان اذا جاء الى المعلم يدخل الى الراهب فيقعد عنده فاذا جاء من عنده الى المعلم ضربه وقال له ما الذي حبسك وادا انقلب الى أبيه دخل الى الراهب فيضربه أبوه ويقول ما الذي ابطأ بك فشكا الغلام ذلك الى

الراهب

من إقامتي أرض الزنج والاسافل من نحوائهم ويقطع هذا البحر السيرافيون وتدركت أنا هذا البحر من مدينة سنجار ومن بلاد عمان (وسنجار قصبة بلاد عمان) مع جماعة من تواخذة السيرافيين وهم أرباب المراكب مثل محمد ابن الزيدوم السيرافي وجوهر بن أحمد وهو المعروف بابن نسوة وفي هذا البحر تلاف ومن كان معه في مركبه وآخر مرة ركبت فيه في سنة أربع وثلثمائة من جزيرة قنبلو الى مدينة عمان وذلك في مركب أحمد وعبد الصمد أخوي عبد الرحيم بن جعفر السيرافي بمكان وفيه غرقا في مركبهما وجميع من كان معهما وكان ركوبي فيه أخيرا والامير على عمان أحمد بن هلال ابن أخت القتال وقد ركبت عدة من البحار كبحر الصين والروم والخزر والقلزم واليمن وأصابني فيها من الاهوال ما لا أحصيه كثرة فلم أشاهد أهول من بحر السند الذي قدمنا ذكره وفيه السمك المعروف بالفال طول السمكة نحو من أربعمائة ذراع بالذراع العمرية وهي ذراع ذلك البحر والاغلب من هذا

الراهب فقال له اذا أتيت المعلم فقل حبسني أبي واذا أتيت اباك فقل حبسني المعلم وكان في ذلك البلد حية عظيمة قطعت طريق الناس فمر بها الغلام فرماها بحجر وقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتلها فلما رماها قتلها واتى الراهب فاخبره فقال له الراهب انك لشأنا وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل عليّ وصار الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويشفي الناس وكان للملك ابن عم أعمى فسمع بالغلام وقتل الحية فقال ادع الله ان يرد عليّ بصري فقال الغلام ان رددا عليك بصرك تؤمن به قال نعم قال اللهم ان كان صادقا فارددعليه بصره فعاد بصره ثم دخل على الملك فلما رآه تعجب منه وساله فلم يخبره والح عليه فدله على الغلام فجيء به فقال له لقد بلغ من سحرك ما أرى فقال أنا لا أشفي أحدا انما يشفي الله من يشاء فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجيء به فقيل ارجع عن دينك فابى فامر به فوضع المنشار على رأسه فشق نصفين ثم جيء بابن عم الملك فقال ارجع عن دينك فابى فشقه قطعتين ثم قال للغلام ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من أصحابه وقال اذهبوا به الى جبل كذا فان رجع والا فاطرحوه من رأسه فذهبوا به الى الجبل فقال اللهم اكفنيهم فرجف بهم الجبل وهلكوا ورجع الغلام الى الملك فسأله عن أصحابه فقال كفانيهم الله فغاظه ذلك وارسله في سفينة الى البحر ليلقوه فيه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم فغرقوا ونجا وجاء الى الملك فقال اقتلوه بالسيف فضربوه فتباعد وفشا خبره في اليمن فاعظمه الناس وعلموا أنه على الحق فقال الغلام للملك انك لن تقدر على قتلي الا ان تجمع أهل مملكتك وترميني بسهم وتقول بسم الله رب الغلام ففعل ذلك فقتله فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك قد نزل بك ما تحذر فاخذ أبواب المدينة وخد اخدودا وملأه نارا وعرض الناس فمن رجع عن دينه تركه ومن لم يرجع ألقاه في الاخدود فاحرقه وكانت امرأة مؤمنة وكان لها ثلاثة بنين أحدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي والا قتلتك أنت وأولادك فابت فألقى ابنيها الكبيرين فأبت ثم أخذ الصغير ليلقيه فهمت بالرجوع قال لها الصغير يا أماه لا ترجعي عن دينك لا بأس عليك فالقاه وألقاها في اثره وهذا الطفل احد من تكلم صغيرا قيل حفر رجل حربة بنجران في زمن عمر بن الخطاب فرأى عبد الله بن التامر واصعايده على ضربة في رأسه فاذا رفعت عنها يده جرت دما واذا أرسلت يده ردها اليها وهو قاعد فكتب فيه الى عمر فامر بتركه على حاله

﴿ذكر ملك الحبشة اليمن﴾

قيل لما قتل ذونواس من قتل من أهل اليمن في الاخدود لاجل العود عن النصرانية أفلت منهم رجل يقال له دوس ذو ثعلبان حتى أعجز القوم فقدم على قيصر فاستنصره على ذي نواس وجنوده وأخبره بما فعل بهم فقال له قيصر بعدت بلادك عنا ولكن سأكتب الى النجاشي ملك الحبشة وهو على هذا الدين وقريب منكم فكتب قيصر الى ملك الحبشة يأمره بنصره فأرسل معه ملك الحبشة سبعين الفا وأمر عليهم رجلا يقال له ارياط وفي جنوده ابرهة الاشرم فساروا في البحر حتى نزلوا بساحل اليمن وجمع ذونواس جنوده فاجتمعوا ولم يكن حرب غير انه ناوش شيأ من قتال ثم انهزموا ودخلها ارياط فلما رأى ذونواس ما نزل به وبقومه اقتحم البحر بفرسه فغرق ووطئ ارياط اليمن فقتل ثلث رجالها وبعث الى النجاشي بثلث سبايا هم ثم اقام بها وأذل أهلها وقيل ان الحبشة لما خرجوا الى المنذب من أرض اليمن كتب ذونواس الى أقيال اليمن يدعوهم الى الاجتماع على عدوهم فلم يجيبوه وقالوا يقاتل كل رجل عن بلاده فصنع مفاتيح وحملها على عدة من الابل ولقي الحبشة وقال هذه مفاتيح خزائن اموالكم باليمن فهي لكم ولا تقتلوا الرجال والذرية فأجابوه الى

السمك طوله مائة باع وربما يهز البحر فيظهر شيأ من جناحه فيكون كالقلع العظيم وهو الشراع وربما يظهر رأسه وينفخ الصعداء بالماء فيذهب الماء في الجو أكثر من عمر السهم والمراكب تفزع منه في الليل والنهار وتضرب له بالدبادب والخشب لينفر من ذلك ويحشر باجنحته وذنبه السمك الى فمه وقد تقذفه وذلك السمك يهوي الى جوفه جرمه فاذا بغت هذه السمكة بعث الله عليها سمكة نحو الذراع تدعى السل فتلصق بأصل اذنها فلا يكون لها منها خلاص فتطلب قعر البحر وتضرب بنفسها حتى تموت فتطفو فوق الماء فتكون كالجبل العظيم وربما تلتصق هذه السمكة المعروفة بالسل بالمراكب فلا يدنو الاقال مع عظمه من المركب ويهرب اذا رأى السمكة الصغيرة اذ كانت آفة له وقاتلته وكذلك التمساح يموت من دويبة تكون في ساحل النيل وجزائره وذلك ان التمساح لا دبر له وما يأكله يكون في بطنه دودا واذا آذاه ذلك الدود خرج الى البر فاستلقى على قفاه فاغرا فاه فينقض اليه طير الماء كالطيطوى والحصافي وغير ذلك من أنواع الطيور

ذلك وسار واسمه الى صنعاء فقال لكبيرهم وجه أصحابك لقبض الخزائن فتفرق أصحابه ودفع اليهم المفاتيح وكتب الى الاقيال يقتل كل ثور أسود فقتلت الحبشة ولم ينج منهم الا الشريد فلما سمع النجاشي جهز اليهم سبعين ألفا مع ارياط والاشرم فملك البلاد وأقام بها سنين ونازعه ابرهة الاشرم وكان في جنده فمال اليه طائفة منهم وبقي ارياط في طائفة وسار أحدهما الى الآخر وأرسل ابرهة انك لن تصنع بان تلقى الحبشة بعضها على بعض شيأ فيها كموا ولكن ابرز الي فأينا قهر صاحبه استولى على جنده فتبارزا فرفع ارياط الحربة فضرب ابرهة يريد يافوخه فوقعت على رأسه فشرمت أنفه وعينه فسمي الاشرم وحمل غلام لابرهة يقال له عتودة كان قد تركه كمينا من خلف ارياط على ارياط فقتله واستولى ابرهة على الجند والبلاد وقال لعتودة احتكم فقال لا تدخل عروس على زوجها من اليمن حتى أصيبها قبله فأجابه الى ذلك فبقي يفعل بهم هذا الفعل حينا ثم عدا عليه انسان من اليمن فقتله فسر ابرهة بقتله وقال لو علمت انه يحتكم هذا لم أحكمه ولما بلغ النجاشي قتل ارياط غضب غضبا شديدا وحلف لا يدع ابرهة حتى يطأ أرضه ويجز ناصيته فبلغ ذلك ابرهة فأرسل الى النجاشي من تراب اليمن وجز ناصيته وأرسلها أيضا وكتب اليه بالطاعة وارسال شعره وترابه ليبر قسمه بوضع التراب تحت قدميه فرضي عنه وأقره على عمله فلما استقر باليمن بعث الى أبي مرة ذي يزن فأخذ زوجته ريحانة بنت ذي جدن ونكحها فولدت له مسروقا وكانت قد ولدت لذي يزن ولدا اسمه معديكرب وهو سيف فخرج ذو يزن من اليمن فقدم الحيرة على عمرو ابن هند وسأله ان يكتب له الى كسرى كتابا يعلمه محله وشرفه وحاجته فقال انى أفد الى الملك كل سنة وهذا وقتها فاقام عنده حتى وفد معه ودخل الى كسرى معه فاكرمه وعظمه وذكر حاجته وشكا ما يلقون من الحبشة واستنصره عليهم وأطمعه في اليمن وكثرة ما لها فقال له كسرى انوشروان انى لاحب ان أسعفك بحاجتك ولكن المسالك اليها صعبة وسأنظر وأمر بانزاله فأقام عنده حتى هلك ونشأ ابنه معديكرب بن ذي يزن في حجرة ابرهة وهو يحسب أنه أبوه فسبه ابن لابرهة وسب أباه فسأل أمه عن أبيه فصدقته وأقام حتى مات ابرهة وابنه يكسوم وسار عن اليمن ففعل ما نذكره ان شاء الله

﴿ذكر ملك كسرى انوشروان بن قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور بن يزدجرد الاثيم﴾

لما لبس التاج خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وذكر ما ابتلوا به من فساد أمورهم ودينهم وأولادهم وأعلمهم انه يصلح ذلك ثم أمر برؤوس المزدكية فقتلوا وقسمت أموالهم في أهل الحاجة وكان سبب قتلهم ان قباذ كان كما ذكرنا قد اتبع مزدك على دينه ما دعاه اليه وأطاعه في كل ما يأمره به من الزندقة وغيرها مما ذكرنا أيام قباذ وكان المنذر بن ماء السماء يومئذ عاملا على الحيرة ونواحيها فدعاه قباذ الى ذلك فأبى فدعا الحرث بن عمرو الكندي فاجابه فسدد له ملكه وطرد المنذر عن مملكته وكانت أم انوشروان يوما بين يدي قباذ فدخل عليه مزدك لما رأى أم انوشروان قال لقباذ ادفعها الي لاقضي حاجتي منها فقال دونكها فوثب اليها انوشروان ولم يزل يسأله ويتضرع اليه ان يهب له أمه حتى قبل رجله فتركها فكان ذلك في نفسه فهلك قباذ على تلك الحالة وملك انوشروان فجلس للملك وأبلغ المنذر هلاك قباذ فأقبل الى انوشروان وقد علم خلافه على أبيه في مذهبه واتباع مزدك فان انوشروان كان منكرا لهذا المذهب كارها له ثم ان انوشروان أذن للناس اذنا عاما ودخل عليه مزدك ثم دخل عليه المنذر فقال أنوشروان انى كنت تمنيت أمنيتين ارجو أن يكون الله عز وجل قد جمعهما الي فقال مزدك وما هما أيها الملك قال تمنيت ان الملك

واستعمل

قد اعتاد ذلك منه فيأكل ما ظهر في حوته من ذلك الدود ونكون تلك الدويبة قد كمنت في الرمل تراعيه فتدب الى حلقه وتصير في جوفه فيحبط بنفسه في الارض فيطلب قعر النيل حتى تأتي الدويبة على حشوة جوفه ثم تحرق جوفه وتخرج وربما يقتل نفسه قبل ان تخرج فتخرج بعد موته وهذه الدويبة تكون نحو اصبع ذراع على صورة ابن عرس لها قوائم ثم ومخالب وفي بحر الزنج أنواع من السمك بصور شتى ولولا ان النفوس تنكر ما لم تعرفه وتدفع ما لم تألفه لاخبرنا عن عجائب هذه البحار وما فيها من الحيات والدواب وغير ذلك من عجائب المياه والجماد فلنرجع الآن الى ذكر تشعب مياه هذا البحر وخلجانه ودخوله في البر ودخول البر فيه فنقول ان خليجا آخر يمتد من هذا البحر الحبشي فينتهي الى مدينة القلزم من اعمال مصر وبينها وبين فسطاط مصر ثلاثة أيام وعليه مدينة ايلة والجار وجدة واليمن طوله ألف واربعمائة ميل وعرض طرفيه مائتا ميل وهو أقرب المواضع من عرضه وعرضه في الاصل سبعمائة ميل وهو اكثر العرض فيه ويلاقي

وأستعمل هذا الرجل الشريف يعني المنذر وأن أقتل هذه الزنادقة فقال مزدك أو تستطيع ان تقتل الناس كلهم فقال وانك ههنا يا ابن الزانية والله ماذهب نتن ريح جوربك من أنفي منذ قبلت رجلك الى يومي هذا وأمر به فقتل وصلب وقتل منهم ما بين جاز رالى النهروان الى المدائن في ضحوة واحدة مائة ألف زنديق وصلبهم وسمي يومئذ أنوشروان وطلب أنوشروان الحرث بن عمرو فبلغه ذلك وهو بالانبار فخرج هاربا في بحايته وماله وولده فمر بالنوبة فتبعه المنذر بالخيل من تغلب وايادوبهرا فلحق بارض كلب ونجا وانتهبوا ماله وهجائنه وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفسا من بني آكل المرار فقدموا بهم على المنذر فضرب رقابهم بحفر الاميال في ديار بني مرين العباديين بين دير بني هند والكوفة فذلك قول عمرو بن كلثوم

فآبوا بالنهاب وبالسبايا * وأبنا بالملوك مصفدينا

وفيهم يقول امرؤ القيس

ملوك من بني حجر بن عمرو * يساقون العشية يقتلونا
فلو في يوم معركة أصيبوا * ولكن في ديار بني مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل * ولكن في الدماء مرملينا
تظل الطير عاكفة عليهم * وتنتزع الحواجب والعيونا

ولما قتل أنوشروان مزدك وأصحابه أمر بقتل جماعة ممن دخل على الناس في أموالهم ورد الاموال الى أهلها وأمر بكل مولود اختلفوا فيه ان يلحق بمن هو منهم اذا لم يعرف أبوه وان يعطى نصيبا من ملك الرجل الذي يسند اليه اذا قبله الرجل وبكل امرأة غلبت على نفسها ان يؤخذ مهرها من الغالب ثم تخير المرأة بين الاقامة عنده وبين فراقه الا ان يكون لها زوج فترد اليه وأمر بعيال ذوي الاحساب الذين مات قيمهم فانكح بناتهم الاكفاء وجهزهن من بيت المال وانكح نساءهم من الاشراف واستعان بابنائهم في اعماله وعمر الجسور والقناطر وأصلح الخراب وتفقد الاساورة وأعطاهم وبنى في الطرق القصور والحصون وتخير الولاة والعمال والحكام وافتدى بسيرة اردشير وارتجع بلادا كانت مملكة الفرس منها السند وسندوست والرخج وزالستان وطخارستان وأعظم القتل في النازورو أجلى بقيتهم عن بلاده واجتمع الجزر بنجر وبلنجر واللان على قصد بلاده فقصدوا ارمينية للغارة على أهلها وكان الطريق سهلا فأمهلهم كسرى حتى توغلوا في البلاد وأرسل اليهم جنودا فقاتلوهم فأهلكوهم ما خلا عشرة آلاف رجل أسروا فاسكنوا اذربيجان وكان لكسرى أنوشروان ولد هو أكبر أولاده اسمه أنوشزاد فبلغه عنه انه زنديق فسيره الى جند يسابور وجعل معه جماعة يثق بدينهم ليصلحوا دينه وأدبه فبينما هم عنده اذ بلغه خبر مرض والده لما دخل بلاد الروم فوثب بمن عنده فقتلهم وأخرج أهل السجون فاستعان بهم وجمع عنده جموعا من الاشرار فأرسل اليه نائب أبيه بالمدائن عسكرا فحاصروه بجند يسابور وأرسل الخبر الى كسرى فكتب اليه يأمره بالجد في أمره وأخذه أسيرا فاشتد الحصار حينئذ عليه ودخل العساكر المدينة عنوة فقتلوا بها خلقا كثيرا وأسروا أنوشزاد فبلغه خبر جنده لما دخل الدار والرازي فوثب بعامل سجستان وقاتله فهزمه العامل فالتجأ الى مدينة لرخج وامتنع بها ثم كتب الى كسرى يعتذر ويسأله ان ينفذ اليه من يسلم له البلد ففعل وآمنه وكان الملك فيروز قد بنى بناحية صول واللان بناء يحصن به بلاده وبنى عليه ابنه قباذ زيادة فلما ملك كسرى أنوشروان بنى في ناحية صول وجرجان بناء كثيرا وحصونا حصن بها بلاده بجميعها

ماذكرناه من الخلجان وبلاد ايلة من غربية الساحل الآخر من هذا الخليج بلاد العلائي وبلاد العبدان من أرض مصر وأرض البجة ثم أرض الحبشة والاحابش والسودان الى ان يتصل ذلك باقاصي أرض الزنج وأسافلها فيتصل الى بلاد سفالة من أرض الزنج ويتشعب من هذا البحر خليج آخر وهو بحر فارس وينتهي الى بلاد الابلة والحبشان وعبادان من أرض البصرة وعرضه في الاصل خمسمائة ميل وطول هذا الخليج ألف وأربعمائة ميل وربما يصير عرض طرفيه مائة وخمسين ميلا وهذا الخليج مثلث الشكل ينتهي أحد زواياه الى بلاد الابلة وعليه مما يلي المشرق ساحل فارس من بلاد دورق الفرس ومهربان ومدينة حسان واليها تضاف الثياب الحسانية ومدينة احمرة بيلاد سيراف ثم بلاد ابن عمارة ثم ساحل كرمان وينصل به على ساحله هذا بلاد مكران وهي أرض الخوارج الشراة وهذه كلها رمل نخل ثم ساحل السند وفيه مصب نهر مهران وهناك مدينة الديبل ثم يكون ما رامتصلا بساحل

وان سيجبور خاقان قصد بلاده وكان أعظم الترك واستمال الخزر والبجز والنجر فاطاعوه فاقبل فى عدد كثير وكتب الى كسرى يطلب منه الاتاوة ويتهدده ان لم يفعل فلم يجبه كسرى الى شئ مما طلب لتحصينه بلاده وان ثغرارمينية قد حصنه فصار يكتفى بالعدد اليسير فقصد خاقان بلاده فلم يقدر على شئ منها وعاد خائبا وهذا خاقان هو الذى قتل وزر ملك الهياطلة وأخذ كثيرا من بلادهم

﴿ذكر ملك كسرى بلاد الروم﴾

كان بين كسرى أنوشروان وبين غطيانوس ملك الروم هدنة فوقع بين رجل من العرب كان ملكه غطيانوس على عرب الشام يقال له خالد بن جبلة وبين رجل من لخم كان ملكه كسرى على عمان والبحرين واليمامة الى الطائف وسائر الحجاز يقال له المنذر بن النعمان فتنة فاغار خالد على ابن النعمان فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وغنم أمواله وكتب كسرى الى غطيانوس يذكره ما بينهما من العهد والصلح ويعلمه ما لقى المنذر من خالد وسأله ان يأمر خالدا برد ما غنم الى المنذر ويدفع له دية من قتل من اصحابه وينصفه من خالد وانه ان لم يفعل انتقض الصلح ووالى الكتب الى غطيانوس فى انصاف المنذر فلم يحفل به فاستعد كسرى وغزا بلاد غطيانوس فى بضعة وسبعين ألفا وكان طريقه على الجزيرة فاخذ مدينة دارا ومدينة الرها وعبر الى الشام فملك منبج وحلب وانطاكية وكانت أفضل مدائن الشام وقامية وحمص ومدنا كثيرة متاخمة لهذه المدائن عنوة واحتوى على ما فيها من الاموال والعروض وسبى أهل مدينة انطاكية ونقلهم الى أرض السواد وأمر فبنيت لهم مدينة الى جانب مدينة طيسفون على بناء مدينة انطاكية واسكنهم اياها وهى التى تسمى الروميه وكور لها حمسة طساسيج طسوج النهروان الاعلى وطسوج النهروان الاوسط وطسوج النهروان الاسفل وطسوج بادرايا وطسوج باكسايا وأجرى على السبى الذين نقلهم اليها من انطاكيه الارزاق وولى القيام بأمرهم رجلا من نصارى الاهواز ليستأنسوا به لموافقته فى الدين وأما سائر مدن الشام ومصر فان غطيانوس ابتاعها من كسرى بأموال عظيمة حملها اليه وضمن له فدية يحملها اليه كل سنة على ان لا يغزو بلاده فكانوا يحملونها كل عام وسار أنوشروان من الروم الى الخزر فقتل منهم وغنم وأخذ منهم بثار رعيته ثم قصد اليمن فقتل فيها وغنم وعاد الى المدائن وقد ملك ما دون هرقلة وما بينه وبين البحرين وعمان وملك النعمان بن المنذر على الحيرة وأكرمه وسار نحو الهياطلة ليأخذ بثار جده فيروز وكان أنوشروان قد صاهر خاقان قبل ذلك ودخل كسرى بلادهم فقتل ملكهم واستأصل أهل بيته وتجاوز بلخ وما وراء النهر وانزل جنوده فرغانة ثم عاد الى المدائن وغزا البرجان ثم رجع وأرسل جنده الى اليمن فقتلوا الحبشة وملكوا البلاد وكان ملكه ثمانيا وأربعين سنة وقيل سبعا وأربعين سنة وكان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر ملكه وقيل ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله لاربع وعشرين سنه مضت من ملك أنوشروان وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة اثنتين وأربعين من ملكه قال هشام بن الكلبى ملك العرب من قبل ملوك الحرس بعد الاسود بن المنذر أخوه المنذر بن المنذر ابن النعمان سبع سنين ثم ملك بعده النعمان بن الاسود أربع سنين ثم استخلف أبو يعفر بن علقمة ابن مالك بن عدى اللخمى ثلاث سنين ثم ملك المنذر بن امرئ القيس الكندى ولقب ذا القرنين لضفيرتين كانتا له وأمه ماء السماء وهى ماوية ابنة عمرو بن جشم بن النمر بن قاسط تسعا وأربعين سنة ثم ملك ابنه عمرو بن المنذر ست عشرة سنة قال ولثمانى سنين وثمانية أشهر من ولايته ولد النبى صلى الله عليه وسلم وذلك أيام أنوشروان عام الفيل فلما دانت لكسرى بلاد اليمن وجه الى

الهند الى بلاد بروص واليها يضاف القنا البروى برا متصلا الى أرض الصين ساحلا واحدا وقابل ماذكرنا من بدا ساحل كرمان والسند بلاد البحرين وجزائر قطن وسطى حريمة وبلاد عمان وأرض مهرة الى رأس الجمجمة الى أرض الشحر والاحقاف وفيه جزائر كثيرة مثل جزيرة حارك وهى بلاد حبابة لان حارك مصافة لى حبابة وبينها وبين البر فراسخ فيها مغاص اللؤلؤ المعروف بالحاركى وجزيرة ولى فيها بنو معن وابن مصمار وخلائق كثيرة من العرب بينها وبين مدر ساحل البحر نحو يوم بل أقل من ذلك وفى ذلك الساحل مدينة البرارة والعقل والقطيف من ساحل هجر ثم بعد جزيرة أوالى جزائر كثيرة منها جزيرة لافت وتدعى جزيرة بنى كلوان وقد كان افتتحها عمرو بن العاص وفيها مسجده الى هذه الغاية وفيها حلق من الناس وقصرى وعمارة متصلة وتقرب هذه الجزيرة الى جزيرة هيجان ومنها يستقى أرباب المراكب الماء ثم الجبال المعروفة بكسير وعوير وثالث ليس فيه طير ثم الدردور المعروف

سرنديب من بلاد الهند وهي أرض الجوهر قائدا من قواده في جند كثيف فقاتل ملكها فقتله واستولى عليها وحمل الى كسرى منها أموالا عظيمة وجواهر كثيرة ولم يكن ببلاد الفرس يومئذ آوى فحامت اليها من بلاد الترك في ملك كسرى أنوشروان فشق عليه ذلك وأحضر موبذان موبذ وقال له قد بلغنا تساقط هذه السباع الى بلادنا وقد تعاظمنا ذلك فاخبرنا برأيك فيها فقال سمعت فقهاءنا يقولون متى لم يعلب العدل الجور في البلاد دبل جار أهلها غزاهم أعداؤهم وأتاهم مايكرهون فلم يلبث كسرى ان أتاه ان فتيانا من الترك قد غزوا أقصى بلاده فأمر وزراءه وعماله ان لا يتعدوا فيما هم بسبيله العدل ولا يعملوا في شئ منها الا به ففعلوا ما أمرهم فصرف الله ذلك العدو عنهم من غير حرب

﴿ ذكر ما فعله أنوشروان بارمينية واذربيجان ﴾

كانت أرمينية واذربيجان بعضها للروم وبعضها للخزر فمشى قباذ سورا مما يلي بعض تلك الناحية فلما توفي وملك ابنه أنوشروان وقوى أمره وغزا فرغانة والبرجان وعاد بنى مدينة الشابران ومدينة مسقط ومدينة الباب والابواب وانما سميت أبوابا لانها بنيت على طريق في الجبل وأسكن المدن قوما سماهم السياسجين وبنى غير هذه المدن وبنى لكل باب قصراً من حجارة وبنى بارض جرزان مدينة سعد بيل وابرلها السفد وابناء فارس وبنى باب اللان وفتح جميع ما كان بايدي الروم من ارمينية وعمر مدينة اردبيل وعدة حصون وكتب الى ملك الترك يسأله الموادعة والاتفاق ويخطب اليه ابنته ورغب في صهره وتزوج كل واحد بابنة الآخر فلما كسرى فانه أرسل الى خاقان ملك الترك بنتا كانت قد تبنتها بعض نسائه وذكرأنها ابنته وأرسل ملك الترك ابنته واجتمعا وأمر أنوشروان جماعة من ثقاته ان يكبسوا طرفا من عسكر الترك ويحرقوا فيه ففعلوا فلما أصبحوا شكا له ملك الترك ذلك فانكر ان يكون له علم به ثم أمر بمثل ذلك بعد ليال فضج الترك فرفق به أنوشروان فاعتذر اليه ثم أمر أنوشروان ان تلقى النار في ناحية من عسكره فيها اكواخ من حشيش فلما أصبح شكا الى الترك وقال كافأتني بالتهمة فحلف الترك انه لم يعلم بشئ من ذلك فقال أنوشروان له ان جندنا قد كرهوا صلحنا لانقطاع العطاء والغارات ولا آمن ان يحدثوا حدثا يفسد قلوبنا فنعود الى العداوة والرأي ان تأذن لي في بناء سور يكون بيني وبينك يجعل عليه أبوابا فلا يدخل اليك الا من تريده ولا يدخل الينا الا من نريده فأجابه الى ذلك وبنى أنوشروان السور من البحر وألحقه برؤس الجبال وعمل عليه أبواب الحديد ووكل به من يحرسه فقيل لملك الترك انه خدعك وزوجك غير ابنته وتحصن منك فلم تقدر له على حيلة وملك أنوشروان ملوك ارتبهم على النواحي فمنهم صاحب السرير وفيلان شاه واللكز ومسقط وغيرها ولم تزل ارمينية بايدي الفرس حتى ظهر الاسلام فرفض كثير من السياسجين حصونهم ومدائنهم حتى خربت واستولى عليها الخزر والروم وجاء الاسلام وهي كذلك

﴿ ذكر أمر الفيل ﴾

لما دام ملك ابرهة باليمن وتمكن به بنى القليس بصنعاء وهي كنيسة لم ير مثلها في زمانها شئ من الارض ثم كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك كنيسة لم ير مثلها ولست بمنتهيه حتى اصرف اليها حاج العرب فلما تحدثت العرب بذلك غضب رجل من النساءة من بني فقيم فخرج حتى أتاها فقعد فيها وتغوط ثم لحق بأهله فأخبر بذلك ابرهة وقيل له انه فعل رجل من أهل البيت الذي تحجه العرب بمكة فغضب لما سمع انك تريد صرف الحاج عنه ففعل هذا فغضب ابرهة وحلف ليسيرن الى

بدردور مسدم وتكنيه البحريون بابي جهره وهذه مواضع من البحر وجبال سود داهية في الهواء لا تنبت عليها ولا حيوان تحيط بها مياه من البحر عظيمة قعرة وأمواج متلاطمة تجرع منها النفوس اذا أشرفت عليها وهذه المواضع من بلاد عمان وسيراف لا بد للراكب من الجوار عليها والدول في وسطها تخطئ وتصيب وهذا البحر وهو خليج فارس ويعرف بالبحر الفارسي عليه ماوصفنا من البحرين وفارس والبصرة وعمان الى رأس الجمجمة وما بين هذا الخليج وخليج القلزم ايلة والحجاز واليمن ويكون بين الخليجين من المسافة الف وخمسمائة ميل وهي داخلة من البر في البحر والبحر يطيف بها من أكثر جهاتها على ماوصفنا وهذا بحر الصين والهند وفارس وعمان والبصرة والبحرين واليمن والحجاز والقلزم والزنج والسند ومن في جزائره ومن قد أحاط به من الامم الكثيرة التي لا يعلم وصفهم ولا عددهم الا من خلقهم سبحانه وتعالى ولكل قطعة منه اسم يفردها من غيرها والماء واحد متصل غير منفصل وفي هذا البحر مغاصات

البيت فيهدمه وأمر الحبشة فتجهزت وخرج معه بالفيل واسمه محمود وقيل كان معه ثلاثة عشر فيلا وهي تسع محمودا وانما وحد الله سبحانه الفيل لانه عنى كبيرها محمودا وقيل في عددهم غير ذلك فلما سار سمعت العرب به فاعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج عليه رجل من أشراف اليمن يقال له ذونفر وقاتله فهزم ذونفر وأخذ أسيرا وأراد قتله ثم تركه محبوسا عنده ثم مضى على وجهه فخرج عليه نفيل بن حبيب الخثعمي فقاتله فانهزم نفيل وأخذ أسيرا فضمن لابرهة ان يدله على الطريق فتركه وسار حتى اذا مر على الطائف بعثت معه ثقيف أبا رغال يدله على الطريق حتى انزله بالمغمس فلما نزله مات أبو رغال فرجمت العرب قبره فهو القبر الذي يرجم وبعث ابرهة الاسود بن مقصود الى مكة فساق أموال أهلها وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ثم أرسل ابرهة حناطة الحميري الى مكة فقال سل عن سيد قريش وقل له اني لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا عنه فلا حاجة لي بقتالكم فلما بلغ عبد المطلب ما أمره قال له والله ما نريد حربه هذا بيت الله وبيت خليله ابراهيم فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا من دفع فقال له انطلق معي الى الملك فانطلق معه عبد المطلب حتى أتى العسكر فسأله عن ذي نفر وكان له صديقا فدل عليه وهو في محبسه فقال له هل عندك غناء فيما نزل بنا فقال وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله ولكن أنيس سائس الفيل صديق لي فأوصيه بك وأعظم حقك وأسأله ان يستأذن لك على الملك فيكلمه بما تريد ويشفع لك عنده ان قدر قال حسبي فبعث ذونفر الى أنيس فحضره وأوصاه بعبد المطلب وأعلمه انه سيد قريش فكلم أنيس ابرهة وقال هذا سيد قريش يستأذن فأذن له وكان عبد المطلب رجلا عظيما جليلا وسيما فلما رآه ابرهة أجله وأكرمه ونزل عن سريره اليه وجلس معه على بساط وأجلسه الى جنبه وقال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له الترجمان ذلك فقال عبد المطلب حاجتي ان يرد علي مائتي بعير أصابها لي فقال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتني حين رأيتك ثم زهدت فيك حين كلمتني أتكلمني في ابل وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه قال عبد المطلب أنا رب الابل وللبيت رب يمنعه قال ما كان ليمنع مني وأمر برد ابله فلما أخذها قلدها وجعلها هديا وبثها في الحرم لكي يصاب منها شيء فيغضب الله وانصرف عبد المطلب الى قريش وأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج معه من مكة والتحرز في رؤس الجبال خوفا من معرة الجيش ثم قام عبد المطلب فاخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على ابرهة فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة

يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا * امنعهم ان يخربوا فناكا

وقال أيضا

لاهم ان العبد يمنع رحله * فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك
ولئن فعلت فانه * أمر تتم به فعالك
أنت الذي ان جاءنا * ع ترتجيك له فذالك
ولواولم يحووا سوى * خزي وتم لكهم هنالك
لم أستمع يوما بار * جس منهم يبغوا قتالك
جرّوا جموع بلادهم * والفيل كي يسبوا عيالك

الدر والياقوت وفيه العقيق والبادبيج وهو نوع من الجادي وأنواع الياقوت والماس والسنباذج وفيه معادن ذهب وفضة نحو بلاد كلة وسريرة وحوله معادن حديد مما يلي بلاد كرمان ونحاس بأرض عمار وفيه أنواع الطيب والافاويه والعنبر والساج والخشب المعروف بالرداسجي والقنا والحيران وسنذكر بعد هذا الموضع تفصيل مواضع فيه أدركناها وكل ما ذكرنا من الجواهر والطيب والنبات ففيه وحوله وسائر ما ذكرنا من هذا البحر يدعى بالبحر الحبشي ورياح ما وصفنا من قطعه التي تدعى كل واحدة منها بحرا كقولنا بحر فارس وبحر اليمن وبحر القلزم وبحر الحبش وبحر الزنج وبحر النيل وبحر الهند وبحر كلة وبحر الرانج وبحر الصين فمختلفة فمنها ما ريحه من قعر البحر يظهر فيقله ويعظم موجه كالقدر تفور مما يلفحها من مواد حرارة النار ومنها ما ريحه والية فيه من قعره ولنسيم ومنها ما يكون مهبه من النسيم دون ما يظهر من قعره وما وصفناه مما يظهر من قعره من الرياح تنفسات من الارض تظهر الى قعره

عمدوا حاك بكيدهم * جهلا ومارقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعـ ـبتنا فأمر مابدا لك

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هو ومن معه من قريش الى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون مايفعل ابرهة بمكة اذا دخل فلما أصبح ابرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وكان اسمه محمودا وابرهة يجمع لهدم البيت والعود الى اليمن فلما وجهوا الفيل أقبل نفيل بن حبيب الخثعمي فسك باذنه وقال ارجع محمود ارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فالق الفيل نفسه الى الارض واشتد نفيل فصعد الجبل فضربوا الفيل فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فسقط الى الارض وأرسل الله عليهم طيرا أبابيل من البحر امثال الخطاطيف مع كل طير منها ثلاثة أحجار تحملها حجر فى منقاره وحجران فى رجليه فقذفتهم بها وهى مثل الحمص والعدس لاتصيب أحدا منهم الا هلك وليس كلهم أصابت وأرسل الله سيلا القاهم فى البحر وخرج من سلم مع ابرهة هاربا يبتدرون الطريق الذى جاؤا منه ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته

اين المفر والاله الطالب * والاشرم المغلوب غير الغالب

وقال أيضا

ألا حييت عنا يارديـنا * نعـمنا كم مع الاصباح عينا
أتاناقابس منكم عشاء * فلم يقـدر لقابسكم لدينا
رديـنة لورأيت ولا تريه * لدى جنب المحصب مارأينا
اذا لعذرتنى وحمدت رأيى * ولم تأسى لما قـد فات بينا
حمدت الله اذ عاينت طيرا * وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل * كأن على للحبشان دينا

فخرجوا يتساقطون بكل منهل وأصيب ابرهة فى جسده فسقطت أعضاؤه عضوا عضوا حتى قدموا به صنعاء وهو مثل الفرخ فمات حتى انصدع صدره عن قلبه فلما هلك ملك ابنه يكسوم بن ابرهة وبه كان يكنى وذلت حمير واليمن له ونكحت الحبشة نساءهم وقتلوا رجالهم واتخذوا أبناءهم تراجمة بينهم وبين العرب ولما أهلك الله الحبشة وعاد ملكهم ومعه من سلم منهم ونزل عبد المطلب من الغد اليهم ينظر مايصنعون ومعه أبو مسعود الثقفى لم يسمعا حسا فدخل معسكرهم فرأيا القوم هلكى فاحتفر عبد المطلب حفرتين ملأهما ذهبا وجوهرا له ولابى مسعود ونادى فى الناس فتراجعوا فاصابوا من فضلهما شيأ كثيرا فبقى عبد المطلب فى غنى من ذلك المال حتى مات وبعث الله السيل فالقى الحبشة فى البحر وقال كثير من أهل السير ان الحصبة والجدرى أول مارؤيا فى العرب بعد الفيل وكذلك قالوا ان العشر والحرمل والشيح لم تعرف بارض العرب الا بعد الفيل وهذا مما لاينبغى ان يعرج عليه فان هذه الاعراض والاشجار قبل الفيل مذ خلق الله العالم ولما رد الله الحبشة عن الكعبة وأصابهم ما أصابهم عظمت العرب قريشا وقالوا أهل الله قاتل عنهم ثم مات يكسوم وملك بعده أخوه مسروق

﴿ ذكر عود اليمن الى حمير واخراج الحبشة عنه ﴾

لما هلك يكسوم ملك اليمن أخوه مسروق بن ابرهة وهو الذى قتله وهرز فلما اشتد البلاء على

تظهر فى سخطه والله عز وجل أعلم بكيفية ذلك ولكل من ركب هذه البحار من الناس ارياح يعرفونها فى أوقات تكون فيها مهابها قد علم ذلك بالعادات وطول التجارب يتوارثون علم ذلك قولا وعملا ودلائل وعلامات يعلمون بها ابان هيجانه وأحوال ركوبه وثورانه والروم والمسافرون فى البحر الرومى سبيلهم كذلك وكذلك من يركب بحر الخزر الى بلاد جرجان وطبرستان والديلم وسنأتى بعد هذا الموضع على جمل وفصول من علم معرفة هذه البحار وعجائب أوصافها وأخبارها ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر تنازع الناس فى المد والجزر وجوامع مما قيل فى ذلك ﴾

والمد مضى الماء فى هيجانه وسيحانه وسنن جريته والجزر رجوع الماء على ضد سنن مضيه وانكشاف مامضى عليه فى هيجانه وذلك كبحر الحبش الذى هو الصينى والهندى وبحر البصرة وفارس المتقدم ذكره قبل هذا الباب وذلك ان البحار على ثلاثة أنواع منها مايتأتى فيه الجزر والمد ويظهر ظهورا بينا ومنها مالا ينبين فيه الجزر والمد ويكون مستفيضا ومنها ما

اهل اليمن خرج سيف بن ذي يزن وكنيته أبو مرة وقيل كنية ذي يزن أبو مرة حتى قدم في قيصر وتشكى كسرى لابطائه عن نصرة أبيه فانه كان قصد كسرى أنوشروان لما أخذت زوجته يستنصره على الحبشة فوعده فأقام ذو يزن عنده فمات على بابه وكان ابنه سيف مع أمه في سجن ابرهة وهو يحسب انه ابنه فسبه ولد لابرهة وسب أباه فسأل أمه عن أبيه فاعلمته خبره بعد مراجعة بينهما فاقام حتى مات ابرهة وابنه يكسوم ثم سار الى الروم فلم يجد عند ملكهم ما يحب لما وافقته الحبشة في الدين فعاد الى كسرى فانصره يوما وقد ركب فقال له ان لي عندك ميراثا فدعا به كسرى لما نزل فقال له من أنت وما ميراثك قال أنا ابن الشيخ اليمني الذي وعدته النصرة فمات ببابك فتلك العدة حق لي وميراث فرق كسرى له وقال له بعدت بلادك عنا وقل خيرها والمسالك اليها وعر ولست اغرر بجيشي وأمر له بمال فخرج وجعل يفرق الدراهم فانتهبها الناس فسمع كسرى فسأله منحه له على ذلك فقال لم آتك للمال وانما جئتك للرجال ولتمنعني من لذل والهوان وان جبال بلادنا ذهب وفضة فاعجب كسرى بقوله وقال يظن المسكين انه أعرف ببلاده مني واستشار وزراءه في توجيه الجند معه فقال له موبذان موبذ أيها الملك ان لهذا الغلام حقا بنزوعه الى ملك وموت أبيه ببابك وما تقدم من عدته بالنصرة وفي سجونك رجال ذو ونجدة وبأس فلو ان الملك وجههم معه فان أصابوا ظفرا كان للملك وان هلكوا فقد استراح وأراح أهل مملكته منهم فقال كسرى هذا الرأي فامر بمن في السجون فأحضروا فكانوا ثمانمائة فسرد عليهم قائد امر أساورته يقال له وهرز وقيل بل كان من أهل السجون سخط عليه كسرى لحدث أحدثه فحبسه وكان يقيد بألف أسوار وأمر بحملهم في ثمان سفن فركبوا البحر فغرق سفينتان وخرجوا بساحل حضرموت ولحق بابن ذي يزن بشر كثير وصار اليهم مسروق في مائة ألف من الحبشة وحمير والاعراب وجعل وهرز البحر وراء ظهره وأحرق السفن لئلا يطمع أصحابه في النجاة وأحرق كل ما معهم من زاد وكسوة الا ما أكلوا وما على أبدانهم وقال لاصحابه انما أحرقت ذلك لئلا يأخذه الحبشة ان ظفروا بكم وان نحن ظفرنا بهم فسنأخذ اضعافه فان كنتم تقاتلون معي وتصبرون أعلمتموني ذلك وان كنتم لا تفعلون اعتمدت على سيفي حتى يخرج من ظهري فانظروا ما أمامكم اداوعدو رئيسكم هذا بنفسه قالوا بل نقاتل معك حتى نموت أو نظفر وقال لسيف بن ذي يزن ما عندك قال ما شئت من رجل عربي وسيف عربي ثم اجعل رجلي مع رجلك حتى نموت جميعا أو نظفر جميعا قال أنصفت فجمع اليه سيف من استطاع من قومه فكان أول من لحقه السكاسك من كنده وسمع بهم مسروق بن ابرهة فجمع اليه جنده معي وهرز أصحابه وأمرهم أن يوتروا قسيهم وقال اذا أمرتكم بالرمي فارموا رشقا واحدا فرموا رشقا واقبل مسروق في جمع لا يرى طرفاه وهو على فيل وعلى رأسه تاج وبين عينيه ياقوته حمراء مثل البيضة لا يرى دون الظفر شيأ وكان وهرز كل بصره فقال أروني عظيمهم فقالوا هذا صاحب الفيل ثم ركب فرسا فقالوا راكب فرسا ثم انتقل الى بغلة فقالوا راكب بغلة فقال وهرز ذل ملكه وقال وهرز ارموا حاجبي وكانا قد سقطا على عينيه من الكبر فرموهما بعصابة ثم جعل نشابة في كبد قوسه وقال أشيروا الى مسروق فاشاروا اليه فقال لهم سارميه فان رأيتم أصحابه وقوفا لم يتحركوا فانتبوا حتى أوذنكم فاني قد اخطأت الرجل وان رأيتموهم قد استداروا ولاذوا به فقد أصبته فاحملوا عليهم ثم رماه فاصاب السهم بين عينيه ورمى أصحابه فقتل مسروق وجماعة من أصحابه فاستدارت الحبشة بمسروق وقد سقط عن دابته وحملت الفرس عليهم فلم يكن دون الهزيمة شئ وغنم الفرس من عسكرهم ما لا يحد ولا يحصى وقال وهرز كفوا عن

لا يجزر ولا يمد كالبحار التي لا يكون فيها الجزر والمد امتنع منها الجزر والمد لعلل ثلاث وهي على ثلاثة أصناف فاولها ما يقف الماء فيه زمانا فيغلظ وتقوى ملوحته وتكيف فيه الارياح لانه ربما صار الماء الى بعض المواضع من بعض فيصير كالبحيرة وينقص في الصيف ويزيد في الشتاء ويتبين فيه زيادة ما ينصب فيه من الانهار والعيون والصنف الثاني الذي يبعد عن مدار القمر ومسافاته بعدا كثيرا فيمتنع منه المد والجزر والصنف الثالث المياه التي يكون الغالب على أرضها التحلل لانه اذا كانت أرضها متحللة بعد الماء منها الى غيرها من البحار وتحلل وانشبت الرياح الكائنة في أرضها أولا وغلبت الرياح عليها وأكثر ما يكون هذا في ساحل البحار والجزائر وقد تنازع الناس في علة المد والجزر فمنهم من ذهب الى ان ذلك من القمر لانه مجالس للماء وهو يسخنه فينبسط وشبهوا ذلك بالنار اذا أصخت ما في القدر وأغلته وأن الماء يكون فيها على قدر النصف أو الثلثين وكلما انبسط في القدر ارتفع وتدافع حتى يفور فيتضاعف عن كميته

العرب واقتلوا السودان ولا تتقوا منهم أحدا وهرب رجل من الاعراب يوما وليلة ثم التفت فرأى في جحفته نشابة فقال لا ملك الويل أبعد طول مسير وسار وهرز حتى دخل صنعاء وغلب على بلاد اليمن وأرسل عماله في المخاليف وكان مدة ملك الحبشة اليمن اثنتين وسبعين سنة توارث ذلك منهم أربعة ملوك ارياط ثم أبرهة ثم ابنه يكسوم ثم مسروق بن ابرهة وقيل كان ملكهم نحو اثنتين وثلاثين سنة وقيل غير ذلك والاول أصح فلما ملك وهرز اليمن أرسل الى كسرى يعلمه بذلك و بعث اليه بأموال وكتب اليه كسرى يأمره ان يملك سيف بن ذي يزن و بعضهم يقول معديكرب بن سيف بن ذي يزن على اليمن و أرسلها وفرض عليه كسرى جزية وخراجا معلوما في كل عام فملكه وهرز وانصرف الى كسرى وأقام سيف على اليمن ملكا يقتل الحبشة و يبقر بطون الحبالى عن الحمل ولم يترك منهم الا القليل جعلهم خولا فاتخذ منهم حمازين يسعون بين يديه بالحراب فمكث غير كثير ثم انه خرج يوما والحبشة يسعون بين يديه بحرابهم فضربوه بالحراب حتى قتلوه فكان ملكه خمس عشرة سنة ووثب بهم رجل من الحبشة فقتل باليمن وأفسد فلما بلغ ذلك كسرى بعث اليهم وهرز في أربعة آلاف فارس وأمره ان لا يترك باليمن اسود ولا ولد عربية من اسود ومن شرك فيه اسود فقتله وأقبل حتى دخل اليمن ففعل ما أمره وكتب الى كسرى يخبره وأقره على ملك اليمن فكان يحبيها لكسرى حتى هلك وأمر بعده كسرى ابنه المرزبان بن وهرز حتى هلك ثم أمر بعده كسرى التينجان بن المرزبان ثم أمر بعده حرجزة بن التينجان بن المرزبان ثم ان كسرى ابرويز غضب عليه وأحضره من اليمن فلما قدم تلقاه رجل من عظماء الفرس فألقى عليه سيفا كان لابي كسرى وأجاره كسرى بذلك من القتل وعزله عن اليمن و بعث باذان الى اليمن فلم يزل عليها حتى بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل ان انوشروان استعمل بعد وهرز زرين وكان مسرقادا أراد ان يركب قتل قتيلا ثم سار بين أوصاله فمات انوشروان وهو على اليمن فعزله ابنه هرمز وقد اختلفوا في ولاة اليمن للملك كاسرة اختلافا كثيرا لم أر لذكره فائدة

﴿ ذكر ما أحدثه قريش بعد الفيل ﴾

لما كان من أمر أصحاب الفيل ماذكرناه عظمت قريش عند العرب فقالوا لهم أهل الله وقطنه يحامي عنهم فاجتمعت قريش بينها وقالوا نحن بنو ابراهيم عليه السلام وأهل الحرم وولاة البيت وقاطنو مكة فليس لاحد من العرب مثل منزلتنا ولا يعرف العرب لاحد مثل ما يعرف لنا فهلموا فنتفق على ائتلاف اننا لا نعظم شيأ من الحل كما يعظم الحرم فانا اذا فعلنا ذلك استخفت العرب بنا و بحرمنا وقالوا قد عظمت قريش من الحل مثل ما عظمت من الحرم فتركوا الوقوف بعرفة والافاضة منها وهم يعرفون و يقرون انها من المشاعر والحج ودين ابراهيم و يرى سائر العرب ان يقفوا عليها واوان يفيضوا منها وقالوا نحن أهل الحرم فلا نعظم غيره ونحن الحمس وأصل الحماسة الشدة انهم تشددوا في دينهم وجعلوا لمن ولد واحدة من نسائهم من العرب ساكني الحل مثل ما لهم بولادتهم ودخل معهم في ذلك كنانة وخزاعة وعامر لولادة لهم ثم ابتدعوا فقالوا لا ينبغي للحمس ان يعملوا الاقط ولا يسلؤا السمن وهم حرم ولا يدخلوا بيتا من شعر ولا يستظلوا الا في بيوت الادم ما كانوا حرما وقالوا ولا ينبغي لاهل الحل ان يأكلوا من طعام جاؤا به معهم من الحل في الحرم اذا جاؤا حجاجا أو عمارا ولا يطوفوا بالبيت طوافهم اذا قدموا الا في ثياب الحمس فان لم يجدوا طافوا بالبيت عراة فان أنف أحد من عظمائهم ان يطوف عريانا اذا لم يجد ثياب الحمس فطاف في ثيابه ألقاها اذا فرغ من الطواف ولا يمسها هو ولا أحد غيره وكانوا يسمونها اللقى فدانت

في الحس وينقص في الوزن لان من شرط الحرارة ان تبسط الاجسام ومن شرط البرودة أن تضمها وذلك ان قعور البحار تحمى فيتولد في أرضها عذوبة وتستحيل وتحمى كما في البلالیع والآبار فاذا حمى ذلك الماء انبسط وزاد واذا زاد ارتفع فدفع كل جزء منه قطعا على سطحه وبان عن قعره فاحتاج الى أكثر من هديه وان القمر اذا امتلأ حمى الجو حميا شديدا فظهرت زيادة الماء فحمى ذلك المد الشهري وان هذا البحر تحت معدل النهار آخذا من جهة المشرق الى المغرب ودور الكواكب المنير عليه مع الشامية من الكواكب السامية اذا كانت المحيرة في القدر مثل الميل على تجاوزه واذا زالت عنه كانت منه قريبة فاعلم فيه من أوله الى آخره في كل يوم وليلة وهي مع ذلك في الموضع المقابل الحمى فقليل ما يعرض فيه من الزيادة و يكون في النهر الذي يعرف فيه المد من أطرافه وما يصب اليه من سائر المياه وقالت طائفة أخرى لو كان الجزر والمد بمنزلة النار اذا أسخنت الماء الذي في القدر و بسطته فيطلب أوسع منها فيغيض حتى اذا خلا قعره من الماء

العرب لهم بذلك فكانوا يطوفون كما شرعوا لهم ويتركون أزوادهم التي جاؤا بها من الحل ويشترون من طعام الحرم ويأكلونه هذا في الرجال وأما النساء فكانت المرأة تضع ثيابها كلها الا درعها ومفرجا ثم تطوف فيه وتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله

فكانوا كذلك حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فنسخه فافاض من عرفات وطاف الحجاج بالثياب التي معهم من الحل وأكلوا من طعام الحل في الحرم أيام الحج وأنزل الله تعالى في ذلك ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم أراد بالناس العرب أمر قريشا ان يفيضوا من عرفات وأنزل الله تعالى في اللباس والطعام الذي من الحل وتركهم اياه في الحرم يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا الى قوله لقوم يعلمون

﴿ ذكر حلف المطيبين والاحلاف ﴾

قد ذكرنا ما كان قصي أعطى ولده عبد الدار من الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء ثم ان هاشما وعبد شمس والمطلب ونوفلا بني عبد مناف بن قصي رأوا انهم أحق بذلك من بني عبد الدار اشرفهم عليه ولفضلهم في قومهم وأرادوا أخذ ذلك منهم فتفرقت عند ذلك قريش كانت طائفة مع بني عبد مناف وطائفة مع بني عبد الدار يرون انه لا يجوز ان يأخذ منهم ما كان قصي جعله لهم اذ كان أمر قصي فيهم شرعا متبعا معرفة منهم لفضله وتيمنا بامره وكان صاحب أمر بني عبد مناف بن قصي عبد شمس لانه كان أكبرهم وكان صاحب بني عبد الدار الذي قام في المنع عنهم عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار فاجتمع بنو أسد بن عبد العزى بن قصي وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة وبنو الحرث بن فهر بن مالك بن النضر مع بني عبد مناف واجتمع بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي بن كعب مع بني عبد الدار وخرجت عامر بن لؤي ومحارب بن فهر من ذلك فلم يكونوا مع أحد الفريقين وعقد كل طائفة بينهم حلفا مؤكدا على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا ما بل بحر صوفة فاخرجت بنو عبد مناف بن قصي جفنة مملوءة طيبا قيل ان بعض نساء بني عبد مناف أخرجتها لهم فوضعوها في المسجد وغمسوا أيديهم فيها وتعاهدوا وتعاقدوا ومسحوا الكعبة بايديهم توكيدا على أنفسهم فسموا بذلك المطيبين وتعاقد بنو عبد الدار ومن معهم من القبائل عند الكعبة على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا فسموا الاحلاف ثم تصافوا للقتال وأجمعوا على الحرب فبينما هم على ذلك اذ تداعوا للصلح على ان يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة وان تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار فاصطلحوا ورضي كل واحد من الفريقين بذلك وتحاجزوا عن الحرب ووثبت كل قوم مع من حالفوا حتى جاء الاسلام وهم على ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان من حلف في الجاهلية فان الاسلام لم يزده الا شدة ولا حلف في الاسلام فولي السقاية والرفادة هاشم بن عبد مناف لان عبد شمس كان كثير الاسفار قليل المال كثير العيال وكان هاشم موسرا جوادا وكان ينبغي ان نذكر هذا قبل الفيل وما أحدثه قريش وانما أخرناه للزوم تلك الحوادث بعضها ببعض

﴿ ذكر ما فعله كسرى في أمر الخراج والجند ﴾

كان ملوك الفرس يأخذون من غلات كورهم قبل ملك كسرى انوشروان في خراجها من بعضها الثلث ومن بعضها الربع وكذلك الخمس والسدس على قدر شربها وعمارتها ومن الجزية شيأ معلوما فامر الملك قباذ بمسح الارضين ليصح الخراج عليها فمات قبل الفراغ من ذلك فلما ملك

انوشروان

طلب الماء بعد خروجه منها عمق الارض لطفيه فيرجع اضطرارا بمنزلة رجوع ما يغلي من الماء في المرجل والقمقم اذا فاض وتتابعت أجزاء النار عليه بالحمى لكان في الشمس أشد سخونة ولو كانت الشمس علة مده لكان يمد مع بدء طلوع الشمس ويجزر مع غيبتها فرعم هؤلاء ان علة الجزر والمد في الابحر تتولد من الابخرة التي تتولد من بطن الارض فانها لا تزال تتولد حتى تكثف وتكثر فتدفع حينئذ ماء هذا البحر لكثافتها فلا تزال كذلك حتى تنقص مواد هامن أسفل فاذا انقطعت مواد ها تراجع الماء حينئذ الى قعر البحر وكان الجزر من أجل ذلك والمد ليلا ونهارا وشتاء وصيفا وفي غيبة القمر وفي طلوعه وكذلك في غيبة الشمس وطلوعها قالوا وهذا يدرك بالحس لانه ليس يستكمل الجزر آخره حتى يبدو أول المد ولا ينقضي آخر المد حتى يبتدئ أول الجزر ولانه لا يتغير توالد تلك البخارات حتى اذا خرجت تولد غيرها مكانها وذلك ان البحر اذا غارت مياهه ورجعت الى قعره تولدت تلك الابخرة لمكان ما يتصل منها من الارض بمائه وكلما غارت تولدت وكلما فاض

انوشروان أمر باستتمام ذلك ووضع الخراج على الحنطة والشعير والكرم والرطب والنخل والزيتون والارز على كل نوع من هذه الانواع شيأ معلوما ويؤخذ فى السنة فى ثلاث أنجم وهى الوضائع التى اقتدى بها عمر بن الخطاب وكتب كسرى الى القضاة فى البلاد نسخة بالخراج ليمتنع العمال من الزيادة عليه وأمر ان يوضع عمن أصابت غلته بآفة بقدر جائحته وألزموا الناس الحزبة ماخلا العظماء وأهل البيوتات والجند والهرابذة والكتاب ومن فى خدمة الملك كل انسان على قدره اثنى عشر درهما وثمانية دراهم وستة دراهم وأربعة دراهم وأسقطها عمر عمن لم يبلغ عشرين سنة أو جاوز خمسين سنة ثم ان كسرى ولى رجلا من الكتاب من الكتاكة والبلاه اسمه بابك عرض جيشه فطالب من كسرى التمكن من شغله الى ذلك فتقدم ببناء مصطبة موضع عرض الجيش وفرشها ثم نادى ان يحضر الجند بسلاحهم وكراعهم للعرض فحضر والحيث لم يرمعهم كسرى أمرهم بالانصراف فعل ذلك يومين ثم أمرهم ودى فى اليوم الثالث أن لا يتخلف احد ولا من أكرم بتاج فسمع كسرى فحضر وفد لبس التاج والسلاح ثم أتى بابك ليعرض عليه فرأى سلاحه تاما ما عدا وترين للقوس كان عادتهم ان يستظهروا بهما فلم يرهما بابك معه فلم يجرعلى اسمه وقال له هلم كلما لزمك فذكر كسرى الوترين فتعلقهما ثم نادى منادى بابك وقال للكمى السيد سيد الكماة أربعة آلاف درهم وأجازه على اسمه فلما قام عن مجلسه حضر عند كسرى يعتذر اليه من غلظته عليه وذكر له ان أمره لا يتم الا بما فعل فقال كسرى ما غلظ علينا أمر يريد به اصلاح دولتنا ومن كلام كسرى الشكر والنعمة عدلان ككفتى الميزان أيهما مارج صاحبه احتاج الاخف الى ان يزاد فيه حتى يعادل صاحبه فاذا كانت النعم كثيرة والشكر قليلا انقطع الحمد فكثير النعم يحتاج الى كثير من الشكر وكلما زيد فى الشكر ازدادت النعم وجاوزته ونظرت فى الشكر فوجدت بعضه بالقول وبعضه بالعمل ونظرت أحب الاعمال الى الله فوجدته الشئ الذى أقام به السموات والارض وأرسى به الجبال وأجرى به الانهار وبرأ به البرية وهو الحق والعدل فلزمته ورأيت ثمرة الحق والعدل عمارة البلدان التى بها قوام الحياة للناس والدواب والطير وجميع الحيوانات ولما نظرت فى ذلك وجدت المقاتلة اجراء لاهل العمارة وأهل العمارة اجراء للمقاتلة فاما المقاتلة فانهم يطلبون أجورهم من أهل الخراج وسكان البلدان لمدافعتهم عنهم ومجاهدتهم من ورائهم فحق على أهل العمارة أن يوفوهم أجورهم فان العمارة والامن والسلامة فى النفس والمال لا يتم الا بهم ورأيت ان المقاتلة لا يتم لهم المقام والاكل والشرب وتثمير الاموال والاولاد الا بأهل الخراج والعمارة فأخذت للمقاتلة من أهل الخراج ما يقوم بأودهم وتركت على أهل الخراج من مستغلاتهم ما يقوم بمؤنتهم وعمارتهم ولم أجحف بواحدة من الجانبين ورأيت المقاتلة وأهل الخراج كالعينين المبصرتين واليدين المتساعدتين والرجلين على أيهما دخل الضرر تعدى الى الاخرى ونظرنا فى سير آبائنا فلم نترك منها شيأ يقترن بالثواب من الله والذكر الجميل بين الناس والصلحة الشاملة للجند والرعية الا اعتمدناه ولا فسادا الا أعرضنا عنه ولم يدعنا الى حب ما لا خير فيه حب الآباء ونظرت فى سير أهل الهند والروم وأخذنا محمودها ولم تنازعنا أنفسنا الى ما تميل اليه أهواؤنا وكتبنا بذلك الى جميع أصحابنا وتوابنا فى سائر البلدان فانظر الى هذا الكلام الذى يدل على زيادة العلم وتوفر العقل والقدرة على منع النفس ومن كان هذا حاله استحق ان يضرب به المثل فى العدل الى ان تقوم الساعة وكان لكسرى أولاد متأدبون بجعل الملك من بعده لابنه هرمز وكان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل وذلك لمضى

نقصت وذهب آخرون من أهل الديانات ان كل ما لم يعرف له من الطبيعة مجرى ولا يوجد له فيه اقياس فهو معلل الاله يدل على توحيد الله عز وجل وحكمته فليس للمد والجزر علة فى الطبيعة البتة ولا قياس وقال آخرون ما هيجان البحر الا كهيجان بعض الطبائع فانك ترى صاحب الدم وصاحب الصفراء وغيرهما يهتاج الى طبيعته ثم يسكن قليلا حتى يعود وذهبت طائفة أخرى الى ابطال سائر ما وصفنا من القول وزعموا ان الهواء المطل على البحر يستحيل دائما فاذا استحال عظم ماء البحر وفاض عند ذلك واذا فاض البحر فهو المد فعند ذلك يستحيل ماؤه وينتفس فيستحيل هواء فيعود الى ما كان عليه وهو الجزر وهو دائم متراد فمتعاقب لان الماء يستحيل هواء والهواء يستحيل ماء قالوا وقد يجوز ان يكون ذلك عند امتلاء القمر أكثر لان القمر اذا امتلأ استحال الهواء أكثر مما كان يستحيل وانما القمر علة لكثرة المد لا للمد نفسه لانه قد يكون فى محاقه والمد والجزر فى بحر فارس يكونان على مطالع الفجر والاغلب من الاوقات

اثنتين وأربعين سنة من ملكه وفى هذا العام كان يوم ذى جبلة وهو يوم من أيام العرب المذكورة

﴿ ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

قال قيس بن مخرمة وقثام بن اشيم وابن عباس وابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل قال ابن الكلبى ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم لاربع وعشرين سنة مضت من سلطان كسرى أنوشروان وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة اثنتين وأربعين من سلطانه وأرسله الله تعالى لمضى اثنتين وعشرين من ملك كسرى ابرويز بن كسرى هرمز ابن كسرى أنوشروان وهاجر لاثنتين وثلاثين سنة مضت من ملك ابرويز قال ابن اسحق ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الاول وكان مولده بالدار التى تعرف بدار ابن يوسف قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبها عقيل بن أبى طالب فلم تزل فى يده حتى توفى فباعها ولده من محمد بن يوسف أخى الحجاج فبنى داره التى يقال لها دار ابن يوسف وادخل ذلك البيت فى الدار حتى أخرجته الخيزران فجعلته مسجدا يصلى فيه وقيل ولد لعشر خلون منه وقيل لليلتين خلتا منه * قال ابن اسحق ان آمنة ابنة وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تحدث انها أتيت فى منامها لما حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع بالارض قولى أعيذه بالواحد * من شر كل حاسد ثم سميه محمدا ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام فلما وضعته أرسلت الى جده عبد المطلب انه قد ولد لك غلام فأته فانظر اليه فنظر اليه وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت أن تسميه * وقال عثمان بن أبى العاص حدثتنى أمى انها شهدت ولادة آمنة ابنة وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما شئ أنظر اليه من البيت الا نور وانى لانظر النجوم لتدنو حتى انى لاقول لتقعن على * وأول من أرضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثويبة مولاة أبى لهب بلبن ابن له يقال له مسروح وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الاسد المخزومى فكانت ثويبة تأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل ان يهاجر فيكرمها وتكرمها خديجة وأرسلت الى أبى لهب ان يبيعها اياها لتعتقها فأبى فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أعتقها أبو لهب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث اليها بالصلة الى ان بلغه خبر وفاتها منصرفه من خيبر فسأل عن ابنها مسروح فقيل توفى قبلها فسأل هل لها من قرابة فقيل لم يبق لها أحد ثم أرضعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ثويبة حليمة بنت أبى ذؤيب واسمه عبد الله بن الحرث بن شجنة من بنى سعد بن بكر بن هوازن واسم زوجها الذى أرضعته بلبنه الحرث بن عبد العزى واسم اخوته من الرضاعة عبد الله وأنيسة وجذامة وهى الشيماء عرفت بذلك وكانت الشيماء تحضنه مع أمها حليمة وقدمت حليمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن تزوج خديجة فاكرمها ووصلها وتوفيت قبل فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فلما فتح مكة قدمت عليه أخت لها فسألها عنها فاخبرته بموتها فذرفت عيناه فسألها عمن خلفت فاخبرته فسألته نحلة وحاجة فوصلها وقال عبد الله بن جعفر بن أبى طالب كانت حليمة السعدية تحدث أنها خرجت من بلدها مع نسوة يلتمسن الرضعاء وذلك فى سنة شهباء لم تبق شيأ قالت فخرجت على أتان لنا مقراء معنا شارف لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلتنا اجمع من صبينا الذى معى من بكائه من الجوع وما فى ثدى ما يغنيه وما فى شارفنا ما يغذوه ولكنا نرجو الغيث والفرج فلقد ٢ أدمت أتانى بالركب حتى شق عليهم ضعفا وعجفا حتى قدمنا مكة فما منا امرأة

وقد ذهب كثير من نواخذة هذا البحر وهم أرباب المراكب من البرابرة واليمانيين ممن يقطعون هذا البحر ويختلفون الى عمارة من الامم الى فى جزائره وحوله الى ان المدوا الخزر لا يكون فى معظم هذا البحر الا مرتين فى السنة مرة يمد فى شهور الصيف شرقا بالشمال ستة أشهر فاذا كان ذلك طغى الماء فى مشارق البحر والجسر بالصين وما وراء ذلك الصقع ومرة يمد فى شهور الشتاء غربا بالجنوب ستة أشهر فاذا كان الصيف طغى الماء فى مغارب البحر والجسر بالصين وقد يتحرك البحر بتحرك الرياح وان الشمس اذا كانت فى الجهة الجنوبية فكذلك تكون البحار فى جهة الجنوب فى الصيف لهبوب الشمال طامية عالية وتقل المياه فى جهة البحار الشمالية وكذلك اذا كانت الشمس فى الجنوب وسال الهواء من الجنوب فى جهة الشمال سال معه ماء البحر من الجهة الجنوبية الى الجهة الشمالية فقلت المياه فى الجهة الجنوبية منه وينقل ماء البحر فى هذين الميلين أعنى فى جهتى الشمال والجنوب فيسمى

الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنأباه اذا قيل لها انه يتيم وذلك انا انما نرجو المعروف من أبي الصبي فكنا نقول يتيم فما عسى ان تصنع أمه وجده فما بقيت امرأة منى الا أخذت رضيعا غيري فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي وكان معي انى لا كره ان أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعا والله لاذهبن الى ذلك اليتيم فلآخذنه قال افعلي فعسى ان الله يجعل لنا فيه بركة قالت فذهبت فأخذته فلما أخذته ووضعته في حجري اقبل عليه ثديا ي بما شاء من لبن فشرب حتى روى وشرب معه أخوه حتى روى ثم ناما وما كان ابني ينام قبل ذلك وقام زوجي الى شارفنا تلك فاذا انها حافل فحلب منها ثم شرب حتى روى ثم سقاني فشربت حتى شبعنا قالت يقول لي صاحبي تعلمين والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة قالت والله لارجو ذلك قالت ثم خرجنا فركبت أتاني وحملته عليها فلم يلحقني شئ من حمرهم حتى ان صواحبي ليقلن لي يا ابنة أبي ذؤيب ارفقي علينا أليست هذه اتانك التي كنت خرجت عليها فاقول بلى والله لهي هي فيقلن ان لها شأنا ثم قدمنا منازلنا من بني سعد وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها فكانت غنمي تروح علي حين قدمنا شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة ولا يجدها في ضرع حتى ان كان الحاضر من قومنا ليقولون لرعيانهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي ابنة أبي ذؤيب فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة من لبن وتروح غنمي شباعا لبنا فلم نزل نتعرف البركة من الله والزيادة في الخير حتى مضت سنتان وفصلته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شئ على مكثه عندنا لما كنا نرى من بركته فكلمنا أمه في تركه عندنا فأجابت قالت فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا به باشهر مع أخيه في بهم لنا خلف بيوتنا اذ أتانا أخوه يشتد فقال لي ولابيه ذلك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض فاضجعاه وشقا بطنه وهما يسوطانه قالت فخرجنا نشتد فوجدناه قائما منتقعا وجهه قالت فالتزمته أنا وأبوه وقلنا له مالك يا بني قال جاءني رجلان فاضجعاني فشقا بطني فالتمسا به شيئا لا أدري ما هو قالت فرجعنا الى خبائنا وقال لي أبوه والله لقد خشيت ان يكون هذا الغلام قد أصيب فالحقيه باهله قبل أن يظهر ذلك قالت فاحتملناه فقدمنا به على أمه فقالت ما أقدمك به وقد كنت حريصة على مكثه عندك قالت قلت قد بلغ الله بابني وقضيت الذي علي وتخوفت عليه الاحداث فاديته اليك كما تحبين قالت ما هذا بشأنك فاصدقيني ولم تدعني حتى أخبرتها قالت فتخوفت عليه الشيطان قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وان لابني لشانا أفلا أخبرك قلت بلى قالت رأيت حين حملت به انه خرج مني نور أضاء لي قصور بصري من الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف منه ولا أيسر ثم وقع حين وضعته واني لواضع يديه بالارض رافع رأسه الى السماء دعيه عنك وانطلق راشدة * وكانت مدة رضاع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين وردته حليمة الى أمه وجده عبد المطلب وهو ابن خمس سنين في قول وقال شداد بن أوس بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل شيخ من بني عامر وهو ملك قومه وسيدهم شيخ كبير متوكئا على عصا فمثل قائما وقال يا ابن عبد المطلب اني أنبئت انك تزعم انك رسول الله أرسلك بما أرسل به ابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الانبياء الا وانك فهت بعظيم ألا وقد كانت الانبياء من بني اسرائيل ونت ممن يعبد هذه الحجارة والاوثان ومالك وللنبوة وان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولك وبدوشانك فاعجب النبي صلى الله عليه وسلم لمته ثم قال يا أخا بني عامر اجلس فجلس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان حقيقة قولي وبدوشاني اني دعوة أبي

جزرا ومد اشنو وذلك ان مد الجنوب جزره الشمال ومد الشمال جزره الجنوب فان وافى القمر بعض الكواكب السيارة في أحد الميلين زاد قوى الحمى واشتد لذلك سيلان الهواء فاشتد لذلك انقلاب ماء البحر الى الجهة المخالفة للجهة التي ليس فيها الشمس (قال المسعودي) فهذا رأي يعقوب بن اسحق الكندي وأحمد بن الطيب السرخسي فيما حكاه عنه ان البحر يتحرك بالرياح ورأيت مثل ذلك ببلاد كنبايه من أرض الهند وهي المدينة التي تضاف اليها النعال الكنبانية الصرارة وفيها تعمل وفيما يليها مثل مدينة سندارة وسرباره وكان دخولي اليها في سنة ثلاث وثلثمائة والملك بها وكان منهزما من قبل الباهرا صاحب البابكين وكان للبابكين هذا غاية المناظرة مع من يرد الى بلاده من المسلمين وغيرهم من أهل الملل وهذه المدينة على خور من أخوار البحر وهو الخليج أعرض من النيل أو دجلة أو الفرات عليه المدن والضياع والعمائر والنخل والنارجيل والطواويس والببغاء وغير ذلك من أنواع

طيور الهند بين تلك الجبال والمياه وبين مدينة كمباية وبين البحر الذى يأخذ منه هذا الخليج يومان وأقل من ذلك فيجرى الماء من هذا الخليج حتى يبدو الرمل الذى ينضب عنه الماء وقعر الخليج فصار كالصحراء وقد أقبل المد من نهاية الجزر كالخيل فى الحلبة فربما أحس الكلب بذلك فاقبل يحضر ما استطاع خوفا من الماء فيطلب البر الذى لا يصل اليه الماء فيلحقه الماء بسرعة فيغرقه وكذلك المدير بين البصرة والاهواز فى الموضع المعروف بالباسيان وبلاد الهند ويسمع هنالك أزيب له ضجيج ودوى وغليان عظيم يفزع منه أصحاب السمن وهذا الموضع يعرفه من يسلك هنالك الى بلاد مسورق من أرض فارس والله أعلم

ذكر بحر الروم ووصف ما قيل فى طوله وابتدائه وانتهائه

أما بحر الروم وطرسوس وأدرنة والمصيصة وانطاكية والملاذقية وطرابلس وصيداء وصور وغير ذلك من ساحل الشام ومصر والاسكندرية وساحل المغرب فذكر جماعة من

ابراهيم وبشرى أخى عيسى وكنت بكرا مى وحملتنى كاثقل ما تحمل النساء ثم رأت فى منامها ان الذى فى بطنها نور وقالت فجعلت اتبع بصرى النور وهو يسبق بصرى حتى اضاءت لى مشارق الارض ومغاربها ثم انها ولدتنى فنشأت فلما نشأت بغضت الى الاوثان والشعر فكنت مسترضعا فى بنى سعد بن بكر فبينا أنا ذات يوم منتبذا من أهلى مع أتراب من الصبيان اذ أتانا ثلاثة رهط معهم طست من ذهب مملوء ثلجا فأخذونى من بين أصحابى فخرج أصحابى هرابا حتى انتهوا الى شفير الوادى ثم أقبلوا على الرهط فقالوا ما أريكم الى هذا الغلام فانه ليس له أب وما يريد عليكم قتله فلما رأى الصبيان الرهط لا يرتدون جوابا انطلقوا مسرعين الى الحى يؤذنونهم بى ويستصرخونهم على القوم فعمد أحدهم فأضجعنى على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى فانا أنظر اليه لم أجد لذلك مسا ثم أخرج احشاء بطنى فغسلها بالثلج فاهم غسلها ثم اخرج قلبى فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها فاقبل بيده يمنة منه كأنه يتناول شيأ فاذا بخاتم فى يده من نور يحار الناظرون دونه فختم به قلبى فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فتنحى عنى فامر يده ما بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم أخذ بيدى فانهضنى انهاضا لطيفا ثم قال للاول الذى شق بطنى زنه بعشرة من أمته فوزنونى بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنونى بهم فرجحتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنونى بهم فرجحتهم فقال دعوه فلو وزنته بامته كلهم لرجح بهم ثم ضمونى الى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عينى ثم قالوا يا حبيب لم ترع انك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرت عينك قال فبينا نحن كذلك اذ أتانا الحى قد جاؤا بجذافيرهم وادطئرى أمام الحى تهتف بأعلى صوتها وهى تقول يا صعيداه قل فانكبوا على يعنى الرهط وقبلوا رأسى وما بين عينى وقالوا حبذا أنت من صعيف ثم قالت ظئرى يا حيداه فانكبوا على فضمونى الى صدورهم وقبلوا ما بين عينى وقالوا حبذا أنت من وحيد وما أنت بوحيد ان الله معك ثم قالت ظئرى يا يتيماه استضعفت من بين أصحابك فقلت لضعفك فانكبوا على وضمونى الى صدورهم وقبلوا ما بين عينى وقالوا حبذا أنت من يتيم ما أكرمك على الله لو تعلم ما يراد بك من الخير قال فوصلوا بى الى شفير الوادى فلما بصرت بى ظئرى قالت يا بنى الا أراك حيا بعد فجاءت حتى انكبت على وضمتنى الى صدرها والذى نفسى بيده انى لو حجرها وقد ضمتنى اليها وان يدى فى يد بعضهم فجعلت التفت اليهم وظننت ان القوم يبصرونهم يقول بعض القوم ان هذا الغلام أصابه لمم أو طائف من الجن انطلقوا به الى كاهننا حتى ينظر اليه ويداويه فقلت ما هذا ليس بى شئ مما تذكرون انى سليم الفؤاد صحيح ليس فى قلبة فقال أبى من الرضاع لا ترون كلامه صحيحا انى لارجو أن لا يكون بابنى بأس فانطقوا على ان يذهبوا بى الى الكاهن فذهبوا بى اليه فلما قصوا عليه قصتى قال اسكتوا حتى اسمع من الغلام فانه أعلم بأمره منكم فقصصت عليه أمرى من أوله الى آخره فلما سمع قولى وثب الى وضمنى الى صدره ثم نادى بأعلى صوته يا للعرب اقتلوا هذا الغلام واقتلونى معه فواللات والعزى لئن تركتموه فادرك ليبدلن دينكم ويخالف أمركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله قط فانتزعتنى ظئرى منه وقالت لا نت أجن واعنه من ابى هذا فاطلب لنفسك من يقتلك فانا غير قاتليه ثم ردونى الى أهلى فاصبحت مفزعا مما فعل بى وثرا شفق مما بين صدرى الى عانتى كأنه التمرالك فذلك حقيقة قولى وبدوشأنى يا أخانبى عامر فقال العامرى أشهد بالله الذى لا اله الا هو ان أمرك حق فأنبئنى بشيء أسألك عنها قال سل دل أخبرنى ما يزيد فى العلم قال التعلم قال فما يدل على العلم قال النبى صلى الله عليه وسلم السؤال قال

فأخبرني ماذا يزيد في الشيء قال النمادي قال أخبرني هل ينفع البر مع الفجور قال نعم التوبة تغسل الحوبة والحسنات يذهبن السيئات واذا ذكر العبد الله عند الرخاء أعانه عند البلاء فقال العامري فكيف ذلك قال ذلك بان الله عز وجل يقول وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين ولا أجمع له خوفين ان خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع عبادي في حظيرة القدس فيدوم له أمنه ولا أحققه فيمن أمحق وان هو أمنني في الدنيا خافني يوم أجمع فيه عبادي لميقات يوم معلوم فيدوم له خوفه قال يا ابن عبد المطلب أخبرني الى ماتدعو قال أدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تخلع الانداد وتكفر باللات والعزى وتقر بما جاء من عند الله من كتاب ورسول وتصلي الصلوات الخمس بحقائقهن وتصوم شهرا من السنة وتؤدي زكاة مالك يطهرك الله تعالى بها ويطيب لك مالك وتحج البيت اذا وجدت اليه سبيلا وتغتسل من الجنابة وتؤمن بالموت والبعث بعد الموت وبالجنة والنار قال يا ابن عبد المطلب فاذا فعلت ذلك فما لي فقال النبي صلى الله عليه وسلم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى فقال هل مع هذا من الدنيا شيء فانه يجبني الوطاء من العيش قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم النصر والتمكين في البلاد فاجاب وأناب قال ابن اسحق هلك عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة حامل به قال هشام بن محمد توفي عبد الله أبو رسول الله بعد ما أتى على رسول الله ثمانية وعشرون يوما وقال الواقدي أثبت عندنا ان عبد الله بن عبد المطلب أقبل من الشام في عير لقريش ونزل بالمدينة وهو مريض فأقام حتى توفي ودفن في دار النابغة الصغرى قال ابن اسحق وتوفيت أمه آمنة وله ست سنين بالابواء بين مكة والمدينة كانت قدمت به المدينة على أخواله من بني النجار تزوره اياهم فماتت وهي راجعة وقيل انها أتت المدينة تزور قبر زوجها عبد الله ومعها رسول الله وأم أيمن حاضنة رسول الله فلما عادت ماتت بالابواء وقيل ان عبد المطلب زار أخواله من بني النجار وحمل معه آمنة ورسول الله فلما رجع توفيت بمكة ودفنت في شعب ابي ذر والاول أصح ولما سار ت قريش الى أحد هوا باستخراجها من قبرها فقال بعضهم ان النساء عورة وربما أصاب محمد من نسائكم فكفهم الله بهذا القول اكراما لام النبي صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق وتوفي عبد المطلب ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثمان سنين وقيل ابن عشر سنين ولما مات عبد المطلب صار رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجر عمه أبي طالب بوصية من عبد المطلب اليه بذلك لما كان يرى من بره به وشفقته وحنوه عليه فيصبح ولد أبي طالب غمصا رمصا ويصبح رسول الله صقيلا دهينا

﴿ ذكر قتل تميم بالمشقر ﴾

قال هشام أرسل وهرز باموال وطرف من اليمن الى كسرى فلما كانت ببلاد تميم صعصعة بن ناجية دعا الجاشعي جد الفرزدق الشاعر بني تميم الى الوثوب عليها فابوا فقال دعني يبني بكر بن وائل وقد انتهبوا فاستعانوا بها على حربكم فلما سمعوا ذلك وثبوا عليها وأخذوها وأخذ رجل من بني سليط يقال له النطف خرجا فيه جوهر فكان يقال أصاب كنز النطف فصار مثلا وصار أصحاب العير الى هوذة بن علي الحنفي باليمامة فكساهم وحملهم وسار معهم حتى دخل على كسرى فاعجب به كسرى ودعا بعقد من درفعقد على رأسه فمن ثم سمي هوذة ذا التاج وسأله كسرى عن تميم هل من قومه أو بينه وبينهم سلم فقال لا بيننا الا الموت قال قد أدركت ثأرك وأراد ارسال الجنود الى تميم فقيل له ان ماءهم قليل وبلادهم بلاد سوء وأشير عليه ان يرسل الى عامله بالبحرين وهو ازاد

أصحاب الزيجات في كتبهم منهم محمد بن جابر النسائي وغيره ان طوله خمسة آلاف ميل وعرضه مختلف فمنه ثمانمائة ميل ومنه سبعمائة ميل ومنه ستمائة ميل وأقل من ذلك على حسب مضايقة البر للبحر والبحر للبر وبدأ هذا البحر من خليج يخرج جاريا من بحر اقيانوس وأضيق موضع من هذا الخليج بين ساحل طنجة من بلاد المغرب وبين ساحل الاندلس وهذا الموضع المعروف بقيطاه وعرضه فيما بين الساحلين نحو من عشرة أميال وهذا الموضع هو المعبر لمن أراد العبور من الغرب الى الاندلس ومن الاندلس الى الغرب وعلى الحد بين البحرين أعني بحر الروم وبحر أقيانوس المنارة النحاس والحجارة التي بناها هرقل الجبار على أعلاها الكتابة والتماثيل مشيرة بايديها ان لا طريق ورائي لجميع الداخلين الى ذلك البحر بحر الروم اذ كان بحر الا تجري فيه جارية ولا عمارة فيه ولا حيوان ناطق يسكنه ولا يحاط بمقداره ولا تدري غايته ولا يعلم منتهاه وهو بحر الظلمات والاخضر المحيط وقد ذهب قوم ان هذا البحر أصل ماء البحار وله أخبار عجيبة قد أتينا

على ذكرها فى كتابنا أخبار الزمان فى أخبار من غبر وخاطر بنفسه فى ركوبه ومن نجا منهم ومن تلف وماشاهدوا منه ومارأوا وبين هذه المبارة المنصوبة وبين موضع الاحجار مسافة فى طول مصب هذا الخليج وجريانه وذلك انما يجرى فى بحر الروم والشام ومصر وهو متصل بمدينة نحو من خمسمائة ميل تسمى بالرومية درس وعلى هذا الخليج من جانب المغرب قرية يقال لها سبتة وهى وطنجة من ساحل واحد ويقابل سبتة هذه من ناحية الاندلس الجبل المعروف بجبل طارق مولى موسى بن نصير ويعبر الناس من سبتة الى ساحل الاندلس من غدوة الى الظهر وفى هذا الخليج موج عظيم والماء من هناك يخرج من بحر أقيانوس ويصب الى البحر الروى وفى هذا الخليج مواضع تعلو أمواجها ويعلو الماء من غير ريح وهذا الخليج تسميه أهل المغرب وأهل الاندلس الزقاق اذ كان على هيئة ذلك وفى بحر الروم جزائر كثيرة منها جزيرة قبرس بين ساحل الشام والروم وجزيرة رودس فى مقابلة الاسكندرية وجزيرة أقريطش وجزيرة صقلية

فيروز بن جشيش الذى سمته العرب المكعبر وانما سمى بذلك لانه كان يقطع الايدى والارجل فامره بقتل بنى تميم ففعل ووجه اليه رسولا ودعا هوذة وجدد له كرامة وصلة وأمره بالمسير مع رسوله فاقبلا الى المكعبر أيام اللقاط وكانت تميم تصير الى هجر للميره واللقاط فامر المكعبر مناديا ينادى ليحضر من كان ههنا من بنى تميم فان الملك قد أمر لهم بميرة وطعام فحصروا ودخلوا المشقر وهو حصن فلما دخلوا قتل المكعبر رجالهم واستبقى غلمانهم وقتل يومئذ قعنب الرياحى وكان فارس ربوع وجعل الغلمان فى السفن وعبر بهم الى فارس قال هبيرة بن حذير العدوى رجع الينا بعدما فتحت اصطخر عدة منهم وشذر رجل من بنى تميم يقال له عبيد بن وهب على سلسلة الباب فقطعها وخرج واستوهب هوذة من المكعبر مائة أسير منهم فاطلقهم (حدير بضم الحاء المهملة وفتح الدال)

﴿ذكر ملك ابنه هرمز بن أنوشروان﴾

وكانت أمه ابنة خاقان الاكبر لما ملك كسرى أنوشروان كان ملكه ثمانية وأربعين سنة فملك بعده هرمز وكان هرمز بن كسرى أديبا ذا نية فى الاحسان الى الضعفاء والحمل على الاشراف فعادوه وابغضوه وكان فى نفسه مثل ذلك وكان عادلا لا يبلغ من عدله أنه ركب ذات يوم الى ساباط المدائن فاجتاز بكروم فاطلع أسوارمن أساورته فى كرم وأخذ منه عناقيد حصرم فلزمه حافظ الكروم وصرخ فبلغ من خوف الاسوار من عقوبة كسرى هرمز أن دفع الى حافظ الكرم منطقة محلاة بذهب عوضا من الحصرم فتركه وقيل كان مظفرا منصورا لا يعديده الى شئ الا ناله وكان داهيا ردىء النية قد نزع الى أخواله الترك وانه قتل من العلماء وأهل البيوتات والشرف ثلاثة عشر ألف رجل وسبعمائة رجل ولم يكن له رأى الا فى تألف السفلة وحبس كثيرا من العظماء وأسقطهم وحط مراتبهم وحرم الجنود ففسد عليه كثير ممن كان حوله وخرج عليه شابه ملك الترك فى ثمانمائة ألف مقاتل فى سنة ست عشرة من ملكه فوصل هراه وباذغيس وأرسل الى هرمز والفرس يأمرهم باصلاح الطرق ليجوز الى بلاد الروم ووصل ملك الروم فى ثمانين ألفا الى الصواحى قاصد اله ووصل ملك الخزر الى الباب والابواب فى جمع عظيم فان جمعا من العرب شنوا الغارة على السواد فارسل هرمز بهرام خشنش ويعرف بجوبين فى اثنى عشر ألفا من المقاتلة اختارهم من عسكره فسار مجدا واوقع شابه ملك الترك فقتله برمية رماها واستباح عسكره ثم وافاها برمودة بن شابه فهزمه أيضا وحصره فى بعض الحصون حتى استسلم فارسله الى هرمز أسيرا وغنم ما فى الحصن وكان عظيما ثم خاف بهرام ومن معه هرمز فخلعوه وساروا نحو المدائن وأظهروا ان ابنه ابرويز اصلح للملك منه وساعدهم على ذلك بعض من كان بحضرة هرمز وكان غرض بهرام ان يستوحش هرمز من ابنه ابرويز ويستوحش ابنه منه فيختلفا فان ظفر ابرويز بابيه كان أمره على بهرام سهلا وان ظفر أبوه نجا بهرام والكامة مختلفة فينال من هرمز غرضه وكان يحدث نفسه بالاستقلال بالملك فلما علم ابرويز ذلك خاف أباه فهرب الى أذربيجان فاجتمع عليه عدة من المرازبة والاصبهبذين ووثب العظماء بالمدائن وفيهم بندويه وبسطام لا ابرويز فخلعوا هرمز وسملوا عينيه وتركوه فخرج من قتله وبلغ ابرويز الخبر فاقبل من أذربيجان الى دار الملك وكان ملك هرمز احدى عشرة سنة وتسعة أشهر وقيل اثنتى عشرة سنة ولم يسمل من ملوك الفرس غيره لا قبله ولا بعده * ومن محاسن السير ما حكى عنه أنه لما فرغ من بناء داره التى تشرف على دجلة مقابل المدائن عمل وليمة عظيمة وأحضر الناس من الاطراف

فأكلوا ثم قال لهم هل رأيتم فى هذه الدار عيبا فكاهم قال لا عيب فيها فقام رجل وقال فيها ثلاثة عيوب فاحشة أحدها ان الناس يجعلون دورهم فى الدنيا وأنت جعلت الدنيا فى دارك فقد أفرطت فى توسيع صحونها وبيوتها فتتمكن الشمس فى الصيف والسموم فيؤذى ذلك أهلها ويكثر فيها فى الشتاء البرد والثانى ان الملوك يتوصلون فى الشتاء على الانهار لتزول همومهم وأفكارهم بالنظر الى المياه وبترطب الهواء وتضيء أبصارهم وأنت قد تركت دجلة وبنيتها فى القفر والثالث أنك جعلت حجرة النساء مما يلى الشمال من مساكن الرجال وهو أدوم هبوبا فلا يزال الهواء يجيء بأصوات النساء وروائح طيبهن وهذا مما تمنعه الغيرة والحمية فقال هرمز اما اساءة الصحون والمجالس فخير المساكن ما سافر فيه البصر وشدة الحر والبرد يدفعان بالخيش والملابس والبيران وأما مجاورة الماء وكنت عند أبى وهو يشرف على دجلة فغرقت سفينة تحته فاستغاث من بها اليه وابى يتأسف عليهم ويصيح بالسفن التى تحت داره ليلحقوهم قالى أن يلحقوهم غرق جميعهم فحدثت فى نفسى أنى لا أجاور سلطانا هو أقوى منى واما عمل حجرة النساء فى جهة الشمال فقصدت به ان الشمال أرق هواء وأقل حمامة والنساء يلازمن البيوت فعملت لذلك وأما الغيرة فان الرجال لا يخلون بالنساء وكل من يدخل هذه الدار انما هو مملوك وعبد لقيم وأما أنت فما أخرج هذا منك الا بغض لى فاخبرنى عن سببه فقال الرجل لى قرية ملك كنت أنفق حاصلها على عيالى فغلبنى المرزبان فأحدها منى فقصدتك أتظلم منذ سنتين فلم أصل اليك فقصدت وزيرك وتظلمت اليه فلم ينصفنى وأنا أؤدى خراج القرية حتى لا يزول اسمى عنها وهذا غاية الظلم ان يكون غيرى باخذ دخلها وأنا أؤدى خراجها فسأل هرمز وزيره فصدقه وقال حقت أعمال فيؤذينى المرزبان فامر هرمز أن يؤخذ من المرزبان ضعف ما أخذ وان يستخدمه صاحب القرية فى أى شغل شاء سنتين وعزل وزيره وقال فى نفسه اذا كان الوزير يراقب الظالم فالحرى ان غيره يراقبه فامر باتخاذ صندوق وكان يقفله ويختمه بخاتم ويترك على باب داره وفيه خرق يأتى وفيه رقاع المتظلمين وكان يفتحه كل أسبوع ويكشف المظالم فاذكر وقال أريد أعرف ظلم الرعية ساعة ساعة فاتخذ سلسلة طرفها فى مجلسه فى السقف والطرف الآخر خارج الدار فى روزنة وفيها جرس وكان المتظلم يحرك السلسلة فيحرك الجرس فيحضره ويكشف ظلامته

﴿ذكر مملكة كسرى ابرويز بن هرمز﴾

وكان من أشد ملوكهم بطشا وأنفذهم رأيا وبلغ من البأس والصحة وجمع الاموال ومساعدة الاقدار ما لم يبلغه ملك قبله ولذلك لقب ابرويز ومعناه المظفر وكان فى حياة أبيه قد سعى به بهرام جوبين الى أبيه أنه يريد الملك لنفسه فلما علم ذلك سار الى أذربيجان سرا وقيل غير ذلك وقد تقدم فلما وصلها بايعه من كان بها من العظماء واجتمع من بالمدائن على خلع أبيه فلما سمع ابرويز بادر الوصول الى المدائن قبل بهرام جوبين فدخلها قبله ولبس التاج وجلس على السرير ثم دخل الى أبيه وكان قد عمل فاعلمه انه برىء مما فعل به وانما كان هربه للخوف منه فصدقه وسأله ان يرسل اليه كل يوم من يؤنسه وان ينتقم ممن خلعه وسمل عينيه فاعتذر بقرب بهرام منه فى العساكر وانه لا يقدر على ان ينتقم ممن فعل به ذلك الا بعد الظفر ببهرام وسار بهرام الى النهروان وسار ابرويز اليه فالتقيا هناك ورأى ابرويز من أصحابه فتورا فى القتال فانهزم ودخل على أبيه وعرفه الحال فاستشاره فاشار عليه بقصد موريق ملك الروم وجهز ثانيا وسار فى عدة يسيرة فيهم خالاه بندويه وبسطام وكردى أخو بهرام فلما خرجوا من المدائن خاف من معه أن بهرام يرد هرمز الى الملك

وسنذكر صقلية بعد هذا الموضع عند ذكرنا لجبل البركان الذى تظهر منه النار فيها أجسام وجثث عظام وقد ذكر يعقوب بن اسحق الكندى وتلميذه أحمد بن الطيب السرخسى فى طول هذا البحر وعرضه غير ما ذكرنا وسنذكر بعد هذا الموضع فيما يرد من هذا الكتاب هذه الاخبار على نظم من التأليف وترتيب من التصنيف ان شاء الله تعالى

﴿ذكر بحر بنطش و بحر مانطش وخليج القسطنطينية﴾

فاما بحر بنطش فانه يمد من بلاد ملطية الى القسطنطينية بطول النهر العظيم المعروف ببنطاس وقد قدمنا ذكره ومبدأ هذا النهر من الشمال وعليه كثير من ولد يافث وخروجه من بحيرة عظيمة فى الشمال من أعين وجبال ويكون مقدار جريانه على وجه الارض نحو ثلثمائة فرسخ عمائر متصلة بولد يافث ويسير بحر مانطش فيما زعم قوم من أهل العناية بهذا الشان حتى يصب فى بحر بنطش وهذا البحر عظيم فيه أنواع من الاحجار والحشائش والعقاقير قد ذكره جماعة ممن تقدم من

يسمى بحر ماطش بحيرة ويجعل طوله ثلثمائة ميل وعرضه مائة ميل ومنه ينفجر خليج القسطنطينية الذى يسب الى بحر الروم وطوله ثلثمائة ميل وعرضه نحو من خمسين ميلا وعليه القسطنطينية والعمائر من أوله الى آخره والقسطنطينية فى الجانب الغربى من هذا الخليج وهو متصل ببر رومية والاندلس وغيرهما فيصب والله أعلم على قول المنجمين من أصحاب الزيجات وغيرهم ممن تقدم فى بحر البنطس والروس وهو بحر بيطش وسيأتى ذكر هؤلاء الامم فيما يرد من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى على حسب استحقاقهم فى ذكرهم واتصال عمائرهم ومن يركب هذا البحر ومن لا يركبه والله أعلم

﴿ذكر بحر الباب والابواب والخزر وجرجان وجبل من الاخبار على ترتيب البحار﴾

وأما بحر الاعاجم الذى عليه دورها ومساكنها فهو معمور بالناس من جميع جهاته وهو المعروف ببحر الباب والابواب والخزر والجيل وجرجان وطبرستان وعليه أنواع من الترك وينتهى فى احدى جهاته نحو بلاد خوارزم وطوله

و يرسل الى ملك الروم فى ردهم فيردهم اليه فاستاذنوا ابرويز فى قتل أبيه هرمز فلم يحوجوا با فانصرف بندويه وبسطام وبعض من معهم الى هرمز فقتلوه خنقا ثم رجعوا الى ابرويز وسار وا مجدين الى ان جاوزوا الفرات ودخلوا دير ايستريحون فيه فلما دخلوا غشيتهم خيل بهرام جوبين ومقدمها رجل اسمه بهرام بن سياوش فقال بندويه لابرويز احتل لنفسك قال ماعندى حيلة قال بندويه أنا أبذل نفسى دونك وطلب منه برنته فلبسها وخرج ابرويز ومن معه من الدير وتوار وا بالجبل ووافى بهرام الدير فرأى بندويه فوق الدير عليه برة ابرويز فاعتقد هو وسأله ان ينظره الى غد ليصير اليه سلما ففعل ثم ظهر من الغد على حيلته فحمله الى بهرام جوبين فحبسه ودخل بهرام جوبين دار الملك وقعد على السرير ولبس التاج فانصرفت الوجوه عنه لكن الناس أطاعوه خوفا وواطأ بهرام بن سياوش بندويه على الفتك ببهرام جوبين فعلم بهرام جوبين بذلك فقتل بهرام وأفلت بندويه فلحق باذربيجان وسار ابرويز الى انطاكية وأرسل أصحابه الى الملك فوعده النصرة وتزوج ابرويز ابنة الملك موريق واسمها مريم وجهز معه العساكر الكثيرة فبلغت عدتهم سبعين ألفا فيهم رجل يعد بالف مقاتل فرتبهم ابرويز وسار بهم الى اذربيجان فوافاه بندويه وغيره من المقدمين والاساورة فى أربعين ألف فارس من أصبهان وفارس وخراسان وسار الى المدائن وخرج بهرام جوبين نحوه فجرى بينهما حرب شديدة فقتل فيها الفارس الرومى الذى يعد بالف فارس ثم انهزم بهرام جوبين وسار الى الترك وسار ابرويز من المعركة ودخل المدائن وفرق الاموال فى الروم فبلغت جملتها عشرين ألف ألف فاعادهم الى بلادهم وأقام بهرام جوبين عند الترك مكرما فارسل ابرويز الى زوجة الملك وأرسل لها الهدية من الجواهر وغيرها وطلب منها قتل بهرام فوضعت عليه من قتله فاشتد قتله على ملك الترك ثم علم ان زوجته قتلته فطلقها ثم ان ابرويز قتل بندويه وأراد قتل بسطام فهرب منه الى طبرستان لحصانتها ووضع ابرويز عليه فقتله وأما الروم فانهم خلعوا ملكهم موريق بعد أربع عشرة سنة من ملك ابرويز وقتلوه وملكوا عليهم بطريقا اسمه فوقاس وأباد ذرية موريق سوى ابن له هرب الى كسرى ابرويز فارسل معه لعساكر وتوجه وملكه على الروم وجعل على عساكره ثلاثة نفر من قواده وأساورته أما أحدهم فكان يقال له بوران وجهه فى جيش منها الى الشام فدخلها حتى انتهى الى البيت المقدس فاخذ خشبة الصليب التى تزعم النصارى ان المسيح عليه السلام صلب عليها فارسلها الى كسرى ابرويز وأما القائد الثانى فكان يقال له شاهين فسيره فى جيش آخر الى مصر ففتحها وأرسل مفاتيح الاسكندرية الى ابرويز واما القائد الثالث وهو أعظمهم فكان يقال له فرخان وتدعى مرتبته شهربراز وجعل مرجع القائدين الاولين اليه وكانت والدته منجبة لا تلد الا نجيبا فاحضرها ابرويز وقال لها انى أريد ان أوجه جيشا الى الروم أستعمل عليه بعض بنيك فاشيرى على أيهم أستعمل فقالت اما فلان فارو ع من ثعلب وأحذر من صقر وأما فرخان فهو انفذ من سنان واما شهربراز فهو أحلم من كدى فقال قد استعملت الحليم فولاه أمر الجيش فسار الى الروم فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع أشجارهم وسار فى بلادهم الى القسطنطينية حتى نزل على خليجها القريب منها ينهب ويغير ويخرب فلم يخضع لابن موريق أحد ولا أطاعه غير ان الروم قتلوا فوقاس لفساده وملكوا عليهم بعده هرقل وهو الذى أخذ المسلمون الشام منه فلما رأى هرقل ما أهم الروم من النهب والقتل والبلاء تضرع الى الله تعالى ودعاه فرأى فى منامه رجلا كث اللحية رفيع المجلس عليه برة حسنة فدخل عليهما داخل فالقى ذلك الرجل من مجلسه وقال لهرقل

انى قد أسلمته فى يدك فاستيقظ فلم يقص رؤياه فرأى فى الليلة الثانية ذلك الرجل جالسا فى مجلسه وقد دخل الرجل الثالث وبيده سلسلة فالقاها فى عنق ذلك الرجل وسلمه الى هرقل وقال قد دفعت اليك كسرى برمته فاغزه فانك مدال عليه وبالغ أمنيتك فى أعدائك فقص حينئذ هذه الرؤيا على عظماء الروم فاشاروا عليه ان يغزوه فاستعد هرقل واستخلف ابنه على القسطنطينية وسلك غير الطريق الذى عليه شهربراز وسار حتى أوغل فى بلاد ارمينية وقصد الجزيرة فنزل نصيبين فارسل اليه كسرى جندا وأمرهم بالمقام بالموصل وأرسل الى شهربراز يستحثه على القدوم عليه ليتظافرا على قتال هرقل وقيل فى مسيره غير هذا وهو ان شهربراز سار الى بلاد الروم فوطئ الشام حتى وصل الى اذرعات ولقى جيوش الروم بها فهزمها وظفر بها وسبى وغنم وعظم شأنه ثم ان فرخان أخا شهربراز شرب الخمر يوما وقال لقد رأيت فى المنام كأنى جالس على سرير كسرى فبلغ الخبر كسرى فكتب الى أخيه شهربراز يأمره بقتله فعاوده وأعلمه شجاعته ونكايته فى العدو فعاد كسرى وكتب اليه بقتله فراجعه فكتب اليه الثالثة فلم يفعل فكتب كسرى يعزل شهربراز وولاية فرخان العسكر فاطاع شهربراز فلما جاس على سرير الامارة ألقى اليه الفاصد بولايته كتابا صغيرا من كسرى يأمر بقتل شهربراز فعزم على قتله فقال له شهربراز امهلنى حتى أكتب وصيتى فامهله فاحضر درجا وأخرج منه كتب كسرى الثلاثة واطلعه عليها وقال أنا راجعت فيك ثلاث مرات ولم أقتلك وأنت تقتلنى فى مرة واحدة فاعتذر أخوه اليه وأعاده الى الامارة واتفقا على موافقة ملك الروم على كسرى فارسل شهربراز الى هرقل ان لى اليك حاجة لا يبلغها البريد ولا تسعها الصحف فالقنى فى خمسين روميا فانى ألقاك فى خمسين فارسيا فاقبل قيصر فى جيوشه جميعها ووضع عيونه تأتيه بخبر شهربراز وخاف ان يكون مكيدة فاتته عيونه فاخبروه انه فى خمسين فارسيا فحضر عنده فى مثلها واجتمعا وبينهما ترجمان فقال له أنا وأخى خربنا بلادك وفعلنا ما علمت وقد حسدنا كسرى وأراد قتلنا وقد خلعناه ونحن نقاتل معك ففرح هرقل بذلك واتفقا عليه وقتلا الترجمان لئلا يفشى سرهما وسار هرقل فى جيشه الى نصيبين وبلغ كسرى ابرويز الخبر فارسل لمحاربة هرقل قائدا من قواده اسمه راهزار فى اثنى عشر ألفا وأمره ان يقيم بنينوى من أرض الموصل على دجلة يمنع هرقل من ان يحوزها وأقام هو بدسكرة الملك فارسل راهزار العيون فاخبروه ان هرقل فى سبعين ألف مقاتل فارسل الى كسرى يعرفه ذلك وانه يعجز عن قتال هذا الجمع الكثير فلم يعذره وأمره بقتاله فاطاع وعبى جنده وسار هرقل نحو جنود كسرى وقطع دجلة من غير الموضع الذى فيه راهزار فقصده راهزار واقيه فاقتتلوا فقتل راهزار وستة آلاف من أصحابه وانهزم الباقون وبلغ الخبر ابرويز وهو بدسكرة الملك فهاله ذلك وعاد الى المدائن وتحصن بها لعجزه عن محاربة هرقل وكتب الى قواد الجند الذين انهزموا يتهددهم بالعقوبة فاحوجهم الى الحلاف عليه على ما نذكره ان شاء الله وسار هرقل حتى قارب المدائن ثم عاد الى بلاده وكان سبب عوده ان كسرى لما عجز عن هرقل أعمل الحيلة فكتب كتابا الى شهربراز يشكره ويثنى عليه ويقول له أحسنت فى فعل ما أمرتك به من مواصلة ملك الروم وتمكينه من البلاد والآن فقد أوغل وأمكن من نفسه فتجىء أنت من خلفه وأنا من بين يديه ويكون اجتماعنا عليه يوم كذا فلا يفلت منهم أحد ثم جعل الكتاب فى عكاز بنوس وأحضر راهبا فى دير عند المدائن وقال له لى اليك حاجة فقال الراهب الملك أكبر من ان يكون له الى حاجة ولكننى عبده قال ان الروم قد نزلوا قريبا منا وقد حفظوا الطرق علينا ولى الى أصحابى الذين بالشام حاجة وأنت

ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ميل وهو مدور الشكل الى الطول وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب جملا من ذكر لامم المحيطة بهذه البحار المعمورة وهذا البحر الذى هو بحر الاعاجم كثير التنانين وكذلك بحر الروم فالتنانين فيهما كثيرة وكثيرا ما تكون مما يلى بلاد طرابلس واللاذقية والجبل الاقرع من أعمال انطاكية وتحت هذا الجبل معظم ماء البحر وأكثره ويسمى عجز البحر وغايته الى ساحل انطاكية وبرشيد والاسكندرية وحصن المنصب وساحل المصيصة وفيه مصب نهر جيحان وساحل أذنة وفيه مصب سيحان وساحل طرسوس وفيه مصب نهر بردان وهو نهر طرسوس ثم البلد الخالى من العمارات الخراب من الروم والمسلمين مما يلى مدينة مكمنة الى قريش وقراشيا ثم بلاد سلوقية ونهرها العظيم الذى يصب فى هذا البحر ثم حصون الروم الى خليج القسطنطينية وقد أعرضنا عن ذكر أنهار كثيرة بأرض الروم وما يصب الى هذا البحر كنهر البارد ونهر العسل وغيرهما من الانهار والعمارة على هذا البحر من المضيق الذى قدمنا ذكره وهو الخليج الذى عليه طنجة

نصرانى اذا جزت على الروم لا ينكرونك وقد كتبت كتابا وهو فى هذه العكازة فتوصله الى شهربراز وأعطاه مائتى دينار فاخذ الكتاب وفتحه وقرأه ثم أعاده وسار فلما صار بالعسكر ورأى الروم والرهبان والنواقيس رق قلبه وقال انا شر الناس ان أهلكت النصرانية فاقبل الى سرادق الملك وأخبره حاله وأوصل الكتاب اليه فقرأه ثم احضر أصحابه رجلا قد أخذوه من طريق الشام قدوا طأه كسرى ومعه كتاب قد افتعله على لسان شهربراز الى كسرى يقول انى مازلت أخادع ملك الروم حتى اطمأن الى وجارانى البلاد كما أمرتنى فيعرفنى الملك فى أى يوم يكون لقاؤه حتى أهجم أنا عليه من ورائه والملك من بين يديه فلا يسلم هو ولا أصحابه وأمره ان يتعمد طريقا يؤخذ فيها فلما قرأ ملك الروم الكتاب الثانى تحقق الخبر فعاد شبه المنهزم مبادرا الى بلاده ووصل خبر عودة ملك الروم الى شهربراز فاراد ان يستدرك ما فرط منه فعارض الروم فقتل منهم قتلا ذريعا وكتب الى كسرى انى عملت الحيلة على الروم حتى صاروا فى العراق وأنفذ من رؤسهم شيأ كثيرا وفى هذه الحادثة أنزل الله تعالى الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون يعنى بأدنى الارض اذرعات وهى أدنى أرض الروم الى العرب وكانت الروم قد هزمت بها فى بعض حروبها وكان النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد ساءهم ظفر الفرس أولا بالروم لان الروم أهل كتاب وفرح الكفار لان المجوس أميون مثلهم فلما نزلت هذه الآيات راهن أبو بكر الصديق أبى بن خلف على ان الظفر يكون للروم فى تسع سنين والرهن مائة بعير فغلبه أبو بكر ولم يكن قمار ذلك الوقت حراما فلما ظفرت الروم أتى الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية

﴿ذكر ما رأى كسرى من الآيات بسبب رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

فمن ذلك ان كسرى ابرويز سكر دجلة العوراء وأنفق عليها من الاموال ما لا يحصى كثرة وكان طاق مجلسه قد بنى بنيانا لم ير مثله وكان عنده ثلثمائة وستون رجلا من الحزاة من بين كاهن وساحر ومنجم وكان فيهم رجل من العرب اسمه السائب بعث به باذان من اليمن وكان كسرى اذا أحزنه أمر جمعهم فقال انظروا فى هذا الامر ما هو فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم أصبح كسرى وقد انفصم طاق ملكه من غير ثقل وانخرقت دجلة العوراء فلما رأى ذلك أحزنه وقال انفصم طاق ملكى وانخرقت دجلة العوراء شاه بشكست يقول الملك انكسر ثم دعا كهانه وسحاره ومنجميه وفيهم السائب فقال لهم انظروا فى هذا الامر فنظروا فى أمره فاخذت عليهم اقطار السماء وأظلمت الارض فلم يضئ لهم ما رأوه وبات السائب فى ليلة ظلماء على ربوة من الارض ينظر فرأى برقا من قبل الحجاز استطار فبلغ المشرق فلما أصبح رأى تحت قدميه روضة خضراء فقال فيما يعتاف ان صدق ما أرى ليخرجن من الحجاز سلطان يبلغ المشرق تخضب عليه الارض كافضل ما أخصبت على ملك فلما خلص الكهان والمنجمون والسحار بعضهم الى بعض ورأوا ما أصابهم ورأى السائب ما رأى قال بعضهم لبعض والله ما حال بينكم وبين علمكم الا أمر حادث من السماء وانه لنبى بعث أو هو مبعوث يسلب هذا الملك ويكسره ولئن نعيتم لكسرى ملكه يقتلنكم فاتفقوا على ان يكتموا الامر وقالوا له قد نظرنا فوجدنا ان وضع دجلة العوراء وطاق الملك قد وضع على النحوس فلما اختلف الليل والنهار وقعت النحوس مواقعها فزال كل ما رضع عليها وانا نحسب لك حسابا تضع عليه بنيانك فلا يزول فحسبوا وأمروه بالبناء فبنى دجلة العوراء فى ثمانية أشهر فانفق عليه أموالا جليلة حتى فرغ فقال لهم أجلس على سورها فقالوا نعم فجلس فى اسارته فبينما هو هنالك انتسفت دجلة البنيان من تحته فلم يخرج الا بآخر رمق فلما

متصلة بساحل المغرب وبلاد أفريقية والسوس ورشيد والسويس ودمياط وساحل الشام وساحل الثغور الشامية ثم ساحل الروم مارا متصلا الى بلاد رومية الى ان يتصل بساحل الاندلس الى ان ينتهى الى ساحل الخليج الصغير المقابل لطنجة على ما ذكرنا لا تنقطع من هذا البركة العمائر التى وصفناها من الاسلام والروم الى الانهار الجارية فى البحر وخليج القسطنطينية وعرضه نحو من ميل وخلجانات آخر داخلة فى البر لا منفذ لها فجميع ما ذكرنا على شاطئ هذا البحر الرومى متصلة الديار غير منفصلين لا يقطعهم أو يمنعهم الا ما ذكرنا من الانهار وخليج القسطنطينية ومثال هذا البحر الرومى ومثال ما ذكرنا من العمائر عليه الى ان ينتهى الى مدى الخليج الضيق الآخذ من افيانوس الذى عليه اعلام النحاس ويلى الاعلام طنجة وساحل الاندلس شمال الكزنيب فصيصة الخليج والكزنيب على صفة البحر الا انه ليس بمدور الشكل لما ذكرنا من طوله وليس تعرف الثمانين فى البحر الحبشى ولا فى شئ من خلجانه من

أخرجوه جمع كهانه وسحاره ومنجميه فقتل منهم قريبا من مائه وقال قربتكم وأجريت عليكم الارزاق ثم أنتم تلعبون بي فقالوا أيها الملك أخطأنا كما أخطأ من قبلنا ثم حسبوا له وبناء وفرغ منه وأمروه بالجلوس عليه فخاف فركب فرسا وسار على البناء فبينما هو يسير انتسفته دجلة فلم يدرك الا بآخر رمق فدعاهم وقال لاقتلنكم أجمعين أو لتصدقوني فصدقوه الامر فقال ويحكم هلا بينتم لي فاري فيه رأيي قالوا منعنا الخوف فتركهم ولهى عن دجلة حين غلبته وكان ذلك سبب البطائح ولم تكن قبل ذلك وكانت الارض كلها عامرة فلما كانت سنة ست من الهجرة أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى فراد الفرات والدجلة زيادة عظيمة لم ير قبلها ولا بعدها مثلها فانبثقت البثوق وانتسفت ما كان بناه كسرى واجتهد ان يسكرها فغلبه الماء كما بيناه ومال الى موضع البطائح فطما الماء على الزروع وغرق عدة طساسيج ثم دخلت العرب أرض الفرس وشغلتهم عن عمارها بالحروب واتسع الخرق فلما كان زمن الحجاج تفجرت بثوق أخر فلم يسدها مضارة للدهاقين لانه اتهمهم بمالاة ابن الاشعث فعظم الخطب فيها وعجز الناس عن عمارها فبقيت على ذلك الى الآن وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف بعث الله الى كسرى ملكا وهو في بيت ايوانه الذي لا يدخل عليه فيه فلم يرعه الا هو قائما على رأسه في يده عصا بالهاجرة في ساعته التي يقيل فيها فقال يا كسرى أتسلم أو أكسر هذه العصا فقال بهل بهل وانصرف عنه فدعا بحراسه وحجابه فتغيظ عليهم وقال من ادخل هذا الرجل فقالوا ما دخل الينا أحد ولا رأيناه حتى اذا كان العام المقبل أتاه في تلك الساعة وقال له اتسلم او اكسر العصا فقال بهل بهل وتغيظ على حجابه وحراسه فلما كان العام الثالث أتاه فقال له اتسلم أو اكسر العصا فقال بهل بهل فكسر العصا ثم خرج فلم يكن الا هو وملكه وانبعاث ابنه والدرس حتى قتلوه وقال الحسن البصري قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما حجة الله على كسرى فيك قال بعث الي ملكا فاخرج يده الي من جدار بيته تلألأ نورا لما رآها فزع فقال له لم ترع يا كسرى ان الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا فاتبعه تسلم دنياك وآخرتك قال سأنظر

﴿ ذكر وقعة ذي قار وسببها ﴾

ذكروا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لما بلغه ما كان من ظفر ربيعة بجيش كسرى هذا أول يوم انتصفت العرب من العجم وبي نصروا فحفظ ذلك منه وكان يوم الوقعة قال هشام بن محمد كان عدي بن زيد التميمي وأخوه عمار وهو أبي وعمرو وهو سمي يكونون مع الاكاسرة ولهم اليهم انقطاع وكان المنذر بن المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان في حجر عدي بن زيد وكان له غير النعمان احد عشر ولدا وكانوا يسمون الاشاهب لجمالهم فلما مات المنذر بن المنذر وخلف أولاده أراد كسرى بن هرمز ان يملك على العرب من يختاره فاحضر عدي بن زيد وسأله عن أولاد المنذر فقال هم رجال فامره باحضارهم فكتب عدي فاحضرهم وأنزلهم كان يفضل اخوة النعمان عليه ويريهم انه لا يرجو النعمان ويخاو بواحد واحد ويقول له اذا سألك الملك اتكفوني العرب فقولوا نكفيكهم الا النعمان وقال للنعمان اذا سألك الملك عن اخوتك فقل له اذا عجزت عن اخوتي فانا عن غيرهم أعجز وكان من بني مرينا رجل يقال له عدي ابن أوس بن مرينا وكان داهيا شاعرا وكان يقول للاسود بن المنذر قد عرفت اني أرجوك وعيني اليك وانني اريد أن تخالف عدي بن زيد فانه والله لا ينصح لك أبدا فلم يلتفت الى قوله فلما أمر كسرى عدي بن زيد ان يحضرهم احضرهم رجلا رجلا وسألهم كسرى

حيث وصفنا في نهايته
وأكثرها يظهر مما يلي
بحر اقيانوس وقد اختلف
الناس في التنين فمنهم من
رأى انه ريح سوداء تكون
في قعر البحر فتظهر الى
النسيم وهو الحلق فتلحق
السحب كالزوبعة فاذا
ثارت من الارض واستدارت
واثارت معها الغبار ثم
استطالت في الهواء ذاهبة
الصعداء توهم الناس أنها
حيات سود ومنهم من رأى
انها دواب تتكون في قعر
البحر فتعظم وتؤذي دواب
البحر فيبعث الله عليها النسور
والملائكة فيخرجونها من
بينها وأنها على صورة الحية
السوداء لها بريق وبصيص
لا تمر بمدينة الا اتت على
ما لا يقدر عليه من بناء عظيم
أو شجر أو جبل وربما
تنفس فتحرق الشجر الكبير
فيلقونها في سد يأجوج
ومأجوج ويعطر السحاب
عليهم فيقتل ذلك التنين
فمنه يتغذى يأجوج
ومأجوج وهذا القول
يعزى الى ابن عباس وقد ذكر
قوم في التنين غير ما ذكرنا
وكذلك حكى قوم من أهل
السير وأصحاب القصص
أمورا فيما ذكرنا أعرضنا
عن ذكرها منها خبر عمران
الذي صعد الى النيل فادرك
غايته وعبر البحر على ظهر
دابة تعلق بشعرها هي

أتكفونني العرب فقالوا نعم الا النعمان فلما دخل عليه النعمان رأى رجلا دميما أحمر ارش قصيرا فقال له اتكفيني اخوتك والعرب قال نعم وان عجزت عن اخوتي فانا عن غيرهم أعجز فملكه وكساه وألبسه تاجا قيمته ستون ألف درهم فقال عدي بن مرينا للاسود دونك فقد خالفت الرأي ثم صنع عدي بن زيد طعاما ودعا عدي بن مرينا اليه وقال اني عرفت ان صاحبك الاسود كان أحب اليك ان يملك من صاحبي النعمان فلا تملي علي شيئ كنت على مثله واني أحب ان لا تحقد علي وان نصيبي من هذا الامر ليس باوفر من نصيبك وحلف لابن مرينا ان لا يهجوه ولا يبغيه غائلة أبدا فقام ابن مرينا وحلف انه لا يزال يهجوه ويبغيه الغوائل وسار النعمان حتى نزل الحيرة وقال ابن مرينا للاسود اذا فاتك الملك فلا تعجز ان تطلب بثارك من عدي فان معدة الانسان مكرها وأمرته بمعصيته فخالفتني وأريد ان لا يأتيك من مالك شيئ الا عرضته علي ففعل وكان ابن مرينا كثير المال وكان لا يخلي النعمان يوما من هدية وطرفة فصار من أكرم الناس عليه وكان اذا ذكر عدي بن زيد وصفه وقال الا انه فيه مكر وخديعة واستمال أصحاب النعمان فمالوا اليه ووضعهم على ان قالوا للنعمان ان عدي بن زيد يقول انك عاجز ولم يزالوا بالنعمان حتى اضغنوه عليه فارسل الى عدي يستزيره فاستأذن عدي كسرى في ذلك فاذن له فلما أتاه لم ينظر اليه حتى حبسه ومنع من الدخول عليه فجعل عدي يقول الشعر وهو في السجن وبلغ النعمان قوله فندم على حبسه اياه وخاف منه اذا اطلقه فكتب عدي الى أخيه أبي أبيا يعلمه بحاله فلما قرأ أبيه وكتابه كلم كسرى فيه فكتب الى النعمان وأرسل رجلا في اطلاق عدي وتقدم أخو عدي الى الرسول بالدخول الى عدي قبل النعمان ففعل ودخل على عدي وأعلمه انه أرسل لاطلاقه فقال له عدي لا تخرج من عندي وأعطني الكتاب حتى أمزقه فانك ان خرجت من عندي قتلني فلم يفعل ودخل أعداء عدي على النعمان فاعلموه الحال وخوفوه من اطلاقه فارسلهم اليه فخنقوه ثم دفنوه وجاء الرسول فدخل على النعمان بالكتاب فقال نعم وكرامة وبعث اليه باربعة آلاف مثقال وجارية وقال اذا أصبحت ادخل اليه فخذه فلما أصبح الرسول غدا الى السجن فلم ير عديا وقال له الحرس انه مات منذ ايام فرجع الى النعمان وأخبره انه رآه بالامس ولم يره اليوم فقال كذبت وزاده رشوة واستوثق منه ان لا يخبر كسرى الا انه مات قبل وصوله الى النعمان قال وندم النعمان على قتله واجترأ أعداء عدي على النعمان وهابهم هيبة شديدة فخرج النعمان في بعض صيده فرأى ابنا لعدي يقال له زيد فكلمه وفرح به فرحا شديدا واعتذر اليه من أمر أبيه وسيره الى كسرى وصيه له وطلب اليه ان يجعله مكان أبيه ففعل كسرى وكان يلي ما يكتب الى العرب خاصة وسأله كسرى عن النعمان فاحسن الثناء عليه وأقام عند الملك سنوات بمنزلة أبيه وكان يكثر الدخول على كسرى وكان للملوك الاعاجم صفة للنساء مكتوبة عندهم وكانوا يبعثون في طلب من يكون على هذه الصفة من النساء ولا يقصدون العرب فقال له زيد بن عدي اني أعرف عند عبدك النعمان من بناته وبنات عمه أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة قال فتكتب فيهن قال أيها الملك ان شرشئ في العرب وفي النعمان انهم يتكرمون بانفسهم عن الهجم فانا أكره ان يتعنتهن وان قدمت أنا عليه لم يقدر على ذلك فابعثني وأبعث معي رجلا يفقه العربية فبعث معه رجلا جلدا فخرجا حتى بلغا الحيرة ودخلا على النعمان قال له زيد ان الملك احتاج الى نساء لاهله وولده وأراد كرامتك فبعث اليك قال وما هؤلاء النسوة قال هذه صفتهن قد حشابها وكانت الصفة ان المنذر أهدى أنوشروان جارية أصابها عند الغارة على الحرث بن أبي شمر الغساني وكتب بصفتها أنها

دابة يخرج منها على الارض شبر من قوائمها اتفادى قرن الشمس من مبدا طلوعها الى حال غروبها فعبر على ما وصفنا من تعلقه بشعرها البحر ودار بدورانها طلبا لعين الشمس حتى صار الى ذلك الجانب فرأى النيل منحدرا من قصور الذهب من الجنة وأعطاه الملك العنقود العنب وأنه أتى الرجل الذي رآه في ذهابه ووصف له كيف يفعل في وصوله الى مبدا النيل فوجده ميتا وخبرا بليس معه والعنقود العنب وغير ذلك من خرافات حشوية عن أصحاب الحديث ومنها ما روى ان قبة من الذهب وأنواع الجوهر في وسط البحر الاخضر على أربعة أركان من الياقوت الاحمر يتحدر من كل ركن من هذه الاركان ماء عظيم من رشحه فيقسم الى جهات أربع في ذلك البحر الاخضر غير مخالط له ولا ممتاس به ثم ينتهي الى جهات من البر من سوا حل ذلك البحر أحدها النيل والثاني سيحان والثالث جيحان والرابع الفرات ومنها ان الملك الموكل بالصور يضع عقبه في أقصى بحر الصين فيفور منه البحر فيكون منه المد ثم يرفع عقبه من البحر فيرجع الماء الى مركزه

معتدلة الخلق نقية اللون والثغر بيضاء وطفاء قراء دعجاء حوراء عيناء قنواء شهماء شمراء زجاء برجاء
اسيلة الخد شهية القد جثيلة الشعر بعيدة مهوى القرط عيطاء عربضة الصدر كاعب الندى
ضخمة مشاشة المنكب والعضد حسنة المعصم لطيفة الكف سبطة البنان لطيفة طي البطن
خميصة الخصر غرثى الوشاح رداح القبل رابية الكفل لفاء الفخذين ريا الروادف ضخمة المكبين
عظيمة الركبة مفعمة الساق مشبعة الخلخال لطيفة الكعب والقدم قطوف المشي مكسال الضحى
بضة المتجرد سمو - للسيد ليست بخلساء ولا سفعاء ذليلة الانف عزيزة البقر لم تعد في بؤس حنينة
رزينة زكية كريمة الخال تفتخر بنسب أبيها دون فضيلتها وبفضيلتها دون جماع قبيلتها قد أحكمتها
الامور في الادب فرأيها رأي أهل الشرف وعملها عمل أهل الحاجة صناع الكفين قطيعة اللسان
زهرة الصوت تزين البيت وتشين العدو ان أردتها اشتهت وان تركتها انتهت تحمق عيناها وتحمر
خداها وتدبدب شعتاها وتبادرك الوثب فتبلها كسرى وأمر باثبات هذه الصفة فبقيت الى
أيام كسرى بن هرمز فقر أزيد هذه الصفة على النعمان وشق ذلك عليه وقال لزيد والرسول
يسمع ما في عين السواد وفارس ما تبلغون حاجتكم فقال الرسول لزيد ما العين قال البقر وأنزلهما
يومين وكتب الى كسرى ان الذي طلب الملك ليس عندي وقال لزيد اعذرني عنده فلما عاد الى
كسرى قال لزيد أين ما كنت أخبرتني قال قد قلت للملك وعرفته بخلهم بنسائهم على غيرهم وان ذلك
لشقائهم وسوء اختيارهم وسل هذا الرسول عن الذي قال فاني أكرم الملك عن ذلك فسأل الرسول
فقال انه قال ما في بقر السواد ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا فعرف الغضب في وجهه ووقع في قلبه
وقال رب عبد قد أراد ما هو أشد من هذا فصار أمره الى التباب وبلغ هذا الكلام النعمان وسكت
كسرى على ذلك أشهرا والنعمان يستعد حتى أتاه كتاب كسرى يستدعيه فحين وصل الكتاب
أخذ سلاحه وما قوي عليه ثم لحق بجبلي طيئ وكان قد تزوج اليهم وطلب منهم ان يمنعوه فأبوا عليه
خوفا من كسرى فاقبل وليس أحد من العرب يقبله حتى نزل في ذي قار في بني شيبان سرا فلقي
هانئ بن مسعود بن عمرو الشيباني وكان سيد اهل البيت من ربيعة في آل ذي الجدين لقيس
ابن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجدين وكان كسرى قد أطعمه الابلة فكره النعمان ان يدفع
اليه أهله لذلك وعلم أن هانئا يمنعه مما يمنع منه أهله فأودعه أهله وماله وفيه أربعمائة درع وقيل
ثمانمائة درع وتوجه النعمان الى كسرى فلقي زيد بن عدي على قنطرة ساباط فقال ايخ نعيم فقال
أنت يا زيد فعلت هذا أما والله لئن انفلت لاعلن بك ما فعلت يا بيك فقال زيد امض نعيم فقد والله
وضعت لك أخية لا يقطعها المهر الارن فلما بلغ كسرى انه بالباب بعث اليه فقيده وبعث به الى
خانقين حتى وقع الطاعون فمات فيه قال والناس يظنون انه مات بساباط ببيت الاعشى وهو يقول

فداك وما ينجي من الموت ربه * بساباط حتى مات وهو محرزق

وكان موته قبل الاسلام فلما مات استعمل كسرى اياس بن قبيصة الطائي على الحيرة وما كان عليه
النعمان وكان كسرى اجتاز به لما سار الى ملك الروم فاهدى له هدية فشكر ذلك وأرسل اليه
فبعث كسرى بان يجمع ما خلفه النعمان ويرسله اليه فبعث اياس الى هانئ بن مسعود الشيباني
يامره بارسال ما استودعه النعمان فأبى هانئ ان يسلم ما عنده فلما أبى هانئ غضب كسرى وعنده
النعمان بن زرعة النغلبي وهو يحب هلاك بكر بن وائل فقال لكسرى أمهلهم حتى يقيظوا
ويتساقطوا على ذي قار تساقط الفراش في النار فتأخذهم كيف شئت فصبر كسرى حتى جاؤا نحو
ذي قار فارسل اليهم كسرى النعمان بن زرعة يخبرهم واحدة من ثلاث اما ان يعطوا بايديهم واما أن

ويطلب قعره فيكون
الجزر ومثل ذلك بانائه فيه
ماء في مقدار النصف منه
فيضع الانسان يده أو رجله
فيملأ الماء الاناء فاذا رفعها
رجع الماء الى حقه وانتهى
الى غايته ومنهم من رأى
ان الملك يضع ابهامه من
كفه اليمنى في البحر فيكون
منه المد ثم يرفعها فيكون
الجزر وماذكرنا فغير ممتنع
كونه ولا واجب وهو داخل
في حيز الممكن والجائزان
طريقه في النقل طريق
الافراد والآحاد ولم يرد
مورد التواتر والاستفاضة
كالاخبار الموجبة للعلم
والعلل القاطعة للعذر في
النقل فان قارنها دلائل
توجب صحتها وجب التسليم
لها والانقياد الى ما أوجب
الله عز وجل علينا من
اخبار الشريعة والعمل
بها لقوله عز وجل وما
آتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا وان لم
يصح ما ذكرنا فقد وصفنا
آنفا ما قال الناس في ذلك
ليعلم من قرأ هذا الكتاب
أنا قد اجتهدنا فيما أوردنا
في هذا الكتاب وغيره مما
كتبنا ولم يغرب عنا فهم ما
قاله الناس في سائر ما ذكرنا
وبالله التوفيق فهذه جمل
البحار وعند أكثر الناس
انها أربعة في المعمور من
الارض ومنهم من يعدها

يتركوا ديارهم واما أن يحاربوا فولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة العجلي فاشار بالحرب فآذنوا الملك بالحرب فارسل كسرى اياس بن قبيصة الطائي أمير الجيش ومعه مرازبة الفرس والهامرز النسوي وغيره من العرب تغلب واياد وقيس بن مسعود بن قيس بن ذي الجدين وكان على طف سفوان فارسل الفيول وكان قد بعث النبي صلى الله عليه وسلم فقسم هانئ بن مسعود دروع النعمان وسلاحه فلما دنت الفرس من بني شيبان قال هانئ بن مسعود يا معشر بكر لا طاقة لكم بهذا فقال كسرى فاركبوا الى الثلاثة فسارع الناس الى ذلك فوثب حنظلة بن ثعلبة العجلي وقال يا هانئ أردت نجاءنا فالقيتنا في الهلكة ورد الناس وقطع وضن الهوادج وهي الحزم للرحال فسمي مقطع الوضن وضرب على نفسه قبة وأقسم ان لا يفر حتى تفر القبة فرجع الناس واستقوا ماء لنصف شهر فاتتهم العجم وقاتلهم بالحنود فانهزمت العجم خوفا من العطش الى الجبابات فتبعتهم بكر وعجل وأبلت يومئذ بلاء حسنا اصطفت عليهم جنود العجم فقال الناس هلكت عجل ثم حملت بكر فوجدت محلا تقاتل وامرأة منهم تقول

ان تظفروا تحرزوا فينا الغزل * أيها فداء لكم بني عجل

فقاتلوهم ذلك اليوم ومالت العجم الى بطحاء ذي قار خوفا من العطش فارسلت اياد الى بكر وكانوا مع الفرس وقالوا لهم ان شئتم هربنا الليلة وان شئتم أقمنا ونفر حين تلاقون الناس فقال بل تقيمون وتنهزمون اذا التقينا وقال زيد بن حسان السكوني وكان حليفا لبني شيبان أطيعوني واكمنوا لهم ففعلوا ثم تقاتلوا وحرض بعضهم بعضا وقالت ابنة الاثرين الشيبانية

أيها بني شيبان صفا بعد صف * ان تهزموا نضيع وفينا القلف

فقطع سبعمائة من بني شيبان أيدي أقيتهم من مناكبهم لتخف أيديهم لضرب السيوف فحالدوهم وبارز الهامرز فبرز اليه بردبن حارثة اليشكري فقتله بردثم حملت ميسرة بكر وميمنتها وخرج الكمين فشدوا على قلب الجيش وفيهم اياس بن قبيصة الطائي وولت اياد منهزمة كما وعدتهم فانهزمت الفرس واتبعتهم بكر تقتل ولا تلتفت الى سلب ولا غنيمة وقال الشعراء في وقعة ذي قار فاكثروا

﴿ ذكر ملوك الحيرة بعد عمرو بن هند ﴾

قد ذكرنا من ملك من آل نصر بن ربيعة الى هلاك عمرو بن هند فلما هلك عمرو وملك موضعه أخوه قابوس بن المنذر اربع سنين من دلك أيام أو شهر وان ثمانية أشهر وفي أيام هرمز ثلاث سنين وأربعة أشهر ثم ولي بعد قابوس السهراب ثم ملك بعده المنذر بن النعمان أربع سنين ثم ولي بعده النعمان ابن المنذر أبو قابوس اثنتين وعشرين سنة من ذلك في زمان هرمز سبع سنين وثمانية أشهر وفي زمان ابنه أبرويز أربع عشرة سنة وأربعة أشهر ثم ولي اياس بن قبيصة الطائي ومعه الضبيحان في زمان كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر من ولاية اياس بعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم ولي أزاد به ابن ماسبان الهمذاني سبع عشرة سنة من ذلك في زمان كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر وفي زمان شيرويه بن كسرى ثمانية أشهر وفي زمن أردشير بن شيرويه سنة وسبعة أشهر وفي زمن بوران دخت ابنة كسرى شهرا ثم ولي المنذر بن النعمان بن المنذر وهو الذي يسميه العرب المغرور الذي قتل بالبحرين يوم جواثى وكانت ولايته الى ان قدم عليه خالد بن الوليد الحيرة ثمانية أشهر وكان آخر من بقي من آل نصر وانقرض ملكهم مع انقراض ملك فارس فجميع ملوك آل نصر فيما زعم هشام عشرون ملكا ملكوا خمسمائة سنة

حسة ومنهم من يجعلها ستة ومنهم من يرى أنها سبعة منفصلة غير متصلة وعلى انها اسنة فاولها البحر الحبشي ثم الرومي ثم بيطش ثم مانطش ثم الخزري ثم اقيانوس الذي لا يعلم أكثر نهاياته وهو الاخضر المظلم المحيط وبحر بيطش متصل ببحر مانطش ومنه خليج القسطنطينية الذي يصب الى بحر الروم ويتصل به على حسب ما ذكرنا والروم بدؤه من بحر اقيانوس الاخضر فيجب على هذا القياس ان يكون ماوصفنا بحرا واحدا لاتصال مياهها وليست هذه المياه ولا شئ منها والله أعلم متصلة بشئ من بحر الحبش فبحر بيطش وبحر مانطش يجب أن يكونا أيضا بحرا واحدا وان تضايق البحر في بعض المواضع بينهما أو صار بين الماءين كالخليج وليست تسمية ما اتسع منه وكثر ماؤه بحر مانطش وما ضاق منه وقل ماؤه ببيطش ينبغي ان تجمعهما في اسم مانطش أو بيطش فاذا عبرنا بعد هذا الموضع في مبسوط هذا الكتاب فقلنا مانطش أو بيطش فانما نريد به هذا المعنى فيما اتسع من البحر وضاق (قال المسعودي)

واثنتين وعشرين سنة وثمانية أشهر

﴿ ذكر المرزبان وولايته اليمن من قبل هرمز ﴾

قال هشام استعمل كسرى هرمز المرزبان بعد عزل زرين عن اليمن وأقام باليمن حتى ولد له فيها ثم ان أهل جبل يقال له المضايع منعوه الخراج فقصدهم فرأى جبلهم لا يقدر عليه لحصانته وله طريق واحد يحميه رجل واحد وكان يحاذي ذلك الجبل جبل آخر وقد قارب هذا الجبل فاجرى فرسه فعبر به ذلك المضيق فلما رأته حمير قالوا هذا شيطان وملك حصنهم وأدوا الخراج وأرسل الى كسرى يعلمه فاستدعاه اليه فاستخلف ابنه خرخسره على اليمن وسار اليه فمات في الطريق وعزل كسرى خرخسره عن اليمن وولى باذان وهو آخر من قدم اليمن من ولاة العجم

﴿ ذكر قتل كسرى ابرويز ﴾

كان كسرى قد طغى لكثرة ماله وما فتحه من بلاد العدو ومساعدة الاقدار وشره على أموال الناس ففسدت قلوبهم وقيل كانت له اثنا عشر ألف امرأة وقيل ثلاثة آلاف امرأة يطؤهن وألوف جوار وكان له خمسون ألف دابة وكان أرغب الناس في الجوهر واللآلئ وغير ذلك وقيل انه أمر ان يحصى ما جبي من خراج بلاده في سنة ثمان عشرة من ملكه فكان من الورق مائة ألف الف مثقال وعشرون الف الف مثقال وانه احتقر الناس وأمر رجلا اسمه راذان بقتل كل مقيد في سجونه فبلغوا ستة وثلاثين ألفا فلم يقدم راذان على قتلهم فصار وأعداءه وكان أمر بقتل المنهزمين من الروم فصار وأيضا أعداءه واستعمل رجلا على استخلاص بواقي الخراج فعسف الناس فظلمهم ففسدت نياتهم ومضى ناس من العظماء الى بابل فاحضروا ولده شيرويه بن ابرويز فان كسرى كان قد ترك أولاده بها ومنعهم من التصرف وجعل عندهم من يؤدبهم فوصل الى بهرشير فدخلها ليلا فاخرج من كان في سجونها واجتمع اليه أيضا الذين كان كسرى أمر بقتلهم فنادوا بقيادشاه شاه وسار واحين أصبحوا الى رحبة كسرى فهرب حرسه وخرج كسرى الى بستان قريب من قصره هاربا فاخذ أسيرا وملكوا ابنه فارسل الى أبيه يقرعه بما كان منه من قتله النرس وساعدهم ابنه وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة ومضى اثنتين وثلاثين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة قيل وكان لكسرى ابرويز ثمانية عشر ولدا وكان أكبرهم شهريار وكانت شيرين قد تبنته فقال المنجمون لكسرى انه سيولد لبعض ولدك غلام يكون خراب هذا المجلس وذهاب الملك على يديه وعلامته نقص في بعض بدنه فمنع ولده عن النساء لذلك حتى شكا شهريار الى شيرين الشبق فارسلت اليه جارية كانت تجسمها وكانت تظن انها لا تلد فلما وطئها علقت بيزدجرد فكتمته خمس سنين ثم انها رأت من كسرى رقة للصبيان حين كبر فقالت أيسرك ان ترى ابعض بنيك ولدا قال نعم فاتته بيزدجرد فاحبه وقربه فبيناهو يلعب ذات يوم ذكر ما قيل فأمر به فجرد من ثيابه فرأى النقص في أحد وركيه فاراد قتله فمنعته شيرين وقالت ان كان الامر في الملك قد حضر فلا مرد له فامرت به فحمل الى سجستان وقيل بل تركته في السواد في قرية يقال لها خانية ولما قتل كسرى ابرويز هرمز ملك ابنه شيرويه

﴿ ذكر ملك كسرى شيرويه بن ابرويز بن هرمز بن انوشروان ﴾

لما ملك شيرويه بن ابرويز وأمه مريم ابنة موريق ملك الروم واسمه قباذ دخل عليه العظماء والاشراف فقالوا له لا يستقيم أن يكون لنا ملكان فاما ان تقتل كسري ونحن عبيد لك واما ان تخلعه

وقد غلط قوم زعموا ان البحر الخزري يتصل ببحر مانطش ولم أر فيمن دخل بلاد الخزر ممن اتصل بها بحر من هذه البحار أو بشيء من مائها أو من خلجانها الا من نهر الخزر وسنذكر ذلك عند ذكر باب الجبل الفتح ومدينة الباب والابواب ومملكة الخزر وكيف دخل الروس في المراكب الى بحر الخزر وذلك بعد الثلثمائة ورأيت أكثر من تعرض لوصف البحار ممن تقدم وتأخر يذكرون في كتبهم ان خليج القسطنطينية الآخذ من نيطش يتصل ببحر الخزر ولست أدري كيف ذلك ومن أين قالوه أمن طريق الحدس أم من طريق الاستدلال والقياس وقد ركبت فيه من اسكون وهو ساحل جرجان الى بلاد طبرستان وغيرها ولم أترك من شاهدت في البحار ممن له أدب وفهم ومن لا فهم عنده من أرباب المراكب الا سألته عن ذلك وكل يخبر أن لا طريق له اليها الا من بحر الخزر حيث دخلت منه مراكب الروس ونفر من أهل اذربيجان والباب والابواب وبردعة والديلم والجبل وجرجان وطبرستان اليها لانهم لم

ونطيعه فانكسر شيرويه وقتل أباه من دار الملك الى موضع آخر حبسه فيه ثم جمع العظماء وقال قد رأينا الارسال الى كسرى بما كان من اساءته ونوقفه على أشياء منها فارسل اليه رجلا يقال له سباد خشنش كان يلي تدبير المملكة وقال له قل لابينا الملك عن رسالتنا ان سوء أعمالك فعل بك ماترى منها جرأتك على أبيك وسملك عينيه وقتلك اياه ومنها اساءتك الى صنيعك الينا معشر أبنائك في منعنا من مجالسة الناس وكل ما لنا فيه دعة ومنها اساءتك الى من خلدت في السجون ومنها اساءتك الى النساء تأخذهن لنفسك وتركك العطف عليهن ومنعهن ممن يعاشرهن ويرزقن منه الولد ومنها ما أتيت الى رعيتك عامة من العنف والغلظة والتظاظة ومنها جمع الاموال في شدة وعنف من أربابها ومنها تجميرك الجنود في ثغور الروم وغيرها وتفريقك بينهم وبين أهليهم وضاغدرك بصورية ملك الروم مع احسانه اليك وحسن بلائه عندك وتزويجه اياك بابنته ومنعك اياه خشبة الصليب التي لم يكن بك ولا باهل بلادك اليها حاجة فان كان لك حجة تذكرها فافعل وان لم يكن لك حجة فتب الى الله تعالى حتى يأمر فيك بأمره قال فجاء الرسول الى كسرى ابرويز فادى اليه الرسالة فقال ابرويز قل عني لشيرويه القصير العمر لا ينبغي لاحد ان يتوب من أجل الصغير من الذنب الا بعد ان يتيقنه فصلا عن عظيم مما ذكرت وكثرت منا ولو كنا كما تقول لم يكن لك أيها الجاهل ان تنشر عنا مثل هذا التعظيم الذي وجب علينا القتل لما يلزمك في ذلك من العيوب فان قصاة أهل ملتك يفتون ولد المستوجب للقتل من أبيه وينفونه من مضامة الاخيار ومجالستهم فضلا عن أن يملك مع انه قد بلغ منا بحمد الله من اصلاحنا أنفسنا وأبناءنا ورعيتنا ما ليس في شيء منه تقصير ونحن نشرح الحيل فيما لزمنا من الذنوب لترداد علما بجهالتك فمن جوابنا ان الاشرار أغروا كسرى هرمز والدنا بنا حتى اتهمنا فرأينا من سوء رأيه فينا ما يخوف فاعتزلنا بابه الى أذربيجان وقد استفاض ذلك فلما انتهك منه ما انتهك شخصنا الى بابه فهجم لما فوق بهرام علينا فاجلانا عن المملكة فسرنا الى الروم وعدنا الى ملكنا واستحكم أمرنا فبدأنا بأخذ الثار ممن قتل أبانا وأشرك في دمه وأما ما ذكرت في أبنائنا فاننا وكلنا بكم من يكفكم عن الانتشار فيما لا يعنيكم فتأذى بكم الرعية والبلاد وكنا أقمنا لكم النفقات الواسعة وجميع ما تحتاجون اليه وأما أنت خاصة فان المنجمين قصوا في مولدك انك تغرب علينا وان يكون ذلك بسببك وان ملك الهند كتب اليك كتابا وأهدى لك هدية فقرأنا الكتاب فاذا هو يبشرك بالملك بعد ثمان وثلاثين سنة من ملكنا وقد ختمنا على الكتاب وعلى مولدك وهما عندنا شيرين فان أحببت ان تقرأهما فافعل فلم يمنعنا ذلك عن برك والاحسان اليك فضلا عن قتلك وأما ما ذكرت عمن خلدناه في السجون فجوابنا انا لم نحبس الا من وجب عليه القتل أو قطع بعض الاطراف وقد كان الموكلون بهم والوزراء يأمرونا بقتل من وجب قتله قبل أن يحتالوا لانفسهم فكنا نحبنا الاستبقاء وكراهتنا سفك الدماء نتأنى بهم ونكل أمرهم الى الله تعالى فان أخرجتهم من محابسهم عصيت ربك ولتجدن غب ذلك وأما قولك انا جمعنا الاموال وأنواع الجواهر والامتعة باعنف جمع وأشد الحاح فاعلم أيها الجاهل انه انما يقيم الملك بعد الله تعالى الاموال والجنود وخاصة ملك فارس الذي قد اكتنفه الاعداء ولا يقدر على كفهم وردعهم عما يريدونه الا بالجنود والاسلحة والعدد ولا سبيل الى ذلك الا بالمال وقد كان أسلافنا جمعوا الاموال والسلاح وغير ذلك فاغار المسلمون بهرام ومن معه على ذلك الا اليسير فلما ارتجعنا ملكنا واذعن لنا الرعية بالطاعة أرسلنا الى نواحي بلادنا أصبهبذ وقارن وسانبن فكفوا الاعداء وأغاروا على بلادهم ووصل الينا غنائم

بلادهم

يتهددوا غدوا يطرأ عليهم ولا عرف ذلك فيما سلف وما ذكرناه مشهور فيما سمعناه من الامصار والامم والبلدان سألك مسألك الاستفاضة فهم ورأيت في بعض الكتب المضافة الى الكندي وليذه وهو أحمد بن الطيب السرخسي صاحب المعتضد بالله ان في طرف البحيرة من الشمال بحيرة عظيمة بعضها تحت قطر الشمال وان بقربها مدينة ليس بعدها عمارة ويقال لها نولية ولقد رأيت لبني المنجم في بعض رسائلهم ذكر هذه البحيرة وقد ذكر أحمد بن الطيب في رسالته في البحار والمياه والجبال عن الكندي أن بحر الروم طوله ستة آلاف ميل من بلاد صور وطرابلس وانطاكية واللاذقية والمنقب وساحل المصيصة وطرسوس وقلمية الى منار هرقل وان أعرض موضع فيه أربعمائة ميل هذا قول الكندي وابن الطيب وقد أتينا على قول الفريقين جميعا وما بينهما من الخلاف في ذلك من أصحاب الزيجات وما وجدناه في كتبهم وسمعناه من أنبائهم ولم نذكر ما ذكروه من البراهين المؤيدة لما وصفوا الاشتراطنا في هذا الكتاب على أنفسنا الاختصار والايجاز وأما

بلادهم من أصناف الاموال والامتعة مالا يعلمه الا الله تعالى وقد بلغنا انك هممت بتفريق هذه الاموال على رأى الاشرار المستوجبين للقتل ونحن نعلمك أن هذه الاموال لم تجتمع الا بعد الكد والتعب والمخاطرة بالنفوس فلا تفعل ذلك فانها كهف ملكك وبلادك وقوة على عدوك فلما انصرف اسباد خشنش الى شيرويه قص عليه جواب أبيه ثم ان عظماء الفرس عادوا الى شيرويه فقالوا اما ان تأمر بقتل أبيك واما أن نطيعه ونخلعك فأمر بقتله على كره منه وانتدب لقتله رجالا ممن وترهم كسرى ابرويز وكان الذى باشر قتله شاب يقال له مهرهرمز بن مردانشاه من ناحية نيمروذ فلما قتل شق شيرويه ثيابه وبكى ولطم وجهه وحملت جنازته وتبعها العظماء واشراف الناس فلما دفن أمر شيرويه بقتل مهرهرمز قاتل أبيه وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة ثم ان شيرويه قتل اخوته فهلك منهم سبعة عشر أخا ذوى شجاعة وأدب بمشورة وزيره فيروز وابتلى شيرويه بالامراض ولم يلتذ بشئ من الدنيا وكان هلاكه بدسكرة الملك وجزع بعد قتل اخوته جزعا شديدا ويقال انه لما كان اليوم الثانى من قتل اخوته دخلت عليه بوران وازرميدخت اختاه فاغلظتا له وقالتا حملك الحرص على الملك الذى لا يتم لك على قتل أبيك واخوتك فلما سمع ذلك بكى بكاء شديدا ورمى التاج عن رأسه ولم يزل مهموما مدنفا ويقال انه أباد من قدر عليه من أهل بيته وفشا الطاعون فى أيامه وهلك من الفرس أكثرهم ثم هلك هو وكان ملكه ثمانية أشهر

﴿ ذكر ملك اردشير ﴾

وكان عمره سبع سنين فلما توفى شيرويه ملك الفرس عليهم ابنه اردشير وحضنه رجل يقال له بهادر جسنس مرتبته رياسة أصحاب المائدة فاحسن سياسة الملك فبلغ من احكامه ذلك مالم يحس معه بحداثة سن اردشير وكان شهريرار يثغر الروم فى جند سمهم اليه كسرى ابرويز وكان قد صلح له بعده ما فعل بالروم مما ذكرنا وكان ينفذ له الخلع والهدايا وكان ابرويز شيرويه يكاتبانه ويستشيرانه فلما لم يشاوره عظماء الفرس فى قتل اردشير اتخذ ذلك ذريعة الى النعت وبسط يده فى القتل وجعله سببا للطمع فى الملك احتقارا لاردشير لصغر سنه فاقبل بجنده نحو المدائن فتحول اردشير وبهادر جسنس ومن بقى من نسل الملك الى مدينة طيسفون فحاصرهم شهريراز ونصب عليهم المجانيق فلم يظفر بشئ فاتاهم من قبل المكيدة فلم يزل يخدع رئيس الحرس واصبهبد نيمروذ حتى فتح له باب المدينة فدخلها وقتل جماعة من الرؤساء وأخذ اموالهم وقتل بعض أصحاب اردشير فى ايوان خسروشاه فبادر بأمر شهريراز وكان ملكه سنة وستة أشهر

﴿ ذكر ملك شهريراز ﴾

ولم يكن من بيت الملك لما قتل اردشير جلس شهريراز واسمه فرخان لى تحت المملكة فحين جلس تغرب عليه بطنه فاشتد ذلك ثم عوفى وتعاهد ثلاثة اخوة من أهل اصطخر على قتله غضبا لقتل اردشير وكانوا فى حرسه وكان الحرس يقفون سماطين اذا ركب الملك عليهم السلاح وبأيديهم السيوف والرماح فاذا حاذى الملك بعضهم وضع جبهته على ترسه فوق الترس كهيئة السجود فركب شهريراز يوما فوقف الاخوة الثلاثة بعضهم قريب من بعض فلما حاذاهم طعنوه فسقط ميتا فشدوا فى رجله حبلا وجروه وساعدهم بعض العظماء وتساعدوا على قتل جماعة قتلوا اردشير وكان جميع ملكه أربعين يوما

﴿ ذكر ملك بوران ابنة ابرويز بن هرمز بن أنوشروان ﴾

لما قتل شهريراز ملكت الفرس بوران لانهم لم يجدوا من بيت المملكة رجلا يملكونه فلما

ما تنازع فيه المتقدمون من أوائل اليونانيين والحكماء المتقدمين فى مبادئ كون البحار وعللها فقد أتينا على مبسوطه فى كتابنا أخبار الزمان فى الفن الثانى من جملة الثلاثين فناوقد ذكرنا قول كل فريق منهم وعزونا كل قول من ذلك الى قائله ولم نخل هذا الكتاب من ايراد لمع من قولهم وذهبت طائفة منهم الى ان البحر بقية من الرطوبة الاولى التى جفف أكثرها جوهر النار وما بقى منها استحال لاحتراقه ومنهم من قال ان الرطوبة الاولى المجتمعة لما احترقت بدوران الشمس وانعصر الصفو منها استحال الباقى الى ملوحة ومرارة ومنهم من رأى ان البحار عرق تعرقه الارض لما بها من احتراق الشمس لاتصال دورها ومنهم من رأى ان البحر هو ما بقى مما صفته الارض من الرطوبة الثانية لغلظ جسمها كما يعرض فى الماء العذب اذا مرح بالزيادة فانه اذا صفا من الزيادة وجد ما الحابعد ان كان عذبا وذهب آخرون ان الماء عذب وملحه كانا ممتزجين فالشمس ترفع لطيفه وعذبه لخفته وبعضهم قال ترفعه الشمس لتعتدى به وقال بعضهم بل

ملكت أحسنت السيرة فى رعيتها وعدلت فيهم فاصلحت القناطر ووضعت مابقى من الخراج وردت خشبة الصليب على ملك الروم وكانت مملكتها سنة وأربعة أشهر ثم ملك بعدها رجل يقال له خشنشبنده من بنى عم ابرويز الابعدين وكان ملكه أقل من شهر وقتله الجند لانهم أنكروا سيرته

﴿ذكر ملك ارزميدخت ابنة ابرويز﴾

لما قتل خشنشبنده ملكت الفرس ارزميدخت ابنة ابرويز وكانت من أجمل النساء وكان عظيم الفرس يومئذ فرخزرمز اصبهبذ خراسان فارسل اليها يخطبها فقالت ان التزوج للملكة غير جائز وغرضك قضاء حاجتك منى فصر الىّ وقت كذا ففعل وسار اليها تلك الليلة فتقدمت الى صاحب حرسها أن يقتله فقتله وطرح فى رحبة دار المملكة فلما أصبحوا رأوه قتيلا فغيبوه وكان ابنه رستم وهو الذى قاتل المسلمين بالقادسية خليفة أبيه بخراسان فسار فى عسكر حتى نزل بالمدائن وسمل عينى ارزميدخت وقتلها وقيل بل سمت وكان ملكها ستة أشهر قيل ثم أتى رجل يقال له كسرى ابن مهرجسنس من عقب اردشير بن بابك كان ينزل الاهواز فملكه العظماء ولبس التاج وقتل بعد أيام وقيل ان الذى ملك بعد ارزميدخت خرزاد خسرو من ولد ابرويز وأمه كردية أخت بسطام قيل وحد بحصن الحجارة بقرب نصيبين فمكث أياما يسيرة ثم خلعوه وقتلوه وكان ملكه ستة أشهر وقال الذين قالوا ملك كسرى بن مهرجسنس انه لما قتل طلب عظماء الفرس من له نسب ببيت المملكة ولرمن النساء فأتوا برجل كان يسكن ميسان يقال له فيروز بن مهران جسنس ويسمى أيضا جسنسده أمه صهاربخت ابنة يزدانزان بن أنوشروان فملكوه وكان ضخم الرأس فلما توج قال ما أضيق هذا التاج فتطير وا من كلامه فقتلوه فى الحال وقيل كان قتله بعد أيام

﴿ذكر ملك يزدجرد بن شهريار بن ابرويز﴾

ثم ان الفرس اضطرب أمرهم ودخل المسلمون بلادهم فطلبوا أحدا من بيت المملكة ليملكوه ويقاتلوا بين يديه ويحفظوا بلادهم فظفروا بيزدجرد بن شهريار بن ابرويز باصطخر فاخذوه وساروا به الى المدائن فملكوه واستقر فى الملك غير ان ملكه كان كالخيال عند ملك أهل بيته وكان الوزراء والعظماء يدبرون ملكه لحداثة سنه وضعف أمر مملكة فارس واجترأ عليهم الاعداء وتطرقوا بلادهم وغزت العرب بلاده بعد ان مضى من ملكه سنتان وكان عمره كله الى أن قتل ثمانيا وعشرين سنة وبقى من أخباره ما نذكره ان شاء الله فى موضعه من فتوح المسلمين * هذا آخر ملوك الفرس ونذكر بعده التواريخ الاسلامية على سياقة سنى الهجرة ونقدم قبل ذلك الايام المشهورة للعرب فى الجاهلية ثم نأتى بعدها بالحوادث الاسلامية ان شاء الله تعالى

﴿ذكر أيام العرب فى الجاهلية﴾

لم يذكر أبو جعفر من أيامها غير يوم ذى قار وجذيمة الابرش والزباء وطسم وجديس وما ذكر ذلك لاحيث أنهم ملوك فاغفل ماسوى ذلك ونحن نذكر الايام المشهورة والوقائع المذكورة التى اشتملت على جمع كثير وقتال شديد ولم أعرج على ذكر غارات تشتمل على النفر اليسير لانه يكثر و يخرج عن الحصر فنقول وبالله التوفيق

﴿ذكر حرب زهير بن جناب الكلبى مع غطفان وبكر وتغلب وبنى القين﴾

كان زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة الكلبى أحد من اجتمعت عليه قضاعة وكان يدعى الكاهن لصحة رأيه وعاش مائتين وخمسين سنة أو قع فيها مائتى

يعود بالاستحالة ماء اذا صار بارتفاعه الى الموضع الذى يحصره البرد فيه و يكثفه ومنهم من ذكر ان الماء الذى هو اسطقس ما كان منه عن الهواء وما يعرض منه من البرد يكون حلوا وما كان منه فى الارض لما ينا له من الاحتراق والحرارة يكون مرا ومن أهل البحث من قال ان جميع الماء الذى يفيض الى البحر من جميع ظهور الارض و بطونها اذا صار الى تلك الحفرة العظيمة فهو مغاض من مغاص والارض تقذف اليه ما فيها من الموحشة والدلدان فى الماء من أجزاء النار التى تخرج اليه من بطون الارض ومن أجزاء النيران المختلطة برفعان لطائف الماء بارتفاعهما و بحرهما فاذا رفعا اللطائف صار منها ما يشبه المطر وكان ذلك دأبها وعادتها ثم يعود ذلك الماء ما لحالان الارض اذ كانت تعطيه الموحشة ولذلك يكون ماء البحر على كيل واحد ووزن واحد لان البحر يرفع الخفيف فيصير طلا وماء ثم تعود تلك الابدية سيولا وتطلب الحدور والقرار وتجرى فى أعماق الارض حتى تصير الى ذلك الغور فليس يضيع من ذلك الماء شئ ولا يبطل منه شئ والاعيان قائمة كما بدئت

وقعة وقيل عاش اربعمائة وخمسين سنة وكان شجاعا مظفرا يمون النقيبة وكان سبب غزاته غطفان ان بني بغيض بن ريث بن غطفان حين خرجوا من تهامة سار واباجمعهم فتعرضت لهم صداء وهي قبيلة من مذحج فقاتلوهم وبنو بغيض سائرون باهلهم وأموالهم فقاتلوهم عن حريمهم فظهروا على صداء وفتكوا فيهم فعزت بغيض بذلك وأثرت وكثرت أموالها فلما رأوا ذلك قالوا والله لنتخذن حرما مثل مكة لا يقتل صيده ولا يهاج عائذه فبنوا حرما وليه بنو مرة بن عوف فلما بلغهم ما أجمعوا عليه زهير بن جناب قال والله لا يكون ذلك أبدا وأنا حي ولا أخلي غطفان تتخذ حرما أبدا فنادى في قومه فاجتمعوا اليه فقام فيهم فذكر حال غطفان وما بلغه عنهم وقال ان أعظم مأثرة يدخرها هو وقومه ان يمنعوهم من ذلك فاجابوه فغزاهم غطفان وقاتلهم ابرح قتال وأشده وظفر بهم زهير وأصاب حاجته منهم وأخذ فارسا منهم في حرمهم فقتله وعطل ذلك الحرم ثم من على غطفان ورد النساء وأخذ الاموال وقال زهير في ذلك

فلم تصبرا لما غطفان لما * تلاقينا واحرزن النساء
فلولا الفضل ما مارجعتم * الى عذراء شيمتها الحياء
فدونكم ديونا فاطلبوها * وأوتارا ودونكم اللقاء
فانا حيث لا يخفى عليكم * لبوث حين يحتضر اللواء
فقد أضحى لحي بني جناب * فضاء الارض والماء الرواء
نفينا نخوة الاعداء عنا * بارماح آستنها ظماء
ولولا صبرنا يوم التقينا * لقينا مثل ما لقيت صداء
غداة تضرعوا لبني بغيض * وصدق الطعن للنوكى شفاء

واما حربه مع بكر وتغلب ابني وائل فكان سببها أن ابرهة حين طلع الى نجد أتاه زهير فاكرمه وفضله على من أتاه من العرب ثم أمره على بكر وتغلب ابني وائل فولهم حتى أصابتهم سنة فاشتد عليهم ما يطلب منهم من الخراج فاقام بهم زهير في الحرب ومنعهم من الضعة حتى يؤدوا ما عليهم فكادت مواشيهم تهلك فلما رأى ذلك ابن زيابة أحد بني تيم الله بن ثعلبة وكان فاتكا أتى زهيرا وهو نائم فاعتمد التيمي بالسيف على بطن زهير فرفيها حتى خرج من ظهره مارقا بين الصفاق وسلمت امعاؤه وما في بطنه وظن التيمي انه قد قتله وعلم زهير انه قد سلم فلم يتحرك لئلا يجهز عليه فسكت فانصرف التيمي الى قومه فاعلمهم انه قتل زهيرا فسرهم ذلك ولم يكن مع زهير الا نفر من قومه فامرهم أن يظهروا أنه ميت وان يستأذنوا بكرا وتغلب في دفنه فاذا أذنوا دفنوا ثيابا ملفوفة وسار وا به مجدين الى قومه ففعلوا ذلك فاذنت لهم بكر وتغلب في دفنه فحفروا وعمقوا ودفنوا ثيابا ملفوفة لم يشك من رآها ان فيها ميتا ثم سار وا مجدين الى قومهم فجمع لهم زهير الجموع وبلغهم الخبر فقال ابن زيابة

طعنة ما طعنت في غلس الليـ * ـل زهيرا وقد توافى الخصوم
حين يحمي له المواسم بكر * أين بكر وأين منها الحلوم
خاتني السيف اذ طعنت زهيرا * وهو سيف مضلل مشؤوم

وجمع زهير من قدر عليه من أهل اليمن وغزا بكرا وتغلب وكانوا علموا به فقاتلهم قتالا شديدا انهزمت به بكر وقاتلت تغلب بعدها فانهزمت أيضا واسر كليب ومهلهل ابنا ربيعة وأخذت الاموال وكثرت القتلى في بني تغلب وأسر جماعة من فرسانهم ووجوههم فقال زهير في ذلك من قصيدة

غرف من نهر وصب الى حفرة تفيض الى ذلك النهر وقد شبه ذلك قوم باعضاء الحيوان اذا اغتذت وعملت الحرارة في غذائها فاجتذبت منه ماء عذبا الى الاعضاء المغتذية به وخلفت ما ثقل منه وهو المالح والمر فمن ذلك البول والعرق وهذه فضول الاغذية فيها ولما كانت عن رطوبات عذبة أحالتها الحرارة الى المرارة والملوحة وان الحرارة لو زادت أكثر من مقدارها صارت الفضول أمرار ائدا على ما يوجد من العرق والبول لوجود ما كل محترق مر هذا قول جماعة ممن تقدم وأما ما يوجد بالعيان وايقاع المحنة عند المباشرة فان كل الرطوبات ذوات الطعوم اذا صعدت بالقرع والانابيق بقيت روائحها وطعومها فيما يرتفع منها كالخل والنبيذ والورد والزعفران والقرنفل الا المالحة فانها تختلف طعومها وروائحها ولا سيما ان صعدت مرتين وأصغت مرة بعد أخرى وقد ذكر صاحب المنطق في هذا المعنى كلاما كثيرا من ذلك ان الماء المالح أثقل من الماء العذب وجعلت الدلالة على ذلك ان الماء المالح كدر غليظ والماء العذب صاف رقيق وانه

ابن ابن الفرار من حذر الموت اذا ينقون بالاسلاب
اذ أسرنا مهلهلا واخاه * وابن عمرو فى القيد وابن شهاب
وسبينا من تغلب كل بيضا * ء رقود الضحى برود الرضاب
حين تدعو مهلهلا بالبكر * هاء هذى حفيظة الاحساب
ويحكم ويحكم أين حماكم * يابنى تغلب أنا ابن رضاب
وهم هاربون فى كل فج * كشريد النعام فوق الروابى
واستدارت رحا المنايا عليهم * بلبوث من عامر وجناب
فهم بين هارب ليس ينجو * وقتيل معفر فى التراب
فضل العز عنا حين نسمو * مثل فضل السماء فوق السحاب

واما حربه مع بنى القين بن جسر فكان سببها ان أخت الزهير كانت متزوجة فيهم فجاء رسولها الى زهير ومعه صرة فيها رمل وصرة فيها شوك فقال زهير انها انخبركم انه يأتيكم عدو كثير ذو شوكة شديدة فاحملوا فقال الجلاح بن عوف السحيمى لانحتمل لقول امرأة فطعن زهير وأقام الجلاح وصبحه الجيش فقتلوا عامة قوم الجلاح وذهبوا باموالهم وماله ومضى زهير فاجتمع مع عشيرته من بنى جناب وبلغ الجيش خبره فقصدوه فقاتلهم وصبر لهم فهزمهم وقتل رئيسهم فانصرفوا عنه خائبين ولما طال عمر زهير وكبر سنه استخلف ابن أخيه عبد الله بن عليم فقال زهير يوما ألا ان الحى ظاعن فقال عبد الله ألا ان الحى مقيم فقال زهير من هذا المخالف على فقالوا ابن أخيك عبد الله بن عليم فقال أعدى الناس لمرء ابن أخيه ثم شرب الخمر فاحتى مات وممن شرب الخمر فاحتى مات عمرو بن كلثوم التغلبى وأبو عامر ملاعب الاسنة العامرى

﴿ذكر يوم البردان﴾

فكان من حديثه زياد بن الحمولة ملك الشام وكان من سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أغار على حجر بن عمرو بن معاوية بن الحرث الكندى ملك عرب بنجد ونواحى العراق وهو يلقب آكل المرار وكان حجر قد أغار فى كندة ورببعة على البحرين فبلغ زيادا خبرهم فسار الى أهل حجر وربيعة وأموالهم وهم خلوف ورجالهم فى غزاتهم المذكورة فاخذ الحريم والاموال وسبى منهم هند بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية وسمع حجر وكندة وربيعة بغارة زياد فعادوا عن غزوهم فى طلب ابن الحمولة ومع حجر أشراف ربيعة عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان وعمرو بن أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان وغيرهما فادركوا عمرا بالبردان دون عين أباغ وقد أمن الطلب فنزل حجر فى سفح جبل ونزلت بكر وتغلب وكندة مع حجر دون الجبل بالصمصان على ماء يقال له حفير فنجل عوف بن محلم وعمرو بن أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان وقالا لحجر انا منجلان الى زياد لعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا فسارا اليه وكان بينه وبين عوف اخاء فدخل عليه وقال له باخير الفتيان اردد على امرأتى امامة فردها عليه وهى حامل فولدت له بنتا أراد عوف ان يئدها فاستوهبها منه عمرو بن أبى ربيعة وقال لعلها تلد أناسا فسميت ام أناس فتزوجها الحرث بن عمرو ابن حجر آكل المرار فولدت عمرا ويعرف بابن أم أناس ثم ان عمرو بن أبى ربيعة قال لزياد ياخير الفتيان اردد على ما أخذت من ابلى فردها عليه وفيها الفحل فانزعه الفحل الى الابل فصرعه عمرو فقال له زياد يا عمرو لو صرعتم يابنى شيبان الرجال كما تصرعون الابل لكنتم أنتم فقال له عمرو لقد أعطيت قليلا وسميت جليلا وجررت على نفسك ويلا طويلا ولتجدن منه ولا والله لا تبرح

حتى

اذا اخذ تنى من السمع قعل
منه اناء ثم ستر أسه وصير
فى ماء مالح وحد ذلك الماء
الذى وصل الى الاناء عذبا
فى الطعم حقيقا فى الوزن
ووجد الماء المالح المحيط به
على خلاف ذلك وكما يجرى
فهو نهر وحيث يتسع فهو
عين وحيث يكون معظم
الماء فهو بحر (قال المسعودى)
وقد تكلم الناس فى المياه
واشباهها واكثروا وقد
ذكرنا فى كتابنا اخبار الزمان
فى الفن الثانى من جملة
الثلاثين فلما أوردوه من
البراهين فى مساحة البحار
ومقاديرها والمنفعة فى
ملوحة مائها واتصال بعضها
ببعض وانفصالها وعدم
بيان الزيادة فيها والنقصان
ولأية علة كان الجزر
والمد فى البحر الحبشى أظهر
من دون سائر البحار ووجدت
تواخذ ببحر الصين والهند
والسند والزنج واليمن
والقلزم والحبشة من
السيرافيين والعمانيين
يخبرون عن البحر الحبشى
فى أغلب الامور على
خلاف ما ذكرته الفلاسفة
وغيرهم ممن حكينا عنهم
المقادير والمساحة وان ذلك
لا غاية له وفى مواضع منه
شاهدت أرباب المراكب
فى البحر الرومى من الحربية
والعمالة وهم النواتى
وأصحاب الرحل والروساء

حتى أروى سنانى من دمك ثم ركض فرسه حتى صار الى حجر فلم يوضح له الخبر فارسل سدوس بن شيبان بن ذهل وصليع بن عبد غنم يتجسسان له الخبر ويعلمان علم العسكر فخرجا حتى هجما على عسكره ليلا وقد قسم الغنيمة وجيء باشمع فاطعم الناس تمرا وسمما فلما اكل الناس نادى من جاء بحزمة حطب فله قدر تمر فجاء سدوس وصليع بحطب وأخذا قدرتين من تمر وجلسا قريبا من قبته ثم انصرف صليع الى حجر فاخبره بعسكر زياد وأراه التمر وأما سدوس فقال لا أبرح حتى آتيه بامر جلي وجلس مع القوم يتسمع ما يقولون وهند امرأة حجر خلف زياد فقالت لزياد ان هذا التمر أهدى الى حجر من هجر والسمن من دومة الجندل ثم تفرق أصحاب زياد عنه فضرب سدوس يده الى جليس له وقال له من أنت مخافة ان يستكره الرجل فقال أنا فلان بن فلان ودنا سدوس من قبة زياد بحيث يسمع كلامه وداز ياد من امرأة حجر فقبلها وداعبها وقال لها ما ظنك الآن بحجر فقالت ما هو وطن ولكنه يمين الله والله لن يدع طلبك حتى تعاين القصور الحمر يعني قصور الشام وكانى به في فرسان من بني شيبان يذعرهم ويدمرونه وهو شديد الكلب تزبد شفتاه كانه بعير أكل مرارا فالصحاء فالنجاء فان وراءك طالما حثيثا وجمعا كثيفا وكيدا متينا ورأيا صليبا فرفع يده فلطمها ثم قال لها ما قلت هذا الا من عجبك به وحبك له فقالت والله ما أبغضت أحدا بغضي له ولا رأيت رجلا أحزم منه بأسا ومستيقظا ان كان لتنام عيناه فبعض أعصائه مستيقظ وكان اذا أراد النوم أمرني ان أجعل عنده عصا من لبن فبينا هو ذات ليلة نائم وأنا قريب منه انظر اليه اذ أقبل اسود سالخ الى رأسه فمحى رأسه فمال الى يده فقبضها فمال الى رجله فقبضها فمال الى العصا فشربه ثم مجه فقلت يستيقظ فيشربه فيموت فاستيقظ منه فانتبه من نومه فقال على بالاناء فناولته فشمه ثم ألقاه فهريق فقال أين ذهب الاسود فقلت ما رأيته فقال كذبت والله وذلك كله يسمعه سدوس فسار حتى أتى حجرا فلما دخل عليه قال

أتاك المرجفون بامر غيب * على دهش وجئتك باليقين
فمن يك قد أتاك بامر ليس * فقد آتى بامر مستبين

ثم قص عليه ما سمع فجعل حجر يعبث بالمرار ويأكل منه غضبا وأسفا ولا يشعر أنه يأكله من شدة الغضب فلما فرغ سدوس من حديثه وجد حجر المرار فسمي يومئذ آكل المرار والمرار نبت شديد المرارة لا تاكله دابة الا قتلها ثم أمر بحجر فنودي في الناس وركب وسار الى زياد فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم زياد وأهل الشام وقتلوا قتلا ذريعا واستنقذت بكر وكندة ما كان بايديهم من الغنائم والسبي وعرف سدوس زيادا فحمل عليه فاعتنقه وصرعه وأخذه أسيرا فلما رآه عمرو بن ابي ربيعة حسده فطعن زيادا فقتله فغضب سدوس وقال قتلت أسيري ودينه دية ملك فتحاكما الى حجر فحكم على عمرو وقومه لسدوس بدية ملك وأعانهم من ماله وأخذ حجر زوجته هندا فربطها في فرسين ثم ركضهما حتى قطعاها ويقال بل أحرقها وقال فيها

ان من غره النساء بشيء * بعد هند لجاهل مغرور
حلوة العين والحديث ومر * كل شيء أجن منها الضمير
كل أنثى وان بدا لك منها * آية الحب حبها خيتعور

ثم عاد الى الحيرة (قلت) هكذا قال بعض العلماء ان زياد بن هبولة السليحي ملك الشام غزا حجرا وهذا غير صحيح لان ملوك سليح كانوا باطراف الشام مما يلي البر من فلسطين الى قنسرين والبلاد للروم ومنهم أخذت غسان هذه البلاد وكلهم كانوا عمالا لملوك الروم كما كان ملوك الحيرة عمالا

ومن يلي تدبير المراكب والحرب فيهم مثل لاوى المكنى بابي الحرب غلام زرافة صاحب طرابلس الشام من ساحل دمشق وذلك بعد الثلثمائة يعظمون طول البحر الرومي وعرضه وكثرة خلجانه وتشعبه وعلى هذا وجدت عبد الله بن وريز صاحب مدينة جبلة من ساحل حمص ولم يبق في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة انظر منه في البحر الرومي ولا آنس منه وليس فيه بركته من أصحاب المراكب من الحربية والعمالة الا وهو منقاد الى قوله ويقر له بالنصر والحذق مع ما هو عليه من الديانة والجهاد القديم فيها وقد ذكرنا عجائب هذه البحار وما سمعناه ممن ذكرنا من اخبارها وآفاتها وما شاهدوا فيها فيما سلف من كتبنا وسنورد بعد هذا الموضع جملا من أخبارها وقد ذهب قوم ممن تكلم في علامات المياه ومستقرها من الارض الى انه يرى في المواضع التي فيها الماء نبت القصب والحلفاء والسمار من الحشيش فذلك دلالة على قرب الماء لمن أراد الحفر وان ما عدا ذلك فعلى البعد ووجدت في كتاب الفلاحة ان من

ملوك الفرس على البر والعرب ولم يكن سليح ولا غسان مستقلين بملك الشام ولا بشيء واحد على سبيل التفرد والاستقلال وقولهم ملك الشام غير صحيح وزياد بن هبولة السليحي ملك مشارق الشام أقدم من حجر آكل المرار بزمان طويل لان حجرا هو جد الحرث بن عمرو بن حجر الذي ملك الحيرة والعرب بالعراق أيام قباد أبي أنوشروان وبين ملك قباد والهجرة نحو مائة وثلاثين سنة وقد ملكت غسان أطراف الشام بعد سليح ستمائة سنة وقيل خمسمائة سنة وأقل ما سمعت فيه ثلثمائة سنة وست عشرة سنة وكانوا بعد سليح ولم يكن زياد آخر ملوك سليح فتريد المدة زيادة أخرى وهذا تفاوت كثير وكيف يستقيم ان يكون ابن هبولة الملك أيام حجر حتى يعير عليه وحيث أطبقت رواة العرب على هذه الغراء فلا بد من توجيهها وأصح ما قيل فيه ان زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيسا على قوم أو متغلبا على بعض أطراف الشام حتى يستقيم هذا القول والله أعلم وقولهم أيضا ان حجرا عاد الى الحيرة لا يستقيم أيضا لان ملوك الحيرة من وادعدي بن نصر اللخمي لم يقطع ملكهم لها الا أيام قباد فانه استعمل الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار كما ذكرناه قبل لما ولي أنوشروان عزل الحرث وأعاد اللخميين وشبيه أن يكون بعض الكنديين قد ذكر هذا بعصبا والله أعلم ان أبا عبيدة ذكر هذا اليوم ولم يذكر ان ابن هبولة من سليح بل قال هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان ولم يذكر عوده الى الحيرة فزال هذا الوهم * وسليح بفتح السين المهملة وكسر اللام وآخر حاء مهملة

﴿ ذكر مقتل حجر أبي امرئ القيس والحروب الحادثة عقتله الى أن مات امرؤ القيس ﴾

قد ذكرنا أولا سبب ملكهم العرب جدونسوق الحادثة الى قتله وما يتصل به فنقول كان سفهاء بكر قد غلبوا على عقلائها وغلبوهم على الامر وأكل القوي الضعيف فنظر العقلاء في أمرهم فرأوا ان يملكوا عليهم ملكا يأخذ للضعيف من القوي فنهاهم العرب وعلموا أن هذا لا يستقيم بأن يكون الملك منهم لانه يطيعه قوم ويخالفه آخرون فساروا الى بعض تبابعة اليمن وكانوا للعرب بمنزلة الخلفاء للمسلمين وطلبوا منه ان يملك عليهم ملكا فملك عليهم حجر بن عمرو آكل المرار فقدم عليهم ونزل ببطن عاقل وأغار ببكر فاتر ع عامة ما كان بايدي اللخميين من ارض بكر وبقي كذلك الى ان مات فدفن ببطن عاقل فلما مات صار عمرو بن حجر آكل المرار وهو المنصور ملكا بعد أبيه وانما قيل له المنصور لانه قصر على ملك أبيه وكان أخوه معاوية وهو الحون على اليمامة فلما مات عمرو ملك بعده ابنه الحرث وكان شديد الملك عنيد الصوت فلما ملك قباد بن فيروز الفرس خرج في أيامه مردك فدعا الناس الى الزندقة كما ذكرناه فاجابه قباد الى ذلك وكان المنذر بن ماء السماء عاملا للاكاسرة على الحيرة ونواحيها فدعاه قباد الى الدخول معه فامتنع فدعا الحرث بن عمرو الى ذلك فاجابه فاستعمله على الحيرة وطرد المنذر عن مملكته وقيل في تمليكه غير ذلك وقد ذكرناه أيام قباد فبقوا كذلك الى ان ملك كسرى انوشروان بن قباد بعد أبيه فقتل مردك وأصحابه واعاد المنذر بن ماء السماء الى ولاية الحيرة وطلب الحرث بن عمرو وكان بالانبار وبها منزله فهرب باولاده وماله وهجابه وتبعه المنذر بالخيل من تغلب واياد وبهراء فلحق بارض كلب فحاربوا وانتهبوا ماله وهجابه وأحدث بغلب ثمانية وأربعين نفسا من بني آكل المرار فهم عمرو ومالك ابنا الحرث فقدموا بهم على المنذر فقتلهم في دار بني مرينا وفيهم يقول عمرو بن كلثوم

فآبوا بالنهاب وبالسبايا * وأبنا بالملوك مصعديا

وفيهم يقول امرؤ القيس

أراد ان يعلم قرب الماء وبعده فليحفر في الارض ثلاثة أذرع أو أربعة ثم يأخذ قدرا من نحاس أو صحابة فخذف فيه هنها بالشحم من داخلها مستويا ولتكن القدر واسعة الفم فاذا غابت الشمس فحد صوفة بيضاء منفوشة مغسولة وخذ حجرا قدر بيضة فلف ذلك الصوف عليه مثل الكرة ثم اطل جانب الكرة بموم مذاب والصقها في أسفل ذلك القدر الذي قد دهنته بدهن أو بشحم ثم ألقها في أسفل الحفيرة فان الصوف يصير معلقا والموم يمسكه ويصير الى مكان الحجر معلقا ثم احث على الاناء التراب قدر ذراعين أو ذراع ودعه ليلتك كلها فاذا كان الغد قبل طلوع الشمس فاكشف التراب عنه وارفع الاناء فان رأيت الماء ملزقا بالاناء من داخل فطرا كثيرا بعضه قريب من بعض والصوفة ممتلئة فان في ذلك المكان ماء وهو قريب وان كان القعر معترقا لا بالمجتمع ولا بالمتقارب والصوفة ماؤها وسط فان الماء ليس بالبعيد ولا بالقريب وان كان القطر ملتزقا متباعدا بعضه من بعض والماء في الصوفة قليل فان الماء بعيد وان لم

ملوك من بنى حجر بن عمرو * يساقون العشية يقتلونا
فلو فى يوم معركة أصيبوا * ولكن فى ديار بنى مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل * ولكن فى الدماء مرملينا
تظل الطير عاكفة عليهم * وتترع الحواجب والعيونا

وأقام الحرث بديار كلب فتزعم كلب انهم قتلوه وعلماء كندة تزعم انه خرج يتصيد فتبع تيسا من الظباء فاعجزه فاقسم ان لا يأكل شيأ الا من كبده فطلبته الخيل فاتى به بعد ثلاثة وقد كاد يهلك جوعا فشوى له بطنه فاكل فلذة من كبده حارة فمات ولما كان الحرث بالحيرة أتاه أشراف عدة قبائل من نزار فقالوا انا فى طاعتك وقد وقع بيننا من الشر بالقتل ما تعلم ونخاف الفناء فوجه معنا بنيك ينزلون فينا فيكفون بعضنا عن بعض ففرق أولاده فى قبائل العرب فاتى ابنه حجرا على بنى أسد بن خزيمة وغطفان وملك ابنه شرحبيل وهو الذى قتل يوم الكلاب على بكر بن وائل باسرها وعلى غيرها وملك ابنه معديكرب وهو غلفاء وانما قيل له غلفاء لانه كان يغلف رأسه بالطيب على قيس عيلان وطوائف غيرهم وملك ابنه سلمة على تغلب والنمر بن قاسط وبنى سعد بن زيد مناة من تميم فبقى حجر فى بنى أسد وله عليهم جائزة واتاوة كل سنة لما يحتاج اليه فبقى كذلك دهرا ثم بعث اليهم من يجبى ذلك منهم وكانوا بتهامة وطردوا رسله وضربوهم فبلغ ذلك حجرا فسار اليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من قيس وكنانة فاتاهم فأخذ سراتهم وخيارهم وجعل يقتلهم بالعصا وأباح الاموال وسيرهم الى تهامة وحبس منهم جماعة من أشرافهم منهم عبيد بن الابرص الشاعر فقال شعرا يستعطفه لهم فرق لهم وأرسل من يردهم فلما صاروا على يوم منه تكهن كاهنهم وهو عوف بن ربيعة بن عامر الاسدى فقال لهم من الملك الصاهب الغلاب غير المغلب فى الابل كانها الربرب هذا دمه يتثعب وهو غدا أول من يستلب قالوا ومن هو قال لولا تجيش نفس حاشيه لاخبرتكم انه حجر ضاحيه فركبوا كل صعب وذلول حتى بلغوا الى عسكر حجر فهجموا عليه فى قبته فقتلوه طعنه علباء بن الحرث الكاهلى فقتله وكان حجر قتل أباه فلما قتل قالت بنو أسد يا معشر كنانة وقيس أنتم اخواننا وبنو عمنا والرجل بعيد النسب منا ومنكم وقد رأيتم سيرته وما كان يصنع بكم هو وقومه فانتهبوهم فشدوا على هجانه فانتهبوها والفوه فى ربطة بيضاء والقوه على الطريق فلما رأته قيس وكنانة انتهبوا أسلابه وأجار عمرو بن مسعود عياله وقيل ان حجرا لما رأى اجتماع بنى أسد عليه حالفهم فاستجار عمير بن ثجنة احد بنى عطارد بن كعب بن زيد مناة بن تميم لبنته هند بنت حجر وعياله وقال لبنى أسد ان كان هذا شأنكم فانى مرتحل عنكم ومخليكم وشأنكم فودعوه على ذلك وسار عنهم وأقام فى قومه مدة ثم جمع لهم جمعا عظيما وأقبل اليهم مدلا بمن معه فتاسرت بنو أسد وقالوا والله ان قهركم ليحكمن عليكم حكم الصبى الخير العيش حينئذ فوثبوا كراما فاجتمعوا وساروا الى حجر فلقوه فاقتتلوا قتالا شديدا وكان صاحب أمرهم علباء بن الحرث فحمل على حجر فطعنه فقتله وانهزمت كندة ومن معهم وأسر بنو أسد من أهل بيت حجر وغنموا حتى ملؤا أيديهم من الغنائم وأخذوا جواريه ونساءه ومامعهم فاقتسموه بينهم وقيل ان حجرا أخذ أسيرا فى المعركة وجعل فى قبة فوثب عليه ابن أخت علباء فضربه بعمد كانت معه لان حجرا كان قتل أباه فلما جرحه لم يقض عليه فاوصى حجر ودفع كتابه الى رجل وقال له انطلق الى ابنى نافع وكان أكبر أولاده فان بكر وجزع فاتركه واستقرهم واحدا واحدا حتى تأتى امرأ القيس وكان اصغرهم فايهم لم يجزع فادفع اليه خيلى وسلاحى ووصيتى وقد كان بين فى وصيته من قتله

تزعى الاناء قطرا قليلا ولا
كثيرا ولا على الصوفة
ماء فانه ليس فى ذلك الموضع
ماء فلا تتعن فى حفره
ووجدت فى بعض النسخ
من كتب الفلاحة فى هذا
المعنى أن من أراد علم ذلك
فلينظر الى قرى النمل فان
وجد النمل غلاظا سودا
ثقيلة المشى فلينظر فعلى
قدر ثقل مشيهن الماء
قريب منهن وان وجد
النمل سريع المشى لا يكاد
يلحق فالماء منهن على
أربعين ذراعا والماء الاول
يكون عذبا طيبا والثانى
ثقيلا ماحلا فهذه جملة
علامات لمن يريد استخراج
الماء وقد أتينا على مبسوط
ما ذكرنا فى كتابنا اخبار
الزمان وانما ذكر فى هذا
الكتاب ما تدعو الحاجة
الى ذكره بالاشارة اليه
دون بسطه وايضاحه وقد
ذكرنا جملا من اخبار
البحار وغيرها فلنقل فى
اخبار ملوك الصين وغيرها
وأهلها وغير ذلك مما الحق
به ان شاء الله تعالى

ذكر ملوك الصين والترك وتفرق ولد عابور واخبار الصين وغير ذلك مما الحق بهذا الباب

قد تنازع الناس فى أنساب أهل الصين وبدئهم فذكر كثير منهم ان ولد عابور بن يتويل بن يافث بن نوح لما

وكيف كان خبره فانطلق الرجل بوصيته الى ابنه نادع ووضع التراب على رأسه ثم أتاهم كلهم ففعلوا مثله حتى نعى امرأ القيس وحده مع نديم له يشرب الخمر ويلاعب معه بالنرد فقال قتل محرز فلم يلتفت الى قوله وأمسك ندمه فقال له امرؤ القيس اضرب فضرب حتى اذا فرغ قال ما كنت لافسد دستك ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله فأخبره فقال له الخمر والنساء على حرام حتى أقتل من بني أسد مائة وأطلق مائة وكان حجر قد طرد امرأ القيس لقوله الشعر وكان يأنف منه * وكانت أم امرئ القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحرث أخت كليب بن وائل وكان يسير في احياء العرب يشرب الخمر على العدران ويتصيد فأتاه خبر قتل أبيه وهو بدمون من أرض اليمن فلما سمع الخبر قال

تطاول الليل علينا دمون * دمون انا معشر يمانون * وانا لقومنا محبون

ثم قال صبي صغيرا وحماني دمه كبيرا لا صحو اليوم ولا سكر غدا اليوم خمر وغدا أمر فذهبت مثلا ثم ارتحل حتى نزل ببكر وتغلب فسألهم النصر على بني أسد وأبوه فبعث العيون الى بني أسد فصدروا به فلجؤا الى بني كنانة وعيون امرئ القيس معهم فقال لهم علباء بن الحرث اعلموا ان عيون امرئ القيس قد عادوا اليه بخبركم وانكم عند بني كنانة فارحلوا بليل ولا تعلموا بني كنانة فارتحلوا وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب وغيرهم حتى انتهى الى بني كنانة وهو يظنهم بني أسد فوضع السلاح فيهم وقال يا لثارات الملك يا لثارات الهمام فقيل له أبيت اللعن لسنا لك بثارنحن بنو كنانة فدونك ثارك فاطلبهم فان القوم قد ساروا بالامس فتبع بني أسد فأتوه ليلتهم فقال في ذلك

ألا يا لهف هند اثر قوم * هموا كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم ببني أبيهم * وبالاشقين ما كان العقاب
وأفلتهن علباء جريصا * ولو أدركنه صفر الوطاب

يعني ببني أبيهم كنانة فان أسدا وكنانة ابنا خزيمة فهما اخوان وقوله ولو أدركنه صفر الوطاب قيل كانوا قتلوه واستاقوا ابله فصفرت وطابه من اللبن أي خلت وقيل كانوا قتلوه وسلخوا جلده وهو وطابه من دمه بقتله فسار امرؤ القيس في آثار بني أسد فأدركهم ظهرا وقد تقطعت خيله وهلكوا عطشا وبنو أسد نازلون على الماء وقاتلهم حتى كثرت القتلى بينهم وهربت بنو أسد فلما اصبحت بكر وتغلب انوا أن يتبعوهم وقالوا قد أصبت ثارك فقال لا والله فقالوا بلى ولكنك رجل مشؤم وكرهوا قتالهم بني كنانة فانصرفوا عنه ومضى الى ازد شنوأة يستنصرهم فأبوا أن ينصروه وقالوا اخوانا وجيرانا فسار عنهم ونزل بقيل يدعى مرثد الخير ذي جدن الحميري وكان بينهما قرابة فاستنصره على بني أسد فأمده بخمسمائة رجل من حمير ومات مرثد قبل رحيل امرئ القيس وملك بعده رجل من حمير يقال له قرمل فرد امرأ القيس ثم سير معه ذلك الجيش وتبعه شداد من العرب واستأجر غيرهم من قبائل اليمن فسار بهم الى بني أسد وظفر بهم ثم ان المنذر طلب امرأ القيس ولح في طلبه ووجه الجيوش اليه فلم يكن لامرئ القيس بهم طاقة وتفرق عنه من كان معه من حمير وغيرهم فمضى في جماعة من اهله ونزل بالحرث بن شهاب اليربوعي وهو أبو عتيبة ان الحرث فارسل اليه المنذر يتوعده بالقتال ان لم يسلمهم اليه فسلمهم ونجا امرؤ القيس ومعه يزيد ابن معاوية بن الحرث وابنته هند ابنة امرئ القيس وادراعه وسلاحه وماله فخرج ونزل على سعد ابن الصباب الايادي سيد قومه فأجاره ومدحه امرؤ القيس ثم تحول عنه ونزل على المعلى بن تيم اللاتي فاقام عنده واتخذ بلاهنالك معدا قوم من جديلة يقال لهم بنو زيد عليها فاخذوها فاعطاه

بنو

نسم فالغ بن عامور وارفخشذ
ابن سام بن نوح الارض بين
ولد نوح سارو ا سيرة في
الشرق فسار قوم منهم من
ولد ره الى سمت الشمال
وانتشروا في الارض فصاروا
عدة شمالي منهم الديلم
والجبل والطيلسان
والتبر وفرغان وأهل
حمل المسخ انواع اللكريم
واللان والخزر والاسحار
والسرير وكشك وسائر تلك
الامم المنتشرة في تلك
الصقع والارمن الى بلاد
طوبريدة الى بحر مازندران
وبحر الخزر والبلغر ومن
اتصل بهم من الامم وعبر
ولد عابر بن شالخ وهم بلاد
الصين الاكثر منهم وتفرقوا
عدة ممالك في تلك البلاد
وانتشروا في تلك الديار
منهم الجيل وهم سكان
جيلان والاشروسنية
والصغر وهم بين بخارى
وسمرقند ثم الغراغنة
والشاش واسبيجاب وأهل
بلاد العشرات فبنوا المدن
والصياع وانفرد منهم
اناس غير هؤلاء فسكنوا
البوادي فمنهم الترك الخرمخ
والطغز غز ومنهم أصحاب
مدينة كوسان وهي
مملكة بين خراسان وبلاد
الصين وليس في أجناس
الترك وأنواعهم في وتنا
هذا وهو سنة اثنتين
وثلاثين وثلثمائة أشد منهم

بنونها ان معزى يحلبها فقال

اذا مالم يكن ابل فمعزى * كأن قرون جلتها العصى

الابيات ثم رحل عنهم ونزل بعامر بن جوين فأراد ان يغلب امرأ القيس على ماله وأهله فعلم امرؤ القيس بذلك فانتقل الى رجل من بنى أسد يقال له حارثة بن مرة فاستجاره فاجاره فوقعت بين عامر ابن جوين والثعلبى حرب وكانت أمور كبيرة فلما رأى امرؤ القيس ان الحرب قد وقعت بين طيئ بسببه خرج من عندهم فقصد السموأل بن عادياء اليهودى فاكرمه وانزله فاقام عنده امرؤ القيس ماشاء الله ثم طلب منه ان يكتب له الى الحرث بن أبى شمر الغسانى ليوصله الى قيصر ففعل ذلك وسار الى الحرث وأودع أهله وادراعه عند السموأل فلما وصل الى قيصر اكرمه فبلغ ذلك بنى أسد فأرسلوا رجلا منهم يقال له الطماح كان امرؤ القيس قتل أخاله فوصل الاسدى وقد سير قيصر مع امرئ القيس جيشا كثيفا فيهم جماعة من أبناء الملوك فلما سار امرؤ القيس قال الطماح لقيصر ان امرأ القيس غوى عاهر وقد ذكر انه كان يراسل ابنتك ويواصلها وقال فيها اشعارا اشتهرها بها فى العرب فبعث اليه قيصر بحلة وشى منسوجة بالذهب مسمومة وكتب اليه انى أرسلت اليك بحلتى التى كنت ألبسها تكرمة لك فالبسها واكتب الى بخبرك من منزل منزل فلبسها امرؤ القيس وسرى بذلك فاسرع فيه السم وسقط جلده فلذلك سمى ذا القروح فقال امرؤ القيس فى ذلك

لقد طمح الطماح من نحو أرضه * ليلبسنى مما يلبس أبؤسا

فلو انها نفس تموت سوية * ولكنها نفس تساقط أنفسا

فلما وصل الى موضع من بلاد الروم يقال له أنقرة احتضر بها فقال رب خطبة مستنفرة وطعنة مثعنجره وجفنة مستحيره حلت بأرض أنقره ورأى قبر امرأة من بنات ملوك الروم وقد دفنت بجنب عسيب وهو جبل فقال

اجارتنا ان الخطوب تنوب * وانى مقيم ما اقام عسيب

اجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

ثم مات فدفن الى جنب المرأة فقبره هناك ولما مات امرؤ القيس سار الحرث بن ابى شمر الغسانى الى السموأل بن عادياء وطالبه بادراع امرئ القيس وكانت مائة درع وبماله عنده فلم يعطه فأخذ الحرث ابنا للسموأل فقال اما ان تسلم الادراع واما قتلت ابنك فأبى السموأل ان يسلم اليه شيأ فقتل ابنه فقال السموأل فى ذلك

وفيت بأدرع الكندى انى * اذا ماذم اقوام وفيت

وأوصى عاديا يوما بأن لا * تهدم يا سموأل ما بنيت

بنى لى عاديا حصنا حصينا * وماء كلما شئت استقيت

وقد ذكر الاعشى هذه الحادثة فقال

كن كالسموأل اذ طاف الهمام به * فى جحفل كسواد الليل جرار

اذ سامه خطتى خسف فقال له * قل ما تشاء فانى سامع حار

فقال غدر وثكل أنت بينهما * فاختر فما فيهما حظ لمختار

فشك غير طويل ثم قال له * اقتل أسيرك انى مانع جارى

وهى أكثر من هذا

﴿يوم خزاز﴾

بأسا ولا أكثر منهم شوكة ولا أضبط ملكا وكلهم ازحان ومذهبهم مذهب المانية وليس فى الترك من يعتقد هذا المذهب غيرهم ومن الترك الكيمالية والبرجمانية واليدية والحقوية وأشدهم بأسا الحقوية وأحسنهم صورة وأطولهم قامة وأصبحهم وجوها الخوبلجية وهم أهل بلاد فرغانة والشاش مما يلى ذلك الصقع وفيهم كان الملك ومنهم خاقان الخواقين وكان يجمع ملكه سائر ممالك الترك وتنقاد اليه ملوكها ومن هؤلاء الخواقين كان (فراسياب) التركى الغالب على بلاد فارس ومنهم (سابة) والخاقان الترك فى وقتنا هذا تنقاد ملوك الترك كلهم منذ خربت المدينة المعروفة بعمان وهى فى مفاوز سمرقند وقد ذكرنا انتقال الملك عن هذه المدينة والسبب فى ذلك فى كتابنا المترجم بالكتاب الاوسط ولحق فريق من ولد عابور بتخوم الهند فاثرت فيهم تلك البقاع فصارت ألوانهم بخلاف ألوان الترك ولحقوا بألوان الهند ولهم حضر وبوادوسكن فريق منهم ببلاد التبت وملكوا عليهم ملكا وكان ينقاد الى ذلك الخاقان على ما قد بينا

وكان من حديثه ان ملكا من ملوك اليمن كان في يده اساري من مضر و ربيعة وقضاعة فوفد عليه وفد من وجوه بني معد منهم سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة و عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان وعوف بن عمرو بن جشم بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان وجشم بن ذهل بن هلال ابن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان فلقيهم رجل من بهراء يقال له عبيد بن قراد وكان في الاساري وكان شاعرا فسألهم ان يدخلوه في عدة من يسألون فيه فكلموا الملك فيه وفي الاساري فوهبهم لهم فقال عبيد بن قراد البهراوي

نفسي الفداء لعوف الشعال * وعوف ولابن هلال جشم
تداركني بعد ما قد هويت * مستمسكا بعرا في الوذم
ولولا سدوس وقد شمرت * بي الحرب زلت بنعلي القدم
وناديت بهراء كي يسمعوا * وليس بآذانهم من صمم
ومن قبلها عصمت فاسط * معدا اذا ما عزيز أزم

فاحتبس الملك عنده بعض الوفد رهينة وقال للباقين ائتوني برؤساء قومكم لآخذ عليهم المواثيق بالطاعة لي والا قتلت أصحابكم فرجعوا الى قومهم فاخبروهم الخبر فبعث كليب وائل الى ربيعة فجمعهم واجتمعت عليه معد وهو أحد النفر الذين اجتمعت عليهم معد على ما ذكره في مقتل كليب فلما اجتمعوا عليه سار بهم وجعل على مقدمته السفاح التغلبي وهو سلمة بن خالد بن كعب بن زهير ابن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن تغلب وأمرهم أن يوقدوا على خزاز نارا ليهتدوا بها وخزاز جبل بطخفة ما بين البصرة الى مكة وهو قريب من سالع وهو جبل أيضا وقال له ان غشيك العدو فاوقد نارين فبلغ مذحجا اجتماع ربيعة ومسيرها فاقبلوا بجموعهم واستنفروا من يليهم من قبائل اليمن وساروا اليهم فلما سمع أهل تهامة بمسير مذحج انضموا الى ربيعة ووصلت مذحج الى خزاز ليلا فرفع السفاح نارين فلما رأى كليب النارين أقبل اليهم بالجموع فصبحهم فالتقوا بخزاز فاقتتلوا قتالا شديدا أكثروا فيه القتل فانهزمت مذحج وانفضت جموعها فقال السفاح في ذلك

وليلة بت أوقد في خزاز * هديت كتائبا بمحيرات
ضلال من السهاد وكن لولا * سهاد القوم احسب هاديات

وقال الفرزدق يخاطب جريرا ويهجوه

لولا فوارس تغلب ابنة وائل * دخل العدو عليك كل مكان
ضربوا الصنائع والملوك وأوقدوا * نارين أشرفتا على النيران

وقيل انه لم يعلم أحد من كان الرئيس يوم خزاز لان عمرو بن كلثوم وهو ابن ابنة كليب يقول

ونحن غداة أوقد في خزاز * رفدنا فوق رفد الرافدينا

فلو كان جده الرئيس لذكره ولم يفتخر بانه رفد ثم جعل من شهد خزازا متساندين فقال

فكنا الايمنين اذا التقينا * وكان الايسرين بنو ابينا
فصالوا صولة فيمن يليهم * وصلنا صولة فيمن يلينا

فقالوا له استأثرت على اخوتك يعني مضر ولما ذكر جده في القصيدة قال

وما قبله الساعي كليب * فاي المجد الا قد ولينا

فلم يدع به الرياسة يوم خزاز وهي أشرف ما كان يفتخر له به حبيب بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء تحتها نقطتان وآخره باء أخرى موحدة

وسمى أهل النسب ملكهم بحاقان تشبيها بمن تقدم من الملوك وسار الجمهور من ولد عابور على ساحل البحر حتى انتهوا الى اقاصي من بلاد الصين فتفرقوا في تلك البقاع والبلاد وقطنوا الديار وكوّروا الكور ومصروا المدن واتخذوا لملكهم مدينة عظيمة وسموها انوا وبينها وبين ساحل البحر الحبشي وهو بحر الصين مسافة ثلاثة أشهر مدن وعمائر متصلة وكان أول ملك تملك عليهم في هذه الديار وهي انوا (اسطرماس) بن فاعور بن بريح بن عابور بن يافث بن نوح فكان ملكه ثمانمائة سنة ونيفا وفرق أهله في تلك الديار وشقق الانهار وقتل السباع وغرس الاشجار وأطعم الثمار وهلك فملك ولده يقال له (عرون) فجعل جسد أبيه في تمثال من الذهب الاحمر جزعا ليه وتعظيما له وأجلسه على سرير من الذهب الاحمر مرصع بالجواهر وجعل مجلسه دونه وأقبل يسجد لابيه وهو في جوف تلك الصورة هو وأهل مملكته في طرفي النهار اجلالا له وعاش مائتي سنة وخمسين سنة وهلك فملك ولده يقال له (عبرور) فجعل جسد أبيه عرون في

﴿ذكر مقتل كليب والايام بين بكر وتغلب﴾

وكان من حديث الحرب التي وقعت بين بكر وتغلب ابني وائل بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بسبب قتل كليب واسمه وائل بن ربيعة بن الحرث بن زهير بن حشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب وانما لقب كليبا لانه كان اذا سار أخذ معه جرو كلب فاذا مر بروضة أو موضع يعجبه ضربه ثم ألقاه في ذلك المكان وهو يصيح ويعوى فلا يسمع عواءه أحد الا تجنبه ولم يقربه وكان يقال كليب وائل ثم اختصروا فقالوا كليب فغلب عليه وكان لواء ربيعة بن نزار للاكبر فالاكبر من ولده فكان اللواء في عنزة بن أسد بن ربيعة وكان سنتهم انهم يوفرون لحاهم ويقصون شواربهم فلا يفعل ذلك من ربيعة الا من يخالفهم ويريد حربهم ثم تحول اللواء في عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وكان سنتهم اذا شتموا لطموا من شتمهم واذا لطموا قتلوا من لطمهم ثم تحول اللواء في النمر بن قاسط بن هنب وكان لهم غير سنة من تقدمهم ثم تحول اللواء الى بكر بن وائل فساؤا غيرهم في فرخ طائر كانوا يثقون الفرخ بقارعة الطريق فاذا علم بمكانه يسلك أحد ذلك الطريق ويسلك من يريد الذهاب والمجيء عن يمينه ويساره ثم تحول اللواء الى تغلب فوليه وائل بن ربيعة وكانت سنته ما ذكرناه من جز الكلام ولم تجتمع معد الا على ثلاثة نفر وهم عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر ابن بشكر بن الحرث وهو عدوان بن عمرو بن قيس عيلان وهو* الناس ابن مضر بالنون وهو أخو الياس بن مضر وكان قائد معد حين تمذحجت مذحج وسارت الى تهامة وهي أول وقعة كانت بين تهامة واليمن والثاني ربيعة بن الحرث بن مرة بن زهير بن حشم بن بكر بن حبيب بن كلب وكان قائد معد يوم السلان بين أهل اليمامة واليمن والثالث وائل بن ربيعة وكان قائد معد يوم خزاز ففض جموع اليمن وهزمهم وجعلت له معد قسم الملك وتاجه وطاعته وبقي زمانا من الدهر ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه حتى بلغ من بغيه انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه وكان يقول وحش أرض كذا في جواري فلا يصاد ولا يورد أحد مع ابله ولا يوقد نارا مع ناره ولا يمر أحد بين بيوته ولا يحتبي في مجلسه وكانت بنو جشم وبنو شيبان اخلاطا في دار واحدة ارادة الجماعة ومخافة الفرقة وتزوج كليب جليلة بنت مرة بن شيبان بن ثعلبة وهي أخت جساس بن مرة وحمى كليب أرضا من العالية في أول الربيع وكان لا يقربها الا محارب ثم ان رجلا يقال له سعد بن شميس بن طوق الجرمي نزل بالبسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس بن مرة وكان للجرمي ناقة اسمها سراب ترعى مع نوق جساس وهي التي ضربت العرب بها المثل فقالت اشأم من سراب واشأم من البسوس فخرج كليب يوما يتعهد الابل ومراعيها فأتاها وتردد فيها وكانت ابله وابل جساس مختلطة فنظر كليب الى سراب فأنكرها فقال له جساس وهو معه هذه ناقة جارنا الجرمي فقال لا تعد هذه الناقة الى هذا الحمى فقال جساس لا ترعى ابلي مرعى الا وهذه معها فقال كليب لئن عادت لاضعن سهمي في ضرعها فقال جساس لئن وضعت سهمك في ضرعها لاضعن سنان رمحي في لبتك ثم تفرقا وقال كليب لامرأته أترين ان في العرب رجلا مانعا مني جاره قالت لا أعلم الا جساسا فحدثها الحديث وكان بعد ذلك اذا أراد الخروج الى الحمى منعته وناشدته الله ان يقطع رحمه وكانت تنهى أخاها جساسا ان يسرح ابله (٣) ثم ان كليبا خرج الى الحمى وجعل يتصفح الابل فرأى ناقة الجرمي فرمى ضرعها فانفذه فولت ولها عجيج حتى بركت بفناء صاحبها فلما رأى ما بها اصرخ بالذل وسمعت البسوس صراخ جارها فخرجت اليه فلما رأت ما بناقته وضعت

تمثال من الذهب الاحمر وجعله دون مرتبة جده على سرير من الذهب ورصعه بانواع الجواهر وكان يسجد له ويبدأ بالاول ثم بابيه وأهل مملكته يسجدون له وأحسن السياسة للرعية وسواهم في جميع أمورهم وشملهم بالعدل فكثر النسل وأخصبت الارض فكان ملكه الى ان هلك نحوا من مائتي سنة ثم ملك بعده ولده (عمليان) فجعل أباه في تمثال من الذهب الاحمر وجرى على ما سلف من أفعالهم في السجود والتعظيم وطال ملكه واتصلت بلاده ببلاد الترك من بني عمه فعاش أربعمائة سنة واتخذ في أيامه كثير من المهن مما لطف في الدور من الصنائع وملك بعده ولده (حرامان) فأحدث الفلك وحمل فيها الرجال وحمل لطائف بلاد الصين وصيرها نحو بلاد السند والهند الى اقليم بابل والى سائر الممالك مما قرب منها وأبعد في البحر وأهدى الهدايا العجيبة والرغائب النفيسة الى الملوك وأمرهم ان يجلبوا اليه ما في كل بلد من الطرائف والتحف من المآكل والمشارب والملابس وسائر الفرش وان يعرفوا سياسة كل ملك وكل أمة وشريعتها ونهجها التي هي عليه وان

يدها على رأسها ثم صاحت واذلاه وجساس يراها ويسمع فخرج اليها فقال لها اسكتي ولا تراعي ولكن الجرمي وقال لهما انى سأقتل جملا أعظم من هذه الناقة سأقتل غلالا وكان غلال فحل ابل كليب لم ير في زمانه مثله وانما أراد جساس بمقالته كليبا وكان لكليب عين يسمع ما يقولون فاعاد الكلام على كليب فقال لقد اقصر من يمينه على غلال ولم يزل جساس يطلب غرة كليب فخرج كليب يوما آمنا فلما بعد عن البيوت ركب جساس فرسه وأخذ رمحه وأدرك كليبا فوقف كليب فقال له جساس يا كليب الرمح وراءك فقال ان كنت صادقا فاقبل الي من أمامي ولم يلتفت اليه فطعنه فأرداه عن فرسه فقال يا جساس أغثني بشربة من ماء فلم يأنه بشيء وقضى كليب نحبه فأمر جساس رجلا كان معه اسمه عمرو بن الحرث بن ذهل بن شيبان فجعل عليه احجار الثلاثا كله السباع وفي ذلك يقول مهلهل بن ربيعة أخو كليب

قتيل ما قتيل المرء عمرو * وجساس بن مرة ذي صريم
أصاب فؤاده بأصم تلدن * فلم يعطف هنالك على حميم
فان غدا وبعد غد لوهن * لأمر ما يقام له عظيم
جسيما ما بكيت به كليبا * اذا ذكر الفعال من الجسيم
سأشرب كاسها بسرفها واسقى * بكأس غير منطقة مليم

ولما قتل جساس كليبا انصرف على فرسه يركضه وقد بدت ركبتاه فلما نظر أبوه مرة الى ذلك قال لقد أتاكم جساس بداهية ما رأيته قط بادي الركبتين الى اليوم فلما وقف على أبيه قال مالك يا جساس قال طعنت طعنة يجتمع بنو وائل غدا لها رقصا قال ومن طعنت لامك الثكل قال قتلت كليبا قال أفعلت قال نعم قال بئس والله ما جئت به قومك فقال جساس

تأهب عنك أهبة ذي امتناع * فان الامر جل عن التلاحي
فاني قد جنيت عليك حربا * تغص الشيخ بالماء القراح

فلما سمع أبوه قوله خاف خذلان قومه لما كان من لائمته اياه فقال يجيبه

فان تك قد جنيت علي حربا * تغص الشيخ بالماء القراح
جمعت بها يديك على كليب * فلا وكل ولا رث السلاح
سألبسك ثوبها واذود عني * بها عار المذلة والفضاح

ثم ان مرة دعا قومه الى نصرته فأجابوه وجلوا الاسنة وشحذوا السيوف وقوموا الرماح وتهيؤا للرحلة الى جماعة قومهم وكان همام بن مرة أخو جساس ومهلهل أخو كليب في ذلك الوقت بشربان فبعث جساس الى همام جارية لهم تخبره الخبر فانتهت اليهما وأشارت الى همام فقام اليها وأخبرته فقال له مهلهل ما قالت لك الجارية وكان بينهما عهد ان لا يكتم أحدهما صاحبه شيأ فذكر له ما قالت الجارية وأحب ان يعلمه ذلك في مداعبة وهزل فقال له مهلهل انت أخيك أضيق من ذلك فأقبلا على شربهما فقال له مهلهل اشرب فاليوم خمر وغدا أمر فشرب همام وهو حذر خائف فلما سكر مهلهل عاد همام الى أهله فسار وامن ساعتهم الى جماعة قومهم وظهر أمر كليب فذهبوا اليه فدفنوه فلما دفن شقت الجيوب وخمشت الوجوه وخرجت الابكار وذات الخدور العواتق اليه ودفن للتاسع فقال النساء لاخت كليب اخرجي جليلة أخت جساس عنا فان قيامها فيه شماتة وعار علينا وكانت امرأة كليب تاذكرنا فقالت لها أخت كليب اخرجي عن ماتمنا فانت أخت قاتلنا وشقيقة واترنا فخرجت تجر عطافها فلقيها أبو همام مرة فقال لها ما وراءك

يرغبوا الناس فيما في بلدانهم من الجواهر والطيب والآلات فتفرقت المراكب في البلاد ووردوا الممالك لما أمروا به فلم يردوا على أهل مملكة الا وأعجبوا بهم واستظرفوا ما أوردوه من أرضهم فبثت الملوك المطيفة بالبحار المراكب وجهزت نحوهم السفن وحملوا اليهم ما ليس عندهم وكاتبوا ملكهم وكافؤه على ما كان من هداياه اليهم فعمرت بلاد الصين واستقامت له الامور فكان عمره نحو امن مائتي سنة فهلك فجزع عليه أهل مملكته وأقاموا النياحة عليه شهرا ثم فزعوا الى الاكبر من أولاده فصيروه عليهم ملكا فجعل جسد أبيه في تمثال من الذهب وسلك طريقته ومن كان قبله في فعلهم مقتديا بمن مضى من آبائه وكان اسم هذا الملك (ثوماما) واستقامت له الامور واحدث من السنن المحمودة ما لم يحدثه أحد من ملوكهم وزعم ان الملك لا يثبت الا بالعدل فان العدل ميزان الرب وان من العدل الزيادة في الاحسان مع الزيادة في العمل وحصن وشرف وتوج ورتب الناس في رتبهم على طرائقهم وخرج يرتاد موضعا ليبني فيه هيكلا فوافى موضعا عامرا

يا جليلة فقالت ثكل العدد وحزن الابد وفقد خليل وقتل أخ عن قليل وبين هذين غرس الاحقاد وتفتت الاكباد فقال لها أو يكف ذلك كرم الصفح واغلاء الديات فقالت أسيفة مخدوع ورب الكعبة ألبدن تدع لك تغلب دم رجا ولما رحلت جليلة قالت أخت كليب رحلة المعتدى وفراق الشامت ويل غد الآل مرة من الكرة بعد الكرة فبلغ قولها جليلة فقالت وكيف سمعت الحرة بهنك ستترها وترقب وترها أسعد الله أختي الا قالت نفرة الحياء وحوف الاعداء ثم أنشأت تقول

يا ابنة الاقوام ان شئت فلا * تجهلي باللوم حتى تسألي
فاذا ما أنت تبيت الذي * يوجب اللوم فلومي واعذلي
ان تكن أخت امرئ ليمت على * شفق منها عليه فافعلي
جل عندي فعل جساس فيا * حسرتا فيما انجلت أو تنجلي
فعل جساس على وحدي به * قاطع ظهري ومدن أجلي
لو بعين فقئت عين سوى * أختها فانفقأت لم أحفل
تحمل العين قذى العين كما * تحمل الام أذى ما تنتلي
يا فتى لا قوض الدهر به * سقف بيتي جميعا من عل
هدم البيت الذي استحدثته * وانثنى في هدم بيتي الاول
ورماني قتله من كثب * رمية المصمى به المستأصل
يا نسائي دونكن اليوم قد * خصني الدهر برزء معضل
خصني قتل كليب بلظى * من ورائي ولظى مستقبل
ليس من يبكي لبوميه كمن * انما يبكي ليوم مقبل
يشتفي المدرك بالثأر وفي * درك ثأري ثكل المثكل
ليته كان دما فاحتلبوا * درر امنه دمي من اكحل
انني قاتلة مقتولة * ولعل الله ان يرتاح لي

واما مهلهل واسمه عدي وقيل امرؤ القيس وهو خال امرئ القيس بن حجر الكندي وانما لقب مهلهلا لانه أول من هلهل الشعر وقصد القصائد وأول من كذب في شعره فانه لما سمع بقتل كليب رثاه النساء بصرخن ألا ان كليبا قتل فقال وهو أول شعر قيل في هذه الحادثة

كنا نغار على العواتق أن ترى * بالامس خارجة عن الاوطان
فخرجن حين ثوى كليب حسرا * مستيقنات بعده بهوان
فترى الكواعب كالظباء عواطلا * اذحان مصرعه من الاكفان
يحمشن من أدم الوجوه حواسرا * من بعده ويعدن بالاردان
متسلبات نكدهن وقدوري * أجوافهن بحرقة وروان
ويقلن من للمستضيق اذا دعا * أم من لخضب عوالي المران
أم لا تسار بالجزور واذا غدا * ريح يقطع معقد الاشطان
أم من لاسباق الديات وجمها * ولفادحات نوائب الحدثان
كان الذخيرة للزمان فقد أتى * فقدانه وأخل ركن مكاني
يا لهف نفسي من زمان فاجع * ألقى على بكلكل وجران

يا مبشاب حسن الاحمام بالنهر تخترقه المياه فحط الهيكل هنالك وجلبت له أنواع الاحجار المختلفة الالوان لتشييد الهيكل ر ل على علوه قبة وجعل لها مخارج للهواء متساوية ونصب فيها بيوتا لمن أراد التفرد بالعبادة فلما فرغ منها نصب في أعلاها تلك التماثيل التي فيها أجسام من سلف من آبائه وأمر بتعظيمها وجمع الخواص من أهل مملكته وأخبرهم ان من رأيه ضم الناس الى ديانة يرجعون اليها لجمع الشمل وتساوي النظام فانه متى عدم المالك الشريعة لم يؤمن عليه الخلل ودخول الفساد والزلل فرتب لهم سياسة شرعية وفرائض عقلية وجعلها لهم رباطا ورتب لهم قصاصا في الانفس والاعضاء ومستحلات مناكح يستباح بها النسوان وتصح بها الانساب وجعلها مراتب فنها الواجب موجبة يحرجون من تركها ومنها نوافل يتنفلون بها وأوجب عليهم صلوات خمسا لقهم تقربا لمعبودهم منها ايماء لا ركوع فيها ولا سجود في أوقات من الليل والنهار معلومة ومنها بركوع وسجود في أوقات من السنين في شهور محدودة ورسم لهم اعيادا وجعل على الزناة

بصيحة لا تستقال جليلة * غلبت عزاء القوم والنسوان
هتكت حصونا كن قبل ملاوذا * لذوى الكهول معا والشبان
أضحت وأضحى سورها من بعده * متهدم الاركان والبنيان
فابكين سيد قومه واندبنه * شدت عليه قباطى الاكفان
وابكين للايتام لما أقحطوا * وابكين عند تخاذل الجيران
وابكين مصرع جيده متململا * بدمائه فلذاك أبكانى
فلاتركن به قبائل تغلب * قتلى بكل قرارة ومكان
قتلى تعاورها النسور أكفها * ينهشنها وحواجل الغربان

ثم انطلق الى المكان الذى قتل فيه كليب فرأى دمه وأتى قبره فوقف عليه ثم قال

ان تحت التراب حزما وعزما * وخصيما ألدذا معلاق
حية فى الوجار أربد لا ينـ * ـفع منه السليم نفث الراقى

ثم جز شعره وقصر ثوبه وهجر النساء وترك الغزل وحرم القمار والشراب وجمع اليه قومه وأرسل رجالا منهم الى بنى شيبان فاتوا عمرة بن ذهل بن شيبان وهو فى نادى قومه فقالوا له انكم أتيتم عظيما بقتلكم كليبا بناقة وقطعتم الرحم وانتهكتم الحرمة وانا نعرض عليك خلالا اربعا لكم فيها مخرج ولنا فيها مقنع اما ان تحيى لنا كليبا أو تدفع الينا قاتله جساسا فنقتله به او هما ما فانه كفء له أو تمكننا من نفسك فان فيك وفاء لدمه فقال لهم اما احياء كليب فلست قادرا عليه واما دفعى جساسا اليكم فانه غلام طعن طعنة على عجل وركب فرسه فلا أدرى أى بلاد قصد واما هم فانه أخو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة كلهم فرسان قومهم فان يسلموه بجريرة غيره وأما أنا فها هو الا أن تجول الخيل جولة فاكون أول قتيل فما انعجل الموت ولكن لكم عندى خصلتان أما احداهما فهؤلاء أبنائى الباقون خذوا أيهم شئتم فاقتلوه بصاحبكم وأما الاخرى فانى أدفع اليكم ألف ناقة سود الحدق حمر الوبر ففضب القوم وقالوا فداسات ببذل هؤلاء وتسومنا اللبن من دم كليب ونشبت الحرب بينهم ولحقت جليلة زوجة كليب بابيها وقومها واعترات قبائل بكر الحرب وكرهوا مساعدة بنى شيبان على القتال وأعظموا قتل كليب فتحولت لجيم وبشكر وكف الحرث بن عباد عن نصرهم ومعه أهل بيته وقال مهلهل عدة قصائد يرثى كليبا منها

كليب لاخير فى الدنيا ومن فيها * اذا أنت خليتها فيمن يخليها
كليب أى فتى عز ومكرمة * تحت السقائف اذ يعلوك سافيها
نعى النعاة كليبا لى فقلت لهم * مالت بنا الارض أو زالت رواسيها
الحزم والعزم كانا من صنيعته * ما كل آلائه ياقوم أحصيها
القائد الخيل تردى فى أعنتها * رهوا اذا الخيل لجت فى تعاديها
من خيل تغلب ما تلقى اسنتها * الا وقد خضبوها من أعاديها
يهزهزون من الخطى مدججة * صما أنابيبها زرقا عوالبها
لبئت السماء على من تحتها وقعت * وانشقت الارض فانجابت بمن فيها
لا اصلح الله منا من يصالحكم * ما لاحت الشمس فى أعلى مجاريها

فالتقوا أول قتال كان بينهم فى قول يوم عنيزة وهى عند فلج وكانا على السواء فقال مهلهل

كأنا غدوة وبنى أبينا * بجنب عنيزة رحيا مدير

منهم حدا وعلى من أراد من نسائهم البغاء حربة مفروضة وأن لا يحسن النكاح فى وقت من الاوقات وان أقام عما كر عليه تكف الحربة عنهن وما يكون من أولادهن ذكورا يكون للملك عبيدا وجندا وما يكون من أولادهن اناثا فلاماتهن ويلحق بصنعتهن وأمرهم بقرابين للهيا كل وذخر وأبخرة للكواكب وجعل لكل كوكب منها وقتا يتقرب اليه فيه بذخر معلوم من أنواع الطيب والعقاقير واحكم لهم جميع الامور واستقامت أيامه وكثر النسل فكانت حياته نحو اثنتين مائة وخمسين سنة وهلك فجزعوا عليه جزعا شديدا فجعلوه فى تمثال من الذهب الاحمر ورصعوه بأنواع الجواهر وبنوا له هيكلا عظيما وجعلوا استقفه سبعة ألوان من الجوهر على أنواع الكواكب السبعة من النيرين والخمسة بألوانها واشكالها وجعلوا يوم وفاته صلوات وعيدا يجتمعون فيه عند ذلك الهيكل وصوروا صورته على أبواب المدينة وعلى الدنانير والفلوس وعلى الثياب وأكثر أموالهم الفلوس الصفر والنحاس فاستقرت هذه المدينة بدار ملك الصين وهى مدينة انوا وبينها وبين البحر نحو من

ولولا الريح أسمع أهل حجر * صليل البيض تقرع بالذكور

فتفرقوا ثم بقوا زمانا ثم انهم التقوا بماء يقال له النهى كانت بنو شيبان نازلة عليه ويروى انها أول وقعة كانت بينهم وكان رئيس تغلب مهلهل ورئيس شيبان الحرث بن مرة وكانت الدائرة لبنى تغلب وكانت الشوكة فى بنى شيبان واستحر القتال فيهم الا انه لم يقتل ذلك اليوم أحد من بنى مرة ثم التقوا بالذنائب وهى أعظم وقعة كانت لهم فظفرت بنو تغلب وقتلت بكرا مقتلة عظيمة وقتل فيها شراحيل بن مرة بن همام بن ذهل بن شيبان وهو جد الحوفزان وجد معن بن زائدة وقتل الحرث بن مرة بن ذهل بن شيبان وقتل من بنى ذهل بن ثعلبة عمرو بن سدوس بن شيبان بن ذهل وغيرهم من رؤساء بكر ثم التقوا يوم واردات فاقتتلوا قتالا شديدا فظفرت تغلب أيضا وكثر القتل فى بكر فقتل همام بن مرة بن ذهل بن شيبان أخو جساس لابيه وأمه فزر مهلهل فلما رآه قتيلا قال والله ما قتل بعدك كليب أعز على منك وتالله لا تجتمع بكر بعدكما على خير أبدا وقيل انما قتل يوم القصيبات وقيل يوم قضة قتله ناشرة وكان همام قد التقطه ورباه وسماه ناشرة وكان عنده فلما شب علم انه تغلبى فلما كان هذا اليوم جعل همام يقاتل فاذا عطش جاء الى قربة له يشرب منها فتغفله ناشرة فقتله ولحق بقومه تغلب وكاد جساس يؤخذ فسلم فقال مهلهل

لو ان خيلى أدركتك وجدتهم * مثل الليوث بسترغب عرين

(ويقول فيها)

ولأوردن الخيل بطن اراكة * ولاقضين بفعل ذاك ديونى

ولاقتلن حماتها من بكركم * ولابكين بها جفون عيون

حتى تظل الحاملات مخافة * من وقعنا يقذفن كل جنين

وقيل فى ترتيب الايام غير ماذكرنا وسنذكره ان شاء الله تعالى وكان ابو نويرة التغلبى وغيره طلائع قومه وكان جساس وغيره طلائع قومهم والتقى بعض الليالى جساس وابو نويرة فقال له أبو نويرة اختر اما الصراع أو الطعان أو المسايفة فاختار جساس الصراع فاصطرعا وابطأ كل واحد منهما على أصحاب حيه وطلبوهما فأصابوهما وهما يصطرعان وقد كاد جساس يصرعه ففرقوا بينهما وجعلت تغلب تطلب جساسا أشد الطلب فقال له أبوه مرة الحق باخوالك بالشام فامتنع فألح عليه أبوه فسيره سرا فى خمسة نفر وبلغ الخبر الى مهلهل فندب أبا نويرة ومعه ثلاثون رجلا من شجعان أصحابه فسار وا مجدين فادركوا جساسا فقاتلهم فقتل أبو نويرة وأصحابه ولم يبق منهم غير رجلين وجرح جساس جراحا شديدا مات منه وقتل أصحابه فلم يسلم غير رجلين أيضا فعاد كل واحد من السالمين الى أصحابه فلما سمع مرة قتل ابنه جساس قال انما يحزننى ان كان لم يقتل منهم أحدا فقيل له انه قتل بيده أبا نويرة رئيس القوم وقتل معه خمسة عشر رجلا ما شركه منا أحد فى قتلهم وقتلنا نحن الباقين فقال ذلك مما يسكن قلبى عن جساس وقيل ان جساسا آخر من قتل فى حرب بكر وتغلب وكان سبب قتله ان أخته جليلة كانت تحت كليب وائل فلما قتل كليب عادت الى أبيها وهى حامل ووقعت الحرب وكان من الفريقين ما كان ثم عادوا الى الموادعة بعد ما كادت العشائر تتفانى فولدت أخت جساس غلاما فسماه هجرس ورباه جساس وكان لا يعرف ابا غيره فزوجه ابنته فوقع بين هجرس وبين رجل من بكر كلام فقال له البكرى ما أنت بعنته حتى نلحقك بأبيك فامسك عنه ودخل الى أمه كئيبا حزينا فاخبرها الخبر فلما نام الى جنب امرأته رأت من همه وفكره ما أنكرته فقصت على أبيها جساس قصته فقال ثائر ورب الكعبة وبات على مثل

ثلاثة أشهر وأكثر من ذلك على حسب ما قدمنا أيضا ولهم مدينة عظيمة بحرها يلى من أرضهم مغرب الشمس يقال لها مذو تلى بلاد التبت والحرب بين بلاد التبت وأهل المدسجال فلم تزل الملوك ممن طرأ بعد هذا الملك أمورهم منتظمة وأحوالهم مستقيمة والخصب والعدل لهم شامل والجور فى بلادهم معدوم يقتدون بما نصبه لهم من الشرع من قدمنا ذكرهم وحروبهم على عدوهم قائمة وثغورهم مشحونة والرزق على الجنود دار والتجار يختلفون اليهم فى البر والبحر من كل بلد بانواع الجهاز ودينهم دين من ساف وهى ملة تدعى السمنية عباداتهم نحو من عبادات قريش قبل مجىء الاسلام يعبدون الصور ويتوجهون نحوها بالصلوات واللبيب منهم يقصد بصلاته الخالق ويقيم التماثيل من الاصنام والصور مقام قبلة والجاهل منهم ومن لا علم له يشرك الاصنام بالهية الخالق ويعتقدهما جميعا وان عبادتهم الاصنام تقربهم الى الله زلفى وان منزلتهم فى العبادة تنقص عن عبادة البارئ لجلالته وعظمته وسلطانه وان عبادتهم لهذه الاصنام طاعة له ووسيلة اليه وهذا الدين

الرصف حتى أصبح فاحضر الهجرس فقال له انما أنت ولدى وأنت منى بالمكان الذى تعلم وزوجتك ابنتى وقد كانت الحرب فى أبيك زمانا طويلا وقد اصطلحنا وتحاجزنا وقد رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح وان تطاق معى حتى نأخذ عليك مثل ما أخذ علينا فقال الهجرس أنا فاعل فحمله جساس على فرس فركبه ولبس لامته وقال مثلى لا يأتى اهله بغير سلاحه فخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما فقص عليهم جساس القصة وأعلمهم ان الهجرس يدخل فى الذى دخل فيه جماعتهم وقد حضر ليعقد ما عقدتم فلما قربوا الدم وقاموا الى العقد أخذ الهجرس وسط رحمه ثم قال وفرسى وأذنيه و رمحى ونصليه وسيفى وغراريه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر اليه ثم طعن جساسا فقتله ولحق بقومه وكان آخر قتيل فى بكر والاول أكثر ورجع الى سياقة الحديث فلما قتل جساس أرسل أبوه مرة الى مهلهل انك قد أدركت ثارك وقتلت جساسا فاكفف عن الحرب ودع اللجاج والاسراف وأصلح ذات البين فهو أصلح للحيين وانكا لعدوهم فلم يجب الى ذلك وكان الحرث بن عباد قد اعتزل الحرب فلم يشهدها فلما قتل جساس وهمام ابنا مرة حمل ابنه بجيرا وهو ابن عمرو بن عباد أخى الحرث بن عباد فلما حمله على الناقة كتب معه الى مهلهل انك قد أسرفت فى القتل وأدركت ثارك سوى ما قتلت من بكر وقد أرسلت ابنى اليك فاما قتلته باخيك وأصلحت بين الحيين وأما أطلقته وأصلحت ذات البين فقد مضى من الحيين فى هذه الحروب من كان بقاؤه خيرا لكم فلما وقف على كتابه أخذ بجيرا فقتله وقال بؤ بشسع نعل كليب فلما سمع ابوه بقتله ظن انه قد قتله باخيه ليصلح بين الحيين فقال نعم القتيل قتيلا أصلح من ابنى وائل فقيل انه قال بؤ بشسع نعل كليب فغضب عند ذلك الحرث بن عباد وقال

قربا مربط النعامة منى * لقحت حرب وائل عن حيال
قربا مربط النعامة منى * شاب رأسى وانكرتنى رجالى
لم أكن من جناتها علم الله وانى بحربها اليوم صالى

فانوه بفرسه النعامة ولم يكن فى زمانها مثلها فركبها وولى أمر بكر وشهد حربهم وكان أول يوم شهده يوم قضة وهو يوم تحلاق اللمم وانما قيل له تحلاق اللمم لان بكرا حلقوا رؤسهم ليعرف بعضهم بعضا الاحدر بن ضبيعة بن قيس ابو المسامعة فقال لهم انا قصير فلا تشينونى وانا اشترى لمتى منكم باول فارس يطلع عليكم فطلع ابن عناق فشد عليه فقتله وكان يرتجز ذلك اليوم ويقول

ردوا على الخيل ان ألمت * ان لم اقاتلهم فخزوا لمتى

وقاتل يومئذ الحرث بن عباد قتالا شديدا فقتل فى تغلب مقتلة عظيمة وفيه يقول طرفة

سائلوا عنا الذى يعرفنا * يقوانا يوم تحلاق اللمم
يوم تبدى البيض عن اسوقها * وتلف الخيل افواج النعم

وفى هذا اليوم أسر الحرث بن عباد مهلهلا واسمه عدى وهو لا يعرفه فقال له دلنى على عدى وأنا اخلى عنك فقال له المهلهل عليك عهد الله بذلك ان دللتك عليه قال نعم قال فانا عدى فخزنا صيته وتركه وقال فى ذلك

لهف نفسى على عدى ولم أعـ * ـرف عديا اذ امكنتنى اليدان

وكانت الايام التى اشتدت فيها الحرب بين الطائفتين خمسة أيام يوم عنيزة تكافؤا فيه وتناصفوا ثم اليوم الثانى يوم واردات كان لتغلب على بكر ثم اليوم الثالث الحنو كان لبكر على تغلب ثم اليوم الرابع يوم القصيبات أصيب بكر حتى ظنوا أنهم لن يستقيلوا ثم اليوم الخامس يوم قضة وهو يوم

كان بدء ظهوره فى خواصهم من الهند لمجاورتهم اياهم وهو رأى الهند فى العالم والجاهل على حسب ما ذكرنا فى أهل الصين ولهم آراء ونحل حدثت عن مذاهب الثنوية وأهل الدهر فتغيرت أحوالهم وبحثوا وتناظروا الا انهم ينقادون فى جميع أحكامهم الى ما نصب لهم من الشرائع المتقدمة ومن حيث ان ملكهم متصل بملك الطغرغر على حسب ما تقدم صاروا على آرائهم من اعتقادهم مذاهب المانية والقول بالنور والظلمة وقد كانوا جاهلية سبيلهم فى الاعتقاد سبيل أنواع الترك الى ان وقع لهم شيطان من شياطين المانية فزخرف لهم كلاما يريهم فيه تضاد ما فى هذا العالم وتباينه من موت وحياة وصحة وسقم وضياء وظلام وغنى وفقر واجتماع وافتراق واتصال وانفصال وشروق وغروب ووجود وعدم وليل ونهار وغير ذلك من سائر المتضادات وذكر لهم أنواع الآلام المعترضة لاجناس الحيوان من الناطقين وغيرهم مما ليس بناطق من البهائم وما يعرض للاطفال والبله والمجانين وأن البارئ جل وعز غنى عن ايلامهم وأراهم ان هنالك ضدا شديدا

التقالق وشهده الحرث بن عباد ثم كان بعد ذلك أيام دون هذه منها يوم النقيبة ويوم الفصيل لبكر على تغلب ثم لم يكن بينهما من احقبة انما كان مغاورات ودامت الحرب بينهما أربعين سنة ثم ان مهلهلا قال لقومه قد رأيت ان تنقوا على قومكم فانهم يحبون صلاحكم وقد أتت على حربكم أربعون سنة وما لتكم على ما كان من طلبكم وتركم فلو مرت هذه السنون فى رفاهية عيش لكانت قليل من طولها فكيف وقد فنى الحيان وثكلت الامهات ويتم الاولاد ونائحة لا تزال تصرخ فى النواحى ودموع لا ترقأ وأجساد لا تدفن وسيوف مشهورة ورماح مشرعة وان القوم سيرجعون اليكم غدا بمودتهم ومواصلتهم. تتعطف الارحام حتى تتواسوا فى قتال القتل فكان كما قال ثم قال مهلهل اما أنا فما تطيب نفسى ان أقيم فيكم ولا أستطيع ان أنظر الى قاتل كليب وأخاف ان أحاكم على الاستئصال وأنا سائر الى اليمن وفارقهم وسار الى اليمن ونزل فى جنب وهى حى من مذحج فخطبوا اليه ابنته فمنعهم فاجبروه على رويجها وساقوا اليه صداقها حلودا من ادم فقال فى ذلك

أعزز على تغلب بالقيت * أخت بنى الاكرمين من جشم
انكحها قدها الاراقم فى * جنب وكان الحباء من أدم
لو بابانين جاء يخطبها * لتوج ما انف خاطب بدم

الاراقم بطن من جشم بن تغلب يعنى حيث وقعت الاراقم وهم عشيرتها تزوجها رجل من جنب بادم ثم ان مهلهلا عاد الى ديار قومه فأخذه عمرو بن مالك بن ضبيعة البكرى أسيرا بنواحى هجر فاحسن اساره فغر عليه تاجر يبيع الخمر قدم بها من هجر وكان صديقا لمهلهل فاهدى اليه وهو أسير زقا من خمر فاجتمع اليه بنو مالك فخمروا عنده بكرا وشربوا عند مهلهل فى بيته الذى أفرد له عمرو فلما اخذ فيهم الشراب تغنى مهلهل بما كان يقوله من الشعر وينوح به على أخيه كليب فسمع منه عمرو ذلك فقال امه لريان والله لا يشرب عندى ماء حتى يرد زيب وهو جبل كان له لا يرد الا حسا فى حجارة القيظ فطلب بنو مالك زيبا وهم حراص على ان لا يملك مهلهل فلم يقدروا عليه حتى مات مهلهل عطشا وقيل ان ابنة حال مهلهل وهى ابنة المجلل التغلبى كانت امرأة عمرو وأرادت ان تأتى مهلهلا وهو أسير فقال يذكرها

طعنة ما ابنة المجلل بيضا * لعوب لذيذة فى العناق
فاذهبى ما اليك غير بعيد * لا يوانى العناق من فى الوثاق
ضربت صدرها الى وقالت * ياعدى لقد وقتك الاواقى

وهى أبيات ذوات عدد فنقل شعره الى عمرو بن مالك فخاف عمرو أن لا يسقيه الماء حتى يرد زيب فسأله الناس ان يورد زيبا قبل وروده ففعل وأورده وسقاه حتى يتحلل من يمينه ثم انه سقى مهلهلا من ماء هناك هو أوخم المياه فمات مهلهل (عباد بضم العين وفتح الباء الموحدة وتخفيفها)

(ذكر الحرب بين الحرث الاعرج وبنى تغلب)

قال أبو عبيدة ان بكرا وتغلب ابنى وائل اجتمعت للمنذر بن ماء السماء وذلك بعد حربهم وكان الذى أصلح بينهم قيس بن شراحيل بن مرة بن همام فغرابهم المنذر بنى آكل المرار وجعل على بنى بكر وتغلب ابنه عمرو بن هند وقال أغر أخوالك فغراهم فاقتتلوا فانهزم بنو آكل المرار وأسروا وجاؤا بهم الى المنذر فقتلهم ثم انتقضت تغلب على المنذر ولحقت بالشام ونحن نذكر سبب ذلك فى أخبار شيبان ان شاء الله وعادت الحرب بينهم وبين بكر فخرج ملك غسان بالشام وهو الحرث بن أبى شمر الغسانى فربا فاريق من تغلب فلم يستقبلوه وركب عمرو بن كلثوم التغلبى فتلقيه فقال له ما منع

دخل على الخبر الفاضل فى ذلك وهو الله عز وجل فاجتذب بما وصفنا وغيره من الشبه بقولهم فدانوا بما وصفنا فان كان ملك الصين ينتمى لمذهب ذبح الحيوان كانت الحرب بينه وبين صاحب الترك ابرخان سجالا واذا كان ملك الصين متنافى المذهب كان الامر بينهم بتنافى الملل مشاعا وملوك الصين ذروا آراء نحل الا انهم مع اختلاف أديانهم غير جارين عن قضية العقل والحق فى نصب القضاة والحكام وانقياد الخواص والعوام الى ذلك وأهل الصين شعوب وقبائل كقبائل العرب والحاذها وشعبها فى انسابها ولهم مراعاة لذلك وحفظ له وينسب الرجل الى خمسين أبا الى ان يتصل بعابور وأكثر من ذلك وأقل ولا يتزوج اهل كل فخذ الا من فخذهم مثال ذلك ان يكون الرجل من مضر فلا يتزوج فى ربيعة أو من ربيعة فلا يتزوج فى مضر أو من كهلان فلا يتزوج فى حمير أو من حمير فلا يتزوج من كهلان ويزعمون ان فى ذلك صحة النسل وقوام البنية وانه أصح للقاء وأتم للعمر وأسبابا يذكرونها نحو ما ذكرنا فلم نزل أمور

قومك ان يتاقوني فقال لم يعلموا بمرورك فقال لئن رجعت لاغزونهم غزوة تترك فيهم ايقاظا لقدومي فقال عمرو ما استيقظ قوم قط الا نبل رأيهم وعزت جماعتهم فلا توقظن نائمهم فقال كانك تتوعدني بهم أما والله لتعلمن اذا نالت غطاريف غسان الخيل في ديارهم ان ايقاظ قومك سينامون نومة لا حلم فيها تجتث أصولهم وينفى فلهم الى اليابس الجدد والنازح البعد ثم رجع عمرو بن كلثوم عنه وجمع قومه وقال

ألا فاعلم ابيت اللعن أنا * ابيت اللعن ناد ما تريد
تعلم ان محلمنا ثقيل * وان دبار كبتنا شديد
واناليس حي من معد * يقاومنا اذا لبس الحديد

فلما عاد الحرث الاعرج فغزا بني تغلب فاقتتلوا واشتد القتال بينهم ثم انهزم الحرث وبنو غسان وقتل أخوا الحرث في عدد كثير فقال عمرو بن كلثوم

هلا عطفت على أخيك اذا دعا * بالثكل ويل أبيك يا ابن ابي شمر
فذق الذي جشمت نفسك واعترف * فيها أخاك وعامر بن أبي حجر

﴿يوم عين اباغ﴾

وهو بين المنذر بن ماء السماء وبين الحرث الاعرج بن أبي شمر جبلة وقيل أبو شمر عمرو بن جبلة بن الحرث بن حجر بن النعمان بن الحرث الايهم بن الحرث بن مارية الغساني وقيل في نسبه غير هذا وقيل هو أزدي تغلب على غسان والاول أكثر وأصح وهو الذي طلب أدراع امرئ القيس من السموأل بن عادياء وقتل ابنه وقيل غيره والله أعلم وسبب ذلك ان المنذر بن ماء السماء ملك العرب سار من الحيرة في معد كلها حتى نزل بعين أباغ ذات الحيار وأرسل الى الحرث الاعرج بن جبلة ابن الحرث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو من يقياء بن عامر الغساني ملك العرب بالشام اما ان تعطيني لندية فأصرف عنك بجنودي واما ان تأذن بحرب فارسل اليه الحرث أنظرنا ننظر في أمرنا فجمع عساكره وسار نحو المنذر وأرسل اليه يقول له انا شيخان فلا تهلك جنودي وجنودك ولكن يخرج رجل من ولدي ويخرج رجل من ولدك فمن قتل خرج عوضه آخر واذا فنيت أولادنا خرجت أنا اليك فمن قتل صاحبه ذهب بالملك فتعاهدا على ذلك فعمد المنذر الى رجل من شجعان أصحابه فأمره ان يخرج فيقف بين الصفين ويظهر أنه ان المنذر فلما خرج أخرج اليه الحرث ابنه اباكرب فلما رآه رجع الى أبيه وقال ان هذا ليس بابن المنذر انما هو عبده أو بعض شجعان أصحابه فقال يا بني اجرعت من الموت ما كان الشيخ ليغدر فعاد اليه وقاتله فقتله الفارس وألقى رأسه بين يدي المنذر وعاد فأمر الحرث ابنه آخر بقتاله والطلب بثار أخيه فخرج اليه فلما واقفه رجع الى أبيه وقال يا أبت هذا والله عبد المنذر فقال يا بني ما كان الشيخ ليغدر فعاد اليه فشد عليه فقتله فلما رأى ذلك شمر بن عمرو الحنفي وكانت أمه غسانية وهو مع المنذر فقال أيها الملك ان الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام وقد غدرت بابن عمك دفعتين فغضب المنذر وأمر باخراجه فلحق بعسكر الحرث فاخبره فقال له سل حاجتك فقال له حلفتك وخلتك فلما كان الغد عبى الحرث أصحابه وحرضهم وكان في أربعين ألفا واصطفوا للقتال فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل المنذر وهزمت جيوشه فامر الحرث بابنيه القتيلين فحملا على بعير بمنزلة العدلين وجعل المنذر فوقهما فردا وقال بالعلاوة دون العدلين فذهبت مثلا وسار الى الحيرة فانهبها وأحرقها ودفن ابنيه بها وبنى الغريين عليهما في قول بعضهم وفي ذلك اليوم يقول ابن الرعلاء الضبابي

الصين مستقيمة في العدل على حسب ما جرى به الامر فيما سلف من ملوكهم الى سنة أربع وستين ومائتين فانه حدث في الملك أمر زال به النظام وانتقضت به الاحكام والشرائع ومنع من الجهاد الى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وهو ان نابغا نبغ فيهم من غير بيت الملك كان في بعض مدائن الصين يقال له (ياسر) وكان شريرا يطلب الفتوة ويجتمع اليه أهل الدعارة والشر فلحق الملك وأرباب التدبير غفلة عنه لطول ذكره وكثر عتوه وقويت شوكته وقطع أهل الشر المسافات نحوه وعظم جيشه فسار من مرضعه وشن الغارات على العمائر حتى نزل مدينة عاصورو هي مدينة عظيمة على نهر عظيم أكبر من دجلة يصب الى بحر الصين وبين هذه المدينة وبين البحر مسيرة ستة أيام أو سبعة يدخل هذا النهر سفن التجار الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائر الرانج والصنف وغيرها من الممالك بالامتعة والجهاز وتقرب الى مدينة خانقو وفيها خلائق من الناس مسلمون ونصارى ويهود ومجوس وغير ذلك

كم تركنا بالعبيد عين اباغ * من ملوك وسوقة اكماء
امطرتهم صائب الموت تترى * ان فى الموت راحة الاشقياء
ليس من مات فاستراح بميت * انما الميت ميت الاحياء

﴿(يوم مرج حليمة وقتل المنذر بن المنذر بن ماء السماء)﴾

لما قتل المنذر بن ماء السماء على ما تقدم ملك بعده ابنه المنذر وتلقب الاسود فلما استقر وثبت قدمه جمع عساكره وسار الى الحرث الاعرج طالبا ثار أبيه عنده وبعث اليه انى قد أعددت لك الكهول على الفحول فاجابه الحرث قد أعددت لك المرد على الجرد فسار المنذر حتى نزل بمرج حليمة فتركه من به من غسان للاسود وانما سمى مرج حليمة بحليمة ابنة الحرث الغسانى وسنذكر خبرها عند الفراغ من هذا اليوم ثم ان الحرث سار ونزل بالمرج أيضا فامر أهل القرى التى فى المرج ان يصنعوا الطعام لعسكره ففعلوا ذلك وحملوه فى الجفان وتركوه فى العسكر فكان الرجل يقاتل فاذا تراد الطعام جاء الى تلك الجفان فأكل منها فاقامت الحرب بين الاسود والحرث أياما ينتصف بعضهم من بعض فلما رأى الحرث ذلك قعد فى قصره ودعا ابنته هندا وأمرها فاتخذت طيبا كثيرا فى الجفان وطيبت به أصحابه ثم نادى يا فتيان غسان من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتى هندا فقال لبيد بن عمرو الغسانى لابيه يا أبت أنا قاتل ملك الحيرة او مقتول دونه لا محالة ولست أرضى فرسى فاعطنى فرسك الزيتية فاعطاه فرسه فلما رحف الناس واقتتلوا ساعة شد لبيد على الاسود فضربه ضربة فالقاه عن فرسه وانهزم أصحابه فى كل وجه ونزل فاحتز رأسه وأقبل به الى الحرث وهو على قصره ينظر اليهم فالقى الرأس بين يديه فقال له الحرث شأنك بابنة عمك فقد زوجتكها فقال بل أنصرف فاواسى أصحابى بنفسى فاذا انصرف الناس انصرفت فرجع فصادف أخا الاسود قد رجع اليه الناس وهو يقاتل وقد اشتدت نكايته فتقدم لبيد فقاتل فقتل ولم تقتل فى هذه الحروب بعد تلك الهزيمة غيره وانهزمت لخم هزيمة ثانية وقتلوا فى كل وجه وانصرفت غسان باحسن ظفر وذكر ان الغبار فى هذا اليوم اشتد وكثر حتى ستر الشمس وحتى ظهرت الكواكب المتباعدة عن مطالع الشمس لكثرة العساكر لان الاسود سار بعرب العراق أجمع وسار الحرث بعرب الشام أجمع وهذا اليوم من أشهر أيام العرب وقد فخر به بعض شعراء غسان فقال

يوم وادى حليمة وازدلفنا * بالعناجيج والرماح الظماء
اذ شهدنا أكفنا من رقاق * رق من وقعها سنا الصحناء
وأتت هندبا لخلوف الى من * كان ذا نجدة وفضل غناء
ونصبنا الجفان فى ساحة المر * ج فلما الى جفان ملاء

وقيل فى قتله غير ما تقدم ونحن نذكره قال بعض العلماء وكان سببه أن الحرث بن ابى شمر جبله بن الحرث الاعرج الغسانى خطب الى المنذر بن المنذر اللخمى ابنته وقصد انقطاع الحرب بين لخم وغسان فزوجه المنذر ابنته هندا وكانت لا تريد الرجال فصنعت بجلدها شبيها بالبرص وقالت لابيها أنا على هذه الحالة وتهدينى لملك غسان فتقدم على تزويجها فامسكها ثم ان الحرث أرسل يطلبها فمنعها ابوها واعتل عليه ثم ان المنذر خرج غازيا فبعث الحرث بن أبى شمر جيشا الى الحيرة فانتهبها وأحرقها فانصرف المنذر من غزاته لما بلغه من الخبر فسار يريد غسان وبلغ الخبر الحرث فجمع أصحابه وقومه فسار بهم فتوافقوا بين أباغ فاصطفوا للقتال فاقتتلوا واشتد الامر بين الطائفتين فحملت ميمنة المنذر على ميسرة الحرث وفيها ابنه فقتلوه وانهزمت الميسرة وحملت ميمنة الحرث

من أهل الصين فقصد هذا العدو الى هذه المدينة فحاصرها وأتته جيوش الملك فهزمها واستباح ما فيها فكثرت جنوده وافتتح مدينة خانقو عنوة وقتل من أهلها خلقا لا يحصون كثرة وأحصى من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس من قتل وغرق حوف السيف فكان مائتى ألف وانما أحصى ما ذكرناه من هذا العدد لان ملوك الصين تحصى من فى مملكتها من رعيتها وكذا من جاورها من الامم ليصير ذمة لها فى دواوين لها بكتاب قد وكلوا باحصاء ذلك لما يرون من حياطة من شمله ملكهم وقطع هذا العدو ما كان حول مدينة خانقو من غابات شجر التوت اذ كان يحتفظ به لما يكون من ورقه وما يطعم منه لدود القز الذى يغزل به الحرير فكان ذهاب الشجر داعيا الى انقطاع الحرير الصينى وجهازه الى ديار الاسلام وسار (ياسر) بجيوشه الى بلد بلد فافتتحه وانضاف اليه أمم من الناس ممن يطلب الشر والنهب وغيرهم ممن يخاف على نفسه وقصد نحو مدينة خزران وهى دار الملك فتحصن بها فى مائتى ألف ممن بقى معه من خواصه والتقى هو

على ميسرة المنذر فانهزم من بها وقتل مقدمها فروة بن مسعود بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان وحملت غسان من القلب على المنذر فقتلوه وانهزم أصحابه في كل وجه فقتل منهم بشر كثير وأسر خلق كثير منهم من بني تميم ثم من بني حنظلة مائة أسير منهم شأس بن عبدة فوفد أخوه علقمه ابن عبدة الشاعر على الحرث يطلب اليه ان يطلق أخاه ومدحه بقصيدته المشهورة التي أولها

طحابك قلب في الحسان طروب * بعيد الشباب عصر حان مشيب

تكاني ليلى وقد شط أهلها * وعادت عواد بيننا وخطوب

(يقول فيها)

فان تسألوني بالنساء فانني * بصير بأدواء النساء طبيب

اذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له في ودهن نصيب

يردن ثراء المال حيث وجدنه * وشرخ الشباب عندهن عجيب

وخالد من غسان أهل حفاظها * وهندونا س ماصنعت يشيب

تحشحش أبدان الحديد عليهم * كما خشخشت بين الحصاد جنوب

فلم ينج الا شطبة بلجامها * والا طمرك القناة نجيب

والا كمي ذو حفاظ كأنه * بما ابتل من حد الظبات خضيب

وفي كل حي قد خبطت بنعمة * فحق لشأس من ندالك ذنوب

فلا تحرمني نائلا عن جناية * فاني امرؤ وسط القباب غريب

فلما بلغ الى قوله فحق لشأس من ندالك ذنوب قال الملك اي والله وأذنبة ثم اطلق شأسا وقال له ارتئ الحبا وان شئت اسراء قومك وقال لجلسائه ان اخبار الحباء على قومه فلا خير فيه فقال أيها الملك ما كنت لاختار على قومي شيأ فاطلق له الاسرى من تميم وكساه وحباه وفعل ذلك بالاسرى جميعهم ورد دهم زادا كثيرا فلما بلغوا بلادهم اعطوا جميع ذلك لشأس وقالوا أنت كنت السبب في اطلاقنا فاستعن بهذا على دهرك فحصل له مال كثير من ابل وكسوة وغير ذلك

(عبدة بفتح العين والباء الموحدة) وقيل في قتله انه جمع عسكرا ضخما وسار حتى نزل الشام وسار ملك الشام وهو عمه الاكثر الحرث بن أبي شمر فنزل مرج حليمة وهو ينسب الى حليمة بنت الملك ونزل الملك اللخمي في مرج الصفر فسير الحرث فارسين طليعة أحدهما فارس خصاف وكانت فرسه تجري على ثلاث ولا تلحق فسارا حتى خالطا القوم وقربا من الملك وامامه شمعة فقتلا حاملها ففزع القوم فاضطربوا باسيافهم فقتل بعضهم بعضا حتى أصبحوا وأتاهم رسل الحرث ملك غسان يبذل الصلح والاتاوة وقال اني باعث رؤس القبائل لتقرير الحال وندب أصحابه فانتدب له مائة غلام وقيل ثمانون غلاما فالبسهم السلاح وأمر ابنته حليمة ان تطيبهم وتلبسهم ففعلت فلما مر بها البيد ابن عمرو فارس الزبية قبلها فاتت أباها باكية فقال هو أسد القوم ولئن سلم لانكحنه اياك وأمره على القوم وسار واقلما قاربوا العسكر العراقي جمع الملك رؤس أصحابه وجاءت الغسانيون وعليهم السلاح قد لبسوا فوقها الثياب والبرانس فلما تناموا عند الملك أبدوا السلاح فقتلوا من وجدوا وقتل لبيد بن عمرو ملك العراقيين وأحيط بالغسانيين فقتلوا الا لبيد بن عمرو فان فرسه لم تبرح فاستوى عليها وعاد فاخبر الملك فقال له قد انكحتك ابنتي حليمة فقال لا يتحدث الناس اني فل مائة ثم عاد الى القوم فقاتل فقتل وتفقد أهل العراق أشرافهم واذا بهم قد قتلوا فضعفت نفوسهم لذلك وزحفت اليهم غسان فانهزموا قلت قد اختلف النسابون وأهل السير في مدة الايام وتقديم بعضها

وباسر وكانت الحرب بينهم سجالا نحو اثمان شهر وصبر الفريقان جميعا ثم كانت على الملك فولى منهزما وأمعن الخارجي في طلبه فانحاز الملك الى مدينة في أطراف أرضه واستولى الخارجي على الحوزة واحتوى على دار الملك وملك خزائن الملوك السالفة وما أعدوه للنوائب وشن الغارات في سائر العمارات وافتتح المدن وعلم ان لا قوام له بالملك اذ كان ليس من أهله فامعن في خراب البلاد وسفك الدماء وكاتب ملك الصين من المدينة التي نحار اليها المناخة لبلاد التبت وهي مدينة مد المتقدم ذكرها ملك الترك ابن فان فاستنجده وأعلمه ما نزل به وأعلمه ما يلزم الملوك من الواجبات اذا استنجدها اخوانها من الملوك وان ذلك من فرائض الملك وواجباته فانجده ابن خاقان وولد له بخصوص أربعمائة أنف فارس وراجل وقد استفحل أمر باسر فالتقى الفريقان جميعا فكانت الحرب بينهم سجالا نحوا من سنة وتعافى من الفريقين خلق كثير فقد باسر فقيل انه قتل وقيل انه أحرق وأسر ولده والخواص من أصحابه وسار ملك الصين الى

على بعض واختلفوا أيضا فى المقتول فيها فمنهم من يقول ان يوم حليمة هو الذى قتل فيه المنذر بن ماء السماء ويوم اباغ هو اليوم الذى قتل فيه المنذر بن المنذر ومنهم من يقول بضد ذلك ومنهم من يجعل اليومين واحدا فيقول لم يقتل الا المنذر بن ماء السماء واما ابنه المنذر فمات بالحيرة وقيل ان المقتول من ملوك الحيرة غيرهما فالصحيح ان المقتول هو المنذر بن ماء السماء لاشك فيه وأما ابنه ففيه خلاف كثير والاصح انه لم يقتل ومن أثبت قتله اختلفوا فى سببه على ماذكرناه وانما ذكرت اختلافهم والحادثة واحدة لان كل سبب منها قد ذكره بعض العلماء حتى تركنا أحدهما ظن من ليس له معرفة ان كل سبب منها حادث مستقل وقد أهملناه فأتينا بهما جميعا لذلك ونبهنا عليه

﴿ذكر قتل مضرط الحجارة﴾

وهو عمرو بن المنذر بن ماء السماء اللخمى صاحب الحيرة وكان يلقب مضرط الحجارة لشدة ملكه وقوة سياسته وأمه هند بنت الحرث بن عمرو المقصور بن آكل المرار وهى عمة امرئ القيس بن حجر بن الحرث وكان سبب قتله انه قال يوما لجلسائه هل تعلمون ان أحدا من العرب من أهل مملكتى يأنف ان تخدم أمه أمى قالوا ما نعرفه الا أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبى فان أمه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة وعمها كليب وائل وزوجها كلثوم وابنها عمرو فسكت مضرط الحجارة على ما فى نفسه وبعث الى عمرو بن كلثوم يستزيره ويأمره ان تزور أمه ليلى أم نفسه هند بنت الحرث فقدم عمرو بن كلثوم فى فرسان من بنى تغلب ومعه أمه ليلى فنزل على شاطئ الفرات وبلغ عمرو بن هند قدومه فأمر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات وأرسل الى وجوه أهل مملكته فصنع لهم طعاما ثم دعا الناس اليه فقرب اليهم الطعام على باب السرادق وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخواص أصحابه فى السرادق ولامه هند قبة فى جانب السرادق وليلى أم عمرو بن كلثوم معها فى القبة وقد قال مضرط الحجارة لامه اذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق الا الطرف فنحى خدمك عنك فاذا دنا الطرف فاستخدمى ليلى ومريها فلتناولك الشئ بعد الشئ ففعلت هند ما أمرها به ابنها فلما استدعى الطرف فقالت هند لليلى ناوليني ذلك الطبق فالت لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها فأحفت عليها فقالت ليلى وا ذلاه يا آل تغلب فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم فثار الدم فى وجهه والقوم يشربون فعرف عمرو بن هند الشر فى وجهه وثار ابن كلثوم الى سيف ابن هند وهو معلق فى السرادق وليس هناك سيف غيره فأخذه ثم ضرب به رأس مضرط الحجارة فقتله وخرج فنادى يا آل تغلب فانتهبوا ماله وخيله وسبوا النساء وساروا فلحقوا بالحيرة فقال أفنون التغلبى

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا * لتخدم ليلى أمه بموفق
فقام ابن كلثوم الى السيف مصلتا * وأمسك من ندمانه بالمخنق

﴿يوم الكلاب الاول﴾

قال ابن الكلبى أول من اشتد ملكه من كندة حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحرث الكندى فلما هلك ملك بعد أبيه عمرو مثل ملك أبيه فسمى المقصور لانه قصر على ملك أبيه فتزوج عمرو أم اياس بنت عوف بن محلم الشيبانى فولدت له الحرث فلك بعد أربعين سنة وقيل ستين سنة فخرج يتصيد فرأى عانة وهى حمر الوحش فشد عليها فانفرد منها حمار فتتبعه واقسم ان لا يأكل شيأ قبل كبده وهو بمصلان فطلبته الخيل ثلاثة أيام حتى أدركته فأتى به وقد كاد يموت من الجوع فشوى على النار وأطعم من كبده وهى حارة فمات وكان الحرث فرق بنيه فى قبائل معد فجعل حجرا فى بنى اسد وكنانة وهو أكبر ولده وجعل شرحبيل فى بكر بن وائل وبنى حنظلة بن مالك بن زيد

دار الملكة وعاد الى ملكه والعامة تسميه (يعبور) وتفسير ذلك ابن ماء السماء تعظيما له وهو الاسم الاخص لملوك الصين والذى يخاطبون به جميعا (خجان) ولا يخاطبون بيعبور وتغلب كل صاحب ناحية من عمله على ناحيته كتغلب ملوك الطوائف حين قتل الاسكندر فيلقوس المقدونى لدارا بن دارا ملك فارس وكنحو ما نحن بسبيله فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فرضى ملك الصين منهم بالطاعة له ومكاتبته بالملك ولم يتوجه منه المسير الى سائر أعماله ولا محاربة من تغلب على بلاده وقنع بما وصفنا وامتنع من ذكرنا من حمل الاموال اليه فتاركهم مسالما لهم وعدا كل فريق منهم على ما يليه على حسب قوته وتمكنه فعدم انتظام الملك واستقامته على حسب ما سلف من ملوكهم وقد كان لمن سلف من ملوكهم سير وسياسات للملك وانقياد للعدل على حسب ما توجبه قضية العقل (وحكى) ان رجلا من التجار من أهل مدينة سمرقند من بلاد خراسان خرج من بلاده ومعه متاع كثير حتى انتهى الى العراق فحمل من جهاره وانحدر الى البصرة وركب

البحر حتى أتى الى بلاد عمان وركب الى بلاد كلة وهى النصف من طريق الصين أو نحو ذلك واليها تنتهى مراكب الاسلام من السيرافيين والعمانيين فى هذا الوقت فيجتمعون مع من يرد من أرض الصين فى مراكبهم وقد كانوا فى بدء الزمان بخلاف ذلك وذلك ان مراكب الصين كانت تأتى بلاد عمان وسيراف من ساحل فارس وساحل البحرين والابلة والبصرة فلذلك كانت المراكب تختلف فى المواضع التى ذكرنا الى مدة مالك ولما عدم العدل وفسدت النيات وكان من أمر الصين ما وصفنا انتقى الفريقان جميعا فى هذا النصف ثم ركب هذا التاجر من مدينة كلة فى مراكب الصينيين الى مدينة خانقو وهى مرسى المراكب على حسب ما ذكرنا آنفا وبلغ ملك الصين خبر المراكب وما فيها من الجهاز والامتعة فسرح خصيا من خواص خدمه ممن يثق به فى أسبابه وذلك ان أهل الصين يستعملون الخصيان من الخدم فى الخراج وغيره من العمالات والمهمات وفيهم من يخصى ولده طالبا للرياسة واعتقاد النعمة

مناة بن تميم وبنى أسيد بن عمرو بن تميم والرباب وجعل سلمة وهو أصغرهم فى بنى تغلب والنمر بن قاسط وبنى سعد بن زيد مناة بن تميم وجعل ابنه معديكرب ويعرف بغلفاء فى قيس عيلان وقد تقدم هذا فى قتل حجر أبى امرئ القيس وانما أعدناه ههنا للحاجة اليه فلما هلك الحرث تشتت أمر أولاده وتفرقت كلمتهم ومشى بينهم الرجال وكانت المغاورة بين الاحياء الذين معهم وتفاقم أمرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف اليه بالجيوش فسار شرحبيل فيمن معه من الجيوش فنزل الكلاب وهو ماء بين البصرة والكوفة وأقبل سلمة فيمن معه وفى الصنائع أيضا وهم قوم كانوا مع الملوك من شذاذ العرب فاقبلوا الى الكلاب وعلى تغلب السفاح بن خالد بن كعب ابن زهير فاقتتلوا قتالا شديدا وثبت بعضهم لبعض فلما كان آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل وانهزموا وثبتت بكر وانصرفت بنو سعد ومن معها عن تغلب وصبرت تغلب ونادى منادى شرحبيل من أتانى برأس سلمة فله مائة من الابل ونادى منادى سلمة من أتانى برأس شرحبيل فله مائة من الابل فاشتد القتال حينئذ كل يطلب ان يظفر لعله يصل الى قتل أحد الرجلين ليأخذ مائة من الابل فكانت الغلبة آخر النهار لتغلب وسلمة ومضى شرحبيل منهزما فتبعه ذو السنينة التغلبى فالتفت اليه شرحبيل فضربه على ركبته فأطن رجله وكان ذو السنينة أخا أبى حنش لامه فقال لاخيه قتلنى الرجل وهلك ذو السنينة فقال بو حنش لشرحبيل قتلنى الله ان لم اقتلك وحمل عليه فادركه فقال يا أبا حنش اللبن اللبن يعنى الدية فقال قد هرقت لبنا كثيرا فقال يا أبا حنش املكا بسوقة فقال ان أخى ملكر فطعنه فالقاه عن فرسه ونزل اليه فاخذ رأسه وبعث به الى سلمة مع ابن عم له فاتاه به وألقاه بين يديه فقال سلمة لو كنت ألقيته ارفق من هذا وعرفت الندامة فى وجه سلمة والجزع عليه فهرب أبو حنش منه فقال سلمة

ألا ابلغ أبا حنش رسولا * فذاك لا تجىء الى الثواب
لتعلم ان خير الناس طرا * قتيل بين احجار الكلاب
تداعت حوله جشم بن بكر * وأسلمه جماسيس الرباب

فاجابه أبو حنش فقال

أحاذر ان أجيئك ثم تحبو * حباء أبيك يوم ضبيعات
وكانت غدرة شنعاء تهفو * تقلدها أبوك الى الممات

وكان سبب يوم ضبيعات ان ابنا للحرث كان مسترضعا فى تميم وبكر ولدغته حية فمات فاخذ خمسين رجلا من تميم وخمسين رجلا من بكر فقتلهم به ولما قتل شرحبيل قام بنو زيد مناة بن تميم دون أهله وعياله فمنعوهم وحالوا بين الناس وبينهم حتى ألحقوهم بقومهم ومأمنهم ولما بلغ خبر قتله أخاه معديكرب وهو غلفاء قال يرثيه

ان جنبى عن الفراش لنابى * كتجافى الاسر فوق الظراب
من حديث نمى الى فاتر * فأعينى ولا أسيغ شرابى
مرة كالذعاف أكتمها النا * س على حرقة كالشهاب
من شرحبيل اذ تعاوره الار * ماح من بعد لذة وشباب
يا ابن أمى ولو شهدتك اذ تد * عو عميا وأنت غير مجاب
ثم طاعنت من ورائك حتى * يبلغ الرحب أو تبز ثيابى
احسنت وائل وعادتها الاحـ * ـسان بالجبوب ضرب الرقاب

يوم فسرت بنو تميم وولت * خيلهم يتقين بالاذناب

وهى طويلة ثم ان تغلب أخرجوا سلمة من بينهم فلجأ الى بكر بن وائل وانضم اليهم ولحقت تغلب بالمنذر بن امرئ القيس اللخمى (الكلاب بضم الكاف أسيد بن عمرو بضم الهمزة وفتح السين المهملة وتشديد الياء المثناة من تحت وذو السنينة بضم السين المهملة تصغير سن والرباب بكسر الراء وتخفيف الباء الاولى الموحدة)

﴿يوم أوارة الاول﴾

وهو يوم كان بين المنذر بن امرئ القيس وبين بكر بن وائل وكان سببه ان تغلب لما أخرجت سلمة ابن الحرث عنها التجأ الى بكر بن وائل كما ذكرناه آنفا فلما صار عند بكر أذعنت له وحشدت عليه وقالوا لا يملكنا غيرك فبعث اليهم المنذر يدعوهم الى طاعته فابوا ذلك فخاف المنذر ليسير اليهم فان ظفر بهم ليذبحنهم على قلة جبل أوارة حتى يبلغ الدم الحضيض وسار اليهم فى جموعه فالتقوا باوارة فاقتتلوا قتالا شديدا وأجلت الوقعة عن هزيمة بكر وأسر يزيد بن شرحبيل الكندى فامر المنذر بقتله فقتل وقتل فى المعركة بشر كثير وأسر المنذر من بكر أسرى كثير فامر بهم فذبحوا على جبل أوارة فجعل الدم يجمد فقيل له أبيت اللعن لو ذبحت كل بكرى على وجه الارض لم تبلغ دماؤهم الحضيض ولكن لو صببت عليه الماء ففعل فسال الدم الى الحضيض وأمر بالنساء أن يحرقن بالنار وكان رجل من قيس بن ثعلبة منقطعا الى المنذر فكلمه فى سبى بكر بن وائل فاطلقهن المنذر فقال الاعشى يفتخر بشفاعة القيسى الى المنذر فى بكر

ومنا الذى أعطاه بالجمع ربه * على فاقه وللملوك هباتها
سبايا بنى شيبان يوم أوارة * على النار اذ تجلى به فتياتها

﴿يوم أوارة الثانى﴾

كان عمرو بن المنذر اللخمى قد ترك ابنا له اسمه أسعد عند زرارة بن عدس التميمى فلما ترعرع مرت به ناقة سمينة فعبث بها فرمى ضرعها وشد عليه ربها سويد أحد بنى عبد الله بن دارم التميمى فقتله وهرب فلحق بمكة فخالف قريشا وكان عمرو بن المنذر غزا قبل ذلك ومعه زرارة فأخفق فلما كان حيال جبلى طيئ قال له زرارة أى ملك اذا غزا لم يرجع ولم يصب فهل على طيئ فانك بحيالها فمال اليهم فاسر وقتل وغنم فكانت فى صدور طيئ على زرارة فلما قتل سويد أسعد وزرارة يومئذ عند عمرو فقال له عمرو بن ملقط الطائى يحرض عمرا على زراره

من مبلغ عمرا بان المرء لم يخلق صباره
هان عجزة أمه * بالسفح أسفل من أواره
فاقتل زرارة لا أرى * فى القوم أوفى من زراره

فقال عمرو يا زرارة ما تقول قال كذبت قد علمت عداوتهم فيك قال صدقت فلما جن الليل سار زرارة مجدا الى قومه ولم يلبث ان مرض فلما حضرته الوفاة قال لابنه يا حاجب ضم اليك غلمتى فى بنى نهشل وقال لابن أخيه عمرو بن عمرو عليك بعمرو بن ملقط فانه حرض على الملك فقال له يا عماه لقد أسندت الى أبعدهما شقة وأشدهما شوكة فلما مات زرارة تهيأ عمرو بن عمرو فى جمع وغزا طيئا فاصاب الطريفين طريف بن مالك وطريف بن عمرو وقتل الملاقط فقال علقمة بن عبدة فى ذلك

ونحن جلبنا من ضرية خيلنا * نجنبها حد الاكام قطاقطا
أصبنا الطريف والطريف بن مالك * وكان شناه الواصبين الملاقطا

فسار الخصى حتى أتى مدينة خانقو فاحضر التجار ومعهم التاجر الخراسانى فعرضوا عليه ما احتاج اليه من المتاع وما يصلح له فسأل الخراسانى ان يحضر متاعه فاحضره وجرت بينهم محادثة ودار الامر بينهم فى التثمين للمتاع فامر الخصى بسحب الخراسانى واكراهه وذلك انه رآه ثقة منه بعدل الملك فمضى الخراسانى من فوره حتى أتى الى مدينة اغواوهى دار الملك فوقف موقف المتظلم اذا أتى من البلد الشاسع قد تقمص نوعا من الحرير الاحمر ووقف موضعا قد رسم للطلامة وقد رتب بعض الملوك ملوك النواحى للقبض على من يرد من المتظلمين ويقف ذلك الموقف فيحمل مسيرة شهر من أرضهم على البريد ففعل ذلك بالتاجر الخراسانى ووقف بين يدى صاحب تلك الناحية المرتب لما ذكرناه فاقبل عليه وقال أيها الرجل لقد تعرضت لامر عظيم وخاطرت بنفسك انظر ان كنت صادقا فيما تخبر والا فانا قاتلك ونردك قتيلا من حيث جئت وكان هذا خطابه لمن تظلم فان رآه قد جزع وضرع فى القول ضربه مائة خشبة ورده من حيث جاء وان هو صبر على ما هو عليه حمل

الى حضرة الملك وأوقف بين يديه وسمع كلامه فصمم الخراساني في المطالبة والطلامة فرآه محقا غير متسرع ولا متلجلج فحمل الى الملك فوقف بين يديه وقص حديثه على الملك فلما ان أدى الترجمان اليه ما قاله وفهم طلامته أمر به الى بعض المواضع و أحسن اليه وأحضر الوزير وصاحب الميمنة وصاحب الميسرة وهم أناس قد رتبوا لذلك عند الملمات وحين الحروب قد عرف كل واحد منهم مرتبته والمراد منه ومرهم انهم ان يكتب كل واحد منهم الى صاحبه بالداهيه ولكل واحد منهم خليفة في كل ناحية وكتبوا الى أصحابهم بخانقوان يكتبوا اليهم عما كان من خبر التاجر والخادم وكتب الملك الى خليفته بالناحية بمثل ذلك وقد كان خبر الخادم والتاجر اشتهر واستفاض ووردت الكتب على بعال البريد بتصحيح ما قاله التاجر وذلك ان ملوك الصين لها في سائر الطرق من أعمالها مال للبريد مسرجة محدوة الآلات للاخبار والحرائط فبعث الملك فاستحضر الخادم فلما وقف بين يديه سأله ما كان أنعم به عليه ثم قال

فلما بلغ عمرو بن المدرو وفاة زرارة غزا بني دارم وقد كان حلف ليقتلن منهم مائة فسار بطلبهم حتى سبع آثاره وقد أندروا به فتفرقوا فاقام مكانه وبث سراياه فيهم فاتوه بتسعة وتسعين رجلا سوى من قتلوه في غاراتهم فقتلوهم فجاء رجل من البراجم شاعر ليمدحه فاحذه ليقتله ليتم مائة ثم قال ان الشقي وافد البراجم فذهبت مثلا وقيل انه ندران يحرقهم فلذلك سمي محرقا فاحرق منهم تسعة وتسعين رجلا وجتا زرجل من البراجم فشم قتار اللحم فظن ان الملك يتخذ طعاما فقصده فقال له أنت فقال أبيت اللعن أنا وافد البراجم فقال ان الشقي وافد البراجم ثم أمر به فقذف في النار فقال جرير للفرزدق

أبني لبيني نار عمرو وأحرقوا * أم أين أسعد فيكم المسترضع

وصارت مثلا بعد ذلك يعيرون بحب الاكل لطمع البرجمي في الاكل فقال بعضهم

اذا مات ميت من تميم * فسرك أن يعيش فجئ براد

بحبر أو بلحم أو بتمر * أو الشئ الملفف في البجاد

تراه ينقب البطحاء حولا * ليأكل رأس لقمان بن عاد

وقيل دخل الاحنف بن قيس على معاوية بن أبي سفيان فقال له معاوية ما الشئ الملفف في البجاد يا أبا بحر فقال السخينة يا أمير المؤمنين والسخينة طعام تعير به قريش كما كانت تعير تميم بالملفف في البجاد قال فلم يرمتهما رجلان أوقر منهما

﴿ ذكر قتل زهير بن جذيمة وحالد بن جعفر بن كلاب والحرث بن ظالم المري وذكر يوم الرحرحان ﴾

كان زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحرث بن قطيعة بن عبس العبسي وهو والد قيس بن زهير صاحب حرب داحس والغبراء سيد قيس عيلان فترقح اليه ملك الحيرة وهو النعمان بن امرئ القيس جد النعمان بن المنذر اشرفه وسوده فارسل النعمان الى زهير يستثيره بعض أولاده فارسل اليه مشأسا وكان أصغر ولده فاكرمه وحباه فلما انصرف الى أبيه كساه حللا وأعطاه مالا طيبا فخرج شأس يريد قومه فبلغ ماء من مياه غني بن أعصر فقتله رباح ابن الاشل العنوي وأخذ ما كان معه وهو لا يعرفه وقيل لزهير ان شأسا أفضل من عند الملك وكان آخر العهد به عند من مياه غني فسار زهير الى ديار غني وهم حلفاء في بني عامر بن صعصعة فاجتمعوا عنده فسألهم عن ابنه فحلفوا انهم لم يعلموا خبره قال لكني أعلمه فقال له أبو عامر هذا الذي يرصيك من قتل واحدة من ثلاث اما تحيون ولدي واما تسلمون الي عنيا حتى أقتلهم ولدي واما الحرب بيننا وبينكم ما بقينا وبقيتم فقالوا ما احملت لنا في هذه محرجا اما احياء ولدك فلا يقدر عليه الا الله واما تسليم غني اليك فهم يمتنعون مما يمتنع منه الاحرار واما الحرب بيننا فوالله انا لنحب رضاك ونكره سخطك ولكن ان شئت الدية وان شئت تطلب قاتل ابنك فنسلمه اليك أو نهب دمه فانه لا يضيع في القرابة والجوار فقال ما أفعل الا ما ذكرت فلما رأى حالد بن جعفر بن كلاب تعدي زهير على أخواله من غني قال والله ما رأينا كاليوم تعدى رجل على قومه فقال له زهير فهل لك ان تكون طلبتي عندك وأترك غنيا قال نعم فانصرف زهير وهو يقول

ولولا كلاب قد أحدت عرينتي * بردغني أعبدا ومواليا

ولكن جنهم عصبة عامرية * يهزون في الارض النصار العواليا

مساعير في الهيجا مصاليت في الوغى * أخوهم عزير لا يخاف الاعاديا

الى حضرة الملك وأوقف بين يديه وسمع كلامه فصمم الخراساني في المطالبة والطلامة فرآه محقا غير متسرع ولا متلجلج فحمل الى الملك فوقف بين يديه وقص حديثه على الملك فلما ان أدى الترجمان اليه ما قاله وفهم طلامته أمر به الى بعض المواضع و أحسن اليه وأحضر الوزير وصاحب الميمنة وصاحب الميسرة وهم أناس قد رتبوا لذلك عند الملمات وحين الحروب قد عرف كل واحد منهم مرتبته والمراد منه ومرهم انهم ان يكتب كل واحد منهم الى صاحبه بالداهيه ولكل واحد منهم خليفة في كل ناحية وكتبوا الى أصحابهم بخانقوان يكتبوا اليهم عما كان من خبر التاجر والخادم وكتب الملك الى خليفته بالناحية بمثل ذلك وقد كان خبر الخادم والتاجر اشتهر واستفاض ووردت الكتب على بعال البريد بتصحيح ما قاله التاجر وذلك ان ملوك الصين لها في سائر الطرق من أعمالها مال للبريد مسرجة محدوة الآلات للاخبار والحرائط فبعث الملك فاستحضر الخادم فلما وقف بين يديه سأله ما كان أنعم به عليه ثم قال

يقيمون فى دار الحفاظ تكرما * اذا ماقفى القوم أضحت خواليا

ثم انه أرسل امرأة وأمرها ان تكتم نسبها وأعطاها لحم جزور سمينة وسيرها الى غنى لتبيع اللحم بطيب وتسأل عن حال ولده فاطلقت المرأة الى غنى وفعلت ما أمرها فانتهت الى امرأة رباح بن الاشل وقالت لها قد زوجت بنتا لى وأبغى الطيب بهذا اللحم فاطبخيه لى واحدثيها بقتل روحها شأسا فعادت المرأة الى زهير وأخبرته فجمع خيله وجعل يغير على غنى حتى قتل منهم مقتلة عظيمة ووقعت الحرب بين بنى عبس وبنى عامر وعظم الشر ثم ان زهيرا خرج فى بيته وأهل بيته فى الشهر الحرام الى عكاظ فالتقى هو وخالد بن جعفر بن كلاب فقال له خالد لقد طال شرنا معك يازهير فقال زهير أما والله ساد امت لى قوة أدرك بها ثارا فلا انصرام له وكانت هوازن تؤتى زهير ابن جذيمة الاتاوة كل سنة بعكاظ وهو يسومها الخسف وفى أنفسها منه غيظ وحنق ثم عاد خالد وزهير الى قومهما فسبق خالد الى بلاد هوازن فجمع اليه قومه وبدبهم الى فقال زهير فجاءوه وتأهبوا للحرب وخرجوا يريدون زهيرا وهم على طريقه وسار زهير حتى نزل على أطراف بلاد هوازن فقال له ابن عمه تيس انج بنا من هذه الارض فانا مرتبب من عدونا فقال له ياعاجز وما الذى تخوفنى به من هوازن وتتقى شرها فانا اعلم الناس بها فقال ابن عمه دع عنك اللجاج واطعنى وسر بنا فانى خائف عاديتهم وكانت تماضر بنت الشريد بن رباح بن يقظة بن عصية السلمية أم ولد زهير وقد أصاب بعض اخوتها دما فلحق ببنى عامر وكان فيهم فارسله خالد عينا ليأتيه بخبر زهير فخرج حتى أتاهم فى منزلهم فعلم قيس بن زهير حاله وأراد هو وأبوه ان يوثقوه ويأخذوه معهم الى ان يخرجوا من ارض هوازن فمنعت أخته فأخذوا عليه العهود ان لا يخبرهم فاطلقوه فسار الى خالد ووقف الى شجرة يخبرها الخبر فركب خالد ومن معه الى زهير وهو غير بعيد منهم فاقتتلوا قتالا شديدا والتقى حالد وزهير فاقتتلا طويلا ثم انه انتاف فسقط على الارض وشد ورقاء بن زهير على خالد وضربه بسيفه فلم يصنع شيأ لانه قد طاهر بين درعين وحمل جندح بن البكاء وهو ابن اخت خالد على زهير فقتله وهو وخالد متركان فثار خالد عنه وعادت هوازن الى منازلها وحمل بنو زهير أباهم الى بلادهم فقال ورقاء بن زهير فى ذلك

رأيت زهيرا تحت كلكل خالد * فاقبلت أسعى كالعجول أبادر
الا بطلين يعتران كلاهما * يريد رياش السيف والسيف نادر
فشلت يمينى يوم أضرب خالدا * ويمنعه منى الحديد المظاهر
وياليت انى قبل أيام خالد * وقبل زهير لم تدنى تماصر
لعمرى لقد بشرت بى اذ ولدتنى * فماذا الذى ردت عليك البشائر
فلا يدعنى قومى صريع بحفرة * اذا كنت مقتولا ويسلم عامر
فطرحالد ان كنت تستطيع طيرة * ولا تقعا الا وقلبك حاذر
اتتك المنايا ان بقيت بصربة * تفارق منها العيش والموت حاضر

وقال خالد يمن على هوازن بقتله زهيرا

ابلغ هوازن كيف تكفر بعدما * انقذتهم فتوالدوا أحرارا
وقتلت ربهم زهيرا بعدما * جدع الانوف وأكثر الاوتارا
وجعلت مهر نسائهم ودمائهم * عقل الملوك هجانها وبكارا

وكان زهير يسيد غطفان فعلم خالد ان غطفان ستطلبه بسيدها فسار الى النعمان بن امرئ القيس

له عمدت الى رجل تاجر قد خرج من بلد شاسع وقطع مسالك واحتاز ملوكا فى بر وبحر فلم يتعرض له بسوء مل الوصول الى مما كتى ثقة منه بعدلى ففعلت به مافعلت وكان ينصرف عن ملكه ويقبح الاحدوثة عن سيرتى أما والولاة قديم حرمتك بنا القتلتك لكن أعاقبك بعقوبة ان عقلت فانها أكبر من القتل وهو ان أوليك مقابر الموتى من الملوك السالفة أن عجزت عن تدبير الاحياء والقيام بما اليه ندبت وأحسن الى التاجر وحمله الى خانقو وقال له ان سمحت نفسك ان تبيع منا ما اخترمن متاعك الثمن الجزيل والا فانت الحكم فى مالك اتم اذا شئت وبع كيف شئت وانصرف راشدا حيث شئت، صرف الخادم الى مقابر الملوك (قال المسعودى) ومن طرائف اخبار ملوك الصين أن رجلا من قريش من ولد هبار بن الاسود لما كان من أمر صاحب الزنج بالبصرة ما كان واشتهر خرج هذا الرجل الى مدينة سيراف وكان من أرباب البصيرة وأرباب النعم بها وذوى الاحوال الحسنة ثم ركب منها فى بعض مراكب بلاد الهند ولم يزل من مركب

الى مركب ومن بلد الى بلد
يخترق ممالك الهند الى أن
انتهى الى بلاد الصين الى
مدينة خانقو ثم عنه همته
الى ان سار الى ديار ملك
الصين وكان الملك يومئذ
بمدينة جمدان وهى من
كبار مدنهم ومن عظيم
امصارهم وأقام بباب الملك
مدة طويلة يروح الرقاع
ويذكر أنه من أهل بيت
بيوتات العرب فامر بعد هذه
المدة الطويلة بابراله فى
بعض المسالك وازاحة
العلة بما يحتاج اليه من
جميع أموره وكتب الى
الملك المقيم بخانقو يأمره
بالبحث عنه ومسألة التجار
عما يدعيه الرجل من قرابة
نبى العرب صلى الله عليه
وسلم فكتب صاحب خانقو
بصحة نسبه فاذن له فى
الوصول اليه ووصله بمال
واسع وأعاده الى العراق
وكان شيحا فهما فاخبرانه
لما وصل اليه ورأى ما هو
عليه من عبادة البيران
والسجود للشمس والقمر
من دون الله عز وجل فقال
له لقد غلبت العرب على
أجل الممالك وأنفسها
وأوسعها ربعا وأكثرها
أموالا وأعقلها رجالا
وأهداها صوتا ثم قال له
فما منزلة سائر الملوك عندكم
فقال ما فى جهنم علم فقال
للترجمان قل له انا نعد الملوك

بالحيرة فاستجاره فاجاره فضرب له قبة وجمع بنو زهير لهوازن فقال الحرث بن ظالم المرى اكفونى حرب هوازن فانا أكفيكم خالد بن جعفر وسار الحرث حتى قدم على النعمان فدخل عليه وعنده خالد وهما يأكلان تمرا فاقبل النعمان يسأله فحسده خالد فقال للنعمان أبيت اللعن هذا رجل لى عنده يد عظيمة قتلت رهيرا وهو سيد غطفان فصاره وسيدها فقال الحرث سأجزيك على يدك عندى وجعل الحرث يتناول لتمرا يأكله فيقع من بين أصابعه من الغضب فقال عروة لاخيه خالد ما أردت بكلامه وقد عرفته فتا كما قال خالد وما يخوفنى منه والله لورأنى نائما ما أيقظنى ثم خرج خالد وأخوه الى قبتهما وشرجاها عليهما ونام خالد وعروة عند رأسه يحرسه فلما أظلم الليل انطلق الحرث الى خالد وقطع شرج القبة ودخلها وقال لعروة لئن تكلمت قتلتك ثم أيقظ خالدا فلما استيقظ قال أتعرفنى قال أنت الحرث قال خذ جزاء يدك عندى وضربه بسيفه المعلوب فقتله ثم خرج من القبة وركب راحلته وسار وخرج عروة من القبة يستغيث وأتى باب النعمان فدخل عليه وأخبره الخبر فبعث الرجال فى طلب الحرث قال الحرث فلما سرت قليلا خفت ان أكون لم أقتله فعدت متنكرا واختلطت بالناس ودخلت عليه فضربته بالسيف حتى تيقنت انه مقتول وعدت فلحقت بقومى فقال عبد الله بن جعدة الكلابى

يا حار لو نبهته لوجدته * لا طائشا رعشا ولا معسارا
شقت عليه الجعفرية جيبها * جزعا وما تبكى هناك ضلالا
فانعوا أبا بحر بكل مجرب * حران يحسب فى القباء هلالا
وليقتلن بخالد سراتكم * ولنجعلن لظالم تمثالا

فاجابه الحرث تالله قد نبهته فوجدته * رخو اليدين مراكلا عسقالا
فعلوته بالسيف أضرب رأسه * حتى أنيل بسلحه السربالا

فجعل النعمان يطلبه ليقتله بجاره وهو ازن تطلبه لتقتله بسيد هما خالد فلحق بتميم فاستجار بضمرة بن سعد بن عامر بن قطن بن نهشل بن دارم فاجاره على النعمان وهوازن فلما علم النعمان ذلك جهز جيشا الى بنى دارم عليهم ابن الحمس الغنوى وكان يطلب الحرث بدم أبيه لانه كان قتله ثم ان الاحوص بن جعفر أخا خالد جمع بنى عامر وسار بهم فاجتمعوا هم وعسكر النعمان على بنى دارم وساروا فلما صاروا بادانى مياه بنى دارم رأوا امرأة تجنى الكمأة ومعها جمل لها فاخذها رجل من غنى وتركها عنده فلما كان الليل نام فقامت الى جملها فركبته وسارت حتى صبحت بنى دارم وقصدت سيدهم زرارة بن عدس فاخبرته الخبر فقالت أخذنى أمس قوم لا يريدون غيرك ولا أعرفهم قال فصفيهم لى قالت رأيت رجلا قد سقط حاجباه فهو يرفعهما بخرقة صغير العينين وعن أمره يصدرون قال ذاك الاحوص وهو سيد القوم قالت ورأيت رجلا قليل المنطق اذا تكلم اجتمع القوم كما تجتمع الابل لفحلها أحسن الناس وجها وسمعه ابناء له يلازمانه قال ذاك ابن جعفر وابناه عامر وطفيل قالت ورأيت رجلا جسيما كأن لحيته محرة معصفرة قال ذاك عوف بن الاحوص قالت ورأيت رجلا هلنا ما جسيما قال ذاك ربيعة بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب قالت ورأيت رجلا أسود أخنس قصيرا قال ذاك ربيعة بن قرط بن عبد الله بن أبى بكر قالت ورأيت رجلا أقرن الحاجبين كثير شعر السبلة يسبل لعابه على لحيته اذا تكلم قال ذاك جندح بن البكاء قالت ورأيت رجلا صغير العينين ضيق الجبهة يقود فرسا له معه جفير لا يفارق يده قال ذاك ربيعة بن عقيل بن كعب قالت ورأيت رجلا معه ابنان اصهبان اذا أقبلا رماهما

الناس بابصارهم فاذا أدبرا كانا كذلك قال ذلك الصعق بن عمرو بن خويلد بن نفيل وابناه يزيد وزرعة قالت ورأيت رجلا لا يقول كلمة الا وهي أحد من شفرة قال ذلك عبد الله بن جدعة بن كعب وأمرهما بزيارة فدخلت بيتها وأرسل زيارة الى الرعاء بأمرهم باحضار الابل ففعلوا وأمرهم فحملوا الاهل والاثقال وساروا نحو بلاد بغيض وفرق الرسل في بني مالك بن حنظلة فاتوه فاخبرهم الخبر وأمرهم فوجهوا اثقالهم الى بلاد بغيض وباتوا معدين وأصبح بنو عامر وأخبرهم الغنوي حال الظعينة وهربها فسقط في أيديهم واجتمعوا يريدون الرأي فقال بعضهم كافي بالظعينة قد أتت قومها فاخبرتهم الخبر فحذروا وأرسلوا أهليهم وأموالهم الى بلاد بغيض وباتوا معدين لكم في السلاح فاركبوا بنا في طلب نعمهم وأموالهم فانهم لا يشعرون حتى نصيب حاجتنا وننصرف فركبوا يطلبون طعن بني دارم فلما أبطأ القوم عن زيارة قال لقومه ان القوم قد توجهوا الى ظعنكم وأموالكم فسيروا اليهم غارة واجدين فلحقوهم قبل ان يصلوا الى الظعن والنعم فاقتتلوا قتالا شديدا فقتلت بنو مالك بن حنظلة بن الحمس التغلبي رئيس جيش النعمان وأسرت بنو عامر معبد بن زيارة وصبر بنو دارم حتى انتصف النهار وأقبل قيس بن زهير فيمن معه من ناحية أخرى فانهزمت بنو عامر وجيش النعمان وعادوا الى بلادهم ومعبد أسير مع بني عامر فبقي معهم حتى مات وفي تلك الايام أيضا مات زراره بن عدس وقيل في استجارة الحرث ببني تميم غير ذلك وهو ان النعمان طلب شيأ يغيظ به الحرث بعد قتل خالد وهربه فقيل له كان قصد الحيرة ورسل على عياض بن وهب التميمي وهو صديق له فبعث اليه النعمان فاخذ بلاله فركب الحرث وأتى الحيرة متخفيا واستنقذ ماله من الرعاء ورده عليه وطلب شيأ يغيظ به النعمان فرأى ابنه غضبان فضرب رأسه بالسيف فقتله وبلغ النعمان الخبر فبعث في طلبه فلم يدركه فقال الحرث في ذلك أخصي حماريات بكدم نجمة * أتوكل جاراتي وجارك سالم

فان تك أذوادا أصبت ونسوة * فهذا ابن سلمى رأسه متفاقم

علوت بذي الحيات مفرق رأسه * ولا يركب المكروه الا الاكارم

فتكت به كما فتكت بخالد * وكان سلاحي تحتويه الجماجم

بدأت بتلك واثنيت بهذه * وثالثة تبيض منها المقادم

حسبت أباقابوس انك مخفري * ولما تذق ثكلا وأنفك راغم

كذا قال بعضهم وقيل ان المقتول كان شرحبيل بن الاسود بن المنذر وكان الاسود قد ترك ابنه شرحبيل عند سنان بن ابي حارثة المري ترضعه زوجته فمن هناك كان لسنان مال كثير وكان ابنه هرم يعطي منه فجاء الحرث متخفيا فاستعار سرج سنان ولا يعلم سنان ثم أتى امرأة سنان فقال يقول بعلك ابغني بشر حبيل ابن الملك مع الحرث بن ظالم حتى يستأمن به ويتخفر به وهذا سرجه علامة فزينته ودفعته اليه فاخذه وقتله وهرب فغزا الاسود بني ذبيان وبني أسد بشط اربل فقتل فيهم قتلا ذريعا وسبى واستأصل الاموال وأقسم ليقتلن الحرث فسار الحرث متخفيا الى الحيرة ليفتك بالاسود فبينما هو في منزله اذ سمع صارخة تقول أنا في جوار الحرث بن ظالم وعرف حالها وكان الاسود قد أخذ لها صرمة من الابل فقال لها انطلقي غدا الى مكان كذا واتاه الحرث فلما وردت ابل النعمان أخذ مالها فسلمه اليها وفيها ناقة تسمى اللقاح فقال الحرث في ذلك

اذا سمعت حنة اللقاح * فادعي أبا ليلى فنعم الداعي

يمشي بعضب صارم قطاع * يفرق به مجامع الصداع

خمسة فاوسعهم ملكا الذي يملك العراق لانه في وسط الدنيا والملوك محدقة به ونجد اسمه عندنا ملكا وبعده ملكا هذا ونجده عندنا ملك الناس لانه لا أحد من الملوك أسوس منا ولا أضبط لملكه من ضبطا لملكا ولا رعية من الرعايا أطوع لملكها من رعيتنا فنحن ملوك الناس ومن بعده ملك السباع وهو ملك الترك الذي يلينا وهم سباع الانس ومن بعده ملك الفيلة وهو ملك الهند ونجده عندنا ملك الحكمة أيضا لان أصلها منهم ومن بعده ملك الروم وهو عندنا ملك الرجال لانه ليس في الارض أتم خلقا من رجاله ولا أحسن وجوها منهم فهؤلاء أعيان الملوك والباقون دونهم ثم قال للترجمان قل له أتعرف صاحبك ان رأيته يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القرشي وكيف لي برؤيته وهو عند الله عز وجل فقال لم أرد هذا وانما اردت صورته فقلت أجل فامر بسفط فاخرج فوضع بين يديه فتناول منه درجا وقال للترجمان أره صاحبه فرأيت في الدرج صور الانبياء فحركت شفتي بالصلاة عليهم ولم يكن عندهم أنا نعرفهم فقال

ثم أقبل يطلب مجيرا فلم يجره أحد من الناس وقالوا من يجيرك على هوازن والنعمان وقد قتلت ولده فأتى زرارة بن عدس ونعمرة بن ضمرة فأجاراه على جميع الناس ثم ان عمرو بن الاطنابة الحرر جي لما بلغه قتل خالد بن جعفر وكان سيد بني كلاب قال والله لو وجده يقظان ما أقدم عليه ولوددت اني لقيته وبلغ الحرث قوله وقال والله لآتينه في رحله ولا ألقاه الا ومعه سلاحه فبلغ ذلك ابن الاطنابة فقال أبياتا منها

أبلغ الحرث من طالما لمو * عدوا لماذر النذور عليا
انما تقتل النيام ولا تقـ * ـتل يقظان ذا سلاح كميا

فبلغ الحرث شعره فسار الى المدينة وسأل عن منزل ابن الاطنابة فلما دنا منه نادى يا ابن الاطنابة أغثني فاتاه عمرو وقال من أنت قال رجل من بني فلان خرجت أريد بني فلان فعرض لي قوم قريبا منك فاخذوا ما كان معي فاركب معي حتى تستنقذه فركب معه وليس سلاحه ومضى معه فلما بعد عن منزله عطف عليه وقال أنائم أنت أم يقظان فقال يقظان فقال أنا أبو ليلى وسيفي المعلوب فالقى ابن الاطنابة سيفه وقيل رمحه وقال قد أعجلتني فمهلني حتى آخذ سيفي فقال خذه قال أخاف ان تحملني على ذمة قال لك ذمة ظالم لا أعجلك عن أخذه قال فودمة الاطنابة لا آخذه فانصرف الحرث وهو يقول أبياتا منها

بلغتنا مقالة المرء عمرو * فالتقينا وكان ذاك بديا
فهممنا بقتله اذ رزقنا * ووجدناه ذا سلاح كميا
غير ما نائم يروع بالنـ * ـوم ولكن مقلدا مشرفيا
فمنعنا عليه بعد علو * بوفاه وكنت قدما وفيا

ثم ان الحرث لما علم ان النعمان قد حقد في طلبه وهوازن لا تقعد عن الطلب بثار خالد خرج متنكرا الى الشام واستجار ببريد بن عمرو فاكرمه وأجاره وكان ليزيد ناقة محماة في عنقها مدية وزناد وملح ليمتحن بذلك رعيته فوجدت زوجة الحرث واشنهت شحمها ولحمها فاخذ الحرث الناقة فادخلها شعبا فذبحها وحمل الى امرأته من شحمها ولحمها ورفع منه وفقدت الناقة فطلبت فوجدت عقيرة بالوادي فارسل الملك الى كاهن فسأله عنها فذكر له ان الحرث نحرها فارسل امرأة بطيب تشتري من لحمها من امرأة الحرث فادركها الحرث وقد اشترت اللحم فقتلها ودفنها في البيت فسأل الملك الكاهن عن المرأة فقال قتلها من نحر الناقة واذا كرهت ان تفتش بيته فتأمر الرجل بالرحيل فاذا رحل فتشت بيته ففعل ذلك فلما رحل الحرث فتش الكاهن بيته فوجد المرأة وأحس الحرث بالشر فعاد الى الكاهن فقتله فاخذ الحرث وأحضر عند الملك فامر بقتله فقال انك قد أجرتني فلا تغدر بي فقال ان غدرت بك مرة واحدة فقد غدرت بي مرارا فقتله

﴿ أيام داحس والغبراء وهي بين عبس وذبيان ﴾

وكان سبب ذلك ان قيس بن زهير بن جذيمة العبسي سار الى المدينة ليتجهز لقتال عامر والاخذ بثار أبيه فاتى أحيحة بن الجلاح يشتري منه درعا موصوفة فقال له لا أبيعها ولولا أن تذمني بنو عامر لوهبتها لك ولكن اشترها ابن لبون ففعل ذلك وأخذ الدرع وتسمى ذات الحواشي ووهبه أحيحة أيضا ادراعا وعاد الى قومه وقد فرغ من جهازه فاجتاز بالربيع بن زياد العبسي فدعاه الى مساعدته على الاخذ بثاره فاجابه الى ذلك فلما أراد فراقه نظر الربيع الى عيبته فقال ما في حقيبتك قال متاع عجيب لو أبصرته لراعك وأناخ راحلته فاخرج الدرع من الحقيبة فابصرها

للترجمان سله عن نحر بكه
لشفتيه فسألني فقلت أصلي
على الانبياء قال ومن أين
عرفتهم فقلت عاصرت من
أمورهم هذا نوح عليه
السلام في سفينته بمن
معه لما أمر الله عز وجل
الماء فعم الماء الارض كلها
بمن فيها وسلم ومن معه
فقال آمنوح فصدقت في
تسميته وأما غرق الارض
كلها فلا نعرفه فواخذ أخذ
الطوفان قطعة من الارض
ولم يصل الى أرضنا ان كان
حديثكم صحيحا فمن هذه
النصعة ونحن معشر أهل
الصين والهند والسند وغيرنا
من الطوائف والامم لا نعرف
ما ذكرتم ولا نقبل فيما
أسلفناه وصفتم وما ذكرت
من ركوب الماء الارض
كلها فانى الكوائن العظام
التي تتسرع النفوس الى
حفظه وتتداوله الامم نافلة
له قال القرشي فنهبت الرد
عليه واقامة الحجة لعلمي
بدفعه ذلك ثم قلت وهذا
موسى صلى الله عليه وسلم
وبنو اسرائيل فقال نعم على
قلة البلد الذي كان به وفساد
قومه عليه ثم قلت هذا عيسى
ابن مريم عليه السلام على
جلاله والحواريون معه
فقال لقد كان قليل مدته
انما كان أمده يزيد على
ثلاثين شهرا شيأ يسيرا وعدد
من ذكرنا من الانبياء مما
اقتصرت على ذكر بعضه

الربيع فاعجبته ولبسها فكانت في طوله فمنعها من قيس ولم يعطه اياها وتردد الرسل بينهما في ذلك ولج قيس في طلبها ولج الربيع في منعها فلما طالت الايام على ذلك سير قيس أهله الى مكة وأقام ينتظر غرة الربيع ثم ان الربيع سير ابله وأمواله الى مرعى كثير الكلأ وأمر أهله فظعنوا وركب فرسه وسار الى المنزل فبلغ الخبر قيسا فسار في أهله واخوته فعارض ظعائن الربيع وأخذ زمام أمه فاطمة بنت الخرشب وزمام زوجته فقالت فاطمة أم الربيع ما تريد يا قيس قال اذهب بكن الى مكة فابيعكن بها بسبب درعي قالت وهي في ضمانتي وحل عنا ففعل فلما جاءت الى ابنها قالت له في معنى الدرع فخاف انه لا يرد الدرع فارسلت الى قيس أعلمه بما قال الربيع فاغار على نعم الربيع فاستاق منها أربعمائة بعير وسار بها الى مكة فباعها واشترى بها خيلا وتبعه الربيع فلم يلحقه فكان فيما اشترى من الخيل : احسى والغبراء وقيل ان داحسا كان من خيل بني يربوع وان أبا كان فرسا لرجل من بني ضبة يقال له أسيف بن جبلة وكان الفرس يسمى السبط وكانت أم داحس لابن يربوعي فطلب اليربوعي من الضبي ان يريه فرسه على بحره فلم يفعل فلما كان الليل عمد اليربوعي الى فرس الضبي فاخذه فاتراه على فرسه فسنيقظ الصبي فلم ير فرسه فنادى في قومه فجاءوه وقد تعلق باليربوعي فاخبرهم الخبر فغضبت ضبة من ذلك فقال لهم لا تعجلوا دونكم نطفة فرسكم فخذوها فقال القوم قد انصف فسطا عليها رجل من القوم فدس يده في رحمها فاخذ ما فيها فلم تزد الفرس الا انقاحا فنتجت مهرا فسمي داحسا بهذا السبب فكان عند اليربوعي ابنان له وأغار قيس بن زهير على بني يربوع فهب وسبى ورأى الغلامين أحدهما على داحس والآخر على الغبراء فطلبهما فلم يلحقهما فرجع وفي السبي أم الغلامين وأختان لهما وقع داحس والغبراء في قلبه وكان ذلك قبل ان يقع بينه وبين الربيع ما وقع ثم جاء وفد بني يربوع في فداء الاسرى والسبي فاطلق الجميع الا أم الغلامين وأختيهما وقال ان أتاني الغلامان بالمهر والفرس الغبراء والا فلا فامتنع الغلامان من ذلك فقال شيخ من بني يربوع كان أسيرا عند قيس أبيات ويبعث بها الى الغلامين وهي

ان مهرا هذا الرباب وحملا * وسعادا لخير مهر اناس
اذ عوا داحسا بهن سراعا * انها من عهد لها الاكياس
دونها والذي يحج له النا * س سبايا يبعن بالافراس
ان قيسا يرى الجواد من الخيـ * ـل حياة في متلف الانفاس
يشتري الطرف بالجزاجز الجلـ * ـلة يعطى عفوا بغير مكاس

فلما انتهت الابيات الى بني يربوع قادوا الفرسين الى قيس وأخذوا النساء وقيل ان قيسا أرى داحسا على فرس له فجاءت بهره فسماها الغبراء ثم ان قيسا أقام بمكة فكان أهلها يفاخرونه وكان فخورا فقال لهم نحوا كعبتكم عنا وحرمكم وهاتوا ما شئتم فقال له عبد الله بن جدعان اذا لم تفاخرك بالبيت المعمور وبالحرم الآمن فبم تفاخرك فمال قيس مفاخرتهم وعزم على الرحلة عنهم وسر ذلك قريشا لانهم قد كانوا كرهوا مفاخرته فقال لاخوته ارحلوا بنا من عندهم أولا والا تفاقم الشر بيننا وبينهم والحقوا بني بدر فانهم أكفاؤنا في الحسب وبنو عمنا في النسب وأشراف قومنا في الكرم ومن لا يستطيع الربيع ان يتناولنا معهم فلحق قيس واخوته ببني بدر وقال في مسيره اليهم

أسير الى بني بدر بامر * هم فيه علينا بالخيار
فان قبلوا الجوار فخير قوم * وان كرهوا الجوار فغير عار
أتينا الحرث الخير بن كعب * بنجران وأي الجار جار

ويزعم هذا القرشي وهو المعروف بابن وهبان انه رأى فوق كل صورة كتابة طويلة قد زيد فيها ذكر أسمائهم ومواضع بلدانهم ومقاديرا عمارهم وأسباب نبوتهم وسيرهم قال ثم رأيت صورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على جمل وأصحابه محدقون به تتأرجلهم عمائم من جلود الابل وفي أوساطهم الحبال قد علقوا فيها المساويك فبكيت فقال الترجمان سله عن بكائه فقلت هذا نبينا وسيدنا وابن عمنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت انه مالك قومه آجل المماليك الا انه لم يعاين من الملك شيأ انما عاينه من بعده ومن تولى الامر على أمته من خلفائه ورأيت صور أنبياء كثيرة منهم من قد أشار بيده جامعا بين سبابته وابهامه كالحلقة كأنه يصف ان الخليقة في مقدار الحلقة ومنهم من قد أشار بسبابته نحو السماء كالمرهب للخليقة بما فوق وغير ذلك ثم سألني عن الخلفاء وزيهم وكثير من الشرائع فاجبته على قدر ما أعلم منها ثم قال كم عمر الدنيا عندكم فقلت قد تنوزع في ذلك فبعض يقول ستة آلاف وبعض يقول دونها وبعض يقول أكثر منها

فصل نضحكا كثيرا
ووزيره أيضا وهو واقف
على انكار ذلك وقال
ما حسبت نبيكم قال هذا
فذلك فقلت بلى هو قال
ذلك فرأيت الانكار في
وجهه ثم قال للترجمان
قل له مير كلامك فان
الملوك لا تكالم الا عن
تحصيل أما ما زعمت انكم
تختلفون في ذلك فانكم
انما اختلفتم في قول نبيكم
وما قالت الانبياء لا يجب
ان يختلف فيه بل هو مسلم
فاحذر هذا وشبهه أن تحكيه
وذكر أشياء كثيرة ذهبت
عني لطول المدة ثم قال لي
لم عدلت عن ملكك وهو
أقرب اليك دارا ومنسبا
فانت بما حدث على البصرة
ووقوعي الى سيراف وبرعت
بي همتي الى ملكك أيها الملك
لما بلغني من استقامة
ملكك وحسن سيرتك
وكثرة جودك فاحببت
الوقوع الى هذه المملكة
ومشاهدتها وأنا راجع عنها
الى بلادي وملك ابن عمي
ومخبر بما شاهدت من جلالة
هذا الملك وسعة هذه
البلاد وشيمك ايها الملك
المحمودة وسأقول بكل قول
حسن واثني بكل جميل
فسره ذلك وأمر لي بجائزة
سنية وخلع شريفة وأمر
بحملي على البريد الى مدينة

فجاورنا الذين اذا أتاهم * غريب حل في سعة القرار
فيأمن فيهم ويكون منهم * بمنزلة الشعار من الدثار
وان نفرد بحرب بني أبينا * بلا جار فان الله جاري

ثم نزل ببني بدر فنزل بحذيفة فاجاره هو وأخوه حمل بن بدر وأقام فيهم وكان معه افراس له ولاخوته لم يكن في العرب مثلها وكان حذيفة يغدو ويروح الى قيس فينظر الى خيله فيحسده عليها ويكتم ذلك في نفسه وأقام قيس فيهم زمانا يكرمونه واخوته فغضب الربيع ونقم ذلك عليهم وبعث اليهم بهذه الابيات

ألا أبلغ بني بدر رسولا * على ما كان من شنا ووتر
بأني لم أزل لكم صديقا * ادافع عن فزارة كل أمر
أسالم سلمكم وأرد عنكم * فوارس أهل نجران وحجر
وكان أبي ابن عمكم زياد * صفي أبيكم بدر بن عمرو
فالجاتم أخا الغدرات قيسا * فقد أفعمتم ايغار صدري
فحسبي من حذيفة ضم قيس * وكان البدء من حمل بن بدر
فاما ترجعوا أرجع اليكم * وان تابوا فقد أوسعت عذري

فلم يتغيروا عن جوار قيس فغضب الربيع وغضبت عبس لغضبه ثم ان حذيفة كره قيسا واراد اخراجه عنهم فلم يجد حجة وعزم قيس على العمرة فقال لاصحابه اني قد عزمت على العمرة فايا كم ان تلابسوا حذيفة شيئا احتملوا كل ما يكون منه حتى ارجع فاني قد عرفت الشر في وجهه وليس يقدر على حاجته منكم الا أن تراهنوه على الخيل وكان ذا رأي لا يخطئ فيما يريده وسار الى مكة ثم ان فتى من عبس يقال له ورد بن مالك أتى حذيفة فجلس اليه فقال له ورد لو اتخذت من خيل قيس فلا يكون أصلا لخيلك فقال حذيفة خيلي خير من خيل قيس ولجاجي ذلك الى ان تراهنا على فرسين من خيل قيس وفرسين من خيل حذيفة والرهن عشرة اذواد وسار ورد فقدم على قيس بمكة فاعلمه الحال فقال له أرأيت فدأوقعتني في بني بدر ووقعت معي وحذيفة ظلوم لا تطيب نفسه بحق ونحن لا نقر له بضيم ورجع قيس من العمرة فجمع قومه وركب الى حذيفة وسأله ان يفك الرهن فلم يفعل فسأله جماعة فزارة وعبس فلم يجب الى ذلك وقال ان أترقيس ان السبق لي والا فلا فقال أبو جعدة الفزاري

آل بدر دعوا الرهان فانا * قد ملانا اللجاج عند الرهان
ودعوا المرء في فزارة جارا * ان ما غاب عنكم كالعيان
ليت شعري عن هاشم وحصين * وابن عوف وحارث وسنان
حين يأتيهم لجاجك قيسا * وأي صاح أتيت أم نشوان

وسأل حذيفة اخوته وسادات أصحابه في ترك الرهان ولج فيه وقال قيس علام تراهنني قال على فرسيك داحس والغبراء وفرسي الخطار والحنفاء وقيل كان الرهن على فرسي داحس والغبراء قال قيس داحس اسرع وقال حذيفة الغبراء اسرع وقال لقيس اريد أن اعلمك ان بصري بالخيل أثقب من بصرك والاول أصح فقال له قيس تفسر في الغاية وارفع في السبق فقال حذيفة الغاية من ابلى الى ذات الاصاد وهو قدر مائة وعشرين غلوة والسبق مائة بعير وضمروا الخيل فلما فرغوا قادوا الخيل الى الغاية وحشدوا ولبسوا السلاح وتركوا السبق على يد عقال بن مروان

ابن الحكم القيسي وأعدوا الامناء على ارسال الخيل وأقام حذيفة رجلا من بني أسد في الطريق وأمره ان يلقى داحسا في وادي ذات الاصداء مر به سابقا فيرمي به الى اسفل الوادي فلما أرسلت الخيل سبقها داحس سبقا بينا والناس ينظرون اليه وقيس وحذيفة على رأس الغاية في جميع قومهما فلما هبط داحس في الوادي عارضه الاسدي فلطم وجهه فالقاه في الماء فكاد يغرق هو وراكبه ولم يخرج الا وقد فاتته الخيل وامار اكب الغبراء فانه خالف طريق داحس لما رآه قد بطأ وعاد الى الطريق واجتمع مع فرسي حذيفة ثم سقط الحنفاء وبقي الغبراء والخطار فكانا اذا أحرزا سبق الخطار واذا أسهلا سبقت الغبراء فلما قربا من الناس وهما في وعث من الارض تقدم الخطار فقال حذيفة سبقتك يا قيس فقال روبدك يلوث الجدد فذهبت مثلا فلما استوت بهما الارض قال حذيفة خدع والله صاحبنا فقال قيس ترك الخداع من أجرى من مائة وعشرين فدهبت مثلا ثم ان الغبراء جاءت سابقة وتبعها الخطار فرس حذيفة ثم الحنفاء له أيضا ثم جاء داحس بعد ذلك والغلام يسير به على رسله فاخبر الغلام قيسا بما صنع بفرسه فانكر حذيفة ذلك وادعى السبق ظلما وقال جاء فرساي متتابعين ومضى قيس وأصحابه حتى نظروا الى القوم الذين حبسوا داحسا واختلفوا وبلغ الربيع بن زياد خبرهم فسره ذلك وقال لاصحابه هلك والله قيس وكفى به ان لم يقتله حذيفة وقد أتاكم يطلب منكم الجوار اما والله ان فعل ما لنا من ضمه من بد ثم ان الاسدي ندم على حبس داحس فجاء الى قيس واعترف بما صنع فسبه حذيفة ثم ان بني بدر قصروا بقيس واخوته وآذوهم بالكلام فماتبهم قيس فلم يزدادوا الا بغيا عليه وبداءله ثم ان قيسا وحذيفة تشاكرا في السبق حتى هما بالمؤاخذة فمنعهما الناس وظهر لهم بغي حذيفة وظلمه ولج في طلب السبق فارسل ابنه بديا الى قيس يطالبه به فلما بلغه الرسالة طعنه فقتله وعادت فرسه الى أبيه ونادى قيس يا بني عبس الرحيل فرحلوا كلهم ولما اتت الفرس حذيفة علم ان ولده قتل فصاح في الناس وركب فيمن معه وأتى منازل بني عبس فرآها خالية ورأى ابنه قتيلا فحمله اليه وقبل بين عينيه ودفنوه وكان مالك بن زهير اخو قيس مترو جا في مزارة وهو نازل فيهم فارسل اليه قيس اني قد قتلت بديا بن حذيفة ورحلت فالحق بنا والا قتلت فقال انما ذنب قيس عليه ولم يرحل فارسل قيس الى الربيع بن زياد يطلب منه العود اليه والمقام معه اذ هم عشيرة وأهل فلم يجبه ولم يمنعه وكان مفكرا في ذلك ثم ان بني بدر قتلوا مالك بن زهير أخا قيس وكان نازلا فيهم فبلغ مقتله بني عبس والربيع بن زياد فاشتد ذلك عليهم وارسل الربيع الى قيس عينا يأتيه بخبره فسمعه يقول

أينجو بنو بدر بقتل مالك * ويخذلنا في النائبات ربيع
وكان زياد قبله يتقي به * من الدهر ان يوم ألم فظيع
فقل لربيع يحتذي فعل شيخه * وما الناس الا حافظ ومضيع
والا فخالي في البلاد اقامة * وأمر بني بدر علي جميع

فرجع الرجل الى الربيع فاخبره فبكى الربيع على مالك وقال

منع الرقاد فما اغمض ساعة * جزعا من الخبر العظيم الساري
أفبعد مقتل مالك لمضيعة * يرجو النساء عواقب الاطهار
من كان محزونا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه * ويقمن قبل تبلج الاسحار
يضربن حر وجوههن على فتى * ضخم الدسيعة غير ماختوار

خانقو وكتب الى ملكها باكرامي وقدومي على من في ناحيته من الامم واقامة المنزل الى وقت خروجي عنه فكنت في أخصب عيش وأنعمه الى أن خرجت من بلاد الصين (قال المسعودي) وأخبرني أبو زيد الحسن بن يزيد السيرافي بالبصرة وكان قد قطنها وانتقل عن سيراف وذلك في سنة ثلاث وثلثمائة وأبو زيد هذا هو ابن عمر بن يزيد ابن محمد بن مزدبن ساسيباد السيرافي وكان الحسن بن يزيد من أهل التحصيل والتمييز أنه سأل ابن وهبان القرشي عن مدينة حمدان التي بها الملك وصفتها فذكر سعتها وكثرة أهلها وأنها مقسومة على قسمين يفصل بينهما شارع عظيم طويل عريض فالملك وورزيره وقاضي القضاة وجنوده وحصيانه وجميع أسبابه في الشق الايمن منه مما يلي المشرق لايخالطهم أحد من العامة وليس فيه شئ من الاسواق بل انهار في سككهم مطردة واشجار عليها منتظمة ومنازل فسيحة وفي الشق الايسر مما يلي المغرب الرعية والتجار والمسبرة والاسواق فاذا وضح النهار رأيت فيها قهارمة الملك وغلمانه وغلمان وزرائه

قد كنى بكبش الوجوه نستترا * فاليوم حين برزن للمطار

وهي طويلة فسمعها قيس مركب هو وأهله وقصدوا الربيع بن زياد وهو يصلح سلاحه فنزل اليه قيس وقام الربيع فاعتنقا وبكيا وأظهرا الجزع لمصاب مالك ولقي القوم بعضهم بعضا فنزلوا فقال قيس للربيع انه لم يهرب منك من لجأ اليك ولم يستعر عبدك من استعان بك قد كان لك شر يومي فبكر لي خير يومك وانما أنا بقومي وقومي بك وقد أصاب القوم مالك ولست أهم بسوء لاني ان سرت بني مدركة مرتهم بنو سنبان وان جاريتي حدثني بنو عبس الا أن نجمعهم علي وأنا والقوم في الدماء سواء قتلت انهم وقتلوا أخي فان نصرتني طمعت فيهم وان خذلتني طمعوا فقال الربيع ياقيس انه لا يسعني ان أرى لك من القتل مالا أراه لي ولا يسعك أن ترى لي مالا أراه لك وقد مال علي قتل مالك وأنت ظالم ومطلوم طلوك في حوادك وظلمتهم في دمائهم وقتلوا أخاك وهم فان يمو لدم بالدم فعسى أن تنقح الحرب أدم معك وأحب الامرين الى مسالمتهم وتحاربوا بحرب هوازن وبعث قيس الى أهله وصحابه فجاؤا ونزلوا مع الربيع وأنشدهم نمرة بن شداد مرثيته في مالك

لله عينا من رأى مثل مالك * عقيرة قوم أن جرى فرسان
فليتهما لم يطعما الدهر بعدها * ولا نهلا يوما بجمع الزهران
ولا نهلا ما ناجيا بلدة * وأحطاهما قيس فلا يريان
لقد حلبا حلبا لمصرع مالك * وكان كريما ماجدا الهجمان
وكان اذا ما كان يوم كريهة * فقد لموا أني وهو فتيان
وكنا لدى لهيجا نحمي نساءنا * ونضرب عند الكرب كل بنان
فسوف ترى ان كنت بعدك باقيا * وأمكني دهري وطول زماني
وأقسم حقا لو قتيب لطيرة * لقرت بها العينان حين ترائي

وبلغ حديفة ان الربيع وقيسا اتفقا وشق ذلك عليه واستعد للملاقاة وقيل ان بلاد عبس كانت قد أجدبت فاجتمع أهلها بلاد فزارة وأحد الربيع حوارا من حديفة وأقام عندهم فلما بلغه مقتل مالك قال لحديفة لو دمتي ثلاثة أيام فقال حديفة ذلك فانتقل الربيع من بني فزارة فبلغ ذلك حمل بن بدر فقال لحديفة أخيه نفس الرأي رأيت قتلت مالكا وحليت سبيل الربيع والله ليصرمنها عبيدك ارا فركما في طلب الربيع فلما به قد اضمر الشر واتفق الربيع وقيس وجمع حديفة قومه وتعاقدوا على عبس وجمع الربيع وقيس قومهما واستعدوا للحرب فاغارت فزارة على بني عبس وأصابوا نعما ورجالا فحميت عبس واجتمعت للغارة فدرت بهم فزارة فخرجوا اليهم فالتقوا على ماء يقال له العدق وهي أول وقعة كانت بينهم فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل عوف بن يزيد فتسلمه حمدب بن حلاف العبسي وانهزمت فزارة وقتلوا قتلا ذريعا وأسر الربيع بن زياد حديفة بن بدر وكان حرب بن الحرث العبسي قد نذر ان قدر على حديفة أن يضربه بالسيف وله سيف قاطع يسمى الاصرم وأراد ضربه بالسيف لما أسر وفاء بنذره وأرسل الربيع الى امرأته فعيبت سيفه وهموا عن قتله وحذروه عاقبة ذلك فابى الا ضربه فوضعوا عليه الرجال فضربه فلم يصنع السيف شيأ وبقي حديفة أسيرا فاجتمعت عطفان وسعوا في الصلح فاصطلحوا على ان يهدر وادم بدر بن حديفة بدم مالك بن زهير ويعقلوا عوف بن بدر ويعطوا حديفة بن ضربته التي ضربه حوبائتين من الابل وان يحملوها عشارا كلها وأربعة أعبد وهدر حديفة دماء من قتل من فزارة في الوقعة وأطلق من الاسر فلما رجع الى قومه ندم على ذلك وساءت مقالته في بني عبس وركب قيس بن

و وكلائهم ما بين راكب
و راجل فقدموا الى
السوق الذي فيه العامة
والتجار واحرزوا نصائبهم
وحوائجهم وانصرفوا ولا
يعود واحد منهم الى هذا
السوق الا في اليوم الثاني
و بهذه البلدان فيها كل
نزهة ونغمة حسنة وأنهار
مطردة لا تنقطع وفيها معدن
عندهم وأهل الصين من
أحذق خلق الله كما يتقش
وصنعة وكل عمل لا يتقدمهم
فيه أحد ومن شأنهم سرعة لامع
و نزل منهم يصنع يده
ما يقدر أن يبرحه يحرز عنه
و يتصدقه باب الملك فتمس
الحاجة الى اتحاف ما يصنع
ويأمر الملك بصنعه على يديه
من وقته ذلك الى سنة فان
لم يخرج أحد فيه عيبا أجاز
صانعه وأحسن له في جعله
ما أحبوا ان أخرج أحد فيه
عيبا طرحه ولم يجزه وأن
رجلا منهم صور سبعة
سبع عليها عصفور في ثوب
حرير فلم يشك الناظر الا أنها
سبعة سبع عليها عصفور
في الثوب مدة وأنه اختار
لها أحذق أصحاب العمل
و دخل الى الملك وأحضر
صاحب العمل فسأل
الاحدب عن العيب فقال
المعارف عند الناس جميعا
انه لا يقع عصفور على سنبلة
الا أمالها وصورهذا
الصور السبعة فصيرها قائمة

زهير وعمارة بن زياد فمضيا الى حذيفة وتحدثا معه فاجابهما الى الاتفاق وان يرد عليهما الابل التي أخذ منهما وكانت توالدت عنده فبيناهم في ذلك اذ جاءهم سنان بن أبي حارثة المري فقبح رأي حذيفة في الصلح وقال ان كنت لابد فاعلا فاعطهم ابلا عجافا فامكان ابلهم واحبس أولادها فوافق ذلك رأي حذيفة فابى قيس وعمارة ذلك وقيل ان الابل التي طلبوها منه هي ابل كان قد أخذها سبقا من قيس وقيل أيضا ان مالك بن زهير قتل بعد هذه الوقعة المذكورة قال حميد بن بدر في ذلك

قتلنا بعوف مالكا وهو ثارنا * ومن يبتدع شيأ سوى الحق يظلم

وجعل سنان يحث حذيفة على الحرب فتيسر والهائم ان الانصار بلغهم ما عزموا عليه فاتفق جماعة من رؤسائهم وهم عمرو بن الاطنابة ومالك بن عجلان وأحيحة بن الجلاح وقيس بن الخطيم وغيرهم وساروا ليصلحوا بينهم فوصلوا اليهم وتردوا في الاتفاق فلم يجب حذيفة الى ذلك وظهر لهم بعيبه فحذروه عاقبته وعادوا عنه وأغار حذيفة على عبس وأغارت عبس على فزارة وتفاقم الشر وأرسل حذيفة أخاه حملا فاغار وأسر ريان بن الاسلع بن سفيان وشده وثاقا وحمله الى حذيفة فاطلقه ليرهنه ابنيه وجبير ابن أخيه عمرو بن الاسلع ففعل ريان ذلك ثم سار قيس الى فزارة فلقي منهم جمعا فهزمهم مالك بن بدر وقتل له قيس وانهزم فزارة فاخذ حينئذ حذيفة ولدي ريان فقتلهما وهما يستغيثان بأبيهما حتى ماتا وأما ابن اخيه فمنعه اخواله ولما قتل مالك والغلامان اشتدت الحرب بين الفريقين وأكثرها في فزارة ومن معها في بعض الايام التقوا واقتتلوا قتالا شديدا دامت الحرب بينهم الى آخر النهار وأبصر ريان بن الاسلع زيد بن حذيفة فحمل عليه فقتله وانهزمت فزارة وذبيان وأدرك الحرث بن بدر فقتل ورجعت عبس سالمة لم يصب منها أحد فلما قتل زيد والحرث جمع حذيفة جميع بني ذبيان وبعث الى أشجع وأسد بن خزيمة فجمعهم فبلغ ذلك بني عبس فضموا أطرافهم وأشار قيس بن زهير بالسبق الى ماء العقيقة ففعلوا ذلك وسار حذيفة في جموعه الى عبس ومشى السفراء بينهم فحلف حذيفة انه لا يصلح حتى يشرب من ماء العقيقة فارسل اليه قيس منه في سقاء وقال لا أترك حذيفة يخدعني واصطلحوا على ان تعطى بنو عبس حذيفة ديات من قتل له ووضعوا الرهائن عنده الى ان يجمعوا الديات وهي عشر وكانت الرهائن ابنا لقيس بن زهير وابنا للربيع بن زياد فوضعوا أحدهما عند قطبة بن سنان والآخر عند رجل من بكر بن وائل أعمى فغير بعض الناس حذيفة بقبول الدية فحضرها وأخوه حمل عند قطبة بن سنان والبكري وقال ادفعا الينا الغلامين لنكسوهما ونسرحهما الى أهلهما فاما قطبة فدفع اليهما الغلام الذي عنده وهو ابن قيس واما البكري فامتنع من تسليم من عنده فلما أخذا ابن قيس عادا فلقيا في الطريق ابنا العمارة بن زياد العبسي وابن عم له فاخذاهما وقتلاهما مع ابن قيس فلما بلغ ذلك بني عبس أخذوا ما كانوا جمعوا من الديات فحملوا عليه الرجال واشتروا السلاح ثم خرج قيس في جماعة فلقوا ابنا لحذيفة ومعه فوارس من ذبيان فقتلوهم فجمع حذيفة وسار الى عبس وهم على ماء يقال له عراعر فاقتتلوا فكان الظفر لفزارة ورجعت سالمة وجد حذيفة في الحرب وكرهها أخوه حمل وندم على ما كان وقال لاخيه في الصلح فلم يجب الى ذلك وجمع الجموع من أسد وذبيان وساثر بطون غطفان وسار نحو بني عبس فاجتمعت عبس وتشاوروا في أمرهم فقال لهم قيس بن زهير انه قد جاءكم ما لا قبل لكم به وليس لبني بدر الا دماؤكم والزيادة عليكم واما من سواهم فلا يريدون غير الاموال والغنيمة والرأي اننا نترك الاموال بمكانها ونترك معها فارسين على داحس وعلى فرس آخر جوادو نرحل نحن ونكون على مرحلة من المال فاذا جاء القوم الى

لا ميل فيها وأثبت العصفور فوقها منتصبا فاخطأ فصدق الاحدب ولم يثب صاحبها بشئ وقصدهم بهذا وشبهه الرياضة لمن يعمل هذه الاشياء ليضطرهم ذلك الى شدة الاحتراز واعمال الفكر فيما يصنعه كل واحد منهم بيده ولاهل الصين أخبار عظيمة عجيبة ولبلادهم أخبار طريفة سنوردها فيما يرد من هذا الكتاب جملا وان كما قد أتينا على سائر الاخبار من ذلك في كتابنا اخبار الزمان في الامم الماضية والممالك الداثرة وذكرنا في الكتاب الاوسط جملا لم نتعرض لذكرها في كتاب أخبار الزمان وذكرنا في هذا الكتاب ما لم يتقدم ذكره في ذينك الكتابين والله أعلم

﴿ ذكر جمل من الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ومراتب الملوك واخبار الاندلس وغير ذلك ومعادن الطيب وأصوله وعدد أنواعه ﴾

قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب جملا من ترتيب البحار المتصلة والمنفصلة فلنذكر الآن في هذا الباب جملا من أخبار ما اتصل بنا من البحر الحبشي والممالك

والملوك وجملا من ترتيبها وغير ذلك من أنواع العجائب فنقول ان بحر الصين والهند وفارس واليمن متصلة مياهها غير منفصلة على ما ذكرنا الآن هيجانها وركودها مختلف لاختلاف مهاب رياحها وآثار ثورانها وغير ذلك فبحر فارس تكثر أمواجه ويصعب ركوبه عند ابتداء بحر الهند واستقامة ركوبه وقلة أمواجه وبين بحر فارس وتقل أمواجه ويسهل ركوبه عند ارتياح بحر الهند واضطراب أمواجه وظلمته وصعوبة مركبه فاول ما يبتدئ صعوبة بحر فارس عند دخول الشمس السنبلة وقرب الاستواء الخريفي ولا يزال في كل يوم تكثر أمواجه الى ان تصير الشمس الى برج الحوت فاشد ما يكون ذلك في آخر الخريف عند كون الشمس في القوس ثم يلين الى ان تعود الشمس الى السنبلة وآخر ما يكون ذلك في آخر الربيع عند كون الشمس في الجوزاء وبحر الهند لا يزال كذلك الى ان تصير الشمس الى السنبلة فيركب حينئذ وأهدأ ما يكون عند كون الشمس في القوس وبحر فارس يركب في سائر السنة من عمان الى

الاموال سار الينا الفارسان فأعلمانا وصولهم فان القوم يشتغلون بالنهب وحيازة الاموال وان نهاهم ذوو الرأي عن ذلك فان العامة تخالفهم وتنقض تعبيتهم ويشتغل كل انسان بحفظ ما غنم ويعلقون أسلحتهم على ظهور الابل ويأمنون فنعود نحن اليوم عند وصول الفارسين فندركهم وهم على حال تفرق وتشتت فلا يكون لاحدهم همة الا نفسه ففعلوا ذلك وجاء حذيفة ومن معه فاشتغلوا بالنهب فنهاهم حذيفة وغيره فلم يقبلوا منه وكانوا على الحال التي وصف قيس وعادت بنو عبس وقد تفرقت أسد وغيرهم وبقي بنو فزارة في آخر الناس فحملوا عليهم من حوانبهم فقتل مالك بن سبيع التغلبي سيد غطفان وانهزمت فزارة وحذيفة معهم وانفرد في خمسة فوارس وجذ في الهرب وبلغ حيره بني عبس فتبعه قيس بن زهير والربيع بن زياد وقرواش ابن عمرو بن الاسلع وريان بن الاسلع الذي قتل حذيفة ابنيه وتبعوا أثرهم في الليل وقال قيس كاني بالقوم وقد وردوا جفر الهباءة ونزلوا فيه فساروا ليلتهم كلها حتى أدركوهم مع طلوع الشمس في جفر الهباءة في الماء وقد أرسلوا خيولهم فاخذوا بجمعها فحال قيس وأصحابه بينهم وبينها وكان مع حذيفة في الجفر أخوه حمل بن بدر وابنه حصن بن حذيفة وغيرهم فهجم عليهم قيس والربيع ومن معهما وهم ينادون ابيكم ابيكم يعني انهم يجيبون نداء الصبيان لما قتلوا ينادون يا أبتاه فقال لهم قيس يا بني بكر كيف رأيتم عاقبة البغي فناشدوهم الله والرحم فلم يقبلوا منهم ودار قرواش بن عمرو حتى وقف خلف ظهر حذيفة فضربه فدق صلبه وكان قرواش قد رباه حذيفة حتى كبر عنده في بيته وقتلوا حملا أخاه وقطعوا أسهما واستبقوا حصن بن حذيفة فصباه وكان عدد من قتل في هذه الوقعة من فزارة وأسد وغطفان ما يزيد على اربعمائة قتيل وقتل من عبس ما يزيد على عشرين قتيلا وكانت فزارة تسمي هذه لوقعة البوار وقال قيس بن زهير

أقام على الهباءة خير ميت * واكرمه حذيفة لا يريم
لقد جمعت به قيس جميعا * موالي القوم والقوم الصميم
وعم به لمقتله بعيد * وخص به لمقتله حميم *

وهي طويلة وقال أيضا

ألم تر أن خير الناس امسى * على جفر الهباءة لا يريم
فلولا ظلمه مازلت ابكي * عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر * بغى والبغي مرتعه وخيم

واكثروا القول في يوم الهباءة ثم ان عبسا ندمت على ما فعلت يوم الهباءة ولام بعضهم بعضا فاجتمعت فزارة الى سنان بن ابي حارثة المري وشكوا اليه ما نزل بهم فاعظمه وذم عبسا وعزم على أن يجمع العرب ويأخذ بثار بني بدر وفزارة وبث رسله فاجتمع من العرب خلق كثير لا يحصون ونهى أصحابه عن التعرض الى الاموال والغنيمة وأمرهم بالصبر وساروا الى بني عبس فلما بلغهم مسيرهم اليهم قال قيس الرأي اننا لا نلقاهم فاننا قد وترناهم فهم يطالبوننا بالذحول والطوائل وقد رأوا ما نالهم بالامس باشتغالهم بالنهب والمال فهم لا يتعرضون اليه الآن والذي ينبغي ان نفعله اننا نرسل الظعائن والاموال الى بني عامر فان الدم لنا قبلهم فهم لا يتعرضون لكم ويبقى أولو القوة والجلد على ظهورالخيل وغاطنهم القتال فان أبوا الا القتال كنا قد أحرزنا أهلينا وأموالنا وقاتلناهم وصبرنا لهم فان ظفرنا فهو الذي نريد وان كانت الاخرى كنا قد احترزنا ولحقنا باموالنا ونحن على حامية ففعلوا ذلك وسارت ذبيان ومن معها فلحقوا بني عبس على ذات الجراجر

فاقتتلوا قتالا شديدا يومهم ذلك وافترقوا فلما كان الغد عادوا الى اللقاء فاقتتلوا أشد من اليوم الاول وظهرت فى هذه الايام شجاعة عنترة بن شداد فلما رأى الناس شدة القتال وكثرة القتلى لاموا سنان بن أبى حارثة على منعه حذيفة عن الصلح وتطيروا منه وأشاروا عليه بحبس الدماء ومراجعة السلم فلم يفعل وأراد مراجعة الحرب فى اليوم الثالث فلما رأى فتور أصحابه وركونهم الى السلم رحل عائدا فلما عاد عنهم رحل قيس وبنو عبس الى بنى شيبان بن بكر وجاوروهم وبقوا معهم مدة فرأى قيس من غلمان شيبان ما يكرهه من التعرض لاخذ أموالهم فرحلوا عنهم فتبعهم جمع من شيبان فلقيتهم بنو عبس واقتتلوا فانهزمت شيبان وسارت عبس الى هجر ليحالفوا ملكهم وهو معاوية بن الحرث الكندى فعزم معاوية على الغارة عليهم ليلا فبلغهم الخبر فساروا عنه مجدين وسار معاوية مجدا فى أثرهم فتابعهم الدليل على عمد لئلا يدركوا عبسا الا وهم قد لحقهم ودوابهم الدنف فاركوهم بالفروق فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم معاوية وأهل هجر وتبعتهم عبس فاخذت من أموالهم وقتلوا منهم ما أرادوا ورجعوا سائرين فنزلوا بماء يقال له عرعر عليه حى من كلب فركبوا ليقاتلوا بنى عبس فبرز الربيع وطلب رئيسهم فبرز اليه واسمه مسعود بن حصاد فاقتتلا حتى سقطا الى الارض وأراد مسعود قتل الربيع فانحسرت البيضة عن رقبته فرماه رجل من بنى عبس بسهم فقتله فثار به الربيع فقطع رأسه وحملت عبس على كلب والرأس على رمح فانهزمت كلب وغنمت عبس أموالهم وذراريهم فساروا الى اليمامة فحالفوا أهلها من بنى حنيفة وأقاموا ثلاث سنين فلم يحسنوا جوارهم وضيعوا عليهم فساروا عنهم وقد تفرق كثير منهم وقتل منهم وهلكت دوابهم ووترهم العرب فراسلتهم بنو ضبة وعرضوا عليهم المقام عندهم ليستعينوا بهم على حرب تميم ففعلوا وجاوروهم فلما انقضى الامر بين ضبة وتميم تغيرت ضبة لعبس وأرادوا اقتطاعهم فحاربتهم عبس فظفرت وغنمت من أموال ضبة وسارت الى بنى عامر وحالفوا الاحوص بن جعفر بن كلاب فسربهم ليقوى بهم على حرب بنى تميم لانه كان بلغه ان لقيط بن زرارة يريد غزو بنى عامر والاخذ بثار أخيه معبد فاقامت عبس عند بنى عامر فقصدتهم تميم وكانت وقعة شعب جبلة وسنذكره ان شاء الله ثم ان ذبيان غزوا بنى عامر بن صعصعة وفيهم بنو عبس فاقتتلوا فهزمت عامر وأسر قرواش بن هنى العبسى ولم يعرف فلما قدموا به الحى عرفته امرأة منهم فلما عرفوه سلموه الى حصن بن حذيفة فقتله ثم رحلت عبس عن عامر ونزلت بتيم الرباب فبغت تيم عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا وتكاثرت عليهم تيم فقتلوا من عبس مقتلة عظيمة ورحلت عبس وقد ملوا الحرب وقلت الرجال والاموال وهلكت المواشى فقال لهم قيس ماترون قالوا نرجع الى اخواننا من ذبيان فالموت معهم خير من البقاء مع غيرهم فساروا حتى قدموا على الحرث بن عوف بن أبى حارثة المرى وقيل على هرم بن سنان بن أبى حارثة ليلا وكان عند حصن بن حذيفة بن بدر فلما عادوا رآهم رحب بهم وقال من القوم قالوا اخوانك بنو عبس وذكروا حاجتهم فقال نعم وكرامة أعلم حصن بن حذيفة فعاد اليه وقال طرقت فى حاجة قال أعطيتها قال بنو عبس وجدت وفودهم فى منزلى قال حصن صالحوا قومكم أما أنا فلا أدى ولا اتدى قد قتل آبائى وعمومتى عشرين من عبس فعاد الى عبس وأخبرهم بقول حصن وأخذهم اليه فلما رآهم قال قيس والربيع بن زياد نحن ركبان الموت قال بل ركبان السلم ان تكونوا اختلتم الى قومكم فقد اختل قومكم اليكم ثم خرج معهم حتى أتوا سنانا فقال له قم يا مر عشيرتك وأصلح بينهم فانى ساعينك ففعل ذلك وتم الصلح بينهم وعادت عبس وقيل ان قيس بن زهير لم يسر مع عبس الى ذبيان وقال لا ترانى

فرسخ ومن سيراف الى البصرة وهو أربعون ومائة فرسخ ولا يتجاوز فى ركوبه غير ماذكرنا من هذين الموضعين ونحوهما وقد حكى أبو معشر المنجم فى كتابه المترجم بالمدخل الكبير الى علوم البحر ماذكرنا من اضطراب هذه البحار وهدوئها عند كون الشمس فيما ذكرنا من البروج وليس يكاد يقطع من عمان نحو الهند فى انتهائه الا مركب معزز وحمولته يسيرة سيما المراكب التى بعمان فانها اذا قطعت الى أرض الهند تحتاج الى النباهة بذلك ببلاد الهند فى هذا الوقت الذى تكون فيه السيارة وهو الشتاء ودوام الامطار وكانون وكانون وشباط عندهم صيف وعندهم الشتاء كما يكون عندنا الحر فى حزيران وتموز وآب فشتاؤنا صيفهم وصيفهم شتاؤنا وكذلك سائر مدن السند والهند وما اتصل بذلك الى أقاصى هذا البحر ومن شتى فى صيفنا بارض الهند قيل فلان شتى فى أرض الهند أى شتى هنالك وذلك لقرب الشمس وبعدها والغوص على اللؤلؤ فى بحر فارس وانما يكون فى أول نيسان الى آخر ايلول وماعدا ذلك من

غطمانية أبدا وقد قتلت أخاها أو زوجها أو ولدها أو ابن عمها ولكني سأتوب الى ربي فتنصر وساح في الارض حتى انتهى الى عمان فترهب جارا نافلقيه حوج بن مالك العبدي فعرفه فقتله وقال لا رحمني الله ان رحمتك وقيل ان قيسا تزوج في النمر بن قاسط لما عادت عبس الى ذبيان وولد له ولد اسمه فصالة فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم وعقد له على من معه من قومه وكانوا تسعة وهو عاشرهم انقضى حرب داحس والغبراء والحمد لله

﴿يوم شعب جبلة﴾

كان لقيط بن زرارة قد عزم على غزو بني عامر بن صعصعة للاخذ بثار أخيه معبد بن زرارة وقد ذكرنا موته عندهم أسيرا فبينما هو يتجهز أتاه الخبر بحلف بني عبس وبني عامر فلم يطمع في القوم وأرسل الى كل من كان بينه وبين عبس ذحل يسأله الحلف والنظافر على غزو عبس وعامر فاجتمعت اليه أسد وغطفان وعمرو بن الجون ومعاوية بن الجون واستوثقوا واستكثروا وساروا فعقد معاوية بن الجون الالوية فكان بنو أسد وبنو فزارة بلواء مع معاوية بن الجون وعقد لعمرو ابن تميم مع حاجب بن زرارة وعقد للرباب مع حسان بن همام وعقد لجماعة من بطون تميم مع عمرو ابن عدس وعقد لحنظلة باسرها مع لقيط بن زرارة وكان مع لقيط ابنته دختنوس وكان يغزو بها معه و يرجع الى رأيها وسار وافي جمع عظيم لا يشكون في قتل عبس وعامر وادراك ثارهم فلقي لقيط في طريقه كرب بن صفوان بن الحباب السعدي وكان شريفا فقال ما منعك ان تسير معنا في غرتنا قال أنا مشغول في طلب ابل لي قال لا بل تريد ان تنذرنا القوم ولا أتركك حتى تحلف انك لا تخبرهم فحلف له ثم سار عنه وهو مغضب فلما دنا من عامر أخذ خرقة فصر فيها حنظلة وشوكا وترابا وخرقتين من يمانية وخرقة حمراء وعشرة أحجار سود ثم رمى بها حيث يسقون ولم يتكلم فاخذها معاوية بن قشير فاتى بها الاحوص بن جعفر وأخبره ان رجلا ألقاها وهم يسقون فقال الاحوص لقيس بن زهير العبسي ما ترى في هذا الامر قال هذا من صنع الله لنا هذا رجل قد أخذ عليه عهدا على ان لا يكلمكم فاخبركم ان أعداءكم قد غزوكم عدد التراب وان شوكتهم شديدة واما الحنظلة فهي رؤساء القوم واما الخرقتان اليمانيتان فهما حيان من اليمن معهم واما الخرقة الحمراء فهي حاجب بن زرارة واما الاحجار فهي عشر ليال يأتيكم القوم اليها قد أنذرتكم فكونوا أحرارا فاصبروا كما يصبر الاحرار الكرام قال الاحوص فانا فاعلون وآخذون برأيك فانه لم تنزل بك شدة الا رأيت المخرج منها قال فاذا قد رجعتم الى رأيي فادخلوا نعمكم شعب جبلة ثم أظمؤها هذه الايام ولا تردوها الماء فاذا جاء القوم أخرجوا عليهم الابل وانخسوها بالسيوف والرماح تخرج مذاعير عطاشا فتشغلهم وتفرق جمعهم واخرجوا أنتم في آثارها واشفوا نفوسكم ففعلوا ما أشار به وعاد كرب بن صفوان فلقي لقيطا فقال له أنذرت القوم فاعاد الحلف له انه لم يكلم أحدا منهم فخلى عنه فقالت دختنوس ابنة لقيط لا بها اردني الى أهلي ولا تعرضني لعبس وعامر فقد أنذرهم لا محالة فاستحمقها وساءه كلامها وردها وسار حتى نزل على فم الشعب بعساكر جرارة كثيرة الصواهل وليس لهم هم الا الماء فقصدوه فقال لهم قيس أخرجوا عليهم الآن الابل ففعلوا ذلك فخرجت الابل مذاعير عطاشا وهم في اعراضها وادبارها فخبطت تميما ومن معها وقطعتهم وكانوا في الشعب وأبرزتهم الى الصحراء على غير تعبية وشغلوا عن الاجتماع الى ألويتهم وحملت عليهم عبس وعامر فاقتتلوا قتالا شديدا وكثرت القتلى في تميم وكان أول من قتل من رؤسائهم عمرو

شهور السنة فلا غوص فيه وقد أتينا فيما سلف من كتبنا على سائر مواضع الغوص في هذا البحر كان ما عداه من البحار لا لؤلؤ فيه وهو خاص بالبحر الحبشي من بلاد حارك وقطن وعمان وسرنديب وغير ذلك من هذا البحر وقد ذكرنا كيفية تكون اللؤلؤ وتنازع الناس في تكونه ومن ذهب منهم الى ان ذلك من المطر ومن ذهب منهم الى ان ذلك من غير المطر وصفة صدف اللؤلؤ العتيق منه والحديث الذي يسمى بالمحاور والمعروف بالبابل واللحم في الصدف والشحم وهو حيوان يمرغ ما فيه من اللؤلؤ والدر خوفا من الغاصة لكوف المرأة على ولدها وقد أتينا على ذكر كيفية الغوص وأن الغاصة لا يكادون يتناولون شيأ الا السمك من اللحمان والتمر لا غيرها من الاقوات وما يلحقهم وذكر شق أصول آذانهم لخروج النتن من هناك بدلا عن المخرين يجعل عليها شيأ من الدقل أو من القرن يضمها كالشقاص لا من الخشب ويجعل في آذانهم من القطن فيه شيء من الدهن فيعصر من ذلك الدهن

ابن الجون وأسر معاوية بن الجون وعمرو بن عمرو بن عدس زوج دختنوس بنت لقيط وأسر حاجب بن زرارة وانحاز لقيط بن زرارة فدعا قومه وقد تفرقوا عنه فاجتمع اليه نفر يسير فتحرر برايته فوق جرف ثم حمل فقتل فيهم ورجع وصاح أنا لقيط وحمل ثانية فقتل وجرح وعاد فكثر جمعه فانحط الجرف بفرسه وحمل عليه عنترة فطعنه طعنة قصم بها صلبه وضربه قيس بالسيف فالقاه متشحطا في دمه فذكر ابنته دختنوس فقال

ياليت شعري عنك دختنوس * اذا اتاها الخبر المرموس
أتحلق القرون ام تميس * لا بل تميس انها عروس

ثم مات وتمت الهزيمة على تميم وغطفان ثم فدوا حاجبا بخمسمائة من الابل وفدوا عمرو بن عمرو بمائتين من الابل وعاد من سلم الى أهله وقالت دختنوس ترثي أباها فصائد منها

عثر الاغر بخير خندف كهلها وشبابها
وأضرها لعدوها * وأفكها لرقابها
وقريعها ونجيبها * في المطبقات ونابها
ورئيسها عند الملو * ك وزين يوم خطابها
وأتمها نسبا اذا * رجعت الى أنسابها
فرعى عمودا للعشيرة رافعا لنصابها
ويعولها ويحوطها * ويذب عن احسابها
ويطا مواطن للعدى * ووكان لا يعتى بها
فعل المدل من الاسو * د لحينها وتبابها
كالكوكب الدري في * سيماه لا يخفى بها
عمت الاغر به وكل * منية لكتابها
فرتت بنو أسد فرا * والطير عن ارتابها
وهوازن أصحابهم * كالفأر في أذنابها

وذكر محمد بن اسحق في يوم جبلة غير ماذكرنا قال كان سببه ان بني خندف كان لهم على قيس أكل تاكله القعدد من خندف فكان ينتقل فيهم حتى انتهى الى تميم ثم من تميم الى بني عمرو بن تميم وهم أقل بطنا منهم وأذله فابت قيس ان تعطي الاكل وامتنعت منه فجمعت تميم وحالفت غيرها من العرب وسار وا الى قيس فذكر القصة نحو ما تقدم وخالف في البعض فلا حاجة الى ذكره وفي هذا اليوم ولد عامر بن الطفيل العامري وقد قال بعض العلماء ان المجوسية كان يدين بها بعض العرب بالبحرين وكان زرارة بن عدس وابناه حاجب ولقيط والاقرع بن حابس وغيرهم مجوسا وان لقيطا تزوج ابنته دختنوس وسماها بهذا الاسم الفارسي وانه قتل وهي تحته فقال في ذلك

ياليت شعري عنك دختنوس الابيات والاول أصح والله أعلم

﴿يوم ذات نكيف﴾

كان بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة مبغضين لقريش مضطغنين عليهم ما كان من قصي حين أخرجهم من مكة مع من اخرج من خزاعة حين قسمها رباعا وخططا بين قريش فلما كانوا على عهد عبد المطلب هموا باخراج قريش من الحرم وان يقاتلوهم حتى يغلبوهم عليه وعدت بنو بكر على نعم لبني الهون بن خزيمة فاطردوها ثم جمعوا جموعهم وجمعت قريش جموعهم واستعدت وعقد عبد

فيضي لهم بذلك في البحر ضياء بينا ومايطاون به أقدامهم وشفاههم من السواد خوفا من بلع دواب البحر اياهم ولغورها من السواد وصياح الغاصة في البحر كالكلاب وخرق الصوت الماء فيسمع بعضهم صياح بعض وللغواص واللؤلؤ وحيوانه أخبار عجيبة وقد أتينا على جميع أوصاف ذلك وصفات اللؤلؤ وعلاماته وأثمانه ومقادير أوقاته فيما سلف من كتبنا فاول هذا البحر مما يلي البصرة والابلة والبحرين من خشاب البصرة ثم بحر لاوري وعليه بلاد حمور وسربارة وثانيه وسندار وكسانه وغيرها من السند والهند ثم بحر مركيد ثم بحر كلاه مار وهو بحر كله والجزائر ثم بحر كوريج ثم بحر الصنف واليه يضاف العود الصنفي الى بلاده ثم بحر الصين وهو بحر صحولي ليس بعده بحر فاول بحار فارس على ماذكرنا خشاب البصرة والموضع المعروف بالكفلاء وهي علامات منصوبة من خشب في البحر مغروسة علامات للراكب الى عمان مسافة ثلاثمائة فرسخ وعلى ذلك ساحل فارس وبلاد البحرين ومن عمان وقصبتها تسمى سنجار والفرس يسمونها سامرون

المطلب للحلف بين قريش والاحابيش وهم بنو الحرث بن عبد مناة و بنو الهون بن خزيمة ابن مدركة و بنو المصطلق من خراعه فثنوا بنى بكر ومن انضم اليهم وعلى الناس عبد المطلب فاقتتلوا بذات تكيف فانهزم بنو بكر وقتلوا قتالا ذريعا فلم يعودوا لحرب قريش قال ابن شملة الفهرى

فلله عينا من رأى من عصابة * غوت غى بكر يوم ذات تكيف
اناخوا الى ابنائنا ونسائنا * فكانوا الناضيفا بشر مضيف

وقتل يومئذ عبد بن السفاح القارى من القارة قتادة بن قيس أخا بلعاء بن قيس واسم بلعاء مساحق ويومئذ قيل قد أنصف القارة من راماها والقارة من ولد الهون بن خزيمة وهو من ولد عضل بن الديش قال رجل منهم

دعونا قارة لا تنفرونا * فنجفل مثل اجفال الظليم

وقيل بهذا البيت سموا قارة وكان يقال للقارة رماة الحدق

(ذكر الفجار الاول والثانى)

أما الفجار الاول فلم يكن فيه كثير أمر ليذكر وانما ذكرناه لئلا يرى ذكر الفجار الثانى وما كان فيه من الامور العظيمة فيظن ان الاول مثله وقد اعلمناه فلهذا ذكرناه قال ابن اسحق كان الفجار الاول بين قريش ومن معها من كنانة كلها و بين قيس عيلان وسببه ان رجلا من كنانة كان عليه دين لرجل من بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن فاعدم الكنانى فوافى النصرى سوق عكاظ فتردد وقال من يبتغى مثل هذا بمالى على فلان الكنانى فعل ذلك تعييرا للكنانى وقومه فمر به رجل من كنانة فضرب القرد بالسيف وقتله انفة مما قال النصرى فصرخ النصرى فى قيس وصرخ الكنانى فى كنانة فاجتمع الناس وتحاوروا حتى كاد يكون بينهم القتال ثم اصطلحوا وقيل كان سببه ان فتية من قريش قعدوا الى امرأة من بنى عامر وهى وضيئة عليها برقع فقالوا لها اسفرى لتنظر الى وجهك فلم تفعل فقام غلام منهم فشق ذيل درعها الى ظهرها ولم تشعر فلما قامت انكشفت دبرها فضحكوا وقالوا منعتينا النظر الى وجهك فقد نظرنا الى دبرك فصاحت المرأة يا بنى عامر فضحت فتاها الناس واشتجروا حتى كاد يكون قتال ثم رأوا ان الامر يسير فاصطلحوا وقيل بل قدر جل من بنى غفار يقال له أبو معشر بن مكرز وكان غازيا منيعا فى نفسه وكان يسوق عكاظ فمر رجلا ثم قال

نحن بنو مدركة بن خندف * من يطعنوا فى عينه لا يطرف
ومن يكونوا قومه يغطرف * كأنه لجة بحر مسرف

أنا والله أعز العرب فمن زعم انه أعز منى فليضرب بها بالسيف فقام رجل من قيس يقال له أحمر بن مازن فضرب بها بالسيف فخدشها خدشا غير كثير فاختصم الناس ثم اصطلحوا (بنو نصر بالنون) وأما الفجار الثانى وكان بعد الفيل بعشرين سنة و بعد موت عبد المطلب باثنتى عشرة سنة ولم يكن فى أيام العرب أشهر منه ولا أعظم وانما سمى الفجار لما استحل الحيان كنانة وقيس فيه من المحارم وكان قبله يوم جبلة وهو مذكور من أيام العرب والفجار أعظم منه وكان سببه ان البراض بن قيس بن رافع الكنانى ثم الضمرى وكان رجلا فاتكا خليعا قد خلعه قومه لكثرة شره وكان يضرب المثل بفتكه فيقال أفتك من البراض قال بعضهم

والفتى من تعرفه الليالى * فهو فيها كالحية النضناض

الى المستقى وسمى فريقه منها يستقى أرباب المراكب الماء من آبارها لانه عذبة خمسون فرسخا ومن المسقط الى رأس الجمجمة خمسون فرسخا وهذا آخر بحر فارس وطوله أربعمائة فرسخ هذا تحديد النواتى وأرباب المراكب ورأس الجمجمة جبل منصل ببلاد اليمن من أرض الشحر والاحقاف والرمل منه تحت البحر لا يدرى أين تنتهى غايته فى الماء فمن هنالك تنطلق المراكب الى البحر الثانى وهو المعروف بلاورى لا يدرى عمقه ولا يحصر طوله وعرضه عند البحريين وربما يقطع فى الشهرين والثلاثة وفى الشهر على قدر مهاب الريح والسلامة وليس فى هذه البحار التى حكينا عليه البحر الحبشى أكبر من هذا البحر بحر لاورى ولا أشد وفى عرضه بحر الزنج وبلادهم وعنبر هذا البحر قليل وذلك ان العنبر أكثره يقع على بلاد الزنج وساحل الشحر من أرض العرب وأهل الشحر اناس من قضاعة وغيرهم من العرب وهم مهرة ولغتهم بخلاف لغة العرب وذلك انهم يجعلون الشين بدلا من الكاف مثال ذلك ان يقولوا هل لش فيما قلت

كل يوم له بصرف الليالى * فتكة مثل فتكة البراض

خرج حتى قدم على النعمان بن المنذر وكان النعمان يبعث كل عام بلطيمة للتجارة الى عكاظ تباع له هناك وكان عكاظ وذو المجاز ومجنة اسواقا تجتمع بها العرب كل عام اذا حضر الموسم فيؤمن بعضهم بعضا حتى تنقضى أيامها وكانت مجنة بالظهران وكانت عكاظ بين نخلة والطائف وكان ذو المجاز بالجانب الايسر اذا وقفت على الموقف فقال النعمان وعنده البراض وعروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب المعروف بالرحال وانما قيل له ذلك لكثرة رحاله الى الملوك من يجير لى لطيمتى هذه حتى يبلغها عكاظ فقال البراض أبيت اللعن انا أجيرها على كنانة فقال النعمان انما أريد من يجيزها على كنانة وقيس فقال عروة أكلب خليع يجيرها لك أبيت اللعن أنا أجيرها على أهل الشيح والقيصوم من أهل تهامة وأهل نجد فقال البراض وغضب وعلى كنانة تجيزها يا عروة قال عروة وعلى الناس كلهم فدفع النعمان اللطيمة الى عروة الرحال وأمره بالمسير بها وخرج البراض يتبع أثره وعروة يرى مكانه ولا يخشى منه حتى اذا كان عروة بين ظهرى قومه نوادى يقال له تيمن بنواحى فدك أدركه البراض بن قيس فاخرج قداحه يستقسم بها فى قتل عروة فربه عروة فقال ما تصنع يا براض فقال استقسم فى قتلك أيؤذن لى أم لا فقال عروة استك أضيق من ذلك فوثب اليه البراض بالسيف فقتله فلما رآه الذين يقومون على العير والاحمال قتيلا انهزموا فاستاق البراض العير وسار على وجهه الى خيبر ومعه رجلان من قيس ليأخذاه أحدهما غنوى والآخر غطفانى اسم الغنوى أسد بن جوين واسم الغطفانى مساور بن مالك فلقيهما البراض بخيبر أول الناس فقال لهما من الرجلان قالا من قيس قد منا لنقتل البراض فانزلهما وعقل راحلتيهما ثم قال ايكما أجرأ عليه وأجود سيفا قال الغطفانى أنا فاخذه ومشى معه ليدله برعمه على البراض فقال للغنوى احفظ راحلتيكما ففعل وانطلق البراض بالغطفانى حتى أخرجه الى خربة فى جانب خيبر خارجا من البيوت فقال للغطفانى هوى هذه الخربة الهبا يأوى فامهلنى حتى انظر أهو فيها فوقف ودخل البراض ثم خرج فقال هو فيها وهو نائم فأرنى سيفك حتى انظر اليه أضارب هو أم لا فأعطاه سيفه فضربه به حتى قتله ثم اخفى السيف وعاد الى الغنوى فقال له لم أر رجلا أجبن من صاحبك تركته فى البيت الذى فيه البراض وهو نائم فلم يقدم عليه فقال انظر لى من يحفظ الراحلتين حتى أمضى اليه فاقتله فقال دعهما وهما على ثم انطلقا الى الخربة فقتله وسار بالعير الى مكة فلقى رجلا من بنى أسد بن خزيمة فقال له البراض هل لك الى أن أجعل لك جعلا على أن تنطلق الى حرب بن امية وقومى فانهم قومى وقومك لان أسد بن خزيمة من خندف أيضا فتخبرهم أن البراض بن قيس قتل عروة الرحال فليحذروا قيسا وجعل له عشرا من الابل فخرج الاسدى حتى أتى عكاظ وبها جماعة الناس فاتى حربا بامية فاخبره الخبر فبعث الى عبد الله بن جدعان التيمى والى هشام بن المغيرة المخزومى وهو والد أبى جهل وهما من اشراف قريش وذوى السن منهم والى كل قبيلة من قريش احضر منها رجلا والى الحليس بن يزيد الحرثى وهو سيد الاحابيش فاخبرهم أيضا فتشاوروا وقالوا نخشى من قيس ان يطلبوا ثار صاحبهم منا فانهم لا يرضون ان يقتلوا به خليعا من بنى ضمرة فاتفق رأيهم على ان يأتوا أبا براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ملاعب الاسنة وهو يومئذ سيد قيس وشريفها فيقولوا له انه قد كان حدث بين نجد وتهامة وانه لم يأتنا علمه فأجز بين الناس حتى تعلم وتعلم فاتوه وقالوا له ذلك فاجاز بين الناس وأعلم قومه ما قيل له ثم قام نفر من قريش فقالوا يا أهل عكاظ انه قد حدث فى قومنا بمكة حدث أتانا خبره ونخشى ان

لش وقلت لى أن تجعلى الذى معى فى الذى معش يريد هل لك فيما قلت لى وقلت لك أن تجعلى الذى معى فى الذى معك وغير ذلك من خطابهم ونوادر كلامهم وهم ذوو فقر ورفاقة ولهم نجب يركبونها بالليل تعرف بالنجب المهرية تنسب فى السرعة بالنجب البجاوية بل عند جماعة انها أسرع منها يسيرون عليها على ساحل بحرهم فاذا أحست هذه النجب بالعنبر قد قذفه البحر بركت عليه قد رضت لذلك واعتادته فيتناوله الراكب وأجود العنبر ما وقع فى هذه الناحية والى جزائر الزانج وساحله وهو المدور والازرق البارز كبيض النعام أو دون ذلك ومنه ما يبلعه الحوت المعروف بالافال المقدم ذكره وذلك ان البحر اذا اشتد قذف من قعره العنبر كقطع الجبال واصغر على ما وصفنا فاذا ابتلع هذا الحوت العنبر قتله فيطفو فوق الماء ولذلك أناس يرصدونه فى القوارب من الزانج وغيرهم فيطرحون فيه الكلاليب والحبال فيشقون عن بطنه ويستخرجون العنبر منه فما يخرج من بطنه يكون سمكا ويعرفه العطارون بالعراق وفارس والهند وما بقى على ظهر الحوت منه

يحالفنا عنهم تفاقم الشر فلا يرعنكم تحملنا ثم ركبوا على الصعب والذلول الى مكة فلما كان آخر اليوم أتى عامر بن مالك ملاعب الاسنة الخبر فقال غدرت قريش وخدعني حرب بن أمية والله لا تنزل كنانة عكاظ أبدا ثم ركبوا في طلبهم حتى أدركوهم بنخلة فاقتتل القوم فاشتعلت قيس فكادت قريش تنهزم الا انها على حاميتها تبادر دخول الحرم ليأمنوا به فلم يزالوا كذلك حتى دخلوا الحرم مع الليل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم وعمره عشرون سنة وقال الزهري لم يكن معهم ولو كان معهم لم ينهزموا وهذه العلة ليست بشيء لانه قد كان بعد الوحي والرسالة ينهزم أصحابه ويقتلون واذا كان في جمع قبل الرسالة وانهزموا فغير بعيد ولما دخلت قريش الحرم عادت عنهم قيس وقالوا لهم يا معشر قريش انا لا نترك دم عروة وميعادنا عكاظ في العام المقبل وانصرفت الى بلادها يحرض بعضها بعضا ويكون عروة الرحال ثم ان قيسا جمعت جموعها ومعها ثقيف وغيرها وجمعت قريش جموعها ومنهم كنانة جميعها والاحابيش وأسد بن خزيمة وفرقت قريش السلاح في الناس فاعطى عبد الله بن جدعان مائة رجل سلاحا تاما وفعل الباقون مثله وخرجت قريش للموعد على كل بطن منها رئيس فكان على بني هاشم الزبير بن عبد المطلب ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم واخوته أبو طالب وحمزة والعباس بنو عبد المطلب وعلى بني أمية واحلافها حرب ابن أمية وعلى بني عبد الدار عكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وعلى بني أسد بن عبد العزى خويلد بن أسد وعلى بني مخزوم هشام بن المغيرة أبو أبي جهل وعلى بني تيم عبد الله بن جدعان وعلى بني جمح معمر بن حبيب بن وهب وعلى بني سهم العاص بن وائل وعلى بني عدي زيد بن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد وعلى بني عامر بن لؤي عمرو بن عبد شمس والد سهيل بن عمرو وعلى بني فهر عبد الله بن الجراح والد ابي عبيدة وعلى الاحابيش الحليس بن زيد وسفيان بن عويف هما قائداهم والاحابيش بنو الحرث بن عبد مناة بن كنانة وعضل والقارة والديش من بني الهون بن خزيمة والمصطلق بن خزاعة سموا بذلك لحلفهم بني الحرث والتحبش التجمع وعلى بني بكر يعلى بن قيس وعلى بني فراس بن غنم من كنانة عمير بن قيس جذل الطعان وعلى بني أسد بن خزيمة بشر بن أبي حازم وكان على جماعة الناس حرب بن أمية لمكانه من عبد مناف سنا ومنزلة وكانت قيس قد تقدمت الى عكاظ قبل قريش فعلى بني عامر ملاعب الاسنة أبو براء وعلى بني نصر وسعد وثقيف سبيع ابن ربيع بن معاوية وعلى بني جشم الصمة والد دريد وعلى غطفان عوف بن أبي حارثة المري وعلى بني سليم عباس بن زعل بن هني بن أدس وعلى فهم وعدوان كدام بن عمرو وسارت قريش حتى نزلت عكاظ وبها قيس وكان مع حرب بن أمية اخوته سفيان وأبو سفيان والعاص وأبو العاص بنو أمية فعقل حرب نفسه وقيد سفيان وأبو العاص نفسيهما وقالوا لن يبرح رجل منا من مكانه حتى نموت أو نظفر فيومئذ سموا العنابس والعنبس الاسد واقتتل الناس قتالا شديدا فكان الظفر أول النهار لقيس وانهزم كثير من بني كنانة وقريش فانهزم بنو زهرة وبنو عدي وقتل معمر بن حبيب الجمحي وانهزمت طائفة من بني فراس وثبت حرب بن أمية وبنو عبد مناف وسائر قبائل قريش ولم يزل الظفر لقيس على قريش وكنانة الى ان انتصف النهار ثم عاد الظفر لقريش وكنانة فقتلوا من قيس فاكثروا وحمي القتال واشتد الامر فقتل يومئذ تحت راية بني الحرث بن عبد مناة بن كنانة مائة رجل وهم صابرون فانهزمت قيس وقتل من اشرافهم عباس بن زعل السلمي وغيره فلما رأى أبو السيد عم مالك بن عوف النصري ما تصنع كنانة من القتل نادى يا معشر بني كنانة اسرفتم في القتل فقال ابن جدعان انا معشر يسرف ولما رأى سبيع بن ربيع بن

كان نقيا جيدا على حسب لبثه في بطن الحوت وبين البحر الثالث وهو مركيد والبحر الثاني وهو لاوري على ما ذكرنا جزائر كثيرة وهي قرى بين هذين البحرين ويقال انها نحو من ألفي جزيرة وفي قول المحق ألف وتسعمائة جزيرة كلها عامرة بالناس وملكة هذه الجزائر كلها امرأة وبذلك جرت عادتهم في قديم الزمان لا يملكهم رجل والعنبر يوجد في هذه الجزائر أيضا يقذفه البحر ويوجد في بحرها كاكبر ما يكون من قطع الصخر وأخبرني غير واحد من نواخذة السيرافيين والعمانيين بعمان وسيراف وغيرها من البحار ممن كان يختلف الى هذه الجزائر ان العنبر ينبت في قعر هذا البحر ويتكون كتكون أنواع القطر من الابيض والاسود والكمأة والمعاريد وبنات أوبر ونحوها فاذا هاج البحر واشتد قذف من قعرة الصخور والاحجار وقطع العنبر وأهل هذه الجزائر متفقون وكلمتهم واحدة لا يحصرهم العد لكثرتهم ولا تحصى جيوش هذه الملكة عليهم وبين الجزيرة والجزيرة نحو الميل والفرسخ والفرسخين والثلاثة ونخلهم شجر النارجيل لا ينقطع من

معاوية هزيمة قبائل قيس عقل نفسه واضطجع وقال يامعشر بني نصر قاتلوا عني أوذروا فعطفت عليه بنو نصر وجشم وسعد بن بكر وفهم وعدوان وانهزم باقي قبائل قيس فقاتل هؤلاء أشد قتال رآه الناس ثم انهم تداعوا الى الصلح فاصطلحوا على ان يعدوا القتلى فاي الفريقين فضل له قتلى أخذ ديتهم من الفريق الآخر فتعادّوا القتلى فوجدوا قريشا وبني كنانة قد أفضلوا على قيس عشرين رجلا فرهن حرب بن أمية يومئذ ابنه أبا سفيان في ديات القوم حتى يؤديها ورهن غيره من الرؤساء وانصرف الناس بعضهم عن بعض ووضعوا الحرب وهدموا ما بينهم من العداوة والشروط ما هدوا على ان لا يؤذي بعضهم بعضا فيما كان من أمر البراض وعروة

﴿ يوم ذي نجب ﴾

وكان من حديث يوم ذي نجب ان بني عامر لما أصابوا من تميم ما أصابوا يوم جبلة رجوا أن يستأصلوهم فكاتبوا حسان بن كبشة الكندي وكان ملكا من ملوك كندة وهو حسان بن معاوية بن حجر فدعوه الى ان يغزوهم بني حنظلة من تميم فاخبروه انهم قد قتلوا فرسانهم ورؤساءهم فاقبل معهم بصنائعه ومن كان معه فلما أتى بني حنظلة خبر مسيرهم قال لهم عمرو بن عمرو يا بني مالك انه لا طاقة لكم بهذا الملك وما معه من العدد فانتقلوا من مكانكم وكانوا في أعالي الوادي مما يلي مجيء القوم وكانت بنو يربوع بأسفله فتحولت بنو مالك حتى نزلت خلف بني يربوع وصارت بنو يربوع تلي الملك فلما رأوا ما صنع بنو مالك استعدوا وتقدموا الى طريق الملك فلما كان وجه الصبح وصل ابن كبشة فيمن معه وقد استعد القوم فاقتتلوا فلما رآهم بنو مالك وصيرهم في القتال سار واليهم وشهدوا معهم القتال فاقتتلوا ملیا فضرب جشيش بن غران الرياحي بن كبشة الملك على رأسه فصرعه فمات وقتل عبيدة بن مالك بن جعفر وانهزم طفيل بن مالك على فرسه فرزل وقتل عمرو بن الاحوص بن جعفر وكان رئيس عامر وانهزمت بنو عامر وصنائع ابن كبشة قال جرير في الاسلام يذكر اليوم بذي نجب

بذي نجب ذدنا وأكل مالك * أخالم يكن عند الطعان بواكل

وكان يوم ذي نجب بعد يوم جبلة بسنة وبقي الاحوص بعد ابنه عمرو يسيرا وهلك أسفا عليه

﴿ يوم نعف قشاوة ﴾

وهو يوم لشيبان على تميم قال أبو عبيدة أغار بسطام بن قيس على بني يربوع من تميم وهم بنعف قشاوة فأتاهم ضحى وهو يوم ريح ومطر فوافق النعم حين سرح فاخذه كله ثم كر راجعا وتداعت عليه بنو يربوع فلحقوه وفيهم عمارة بن عتيبة بن الحرث بن شهاب فكر عليه بسطام فقتله ولحقهم مالك بن حطان اليربوعي فقتله وأتاهم أيضا بجير بن أبي مليل فقتله بسطام وقتلوا من يربوع جماعة وأسروا آخرين منهم مليل بن أبي مليل وسلموا وعادوا واغاثهم فقال بعض الاسرى لبسطام أبسرك ان أبا مليل مكاني قال نعم قال فان دلالتك عليه أتطلقني الآن قال نعم قال فان ابنه بجيرا كان أحب خلق الله اليه وستجده الآن مكبا عليه يقبله فخذه أسيرا فمادا بسطام فرآه كما قال فأخذه أسيرا وأطلق اليربوعي فقال له أبو مليل قتلت بجيرا وأسرتني وابني ما سلا والله لا أطعم الطعام أبدا وأنا موثق فختى بسطام أن يموت فأطلقه بغير فداء على أن يفادي مليلا وعلى أن لا يتبعه بدم ابنه بجير ولا يبغيه غائلة ولا يدل له على عورة ولا يغير عليه ولا على قومه أبدا وعاهده على ذلك فاطلقه وجز ناصيته فرجع الى قومه وأراد الغدر ببسطام والنكث به فارسل بعض بني يربوع الى بسطام يخبره فحذره وقال متمم بن نويرة

النخلة الا التمر وقد زعم أناس ممن عنى بتولدات الحيوان وتطعيم الاشجار ان النارجيل هو نخل المقل وانما أثرت فيه غربة الهند حين غرس فيها فصار نارجيلا وانما هو نخل المقل وقد ذكرنا في كتابنا المترجم بالقضايا والتجارب ما تؤثره كل بقعة من بقاع الارض وهوائها في حيوانها من الناطقين وغيرهم وما تؤثر البقاع في النامي من النبات وفيما ليس بنام كما أثير أرض الترك في وجوههم وصغر أعينهم حتى أثر ذلك في جماجمهم فتصرت قوائمها وغلظت رقابها وأبيض وبرها وأرض يأجوج ومأجوج في صورهم وغير ذلك مما اذا تبينه ذوو المعرفة في سكان الارض من المشرق والمغرب وجدوه على ما ذكرنا وليس يوجد في جزائر البحر ألطف صنعة من هذه الجزائر في سائر المهن والصنائع في الثياب والآلات وغير ذلك وبيوت أموال هذه الملكة الودع و دلك ان هذا الودع فيه نوع من الحيوان واذا اول ما لها أمرت أهل هذه الجزائر ان يقطعوا من سعف نخل النارجيل بخوصه ويطرحونه على وجه الماء فيتراكب عليه ذلك الحيوان فيجمع

أبلغ شهاب بنى بكر وسيدها * عنى بذالك أبا الصهباء بسطاما
أروى الاسنة من قومى فانهلها * فاصبحوا فى بقيع الارض نوّاما
لا يطبقون اذا هب المنام ولا * فى مرقد يحلمون الدهر احلاما
أشجى تميم بن مرّ لا مكايدة * حتى استعاد واله اسرى وأنعاما
هلا أسيرا فدتك النفس تطعمه * مما أراد وقد ما كنت مطعاما

وهى أبيات عدة

﴿يوم الغبيط﴾

وهو يوم كانت الحرب فيه بين بنى شيبان وتميم أسر فيه بسطام بن قيس الشيبانى وسبب ذلك ان بسطام بن قيس والحوفزان بن شريك ومعروف بن عمرو سارا فى جمع من بنى شيبان الى بلاد تميم فأغاروا على نسبة بن يربوع وثعلبة بن سعد بن صبة وثعلبة بن عدى بن فزارة وثعلبة بن سعد بن ذبيان وكانوا متجاورين بصحراء فلج فانتلوا فانهزمت الثعالبة وقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم بنو شيبان أموالهم ومروا على بنى مالك بن حنظلة من تميم وهم بين صحراء فلج وغبيط المدرة فاستاقوا ابلهم وركبت البهم بنو مالك يقدمهم عتيبة بن الحرث بن شهاب اليربوعى وفرسان بنى يربوع وسار وا فى أثر بنى شيبان ومعه من رؤساء تميم الاحيمر بن عبد الله وأسيد بن جبا وحرين سعد ومالك بن نويره فادركوهم بغبيط المدرة فقاتلوهم وصبر الفريقان ثم انهزمت شيبان واستعادت تميم ما كانوا غنموه من أموالهم وقتلت بنو شيبان أبا مرحب ربيعة بن حصينة وألح عتيبة بن الحرث على بسطام بن قيس فادركه فقال له استأسر أبا الصهباء فاما حير لك من الفلاة والعطش فاستأسر له بسطام بن قيس فقال بنو ثعلبة لعتيبة ان أبا مرحب قد قتل وقد أسرت بسطاما وهو قاتل مليل وبجير ابنى أبى مليل ومالك بن حطان وغيرهم فاقتله قال انى معيل وأنا أحب اللبن قالوا انك تفاديه فيعود فيحربنا مالنا وابى عليهم وسار به الى بنى عامر بن صعصعة لئلا يؤخذ فيقتل وانما قصد عامر الاسن عمته خولة بنت شهاب كانت ناكحا فيهم فقال مالك بن نويرة فى ذلك

لله عتاب بن ميـــة اذ رأى * الى ثارنا فى كفه يتلدد
أتحيى امرأ أردى بجيرا ومالكا * وأتوى حريثا بعدما كان يقصد
ومحن ثأرنا قبل ذاك ابن أمه * غداة الكلاب بين والجمع يشهد

فلما توسط عتيبة بيوت بنى عامر صاح بسطام واشيباناه ولاشيبان فى اليوم فبعث اليه عامر بن الطفيل ان استطعت أن تلجأ الى قبتى فافعل فانى سأمنعك وان لم تستطع فاقذف نفسك فى الركا وأتى عتيبة تابعه من الحى فاخبره بذلك فامر ببيته فقوض فركب فرسه وأخذ سلاحه ثم أتى مجالس بنى جعفر وفيه عامر بن الطفيل الغنوى فحياهم وقال يا عامر قد بلغنى الذى أرسلت به الى بسطام فانا نخيرك فيه خصالا ثلاثا فقال عامر وما هى قال ان شئت فاعطنى خلعتك وخلعة أهل بيتك حتى أطلقه لك فليست خلعتك وخلعة أهل بيتك بشر من خلعته وخلعة أهل بيته فقال عامر هذا لا سبيل اليه قال عتيبة ضع رجلك مكان رجله فليست عندى بشر منه فقال ما كنت لافعل قال عتيبة تتبعنى اذا جاوزت هذه الرابية فتقارعنى عنه على المدية فقال عامر هذه أبغضهن الى فانصرف به عتيبة الى بنى عبيد بن ثعلبة فرأى بسطام مركب أم عتيبة رثا فقال يا عتيبة هذ رحل أمك قال نعم قال ما رأيت رحل أم سيد قط مثل هذا فقال عتيبة واللات والعزى لا أطلقك حتى تأتينى أمك بهود جها وكان كبيرا ثمن كثير وهذا الذى أراد بسطام ليرغب فيه فلا يقتله

فارسل

ويطرح على رمل الساحل فتحرق الشمس ما فيه من الحيوان ويبقى الودع حائما مما كان فيه فيلأمن ذلك بيوت الاموال وهذه الجزائر تعرف جميعها بالديجات ومنها يحمل أكثر العاج وهو الفارجيل وآخر هذه الجزائر جزيرة سربديب ويلى جزيرة سربديب جزائر أخر نحو من ألف فرسخ تعرف بالرامليات معمورة فيها ملوك وفيها معادن من ذهب كثيرة ويليها بلاد قيصور والها يضاف الكافور القيصورى والسنة التى تكون كثيرة الصواعق والبروق والرجف والقذف والزلازل يكثر فيها الكافور وادا دل ذلك كان نقصانى وجوده وأكثر ما ذكرنا من الجزائر غذاؤهم الفارجيل ويحمل من هذه الجزائر خشب البقم والجيران والدهب وفيلتها كثيرة ومنها ما يأكل لحوم الناس وتتصل هذه الجزائر بالحابوس وهى أمم مجيبة الصور عراة يخرجون فى القوارب عند اجتياز المراكب بهم معهم العنبر والفارجيل فيتعاوضون بالحرير وشئ من الثياب ولا يبيعون ذلك بالدراهم ولا بالدنانير وتليهم جزائر يقال لها أبرامان فيها أناس سود عجيبو الصورة

فارسل بسطام فاحضر هودج أمه وفادى نفسه بار بعمائة بعير وقيل بألف بعير وثلاثين فرسا وهودج أمه وحدجها وخلص من الاسر فلما خلص من الاسر أذكى العيون على عتيبة وابله فعادت اليه عيونه فاخبروه انها على اراب فاغار عليها وأخذ الابل كلها ومالهم معها (عتيبة بالتاء فوقها نقطتان والياء تحتها نقطتان ساكنة وفى آخرها باء موحدة)

﴿(يوم لشيبان على بنى تميم)﴾

قال أبو عبيدة خرج الاقرع بن حابس وأخوه فراس التميميان وهما الاقرعان فى بنى مجاشع من تميم وهما يريدان الغارة على بكر بن وائل ومعهما البروك أبو جعل فلقيهم بسطام بن قيس الشيبانى وعمران بن مرة فى بنى بكر بن وائل برباله فاقتتلوا قتالا شديدا ظفرت فيه بكر وانهزمت تميم وأسر الاقرعان وأبو جعل وناس كثير وافتدى الاقرعان نفسيهما من بسطام وعاهداه على ارسال الفداء فاطلقهما فبعدا ولم يرسلا شيأ وكان فى الاسرى انسان من يربوع فسمعه بسطام بن قيس فى الليل يقول

قدى بوالدة على شفيقة * فكانها حرض على الاسقام
لو أنها علمت فيسكن جاشها * أنى سقطت على الفتى المنعام
ان الذى ترجين ثم ايابه * سقط العشاء به على بسطام
سقط العشاء به على متنعم * سمح اليدين معاود الاقدام

فلما سمع بسطام ذلك منه قال له وأبيك لا يخبر أمك عنك غدرك وأطلقه وقال ابن رميض العنزى

جاءت هدايا من الرحمن مرسلة * حتى أنيخت لدى أبيات بسطام
جيش الهذيل وجيش الاقرعين معا * وكتبة الخيل والازواد فى عام
مسوم خيله تعدو مقانبه * على الذوائب من أولاد همام

وقال أوس بن حجر

وصبحنا عار طويل بناؤه * نسب به مالاح فى الافق كوكب
فلم أر يوما كان أكثر باكيا * ووجها ترى فيه الكآبة تجنب
أصابوا البروك وابن حابس عنوة * فظل لهم بالقاع يوم عصيصب
وان أبا الصهباء فى حومة الوغى * اذا ازورت الابطال ليث مجرب

وأبو الصهباء هو بسطام بن قيس وأكثر الشعراء فى هذا اليوم وفى مدح بسطام بن قيس تركنا ذكره اختصارا (حجر بفتح الحاء والجيم)

﴿(يوم مياذر)﴾

وهو لشيبان على بنى تميم قال أبو عبيدة ج طريف بن تميم العنبرى التميمى وكان رجلا جسيما يلقب مجدعا وهو فارس قومه ولقيه حميصة بن حندل الشيبانى من بنى أبى ربيعة وهو شاب قوى شجاع وهو يطوف بالبيت فأطال النظر اليه فقال له طريف لم تشد نظرك الى قال حميصة أريد أن أبتك اعلى أن ألقاك فى جيش فاقتلك فقال طريف اللهم لا تحول الحول حتى ألقاه ودعا حميصة مثله فقال طريف أو كلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الى عريفهم يتوسم
لا تنكرونى انى داهيكم * شاكى السلاح فى الحوادث معلم
حولى فوارس من أسيد بنة * وبنى الهجيم وحول بيتى خضم
تحتى الاغر وفوق جلدى نثرة * زغف ترد السيف وهو مثلم

فى أبيات ثم ان بنى أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان وبنى مرة بن ذهل بن شيبان كان بينهم شر

والمنظر قدم الواحد منهم أكبر من الذراع لامراكب لهم فاذا وقع الغريق اليهم مما فدانكسر فى البحر أكلوه وكذلك فعلهم بالمراكب اذا وقعت اليهم وذكر لى جماعة من المواخذة انهم ربما رأوا فى هذا البحر سحابا أبيض قطعا صغارا يخرج منه لسان أبيض طويل حتى يتصل بماء البحر فاذا اتصل به علاه البحر وارتفعت منه زوابع عظيمة لا تمر وبعة منها بشئ الا أتلفته ويطرون عقيب ذلك مطرا سوكا فيه أنواع من قذى البحر (وأما البحر الرابع) فهو كالذى ذكرنا على حسب ما ذكرنا وتفسير ذلك بحركلة وهو بحر قليل الماء واذا قل ماء البحر كان أكثر آفات وأشد خبثا وهو كثير الجزائر والصراوى واحد هاصر ووذلك ان أهل المراكب يسمون بحر الحليجين اذا كان طريقهم فيه الصرو وبهذا البحر أنواع من الجزائر والجبال عجيبة وانما غرضنا التلويح بلمع من الاخبار عنها لا البسط وكذلك (البحر الخامس) المعروف بكردع فانه كثير الجبال والجزائر وفيه الكافور وهو قليل الماء كثير المطر لا يكاد يخلو منه وفيه أجناس من

وحصام فاقتتلوا شيأ ما قتال ولم يكن بينهم دم فقال هانئ بن مسعود رئيس بني أبي ربيعة لقومه اني أكره أن يساقم الشر بينما فارتحل بهم منزل على ماء يقال له مياسر وهو قريب من مياه بني تميم واقاموا عليه أشهرا فبلغ حربهم بني تميم فأرسل بعضهم الى بعض وقالوا هذا حي متمردوان اصطلحتموهم آمنهم بكر بن وائل واجتمعوا وساروا على ثلاثة رؤساء أبو الجدعاء الطهوي على بني حنظلة وابن فدكي المقري على بني سعد وطريف بن تميم على بني عمرو بن تميم فلما قاربوا بني أبي ربيعة بلغهم الخبر فاستعدوا للقتال فخطبهم هانئ بن مسعود وحثهم على القتال وقال اذا أتوكم فقاتلوهم شيأ ما قليلا ثم انحازوا عنهم فاذا اشتغلوا بالنهب فعودوا اليهم فانكم تصيبون منهم حاجتكم وصبحهم بنو تميم والقوم حذرون فاقتتلوا قتالا شديدا وفعلت بنو شيبان ما أمرهم هانئ فاشتغلت تميم بالعسكر ومر رجل منهم بابن لهانئ بن مسعود صبي فاخذه وقال حسبي هذا من العسكر وسار به وثبتت تميم مع العسكر والسبي وعادت شيبان عليهم فهزموهم وقتلوهم وأسروهم كيف شاؤا ولم تصب تميم بمثلها لم يقتل منهم الا القليل ولم يؤخذ على أحد وانهزم طريف فاتبعه حميصة فقتله واستردت شيبان الاهل والمال وأخذوا مع ذلك ما كان معهم وفادى هانئ بن مسعود ابنه عائذة بعير وقال بعض شيبان في هذا اليوم

ولقد دعوت طريف دعوة جاهل * غرر وأنت بغاطر لا تعلم
وأتيت حيا في الحروب محامهم * والحيش باسم أبيهم يستهزم
فوجدتهم يرعون حول بارهم * بسلاداحام الفوارس أقدموا
واذا تثوروا بني ربيعة أقبلوا * بكتيبة مثل النجوم تلمع
ساموك خطتين والامر كلهما * وبنو أسيد أسلموك وخضعوا

وقال عمرو بن سوادبر في طريفا

لا تبعدن يا خير عمرو بن جندب * لعمري لمن زار القبور لبعدا
عظيم رماد النار لا متعبس * ولا مؤيسا منها اذا هو أوقدا
وما كان وقافا اذا الخيل أحجمت * وما كان عيطانا اذا ما تجردا

﴿يوم الرويرين﴾

قال أبو عبيدة كانت بكر بن وائل قد أجدبت بلادهم فانتجعوا بلاد تميم بين اليمامة وهجر فلما تداوا جعلوا لا يلقى بكري تميميا الا قتله ولا يلقى تميمي بكريا الا قتله اذا أصاب أحدهما مال الآخر أخذه حتى تفاقم الشر وعظم فخرج الحوفزان بن شريك والد لقيط بن الحرث الشيباني ليغيرا على بني دارم فاتفق ان تميما في تلك الحال اجتمعت في جمع كثير من عمرو بن حنظلة والرباب وسعد وغيرها وسارت الى بكر بن وائل وعلى تميم أبو الرئيس الحنظلي فلما لقيهم بكر بن وائل فتقدمو وعليهم الاصبغ عمرو بن قيس بن مسعود أبو مفروق وحنظلة بن سيار البجلي وحمران بن بيدعمرو العبسي فلما التقوا جعلت تميم والرباب بعيرين وحلوهما وجعلوا عندهما من يحفظهما وتركوهما بين الصفين معقولين وهما حمار وبرين يعني الهبين وقالوا لا نفر حتى يفر هذان البعيران فلما رأى أبو مفروق البعيرين سأل عنهما فأعلم حالهما فقال اناز وبركم وبرك بين الصفين وقال قاتلوا عني ولا تفروا حتى أفر فاقتتل الناس قتالا شديدا فوصلت شيبان الى البعيرين فأخذوهما فذبحوهما واشتد القتال عليهما فانهزمت تميم وقتل أبو الرئيس مقدمهم ومعه بشر كثير واحترفت بكر أموالهم ونساءهم وأسروا أسرى كثيرة ووصل الحوفزان الى النساء والاموال وقد سار الرجال

عنها للقتال فاخذ جميع ما خلفوه من النساء والاموال وعاد الى أصحابه مالما وقال الاعشى فى ذلك اليوم

ياسلم لا تسأل عناء ولا كشف * عند اللقاء ولا سود مقاريف
نحن الذين هزموا يوم صحبهم * يوم الرويرين فى جمع الاحالف
ظلوا وظلت تكر الخيل وسطهم * بالشيب صلا بالمرد العطاريف
تستأنس الشرف الاعلى بأعينها * لمع السقور علت فوق الاطاليف
اسل عنها سيل الصيف فانجردت * تحت اللبود متون كالرحاليف

وقد أكثر الشعراء فى هذا اليوم لاسيما الاغلب العجلى فمن ذلك أرجوزته التى أولها

* ان سرك العرف صحيح بحشم * يقول فيها

جاؤا بروريهم وجئنا بالاصم * شيخ لنا كالليث من باقى ارم
شيخ لنا معاود ضرب اليهم * يضرب بالسيف اذا الرمح انقصم
* هل غير غار صك غارا فاهره *

العاران بكر وتميم وله الارجوزة التى أولها * يارب حرب ثرة الاحلاف * يذكر فيها هذا اليوم

﴿ذكر أسر حاتم طيئ﴾

قال أبو عبيدة أغار حاتم طيئ بجيش من قومه على بكر وائل فقاتلوهم وانهزمت طيئ وقتل منهم وأسر جماعة كثيرة وكان فى الاسرى حاتم بن عبد الله الطائى فبقى موثقا عند رجل من عنيزه وأتته امرأة منهم اسمها عالية بناقة فقالت له اقصد هذه فعقرها فلما رأتها تخورة سرخت فقال حاتم

عالى لا تلتدى من عاليه * ان الذى أهلكت من ماليه
ان ابن أسماء لكم صاحب * حتى يؤدى أنس ناويه
لا أقصد الناقة فى أنعها * لكنى أوجرها العاليه
انى عن الفصد لفى معجر * يكره منى المقصد الآليه
والخيل ان شمص فرسانها * تذكر عند الموت أمثاليه

وقال رميض العنزى يفتخر

نحن أسرنا حاتما وابن طالم * فكل ثوى فى قيدنا وهو يخشع
وكعب اياد قد أسرنا وبعده * أسرنا أبا حسان والخيل تطمع
وريان غادرنا نوح كأنه * واشياعه فيها سريم مصرع

وقال يحيى بن منصور الذهلى قصيدة يفتخر بايام قومه وهى طويلة وفيها آداب حسنة تركناها كراهية التطويل وأولها

أمن عرفان منزلة ودار * تعاورها البوارح والسوارى

وقال أبو عبيدة جاء الاسلام، ليس فى العرب أحد أعز دارا ولا أمنع جارا ولا أكثر حليفا من شيبان كانت عنيزة من لخم فى الاحلاف وكانت درمكة من كندة فى بنى هدوكان عكرمة من طيئ وحوتكة من عذرة وبنانة كل هؤلاء فى بنى الحرث بن همام وكانت عائذة من مريش وضبه وحواس من كندة هؤلاء فى بنى أبى ربيعة وكانت سليمة من بنى عبد القيس فى بنى أسعد بن همام وكانت وثيلة من ثعلبة وبنو خيبرى من طيئ فى بنى تميم بن شيبان وكانت عوف بن حارث من كنده فى بنى محلم كل هذه قبائل وبطون جاورت شيبان فعزت بها وكثرت

﴿يوم مصلان﴾

تسود وتلحق بعنان السماء لعلوها ودها بها فى الجو تقذف باشد ما يكون من صوت الرعد والصواعق وربما ظهر منها صوت عجيب مفزع يسمى نذر عوت ما كهم وربما كون أخفض من ذلك فينذر عوت بعض رؤسائهم قد عرف ما يبدر من ذلك بطول العادات والتجارب على قديم الزمان وان ذلك غير محال وهذه أحد أقسام الارض الجزيرة وتليها الجزيرة التى تسمى بها على دوام الاوقات أصوات الطبول والسرنايات والعيدان وسائر أنواع الملاهى المطربة المسلدة ويسمع ايقاع الرقص والتصفيق ومن يسمع ذلك يميزه بين كل نوع من أصوات الملاهى وغيره والبحريون ممن اختبر بملك الديار يزعمون ان الدجال بتلك الجزيرة وفى ملك المهراج جزيرة سريرة ومساحتها فى البحر نحو من أربعمائة فرسخ عامرة متصلة وبها جزيرة الراج والزامى وغير ذلك مما يطول على ذكره من جزائره وملكه رهو صاحب

(البحر السادس) وهو بحر الصنف ثم (البحر السابع) وهو بحر الصين على ما رتبناه آنفا ويعرف ببحر صبحى وهو بحر خبيث كثير الموج والحباب وتفسير الحباب الشدة العظيمة فى

قال أبو عبيدة غزا ربيعة بن زياد الكلابي في جيش من قومه فلقي حيشا لبني شيبان عامتهم بنو أبي ربيعة فاقتتلوا قتالا شديدا فظفرت بهم بنو شيبان وهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وذلك يوم مسحلان وأسروا ناسا كثيرا وأخذوا ما كان معهم وكان رئيس شيبان يومئذ حيان بن عبد الله بن قيس الحملي وقيل كان رئيسهم زياد بن مرثد من بني أبي ربيعة فقال شاعرهم

ربيعة سائل حيث حل بحيشه * مع الحي كلب حيث نبت فوارسه
عشية ولى جمعهم فتتابعوا * فصار الينا نهبه وعوانسه

ثم ان الربيع بن زياد الكلابي نافر قومه وحاربهم فهزموه فاعترلهم وسار حتى حل ببني شيبان فاستجار برجل اسمه زياد من بني أبي ربيعة فقتله بنو أسعد بن همام ثم ان شيبان حملوا دية الى كلب مائتي بعير فرضوا

﴿حرب لسليم وشيبان﴾

قال أبو عبيدة خرج جيش لبني سليم عليهم المصيب السلمي وهم يريدون الغارة على بكر بن وائل فلقيهم رجل من بني شيبان اسمه صليع بن عبد غنم وهو محرم على فرس له يسمى الصفراء فقال لهم أين تذهبون قالوا نريد الغارة على بني شيبان فقال لهم مهلا فان لكم ناصح اياكم وبني شيبان فاني أقسم لكم بالله لتأتينكم على ثلثمائة فرس خصي سوى الفحول والاناث فلوا الا الغارة عليهم فدفع صليع فرسه ركضا حتى أتى قومه فانذرهم فركبت شيبان واستعدوا فأتاهم بنو سليم وهم معدون فاقتتلوا قتالا شديدا فظفرت شيبان وانهزمت سليم وقتل منهم مقتلة كثيرة وأسر منهم ناس كثير ولم ينج الا القليل وأسر المصيب رئيسهم أسره عمران بن مرة الشيباني فضرب رقبته فقال صليع

نهيت بني رعل غداة لقيتهم * وحيش مصيب والطنون تطاع
وقلت لهم ان الحريب وراكسا * به نعم ترعى المرار رتاع
ولكن فيه الموت يرتع سربه * وحق لهم ان يقبلوا ويطاعوا
متى تأته تلق على الماء حارثا * وحيشا له يوفى بكل بقاع

﴿يوم جدود﴾

وهو يوم بين بكر بن وائل وبني منقر من تميم وكان سببه ان الحوفزان واسمه الحرث بن شريك الشيباني كانت بينه وبين بني سليط بن يربوع مودعة فهم بالغدر بهم وجمع بني شيبان وذهلا واللهازم وعليهم حمران بن عبد عمرو بن بشر بن عمرو ثم غزاهم وهو يرجو أن يصيب غرة من بني يربوع فلما انتهى الى بني يربوع بدر به عتيبة بن الحرث بن شهاب فنادى في قومه فقالوا بين الحوفزان وبين الماء وقال لعتيبة اني لا أرى معك الا رهطك وأناس طوائف من بني بكر فلئن ظفرت بكم قل عددكم وطمع فيكم عدوكم ولئن ظفرتم بي ما تقتلون الا أقاسي بشيرني وما اياكم أردت فهل لكم أن تسالمونا وتأخذوا اماما منا من التمر والله لا نروع يربوعا أبدا وأخذ ما معهم من التمر وخلى سبيلهم فسارت بكر حتى أغاروا على بني ربيع بن الحرث وهو مقاعس مجدود وانما سمي مقاعسا لانه تقاعس عن حلف بني سعد فأغار عليهم وهم خلوف فاصاب سبيا ونعما فبعث بنو ربيع صريخهم الى بني كليب فلم يجيبوهم فاتى الصريخ بني منقر بن عبيد فركبوا في الطلب فلحقوا بكر بن وائل وهم مقاتلون فاشعر الحوفزان وهو في ظل شجرة الا بالاهتم بن سمي بن سنان المنقري واضعا على رأسه فركب فرسه فنادى الاهتم يا آل سعد ونادى الحوفزان يا آل وائل ولحق بنو منقر فاقتتلوا قتالا شديدا فهزمت بكر وحملوا السبي والاموال وتبعهم منقر فقتل وأسر وأسر

الاهتم

البصر وانما نخبر عن عبارة أهل كل بحر وما يستعملونه في خطابهم وفيه جبال كثيرة لا بد لمراكب من النفوذ بينها ثم ان ذلك البحر اذا عظم خبه وكثر موجه ظهرت فيه أشخاص سود طول الواحد منهم نحو الخمسة أشبار أو الاربعة كأنهم أولاد الاحابش الصغار شكلا واحدا وقدا واحدا فيصعدون على المراكب ويكثر سهم الصعود من غير صورة فاذا شاهد الناس ذلك تيقنوا الشدة وظهورهم علامة للعطب فيستعدون لذلك فعافى ومبتلى فاذا كان كذلك ربما شاهد المعافى منهم في أعلى الدقل (وتسميه أرباب المراكب في بحر الصين وغيره في البحر الحبشي الدولي وتسميه الرجال في البحر الرومي الصاري) شيأ على صورة الطائر يتوقد نورا لا يستطيع الناظر منهم على ملء بصره منه ولا ادراكه كيف هو فاذا استقل على أعلى الدقل يرون البحر بهدأ والامواج تصغر والحب يسكن ثم ان ذلك النور يفقد فلا يرى كيف أفل ولا كيف ذهب فذلك علامة الخلاص ودليل النجاة وما ذكر فلاننا ذكرنا فيه عند أهل

الاهتم حمران بن عبد عمرو ولم يكن لقيس بن عاصم المنقري همة الا الحوفزان فتبعه على مهر والحوفزان على فرس فارح فلم يلحقه وقد فاربه فلما خاف أن يفوته حفزه بالرمح في ظهره فاحتفز بالطعنة ونجا فسمي يومئذ الحوفزان وقيل غير هذا وقال الاهتم في أسره حمران

نبطت بحمران المنية بعدما * حشاه سنان من شراعة أزرق
دعا بال قيس واعتريت لمنقر * وكنت اذ الاقيت في الخيل أصدق

وقال سوار بن حيان المنقري يفتخر على رجل من بكر

ونحن حفرنا الحوفزان بطعنة * كسته نجيعا من دم البطن أشكلا
وحمران قد أنزلته رماحنا * فعالج علافي دراعيه مثقلا
فيالك من أيام صدق بعدها * كبوم جواثي والنباج وثيتلا
فنحن الله أيا يوم تعتسم العلا * أحق بها منكم فاعطى فاجزلا
فلست بسطيح السماء ولم تجد * لعربناه الله فوقك منقلا

(صقر بكسر الميم وسكون النون وفتح القاف وربيع بضم الراء وفتح الباء الموحدة)

﴿(يوم الاياد وهو يوم أعشاش ويوم المظالي)﴾

وانما سمي يوم المظالي لان بسطام بن قيس وهانئ بن قبيصة وعمرو بن مرثد بن عمرو تعاطوا على الرياسة وكانت بكر تحت يد كسرى وفارس وكانوا يقرونهم ويجهزونهم فاقبلوا من عند عامل عين التمر في ثلثمائة متسايدين وهم يتوقعون انحدار بني يربوع في الحزن فاجتمع بنو عتيبة وبنو عبيد وبنو زيد في الحزن فحلت بنو زيد الحديقة وحلت بنو عتيبة وبنو عبيد روضة الثمد فاقبل جيش بكر حتى نزلوا حضنبة الحصى فرأى بسطام السواد بالحديقة وثم غلام عرفه بسطام وكان قد عرف غلمان بني ثعلبة حين آمره عتيبة فسأله بسطام عن السواد الذي بالحديقة فقال هم بنو زيد قال كم هم من بيت قال خمسون بيتا قال فاين بنو عتيبة وبنو عبيد قال هم بروضة الثمد وسائر الناس بخفاف وهو موضع فقال بسطام أتطيعوني يا بني بكر قالوا نعم قال أرى لكم ان تغنموا هذا الحي المنفرد بني زيد وتعودوا سالمين قالوا ومايمنعنا أن نوزبد عنا قال ان في السلامة احدى العنيمتين قالوا ان عتيبة بن الحرث قد مات وقال مفروق قد انتجع بسحرك يا أبا الصهباء وقال هانئ اخسس وقال ان أسيد بن جباء لا يفارق فرسه الشقراء ليلا ونهارا فاذا أحسن بكم ركبها حتى يشرف على مليحة فينادي يا آل ثعلبة فيلقاكم طعن ينسيكم العنيمة ولم يبصر أحد منكم مصرع صاحبه وقد عصيتموني وأتاتاكم وستعلمون فأغاروا على بني زيد وأبلوا نحو بني عتيبة وبني عبيد فاحست الشقراء فرس أسيد وقع الحوافر فنحست محافرها فركبها أسيد وتوجه نحو بني يربوع عليحه ونادى ياسوء صباحاه يا آل ثعلبة بن يربوع فما ارتفع الضحى حتى تلاحقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت شيبان بعد ان قتلت من تميم جماعة من فرسانهم وقتل من شيبان أيضا وأسر جماعة منهم هانئ بن قبيصة ففدى نفسه ونجا فقال متمم بن نويرة في هذا اليوم

لعمري لنعم الحي سمع غدرة * أسيد وقد جد الصراخ المصدق
وأسمع فتيانا كجنة عبقر * لهم ريق عند الطعان ومصدق
أخذن بهم جنبي آفاق وبطنها * فارجعوا حتى ارقوا وأعنقوا

وقال العوام في هذا اليوم

البصرة وسيراف وعمان وغيرهم ممن قطع هذا البحر وماذكرناه عنهم فيمكن غيره ممتنع ولا واجب اذ كان جائزا في مقدور الباري جل وعز خلاص عباده من الهلاك واستنقاذهم من البلاء وفي هذا البحر نوع من السراطين يخرج من البحر كالذراع والشبر وأصغر من ذلك وأكبر فاذا بان عن الماء بسرعة حركة وصار الى البر صار حجارة وزالت عنه الحيوانية وتدخل تلك الحجارة في اكمال العين وادويتها وأمره مستفيض أيضا ولبحر الصين أيضا وهو السابح المعروف بصيحي اخبار عجيبة وقد أتينا على جل من أخباره واحبارما اتصل به من البحار فيما سمينا من كتبنا واسلفنا من تصنيفنا في هذا المعنى ونحن ذاكرون فيما يرد من هذا الكتاب من أخبار الملوك جوامع وجملا من ذلك وليس بعد بلاد الصين مما يلي البحر ممالك نعرف ولا توصف الا بلاد السلي وجزائرها ولم يصل اليها من الغرباء أحد من العراق ولا غيره نخرج منها العصفة هوائها ورقة مائها وجودة تربتها وكثرة خيرها وصفاء جوهرها الا النادر من الناس وأهلها مهادنون

فبح الاله عصابة من وائـــل * يوم الافاقة أسلموا بسطاما
ورأى أبو الصهباء دون سوامهم * طعنا يسلى نفسه وزحاما
كتم اسود فى اللوا وجدتم * يوم الافاقة فى العبيط نعاما

أكثر العوام الشعر فى هذا اليوم فلما ألح فيه أحد بسطام اله فقالت أمه

ان كل ذى شعر أصاب بشعره * حلا أن عوانا بما قال عيلا
فلا يطقن شعرا كون حواره * كما شعر عوام أعام وأرجلا

﴿ يوم الشقيقة وقتل بسطام بن قيس ﴾

هذا اليوم بين شيبان وصبة بن اد قتل فيه بسطام بن قيس سيد شيبان وكان سببه ان بسطام بن قيس بن مسعود بن خالد بن عبد الله ذى الجدين غزا بنى صبة ومعه أخوه السليل بن قيس ومعه رجل زجر الطير من بنى أسد بن خزيمة يسمى نقيدا فلما كان بسطام فى بعض الطريق رأى حمامة كأن آتيا أتاه وقال له * الدلوتابى الغرب المرله * فقص رؤياه على نقيد فتطير وقال الا قتلت تعود اليامين له فتمرط عمدا لحوس ومضى بسطام على وجهه فلما دنا من نقا يقال له الحسى فى بلاد صبة صعده ليراه فاذا هو بهم قد ملأ الارض فيه ألف ناقة ما بين الثلاثين المتناق الضخمة من بنى صبة بن سعد بن صبة قد وقفوا بين يديه وكذلك كانوا يفعلون فى الجاهلية اذا بلغت ابل أحدهم ألف بعير قواعين يديه وتركها لعين وهى ابل مرتعة ومائة من المتناق فيها على فرس يقود فلما شرف بسطام على الماء تخوف ان يرده فيبدر وابه فانطلع وتبعه حتى بلغ الارض وهى بنو شيبان لم ير كالقوم قط فى العدد وكثرة النعم وطرد نقيدا لحية بسطام معه فلما رأى ذلك اشتد هدى فقطه له أيضا وقال ان صدقت لطيرة هو أول من يقتل وعرم الاسدى على رقبة واحد به رعدة فتهيب الغارة والاصراف منه وقال له ارجع يا أبا الصهباء فانى اتخوف عليك ان تقتل فعصاه ففارقه نقيد وركب بسطام وأصحابه وأغاروا على الابل واطردوها وفيها الحمل لذلك يقال له أبو شاعر وكان أبو رهم ذلك على فرسه الى قومه من صبة حتى اذا أشرف على عشيرته نادى باصحابه وعادر احماوا دراك العوارس لقوم وهم يطرون النعم فحمل عليه أبو شاعر فشد على النعم ليرجع وتتبعه الابل وكلما اتبعته ناقة عقرها بسطام فما رأى مالك ما يصنع بسطام وأصحابه قال مدا لسفه يا بسطام لا تعقرها فاما لها واما مالك فانى سطام وكان فى آخريات الناس فى فرس ادهم يقال له الزعمران يحمى أصحابه فلما لحق خيل صبة قال لهم مالك ارموا وليا فوه فحملوا عليه رموه باسهامهم فلحقت سوانحه وفى أوائلهم عاصم بن خليفة الضباحى وكان سيف العقل وكان قبل ذلك يعقب قباله له فيقال له ما تصنع بها يا عاصم فيقول أقتل عليها بسطاما فيهرعون منه فلما جاءه الصريخ ركب فرس أبيه بغير أمره ولحق الخيل فقال لرجل من ضبة أيهم لرئيس قال صاحب الفرس الادهم فعارضه عاصم حتى حاداه ثم حمل عليه فطعنه بالرمح فى منساح أذنه أسفل الطعنة الى الجانب الآخر وخر بسطام على شعرة يقال لها الالاة فلما رأت ذلك شيبان خلوا سبيل النعم وولوا الادبار فى قتيل وأسير وأسر بنو ثعلبة نجاد بن قيس أخا بسطام فى سبعين من بنى شيبان وكان عبد الله بن عمه الصبى مجاورا فى شيبان فخاف ان يقتل فقال

يرثى بسطاما لام الارض ويل ما أجنت * غداة أضر بالحسى السبيل
يقسم ماله فينا وندعو * أبا الصهباء اذ خنع الاصيل

أجدك ان تريه وان تراه * تخب به عذافر ذو ذمول
حقيبة نطفها بدن وسرج * تعارضه اهزيبة دوّل
الى ميعاد أرعن مكفهر * تضمر بى حوانبه الخيول
لك المرباع منها والصفايا * وحكمك والنشيطة والفضول
لقد صمت بنو زيد بن عمرو * ولا يوفى ببسطام قتيل
فخرّ على الاكامة لم يوسد * كأن جبينه سيف صقيل
فان يجرع عليه بنو أبيه * فقد جمعوا وفاتهم جليل
بطعام اذا الاشوال راحت * الى الجفرات ليس لها فصيل

فلم يبق فى بكر بن وائل بيت الا وألبق لقتله لما وجد له وقال شمعلة بن الاخضر بن هبيرة الضبى يذكره

ويوم شقيقة الحسنين لاقت * بنو شيبان آحالا قصارا
شككنا بالرماح وهن زور * صماخى كبشهم حتى استدارا
وأوجرناه أسمر داكعوب * يشب به طوله مسدا مغارا

(الشقيقة أرض صلبة بين جبلى رمل والحسنان نقوا رمل كانت الوقعة عندهما) وقالت أم بسطام بن قيس ترثيه

ليبك ابن ذى الجدين بكر بن وائل * فقد بان منها زينها وجمالها
اذا ما غدا فيهم غدوا وكأنهم * نجوم سماء بينهن هلالها
فلله عينا من رأى مثله فتى * اذا الخيل يوم الروع هب نزالها
عزيز المكر لا يهتدى لجناحه * ولبث اذا الثقيان زلت نعالها
وحمال أثقال وعائد مجمر * تحل اليه كل ذات رحالها
سيبكيك عان لم يجد من يفكه * ويبكيك فرسان الوغى ورجالها
وتبكيك اسرى ما الماقد فكهم * وأرملة ضاعت وضاع عيالها
مفرج حومات الحطوب ومدرك الـ * ـمروب اذا صالت وعز صيالها
تغشى بها حينا كذاك فنجعت * تميم به ارماحها ونبالها
فقد ظفرت منا تميم بعثرة * وتلك لعمرى عثرة لا تقالها
أصيبت به شيبان والحى يشكر * وطيء برى أرسالها وحبالها

(عثمة بفتح العين المهملة والنون)

﴿يوم النسار﴾

النسار أجبل متجاورة وعندها كانت الوقعة وهو موضع معروف عندهم وكان سبب ذلك اليوم ان بنى تميم بن مر بن أدّ كانوا يا كلون عمومتهم ضبة بن أدّ وبنى عبد مناة بن أدّ فاصابت ضبة رهطا من تميم فطلبتهم تميم فانزاحت جماعة الرباب وهم تيم وعدى وثور أطحل وعكل بنو عبد مناة بن أدّ وضبة بن أدّ وانما سموا الرباب لانهم غمسوا أيديهم فى الرب حين تحالفوا فلحقت بنى أسد وهم يومئذ حلفاء لبنى ذبيان بن بغيض فنادى صارخ بنى ضبة يا آل خندف فاصر خت بهم بنو أسد وهو أول يوم تخندفت فيه ضبة واعتمدوا حليفهم ظبيا وغطفان فكان رئيس أسد يوم النسار عوف بن عبد الله بن عامر بن جذيمة بن نصر بن قعين وقيل خالد بن نضلة وكان رئيس الرباب الاسود بن المنذر أخو النعمان وليس بصحيح وكان على الجماعة كلهم حصن بن حذيفة بن بدر وفيه يقول زهير بن

النوشادر ولا يسلك ذلك الطريق شئ من البهائم لان النوشادر يلتهب نارا فى الصيف فلا يسلك ذلك الوادى داع ولا مجيب فاذا كان الشتاء وكثرت النواوح والانداء وقع فى ذلك الموضع فأطفأ حر النوشادر ولهبه فسلك الناس حينئذ ذلك الوادى والبهائم لاصبرها على ما ذكرناه من حره وكذلك من ورد من بلاد الصين فعل به كذلك من الضرب ما فعل بالماضى والمسافة من بلاد خراسان على الموضع الذى ذكرناه الى بلاد الصين نحو من أربعين يوما عامر وغير عامر ودهاس ورمل وفى غير هذه الطريق مما يسلكه البهائم نحو من أربعة أشهر الا ان ذلك فى خفارات أنواع من الترك وقد رأيت بمدينة بلخ شيخا جيلا ذا رأى وفهم وقد دخل الصين مرارا كثيرة ولم يركب البحر قط ورأيت عدة من الناس ممن سلك على جبال النوشادر الى أرض التبت والصين ببلاد خراسان والسند مما يلى بلاد المنصورة والمولتان والقوافل متصلة من السند الى خراسان وكذلك الى الهند الى ان تتصل هذه الديار ببلاد ابلستان وهى بلاد واسعة تعرف بملكة فيروز

أبي سلمى ومن مثل حصن في الحروب ومثله * لانداد ضيم أو لامر يحاوله
اذا حل احياء الاحالف حوله * بذي نجب هذا نه وصواهله

فلما بلغ بني تميم ذلك استمدوا بني عامر بن صعصعة فأمدوهم وكان حاجب بن زرارة على بني تميم وكان عامر بن صعصعة جوابا وهو لقب مالك بن كعب من بني أبي بكر بن كلاب لان بني جعفر كانوا حوابين قد أخرجهم الى بني الحرث بن كعب فحالفوهم وقبل كان رئيس عامر شريح بن مالك العشيري وسار الجمعان فالتقوا بالنسار واقتتلوا فصبرت عامر واستحر بهم القتل وانفضت تميم فنجت ولم يصب منهم كثير وقتل شريح العشيري رأس بني عامر وقتل عبيد بن معاوية بن عبد الله ابن كلاب وغيرهما وأخذ عدة من اشراف نساء بني عامر منهن سلمى بنت المخاف والعنقاء بنت همام وغيرهما فقالت سلمى تعير جوابا والطفيل

لحى الاله أبا اليلى بفرته * يوم النسار وقنب العير جوابا
كيف الفخار وقد كانت بمعترك * يوم النسار بنو ذبيان أربابا
لم تمنعوا القوم اذ أشلوا سوامكم * ولا النساء وكان القوم احرابا

وقال رجل يعير جوابا والطفيل بفراره عن امرأته

وفر عن ضرتيه وجه مارنة * ومالك فر قنب العير حواب

القنب غلاف الذكر وحواب لقب لانه كان يجوب الآثار واسمه مالك وقال بشر بن أبي خازم في هزيمة حاجب

وأفلت حاجب جوب العوالي * على شقراء تلمع في السراب
ولو أدركن رأس بني تميم * عفرن الوجه منه بالتراب

وكان يوم النسار بعد يوم جبلة وقتل لقيط بن زرارة (جواب بفتح الجيم وتشديد الواو وآخره باء موحدة وحازم بالحاء المهملة والزاي)

﴿يوم الجفار﴾

لما كان على رأس الحول من يوم النسار اجتمع من العرب من كان شهد النسار وكان رؤساؤهم بالجفار لرؤساء الذين كانوا يوم النسار الا ان بني عامر قبل كان رئيسهم بالجفار عبد الله بن جعدة ابن كعب بن ربيعة فالتقوا بالجفار واقتتلوا وصبرت تميم فعظم فيها القتل وخاصة في بني عمرو بن تميم وكان يوم الجفار يسمى الصيلم لكثرة من قتل به وقال بشر بن أبي خازم في عصبة تميم لبني عامر

عصبت تميم ان يقتل عامر * يوم النسار فاعقبوا بالصيلم
كما اذا نفروا لحرب تفرة * تشفي صداعهم رأس صلدم
نعلو الفوارس بالسيوف ونعتري * والخيل مشعلة النحور من الدم
يخرجن من خلل الغبار عوابسا * خبب السباع بكل ليث ضيغم

وهي عدة أبيات وقال أيضا

يوم الجفار ويوم النسا * ركانا عذابا وكانا غراما
فاما تميم بن مر * فالفاهم القوم روبى نياما
وأما بنو عامر بالجفار * ويوم النسار فكانوا نعاما

فلما أكثر بشر على بني تميم قيل له مالك وتميم وهم أقرب الناس منك أرحاما فقال اذا فرغت منهم فرغت من الناس فلم يبق أحد

ابن كبك وفيها فلاع عجيبة ممتنعة ولغات مختلفة وأمم كثيرة وقد تنازع الناس في أنسابهم فمنهم من ألحقهم بوديات بن نوح ومنهم من ألحقهم بالسرس الاولى في نسل طويل وبلاد انتيت مملكة منيرة من بلاد الصين والله أعلم بحقيقة ذلك وفيهم بقية النبابعة على حسب ما ذكرنا من أخبار ملوك اليمن فيما يرد من هذا الكتاب وذلك موجود في أخبار التبابعة ولهم حصن وبدو وبواديهم تركك لا تدرك كثرة ولا يقاومهم أحد من بوادي الاتراك وهم معطمون في سائر أجناس الترك لان الملك كان منهم في قديم الزمان وعند سائر أجناس الترك ان الملك سيعود لهم ويرجع فيهم ولبلاد التبت خواص عجيبة في هوائها وسهلها وماءها وجبلها ولا يزال الانسان أبدا بها صاحكا فرحا مسرورا لا تعرض له الاحزان ولا الهموم ولا الافكار ولا تحصى عجائب ثمارها وزهرها وصروجها وهوائها ونهارها وهي بلاد تقوي فيها طبيعة الدم على الحيوان الناطق وغيره ولا يكاد يرى في هذا البلد شيخ حزين ولا عجوز بل الطرب في الشيوخ والكهول

﴿يوم الصفقة والكلاب الثاني﴾

أما يوم الصفقة وسببه فان باذان نائب كسرى ابرويز بن هرمز باليمن أرسل اليه جلاس اليمن فلما بلغ الحمل الى نطاع من أرض نجد اغارت تميم عليه وانتهبوه وسلبوا رسل كسرى وأساورته فقدموا على هوذة بن علي الحنفي صاحب اليمامة مسلوبين فاحسن اليهم وكساهم وقد كان قبل هذا اذا أرسل كسرى لطيمة تباع باليمن يجهز رسله ويخفرهم ويحسن جوارهم وكان كسرى يشتهي ان يراه ليجازيه على فعله فلما أحسن أخيرا الى هؤلاء الرسل الذين أخذتهم تميم قالوا له ان الملك لا يزال يذكرك ويؤثر ان تقدم عليه فسار معهم اليه فلما قدم عليه أكرمه وأحسن اليه وحمل بحادثته لينظر عقله فرأى ما سره فامر له بمال كثير وتوجه بتاج من تيجانه وأقطعه أموالا بهجر وكان هوذة نصرانيا وأمره كسرى ان يغزو هو والمكعبر مع عساكر كسرى بني تميم فسار وا الى هجر ونزلوا بالمشقر وخاف المكعبر وهوذه ان يدخلا بلاد تميم لانها لا تحتملها العجم وأهلها بها ممتنعون فبعثا رجالا من بني تميم يدعونهم الى الميرة وكانت شديدة فاقبلوا على كل صعب ودلول فجعل المكعبر يدخلهم الحصن خمسة خمسة وعشرة عشرة وأقل وأكثر يدخلهم من باب على انه يخرجهم من آخر فكل من دخل ضرب عنقه فلما طال ذلك عليهم ورأوا ان الناس يدخلون ولا يخرجون بعثوا رجالا يستعلمون الخبر فشد رجل من عبس فضرب السلسلة فقطعها وخرج من كان بالباب فامر المكعبر بغلق الباب وقتل كل من كان بالمدينة وكان يوم الفصح فاستوهب هوذة منه مائة رجل فكساهم واطلقهم يوم الفصح فقال الاعشى من قصيدة يمدح هوذة

بهم يقرب يوم الفصح ضاحية * يرجو الاله بما أسدى وما صنعا

فصار يوم المشقر مثلا وهو يوم الصفقة لاصفاق الباب وهو اغلاقه وكان يوم الصفقة وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة بعد لم يهاجر * وأما يوم الكلاب الثاني فان رجلا من بني قيس ابن ثعلبة قدم أرض نجران على بني الحرث بن كعب وهم أخواله فسألوه عن الناس خلفه فحدثهم انه أصفق على بني تميم باب المشقر وقتلت المقاتلة وبقيت أموالهم وذراريهم في مساكنهم لا مانع لها فاجتمعت بنو الحرث من مذحج واحلافهم من نهد وخزم بن ريان فاجتمعوا في عسكر عظيم يبلغ ثمانية آلاف ولا يعلم في الجاهلية جيش اكثر منه ومن جيش كسرى بذي قار ومن يوم جبلة وساروا يريدون بني تميم فحذرهم كاهن كان مع بني الحرث واسمه سلمة بن المفلل وقال انكم تسيرون اعيانا وتغزون احيانا سعدا وريانا وتردون مياها جيابا فتلقون عليها ضرارا وتكون غنيمتكم ترابا فاطيعوا أمري ولا تغزوا تميما فعصوه وساروا الى عروة فبلغ الخبر تميما فاجتمع ذوو الرأي منهم الى أكثم بن صيفي وله يومئذ مائة وتسعون سنة فقالوا له يا أبا حيدة حقق هذا الامر فانا قد رضيناك رئيسا فقال لهم

وان امرأ قد عاش تسعين حجة * الى مائة لم يسأم العيش جاهل
مضت مائتان غير عشر وقاؤها * وذلك من عد الليالي قلائل

ثم قال لهم لا حاجة لي في الرياسة ولكني أشير عليكم ينزل حنظلة بن مالك بالدهناء وليتزل سعد بن زيد مناة والرباب وهم ضبة بن أدد وتور وعكل وعدي بنو عبد مناة بن أد الكلاب فاي الطريقين أخذ القوم كفى أحدهما صاحبه ثم قال لهم احفظوا وصيتي لا تحضروا الفساء لصفوف فان نجاة اللئيم في نفسه ترك الحريم واقلوا الخلاف على أمرائكم ودعوا كثرة الصياح في الحرب فانه مر الفشل والمرء يعجز لا محالة فان أحق الحق الفجور وأكيس الكيس التقى كونوا جميعا

والشباب والاحداث عام وفي أهلها رقة طبع وبشاشة وأريحية تبعث على كثرة استعمال الملاهي وانواع ايقاع الرقص حتى ان الميت اذا مات لا يكاد يداخل أهله عليه كثير من الحزن مما يلحق غيرهم من سائر الناس عند فقد محبوب أو فوت مطلوب ولهم نحن كثير من بعضهم على بعض والتقيم فيهم عام وكذلك يظهر في سائر بلادهم وهذه البلاد تسمى بن ثبت فيها ورتب من رجال حمير وقيل ثبت لثبوتهم فيها وقيل لمعان غير ذلك والاشهر ما وصفنا وقد افرد عبد ابن علي الخراعي بذلك في قصيدته التي يناقض فيها الكميت ويفخر بقحطان على نزار فقال

وهم كتبوا الكتاب بباب مرو * وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم سموا السهام بسمرقند * وهم غرسوا هناك النبتينا

وسنذكر في باب أخبار ملوك اليمن طرفا من اخبار ملوكهم ومن طاف منهم البلاد وبلاد التبت متاخمة لبلاد الصين وأرضها من احدى جهاته ولارض الهند وخراسان ولفاوز الترك ولهم مدن وعمائر كثيرة ذوات منعة وقوة وقد كانوا في قديم الزمان يسمون ملوكهم تبعا لاتباع

الرأى فان الجميع معذور للجميع واياكم والخلاف فانه لاجماعة لمن اختلف ولاتلبثوا ولاتسرعوا فان أحزم الفريقين الراكبين وربما عجلة تهب ريثا واذا عرأ خوك فهن البسوا جلود النمور وابرزوا للحرب وادرعوا الليل واتخذوه جملا فان الليل أخفى للويل والثبات افضل من القوة وهنا انظفر كثرة الاسرى وخير الغنيمة المال ولاترهبوا الموت عند الحرب فان الموت من ورائكم وحب الحياة لدى الحرب زلل ومن خير أمرائكم النعمان بن مالك بن حارث بن جساس وهو من بنى تميم بن عبد مناة بن أد فقبلوا مشورته ونزلت عمرو بن حنظلة الدهناء ونزلت سعدا والرباب الكلاب وأقبلت مذحج ومن معها من قضاعة فقصدوا الكلاب وبلغ سعدا والرباب الخبر فلما دنت مذحج نذر بهم شميت بن زنباع اليربوعى فركب جمله وقصد سعدا ونادى يا آل تميم ياصباحاه فثار الناس وانتهت مذحج الى الحى فانتهبها الناس وراجزهم يقول

فى كل عام نعم تنتابه * على الكلاب غيب أصحابه * يسقط فى آثاره غلابه

فحق قيس بن عاصم المنقرى والنعمان بن جساس ومالك بن المنتفق فى سرعان الناس فاجابه قيس يقول

عما قليل تلتحق أربابه * مثل النجوم حيرا اصحابه
ليمس النعم اغتصابه * سعد وفرسان الوغى اربابه

ثم حمل عليهم قيس وهو يقول

فى كل عام نعم تحوبه * يلحقه قوم وينتوبه
أربابه نوكى فلا يحوبه * ولا يلاقون طعانا دونه
أسم لابناء تحسوبه * هيهات هيهات لما ترجونه

فاقتتل القوم قتالا شديدا يومهم أجمع فحمل يزيد بن شداد بن قمان الحرثى على النعمان بن مالك ابن جساس فرماه بسهم فقتله وصارت الرياسة لقيس بن عاصم واقتتلوا حتى حجز بينهم الليل وباتوا يتحارسون فلما أصبحوا غدوا على القتال وركب قيس بن عاصم وركبت مذحج واقتتلوا أشد من القتال الاول فكان أول من انهزم من مذحج مدرك الرياح وهو عامر بن الجون بن عبد الله الحرمى وكان صاحب لوائهم فالقى اللواء وهرب فلحقه رجل من بنى سعد فعقر به دابته فنزل يهرب ماشيا ونادى قيس بن عاصم يا آل تميم عليكم الفرسان ودعوا الرجالة فانهالكم وجعل يلتقط الاسارى وأسر عبد يغوث بن الحرث بن وقاص الحارثى رئيس مذحج فقتل بالنعمان بن مالك بن جساس وكان عبد يغوث شاعرا فشد وساقه قبل قتله لئلا يجبوهم فاشار اليهم ليحلوا ساقه ولايجبوهم فحلوه فقال شعرا

ألا لاتلومانى كفى اللوم ماليا * فما لكما فى اللوم نفع ولا ليا
ألم تعلما ان الملامة نفعها * قليل ومالومى أخى من شماليا
فيا راكبا اما عرضت فبلغن * ندامای من نجران أن لاتلاقيا
ابا كرب والايهمين كليهما * وقيسا باعلى حضرموت اليمانيا
أقول وقد شدوا لسانى بنسعة * معاشر تيم أطلقوا من لسانيا
كانى لم اركب جوادا ولم أقل * لخيلى كرى كرة من ورائيا
ولم أسبإ الزق الروى ولم أقل * لاياسر صدق عظموا صوه نارا يا
وقد علمت عرسى مليكة انى * انا الليث معدوا عليه وغاديا
لعمى الله قوما بالكلاب شهدتهم * صميمهم والتابعين الموانيا

اسم تبع ملك اليمن ثم ان الدهر ضرب ضربانه فتعبرت لغاتهم عن الحميرية وحالت تلك اللغة بتلك البلاد بمن جاورهم من الامم فصيروا ملوكهم يحافان وفى بلادهم الارض التى بها طباء المسك التبتى الذى يفصل على الصيني بجهتين احداهما ان طباء التبت ترعى سبل الطيب وانواع الافاويه وطباء الصين ترعى الحشيش دون مدركة من انواع حشائش الطيب التى ترعاه التبتية والجهة الاخرى ان أهل التبت لايتعرضون الى اخراج المسك من نوافجه ويتركونه على ماهو به وأهل الصين يخرجونه من النوافج ويلحقه الغش بالدم وغيره من أنواع الغش وان الصينى أبصر يقطع به ماوصفناه من مسافة البحار وكثرة الابداء واختلاف الاهوية وان عدم من أهل الصين الغش فى مسكهم وأودع براني الزجاج وأحكم وأورد الى بلاد الاسلام من عمان وفارس والعراق وغيرها من الامصار كان كالتبتى وأجود المسك وأطيبه ماخرج من الظباء بعد بلوغه النهاية فى النضج وذلك أنه لافرق بين غزلان المسك فى

ولو شئت نجتنى من القوم شطبة * ترى خلفها الاكمت العتاق تواليا
وكنت اذا ما الخيل شمصها القنا * لنبقى بتصريف القناة يمانيا
فياعاص فك القيد عنى فانى * صبور على مر الحوادث اكيا
فان تقتلونى تقتلوا ابى سيدا * وان تطلقونى تحربونى ماليا

أوكرب بشر بن علقمة بن الحرث والايهمان الاسود بن علقمة بن الحرث والعاقب وهو عبد المسيح ابن الابيض وقيس بن معديكرب فزعموا أن قيسا قال لو جعلنى أول القوم لافتديته بكل ما املك ثم قتل ولم يقبل له فدية (رباب بالراء والباء الموحده)

﴿(يوم طهر الدهناء)﴾

وهو يوم بين طيئ وأسد بن خزيمة وسبب ذلك ان أوس بن حارثة بن لأم الطائى كان سيدا مطاعا فى قومه وجوادا مقداما فوفد هو وحاتم الطائى على عمرو بن هند فدعا عمرو أوسا فقال له أنت أفضل أم حاتم فقال أبيت اللعن ان حاتما أوحدها وأنا احدها ولو ملكى حاتم وولدى ولحمى لوهبنا فى غداة واحدة ثم دعا عمرو حاتما فقال له أنت أفضل أم أوس فقال أبيت اللعن اذا ذكرت أوسا ولأحد ولده أفضل دينى فاستحسن ذلك منهما وحباهما واكرمهما ثم ان وفود العرب من كل حى اجتمعت عند النعمان بن المنذر وفيهم أوس فدعا بحلة من حلل الملوك وقال للوفود احضروا فى غد فانى ملبس هذه الحلة اكرمكم فلما كان الغد حضر القوم جميعا الا أوسا فقيل له لم تخلف فقال ان كان المرد غيرى فاجل الاشياء بى أن لا اكون حاضرا وان كنت المراد فسأطلب فلما جلس النعمان ولم ير أوسا قال اذهبوا الى أوس فقولوا له احضر آمنا مما خفت فحضر فالبس الحلة فحسده قوم من أهله فقالوا للحليئة اهجه ولك ثلثمائة ناقة فقال كيف أهجو رجلا لا أرى فى بيتى أثاثا ولا مالا الا منه ثم قال

كيف الهجاء وما تنفك صالحة * من أهل لأم بظهر الغيب تأتينى

فقال لهم بشر بن أبى خازم أنا اهجوه لكم فاعطوه السوق وهجاه فافحش فى هجائه وذكر أمه سعدى فلما عرف أوس ذلك أغار على النوق فاكتسحها وطلبه فهرب منه والتجأ الى بنى أسد عشيرته فمنعوه منه ورأوا تسليمه اليه عارا فجمع أوس جديلة طيئ وسار بهم الى أسد فالتقوا بظهر الدهناء تلقاء تيم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزمت بنو أسد وقتل قتلا ذريعا وهرب بشر فجعل لا يأتى حيا يطلب جوارهم الا امتنع من اجارته على أوس ثم نزل على جندب بن حصن الكلابى على الصمان فارسل اليه أوس يطلب منه بشرا فارسله اليه فلما قدم به على أوس أشار عليه قومه بقتله فدخل على أمه سعدى فاستشارها فاشارت ان يرد عليه ماله ويعفو عنه ويحسن اليه فانه لا يغسل هجاءه الا مدحه فقبل ما أشارت به وخرج اليه وقال يا بشر ماترى انى اصنع بك فقال

انى لارجو منك يا أوس نعمة * وانى لاخرى منك يا أوس راهب
وانى لأحو بالذى انا صادق * به كل ما قد قلت اذ أنا كاذب
فهل نافعى فى اليوم عندك انى * سأشكر ان انعمت والشكر واجب
فدى لابن سعدى اليوم كل عشيرتى * بنى أسد اقصاهم والاقارب
تداركنى أوس بن سعدى بنعمة * وقد أمكنته من يدى العواقب

فمن عليه أوس وحمله على فرس جواد ورد عليه ما كان أخذ منه واعطاه من ماله مائة من الابل فقال بشر لا جرم لا مدحت أحدا حتى أموت غيرك ومدحه بقصيدته المشهورة التى أولها

الصورة والشكل واللون والقرن وانما تتباين تلك الاسياب لها كما تباين العينة لكل ظبى بان خارجان من النكبين فاما منتصبان نحو الشبر وأقل وأكثر فتصيب لها فى بلاد التبت والصين الحبائل والاشراك والشباك فيصطادونها ويعالجونها بالسهام فيصرعونها فيقطعون عنها نوافجها والدم فى سررها حار لم ينضج وطرى لم يدرك فيكون لريحته سهوكة فيبقى زمانا حتى تزول منه تلك الرائحة الكريهة ويستحيل جوادس الهواء فيصير مسكا وسبيل ذلك سبيل الثمار اذا أينعت عن الاشجار وقطعت قبل استحكام نضجها فى شجرها واستحكام موادها فيه وخير المسك ما نضج فى وعائه وأدرك فى سره واستحكم فى حيوانه وتمام مواده فى ذلك ان الطبيعة تدفع مواد الدم الى السرة فاذا استحكم كون الدم فيه ونضج آذاها ذلك وحكه فيفرغ حينئذ الى أحد الصخور والاحجار الحارة من حر الشمس فيحتك بها مستلذا بذلك فينفجر حينئذ ويسيل على تلك الاحجار كانفجار الطرابين والدمل ونضج ما فيه عند

اتعرف من هيدة رسم دار * بخرجى ذروة فالى لواها
ومنها منزل بعراق خبت * عفت حقبا وغيرها بلاها

وهى طويلة

﴿يوم الوقيط﴾

وكان من حديثه ان اللهازم نجمعت وهى قيس وتيم اللات ابنا ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل ومعها العجل بن لجيم وعنزه بن أسد بن ربيعة بن نزار لتغير على بنى تميم وهم غارون فرأى ذلك الاعرور وهو ناشب بن بشامة العنبرى وكان أسيرا فى قيس بن ثعلبة فقال لهم اعطونى رجلا أرسله الى أهلى أوصيهم ببعض حاجتى فقالوا له ترسله ونحن حضور قال نعم فاتوه بغلام مولد فقال تزعمونى باحمق فقال الغلام والله ما أراك باحمق فقال انى أراك مجنونا قال والله ما بى جنون قال انعقل قال نعم انى اعاقل قال فما النيران اكثر ام الكواكب قال الكواكب وكل كثيرة فملأ كفه رملا وقال كم فى كفى قال لا ادرى فانه لكثير فاوما الى الشمس بيده وقال ما تلك قال الشمس قال اما لك الا عاد الا ذهب الى قومى فابلغهم السلام وقل لهم ليحسنوا الى أسيرهم فانى عند قوم يحسنون الى ويكرمونى وقل لهم فليعروا جملى الاحمر وبركه وانا فتى العشاء وليبرحوا حاجتى فى رحلى مالك وآخبرهم ان الصبح قد أورق وان النساء قد اشتكت وليعصوا هماما بن بشامة فانه مشؤم محدود وليطيعوا هذيل بن الاخنس فانه حازم ميمون واسألوا الحرث عن خبرى وسار الرسول فى قومه فابلغهم فلم يدروا ما أراد فاحضروا الحرث وقصوا عليه خبر الرسول فقال للرسول اقصص على أول قصتك فقص عليه أول ما كلمه حتى أتى على آخره فقال أبلغه التحية والسلام واخبره انا نستوصى بما أوصى به فعاد الرسول ثم قال لبنى العنبر ان صاحبكم قد بين لكم مالك الرمل الذى جعل فى كفه فانه يخبركم أنه قد أتاكم عدد لا يحصى واما الشمس التى أومأ اليها فانه يقول ذلك أوضح من الشمس وأما جمله الاحمر فالصمان فانه يأمركم ان تعروه يعنى ترتحلوا عنه وأما ناقته العشاء فانه يأمركم ان تحترزوا فى الدهناء وأما بنو مالك فانه يأمركم أن تنذروهم معكم وأما ابراق العوسج فان القوم قد لبسوا السلاح وأما اشتكاء النساء فانه يريد ان النساء قد خرزن الشكاء وهى آسقية الماء للغزو فحذروا بنو العنبر وركبوا لدهناء وانذروا بنى مالك فلم يقبلوا منهم ثم ان اللهازم وعجلا وعنزة أتوا بنى حنظلة فوجدوا عمرا قد أجلت فارقعوا ببنى دارم بالوقيط فاقتتلوا قتالا شديدا وعظمت الحرب بينهم فاسرت ربيعة جماعة من رؤساء بنى تميم منهم سنبر بن اقعقاع بن معبد بن زرارة فجزوا ناصيته واطلتود وأسروا عجل بن المأمون بن زرارة وجويرة بن بدر بن عبد الله بن دارم ولم يزل فى الوثاق حتى رآهم يوما يشربون فأنشأ يتغنى يسمعهم ما يقول

وقائلة ما غاله ان يزورنا * وقد كنت عن تلك الزيارة فى شغل
وقد ادركتنى والحوادث جمة * مخالب قوم لا ضعاف ولا عزل
سراع الى الجلى بطاء عن الخنى * رزان لدى الباذين فى غير ما جهل
لعلهم ان يعطروني بنعمة * كما صاب ماء المزن فى البلد المحل
فقد ينعش الله الفتى بعد ذلة * وقد تبتنى الحسنى سراة بنى عجل

فلما سمعوا الابيات اطلقوه وأسروا يضا نعيم وعوف ابنا القعقاع بن معبد بن زرارة وغيرهما من سادات بنى تميم وقتل حكيم بن النهشلى ولم يشهدها من نهشل غيره وعادت بكر فرت بطريقها بعد الوقعة بثلاثة بجذيمة بن الاصبغ نفر من بنى العنبر لم يكونوا ارتحلوا مع قومهم فلما رأوهم طردوا

ابلهم

ترادف المواد عليه فيحد لخروجه لذة فاذا مرع ماقى ناحيته الدمى حينئذ ثم اندفعت اليه مواد من الدم ويجتمع ناحية كذلك بدة فتخرج رمال الثبت يقصدون مراعى ابل تلك الاحجار والجبال فيجدون الدم قد جف على تلك الصخور والاحجار وقد أحكمته المواد واصحته الطبيعة فى حيوانه وجففته الشمس وتريه لهواء فيأخذونه فذلك أفضل المسك فيودعونه فوق معهم قد أخذوها من غزلان قد اصطادوها مستعدة معهم فذلك الذى نستعمله ملوكهم ويتهادونه بينهم ويجعله التجار فى البادر من بلادهم والثبت ذو مدن كثيرة فيضاف مسك كل ناحية اليها وقد انقادت الى ملكه ملوك الصين والترك والهند والزنج وسائر ملوك العالم وان منزلته فيها كمنزلة القمر فى الكواكب لان اقليمه أشرف الاقاليم ولانه أكثر الملوك مالا وأحسنهم طعما وأكثرهم سياسة وأتقنهم قد ماوهذا وصف ملوك هذا الاقليم فيما مضى الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة وكانوا يلقبون هذا الملك شاه وتفسيره ملك

ابلهم فاحرزوها من بكر واكثر الشعراء في هذا اليوم فمن ذلك قول أبي مهوش الفقعسي يعير تميما بيوم الوقيط

فما فاتلت يوم الوقيطين نهشل * ولا الاكدالشوحي فقيم بن دارم
ولا قضبت عوف رجال محاشع * ولا قشر الاستاه غير البراجم

وقال أبو الطفيل عمرو بن خالد بن محمد بن عمرو بن مرثد

حكت تميم بركها لما التقت * راياتها كحواسر العقبان
دهموا الوقيط بجحفل جم الوغى * ورماحها كحوازع الاشطان

﴿يوم المروت﴾

وهو يوم بني تميم وعامر بن صعصعة وكان سببه أنه التقى قعنب بن عتاب الرياحي وبحير بن عبد الله بن سلمة العامري بمكاظ فقال بحير لقعنب ما فعلت فرسك البيضاء قال هي عندي وما سؤالك عنها قال لانها تجتلك مني يوم كذا وكذا فانكر قعنب ذلك وتلاعنا وتداعيا ان يجعل الله ميتة الكاذب بيد الصادق فكذا شاء الله وجمع بحير بني عامر وسار بهم فاغار على بني العنبر بن عمرو بن تميم بأرض الكلبة وهم خلوف فاستاق السبي والنعم ولم يلق قتالا شديدا وأتى الصريخ بني العنبر بن عمرو بن تميم وبني مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وبني يربوع بن حنظلة فركبوا في الطلب فتقدمت عمرو بن تميم فلما رأى بحيرا في المروت قال يا بني عامر انظروا هل ترون شيأ قالوا نرى خيلا عارضة رماحها على كواهل خيلها قال هذه عمرو بن تميم وليست بشئ فلحق بهم بنو عمرو فقاتلوهم شيأ من قتال ثم صدروا عنهم ومضى بحير ثم قال يا بني عامر انظروا هل ترون شيأ قالوا نرى خيلا ناصبة رماحها قال هذه مالك بن حنظلة وليست بشئ فلحقوا فقاتلوا شيأ من قتال ثم صدروا عنهم ومضى بحير وقال يا بني عامر انظروا هل ترون شيأ قالوا نرى خيلا ليست معها رماح وكأنما عليها الصبيان قال هذه يربوع رماحها بير آذان خيلها اياكم والموت لزؤام فاصبروا ولا أرى أن تنجوا فكان أول من لحق من بني يربوع الواقمة وهو نعيم بن عتاب وكان يسمى الواقمة لبأسه فحمل على المثلم القشيري فاسره وحملت قشير على دوكس بن واقد بن حوط فقتلوه وأسر نعيم المصفى القشيري فقتله وحمل كدام بن بجيلة المازني على بحير فما نقه ولم يكن لنعنب همة الا بحير فمطر اليه والى كدام قد تعانقا فاقبل نحوهما فقال كدام يا قعنب اسيري فقال قعنب ماز رأسك والسيف بريديا مازني فخلى عنه كدام وشد عليه قعنب فضربه فقتله وحمل قعنب أيضا على صهبان وأم صهبان مازنية فاسره فقالت بنو مازن يا قعنب قتلت أسيرنا فاعطاها بن أخينا مكانه فدفع اليهم صهبان في بحير فرضوا بذلك واستنقذت بنو يربوع أموال بني العنبر وسبيهم من بني عامر وعادوا (بحير بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة)

﴿يوم فيف الريح﴾

وهو بين عامر بن صعصعة والحرث بن كعب وكان خبره ان بني عامر كانت تطلب بني الحرث بن كعب باوتار كثيرة فجمع لهم الحصين بن يزيد بن شداد بن قنان الحارثي وهو ذو الغصة واستعان بجمعفة زبيد وقبائل سعد العشيرة ومراد وصداء ونهد وخثعم وشهران وناهس ثم أقبلوا يريدون بني عامر وهم منتجعون مكانا يقال له فيف الريح ومع مذحج النساء والذراري حتى لا يفروا فاجتمعت بنو عامر فقال لهم عامر بن الطفيل أغيروا بنا على القوم فاني أرجو أن نأخذ غنائمهم ونسبي نساءهم ولا تدعوهم يدخلون عليكم فاجابوه الى ذلك وساروا اليهم فلما دنوا من بني الحرث ومذحج

الملوك ومنزلته في العالم منزلة الغلب من جسد الانسان والواسطة من القلادة ثم يتلوه ملك الهند وهو ملك الحكمة وملك العيلة لان عتد ملوك الاكاسرة أن الحكمة من الهند بدؤها ثم يتلوه في المرتبة ملك الصين وهو ملك الرعاية والسياسة واتقان الصنعة وليس في ملوك العالم أكثر رعاية وتفقدا من ملك الصين لرعيته من جنده وعوامه وهو ذو بأس شديد وقوة ومعه له الجنود المستعدة والكراع والسلاح ويرزق جنده كفعل ملوك بابل ثم يتلوه ملك الصين ملك من ملوك الترك صاحب مدينة كوسان وهو ملك الطغرغر من الترك ويدعى ملك السباع وملك الخيل اد ليس في ملوك العالم أشد بأسا من رجاله ولا أشد استئسادا منه على سفك الدماء ولا أكثر حبا لاسمه وممالكته فرز بين بلاد الصين وما وراء خراسان ويدعى بالاسم الاعم ابرجان وللترك ملوك كثيرة واجناس مختلفة ولا تنقاد الى ملكه الا أنه ليس فيها من يدانى ملكه ثم ملك الروم ويدعى ملك الرجال وليس في ملوك العالم أصبح وجوها من رجاله ثم ان ملوك العالم تتفاوت

ومن معهم أخبرتهم عيونهم وعادت اليهم مشايخهم فحذروا فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا ثلاثة أيام يعاودونهم القتال بعيف الريح فالتقى الصميل بن الاعور الكلابي وعمرو بن صبيح الهدى فطعنه عمرو فاعتنق الصميل فرسه وعاد فلقيه رجل من خثعم فقتله وأخذ درعه وفرسه وشهدت بنو نمير ومن معهم عامر بن الطفيل فابلوا بلاء حسنا وسموا ذلك اليوم جريحة الطعان لانهم اجتمعوا برماحهم فصاروا بمنزلة الحرجة وهي شجر مجتمع وسبب اجتماعهم ان بني عامر جالوا جولة الى موضع يقال له المرقوب والتفت عامر بن الطفيل فسأل عن بني عمير وجدهم قد تخلفوا في المعركة فرجع وهو يصيح باصباحاه ياعيراه ولا عير لي بعد اليوم حتى اقتحم فرسه وسط القوم فقويت بذلك همتهم وعادت بنو عامر وقد طعن عامر بن الطفيل ما بين ثغرة نحره الى سرته عشر بن طعنة وكان عامر في ذلك اليوم يتعهد الناس فيقول يا فلان ما رأيتك فعلت شيأ فش أبلي فليرني سيفك أو رمحك ومن لم يعمل شيأ تقدم وأبلى فكان كل من أبلى بلاء حسنا أتاه فاراه الدم على سنان رمحه أو سيفه وتاه رجل من الحارثيين اسمه مسهر فقال له يا أباعلي انظر ما صنعت بالقوم انظر الى رمحي فلما أقبل اليه عامر لينظر وحاه بالرمح في وجنته فسقطها وفقأ عينه وترك رمحه وعاد الى قومه وانما عاداه الى ذلك ما رآه يفعل بقومه فقال لهذا والله مبير قومي فقال عامر بن الطفيل

أتونا بشهران العريضة كلها * وأكلب طراني جياد السنور
لعمري وما عمري لي بهين * لتدشان حر الوجه طعنة مسهر
فبئس الفتى ان كنت أعور عاقرا * جبانا وما أغنى لدى كل محضر

وأسرت بنو عامر يومئذ سيد مراد جريحا فلما برأ من جراحته أطلق ومن أبلى يومئذ أربد بن قيس ابن جزء بن خالد بن جعفر وعبيد بن شريح بن الاحوص بن جعفر وقتل لبيد بن ربيعة ويقال انها لعامر بن الطفيل

أتونا بشهران العريضة كلها * وأكلها في مثل بكر بن وائل
فبتنا ومن ينزل به مثل ضيفنا * يبيت عن قرى أضيافه غير غافل
أعاذل لو كان البداد لقوبلوا * ولكن أتانا كل جن وخابل
وخثعم حتى يعدلون بمذحج * فهل نحن الا مثل احدى القبائل

وأسرع القتل في الفريقين جميعا ثم انهم افترقوا ولم يشتغل بعضهم عن بعض بغنيمة وكان الصبر فيها والشرف لبني عامر

﴿يوم الجحاميم ويعرف أيضا بقارات حوق﴾

وهو بين قبائل طيئ بعضها في بعض وكان سبب ذلك ان الحرث بن جبلة الغساني كان قد أصلح بين طيئ فلما هلك عادت الى حربها فالتقت جديلة والغوث بموضع يقال له غرثان فقتل قائد بني جديلة وهو أسيع بن عمرو من لأم عم أوس بن حالد بن حارثة بن لام واحد رجل من سنبس يقال له مصعب دنيه فخصف بهما نعليه وفي ذلك يقول أبو مروة السنبسي

نخصف بالآذان منكم نعالنا * ونشرب كرها منكم في الجماجم

وتناقل الحيان في ذلك اشعارا كثيرة وعظم ما صنعت الغوث على أوس بن خالد بن لام وعزم على لقاء الحرب بنفسه وكان لم يشهد الحروب المتقدمة هو ولا أحد من رؤساء طيئ كحاتم بن عبد الله وزيد الخيل وغيرهم من الرؤساء فلما تجهز أوس للحرب وأخذ في جمع جديلة ولفها قال أبو جابر

أقيموا علينا القصد يا آل طيئ * والا فان العلم عند التحاسب

مراتبهم ولا تتساوى وقد قال دوعاية أخبار العالم وملوكهم في شعر له يصف سلاطين مراتب ملوك العالم وشدة ملكهم وعساكرهم الدار دارا ابن بهمن وعمدان والملك ملكان ساسان وقحطان
والارض فارس والاقليم بابل ولا سلام مكة والدين خراسان
والجانبان الذي ذاحسنها منها بحاري وبلخ لشاهد آرن
والبيلقان وطبرستان مادرها
والصين سروانها والحيل حيلان
قدرتب الناس فيها في مراتبهم
هرزبان وبطريق وطرخان
للفرس كسرى وللروم القياصر
والحبش النجاشي والاتراك خاقان
وصاحب صقلية وافريقية من بلاد المغرب قبل ظهور الاسلام كان يدعى جرجير وصاحب الاندلس كان يدعى لزريق هذا كان اسم ملوك الاندلس وقد قيل انهم كانوا من الاسنان وهم أمة من ولد يافث بن نوح واتصلت هنالك والاشهر عند من سكن الاندلس من المسلمين أن

فمن مثلنا يوما اذا الحرب شمرت * ومن مثلنا يوما اذا الم نحاسب
فان تقطعيني أو تريدي مساءتي * فقد قطع الخوف المخوف ركابي

وبلغ الغوث جمع أوس لهما وأوقدت النار على مناع وهي ذروة اجا وذلك أول يوم توقد عليه النار فأقبلت قبائل الغوث كل قبيلة وعليها رئيسها منهم زيد الخيل وحاتم وأقبلت جديلة مجتمعة على أوس بن حارثة بن لأم وحالف أوس أن لا يرجع عن طيئ حتى ينزل معها جبليها أجا وسلمى وتجبي له أهلها وتزاحفوا والتقوا بقارات حوق على راياتهم فاقتتلوا قتالا شديدا ودارت الحرب على بني كباد بن جندب فأبيروا قال عدي بن حاتم اني لواقف يوم الصامم والناس يقتتلون اذ نظرت الى زيد الخيل قد حضر ابنيه مكتنفاه وحريثا في شعب لا ينفذله وهو يقول أي ابني أبقيا على قومكما فان اليوم يوم التفاني فان يكن هؤلاء اعمامكما فهؤلاء أخوال فقلت كأنك قد كرهت قتال أخوالك قال فاحمرت عيناه غضبا وتطاول الى حتى نظرت الى ما تحته من سرجه فخفته فضربت فرسي وتنحيت عنه واشتغل بنظره الى عن ابنيه فخرجا كالصقرين وحمل قيس بن عازب على بحير ابن زيد الخيل بن حارثة بن لأم فضربه على رأسه ضربة عنق لها بحير فرسه وولى فانهزمت جديلة عند ذلك وقتل فيها قتلا ذريعا فقال زيد الخيل

تجيء بني لأم حياد كأنها * عصائب طير يوم طل وحاصب
فان تنج منها لا يزل بك شامة * اناء حيا بين الشجا والترائب
وفر ابن لأم واتقانا بظهره * يردعه بالرمح قيس بن عازب
وجاءت بنو صعصعة كأن سيوفهم * مصابيح من سعف فليس بآيب
وما فرحتي أسلم ابن حمارس * لوقعة مصقول من البيض قاضب

فلم تبق لجديلة بقية للحرب بعد يوم الصامم فدخلوا بلاد كلب فحالفوهم وأقاموا معهم

﴿يوم ذي طلوح﴾

وهو يوم الصمد ويوم أود أيضا وهو بين بكر وتميم وكان من حديثه ان عميرة بن طارق بن ارقم اليربوعي التميمي تزوج مرية بنت جابر البجلي أخت أبجر وسار الى بجل ليبتني بأهله وكان له في بني تميم امرأة أخرى تعرف بابنة النطف من بني تميم فأتى أبجر أخته يزورها وزوجها عندها فقال لها أبجر اني لأرجو أن آتيك بابنة النطف امرأة عميرة فقال له ما أرالك تبقى على حتى تسلبني أهلي فندم أبجر وقال له ما كنت لأغزو قومك ولكنني متأسر في هذا الحي من تميم وجمع أبجر والحوفزان بن شريك الشيباني الحوفزان على شيبان وأبجر على اللهازم ووكلا بعميرة من يحرسه لئلا يأتي قومه فينذرهم فسار الجيش فاحتال عميرة على الموكل بحفظه وهرب منه وجد السير الى ان وصل الى بني يربوع فقال لهم قد غزاكم الجيش من بكر بن وائل فأعلموا بني ثعلبة بطنا منهم وأرسلوا طليعة منهم فمكثوا ثلاثة أيام ووصلت بكر فركبت يربوع والتقوا بذي طلوح فركب عميرة ولقي أبجر فعرفه نفسه والتقى القوم واقتتلوا فكان الظفر ليربوع وانهزمت بكر وأسر الحوفزان وابنه شريك وابن عمة الشاعر وكان مع بني شيبان فافتكه منهم بن نوبرة وأسر أكثر الجيش البكري وقال ابن عمة يشكر متمما

جزى الله رب الناس عني متمما * بخير الجزاء ما أعف وأجودا
أجيرت به ابناؤنا ودماؤنا * وشاركك في اطلاقنا وتفردا
أبا نهشل اني لكم غير كافر * ولا جاعل من دونك المال سرمدا

لزريق كان من مماليك الاندلس الجلالقة وهم نوع من الافرنجة وأخو لزريق الذي كان بالاندلس قتله طارق مولى موسى ابن نصير حين افتتح بلاد الاندلس ودخل الى مدينة طليطلة وكانت قصبة الاندلس ودار مملكتهم ويشقها نهر عظيم يدعى ناحسة يخرج من بلاد الجلالقة والوسكيد وهي أمة عظيمة لهم مماليك وهم حرب لاهل الاندلس كالجلالقة والافرنجة ويصب هذا النهر في البحر الرومي وهو موصوف بأنه من أنهار العالم وعليه على بعد من طليطلة قنطرة عظيمة تدعى قنطرة السيف بناها الملوك السالفة وهي من البنيان المذكور الموصوف أعجب من قنطرة سمجة من الثغر الجزري مما يلي سميساط من بلاد سرحه ومدينة طليطلة ذات منعة وعليها اسوار منيعة وأهلها بعد أن فتحت وصارت لبني أمية قد كانوا عصوا على الامويين فأقامت مدة سنين ممتنعة لا سبيل للامويين اليها فلما كان بعد الخمس عشرة والثلثمائة فتحها عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن هشام بن عبد الرحمن بن

معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم وعبد الرحمن هذا هو صاحب الاندلس في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثمانية وقد كان غير كثير امر بيان هذه المدينة حين افتتحها وصارت دار مملكة الاندلس قرطبه الى هذا الوقت ومن قرطبة الى مدينة طليطلة نحو من سبع مراحل ومن قرطبة الى البحر مسيرة نحو من ثلاثة أيام ولهم على بحر تونس من الساحل مدينة يقال لها اشبيلية وبلاد الاندلس مسيرة عمرها ومدنها نحو من شهر بن ولهم من المدن الموصوفة نحو من أربعين مدينة وتدعى بنو أمية الخلائف ولا يحاطبون بالخلافة لان الخلافة لا يستحقها عندهم الا من كان مالكا للحرمين غير أنه يحاطب بأمير المؤمنين وقد كان عبد الرحمن بن معاوية أو هشام بن عبد الملك بن مروان سار الى الاندلس في سنة تسع وثلاثين ومائة فملكها ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر ثم هلك فملكها ابنه هشام بن عبد الرحمن سبع سنين ثم ملكها ابنه الحكم بن هشام نحو ا من عشرين سنة وولده ولاتها الى اليوم

﴿يوم أقرن﴾

قال أبو عبيدة غزا عمرو بن عمرو بن عدس التميمي بني عبس فاخذ ابلهم واستاق سبيهم وعاد حتى اذا كان أسفل ثنية أقرن نزل وابتنى بجارية من السبي ولحقه الطلب فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل أنس الفوارس بن زياد العبسي عمرا وابنه حنظلة واستردوا الغنيمة والسبي فمضى جرير على بني دارم ذلك فقال آتنسون عمرا يوم برقة أقرن * وحنظلة المقتول اذ هو يافع

وكان عمرو أسلع أبرص وكان هو ومن معه قد أخطوا ثنية الطريق في عودهم وسلكوا غير الطريق فسقطوا من الجبل الذي سلكوه فلقوا شدة في ذلك يقول عنتره

كأن السرايا يوم نيق وصارة * عصائب طير ينتحين لمشرب
شفى النفس مني أودنا لشعاعها * تهورهم من حالق متصوب
وقد كنت أخشى أن أموت ولم تقم * مراتب عمرو وسط نوح مسلب

وكانت أم سماعة بن عمرو بن عمرو من عبس فراره حاله فقتله بابيه فقال في ذلك مسكين الدارمي

وقاتل خاله بابيه منا * سماعة لم يبع نسبا بخال

﴿يوم السلان﴾

قال أبو عبيدة كان بنو عامر بن صعصعة خمسا والخمس قريش ومن له فيهم ولادة والخمس متشددون في دينهم وكانت عامر أيضا قد اقاموا لا يدينون للملوك فلما ملك النعمان بن المنذر ملكه كسرى ابرويز وكان يجهز كل عام لطيمة وهي التجارة لتباع بعكاظ عرضت بنو عامر لبعض ما جهزه فاخذوه فغضب لذلك النعمان وبعث الى أخيه لامه وهو بره بن رومانس الكلبي وبعث الى صنائعه ووضائعه والصنائع من كان يصطنعه من العرب ليغزيه والوضائع هم الذين كانوا شبه المشايخ وأرسل الى بني صبة بن أد وغيرهم من الرباب وتميم فجمعهم فجاءوه فاتاه ضرار ابن عمرو الضبي في تسعة من بنيه كلهم فوارس ومعه حبيش بن دلف وكان فارسا شجاعا فاجتمعوا في جيش عظيم فجهز النعمان معهم عيرا وأمرهم بتسييرها وقال لهم اذا فرغتم من عكاظ وانسلخت الحرم ورجع كل قوم الى بلادهم فاقصدوا بني عامر فانهم قريب بنواحي السلان فحرجوا وكتموا أمرهم وقالوا خرجنا لنلا يعرض أحد للطيمة الملك فلما فرغ الناس من عكاظ علمت قريش بحالهم فارسل عبد الله بن جدعان فاصدا الى بني عامر يعلمهم الخبر فسار اليهم وأخبرهم خبرهم فحذروا وتهيؤا للحرب وتحرزوا ووضعوا العيون وعاد عامر عليهم عامر بن مالك ملاعب الاسنة وأقبل الجيش فالتقوا بالسلان فاقتتلوا قتالا شديدا فبيناهم يقتتلون اذ نظر يزيد بن عمرو بن خويلد الصعق الى وبرة بن رومانس أخي النعمان فاعجبه هيئته فحمل عليه فاسره فلما صار في أيديهم هم الجيش بالهزيمة فنهاهم ضرار بن عمرو الضبي وقام بامر الناس فقاتل هو وبنوه قتالا شديدا فلما رآه أبو براء عامر بن مالك ما يصنع ببني عامر هو وبنوه حمل عليه وكان أبو براء رجلا شديد الساعد فلما حمل على ضرار اقتتلا فسقط ضرار الى الارض وقاتل عليه بنوه حتى خلصوه وركب وكان شيخا فلما ركب قال من سره بنوه ساءته نفسه فذهبت مثلا يعني من سره بنوه اذا صاروا رجالا كبر وضعف فساءه ذلك وجعل أبو براء يلح على ضرار طمعا في فدائه وجعل بنوه يحمونه فلما رأى ذلك أبو براء قال له لتموتن أولا موتن دونك فاحلني على رجل له فداء فاومأ ضرار الى حبيش بن دلف وكان سيدا فحمل عليه أبو براء فاسره وكان حبيش أسود نحيفا دميما فلما رآه كذلك ظنه عبدا وان ضرارا خدعه فقال انا لله أعز زسائر القوم ألا في الشوم وقعت

فلما سمعها حبيش منه خاف أن يقتله فقال أيها الرجل ان كنت تريد اللبن يعني الابل فقد أصبته فافتدى نفسه بار بعمائة بعير وهرم حيش النعمان فلما رجع الفل اليه أخبروه باسر أخيه وبقيام ضرار بامر الناس وما جرى له مع أبي براء واقتدى وبرة بن رومان نفسه بالف بعير وفرس من يزيد بن الصعق فاستغنى يزيد وكان قبله خفيف الحال وقال لبيد يذكر أيام قومه

انى امرؤ منعت أرومة عامر * ضيمى وقد حنقت على خصوم

يقول فيها وغداة قاع القريتين أتاهم * رهوا يلوح خلالها التسويم

بكتائب رج تعود بسبها * نطح الكباش كانهن نجوم

قوله قاع القريتين يعني يوم السلان (حبيش بن دلف بضم الحاء المهملة وبالباء الموحدة وبالياء المثناة من تحتها نقطتان وآخره شين معجمة)

﴿يوم ذى علق﴾

وهو يوم التقى فيه بنو عامر بن صعصعة وبنو أسد بذى علق فاقتتلوا قتالا عظيما قتل فى المعركة ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامرى أبو لبيد الشاعر وانهزمت عامر فتبعهم خالد بن نضلة الاسدى وابنه حبيب والحرث بن خالد بن المضلل وأمعنوا فى الطلب فلم يشعروا الا وقد خرج عليهم أبو براء عامر بن مالك من وراء ظهورهم فى نفر من أصحابه فقال لخالد يا أبا معقل ان شئت أجرتنا وأجرناك حتى نحمل جرحانا وندفن قتلانا قال قد فعلت فتواقفوا فقال له أبو براء هل علمت ما فعل ربيعة قال نعم تركته قتيلا قال ومن قتله قال ضربته أنا وأجهز عليه صامت بن الاقم فلما سمع أبو براء بقتل ربيعة حمل على خالد هو ومن معه فانهزم خالد وصاحباه وأخذوا سلاح حبيب بن خالد ولحقهم بنو أسد فمنعوا أصحابهم وحموهم فقال الحجج

سائل معدا عن الفوارس لا * أوفوا بجيرانهم ولا سلموا

يسعى بهم قرزل ويستمع الـ * ـناس اليهم وتخفق اللمم

ركضا وقد غادروا ربيعة فى الآ * ثار لما تقارب النسم

فى صدره صعدة ونخلته * بالرمح حران باسلا أضم

قرزل فرس الطفيل والد عامر بن الطفيل وقال لبيد من قصيدة يذكر أباه

ولا من ربيعة المقترين وريته * بذى علق فاقى حياءك واصبرى

﴿يوم الرقم﴾

قال أبو عبيدة غزت عامر بن صعصعة غطفان ومع بنى عامر يومئذ عامر بن الطفيل شابا لم يراس بعد فبلغوا وادى الرقم وبه بنو مرة بن عوف بن سعد ومعهم قوم من أشجع بن ذئب بن غطفان وناس من فزارة بن ذبيان فنذروا ببنى عامر وهجمت عليهم بنو عامر بالرقم وهو واد بقرب تضرع فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فاقبل عامر بن الطفيل فرأى امرأة من فزارة فسألها فقالت أنا أسماء بنت نوفل الفزارى وقيل كانت أسماء بنت حصن بن حذيفة فبينا عامر يسألها خرج عليه المنهزمون من قومه وبنو مرة فى أعقابهم فلما رأى ذلك عامر ألقى درعه الى أسماء وولى منهزما فأدتها اليه بعد ذلك وتبعتهم مرة وعليهم سنان بن حارثة بن أبى حارثة المرى وجعل الاشجعيون يذبحون كل من أسروه من بنى عامر لوقعة كانت أوقعتها بهم بنو عامر فذلك البطن من بنى أشجع يسمون بنى مذبح فذبحوا سبعين رجلا منهم فقال عامر بن الطفيل يذكر غطفان ويعرض باسماء قد ساءلت أسماء وهى خفية * لضحائها أطردت أم لم أطرد

على ما ذكرنا أن صاحبها عبد الرحمن بن محمد وولى عبد الرحمن فى هذا الوقت فتاه الحكم وكان أحسن الناس سيرة وأجلهم عدلا وقد كان عبد الرحمن صاحب الاندلس فى هذا الوقت المقدم ذكره غزا سنة سبع وعشرين وثلثمائة فى أزيد من مائة ألف فارس من الناس فنزل على دار مملكة الجلالقة وهى مدينة يقال لها سمورة عليها سبعة أسوار من عجيب البنيان قد أحكمتها الملوك السالفة بين الأسوار فصلان وخنادق وضياه واسعة فافتتح منها سورين ثم ان أهلها ثاروا على المسلمين فقتلوا منهم ممن أدرك الاحصاء وممن عرف أربعين ألفا وقيل خمسين ألفا وكانت للجلالقة والوسكيد على المسلمين وآخر ما كان بأيدى المسلمين من مدن الاندلس وثغورها مما يلى الافرنجة مدينة أربونة خرجت عن أيدى المسلمين من مدائن الاندلس وثغورها سنة ثلاثين وثلثمائة مع غيرها مما كان فى أيديهم من المدن والحصون وبقى ثغر المسلمين فى هذا الوقت وهو سنة ست وثلاثين وثلثمائة من شرقى الاندلس طرطوشة وعلى ساحل

ولا يغبنكم القنا وعوارضا * ولا قبلن الخيل لابة ضرغد
ولا ترزءن عالك وعالك * واخى المرورات الذى لم يسند

فى أبيات عدة فلما بلغ شعره غطفان هجاه منهم جماعة وكان نابغة بن ذبيان حينئذ غائبا عند ملوك غسان قد هرب من النعمان فلما آمنه النعمان وعاد سأل قومه عما هجوا به عامر بن الطفيل فانشدوه ما قالوا فيه وما قال فيهم فقال لقد أفحشتم وليس مثل عامر يهجى بمثل هذا ثم قال يخطئ عامرا فى ذكره امرأة من عقائلهم

فان يك عامر قد قال جهلا * فان مطية الجهل الشباب
فانك سوف تحلم أو تناهى * اذا ما شبت أو شاب الغراب
فكن كأبيك أو كأبى براء * توافقك الحكومة والصواب
ولا تذهب بحلمك طامثات * من الحيلاء ليس لهن باب

الى آخرها فلما سمعها عامر قال ما هجيت قبلها

﴿يوم ساحوق﴾

قال أبو عبيدة غزت سودان بنى عامر وهم ساحوق وعلى ديبان سنان بن أبى حارثة المرى وقد حشروهم وأعطاهم الحيل والابل وزودهم فاصابوا نعما كثيرة وعادوا فلحقتهم بنو عامر واقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزمت بنو عامر وأصيب منهم رجال وركبوا الفلاة فهلك أكثرهم عطشا وكان الحر شديدا وجعلت ديبان تدرك الرجل منهم فيقولون له قف ولك نصفك وضع سلاحك فيفعل وكان يوما عظيما على عامر وانهزم عامر بن الطفيل وأخوه الحكم ثم ان الحكم ضعف وخاف ان يؤسر فجعل فى عنقه حبلا وصعد الى شجرة وسدده ولدى نفسه فاختنق وفعل مثله رجل من بنى نمى فلما ألقى نفسه بدم فاضطرب فأدركوه وخلصوه وعيروه بجزعه وقال عروة بن الورد العبسى فى ذلك

وبحن صبحنا عامرا فى ديارها * علالة ارماح وصرباء مذكرا
بكل رقاق الشفرتين مهند * ولدن من الخطى قد طرا سمرا
نجبت لهم اذ يخنقون نفوسهم * ومقتلهم اذ يلتقى كان اعذرا

﴿يوم أعيار ويوم النقيعة﴾

كان المثلم بن المشجر العائدى ثم الصبى مجاورا لبنى عبس فتقامر هو وعمارة بن زياد وهو أحد الكملة فقمره عماره حتى اجتمع عليه عشرة أبكر فطلب منه المثلم ان يخلى عنه حتى يأتى أهله ويرسل اليه بالذى له وأبى ذلك فرهنه ابنه شرحاف بن المثلم وخرج المثلم فى قومه فأخذ الكارة فاتى بها عمارة وافتك ابنه فلما انطلق بابنه قال له فى الطريق يا أسماء من معضال قال ذلك رجل من بنى عمك ذهب فلم يوجد الى الساعة قال شرحاف فانى قد عرفت قاتله قال أنوه ومن هو قال عمارة بن زياد سمعته يقول للقوم يوما وقد اخذ فيه الشراب انه قتله ولم يلق له طالبا ولبثوا بعد ذلك حينا وشب شرحاف ثم ان عماره جمع جمعا عظيما من عبس وأغار بهم على بنى ضبة فاخذوا ابلهم وركبت بنو ضبة فادركوهم فى المرعى فلما نظر شرحاف الى عمارة قال يا عمارة اتعرفنى قال من انت قال انا شرحاف أدالى ابن عمى معضالا لامثله يوم قتلته وحمل عليه فقتله واقتتلت ضبة وعبس قتالا شديدا واستنقذت ضبة الابل وقال شرحاف

الا أبلغ سراة بنى بغيض * بما لاقت سراة بنى زياد

وما

بحر الروم ما بين سرطوشه آخذا فى الشمال أفرانه على نهر عطيه فلازرده ثم يلقى عن هذه النهور أنها تلاقى الا فريحه وهى أضيق مواضع الاندلس وقد ذكر قبل الثلاثمائة ورد الى الاندلس مراكب فى البحر منها ألوف من الناس أغارت على سواحلهم زعم أهل الاندلس أنهم ناس من المجوس تطرأ اليهم فى هذا البحر فى كل مائتين من السنين وأن وصولهم الى بلادهم من حلج يعترض من بحر أوقيانوس وليس بالحليج الذى عليه المارة للناس وأرى والله أعلم أن هذا الحليج متصل بحر مايطش ومايطش وان هذه الامة هم الروس الذين قدمنا ذكرهم فيما سلف من هذا الكتاب اذ كان لا يقطع هذه البحار المتصلة ببحر أوقيانوس غيرهم وقد أصيب فى البحر الرومى فيما بين جزيرة أقريطش الواح المراكب الساج المقفة المخيطة بليف النارجيل من مراكب قد عطبت تقاذفت بها الامواج فى مياه البحار وهذا لا يكون الا فى البحر الحبشى لان مراكب البحر الرومى والغربى كلها بالمسامير ومراكب الحبش لا يثبت فيها الحديد لان ماء

ومالاقت جذيمة اذ تحامى * ومالاقى الفوارس من بجاد
تركنا بالنقيعة آل عبس * شعاعا يقتلون بكل واد
وما ان فاتنا الاثمريد * ثؤم القفر فى تيه البلاد
فسل عنا عمارة آل عبس * وسل وردا وما كل بداد
تركتهم بوادى البطن رهنا * لسيدان القرارة والجلاد

﴿يوم النباء﴾

قال أبو عبيدة خرجت بنو عامر تريد غطفان لتدرك بثارها يوم الرقم ويوم ساحوق فصادفت بنى عبس وليس معهم أحد من غطفان وكانت عبس لم تشهد يوم الرقم ولا يوم ساحوق مع غطفان ولم يعينوهم على بنى عامر وقيل بل شهدها اشجع وفزارة وغيرهما من بنى غطفان على ما ذكره قال وأغارت بنو عامر على نعم بنى عبس وديباج وأشجع فأخذوها وعادوا متوجهين الى بلادهم فساروا فى الطريق فسلكوا وادى النباة فامتنعوا فيه ولا طريق لهم ولا مطلع حتى قاربوا آخره وكاد الجبلان يلتقيان اذا هم بامرأة من بنى عبس تحبط الشجر لهم فى قلة الجبل فسألوها عن المطلع فقالت لهم الفوارس المطلع وكانت قد رأت الخيل قد أقبلت وهى على الجبل ولم يرها بنو عامر لانهم فى الوادى فارسلوا رجلا الى قلة الجبل ينظر فقال لهم أرى قوما كانهم الصبيان على متون الخيل أسنة رماحهم عند آذان خيلهم قالوا تلك فزارة قال وأرى قوما بيضا جعادا كأن عليهم ثيابا حمرا قالوا تلك أشجع قال وأرى قوما نسورا قد قلعوا خيولهم بيدادهم كأنما يحملونها حملا باخفاذهم آخذين بعوامل رماحهم يجرونها قالوا تلك عبس آتاكم الموت الزؤام ولحقهم الطلب بالوادى فكان عامر بن الطفيل أول من سبق على فرسه الورد فغات القوم وأعيا فرسه الورد رهو المربوق أيضا فعقره لئلا تفعله فزارة واقتتل الناس ودام القتال بينهم وانهزمت عامر فقتل منهم مقتلة كبيرة قتل فيها من أشرافهم البراء بن عامر بن مالك وبه يكنى أبو براء وقتل نهشل وأنس وهرار بنو مرة بن أنس بن خالد بن جعفر وقتلوا عبد الله بن الطفيل أخا عامر قتله الربيع بن زياد العبسى وغيرهم كثير وتمت الهزيمة على بنى عامر

﴿يوم الفرات﴾

قال أبو عبيدة أغار المثنى بن حارثة الشيبانى وهو ابن أخت عمران بن مرة على بنى تغلب وهم عند الفرات وذلك قبيل الاسلام فظفر بهم فقتل من أخذ من مقاتلهم وغرق منهم ناس كثير فى الفرات وأخذ أموالهم وقسمها بين أصحابه فقال شاعرهم فى ذلك

ومنا الذى غشى الدليكة سيفه * على حين ان أعيا الفرات كنائبه
ومنا الذى شد الركى ليستقى * ويسقى محضا غير ضاف جوانبه
ومنا غريب الشام لم ير مثله * أفك لعمان قد تمامى أقاربه

الدليكة فرس المثنى بن حارثة والذى شد الركى مرة من همام وغريب الشام ابن القلوص بن النعمان بن ثعلبة

﴿يوم بارق﴾

قال المفضل الضبى ان بنى تغلب والنمر بن قاسط وناسا من تميم افتتلوا حتى نزلوا ناحية بارق وهى من أرض السواد وأرسلوا وفد امتهم الى بكر بن وائل يطلبون اليهم الصلح فاجتمعت شيبان ومن معهم وأرادوا قصد تغلب ومن معهم فقال زيد بن شريك الشيبانى انى قد أجرت اخوالى وهم النمر

البحر يذيب الحديد فتدق المسامير فى الالواح وتضعف فتأخذ أهلها الخياطة بالليف بدلا منها وطلى بالشحوم والنورة فهذا يدل والله أعلم على اتصال البحار وان البحر مما يلى الصين وبلاد السلى يدور على بلاد الترك ويفضى الى بحار المغرب من بعض خلجان أو قيانوس المحيط وقد كان وجد بساحل بلاد الشام عنبر قذف به البحر وهذا من المستكر فى البحر الرومى الذى لم يعهد فيه فى قديم الزمان مثل ذلك ويمكن ان يكون سيل وقوع العنبر الى هذا البحر سيل ما ذكرناه من ألواح مراكب البحر الصينى والله أعلم بكيفية ذلك وعلمه والبحر المغرب وما قرب منه من عمائر السودان وأقاصى أرض المغرب أخبار عجيبة وقد ذكر ذو والعناية بأخبار العالم أن أرض الحبشة وسائر السودان كلها مسيرة سبع سنين وان أرض مصر جزء واحد من ستين جزأ من أرض السودان وأن أرض السودان جزء واحد من الارض كلها وان الارض كلها مسيرة خمسمائة سنة بلث عمران مسكون مأهول وثلث براري غير مسكون

وثلث بحار وتتصل أقاصي السودان الغربية بآخر بلاد ولد ادريس بن ادريس ابن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام من أرض المغرب وهي بلاد تنيس وهرت وبلاد فاس ثم السوس الادنى وبينه وبين بلاد القيروان نحو ألفي ميل وثلثمائة ميل وبين السوس الادنى ولمراس الاقصى من المسافة نحو من عشرين يوما عامرة متصلة الى ان تتصل بوادي الرمل والقصر الاسود ثم يتصل ذلك بفاوز الرمل التي فيها المدينة المعروفة بمدينة الحجاس وقباب الرصاص التي سار اليها موسى بن نصير في أيام عبد الملك بن مروان ورأى فيها ما رأى من العجائب وقد ذكر ذلك في كتاب يتداوله الناس وقد قيل ان ذلك في مفاوز تتصل ببلاد الاندلس وهي الارض الكبيرة وقد كان ميمون ابن عبد الرحمن بن رستم الفارسي وهو أباضي المذهب وهو الذي أنشأ في ذلك البلد مذهب الخوارج وقد قيل انهم من بقايا الاسنان عمر تلك الديار وكانت له حروب مع الطالبيين وقد ذكرنا فيما يرد من هذا الكتاب تنازع الناس

ان قاسط فأمضوا جواره وسار واوأوقعوا ببني تغلب وتميم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة لم تصب تغلب بمثلها وانتسموا الاسرى والاموال وكان من أعظم الايام عليهم قتل الرجال ونهب الاموال وسبي الحريم فقال أبو كلبة الشيباني

وليلة سعادى لم تدع سندا * لتغلبي ولا انفا ولا حسبا
والنمريون لولا السر من ولدوا * من آل هرة شاع الحي منتهبا

﴿يوم طخفة﴾

وهو لبني يربوع على عساكر النعمان بن المنذر قال أبو عبيدة وكان سبب هذه الحرب ان الردافة وهي بمنزلة الوزارة وكان الرديف يجلس عن يمين الملك كانت لبني يربوع من تميم يتوارثونها صغيرا عن كبير فلما كان أيام النعمان وقيل أيام ابنه المنذر سألها حاجب بن زرارة الدارمي التميمي النعمان ان يجعلها للحرث بن بيبة بن فرط بن سفيان بن مجاشع الدارمي التميمي فقال النعمان لبني يربوع في هذا وطلب منهم أن يجيبوا الى ذلك فامتنعوا وكان منزلهم أسفل طخفة بحيث امتنعوا من ذلك بعث اليهم النعمان قابوس ابنه وحسانا اخاه ابني المنذر قابوس على الناس وحسان على المقدمة وضم اليهما جيشا كثيفا منهم الصنائع والوضائع وناس من تميم وغيرهم فساروا حتى أتوا طخفة فالتقوا هم وبربوع وافتتلوا وصبرت بربوع وانهزم قابوس ومن معه وضرب طارق أبو عميرة فرس قابوس فعقره وأسره وأراد ان يحز ناصيته فقال ان الملوك لا تجز نواصيها فأرسله وأما حسان فأسره بشر بن عمرو بن حوين فمن عليه وأرسله فعاد المهرمون الى النعمان وكان شهاب بن قيس بن كياس اليربوعي عند الملك فقال له يا شهاب أدرك ابني وأخي فان أدركتهما حيين فلبني يربوع حكمهم وأرد عليهم ردافتهم واترك لهم من قتلوا وما غنموا وأعطيهم التي بعير فسار شهاب فوجدهما حيين فاطفأهما وفي الملك لبني يربوع بما قال ولم يعرض لهم في ردافتهم وقال مالك بن نويرة

ونحن عقرنا مهر قابوس بعدما * رأى القوم منه الموت والخيل تلجب
عليه دلاص ذات نسج وسبيئة * جرار من الهندي أبيض مقضب
طلبناها انا مدارك نيلها * اذا طلب الشأو البعيد المغرب

﴿يوم النباج وثيتل﴾

قال أبو عبيدة غزا قيس بن عاصم المنقري ثم التميمي مقاعس وهم بطون من تميم وهم صريم وربيع وعبيد بنو الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد وغزا معه سلامة بن ظرب الحماني بني الحارث وهم بطون من تميم أيضا وهم حمان وربيعة ومالك والاعرج بنو كعب بن سعد فغزوا بكر بن وائل فوجدوا اللهازم وهم بنو قيس وتيم اللات ابناء ثعلبة بن عكاشة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ومعهم بنو ذهل بن ثعلبة وعجل بن لجيم وعنزة بن أسد بن ربيعة بالنباج وثيتل وبينهما روحة فاغار قيس على النباج ومضى سلامة الى ثيتل ليغير على من بها فلما بلغ قيس الى النباج سقى خيله ثم أراق ما معهم من الماء وقال لمن معه قاتلوا فالموت بين أيديكم والفلاة من ورائكم فاغار على من به من بكر صباحا فقاتلوهم قتالا شديدا وانهزمت بكر وأصيب من غنائمهم ما لا يحد كثرة فلما فرغ قيس من النهب عاد مسرعا الى سلامة ومن معه نحو ثيتل فادركهم ولم يغر سلامة على من به فاغار عليهم قيس أيضا فقاتلوه وانهزموا وأصاب من الغنائم نحوا مما أصاب بالنباج وجاء سلامة فقال أغرتم على من كان لي فتنازعوا حتى كاد الشر يقع بينهم ثم اتفقوا على تسليم الغنائم اليه ففي ذلك يقول ربيعة بن طريف

فلا يبعدنك الله قيس بن عاصم * فانت لنا عز عزيز ومعقل
وأنت الذى حوبت بكر بن وائل * وقد عضلت بها النباج وثيتل

وقال قرة بن زيد بن عاصم

أنا ابن الذى شق المرار وقد رأى * بثيتل احياء الهازم حضرا
فصبحهم بالجيش قيس بن عاصم * فلم يجدوا الا الاسنة مصدرا
سقاهم بها الذيفان قيس بن عاصم * وكان اذا ما أورد الامر اصدرا
على الجرد يعلكن الشكيم عوابسا * اذا الماء من اعطافهن تحدرا
وما لم يرها الراؤن الا خاضة * تثرن عجاجا كالدواخن اكدرا
وحمران أدته الينا رماحنا * فنازع غلا فى ذراعيه أسمرا

ثيتل بالثاء المثلثة المفتوحة والياء المسكنة المثناة من تحتها والتاء المثناة من فوقها

﴿يوم فلج﴾

قال أبو عبيدة هذا يوم لبكر بن وائل على تميم وسببه ان جمعا من بكر سار وا الى الصعاب فشنوا بها فلما انقضى الربيع انصرفوا مروا بلدو فلقوا ناسا من بنى تميم من بنى عمرو وحنظلة فاغاروا على نعم كثير لهم ومضوا وأبى بنى عمرو وحنظلة الصريخ فاستجاشوا لقومهم فاقبلوا فى آثار بكر بن وائل فسار وا يومين وليلتين حتى جهدهم السير والحدر وافى بطن فلج وكانوا قد خلفوا رجلين على فرسين سابقين ربيئة ليخبراهم بخبرهم ان سار وا اليهم فلما وصلت تميم الى الرجلين أجريا فرسيهما وسار المجدين فانذرا قومهما فاتاهم الصريخ بمسير تميم عند وصولهم الى فلج فضرب حنظلة بن يسار العجلى فبته ورحل فنزل الناس معه وتهيؤا للقتال معه ولحقت بنو تميم فقاتلتهم بكر بن وائل قتالا شديدا وحمل عرفجة بن بجير العجلى على خالد بن مالك بن سلمة التميمى فطعنه وأخذه أسيرا وقتل فى المعركة ربعى بن مالك بن سلمة فانهزمت تميم و بلغت بكر بن وائل منها ما أرادت ثم ان عرفجة اطلق خالد بن مالك وجز ناصيته فقال خالد

وجدنا الرقد رقد بنى لجيم * اذا ما قلت الا رفاد رادا
هم ضربوا القباب ببطن فلج * وذادوا عن محارمهم ذيادا
وهم منوا علىّ واطلقونى * وقد طاوعت فى الجنب القيادا
أليسوا خير من ركب المطايا * واعظمهم اذا اجتمعوا رمادا
أليس هو عماد الحى بكرا * اذا نزلت مجلة شدادا

وقال قيس بن عاصم يعير خالدا

لو كنت حرا ابن سلمى بن جندل * نهضت ولم تقصد لسلمى بن جندل
فما بال أصداء بعلج غريبة * تنادى مع الاطلال يالابن حنظل
صوادى لا مولى عزيز يجيبها * ولا اسرة تسقى صداها بمنهل
وغادرت ربعيا بفلج ملحبا * وأقبلت فى اولى الرعيل المجلل
تؤامل من خوف الردى لا وقيته * كما نالت الكدراء من حين اجدل

بعيره حيث لم يأخذ بثار أخيه ربعى ومن قتل معه يوم فلج ويقول ان أصداءهم تنادى ولا يسقيها أحد على مذهب الجاهلية ولولا التطويل لذكرناه أبين من هذا

﴿يوم الشيطين﴾

فى الاسنان ومن قال انهم من الفرس نازلة من بلاد أصبهان وفى هذا الصقع من بلاد المغرب خلق من الصفرية الخوارج لهم مدن معدودة مثل مدينة بدعية وفيها معدن كبير من الفضة وهو مما يلى الجنوب ويتصل ببلاد الحبشة والحرب بينهم سجال وقد ذكرنا فى كتابنا أخبار الزمان خبر المغرب ومدنه ومن سكنها من الخوارج الاباضية والصفرية ومن سكن المغرب من المعتزلة وما بينهم وبين الخوارج من الحروب وذكرنا خبر الاغلب التميمى وتولية المنصور له على المغرب ومقامه ببلاد افريقية وغيرها من أرض المغرب وما كان من أمره فى أيام الرشيد وتداول ولده بلاد افريقية وغيرها الى أن انتهى الامر الى أبى منصور زيادة الله ابن عبد الله بن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الاغلب ابن ابراهيم بن محمد بن الاغلب ابن سالم بن سوادة فاخرجه عنها أبو عبد الله المحتسب الصوفى الداعية لصاحب المهدية حين ظهر من كتامة وغيرها من أجيال البربر وذلك فى سنة سبع وتسعين ومائتين فى أيام المقتدر ومسيره الى الرقة

قال أبو عبيدة كان الشيطان لبكر بن وائل فلما ظهر الاسلام في نجد سارت بكر قبل السواد ويقي مقاييس بن عمرو العائذي بن عائذة من قريش حليف بني شيبان بالشيطين فلما أقامت بكر في السواد لحقهم الوباء والطاعون الذي كان أيام كسرى شيرويه فعادوا هاربين فنزلوا لعلع وهي مجدبة وقد أخصب الشيطان فسارت تميم تنزلوا بها وبلغت اخبار خصب الشيطين الى بكر فاجتمعوا وقالوا نغير على تميم فان في دين ابن عبد المطلب يعنون النبي ان من قتل نفسا قتل بها فنغير هذه العمارة ثم نسلم عليها فارتحلوا من لعلع بالذراري والاموال ورئيسهم بشر بن مسعود بن قيس ابن خالد فأتوا الشيطين في أربع ليال والذي بينهما مسيرة ثمان ليال فسبقوا كل خبر حتى صبحوهم وهم لا يشعرون فقاتلوهم قتالا شديدا واعبرت تميم ثم انهزمت فقال رشيد بن رميض العبري يعير بذلك

وما كان بين الشيطين ولعلع * لنسوتنا الا مناقل أربع
فجئنا بجمع لم ير الناس مثله * يكاد له ظهر الوديعة يطلع
بأرعن دهم تسل البلق وسطه * له عارض فيه المنية تلمع
صبحنا به سعدا وعمرا ومالكا * فظل لهم يوم من الشر أشنع
وراحسب من آل ضبة غادروا * بحرى كما يجرى الفصيل المقرع
تقصع يربوع بسرة أرضنا * وليس ليربوع بها متقصع

ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى بكر بن وائل على ما بايديهم (الشيطين بالشين المعجمة والياء المشددة المثناة من تحتها والطاء المهملة آخرون)

﴿(أيام الانصار وهم الاوس والخزرج التي جرت بينهم)﴾

لانصار لقب قبيلتي الاوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء من حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان لقبهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر اليهم ومنعوه ونصروا وام الاوس والخزرج قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد ولذلك يقال لهم ابناء قيلة وانما لقب ثعلبة العنقاء لطول عنقه ولقب عمرو مزيقياء لانه كان يمزق عنه كل يوم حلة لئلا يلبسها أحد بعده ولقب عامر ماء السماء لسماحته وبذله كانه باب سحاب المطر وقيل لشرفه ولقب امرؤ القيس البطريق لانه اول من استعان به بنو اسرائيل من العرب بعد بلقيس فبطرقه رجيم بن سليمان بن داود عليه السلام فقيل له البطريق وكانت مساكن الازد بمأرب من اليمن الى ان أخبر الكهان عمرو بن عامر مزيقياء ان سيل العرم يخرب بلادهم ويغرق أكثر أهلها عقوبة لهم بتكذيبهم رسل الله تعالى اليهم فلما علم ذلك عمرو باع ماله من مال وعقار وسار عن مأرب هو ومن تبعه ثم تفرقوا في البلاد فسكن كل بطن ناحية اختاروها فسكنت خزاعة الحجاز وسكنت غسان الشام ولما سار ثعلبة بن عمرو بن عامر فيمن معه اجتازوا بالمدينة وكانت تسمى يثرب فتحالف بها الاوس والخزرج ابنا حارثة فيمن معهما وكان فيها قرى وأسواق وبها قبائل من اليهود من بني اسرائيل وغيرهم منهم قريظة والنضير وبنو قينقاع وبنو ماسلة وزعورا وغيرهم وقد بنوا لهم حصونا يجتمعون بها اذا خافوا فنزل عليهم الاوس والخزرج فابتنوا المساكن والحصون الا ان الغلبة والحكم لليهود الى ان كان من الغطيون ومالك بن العجلان ما نذكره ان شاء الله تعالى فعادت الغلبة للاوس والخزرج ولم يزالوا على حال اتفاق واجتماع الى ان حدث بينهم حرب سمير على ما نذكره ان شاء الله تعالى

﴿ذكر

وكان هذا المحتسب من مدينة راهرمز من كور الاهواز ونعود الى ذكر مراتب الملوك ونسق ما بقي من الممالك على البحر السابق الذي شرعنا في وصف من عليه فنقول ملك الزرع وقليمان ملك الزرج كركبد اخو ملك الحيرة من بني نصير اللخميين والمنازرة ملك جبال طبرستان كان يدعى قارن والجبل معروف به ويولده في هذا الوقت ملك الهند البلهرا ملك القنوج من ملوك السند فيروزة وهو اسم بلد باسم ملوكهم وقد صارت اليوم في حيز الاسلام وهي من أعمال المولتان ومن هذه المدينة يخرج أحد الانهار التي اذا اجتمعت كان نهر (مهران السند) الذي زعم الجاحظ انه من النيل وزعم غيره انه من جيحون خراسان وقد ورد هذا الذي هو ملك القنوج هو صد البلهرا ملك القندهار من ملوك السند وجبالها ويدعى رنج وهذا اسمه الاعم ومن بلاده يخرج النهر المعروف (برايه) وهو أحد الانهار الخمسة التي منها مهران السند والقندهار بلاد الدهبوط ونهر من الخمسة يخرج من بلاد السند وجبالها يعرف (بنهاطل)

﴿ ذكر غلبة الانصار على المدينة وضعف أمر اليهود وقتل القطيون ﴾

قد ذكرنا ان الاستيلاء كان لليهود على المدينة لما نزلها الانصار ولم يزل الامر كذلك الى ان ملك عليهم القطيون اليهودي وهو من بني اسرائيل ثم من بني ثعلبة وكان رجل سوء فاجرا وكانت اليهود تدين بأن لا تزوج امرأة منهم لاحد حتى عليه قبل زوجها وقيل انه كان يفعل ذلك لاوس والخزرج أيضا ثم ان أخت مالك بن العجلان السالمي الخزرجي تزوجت فلما كان رافها خرجت عن مجلس قومها وفيه أخوها مالك وقد كشفت عن ساقها فقال لها مالك لقد جئت بسوء قالت اني يرادبي الليلة أشد من هذا ادخل على غير زوجي ثم عادت فدخل عليها أخوها فقال لها هل عندك من خبر قالت نعم فما عندك قال أدخل مع النساء فاذا خرج ودخل عليك فقتلته قالت افعل فلما ذهب بها النساء الى القطيون انطلق مالك معهن في زي امرأة ومعه سيفه فلما خرج النساء من عنده ودخل عليها القطيون قتله مالك وخرج هاربا فقال بعضهم في ذلك من أبيات

هل كان للقطيون عقر نسائكم * حكم النصيب فبئس حكم الحاكم

حتى حباه مالك بعرشة * حمراء تصطلك عن جميع فاتم

ثم خرج مالك بن العجلان هاربا حتى دخل الشام فدخل على ملك من ملوك غسان يقال له أبو جبيلة واسمه عبيد بن سالم بن مالك بن سالم وهو أحد بني غصب بن جشم بن الخزرج وكان قد ملكهم وشرف فيهم وقيل انه لم يكن ملكا وانما كان عظيما عند ملك غسان وهو الصحيح لان ملوك غسان لم يعرف فيهم هذا وهو ايضا من الخزرج على ما ذكر فلما دخل عليه مالك شكا اليه ما كان من القطيون وأخبره بقتله وانه لا يقدر على الرجوع وشاهد الله أبو جبيلة أن لا يمس طيبا ولا يأتي النساء حتى يذل اليهود ويكون بكر والاوس والخزرج أعز أهلها ثم سار من الشام في جمع كثير وأظهر انه يريد الحج حتى قدم المدينة فنزل بذي حرض وأعلم الاوس والخزرج ما عزم عليه ثم أرسل الى وجوه اليهود يستدعيهم اليه وأظهر لهم انه يريد الاحسان اليهم فأتاه اشرافهم في حشمهم وخاصتهم فلما اجتمعوا ببابه أمر بهم فأدخلوا رجلا رجلا وقتلهم عن آخرهم فلما فعل بهم ذلك صارت الاوس والخزرج أعز أهل المدينة فشاركوا اليهود في النخل والدور ومدح الرمق بن زيد الخزرجي أبا جبيلة بقصيدة منها

وأبو جبيلة خير من * يمشي وأوفاه بميثا

وأبرهم برا وأعـ * ـلمهم بهدى الصالحينا

أبقت لنا الايام والـ * ـحرب المهمة تمترينا

كبشاله قرن يعض حسامه الذكر السنينا

فقال له أبو جبيلة عسل طيب في وعاء سوء وكان الرمق رجلا ضئيلا فقال الرمق انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ورجع أبو جبيلة الى الشام (حرض بضم الحاء والراء المهملتين وآخره ضاد معجمة)

﴿ حرب سمير ﴾

ولم يزل الانصار على حال اتفاق واجتماع وكان أول اختلاف وقع بينهم وحرب كانت لهم حرب سمير وكان سببها ان رجلا من بني ثعلبة من سعد بن ذبيان يقال له كعب بن العجلان نزل على مالك بن العجلان السالمي فحالفه وأقام معه فخرج كعب يوما الى سوق بني قينقاع فرأى رجلا من غطفان معه فرس وهو يقول لمن يأخذ هذا الفرس أعز أهل يثرب فقال رجل فلان وقال رجل آخر احيحة

ويجتاز ببلاد الدهبوط وهي بلاد القندهار والهر الراس يخرج من بلاد كابل وجبالها وهي تحوم الهند مما يلي بلاد سيط وعرس ونفس والرخج وبلاد الدوار مما يلي بلاد سجستان وهر من الخمسة يخرج من بلاد قشمير ومملك قشمير يعرف بالران هذا الاسم الاعم لسائر ملوكهم وقشمير هذه من ممالك الهند وجبالها مملكة عظيمة حصينة يحتوي ملكها من مدن وضياع على نحو من ستين ألفا الى سبعين ألفا لا سبيل لاحد من الناس على بلده الا من وجه واحد ويفاق على جميع ما ذكرناه من ملكه باب واحد لان ذلك في جبال شوامخ منيعة لا سبيل للرجال أن يتسلقوا عليها ولا للوحش أن يلحق بعلوها ولا يلحقها الا الطير وما لا جبل فيه فأودية وعرة وأشجار وغياض وأنهار ذات منعة من شدة الانصباب والجريان وما ذكرنا من منعة ذلك البلد فمشهور في أرض خراسان وغيرها من البلاد وذلك أحد عجائب الدنيا فاما ملك فرورة وهو ملك القنوج فان مسافة مملكته تكون نحوا من عشرين ومائة فرسخ في مثلها فراسخ سندية الفرسخ ثمانية أميال

ابن الحلاح الاوسى وقال غيرهما فلان بن فلان اليهودى أصل أهلها فدفع الغطفانى الفرس الى
مالك بن الحلان فقال كعب ألم أقل لكم ان حليفى مالكا أضلكم فعصب من ذلك رجل من
الاوس من بنى عمرو بن عوف يقال له عمير وشتمه وافترقوا وبقى كعب ماشاء الله ثم قصد سوقا لهم
يسمى فقصده عمير ولازمه حتى حلا السوق فقتله وأخبر مالك بن الحلان بقتله فارسل الى بنى
عمرو بن عوف يطلب قاتله فارسلوا انا لا ندرى من قتله وتردّدت الرسل بينهم هو يطلب عميرا وهم
ينكرون قتله ثم عرضوا عليه الدية فقبلها وكانت دية الحليف فيهم نصف دية النسيب منهم فابى
مالك الا أحد دية كاملة وامتنعوا من ذلك وقالوا نعطى دية الحليف وهى النصف ولج الامر
بهم حتى أفى الى المحاربة فاجتمعوا واقتتلوا اقتتالا شديدا واقفروا ودخل فيها سائر بطون
الانصار ثم القوا هم اخرى واقتتلوا حتى حجز بينهم الليل وكان الظفر يومئذ للاوس فلما افترقوا
ارسلت الاوس الى مالك يدعونه الى ان يحكم بينهم المندر بن حرام النجارى الخزرجى جد حسان
ابن ثابت بن المندر فاجابهم الى ذلك فاتوا المندر فحكم بينهم المندر بان يدوا كعبا حليف مالك دية
الصريح ثم يعودون الى سنتهم القديمة فرضوا بذلك وحملوا الدية وافترقوا وقد شمت العشاء فى
نفوسهم وعكمت اعداوة بينهم

﴿ذكر حرب كعب بن عمرو المازنى﴾

ثم ان بنى جحجبا من الاوس وبنى مدرك بن النجار من الخزرج وقع بينهم حرب كان سببها ان كعب
ابن عمرو المازنى تزوج امرأة من بنى سالم وكان يختلف اليها فامر أخيحة بن الحلاح سيد بنى
جحجبا جماعة فرصدوه حتى ظفروا به فقتلوه وبلغ ذلك اخا عاصم بن عمرو فامر قومه فاستعدوا
للقتال وارسل الى بنى جحجبا يؤذنهم بالحرب فالتقوا بالرحابة فاقتتلوا اقتتالا شديدا فانهزمت بنو
جحجبا ومن معهم وانهزم معهم أخيحة فلحقه عاصم بن عمرو فادركه وقد دخل حصنه فرماه بسهم
فوقع فى باب الحصن فقتل عاصم أخا لاخيحة فحكموا بعد ذلك ليالى فبلغ اخيحة ان عاصما يتطلبه
يجد له عرة فيقتله فقال أخيحة

سئمت انك حيث تسرى بين دارى والسبابه
فلقد وجدت بجانب الصحيا ن شبانا مهابه
فتيان حرب فى الحديـ ـد وشاهرين كأسد غابه
هم يكبلونك عن الطريـ ـق وبيت تركك كل لابه
أعصيم لا تجزع فان الحرب ليست الدعابه
فانا الذى صحتكم * بالقوم اذ دخلوا الرحابه
وقتلت كعبا قبلها * وعلوت بالسيف الدؤابه

﴿حابه عاصم﴾

ابلغ أخيحة ان عرضـ ـت بداره عنى حوابه
وانا الذى أعجلتـ ـه * عن مقعد ألهى كلابه
ورميته سهما فاخـ ـطاه واغلـ ـق ثم بابه

فى أبيات ثم ان أخيحة اجمع ان يبيت بنى النجار وعنده سلمى بنت عمرو بن زيد النجارية وهى أم
عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم فارصيت فلما جها الليل وقد سهر معها أخيحة فنام فلما

بهذا الميل وهو الملك الاوسى
هذه سبعمائة وكردفيما سلف
أن له من الجموش أربعة
آلاف من مهاب الرياح الاربع
كل جيش منها سبعمائة
ألف وقيل تسعمائة ألف
وقيل تسعة آلاف ألف
فحشر بحيش الشمال
صاحب المواليان ومن معه
فى ذلك الشعوب من المسلمين
وبحارب بحيش الجنوب
الميسرة ملك الماهكير
وبالجيوش الباقية من
بلاده فى كل وجه من الممالك
ويقال ان ملكه يحيط فى
هذا الزمان ذكره من المسافة
من المدن والقرى والضياع
ما يدركه الاحصاء لعدد
ألف ألف وثمانمائة ألف
قرية بين نهار وبحر وجبال
ومروج وهو قليل السيلة
من سائر الملوك ورسمه
الفاضل حرسه الله ولذلك
أن الفيل اذا كان فارسها
ثمانية رجال كان راكبه
فارسا وفى جرطومه القرطل
وهو نوع من السيوف
وجرطومه مغشى بالزرد
والحديد وعليه تجافيف
قد أحاطت سائر جسده من
الفرق والحديد وكان حوله
جماعة رجال يمنعونه
ويجررونه من ورائه جار
سبعة آلاف فارس وقام بها
وأداها اذا كان معه جماعة
رجل كرفى خمسة آلاف
فارس ودخل وخرج

نام سارت الى بنى النجار فاعلمتهم ثم رجعت فحذروا وغدا الحيحة بقومه مع الفجر فلقيهم بنو النجار فى السلاح فكان بينهم شئ من قتال وانحاز الحيحة وبلغه ان سلمى أخبرتهم فضربها حتى كسر يدها وأطلقها وقال أساتامنها

لعمر أبيك ما يغنى مكانى * من الخلفاء آكلة الغفول
تؤوم لا تفلص مشملا * مع العتيان مصحمة ثقيل
تنزع للحليلة حيث كانت * كما يعتاد لقحته الفصيل
وقد أعددت للعدثان حصنا * لو أن المرء ينفعه العقول
جلاه القين ثم لم تخنه * مضاربه ولا طنبه فلول
فهل من كاهن آوى اليه * اذا ماحان من آل رزول
يراهنى ويرهننى بنيه * وارهنه بنى بما أقول
فما يدرى الفقير متى غناه * وما يدرى الغنى متى يعيل
وما تدرى وان اجمعت أمرا * بأى الارض يدركك المقيل
وما تدرى وان انتحت سقيا * لغيرك أم يكون لك الفصيل
وما ان اخوة كبروا وطابوا * بباقية وأمهم هبول
ستشكل أو يفارقها بنوها * بموت أو يجىء لهم قتول

﴿(ذكر الحرب بين بنى عمرو بن عوف وبنى الحرث وهو يوم السراء)﴾

ثم ان بنى عمرو بن عوف من الاوس وبنى الحرث من الخزرج كان بينهما حرب شديدة وكان سببها ان رجلا من بنى عمرو قتله رجل من بنى الحرث فعدا بنو عمرو على القاتل فقتلوه غيلة فاستكشف أهله فعلموا كيف قتل فتهيؤا للقتال وأرسلوا الى بنى عمرو بن عوف يؤذنونهم بالحرب فالتقوا بالسراء وعلى الاوس حضير بن سماك والد أسيد بن حضير وعلى الخزرج عبد الله بن سلول أبو الحباب الذى كان رأس المنافقين فاقتتلوا قتالا شديدا صبر بعضهم لبعض أربعة أيام ثم انصرفت الاوس الى دورها فحجزت الخزرج بذلك وقال حسان بن ثابت فى ذلك

فدى لبنى النجار أمى وخالتى * غداة لقوهم بالمنقفة السمر
وصرم من الاحياء عمرو بن مالك * اذا ما دعوا كانت لهم دعوة النصر
فوالله لا أنسى حياتى بلاءهم * غداة رموا عمرا بقاصمة الظهر

﴿وقال حسان أيضا﴾

لعمر أبيك الخير بالحق مانبا * على لسانى فى الخطوب ولا يدى
لسانى وسيفى صارمان كلاهما * ويبلغ مالا يبلغ السيف مدودى
فلا الجهد ينسينى حياتى وحفظتى * ولا وقعات الدهر ان مبرى
أكثر أهلى من عبيد لسواهم * واطوى على الماء القراح المبرد

(ومنها)

وانى لنجاء المطى على الوجى * وانى لنزال لما لم أعود
وانى لقوال لذى اللوث مرحبا * وأهلا اذا ما ربع من كل مرصد
وانى ليدعونى الندى فاجيبه * واضرب بيض العارض المتوقد

وصال عليها كالرجل على الفرس وهذا رسم قيلتها فى سائر حروبها فأما صاحب المولتان فقد قلنا انه من ولد سامة بن لؤى بن غالب وهو ذو حيوش ومنعة وهو ثغر من ثغور المسلمين الكبار وحول ثغر المسلمين المولتان من صماعه وفراه عشرون ومائة ألف قرية مما يقع عليه الاحصاء والعد وفيه على ما ذكرنا الصنم المعروف بالمولتان يقصده السند والهند من أقاصى بلادهم بالنذور والاموال والجواهر والعود وأنواع الطيب ويحج اليه الالوف من الناس وأكثر أموال صاحب المولتان مما يحمل الى هذا الصنم من العود القمارى الخالص الذى يبلغ ثمن الاوقية منه مائة دينار واذا ختم بالخاتم أثر فيه كما يؤثر فى الشمع وغير ذلك من العجائب التى تحمل اليه واذا نزلت الملوك من الكفار على المولتان وعجزوا المسلمون عن حربهم هددوهم بكسر هذا الصنم وتعويره فترحل الجيوش عنهم عند ذلك وكان دخولى الى بلاد المولتان بعد الثلاثمائة والملك بها أبو الدلهاث المنبه بن أسد القرشى وكذلك كان دخولى الى بلاد المنصورة فى هذا الوقت والملك عليها

فلا انجلن يا قيس وارب فانما * قصارك ان تلقى بكل مهند
حسام وارماح بايدى أعزة * متى ترهم بالخط تلبد
أسود لدى الاشبال يحمى عرينها * مداعيس بالخطى فى كل مشهد

وهى ابيات كثيرة فاجابه قيس بن الخطيم

تروح عن الحسناء أم أنت مغتدى * وكيف انطلاق عاشق لم يزود
تراءت لنا يوم الرحيل بمقلتى * شريد يلتف من السدر مفرد
وجيد كجيد الريم حال بزينه * على النحر يافوت وفص زبرجد
كأن الثريا فوق ثغرة نحرها * توقد فى الظلماء أى توقد
ألا ان بين السمر وعين ورائح * ضرابا كصدم السيال المعضد
لما حا طان الموت أسفل منهما * وجمع متى تصرخ بيثرب يصعد
ترى اللابة السوداء يحمر لونها * ويسهل منها كل ربع وفدفد
فانى لا أغنى الناس عن متكلف * برى الناس صلالا وليس بمهتد
وما عمر انورا شقيا مرهطا * ألد كأن رأسه رأس أصيد
كثير المنى بالزاد لا صبر عنده * اذا جاع يوما يشتكيه ضحى الغد
وذى شيمة عمراء حالف شيمتى * فقلت له دعنى ونفسك أرشد
فما المال والاخلاق الا معارة * فما استطعت من معروفها فتزود
متى ما تقد بالباطل الحق يأبه * فان قدت بالحق الرواسى تنقد
اذا ما أتيت الامر من غير بابه * ضللت وان تدخل من الباب تهتد

وهى طويلة (وقال عبيد بن ناقد)

لمن الديار كأنهن المذهب * بليت وغيرها لدهور تقلب

يقول فيها فى ذكر الوقعة

لكن فرار أبى الحباب بنفسه * يوم السرارة سى منه الاقرب
ولقد أتانى يوم ذلك درعه * اذ قيل جاء الموت خلفك يطلب
نجالك منا بعد ما قد أشرعت * فيك الرماح هنالك شد المذهب

وهى طويلة أيضا وأبو الحباب هو عبد الله بن سلول

﴿ حرب الحصين بن الاسلت ﴾

ثم كانت حرب بين بنى وائل بن زيد الاوسيين وبين بنى مازن بن النجار الخزرجيين وكان سببها ان الحصين بن الاسلت الاوسى الوائلى نازع رجلا من بنى مازن فقتله الوائلى ثم انصرف الى أهله فتبعه نفر من بنى مازن وقتلوه فبلغ ذلك أخاه أبا قيس بن الاسلت فجمع قومه وأرسل الى بنى مازن يعلمهم انه على حربهم فتهيؤا للقتال ولم يتخلف من الاوس والخزرج أحد فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى فى الفريقين جميعا وقتل أبو قيس بن الاسلت الذين قتلوا أخاه ثم انهزمت الاوس فلام وحوح بن الاسلت أخاه أبا قيس وقال لا يزال مهزوما من الخزرج فقال أبو قيس لاخيه ويكنى أبا حصين

أبلغ أبا حصن وبعض القول عندى ذو كباره
ان ابن أم المرء ليس من الحديد ولا الحجاره

ورأيت بها وزيره زيادا وابنيه محمدا وعليا ورأيت بها رجلا سيدا من العرب وملكا من ملوكهم وهو المعروف بحمرو وبها خلق من ولد على بن أبى طالب رضى الله عنه ثم من ولد عمر بن على ولد محمد بن على وبين ملوك المنصورة وبين أبى الشوارب القاضى قرابة ووصلة بسبب وذلك ان ملوك المنصورة الذين الملك فيهم فى وقتنا هذا من ولد هبار بن الاسود ويعرفون ببنى عمر بن عبد العزيز القرشى وليس هو عمر بن عبد العزيز الاموى فاذا اجتاز جميع ما ذكرنا من الانهار ببلاد مرج بيت الذهب وهو المولتان فاجتمع بعد المولتان بثلاثة أيام فيما بين المولتان والمنصورة فى الموضع المعروف بدوسات ثم انتهى جميع ذلك الى مدينة الرود من غربيها وهى من أعمال المنصورة سمى ماهمالك مهران ثم ينقسم قسمين وينصب كل من القسمين من هذا الماء العظيم المعروف بمهران السند فى مدينة شاكره من أعمال المنصورة فى البحر الهندى وذلك على مقدار يومين من مدينة الديبل والمسافة من المولتان الى

ماذا عليكم ان يكو * ن لكم بهار حلا عماره
يحمى ذماركم وبي * ـض القوم لا يحمى ذماره
بنى لكم حيرا وبنيـ * ـان الكريم له اثاره

في أبيات

﴿(حرب ربيع الظفرى)﴾

ثم كانت حرب بين بني ظفر من الاوس وبين بني مالك بن النجار من الخزرج وكان سببها ان ربيعا الظفرى كان يعرفى مال لرجل من بني النجار الى مالك له فمنعه النجارى فتنازعا فقتله ربيع فجمع قومهما فاقتتلوا قتالا شديدا كان أشد قتال بينهم فانهزمت بنو مالك بن النجار فقال قيس بن الخطيم الاوسى فى ذلك

أجدت بعمرة غنيانها * فتهجر أم شانا شانها
فان تمس شطت بها دارها * وباح لك اليوم هجرانها
فما روضة من رياض القطا * كان المصابيح حوذانها
بأحسن منها ولا نزهة * ولوج تكشف ادجانها
وعمرة من سروات النسا * ء ينفح بالمسك أردانها

(منها)

ونحن الفوارس يوم الربيـ * ـع قد علموا كيف أبدانها
جنونا الحرب وراء الصريـ * ـخ حتى تقصد مرانها
تراهن يخلجن خلج الدلا * ء يبادر بالنزع اشطانها

وهى طويلة فاجابه حسان بن ثابت الخزرجى بقصيدة أولها

لقد هاج نفسك أشجانها * وغادرها اليوم أديانها

(ومنها)

ويثرب تعلم انا بها * اذا التبس الحق ميرانها
ويثرب تعلم انا بها * اذا أقحط القطر نوآنها
ويثرب تعلم اذ حاربت * بانا لدى الحرب فرسانها
ويثرب تعلم أن المبيـ * ـت عند الهزاهز ذلانها

(ومنها)

متى ترنا الاوس فى بيضنا * نهر القنا تخب نيرانها
وتعط المقاد على رغمها * وتنزل ملهام عصيانها
فلا تفخرن والتمس ملجأ * فقد عاود الاوس أديانها

﴿(حرب فارع بسبب الغلام القضاعى)﴾

ومن أيامهم يوم فارع وسببه ان رجلا من بني النجار اصاب غلاما من قضاعة ثم من بلى وكان عم الغلام جارا لمعاذ بن النعمان بن امرئ القيس الاوسى والد سعد بن معاذ فاتى الغلام عمه يزوره فقتله النجارى فارسل معاذ الى بني النجار ان ادفعوا الى دية جارى أو ابعثوا الى بقاتله أرى فيه رأيى فأبوا ان يفعلوا فقال رجل من بني عبد الاشهل والله ان لم تفعلوا لا نقتل به الاعامر بن الاطنابة وعامر من اشراف الخزرج فبلغ ذلك عامرا فقال

المنصورة خمسة وسبعون فرسخا سندية على ماذكرنا والفرسخ ثمانية أميال وجميع ما للمنصورة من الضياع والقرى ثمانية آلاف قرية ذات زروع واشجار وعمائر متصلة وفيها حروب كثيرة من جنس يقال لهم المسند وهم نوع من السند وغيرهم من الاحابش ثم ثغر السند وكذلك المولتان من ثغور السند وما أضيف اليها من العمائر والمدن وسميت المنصورة باسم منصور بن جمهور عامل بني أمية وللك المنصورة فيلة حربية وهى ثمانون فيلا رسم كل فيل أن يكون حوله على ماذكرنا خمسمائة راجل وأنه يحارب ألوفا من الخيل على ماذكرنا ورأيت له فيلين عظيمين كانا موصوفين عند ملوك السند والهند لما كانا عليه من البأس والصحة والاقدام على قتل الجيوش كان اسم أحدهما (منعرفلس) والآخر (حيدرة) ولمنعرفلس هذا اخبار عجيبة وأفعال حسنة وهى مشهورة فى تلك البلاد وغيرها (منها) انه مات بعض سواسه فمكث أياما لا يطعم ولا يشرب بيدى الحنين ويظهر الانين كالرجل الحزين ودموعه تجرى من عينيه لا تنقطع

ألا من مبلغ الاكفاء عنى * وقد تهدى النصيحة للنصيح
فانكم وما ترحون شطرى * من القول المرجى والصريح
سيندم بعضكم كحلا عليه * وما أثر اللسان الى الجروح
أبت لى عرقى وأبى بلائى * وأخذى الحمد بالثمن الربيح
واعطائى على المكروه مالى * وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما حشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى
لادفع عن ما ترصالحات * واحمى بعد عن عرض صحيح
بدى شطب كلون الملح صاف * ونفس لا تقر على القبيح

فقال الربيع بن أبى الحقيق اليهودى فى عراض قول عامر بن الاطنابة

ألا من مبلغ الاكفاء عنى * فلا طلم لدى ولا افتراء
فلست بغائط الاكناء طلما * وعمدى للملامات اجتراء
فلم أر مثل من يدنو لحتف * له فى الارض سير واستواء
وما بعض الاقامة فى ديار * يهان بها الفتى الاعماء
وبعض القول ليس له علاج * كمحص الماء ليس له اناء
وبعض خلائق الاقوام داء * كداء الشح ليس له دواء
وبعض الداء ملتمس شفاء * وداء النوك ليس له شفاء
تحب المرء ان يلقى نعيما * ويأبى الله الا ما يشاء
ومن يك عاقلا لم يلق بؤسا * يمج يوما بساحته النصاء
يعاوره سنات الدهر حتى * يسلمه كما سلم الاناء
وكل شدائد رات تحى * سيأتى بعد شدتها رخاء
وقل للمتقى عرض المنايا * توق فليس ينفعك اتقاء
وما يعطى الحريص غنى بحرص * وقد يغنى لدى الجود الثراء
وليس بمانع ذا البخل مال * ولا مزر بصاحبه الحياء
غنى النفس ما استغنى بشئ * وفقر النفس ما عمرت شقاء
يود المرء ما تفسد الليالى * وكان فسادهن له فساء

فلما رأى معاذ بن العمان امتناع بنى المحارس من الدية أو تسليم القاتل اليه تهيأ للحرب وتجهز هو وقومه واقتتلوا عند فارع وهو اطم حسان بن ثابت واشتد القتال بينهم ولم تزل الحرب بينهم حتى حمل دينه عامر بن الاطنابة فلما حمل صلح الذى كان بينهم وعادوا الى أحسن ما كانوا عليه فقال عامر بن الاطنابة فى ذلك

مررت طليحة خلتى ومراسلى * وتباعدت ضنا براد الراحل
جهلا وما تدرى ظليمة انى * قد أستقل بصرم غير الواصل
ذلل ركابى حيث شئت مشيعى * انى أروع قطا المكان العاقل
اظليم ما يدريك ربة خلة * حسن مرعمها كظبى الحائل
قد بت مالكها وشارب قهوة * دريافة روبت منها واغلى

(ومنها) انه خرج ذات يوم من حائزة وهى دار الفيلة وحيدره وراءه وبقى الثمانين تمع فلما أتى معمرقس فى سيره الى شارع قليل العرس من شوارع المنصورة فاجأ فى مسيره امرأة على حين غفلة فلما بصرت به دهشت واستلقت على قفاها من الجزع وانكشفت عنها أطمارها فى وسط الطريق فلما رآى ذلك منعمر قلس وقف معترض الشارع مستقبلا بحمته الايمن من وراءه من الفيلة ومنعهم من أجل المرآة وأقبل يشير اليها بخرطومه بالقيام ويجمع عليها أثوابها ويستر عورتها هذا الى ان انتقلت المرأة ونزحت عن الطريق فعند ذاك عاد اليهار وجهه فاستقام الفيل فى طريقه وتبعه الفيلة وللفيلة اخبار عجيبة الحربية منها والعملة لان منها ما لا يحارب فيحمل المجل وتحمل عليه الاثقال ويستعمل فى باس الارز وغيره من الاقوات كدوس البقر فى البيدر وسنذكر فيما يرد من هذا الكتاب أخبار الزرع والفيلة وكونها فى بلادها وليس فى سائر الممالك أكثر منها فى بلاد الزرع وهى وحشية هنالك فهذه جمل من أخبار مملكة السند والهند ولعمة

بيضاء صافية يرى من دونها * قعر الاناء يضيء وجه الماهل
وسراب هاجرة قطعت اذا جرى * فوق الاكام بذات لون بازل
أجد مراحلها كأن عفاءها * سقطان من كنفي ظليم جافل
فلنأكلن بنا جز من مالنا * ولنشترن بدين عام قابل
انى من القوم الذين اذا انتدوا * بدؤا ببر الله ثم النائل
المانعين من الحمى جيرانهم * والحاشدين على طعام النازل
والخالطين غنيهم بفقيرهم * والبادلين عطاءهم للسائل
والضاربين الكبش يبرق بيضه * ضرب المهند عن حياض الناهل
والعاطفين على المصاف حبولهم * والملحقين رماحهم بالقاتل
والمدركين عدوهم بذحولهم * والمازلين لضرب كل منازل
والقائلين معا خذوا أقرانكم * ان المنية من وراء الوائل
خزر عيونهم الى أعدائهم * يمشون مشى الاسد تحت الوابل
ليسوا بأنكاس ولا ميل اذا * ما الحرب شبت اشعلوا بالشاعل
لا يطبعون وهم على احسابهم * يشنون بالاحلام داء الجاهل
والقائلين فلا يعاب خطيبهم * يوم المقالة بالكلام الفاصل

وانما أثبتنا هذه الابيات وليس فيها ذكر الوقعة لجودتها وحسنها

﴿حرب حاطب﴾

ثم كانت الوقعة المعروفة بحاطب وهو حاطب بن قيس من بني أمية بن زيد بن مالك بن عوف الاوسي وبينها وبين حرب سمير نحو مائة سنة وكان بينهما أيام ذكرنا المشهور منها وتركنا ما ليس بمشهور وحرب حاطب آخر وقعة كانت بينهم الا يوم بعاث حتى جاء الله بالاسلام وكان سبب هذه الحرب ان حاطبا كان رجلا شريفا سيدا فأتاه رجل من بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان فنزل عليه ثم انه غدا يوما الى سوق بني قينقاع فرآه يزيد بن الحرث المعروف بابن فسحم وهي أمه وهو من بني الحرث بن الخزرج فقال يزيد لرجل يهودي لك ردائي ان كسعت هذا الثعلبي فاخذ رداءه وكسعه كسعة سمعها من بالسوق فنادى الثعلبي يا لحاطب كسع ضيفك وفضح وأخبر حاطب بذلك فجاء اليه فسأله من كسعه فاشار الى اليهودي فضربه حاطب بالسيف فلق هامته فاخبر ابن فسحم الخبر وقيل له قتل اليهودي قتله حاطب فاسرع خلف حاطب فادركه وقد دخل بيوت أهله فلقي رجلا من بني معاوية فقتله فثارت الحرب بين الاوس والخزرج واحتشدوا واجتمعوا والتقوا على جسر ردم بني الحرث بن الخزرج وكان على الخزرج يومئذ عمرو بن النعمان البياضي وعلى الاوس حضير بن سماك الاشهلي وقد كان ذهب ذكر ما وقع بينهم من الحروب فيمن حولهم من العرب فسار اليهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري وخيار بن مالك بن حماد الفزاري فقدما المدينة وتحدثا مع الاوس والخزرج في الصلح وضمنا ان يتحملا كل ما يدعى بعضهم على بعض فابوا ووقعت الحرب عند الجسر وشهدها عيينة وخيار فشاهدا من قتالهم وشدتها ما أيسا معه من الاصلاح بينهم فكان الظفر يومئذ للخزرج وهذا اليوم من أشهر أيامهم وكان بعده عدة وقائع كلها من حرب حاطب فنها

السند خلاف لغة الهند والسند مما يلي الاسلام ثم الهند ولغة أهل المانكبر وهي دار مملكة البلهرا أكثرها مضافة الى الصغ وهي كبيرة ولغة ساحله مثل صيمور وسوماره ومايه وغير ذلك من مدن الساحل مثل لاروى وبلدهم مضافة الى البحر الذي هم عليه وهو لاروى وقد تقدم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب وبهذا الساحل أنهار عظيمة تجري من الجنوب بالصد من أنهار العالم وليس في أنهار العالم ما يجري من الجنوب الى الشمال الا نيل مصر ومهران السند ويسير من الانهار وما عدا ذلك من أنهار العالم جرى من الشمال الى الجنوب وقد ذكرنا وجه العلة في ذلك وما قاله الناس في هذا المعنى في كتابنا أخبار الزمان وقد ذكرنا ما انخفض من الانهار وما ارتفع وليس في ملوك السند والهند من يعز المسلمين في ملكه الا البلهرا فان الاسلام في ملكه عزيز مصون ولهم مساجد مبنية وجوامع معمورة بالصلوات للمسلمين وعملك الملك منهم الاربعين سنة والخمسين سنة فصاعدا وأهل مملكته يزعمون انه انما طالت أعمار ملوكهم لسنة العدل واكرام المسلمين وهو ملك يرزق الجنود من

﴿يوم الربيع﴾

ثم التقت الانصار بعد يوم الحصر الربيع وهو سائط فى ناحية السفح فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كاد يفنى بعضهم بعضا فانهزمت الاوس وتبعها الخزرج حتى بلغوا دورهم وكانوا قبل ذلك اذا هزمت احدى الطائفتين دخلت دورهم كفت الاخرى عن اتباعهم فلما تبع الخزرج الاوس الى دورهم طلبت الاوس الصلح وامتنعت بنو النجار من الخزرج عن اتباعهم فحصنت الاوس النساء والذرارى فى الآطام وهى الحصون ثم كفت عنهم الخزرج فقال صخر بن سليمان البياضى

ألا أبلغا عنى سويد بن صامت ✻ ورهط سويد بلغا وابن آلاسلت
بأنا قتلنا الربيع سراتكم ✻ وأدلت محروحاته كل معلت
ولولا حفوف فى العشيرة انها ✻ ادالت بحق واجب ان ادلت
لما لهم صنائعا كان نالهم ✻ معاقب خيل اهلكت حين حلت

فاجابه سويد بن الصامت

ألا ابلغا عنى صخيرا رسالة ✻ فقد ذقت حرب الاوس فيها ابن آلاسلت
فلما سرايا كم قتلى سراتنا ✻ وليس الذى يحوالى مثل بفلت

﴿ومنها يوم البعيع﴾

ثم التقت الاوس والخزرج ببعيع الغرقد فاقتتلوا قتالا شديدا فكان الظفر يومئذ للاوس فقال عبيد بن ناقد الاوسى

لما رأيت بنى عوف وجمعهم ✻ جاؤا وجمع بنى النجار قد حفلوا
دعوت قومى وسهلت الطريق لهم ✻ الى المكان الذى أصحابه حلوا
جادت بانفسها من مالك عصب ✻ يوم اللقاء فما خافوا ولا فشلوا
وعاودوكم كؤس الموت اذ بردوا ✻ شطر النهار وحتى أدبر الاصل
حتى استقاموا وقد طال المراس بهم ✻ وكلهم من دماء القوم قد نهلوا
تكشف البيض عن قتلى أولى رحم ✻ لولا المسالم والارحام ما نقلوا
تقول كل فتاة غاب قيمها ✻ أكل من خلفنا من قومنا قتلوا
لقد قتلتم كريما ذا محافظة ✻ قد كان حالفه القينات والحلل
جزل نوافله حلو شمائله ✻ ريان واغله تشقى به الابل

الواغل الذى يدخل على القوم وهم يشربون فأجابه عبد الله بن رواحة الحارثى الخزرجى

لما رأيت بنى عوف واخوتهم ✻ كعبا وجمع بنى النجار قد حفلوا (٣)
قدما أباحوا حماكم بالسيوف ولم ✻ يفعل بكم أحد مثل الذى فعلوا

وكان رئيس الاوس يومئذ فى حرب حاطب أبو قيس بن الاسلت الوائلى فقام فى حربهم وهجر الراحة فشحب وتغير وجاء يوما الى امرأته فأنكرته حتى عرفته بكلامه فقالت له لقد أنكرتك حتى تكلمت فقال

قالت ولم تقصد لقيل الخنى ✻ مهلا فقد أبلغت اسماعى
واستنكرت لونا له شاحبا ✻ والحرب غول ذات أوجاع
من يدن الحرب ينجد طعمها ✻ مرا وتتركه بجهجاع
قد حصت البيضة رأسى فما ✻ أطعم نوما غير تهجاع

بيت مائه كفعل المسلمين
يجمعون هم وله دراهم طاطرية
وزن الدرهم منها وزن
درهم ونصف مكتوبه بدء
تاريخ ملكهم وملته
الحربيه لا تحصى كثرة وتدعى
بلاده أيضا بلاد السكسر
ويحاربهم ملك الخزر من
احدى جهات مملكته وهو
ملك كثير الخيول والابل
والجنود ويزعم انه ليس فى
ملوك العالم أجل منه
الا صاحب أقليم بابل وهو
الاقليم الرابع وذكر أن هذا
الملك ذو نحوة وصولة على
سائر الملوك وهو مع ذلك
مغرض للمسلمين وهو
كثير الفيلة وملكه على
لسان من الارض وفى أرضه
معادن الذهب والفضة
ومنابعاتهم هم ما تم يلى هذا
الملك على الطاف مراوع
لمن حوله من الملوك وهو
مكرم للمسلمين وليست
جيوشه كجيوش من ذكرنا
من الملوك وليس فى سماء
الهند أحسن من نسائهم
ولا أكثر منهن حمالا وبياضا
وهن موصوفات الحلوات
مذكورات فى كتب البلدان
وأهل البحر يتنافسون فى
شرائهن يعرفن بالطافيات
ثم يلى هذا الملك مملكة رهمى
وهذه سمة ملوكهم وهو
الاعم من أسمائهم
ويقاتلهم ملك الخزر
وملكه متاخم لملكهم
ورهمى يحارب البلهرا

أسعى على جل بنى مالك * كل امرئ فى شأنه ساعى
أعددت للاعداء موضونة * ضفاضة كالنهى بالقاع
أحضرها عنى بذى رونق * مهند كالملح قطاع
صدق حسام وادق حده * ومنحن أسمر قراع

وهى طويلة ثم ان أباقيس بن أسلت جمع الاوس وقال لهم ما كنت رئيس قوم قط الا هزموا فرئسوا عليكم من أحببتم فرأسوا عليهم حضير الكتائب بن السماك الاشهلى وهو والد أسيد بن حضير لولده صحبة وهو بدرى فصار حضير يلى أمورهم فى حروبهم فالتقى الاوس والخزرج بكان يقال له الغرس وكان الظفر للاوس ثم تراسلوا فى الصلح فاصطلحوا على ان يحسبوا القتلى فمن كان عليه العقل أعطى الدية فاوصلت الاوس على الخزرج ثلاثة نفر فدفعت الخزرج ثلاثة غلمة منهم رهنا بالديات فغدرت الاوس وقتلت الغلمان

﴿ حرب الفجار الاول للانصار ﴾

وليس بفجار كنانة وقيس فلما قتلت الاوس الغلمان جمعت الخزرج وحشدوا والتقوا بالحدائق وعلى الخزرج عبد الله بن أبى ابن سلول وعلى الاوس أبو قيس بن الاسلت فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كاد بعضهم يفنى بعضا وسمى ذلك اليوم يوم الفجار لغدرهم بالغلمان وهو الفجار الاول فكان قيس بن الخطيم فى حائطه فانصرف فوافق قومه قد برز وا للقتال فحجر عن أخذ سلاحه الا السيف ثم خرج معهم فعظم مقامه يومئذ وابلى بلاء حسنا وجرح جراحة شديدة فمكث حينا يتداوى منها وامر ان يحمى عن الماء فذلك يقول عبد الله بن رواحة

رميناك أيام الفجار فلم تزل * حميا فمن يشرب فلست بشارب

﴿ يوم معبس ومضرس ﴾

ثم التقوا عند معبس ومضرس وهما جداران فكانت الخزرج وراء مضرس وكانت الاوس وراء معبس فأقاموا أياما يقتتلون قتالا شديدا ثم انهزمت الاوس حتى دخلت البيوت والآطام وكانت هزيمة قبيحة لم ينهزموا مثلها ثم ان بنى عمرو بن عوف وبنى أوس مناة من الاوس وادعوا الخزرج فامتنع من الموادعة بنو عبد الاشهل وبنو ظفر وغيرهم من الاوس وقالوا لا نصالح حتى ندرك ثارنا من الخزرج فألحت الخزرج عليهم بالاذى والغارة حتى وادعهم بنو عمرو بن عوف وأوس مناة فعزمت الاوس الامن ذكرنا على الانتقال من المدينة فاغارت بنو سلمة على مال لبنى عبد الاشهل يقال له الرعل فقاتلوهم عليه فجرح سعد بن معاذ الاشهلى جراحة شديدة واحتملته بنو سلمة الى عمرو بن الجموح الخزرجى فاجاره وأجار الرعل من الحريق وقطع الاشجار فلما كان يوم بعاث جاز اه سعد على ما نذكره ان شاء الله ثم سارت الاوس الى مكة لتحالف قريش على الخزرج وأظهروا انهم يريدون العمرة وكانت عادتهم انه اذا أراد أحدهم العمرة أو الحج لم يعرض اليه خصمه ويعلق المعتمر على بيته كرايف النخل ففعلوا ذلك وساروا الى مكة فقدموها والفوا قريشا وأبو جهل غائب فلما قدم أنكر ذلك وقال لقريش اما سمعتم قول الاول ويل للاهل من النازل انهم لاهل عدد وجلد ولقلما نزل قوم على قوم الا أخرجوهم من بلادهم وغلبوهم عليه قالوا فما المخرج من حلفهم قال أنا أكفيكموهم ثم خرج حتى جاء الاوس فقال انكم حالفتم قومى وانا غائب جئت لاحالفكم واذكر لكم من أمرنا ما تكونون بعده على رأس أمركم انا قوم نخرج اما وثبا الى

أيضا من احدى جهات مملكته وهو أكثر جيوشا وفيلة وحيولا من البلهرا ومن ملك الخزر ومن ملك الطاغى واذا خرج فى حروبه فرسمه أن يكون فى خمسين ألف فيل ولا يكون حربه الا فى الشتاء لقلة صبر الفيلة على العطش وقلة لبثها والمكثر من الناس يغلو بالقول فى كثرة جنوده فيزعمون أن عدد القصارين والغسالين فى عسكره من عشرة آلاف الى خمسة عشر ألفا وحرب من ذكرنا من الملوك كراديس كل كردوس عشرون ألفا أربعة أوجه كل وجه من الكردوس خمسة آلاف وعامة رعى تعاملهم بالودع وهو مال البلد وفى بلده العود والذهب والفضة والثياب التى ليست لغيره رقة ودقة ومن بلده يحمل الشعر المعروف بالصمر الذى تتخذ منه المذاب بنصب العاج والفضة يقوم بها الخدم على رؤس الملوك فى مجالسها وفى بلده الحيوان المعروف بالسيان ٢ المعلم وهو الذى تسميه العوام البركدن وله فى مقدم جبهته قرن واحد وهو دون الفيل فى الخلقة وأكبر من الجاموس الى السواد ما هو يجتر كما تجتر البقر وغيرها مما يجتر من الحيوان والفيلة تهرب منه وليس فى أنواع الحيوان والله أعلم أشد منه وذلك ان أكثر عظامه أصم ولا مفصل فى قوائمه ولا يبرك فى نيام انما يكون بين الشجر والآجام يستند اليها عند نومه والهند تأكل لحمه وكذلك من فى بلادهم من

أسوادها ولا يزال الرجل منا يدرك الامة فيضرب عجيزتها فان طابت أنفسكم ان تفعل نساؤكم مثل ما تفعل نساؤنا حالفناكم وان كرهتم ذلك فردوا الينا حلفنا فقالوا لا نقر بهذا وكانت الانصار بأسرها فيهم غيرة شديدة فردوا اليهم حلفهم وساروا الى بلادهم فقال حسان بن ثابت يشجع أصاب قومه من الاوس

الا أبلغ أبا قيس رسولا * اذا ألقى له سمع مصيخ
فلست بحاضر ان لم يزركم * حلال الدار مسلمة طحون
يدير لها العبر اذا رآها * ويسفط من محافتها الحنين
يشب الراهط العذراء منها * ويهرب من محافتها الفطين
يطوف بها من الحار أسد * كأسد العيل مسكنها العرين
يظل الليث فيها ساكنيا * له في كل ملعب آنسين
كأن سهامها اللاطين فيها * من الاسلان والبيض العصين
كأنهم من الهادي عليهم * جمال حين يجتلدون حون
فقد لاقاك في بهمان قتل * وعند بعاثه ذل مستكين

وهي طويلة أيضا

﴿يوم الفجار الثاني للانصار﴾

كانت الاوس قد طلبت من قريظة والنضير بحالفوهم على الخزرج فبلغ ذلك الخزرج فارسلوا اليهم قد لومهم بالحرب فقالت اليهود انا لا نريد ذلك فاحدث الخزرج رهنهم على الوفاء وهم أربعون غلاما من قريظة والنضير ان يريدوا فحجم شرب يوما فسكر فتغنى بشعر يذكر فيه ذلك

هل لي الاحلاف ادرق عطفهم * واذا أصلحوا ما الاجذمان صائما
ان ما آمر وأمنهم اساء عمارة * بعثنا عليهم من بني العبر جادعا
وأما الصريخ منهم فتحملوا * وأما اليهود فاتحدنا بصائعا
أحد بأس الاولى اليهود عصابة * لعمرهم كانوا لديا وداثما
وقد أرهن عندنا في حبالنا * مصادمة يحشون منا القوارعا
وذاك بأن احسن نلقى عدونا * نصول بضرب يترك العرجاشعا

فبلغ قوله قريظة والنضير فغضبوا وقال كعب بن أسد نحن كما قال ان لم نغر فحالف الاوس على الخزرج فلما سمعت الخزرج بذلك قتلوا كل من عندهم من أولاد قريظة والنضير فاطلقوا لهم منهم سليم بن أسد القرظي جد محمد بن كعب بن سليم واجتمعت الاوس وقريظة والنضير على حرب الخزرج فاقتتلوا قتالا شديدا وسمي ذلك الفجار الثاني فقتل العلمان من اليهود وقد قيل في قتل العلمان غير هذا وهو ان عمرو بن النعمان البياضي الخزرجي قال لقومه بني بياضة ان آباكم أنزلكم منزله سوء والله لا يمس رأسي ماء حتى أرلكم منازل قريظة والنضير أو أقتل رهنهم وكانت منازل قريظة والنضير خير البقاع وأرسل الى قريظة والنضير اما ان تخلوا بيننا وبين داركم واما أن نقتل رهنكم فهموا بأن يخرجوا من ديارهم فقال لهم كعب بن أسيد القرظي يا قوم امنعوا داركم وخلوه يقتل العلمان ما هي الا ليلة يصيب فيها أحدكم امرأة حتى يولد له مثل أحدهم فارسلوا اليهم انا لا ننتقل عن ديارنا فاطرد الى رهنهم وقد كان عمرو بن النعمان

المسلمين لانه نوع من البقر والحواميس بأرض السند والهند كثيرة وهذا النوع من الفيلة يكون في أكثر غابات الهند الا انه في مملكة رهمي أكثر وقرونه أصفى وأحسن وذلك أن قرنه أبيض وفي وسطه صورة سوداء في ذلك البياض اما صورة انسان أو صورة طاوس بخطيطه وشكله أو صورة سمكة أو صورته في نفسه أو صورة نوع من الحيوان فما وجد في ذلك الديار فيشترى هذا القرن ويحد منه المناطق والسيور على صورة الحلية من الذهب والفضة فتلبسها ملوك الصين وخواصها تتنافس في لبسها ويبالغ في أثمانها فيبلغ المنطقة الى دينار الى أربعة آلاف فيها فعال في ازدهاب وذلك في نهاية الحسن والانتظام وربما تجمع أنواع من الجواهر على قضبان الذهب ووسطه تلك الصورة مكتنفة سوادا في بياض وربما وجد في قرونه بياض في سواد وليس في كل بقر يوجد في قرون الفيلة ما ذكرنا من الصور وقد زعم عمرو بن بحر الجاحظ أن الذكر كذلك يحمل في رأس أمه سبع سنين وأنه يخرج رأسه من بطن أمه فيرعى ثم يدخل رأسه في بطنها وهذا القول أورده في كتاب حياة الحيوان على طريق الحكاية وأنا أتعجب معنى هذا الوصف على مسألة من سكن تلك الديار من أهل سيراف وعمان ومن رأيت بأرض الهند من التجار وكل يتعجب

على رهم فقتلهم وحالفه عبد الله بن أبي ابن سلول فقال هذا بغي وآثم * ونهاه عن قتلهم وقتال قومه من الاوس وقال له كأني بك وقد حملت قتيلا في عباءة يحملك أربعة رجال فلم يقتل هو ومن أطاعه أحدا من العلمان وأطلقوهم ومنهم سليم بن أسعد جد محمد بن كعب وحالفت حينئذ قريظة والنضير الاوس على الخزرج وجرى بينهم قتال سمي ذلك اليوم يوم الشعار الثاني وهذا القول أشبه بأن يسمى اليوم فجارا وأما على القول الاول فانما قتلوا الرهن جزاء للغدر من اليهود وليس بفجار من الخزرج الا أن يسمى فجارا لغدر اليهود

﴿يوم بعاث﴾

ثم ان قريظة والنضير جذدوا العهود مع الاوس على المؤازرة والتناصر واستحكم أمرهم وجدوا في حربهم ودخل معهم قبائل من اليهود غير من ذكرنا فلما سمعت بذلك الخزرج جمعت وحشدت وراسلت حلفاءها من أشجع وجهينة وراسلت الاوس حلفاءها من مزينة ومكثوا أربعين يوما يتعبئون للحرب والتقوا ببعاث وهي من أعمال قريظة وعلى الاوس حضير الكتائب ابن سماك والد أسيد بن حضير وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي وتخلف عبد الله بن أبي ابن سلول فيمن تبعه عن الخزرج وتخلف سنو حارثة بن الحرث من الاوس فلما التقوا اقتتلوا قتالا شديدا وصبروا جميعا ثم ان الاوس وجدت من السلاح فولوا منهزمين نحو العريض فلما رأى حضير هزيمتهم برك وطعن قدمه بسنان رمحه وصاح واعقراه كعقر الجمل والله لا أعود حتى أقتل فان شئتم يا معشر الاوس ان تسلموني فافعلوا فعطفوا عليه وقاتل عنه غلامان من بني عبد الاشهل يقال لهما محمود ويزيد ابنا خليفة حتى قتلا واقبل سهم لا يدري من رمى به فأصاب عمرو بن النعمان البياضي رئيس الخزرج فقتله * فبيناء عبد الله بن أبي ابن سلول بترددا كبا قريبا من بعاث يتحسس الاخبار اذ طلع عليه نعمرو بن النعمان فنيلا في عباءة يحمله أربعة رجال كما كان قال له فلما رآه قال ذق وبال البغي وانهزمت الخزرج ووضعت فيهم الاوس السلاح فصاح صائح يا معشر الاوس أحسنوا ولا تهلكوا اخوانكم فحوارهم خير من جوار الثعالب فانتهوا عنهم ولم يسلبوهم وانما سلبهم قريظة والنضير وحملت الاوس حضيرا مجروحا فمات وأحرقت الاوس دور الخزرج ونخيلهم فجار سعد بن معاذ الاشهلي أموال بني سلمة ونخيلهم ودورهم جزاء بما فعلوا له في الرعل وقد تقدم ذكره ونجى يومئذ الزبير بن اياس بن باطا ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي أخذه فجز ناصيته واطلقه وهي اليد التي جاره بها ثابت في الاسلام يوم بني قريظة وسنذكره وكان يوم بعاث آخر الحروب المشهورة بين الاوس والخزرج ثم جاء الاسلام واتفقت الكلمة واجتمعوا على نصر الاسلام وأهله وكفى الله المؤمنين القتال وآكثرت الانصار الاشعار في يوم بعاث فمن ذلك قول قيس بن الخطيم الظفري الاوسي

أتعرف رسما كالطراز المذهب * لعمرة وحشا غير موقف راكب
ديار التي كانت ونحن على منى * تحل بنا لولا رجال الركائب
تبدت لنا كالشمس تحت غمامة * بدا حاجب منها وضنت بحاجب

(ومنها)

وكنت امرأ ألا أبيت الحرب طالما * فلما أبوا شملتها كل جانب
أذدت بدفع الحرب حتى رأيتها * عن الدفع لا تزداد غير تقارب

من قوله اذا أخبرته بما عندي من هذا وسألته عنه ويخبرني أن حمله وفصاله كالبقر والجواميس ولست أدري كيف وقعت هذه الحكاية للحاحظ أمن كتاب نقلها أو مخبر اخبره بها ولم هي في ملكه بر وبحر وفي ملكه ملك آخر يقال له ملك الكاسين وأهل مملكته بعض بحر وموالاذان لهم فيلة وابل وخيول وحسن وجمال للرجال والنساء ثم بعد هؤلاء ملك البرنج وله بر وبحر وهو على لسان من البر في البحر يقع له عنبر كثير وفي بلده فلفل يسير وهو دونه في كثيرة وهو ذو بأس بين الملوك وزهو وفخر وتجبر أكثر من بأسه ثم يلي هذا الملك ملك الموجه أهله بيض ذو حسن وجمال غير مخرمي الآذان لهم خيل كثيرة وعدد منيعة والمسك في بلادهم كثير على ما قدمنا من غزلانهم ووصف طبائعهم فيما سلف من هذا الكتاب وهذه الامة تشبه بأهل الصين في لباسهم وبلادهم منيعة شواهق بيض لا تعلم بأرض السند والهند ولا فيما ذكرنا من هذه الممالك جمال أطول منها ولا أمنع وسكهم موصوف مضاف الى بلدهم يتعارفه البحريون ممن عني بحمل ذلك ونجهيزه وهو المسك المعروف بالموجي ثم يلي ملك الموجه مملكة المابد ولهم مدن كثيرة وعمائر واسعة وجنود عظيمة وملوكهم تستعمل الخصيان في عمالات

فلما رأيت الحرب حربا تجردت * لبست مع البردين ثوب المحارب
معصفة يغشى الانامل ريعها * كان قتيريها عيون الجنادب
ترى قصد المران تاتى كأنها * تذرع خرصان بايدى الشواطب
وسامحنى ملكا هنين ومالك * وغلبة الاخيار رهط المصائب
رجال متى يدعوا الى الحرب يسرعوا * كمشى الجمال المشعلات المصاعب
اذا ما فررنا كان أسوا فرارنا * صدود الخدود وازورار المناكب
صدود الخدود والقنا متشاجر * ولا تبرح الاقدام عند التضارب
ظأرنا كموبالبيض حتى لأنتمو * أدل من السقبان بين الحلائب
يجردن بيضا كل يوم كريهة * ويرجعن حمرا جارحات المضارب
لقيتكم ويوم الحدائق حاسرا * كأن يدى بالسيف مخراق لاعب
ويوم بعاث أسلمتنا سيوفنا * الى حسب فى جذم غسان ثاقب
قتلنا كموبوم الفجار وقبله * ويوم بعاث كان يوم التغالب
أنت عصب للرؤس تحطم بالقنا * كمشى الاسود فى رشاش الاهاضب

وأجابه عبد الله بن رواحة

اشاقتك ليلى فى الخليط المجانب * نعم فرشاش الدمع فى الصدر غالب
بكرا ثر من شطت نواه ولم يقم * لحاجة محزون شكا الحب ناصب
لدن غدوة حتى اذا الشمس عارضت * أراحت له من لبه كل غارب
يحامى على احسابنا بتلادنا * لمفتقر أو سائل الحق واجب
واعمى هدته للسبيل سيوفنا * وخصم أقمنا بعد مائع ثاعب
ومعترك ضنك يرى الموت وسطه * مشيناله مشى الجمال المصاعب
رحل ترى الماذى فوق جلودهم * وبيضا نقيا مثل لون الكواكب
وهم حسر لا فى الدروع تحالهم * أسودا متى تنشا الرماح تضارب
معاقلهم فى كل يوم كريهة * مع الصدق منسوب السيوف القواضب

وهى طويلة وليلى التى شبب بها ابن رواحة هى أخت قيس بن الخطيم وعمرة التى شبب بها ابن الخطيم هى أخت عبد الله بن رواحة وهى أم النعمان بن بشير الانصارى بعاث بضم الباء الموحدة وبالعين المهملة وقال صاحب كتاب العين وحده وهو بالغين المعجمة

﴿ذكر غلبة ثقيف على الطائف والحرب بين الاحلاف وبنى مالك﴾

كانت أرض الطائف قديما لعدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر فلما كثر بنو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان غلبوهم على الطائف بعد قتال شديد وكان بنو عامر يصيفون بالطائف ويشتون بأرضهم من نجد وكانت مساكن ثقيف حول الطائف وقد اختلف الناس فيهم فمنهم من جعلهم من اياد فقال ثقيف اسمه قسى بن نبت بن منبه بن منصور بن مقدم بن افصى بن دعمى بن اياد من معد ومنهم من جعلهم من هوازن فقال هو قيس بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان فرأت ثقيف البلاد فاعجبهم نباتها وطيب ثمرها فقالوا لبنى عامر ان هذه الارض لا تصلح

بلدانهم من المعادن وجبايات الاموال والولايات وغيرها كفعل ملوك الصين على حسب ما وصفنا من أخبارهم والمسالك مجاورون لمملكة الصين والرسل تختلف بينهم بالهدايا وبينهم جبال منيعة وعقبات صعبة والمسالك بها عظماء البطش والقوة واذا دخل رسل ملك المسالك مملكة الصين وكل ملك الصين بهم ولم يتركهم ينتشرون فى بلادهم خوفا أن يقفوا على طرقهم وعورات بلادهم لكبر المسالك فى نفوسهم ولم ذكر ما من الهند والصين فى بلادهم ولغيرهم من الامم أخلاق وشيم فى المآكل والمشارب والمناكح والملابس والعلاج والادوية والكى بالنار وغيره وقد ذكر ان جماعة من ملوكهم انهم لا يرون حبس الريح فى أجوافهم لانه داء يؤذى ولا يحتشمون فى اظهارها فى سائر أحوالهم وكذلك فعل حكمائهم ورأيهم ان حبسها داء يؤذى وأن ارسالها شفاء ينجى وأن فى ذلك العلاج الاكبر وأن فيه راحة لصاحب القولنج والمحصور وأن فيه داء للسقيم المطحول ولا يحتشمون من الضرطة ولا يحصرون الفسوء ولا يرون ذلك عيبا وللهند التقدم فى صناعة الطب ولهم فيه اللطافة والحذق وذكر هذا المخبر عن الهند أن السعال عندهم أقبح من الضراط وان الجشاء فى وزن الفساء وأن صوت الضرطة دباغها والمذهب بنهارها واما تشهد هذا المخبر

للزرع وانما هى أرض ضرع ونراكم على ان آثرتم الماشية على الغراس ونحن اناس ليست لنا مواش فهل لكم ان تجمعوا لزرع والضرع بغير مؤنة تدفعون الينا بلادكم هذه فنثيرها ونغرسها ونحفرفيها الاطواء ولا نكافكم مؤنة نحن نكفيكم المؤنة والعمل فاذا كان وقت ادراك الثمر كان لكم النصف كاملا ولنا النصف بما عملنا فرغب بنو عامر فى ذلك وسلموا اليهم الارض فنزلت ثقيف الطائف واقتسموا البلاد وعملوا الارض وزرعوها من الاعناب والثمار ووفوا بما شرطوا لبنى عامر حينا من الدهر وكان بنو عامر يمنعون ثقيفا ممن أرادهم من العرب فلما كثرت ثقيف وشرفت حصنت بلادها وبنوا سورا على الطائف وحصنوه ومنعوا عامرا مما كانوا يحملونه اليهم عن نصف الثمار وأراد بنو عامر أخذه منهم فلم يقدروا عليه فقاتلوهم فلم يظفروا وكانت ثقيف بطنين الاحلاف وبنى مالك وكان للاحلاف فى هذا أثر عظيم ولم يزل قمتد بذلك على بنى مالك وأقاموا كذلك ثم ان الاحلاف أثروا وكثرت خيلهم فحموا الحاجى من أرض بنى نصر بن معاوية ابن بكر بن هوازن يقال له حلذان فغضب من ذلك بنو نصر وقاتلوهم عليه ولجت الحرب بينهم وكان رأس بنى نصر عفيف بن عوف بن عباد النصرى ثم اليربوعى ورأس الاحلاف مسعود بن معتب فلما لجت الحرب بين بنى نصر والاحلاف اغتنم ذلك بنو مالك ورئيسهم جندب بن عوف ابن الحرث بن مالك بن حطيط بن جشم من ثقيف لضغائن كانت بينهم وبين الاحلاف فحالفوا بنى يربوع على الاحلاف فلما سمعت الاحلاف بذلك اجتمعوا وكان أول قتال كان بين الاحلاف وبين بنى مالك وحلفائهم من بنى نصر يوم الطائف واقتتلوا قتالا شديدا فانتصر الاحلاف وأخرجوهم منه الى وادمن وراء الطائف يقال له لحب (١) وقتل من بنى مالك وبنى يربوع مقتلة عظيمة فى شعب من شعاب ذلك الجبل يقال له الابان ثم اقتتلوا بعد ذلك أياما مسميات منهن يوم عمر دى كندة من نخو ونخلة ومنهن يوم كروبا (٢) من نحو حلوان وصاح عفيف بن عوف اليربوعى فى ذلك اليوم صيحة يزعمون ان سبعين حبلى منهم ألقت ما فى بطنها فاقتتلوا أشد قتال ثم افترقوا فسارت بنو مالك تبتغى الحلف من دوس وخثعم وغيرهما على الاحلاف وخرجت الاحلاف الى المدينة تبتغى الحلف من الانصار على بنى مالك فقدم مسعود بن معتب على أحيحة بن الجلاح أحد بنى عمرو بن عوف من الاوس وكان أشرف الانصار فى زمانه فطلب منه الحلف فقال له أحيحة والله ما خرج رجل من قومه الى قوم قط يحلف أو غيره الا اقر لاولئك القوم بشر مما أنف منه من قومه فقال له مسعود انى أخوك وكان صديقا له فقال أخوك الذى تركته وراءك فارجع اليه وصالحه ولو بجدع انفك وأذنك فان أحدا لن يبرلك فى قومك اذا خالفته فانصرف عنه وزوده بسلاح وزاد وأعطاه غلاما كان يبنى الاطام يعنى الحصون بالمدينة فبنى لمسعود بن معتب أطما فكان أول اطم بنى بالطائف ثم بقيت الاطام بعده بالطائف ولم يكن بعد ذلك بينهم حرب تذكر وقالوا فى حربهم اشعارا كثيرة فمن ذلك قول محبر وهو ربيعة بن سفيان أحد بنى عوف بن عقدة من الاحلاف

وما كنت ممن أرث الشر بينهم * ولكن مسعودا جناها وجندبا
قريبى ثقيف انشبا الشر بينهم * فليك عنها منزع حين أنشبا
عنافا ضروسا بين عوف ومالك * شديدا لظاها مترك الطفل أشيبا
مضرمة شبا الشباوقودها * بأيديماما أو رياها وانقبا

على صحة ما حكاه عن الهند باستقصاء القول فى ذلك فى كثير من الناس عنهم حتى ذكر ذلك منهم فى السير والاخبار والنوادر والاشعار فمن ذلك ماذكر فى الارجوزة المعروفة بذات الحيل وهى فقد قال ذو العلم الفصيح الهندى مقالة يفلح فيها عندى لا تحبس الضرطة اما حضرت وخلها واقتح لها اما استفحت فان أدوا الداء فى امساكها والروح والراحة فى اخراجها والقبح فى السعال والمخاط والشؤم فى السعال لا الضراط اما الجشاء ففساد صاعد ونتنه على الفساء زائد وان الريح واحدة فى الجوف وانما تختلف أسماؤها باختلاف مخارجها فما يذهب الصعداء يسمى جشاء وما يذهب سفلا يسمى فساء ولا فرق بين الريحين الا باختلاف المخرجين كما يقال الصفعة واللطمة الا ان اللطمة فى الوجه والصفعة فى مؤخر الرأس والقفا والمعنى واحد وانما اختلفت أسماؤها لاختلاف الموضعين وتباين المكانين وأن الحيوان الناطق انما كثرت علله وترادفت أدواؤه واتصلت أمراضه كالقولنج وأوجاع المعدة وغيرها من العوارض بحبس الداء فى جوفه وتركه اظهاره فى حال هيجانه وتفرغ الطبيعة لدفعه واخراجه وأن سائر الحيوان غير الناطق انما يعدو عما ذكرنا من الآفات والمعترضات من العاهات لسرعة خروج ما يعرض ويثور

أصابت براه من طوائف مالك * وعوف بما جراعليها وأجلبا
بجمشورة جاؤا تخطوا ما آينا * اليهم وتدعو في اللقاء معتبا
وتدعو بني عوف بن عتدة في الوغى * وتدعو علاجا والحليف المطيبا
حبيبا وحبا من رباب كتائبا * وسعدا اذا الداعي الى الموت ثوبا
وقوما بعكروتاه شنت معتب * بغارتها فكان يوما عصبصبا
فأسقط احبال النساء بصوته * عفيف اذا نادى بنصر فطربا

عفيف هذا بضم العين وفتح الفاء

﴿تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني أوله نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

من الادوية احترقت بها وعدم
احتباسها في وعائها وأن الفلاسفة
والمتقدمين والحكماء الرياضيين
كديمقراطيس وفيثاغورس
وسقراط وروحاس وغيرهم
من حكماء الامم لم يكونوا يروا
حبس شئ من ذلك لعلمهم بما
يتولد من آفاته ويؤول اليه من
متعقباته وان ذلك يجده في نفسه
كل ذي حس وان ذلك يعلم
بالطبيعة ويدرك ضرورة
العقل وانما استقبح ذلك أناس
من أصحاب الشرائع لما ورد
به الشرائع ومنعت منه الملل ولم
يحسر ذلك في عاداتهم قال
المسعودي وقد أتينا على أخبارهم
وما أحكموا من دكر شيمهم
وعجائب سيرهم ومنصرفاتهم
في كتابنا أخبار الزمان وفي
الكتاب الاوسط وكذلك أتينا
على ذكر أخبار الماهراج ملك
الجرائر والطيب والافاو به مع
ملك قمار وماحرى لملك قمار مع
المهرج وأخبار ملوك الصين
وملك سريديب مع ملك مسدري
وهي بلاد متاخمة لجزيرة
سريديب كمتاخمة بلاد قمار
لجزائر المهراج من الرامي
وغيرها وكل ملك تملك بلاد
مسدري يسمى القابدي وسأتي
بجمل من أخبار ملوك الشرق
والغرب واليمن والحيرة فيما يرد
من هذا الكتاب من أخبار ملوك
اليمن والفرس واليونانيين
والمغرب وأنواع الاحابش
والسودان وملوك الصين
ولدبافث وغير ذلك من أخبار
العالم وعجائب الامم